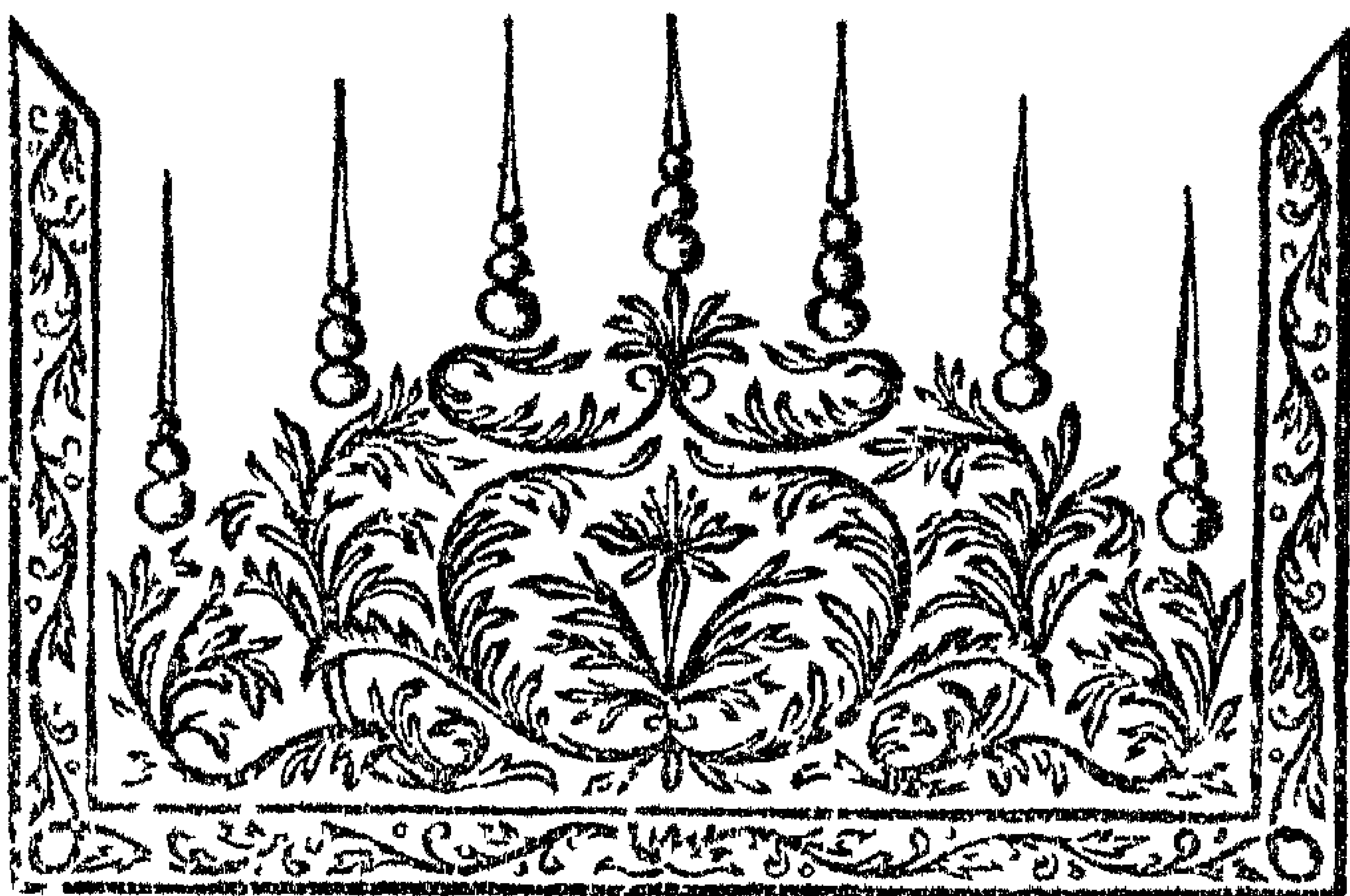


الجلد التاسع من حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي

(سورة الملك مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله تعالى تبارك) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اي تعالى و
عن صفة المخلوقين الذي بيده الملك اي على كل موجود لا متصرف في
غيره لان تقديم الظرف يفيد الاختصاص وقيل انه تفاعل من البركة
النماء والزيادة اي كثرت بركات اسمائه وصفاته ووصلت صنوف احسانه
جميع خلقه وقيل من البروك وهو الثبات والقرار يقال برك البعير يبرك
اي استناخ وكل شيء ثبت واقام فقد برك اي دام بره ودام خيره (
بقبضة قدرته التصرف) يعني ان اليد مجاز عن القدرة وهي الصفة
على وفق الارادة شبهت هذه الصفة في الغائب بالجارحة التي هي معظم
الاثر في الشاهد وعبر عنها باسم هذه الجارحة والملك الاستيلاء على التصرف
في الموجودات كلها ويدل عليه اطلاق الملك وتعريفه باللام للاستغراق او
الكلام مسوق لمدح ذاته وتعظيم شأنه ومقام المدح والتعظيم يستدعي
العموم (قوله على كل ما يشاء) اشارة الى ان الشيء مصدر بمعنى
المفعول كضرب الامير ومعنى مشيء الوجود ما يشاء الله وجوده وان
موجودا في الجملة الا ان مشيئة الوجود تستدعي سبق العدم فيكون
ممكنا ولا بد اول الا احب والمقصود بين الله تعالى بقوله بيده الملك انه
على التصرف في الموجودات كلها وبقوله وهو على كل شيء قدير قدرته
على المعدومات الممكنة باسرها وانه لا يخرج شيء من المعدومات والو-

(سورة الملك مكية ثلاثون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبارك الذي بيده الملك) بقبضة قدرته التصرف في الامور كلها (وهو على كل شيء قدير) على كل ما يشاء قدير

تعاظم
العالم
وهي
ه الى
ر و كا
قوله
المؤثره
مبادي
رف
ولان
الجمل

(الذي خلق الموت والحياة) قدرهما او اوجد الحياة وازالها حسبما قدره وقدم الموت لقوله وكنتم امواتا فاحياكم ولانه ادعى الى حسن العمل (ليبلوكم) ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف ايها المكلفون

عن مالكه وقدرته فيكون قوله وهو على شئ قدير تكميلا لقوله بيده فان قلت ما ذكره يدل على ان الشئ اعم من الموجود والمعدوم الممكن ونحن لا نقول به بل هو مذهب المعتزلة وايضا قولك الشئ لا يتناول الواجب والممتنع مما في قوله قل اي شئ اكبر شهادة قل الله فانا نسمى الله شيئا لا كالاشياء قلنا كون المعدوم الممكن شيئا بمعنى مسمى الوجود لا ينافي كون الشئ مختصا بالموجود لان ما شاء الله وجوده موجود في الجملة لان مراد الله تعالى لا يتخلف عن ارادته وقولنا الشئ لا يتناول الواجب هو الشئ بمعنى مسمى الوجود لا الشئ بمعنى الشائي فان الشئ اذا اطلق على الباري تعالى يكون بمعنى الشائي واما في قوله تعالى خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل فان الشئ فيهما بمعنى مسمى الوجود فلا حاجة الى ان يقال انه من قبيل المخصص بدليل العقل واحتج بعضهم بهذه الآية على انه تعالى ليس بشئ فقال لو كان شيئا لكان قادرا على نفسه وخالقا لنفسه وهو محال ونحن نقول انه تعالى ليس بشئ بمعنى مسمى الوجود ولا يلزم منه ان لا يكون شيئا اصلا لانه تعالى شئ بمعنى انه شائي (قوله او اوجد الحياة وازالها) جواب عما يقال الحياة صفة وجودية زائدة على نفس الذات مغايرة للعلم والقدرة مصححة لاتصاف الذات بهما وبالاحساس والحركة الارادية فكونها متعلقا للخلق ظاهر واما الموت فهو صفة عدمية لكونه عبارة عن عدم هذه الصفة عن محل به اتصافه فكيف يكون متعلقا للخلق وهو عبارة عن الايجاد والتكوين فلا يتعلق الا بما يقبل الايجاد فاجاب عنه اولا ان الخلق وان كان استعمل في الايجاد الا انه في الاصل بمعنى التقدير قال خلقت الاديم اذا قدرته قبل القطع قال الحجاج ما خلقت الا فريت ولا وعدت الا وفيت والخلق ههنا بمعنى التقدير وثانيا بان لا نسلم ان الموت صفة عدمية بل هو صفة وجودية مضادة للحياة كالحرارة والبرودة فيقبل كل منهما الايجاد والتكوين الا ان ايجاد احد الضدين لما كان مستلزما لازالة الآخر عن محله عبر عن ايجاد الموت بازالة الحياة واحتج اهل السنة بهذه الآية على ان الموت صفة وجودية وقالوا انه لو كان امرا عدميا لما تعلق به الخلق والتكوين (قوله وقدم الموت) مع ان الحياة مقدمة على الموت اما لان المراد بالموت الحالة العارضة للنطفة والعلقة والمضغة وبالحياة الحالة المترتبة على نفخ الروح في الجنين واما لان المقصود من سوق الآية تحريض المكلفين على حسن العمل والموت ادعى الى هذا المقصود بالنسبة الى الحياة فان نصب الموت بين العينين اقوى الزواجر عن المعاصي واقوى الدواعي الى حسن العمل ولا شك ان ما هو ادخل في التأدية الى الغرض المسوق له الكلام اهم فقدم على الثاني (قوله ليعاملكم معاملة المختبر) يعني ان البلوى وهو الاختبار والامتحان ليس على

حقيقته لانه انما يتصور ممن يخفى عليه عاقبة الامر بل هو وارد على سبيل
الاستعارة التمثيلية وهي ان يشبه صورة منتزعة من عدة امور بصورة اخرى
مثلها و يدعى دخول الاولى في جنس الثانية للمبالغة فيطلق على الاولى اللفظ
المركب الدال على الثانية فيعتبر التجوز في مجموع ذلك اللفظ المركب لا في مفرداته
بل هي باقية على حالها من كونها حقيقة او مجازا كما في قولك اني اراك تقدم
رجلا وتؤخر اخرى وكذا في هذه الآية الكريمة شبه حاله تعالى مع
المخاطبين الذين كلفهم بالاوامر والنواهي بعدما مكنهم من فعل الطاعة والمعصية
و بين لهم عاقبة كل واحدة منهما حتى يظهر منهم ما ثبت في علمه الازلي من
طاعة المطيع ومعصية العاصي ليجازيهم على حسب عملهم لا على حسب علمه
بما يصدر عنهم فانهم لا يستحقون الثواب والعقاب على علمه تعالى بل بما كسبوه
باختيارهم بحال المختبر مع المختبر فاستعير العبارة الموضوعة للدلالة على حال
المختبر مع المختبر لحاله تعالى مع المخاطبين وما يظهر من خلق المكلفين وتكليفهم
من طاعتهم ومعصيتهم باختيارهم غير ما تعلق به العلم الازلي فهما فان العلم الازلي
يتعلق بهما قبل وقوعهما باعتبار انهما سيقعان او لا يقعان لان ذلك لا يكون
علما وما يظهر من خلقهم وتكليفهم هو تحققهما ووقوعهما بالفعل فمعنى قوله تعالى
ليبلوكم ايكم احسن عملا ليعلم هذا المعنى واقعا بعد ما علم انه سيحصل ولا يلزم
منه تجدد علمه تعالى وحدوثه بل التجدد انما هو في جانب المعلوم وزعمت الفلاسفة
انه تعالى يعلم الجزئيات على وجه كلي هربا من تجدد علمه تعالى وذهب المسلمون
الى انه تعالى يعلم الجزئيات على وجه جزئي فيعلم عند وجودها انها وجدت
وعند عدمها انها عدمت كما انه تعالى يعلم في الازل انها ستوجد في وقت وتعدم
في آخر فلا يتغير علمه الازلي بل المتغير تعلقاته على حسب تغير المعلوم واللام في
قوله تعالى ليبلوكم تدل على ان افعاله تعالى معللة بمصالح العباد كما زعمت المعتزلة
وعند اهل السنة ليس الكلام محمولا على ظاهره لقيام الدليل على انه تعالى لا يفعل
لغرض بل المقصود بيان الحكمة المترتبة على فعله تشبيها لها بالعلة الغائية في
ان كل واحدة منهما مترتبة على وجود الفعل فان قيل الابتلاء انما يكون بالاحياء
والتكليف فما معنى خلق الموت للابتلاء والجواب عنه يعلم من قوله انما ولانه
ادعى الى حسن العمل فان معنى الآية انه تعالى اعطاكم الحياة التي تقدرون
بها على العمل وتتمكنون بها منه وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم الى اختيار
العمل الحسن على القبيح من حيث ان وراءه البعث والجزاء الذي لا بد منه لمقتضى
حكمته وما كان ليعاملكم معاملة المختبر و يظهر ما في علمه الازلي ويتميز المطيع من
العاصي فيجازي كل احد بما يستحقه (قوله اصوبه واخلصه) فان احسن

(ايكم احسن عملا) اصوبه
واخلصه وجاء مرفوعا
احسن عقلا واورع
عن محارم الله واسرع
في طاعته

الاعمال ما كان اصوب بان يكون موافقا للسنة واخلص بان لايشوبه شئ سوى ابتغاء وجه الله والعمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لوجه الله تعالى لم يقبل ايضا وفسر حسن العمل بحسن العقل لان حسن العمل يترتب على العقل فمن كان اتم عقلا كان احسن عملا فان من تم عقله يكون اشد خوفا من الله تعالى واكثر للموت ذكرا واحسن له استعدادا (قوله جملة واقعة) يعني ان قوله تعالى ايكم مبتدأ واحسن خبره وعملا تمييز والجملة الاسمية سادة مسد المفعول الثاني لفعل البلوى وقوله المضمن الخ دفع لما يقال من ان فعل البلوى يتعدى الى مفعول واحد بنفسه وانما يتعدى الى الثاني بواسطة الباء وقد اخذ ههنا مفعوله وهو الضمير المنصوب المتصل فكيف يصح ان يقال انه يستدعي مفعولا ثانيا يتعدى اليه بنفسه وان الجملة الاسمية واقعة موقعه وتقرير الدفع نعم ان الامر كذلك الا انه ضمن معنى العلم وكأنه قيل ليعلم ايكم احسن عملا وبذلك الاعتبار استدعى مفعولا ثانيا سدت الجملة الاسمية التي بعده مسده ثم ان فعل البلوى لما كان في قوة افعال القلوب التي من خصائصها ان تعلق بحرف الاستفهام نحو علمت ازيد افضل ام عمرو وبالاسم المتضمن للاستفهام كقوله تعالى لنعلم اي الحزبين احصى احتمل ان يكون معلقا عن مفعوله الثاني بأي لكونه متضمنا لمعنى الاستفهام فانك اذا قلت اني اعلم ايكم افضل كان المعنى اعلم ازيد افضل ام عمرو واعلم لا يعمل فيما بعد الف الاستفهام وكذا لا يعمل في اي لاتحاد المعنى فالمصنف دفع هذا الاحتمال بقوله وليس هذا من باب التعليق وتقرير دليله انه اذا سبق احد المفعولين والمفعول الثاني جملة مصدرة بكلمة الاستفهام لايكون الفعل معلقا عن الجملة الاستفهامية اذ يلزم منه وقوعها خبرا والانشاء لايقع خبرا كما هو المشهور عند النحويين وبيان الملازمة انه على تقدير التعليق يكون اعراب الجملة المعلق عنها كاعرابها اذا لم يتقدم عليها فعل القلب فيلزم ماذكر من كون الانشاء خبرا بخلاف ما اذا وقعت الجملة الاستفهامية موقع المفعولين فان التعليق حينئذ لايستلزم وقوع الانشاء خبرا وهو ظاهر واستدل الزمخشري على ان الفعل لايعلق عن الجملة الاستفهامية الواقعة موقع المفعول الثاني بان الفعل لااثر له في لفظ الجملة بل في محلها فاذا سبق احد المفعولين والمفعول الثاني جملة وجب ان لا نفرق بين كونها مصدرة باداة التعليق وغير مصدرة بها صورة او لفظا كما في قولك علمت زيدا ابوه قائم وعلمت زيدا لابوه قائم فان عمل علمت ليس الا في محل ابوه قائم سواء صدرت الجملة باداة التعليق ام لا فلا وجه لجعل الاول من باب الاعمال والثاني من باب التعليق بل يجب ان يكون كلاهما من باب الاعمال نقل عن الزمخشري انه قال اذا قلت علمت ازيد

جملة واقعة موقع المفعول ثانيا لفعل البلوى المضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لانه يخل به وقوع الجملة خبرا فلا يعلق الفعل عنها بخلاف ما اذا وقعت موقع المفعولين (وهو العزيز) الغالب الذي لايعجزه من اساء العمل (الغفور) لمن تاب منهم (الذي خلق سبع سموات طباقا) مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت النعل

مطلق فهذا تعليق للفعل عن العمل فى اللفظ والصورة فكذا منع الفعل عن العمل فى الصورة اذا وقع بعده ما يستوجب صدر الكلام فلا يعمل الفعل المعلق فيما بعده لفظا محافظة على صدارته ويعمل تقديرا لان معنى قولك علمت أزيد منطلق علمت انطلاق زيد كما كان كذلك عند انتصاب الجزئين ومن شرط التعليق عند النحويين ان لا يذكر شئ من المفعولين كما فى قولك علمت ايهم اخوك وعلمت أزيد منطلق اما اذا قلت علمت القوم ايهم افضل فهذا الكلام صحيح فى نفسه لكنه ليس من باب التعليق عندهم واذا كان كذلك فليس مما نحن فيه وقوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا ليس من باب التعليق فى شئ لسبق المفعول وهو الضمير المنصوب وذكر فى شرح الرضى انه اذا صدر المفعول الثانى بكلمة الاستفهام فالاولى ان لا يعلق فعل القلب عن المفعول الاول نحو علمت زيدا من هو وعلمت بكرا ابو من هو ويجوز بعضهم تعليقه عن المفعولين جميعا لان معنى الاستفهام يعم جميع ما وقع بعد علمت كانه قيل علمت من زيد وعلمت ابو من بكر وليس بقوى لاتفاقهم على النصب فى علمت زيدا ما هو فائما مع ان المعنى علمت ما زيد قائما (قوله اذا خصفتها طبقا على طبق) اى اذا خرزتها ووضعتها طبقاتها بعضها على بعض قال تعالى وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اى يلصقان بعضه على بعض ليستراه عورتهما وقوله تعالى طباقا اما مصدر بمعنى المطابقة وصفت به سبع السموات للمبالغة فى مطابقة بعضها بعضا او مصدر مؤكد لفعله المحذوف والجملة صفة سبع (قوله او ذات طباق) عطف على قوله مطابقة اى يجوز ان يكون طباقا جمع طبق كجبل وجبال او جمع طبقة كرحبة ورحاب فلا بد من تقدير المضاف اى ذات طباق فهو ايضا صفة لسبع ورحبة المسجد بالفتح ساحته والجمع رحب ورحاب ورحبات (قوله صفة ثانية) اشارة الى ان طباقا صفة على التقادير كلها كما قررناه ولما جعله صفة ثانية وقد تقرر ان الجملة الواقعة صفة لا بد من كونها مشتملة على ما يعود الى الموصوف بها جعل خلق الرحمن من وضع الظاهر موضع الضمير للتعظيم لان موضوع التعظيم عظيم والاصل ما ترى فيهن وقوله من تفاوت مفعول ترى ومن مزيدة فيه (قوله والاشعار بانه تعالى خالق مثل ذلك) وجه الاشعار ان اضافة المصدر تفيد العموم فخلق الرحمن يعم كل مخلوق فيشعر ذلك بعمومه (قوله وان فى ابداعها نعما) ووجه الاشعار به ان اضافة خلقها للرحمن يدل على ان خلقها رحمة بالغة ونعمة جليلة (قوله متعلق به) اى بقوله ما ترى على وجه التسبب اخبر انه لا تفاوت فى خلقهن ثم قال فارجع البصر اى ارفع نظرك الى السماء مرة بعد اخرى حتى يصح عندك

اذا خصفتها طبقا على طبق وصف به او طوبقت طباقا او ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال او طباقة كرحبة ورحاب (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت) وقرأ حمزة والكسائى من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين فات عنه بعض ما فى الآخر والجملة صفة ثانية للسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بانه تعالى خالق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وان فى ابداعها نعما جليلة لا تحصى والخطاب فيها للرسول او لكل مخاطب وقوله (فارجع البصر هل ترى من فطور) متعلق به على معنى التسبب اى قد نظرت اليها مرارا فانظر اليها مرة اخرى متأملا فيها لتعاين ما اخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغى لها والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره اذا شقه

ما اخبرت به بطريق المعاينة اذ ليس الخبر كالمعاينة فالفاء للسببية تدل على ان الاخبار بعدم التفاوت سبب لان يؤمر المخاطب بارجاع البصر ليحقق عنده حقيقة الحال و رجع يجئ لازما و متعديا يقال رجع بنفسه رجوعا ورجعه غيره (قوله في ارتياد الخلل) اي في طلبه يقال راده يروده رودا ورياداً وارتاده ارتياداً بمعنى طلبه (قوله كما في لبيك وسعديك) فان اصلهما الب لك الباً بين اي اقيم بخدمتك اقامة بعد اقامة ولا ابرح عن مكان الخدمة ابدا واسعدك اي اعينك اسعادين فان اسعد يتعدى بنفسه بخلاف الب فانه يتعدى باللام وتثنية المصدر فيهما للتكثير كما في نحو كرتين ومرتين وقوله كرتين منصوب على المصدرية للفعل السابق من غير لفظه فان المعنى ثم ارجع البصر رجعتين آخريين وليس المراد رجعتين اثنتين فقط بل المراد ان تكرر النظر اليها مرارا كثيرة بشهادة قوله وهو حسير فان فعيلا بمعنى الفاعل من الحسور وهو الاعياء فقوله وهو حسير معناه انه بالغ غاية الاعياء والكلال ومن المعلوم ان البصر لايبلغ غاية الكلال برجعه كرتين اثنتين فقط (قوله طردا بالصغار) تنبيه على ان قوله خاسئا اسم فاعل من خسأ اللازم بمعنى تباعد وهرب مع الصغار والذلة فاذا قيل خسأ الكلب بنفسه فمعناه تباعد من هوانه وخوفه كانه زجر وطرد عن مكانه بالذلة وخسأ تستعمل لازما ومتعديا يقال خسأت الكلب اي طردته وخسأ الكلب بنفسه ولايجوز ان يكون خاسئا في الآية مشتقا من المتعدى الا ان يكون بمعنى المفعول اي مبعدا مطرودا روى عن ابن عباس انه قال الخاسئ الذي لم يرما يهواه وقوله تعالى ينقلب جواب الامر وخاسئا حال من البصر وقوله وهو حسير جملة حالية من البصر او من الضمير المستتر في خاسئا فتكون حالا متداخلة واعلم انه تعالى لما قال وهو العزيز الغفور ومن المعلوم ان كونه عزيزا غفورا لايتم الابعد كونه قادرا على كل المقدورات عالما بكل المعلومات استدل اولا على كمال قدرته بقوله الذي خلق سبع سموات طباقا ثم استدل على شمول علمه بقوله ماترى في خلق الرحمن من تفاوت ثم ذكر مايدل على كونه قادرا عالما فقال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح فان الكواكب من حيث كونها مشتملة على حكم ومصالح لاتحصى تدل على كون صانعها عالما حكيما (قوله اقرب السموات الى الارض) اشارة الى ان الدنيا تأنيث الادنى بمعنى الاقرب وان كون السماء قربى انما هو بالنسبة الى ما تحتها من الارض لان القربى بالنسبة الى العرش هي السماء السابعة والمصابيح السرج استعير منها للكواكب تشبيها لها بها في الاضاءة والتنوير (قوله ولايمنع ذلك) جواب عما يقال قد ادعى اهل الهيئة على ان الكواكب

(ثم ارجع البصر كرتين) اي رجعتين اخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك ولذلك اجاب الامر بقوله (ينقلب اليك البصر خاسئا) بعيدا عن اصابة المطلوب كانه طرد عنه طردا بالصغار (وهو حسير) كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة (ولقد زينا السماء الدنيا) اقرب السموات الى الارض (بمصابيح) بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج فيها ولايمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزا في السموات فوقها اذ التزيين باظهارها عليها والتكثير للتعظيم

الثابتة مركوزة في الفلك الثامن وعلى تقدير صحة ماذهبوا اليه كيف توجيه قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا وتقرير الجواب ان كون الثوابت زينة السماء الدنيا لايقتضي كونها مركوزة فيها لجواز كونها مركوزة فيما فوقها من السموات وتكون ظاهرة فيها وزينة لكون السموات شفافة لاتحجب نور ماكان مركوزا فيما فوقها (قوله رجوما لاعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها) اي بسقوطها يقال انقض الحائط اذا سقط وكذا انقض الكلام والشهب جمع شهاب وهي شعلة نار ساقطة منفصلة من نار الكواكب وليس المرجوم به الشياطين نفس الكواكب بل هي قارة ثابتة في مواضعها لم ينتقص شيء منها بالرجم مع ان هذه الشهب يرمى بها من قديم الزمان وهذا معنى قوله بانقضاض الشهب المسببة عنها فان الشهب التي تنقض لرمي المسترقة من الشياطين منفصلة من نار الكواكب التي هي قارة في الفلك على حالها كقبس يؤخذ من النار والنار ثابتة بكمالها في موضعها روي ان السبب في جعلها رجوما ان الجن كانت تستمع خبر السماء فلما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حرست السماء ومنعت من تقرب الشياطين اليها فمن جاء منهم مسترقا للسمع رمي بشهاب فاحرقه الا ان يقتله الى الارض فيلقيه الى الناس فيلبس على الناس امر النبوة بامر الكهانة وهذا لايستلزم ان لاتكون هذه الشهب موجودة قبل بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم البتة بل يجوز ان توجد ولها اسباب اخر حتى ان قدماء الفلاسفة ذكروا وقوعها واسبابه في كتبهم وانما يدل على ان الذي حصل بعد البعثة مارجم به الشياطين عن ابن عباس قال بينما النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جالس في نفر من الصحابة اذ رموا بنجم فاستنار فقال ماكنتم تقولون اذا حدث في الجاهلية مثل هذا قالوا كنا نقول يولد عظيم او يموت عظيم قال صلى الله عليه وسلم فانها لا يرمى لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تعالى اذا قضى الامر في السماء سبحت حملة العرش ثم سبح اهل كل سماء حتى ينتهي التسبيح الى هذه السماء ويستخبر اهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ولايزال ينتهي ذلك الخبر من سماء الى سماء الى ان ينتهي الى هذه السماء ويخطفه الجن فيرمون فما جاؤا به فهو حق ولكنهم يزيدون فيه (قوله وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا) اي قيل انه ليس من الرجم بمعنى الرمي بل هو من الرجم الذي هو ان يتكلم الرجل بالظن كما في قوله تعالى رجما بالغيب عن قتادة قال خلق الله تعالى النجوم لثلاث كونها زينة السماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ومعرفة الاوقات فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف مالاعلم له به وتعدى وظلم ولما ذكر ان

(وجعلناها رجوما للشياطين) وجعلنا لها فائدة اخرى هي رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمي به مايرجم به (واعتدنا لهم عذاب السعير) في الآخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا (وللذين كفروا بربهم) من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنم) وقرئ بالنصب على ان للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير (وبئس المصير اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا) صوتا كصوت الحمير (وهي تفور) تغلي بهم غليان المرجل بما فيه

الكواكب من جملة منافعها ان يرجم بها الشياطين في الدنيا بين ان لهم في العقبى عذابا فوق ذلك وهو ما اعده الله لهم من عذاب السعير قال المبرد سعرت النار فهي مسعوره وسعير كقولك مقتولة وقتيل واحتج اصحابنا بهذه الاية على ان النار مخلوقة الآن لان قوله تعالى اعتدنا اخبار عن الماضي ثم ان الله تبارك وتعالى لما اثبت كمال قدرته وعلمه بما ذكره من الدلائل وبين بذلك صحة اثابة من احسن عملا وعقاب من اساء ساق الكلام الى ان ذكر انه اعد لهم اي للمرجومين بالشهب من الشياطين عذاب السعير وذكر بعدها ان عذابها لا يختص بهم بل يعم الكفرة فقال وللذين كفروا بربهم الخ وعذاب جهنم في قراءة الجمهور مرفوع على الابتداء وقوله وللذين كفروا خبره قدم عليه وقرئ بنصب عذاب على طريق عطف المنصوب على المنصوب والمجرور على المجرور شبه صوت لهب جهنم بشهيق الحمار فاطلق عليه اسم الشهيق وهو آخر صوت الحمار والزفير اوله وقيل الشهيق في الصدر والزفير في الحلق قال مقاتل اذا طرحوا فيها كما يطرح الحطب في النار العظيمة سمعوا لجهنم شهيقا وقال عطاء سمعوا لاهلها ممن تقدم طرحهم فيها شهيقا فهو على حذف المضاف (قوله وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم) جواب عما يقال ليست النار من الاحياء التي من شأنها الغيظ فكيف وصفت به فاجاب عنه اولا بحمل الكلام على التمثيل حيث شبه اشتعالها بهم في قوة تأثيرها فيهم وايصال الضرر اليهم باغتياظ المغتاظ على غيره المبالغ في ايصال الضرر اليه فاستعير اسم الغيظ لذلك الاشتعال والتمثيل بمعنى التشبيه ويحتمل ان يكون بمعنى التخييل بان شبهت جهنم في النفس لشدة غليانها باهلها وقوة صوت اهلها بالانسان المغتاظ على غيره واثبت لها لازم المشبه به وهو الغيظ دليلا على التشبيه المضمر في النفس والغيظ اشد الغضب والغضب ثوران دم القلب ارادة الانتقام والتغيظ اظهار الغيظ وقد يكون ذلك مع صوت مسموع قال تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا فقد ورد في بعض الاخبار اتقوا الغضب فانه جمرة في قلب ابن آدم الم تروا الى انتفاخ اوداجه (قوله قالوا بلى قد جاءنا نذير) جمعوا بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مع انهم لو اقتصروا على قولهم بلى لفهم مرادهم لزيادة التحسر والاغتمام على تفريطهم في قبول قول النذير (قوله وبالغنا في نسبتهم الى الضلال) اشاره الى ان قوله ان انتم الا في ضلال كبير من مقالة الكفار اي وقلنا لهم ما نزل الله من شيء على السنتكم ان انتم يا معشر الرسل الا في ضلال كبير اعترفوا بعدل الله تعالى واقروا بانه تعالى ازاح عذرهم ببعثة الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه بتكذيبهم الرسل ثم اعترفوا بجهلهم حيث قالوا وهم في النار لو كنا نسمع او نعقل

(تكاد تميز من الغيظ) تفرق غضبا عليهم وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية (كلما القي فيها فوج) جماعة من الكفرة (سألهم خزنتها الم يأتكم نذير) يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت (قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير) اي فكذبنا الرسل وافرطنا في التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال رأسا وبالغنا في نسبتهم الى الضلال

ماكنا اليوم فى اصحاب السعير روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لكل شئ دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله يعبد ربه وقال عليه الصلاة والسلام ان الرجل ليكون من اهل الصلاة والصيام وممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وما يجزى يوم القيامة الا على قدر عقله وقال عليه الصلاة والسلام الاحمق يصيب بجهله اعظم من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا فى الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم (قوله والنذر اما بمعنى الجمع) اى على تقدير ان يكون قوله تعالى ان انتم الا فى ضلال كبير من جملة كلام الكفار وخطابهم للنذر بل لابد ان يكون النذر بمعنى الجمع ليصح خطاب النذر بقوله ان انتم او يكون مصدرا بمعنى الانذار كالرجيف والانين على حذف المضاف او على انه مصدر وصف به المنذرون للمبالغة كانهم لكثرة انذارهم وغلوهم فى ذلك واتصافهم به كانوا انذارا واحدا (قوله او الواحد) عطف على قوله الرسل فى قوله اى فكذبنا الرسل اى ويجوز ان يكون نذير بمعنى منذر واحد ويكون قوله ان انتم خطابا له ولامثاله (قوله او اقامة تكذيب الواحد) عطف على التغليب (قوله ويجوز ان يكون الخطاب) عطف على ما يفهم من قوله وبالغوا فى نسبتهم الى الضلال فانه يدل على ان قوله ان انتم من جملة قول الكفار وخطابهم للرسل وان كان الخطاب من الزبانية يكون مرادهم من ضلال الكفرة ما كانوا عليه فى الدنيا من ضلالهم فى باب الاعتقاد والعمل او ما كانوا عليه فى جهنم من العقاب بطريق تسمية عقاب الضلال ضلالا او على ان يكون الضلال بمعنى الضياع والهلاك يقال ضل الشئ اذا ضاع وهلك (قوله فاسحقهم الله سحقا) يعنى ان سحقا منصوب على انه مصدر مؤكد لعامله المحذوف فبناب المصدر مناب عامله فى موضع الدعاء كما فى رعيا وسقيا وجدعا وهذا من المواضع التى يجب فيها حذف المفعول المطلق سماعا واختلف النحاة فى انه مصدر لفعل ثلاثى او لفعل رباعى جاء على حذف الزوائد فذهب اكثر النحاة الى انه مصدر اسحقه الله اى ابعده والسحق البعد وكان القياس ان يقال اسحاقا الا انه جاء المصدر على الحذف كما فى قوله فان اهلك فذلك كان قدرى اى تقديرى ومن جعله مصدر الفعل ثلاثى بنى كلامه على انه سمع سحقه الله ثلاثيا ولم يلتفت المصنف اليه لان استعمال الثلاثى متعديا فى غاية الندرة وانما يستعمل لازما فيقال سحق الشئ بضم العين فهو سحيق اى بعيد واسحقه الله اى ابعده وقرأ العامة سحقا باسكون الحاء وقرئ بضمتين وهما لغتان والاحسن ان يكون الفعل اصلا للمصنف واللام فى قوله لاصحاب السعير للبيان كما فى رعيا لك وسقيا لك (قوله والتغليب الاحبار

والخطاب له ولامثاله على التغليب او اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل او على ان المعنى قالت الافواج قد جاء الى كل فوج منا رسول فكذبناهم وضللناهم ويجوز ان يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على ارادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه فى الدنيا او عقابه الذى يكونون فيه (وقالوا لو كنا نسمع) كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على مالاح من صدقهم بالمعجزات (او نعقل) فنفكر فى حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين (ماكنا فى اصحاب السعير) فى عدادهم ومن جملتهم (فاعترفوا بذنبهم) حين لا ينفعهم والاعتراف اقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لانه فى الاصل مصدر والمراد به الكفر (فسحقا لاصحاب السعير) فاسحقهم الله سحقا اى ابعدهم من رحمته والتغليب للاحبار

و المبالغة) هكذا فى اكثر النسخ ووجد فى بعضها والتعبير بدل التعليب وليس فى نظم الآية تغليب بالمعنى المتعارف لان جميع ابواب التغليب من باب المجاز لاشتراك الجميع فى كون اللفظ مستعملا فى غير ما وضع له وليس فى قوله تعالى فسحقا لاصحاب السعير لفظ مستعمل فى غير ماوضع له غاية مافى الباب ان يطلق اصحاب السعير على الكفرة الذين كذبوا الرسل واستعمال العام فى الخاص وان سلم كونه مجازا فليس من باب التغليب مع انه ليس بمستعمل فى الخاص بل هو مستعمل فى اصل معناه وهو من يلازم السعير و يدخلها سوآء كان خالدا فيها اولا كما فى قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام ياصاحبى السجن فاطلاق اصحاب السعير واهل السعير على من يدخلها من الكفرة وعصاة المؤمنين حقيقة لكونه استعمالا للفظ فيما وضع له فلا يكون من باب التغليب العرفى هذا كانت عبارة التغليب بعيدة كل البعد وبعض السلف من المحققين اعتمد على النسخة التى وقع فيها عبارة التعبير بدل التغليب حيث قال قوله فى سورة الملك والتعبير للايجاز والمبالغة والتعليل يريد ان الاصل ذكر الفعل والاتيان بالضمير لكن غير الاسلوب بحذف الفعل للايجاز وهو ظاهر وللمبالغة بان ذكر السحق اولا مبهما من غير بيان من يستحقه وانه لمن هو ثم جاء بقوله لاصحاب السعير بيانا للمعنى بالدعاء ولو ذكر الفعل لفات هذا المعنى وكثيرا ما يترك البيان للعلم كما يقال حمدا وشكرا وعدل عن ذكر الضمير للتعليل فان علة اللعن ليس هو اعترافهم بذنوبهم بل كونهم من اصحاب السعير باختيار الكفر والتكذيب ووقع فى بعض النسخ والتغليب بدل قوله والتعبير وهو سهو من قلم الناسخ اذ لاوجه له اصلا هذا كلامه بعبارته وذكر قدوة المحققين وعمدة المشايخ السالكين الشيخ عبد الرحيم المعروف بحاجى چلبى سلمه الله انه سمع من لفظ المولى خواجه زاده رحمه الله انه استصوب عبارة التعبير وقطع بان عبارة التغليب خطأ والله اعلم (قوله غائبا عنهم) على ان يكون بالغيب حالا من المضاف المقدر وعلى الثانى يكون حالا من فاعل يخشون وعلى قوله او بالخفى عنهم يكون الباء للآلة ويكون متعلقة بيخشون ويكون الالف واللام فى قوله بالغيب بمعنى الذى وقوله تعالى ان الذين يخشون ربهم اما جملة استئنافية اوردت جوابا للسؤال الناشئ عن بيان حال الكفرة فكأنه قيل فما حال من احسن عملا فاجيب به ثم انه تعالى لماذكر وعيد الكفار ووعد المؤمنين على سبيل المقابلة رجع بعد ذلك الى خطاب الكفار فقال واسروا قولكم او اجهروا به قيل انهم كانوا ينالون من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيخبره جبريل صلى الله تعالى عليه وسلم فيقول بعضهم لبعض أسروا قولكم كى لايسمع آله محمد فنزلت آية وأسروا قولكم او اجهروا به

و المبالغة و التعليل وقرأ الكسائى بالتشديد (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه بعد اوغائبين عنه اوعن اعين الناس او بالخفى عنهم وهو قلوبهم (لهم مغفرة) لذنوبهم (واجر كبير) يصغر دونه لذائذ الدنيا (واسروا قولكم او اجهروا انه عليم بذات الصدور) بالضمائر قبل ان يعبر عنها سرا او جهرا (الايعلم من خلق) الايعلم السر والجهر من اوجد الاشياء حسبما قدره حكمه

وظاهره الامر باحد الامرين الاسرار والجهر ومعناه الاخبار بانه لافرق بين اسرار ما تخوضون فيه من الاقوال والافعال واعلانه في علم الله بذلك واحذروا من ارتكاب ما يكون معصية سرا كما تحذرون منه جهرا ثم علل استواء الامرين في علمه تعالى بذلك فقال انه عليم بذات الصدور قبل ان يعبر بها اصلا لاسرا ولاجهرا فعلمه تعالى بهما بعد التعبير عنها اولى ثم انكر ان يعزب عن علمه شئ من مضمرات الصدور مما عبر عنه سرا وجهرا فقال ألا يعلم من خلق والحال انه هو اللطيف الخبير وقوله من خلق يجوز ان يكون مرفوع المحل على انه فاعل يعلم ومفعوله محذوف وان يكون منصوب المحل على المفعولية وفاعله مستتر فيه اشار الى الاول بقوله الايعلم السر والجهر من اوجد الاشياء والى الثاني بقوله اوألا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة (قوله المتوصل علمه الى ماظهر من خلقه وما بطن) الظاهر ان ليس مراده ان كونه تعالى عالما بما ظهر من خلقه مفهوم من عبارة اللطيف بل المراد انه مفهوم منه بطريق الدلالة لان مدلوله هو العالم بالخفايا كما صرح به في شرح المواقف ومن يعلم الخفايا يلزمه العلم بالجلايا بطريق الاولوية فلذلك اعتبر في مفهوم اللطف وصول علمه الى ما ظهر ايضا قال الامام حجة الاسلام الغزالي نور الله مرقده المنير انما يستحق اسم اللطيف من يعلم دقائق المصالح وغوامضها وما دق منها ولطف ثم يسلك في ايصالها الى المستصلح سبيل الرفق دون العنف فاذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف في الادراك تم معنى اللطيف ولا يتصور كمال ذلك في العلم والفعل الا لله تعالى والخبير هو الذي لاتعزب عنه الاخبار الباطنة فلا يجري في الملك والملكوت شئ ولا يتحرك ذرة ولا تسكن الا ويكون عنده خبرها وهو بمعنى العليم لكن العلم اذا اضيف الى الخفايا الباطنة سمي خبرة ويسمى صاحبه خبيرا انتهى فاللطيف اخص من الخبير الذي هو اخص من العليم وقال الامام الرازي واعلم انهم اختلفوا في اللطيف فقال بعضهم المراد العالم وقال آخرون بل المراد من يكون فاعلاً للاشياء اللطيفة التي تخفى كيفية عملها على اكثر الفاعلين ولهذا يقال ان لطف الله بعباده عجيب ويراد به دقائق تدبيره لهم وفيهم وهذا الوجه اقرب والا لكان ذكر الخبير بعده تكرارا انتهى واذا فسرا بما ذكره الغزالي اندفع التكرار (قوله والتقييد بهذه الحال يستدعي ان يكون ليعلم مفعول ابدا) جواب عما يقال من انه لم يذكر في نظم الآية ما يتعين ان يكون احدهما فاعلا ليعلم والآخر مفعوله فما الذي دعاك الى اعتبار تقديره بالمفعول ولم لاتجعله من باب يعطي ويمنع بان يترك مفعوله اللازم ويعرف

(وهو اللطيف الخبير) المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن اوالا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعي ان يكون ليعلم مفعول ليفيد روي ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيخبر الله بها رسوله فيقولون اسروا قولكم لئلايسمع اله محمد فنبه الله على جهلهم (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا) لينة يسهل لكم السلوك فيها

الخطاب بوجه ثالث وهو ان تجعل من خلق فاعل يعلم ولا تقدر له مفعول ويكون المعنى الا يكون عالما من هو خالق والخالق انما يكون بالعلم و تقرير الجواب انه لو لم يعتبر تعلقه بالمفعول لخلا التقييد بالحال عن فائدة يعتد بها لانه فى قوة تقييد الشئ بنفسه وذلك لان قوله الا يعلم لانكار عدم العلم فيكون فى معنى دعوى العلم فعلى تقدير ان لا يقدر ليعلم مفعول مع ان قوله وهو اللطيف حال من فاعل يعلم يكون حاصل المعنى يعلم وهو عالم اى يعلم فى حال علمه ولا فائدة فى هذا التقييد لانه تقييد لمطلق العلم بنفسه فان قيل لا نسلم ذلك بل هو فى معنى الا يعلم وهو عالم بما ظهر من خلقه وما بطن وقد فسره المصنف بذلك فالعلم المدلول عليه بالعامل هو مطلق العلم والمدلول عليه بالحال مستغرق فيفيد التقييد لانه ليس من قبيل الا يعلم وهو عالم بل من قبيل الا يعلم وهو عالم بكل شئ قلنا اذا نزل قوله الا يعلم منزلة اللازم بان يجعل من قبيل فلان يعطى و يمنع يكون الحدث الذى هو مدلول الفعل عاما شاملا لجميع افراده بحسب تفاهم العرف فى المقام الخطابى كما صرح به صاحب المفتاح كما ان العلم المدلول عليه بقوله اللطيف الخبير كذلك على تفسير المصنف فهما متساويان فى العموم فيلزم تقييد الشئ بنفسه بمنزلة ان يقال الا يعلم كل شئ من هو عالم بكل شئ ثم انه تعالى لما بين استواء الاسرار والاعلان بالنسبة اليه واستدل عليه ببيان تفرده فى خلق الكائنات كلها من الجواهر والاعراض وان الخلق متفرع على العلم فكيف يتصور ان لا يعلم ما خلقه قال بعده هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فلا تغتروا بذلها وانقيادها لكم ولا تجترأوا على معصيته سرا بناء على زعم انه تعالى لا يعلم ما تسرون ولا تأمنوا ان يصيبكم عذابه من حيث لا تحتسبون فان الارض التى هى مأمنكم وموضع استقراركم انا الذى ذللتها لكم و جعلتها مسكنا لكم و سببا لمعاشكم اذ لو شئت لحولت ذلها صعوبة وما فيها من الامن خوفا بان يخسف بكم الارض كما خسف بقارون وبداره الارض او ينزل عليها من السماء انواع المحن والآفات كما انزل على اصحاب الفيل وقوم لوط واطيعوا الله سرا وعلانية لعلكم تفلحون * والذلول من كل شئ المنقاد الذى يذل اى ينقاد ومصدره الذل وهو الانقياد واللين ومنه دابة ذلول اذا زالت صعوبتها وانقادت لصاحبها ووجه كونها ذلولا انه يمكن المشى عليها والحفر للآبار وشق العيون والانهار فيها و بناء الابنية و زرع الحبوب وغرس الاشجار فيها ولو كانت صخرة صلبة لما يتيسر شئ منها ولو كانت مثل الذهب او الحديد لكانت تسخن جدا فى الصيف وتبرد فى الشتاء وايضا ثبتها الله تعالى بالجبال الراسيات كيلا تميل وتنقلب باهلها ولو كانت مضطربة

(فامشوا في مناكبها) في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ينبو عن ان يطأه الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل الارض في الذل بحيث يمشى في مناكبها ﴿ ١٤ ﴾ لم يبق شئ لم يتذلل (وكلوا من رزقه)
والتمسوا من نعم الله (واليه النشور) المرجع فيسألكم عن شكر ما انعم عليكم (ءامنتم من في السماء) يعني الملائكة المتوكلين على تدبير هذا العالم او الله تعالى على تأويل من في السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب فانهم زعموا انه تعالى في السماء وقرأ ابن كثير وابو عمرو بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام ما قبلها ورواية البزي بتسهيل الثانية بلا فصل وقرأ قالون وابو عمرو بتسهيل الثانية مع الفصل وورش بابدالها الفا او بتسهيلها بلا فصل والباقون بتحقيق الهمزتين (ان يخسف بكم الارض) فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل من من بدل الاشتمال (فاذا هي تمور) تضطرب والمور التردد في المجئ والذهاب (ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا) ان يمطر عليكم حصباء (فستعلمون كيف نذير) كيف انذاري اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ (ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير) انكاري عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام وتهديد لقومه المشركين (اولم يروا الى الطير فوقهم صافات) باسطات اجنحتهن في الجو عند

مماثله لتعذر الاستقرار عليها ولكانت صعبة غير ذلول وصعبة الذلول نقادة لما (قوله في جوانبها او جبالها) شبهت جوانب الارض او جبالها بمناكب الانسان من حيث ان مناكب الانسان اطرافه وجوانبه ومن حيث انها ارفع المواضع منه فاطلق عليها اسم المناكب على طريق الاستعارة وعلى التقديرين يكون قوله تعالى فامشوا في مناكبها مثلا لفرط التذليل اي بيانا تمثيليا وتصويرا عرفيا لفرط التذليل على ان المثل مستعار من معناه العرفي الذي هو القول السائر لشأن العجيب تشبيها له به في الغرابة والوجه في كونه بيانا عرفيا لفرط التذليل ما ذكره من انه اذا امكن المشي في جوانب الارض او جبالها التي بمنزلة المناكب من البعير كان امكانه في اواسطها وسهولها اتم واولى (قوله وهو بدل من من) يعني ان قوله من في السماء في موضع النصب على انه مفعول ءامنتم وان يخسف بدل اشتمال منه اي ءامنتم من في السماء خسفه وكذا قوله ان يرسل بدل من من اي ءامنتم من في السماء ارساله (قوله او على زعم العرب) عطف على قوله على تأويل من في السماء امره يعني ان قوله من في السماء لا يجوز ان يكون المراد به البارى عز شأنه لاستحالة كونه تعالى في مكان وجهة ولا يجوز ان يراد به البارى تعالى الا على تأويل من في السماء سلطانه وامره او على ان يكون الخطاب لقوم يزعمون التشبيه فخوطبوا على حسب اعتقادهم كقوله لامثالهم اين شركائي كانه تعالى قال لهم أتأمنون من اعتقدتم انه متمكن في السماء وانه قادر على ما يشاء ان يخسف بكم الارض الجوهري خسف المكان يخسف خسوفا ذهب وذهب في الارض وخسف الله به الارض خسفا اي غيبه فيها (قوله والمور التردد في المجئ والذهاب) وقد قالوا ان الله يحرك الارض عند الخسف بهم حتى تضطرب وتتحرك فتعلوا عليهم وهم يخسفون فيها ويذهبون والارض فوقهم تمور فتلقيهم الى اسفل السافلين (قوله ان يمطر عليكم حصباء) اي حصى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال اي حجارة من السماء كما ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل وفي الصحاح يقال حصبت الرجل احصبه بالكسر اي رميته بالحصباء وحصب في الارض ذهب فيها والحاصب الريح الشديدة التي تثير الحصباء وهي الحصى ومعنى الآية هل حصل لكم امان من هذين واذا لا امان لكم منهما فلم تعاندكم في الشرك والتكذيب وهذا غاية شديدة والعياذ بالله (قوله وتهديد لقومه) اي تأكيد للتهديد السابق بايراد

طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها (ويقبضن) وتضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحرك ولذلك ﴿ ١٥ ﴾ عدل به الى صيغة الفعل للتفرقة بين الاصل في الطيران والطارئ

عليه (ما يمسكهن) في الجو على خلاف الطبع (الا الرحمن) الشامل رحمته كل شئ بان خلقهن على اشكال وخصائص هيأتهن للجري في الهواء (انه بكل شئ بصير) يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب (أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) عديل لقوله اولم يروا على معنى اولم ينظروا في امثال هذه الصنائع فلم يعلموا اقدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وارسال حاصب ام لكم جند ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه فهو كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدأ وهذا خبره والذي بصلته صفته وينصركم وصف لجند محمول على لفظه (ان الكافرون الا في غرور) لامعتمد لهم (ام من هذا الذي يرزقكم

مثال ومصداق له كأنه قيل اولم يروا اي كيف انكرت على المكذبين فلكم تعتبر حالهم بالتدمير والاستئصال وكيف تأمنون مما اصابهم بسبب اصرارهم على الكفر والتكذيب ثم اورد برهانا يدل على قدرته على ايقاع ما هددهم وخوفهم به فقال اولا اولم يروا الى الطير فوقهم صافات وثانيا قل هو الذي انشأكم وجعل لكم السمع والابصار وثالثا قل هو الذي ذرأكم في الارض ومتى ثبت كمال قدرته ثبت كونه قادرا على الانتقام منهم بما يشاء والطير جمع طائر وقوله فوقهم ظرف ليروا او حال من الطير اي كائنات فوقهم وصافات حال اما من الطير او من المنوي في الظرف ان جعله حالا (قوله تعالى ويقبضن) عطف على صافات عطف الفعل على الاسم لكونه بمعنى قابضات الا انه عدل به الى صيغة الفعل للدلالة على ان الهواء للطائر بمنزلة الماء للسابح فكما ان الاصل في السباحة هو مد الاطراف وبسطها وقبضها وقتا بعد وقت لا يقصد لذاته وانما يفعل ليتوصل به الى ما هو الاصل في السباحة وهو البسط فكذا الطيران فان الاصل فيه هو صف الاجنحة والقبض يطرأ على الاصل للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير اصل بلفظ الفعل لان الفعل يدل على التجدد وقتا بعد وقت والمعنى انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة ومفعول كل واحد من قوله صافات ويقبضن محذوف اي صافات وقابضات اجنحتهن كما اشار اليه بقوله اي باسطات اجنحتهن ثم اشار الى ان الصف الواقع حال البسط انما هو للقوادم حيث قال فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها وقوادم الطير مقاديم ريشه وهي عشر في كل جناح والحصر المدلول عليه بقوله ما يمسكهن الا الرحمن لا ينافي توصيفهن بقوله صافات وقابضات لان امساكهن مع ثقلهن وضخامة اجسامهن مسند اليه تعالى بلا واسطة وكذا جريهن في الهواء مسند اليه تعالى الا انه بواسطة خلقهن على اشكال وخصائص هيأتهن له او الهامهن كيفية البسط والقبض على الوجه المطابق للمقصود فان رحمة الرحمن وسعت كل شئ ويصل بعضها الى المرحوم بلا واسطة وبعضها بالواسطة (قوله يعلم كيف يخلق الغرائب) اشارة الى ان البصير بمعنى العالم بالاشياء الدقيقة الغريبة من حداقة واتقان كأنه يبصرها ويشاهدها (قوله عديل لقوله اولم يروا) يعني ان كلمة ام الداخلة على من الاستفهامية متصلة معادلة لهمزة أولم يروا والمعنى اولم ينظروا الى آثار قدرتنا فيعلموا بذلك قدرتنا على تعذيبهم ام نظروا وعلموا لكنهم اعتمدوا على ما لهم من الجند

ام من يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم (ان امسك رزقه) بامساك المطر وسائر الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم (بل لجوا) تمادوا (في عتو) في عناد (ونفور) وشراد عن الحق لتفرط اعتقاده

الذي ينجيهم من عذاب الله تعالى الا انه اخرج الكلام مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم كانوا يعتقدون انهم محفوظون من النوائب ببركة آلهتهم وكأنهم اتخذوهم قيل كان الكفار الممتنعون عن الايمان معتمدين على شيئين احدهما اعتمادهم على ما لهم من الانصار والاعوان والثاني اعتقادهم ان الاوثان توصل اليهم الخيرات وتدفع عنهم جميع الآفات فابطل الله تعالى ما زعموه اولا بقوله ام من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن وابطل الثاني بقوله ام من هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه فاذا بان الحق وحصل الالزام فقال اولا ان الكافرون الا في غرور وقال ثانيا بل لجوا في عتو ونفور واللجاج التمادي في العناد ولما وصفهم بالعتو والنفور نبه على ما دل على قبح هذين الوصفين فقال افمن يمشي مكبا على وجهه الآية فقوله تعالى مكبا حال من فاعل يمشي وكذا سويا حال منه ايضا وعلى وجهه تأكيد لان الكب لا يكون الا على الوجه والمشي مكبا يكون لصعوبة المسلك وعدم استوائه باشتماله على ارتفاع وانخفاض ومن ان يعثر سالكه في كل ساعة ويخر على وجهه في كل خطوة فحاله عكس حال من يمشي على صراط مستقيم فانه يمشي سويا اي مستويا سالما من العثور والخرور (قوله يقال كببته فاكب) اي يقال اكب مطاوع كبه على وجهه كما ان اقشع مطاوع قشع يقال قشعت الريح السحاب فاقشع اي كشفته فانكشف ولم يرض المصنف بكون بناء افعل مطاوعا لفعل حيث قال والتحقيق ان اكب واقشع من باب انفض في ان الهمزة فيه للصيرورة وليس من هذه الابنية المطاوعة فان مطاوع اكب انكب ومطاوع قشعه انقشع بل همزة افعل فيهما للصيرورة كما في قولهم اجرب الرجل اي صار ذا جرب واراب اي صار ذا ريبة والام اي فعل ما يلام عليه كأنه صار ذا ملامة وكذا اكب معناه وقع في الكب اي صار ذا كب الجوهري يقال انفض القوم اي هلكت اموالهم وفني زادهم (قوله والمراد تمثيل المشرك والموحد) اي تشبيههما بالسالكين اي تمثيل المشرك بمن سلك طريقا يعثر سالكه في كل ساعة ويخر على وجهه في كل خطوة وتشبيه دينه بالطريق الموصوف وتشبيه الموحد بمن سلك طريقا مستوي الاجزاء متبعا عدم الانحراف سالما من المزالق والمهالك يمشي سالكه سويا قائما سالما من العثور والخرور وتشبيه دينه بالطريق المذكور فكل واحد من قوله افمن يمشي مكبا وام من يمشي سويا استعارة تمثيلية شبه كل واحد من الدين بدين المشرك والموحد بالمشي على الصراط الموعر المنحرف والمشي على الصراط السهل المستقيم واطلق اسم المشي على الدين المذكور واشتق منه يمشي فصار استعارة تبعية وقوله على صراط مستقيم استعارة تصريحية ولم يذكر مسلك

(افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى) يقال كببته فاكب وهو من الغرائب كقشع الله السحاب فاقشع والحق انهما من باب انفض بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا مطاوعي كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف اجزائه ولذلك قابله بقوله (امن يمشي سويا) قائما سالما من العثور (على صراط مستقيم) مستوي الاجزاء او الجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالمسالكين ولعل الاكتفاء بما في الكب من الدلالة على حال المسالك للاشعار بان ما عليه المشرك لا يستأهل ان يسمى طريقا كمشي المتعسف

المشرك واحواله واكتفى بدلالة الكلب على احواله لما ذكره من الاشعار بان ما عليه
المشرك لا يستأهل ان يسمى طريقا (قوله في مكان متعاد) اي غير مستوى
الاجزاء كان بعضه يعادي بعضا الجوهري عب على مكان متعاد اذا كان متعاونا
ليس بمستو وهذه ارض متعادية ذات حجر وهي المكان من ذوات الاحاقة وهي
شقوق في الارض واحدها حقوق وهو الشق فيها (قوله وقيل المراد بالمكب
الاعمى) عطف على قوله ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة
طريقه واختلاف اجزائه اي وقيل انه يكب على وجهه لا لوعورة طريقه بل لخلل في
بصره فيكون المكب كناية عن الاعمى والماشي سويا كناية عن البصير المهتدي والمراد
من جعلهما كنايتين عن الاعمى والبصير تمثيل الكافر بالاعمى وتمثيل المؤمن بالبصير
تقبيحا لحال الاول وتحسينا لحال الثاني وكذا اذا كان المراد بالمكب من يحشر على
وجهه الى النار وبالماشي سويا من يحشر على قدميه الى الجنة فان الاول انما يحشر
مكبا على وجهه لانكبابه في الدنيا على المعاصي والثاني يحشر على قدميه لكونه
على الصراط السوي في الدنيا ثم انه تعالى لما مثل المشرك بالماشي مكبا او بالاعمى
او بمن يحشر على وجهه الى النار امر رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بان يقبح
حالهم ويعيبهم بكفران نعم الله تعالى حيث مكنهم الله تعالى من اصابة الحق
وسلوك سبله بان اعطاهم السمع والبصر والفؤاد ولم يشكروا ما خولوا ولم
يستعملوها فيما خلقت لاجله ولم يسمعوا ما سمعوه ولم يعتبروا بما ابصروه ولم يتفكروا
فيما نصب من الدلائل والمراد بقلة الشكر عدمه فان القلة قد تستعمل بمعنى العدم
فيقال قلما افعل هذا اي لا افعله ولما كان المقصود من ذكر ما دل على كمال قدرة الله
تعالى وعلمه اثبات صحة البعث والجزاء ختم الآية بقوله واليه تحشرون اشار به
الى ان جميع ما تقدم ذكره من الدلائل لاثبات هذا المطلوب ولما اثبته حكى عن الكفار
انهم يقولون متى هذا الوعد استهزاء وسخرية وايهاما للضعفة انه لا اصل له كلا
لست بمخلوق في القول ولعل قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين من
قبيل يستهزئ بهم في ان لفظ المضارع للاستمرار التجددي فامر الله تعالى
رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بان يجيبهم بان العلم بالوقوع امر مغاير للعلم بوقت
الوقوع فالعلم الاول حاصل عندي وهو كاف في الانذار به واما العلم الثاني فهو
مختص بالله تعالى لم يتعلق به لاخبركم ثم انه تعالى بين حالهم عند نزول العذاب
الموعود لهم ان لم يؤمنوا فقال فلما رأوه زلفة والزلفة مصدر بمعنى القرب منصوب
على الحالية من مفعول رأوه فانه من رؤية العين اي ذا زلفة اي قربا منهم او جعل
نفس الزلفة للمبالغة واصل سيئت وجوه الذين كفروا ساء الموعود رؤية وجوههم
ثم بني للمفعول عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال سيئت اي اسودت وعلتها الكآبة

في مكان متعاد غير مستو
وقيل المراد بالمكب
الاعمى فانه يتعسف فينكب
وبالسوي البصير وقيل
من يمشي مكبا هو الذي
يحشر على وجهه الى
النار ومن يمشي سويا هو
الذي يحشر على قدميه
الى الجنة (قل هو الذي
انشأكم وجعل لكم السمع)
لتسمعوا المواعظ
(والابصار) لتنظروا
صنائعه (والافئدة)
لتتفكروا وتعتبروا (قليلا
ما تشكرون) باستعمالها
فيما خلقت لاجله (قل
هو الذي ذرأكم في
الارض واليه تحشرون)
للجزاء (ويقولون متى
هذا الوعد) اي الحشر
او ما وعدوا من الخسف
والحاصب (ان كنتم
صادقين) يعنون النبي
عليه الصلاة والسلام
والمؤمنين (قل انما العلم)
اي علم وقته (عند الله)
لا يطلع عليه غيره (وانما انا
نذير مبين) والانذار
يكفي له العلم بل الظن
بوقوع المحذر منه
(فلما رأوه) اي الوعد
فانه بمعنى الموعود (زلفة)
اي ذا زلفة اي قرب منهم
سيئت وجوه الذين كفروا)
بان علتها الكآبة وساءتها
رؤية العذاب

(وقل هذا الذي كنتم به تدعون) تطلبون وتستعجلون به تعلمون من الدعاء ﴿١٨﴾ او انتم به تدعون ان لا بعث

فهو من الدعوى (قل
ارأيتم ان اهلكني الله)
اماتني (ومن معي)
من المؤمنين (او رحمنا)
تأخير آجالنا (فمن يجير
الكافرين من عذاب
اليم) اي لا مجير لهم احد
من العذاب متنا او بقينا
وهو جواب لقولهم
نتربص به ريب المنون
(قل هو الرحمن) الذي
ادعوكم اليه مولى النعم
كلها (آمنا به) للعلم بذلك
(وعليه توكلنا) للوثوق
عليه والعلم بأن غيره بالذات
لا يضر ولا ينفع وتقديم
الصلة للتخصيص
والاشعار به (فستعلمون
من هو في ضلال مبين)
منا ومنكم وقرأ الكسائي
بالياء (قل ارأيتم ان
اصبح ماؤكم غورا)
غائرا في الارض بحيث
لا تناله الدلاء مصدر وصف
به (فمن يأتيكم بماء معين)
جار او ظاهر سهل المأخذ
* عن النبي عليه الصلاة
والسلام من قرأ سورة
الملك فكأنما احيى ليلة
القدر سورة القلم وهي
ثنتان وخمسون آية مكية
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(ن) من اسماء الحروف

وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس او البهموت وهو الحوت الذي عليه الارض او الدواة فان بعض الحيوان (ان)

والمعرة يقال ساء الشيء اي قبح وسيء يساء اي قبح فهو يستعمل لازما ومتعديا حص الوجوه بالحزن لان اثر السرور والكآبة يظهر فيها (قوله تطلبون) اي تتمنون وتسألون مستعجلين وقوعه تكذيبا قال الفراء تدعون وتدعون بمعنى واحد وكذا تطلبون وتطلبون (قوله وقرأ الكسائي بالياء) اي فسيعلمون بياء الغيبة على وفق قوله تعالى فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اي يخطئهم الجوار وهو الامان من العذاب والباقون بتاء الخطاب على الالتفات من الغيبة (قوله غائرا في الارض) اي ذاهبا ناضبا وهابطا بحيث لا ترى ولا يستنبط يقال غار الماء يغور غورا اي نضب وغورا خبر اصبح وكان لاهل مكة بئران بئر زمزم وبئر ميمون (قوله جار او ظاهر) فالمعين على الاول فعيل بمعنى فاعل من معن الماء معونا اذا جرى والميم اصلية وعلى الثاني اسم مفعول من العين كمبيع من البيع يقال عنت الشيء اعينه اي ابصرته بعيني فما كان وهو معين والميم على هذا مزيدة * تمت سورة الملك والحمد لله رب العالمين حمدا يوافي نعمه

(سورة القلم مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله وقيل اسم الحوت) قال محيي السنة كما في قوله تعالى في حق يونس عليه الصلاة والسلام وذا النون فالمراد بالحوت الذي يسمى بالنون اما جنس الحوت او فرد معين منه وهو اليهموت الذي بسطت الارض على ظهره فتحرك فمادت الارض فاثبتت بالجبال او الدواة فانه يطلق عليها اسم النون على سبيل الاستعارة تشبيها لها بالحوت في انها يستخرج منها ما يكتب به كما يستخرج ذلك من جنس الحوت فقوله او الدواة مرفوع بالعطف على الجنس اي او المراد بالحوت ما يشبه الحوت وهو الدواة وقوله فان بعض الحيوان بيان لوجه اطلاق النون على الدواة وهو انه من قبيل اطلاق اسم المشبه به على المشبه وكأنه جواب عن قول الزمخشري واما قولهم هو الدواة فما ادري اهو وضع لغوي ام شرعي اي لم يثبت ذلك المعنى لغة ولا شرعا فتصدى لتوجيه اطلاق النون على الدواة لان تفسيره بها مروي عن الاكابر وقال الامام روي عن ابن عباس وهو اختيار الضحاك والحسن وقتادة ان النون هو الدواة فيكون هذا قسما بالدواة والقلم فان المنفعة بهما عظيمة بسبب الكتابة ومن فضل القلم وجلالته انه لم يكتب الله تعالى كتابا الا به ولذلك اقسم الله تعالى به قال البيان اثنان بيان اللسان وبيان البنان ومن فضل بيان البنان

ان ما شيته الاقلام باق على الايام و بيان اللسان تدرسه الاعوام ولولا القلم والدواة ما قام دين و لما صلح عيش (قوله ويؤيد الاول) و هو كون ن من اسماء الحروف انه جيء به على سبيل التعداد للتحدي فانه لو كان اسما لغير حرف الهجاء لكان حقه ان يلي العامل و يعرب على حسب ما اقتضاء العامل كما اعرب القلم وان يكون مكتوبا بصورة لفظه فانتفاء كل واحد من الامرين يدل على انه من اسماء حروف الهجاء وقف عليه لان الاصل فيما سيق على سبيل التعداد ان يوقف عليه (قوله هو الذي خط اللوح) اي يحتمل ان يكون المراد بالقلم المقسم به المعهود وهو ما جاء في الخبر خلق الله تعالى القلم ونظر اليه فانشق نصفين ثم قال له اجر بما هو كائن الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بما هو كائن الى ان تقوم الساعة من الآجال والاعمال والارزاق ثم جف القلم فلم ينطق الى يوم القيامة وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والارض ويحتمل ان يراد به جنس القلم المقول على كل قلم يكتب به في السماء والارض من القلم الاعلى وقلم الملائكة من الحفظة والكرام الكاتبين وقلم الانسان (قوله واخفى ابن عامر) فانه ادغم النون في الواو في يس والقرءآن وفي ن والقلم وقرئ باظهارها على الاصل فان الاصل في اسماء حروف التهجي ان يوقف على كل واحد منها و ينفصل عما بعده فان وقف عليه حقيقة فقد انفصل عما بعده وفقد الادغام فانه لا يتصور مع الانفصال وانما يتصور مع الاتصال وان لم يوقف عليه فهو في حكم الموقوف عليه نظرا الى الاصل فوجب التبيين والاظهار على التقديرين ومن ادغم نظر الى ان هذه الحروف متصلة بما بعدها صورة وحكما اما صورة فظاهر لانه لم يوقف عليها حقيقة واما حكما فلان همزة الوصل لا تقطع مع هذه الحروف نحو الم الله وقولهم في العدد واحد اثنان ولما لم تقطع همزة الوصل معها علمنا انها في تقدير الوصل ولما اتصلت صورة وحكما ادغمت في الواو وقال الفراء واظهارها اعجب الي لانها حروف هجاء وهي كالموقوف عليها وان اتصلت صورة لان الاصل في المسوق على سبيل التعداد ان يوقف على كل واحد منه (قوله وقرئت بالفتح) وهي اما فتحة بناء كما في اين وكيف و اما حركة اعراب بان تكون منصوبة بفعل محذوف مثل اقرأ نون ثم يبتدأ بالقسم بقوله والقلم او تكون منصوبة بنزع الخافض وهو حرف القسم و ايصال فعل القسم اليه ومنع الصرف للعلمية والتأنيث لانها علم للسورة وقرئ بالكسر ايضا لالتقاء الساكنين اولانها مقسم بها اضمر قبلها حرف القسم نحو الله لأفعلن و هذا الوجه ضعيف لان حذف حرف

يستخرج منه شيء اشد سوادا من النفس يكتب به و يؤيد الاول سكونه وكتبته بصورة الحرف (والقلم) هو الذي خط اللوح او الذي يخط به اقسم به لكثرة فوائده واخفى ابن عامر والكسائي و يعقوب النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتصل فان النون الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا اتصلت بها و قد روى ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر كصاد

الجر وابقاء عمله مختص بالجلالة الكريمة ونادر فيما عداها (قوله على التعظيم) لان القلم الذي خط اللوح قلم واحد مخصص لا يصح ارجاع ضمير الجمع اليه الا بذلك التأويل وان اريد به جنس القلم يكون في معنى الجمع فيجمع الضمير العائد اليه لذلك الا انه بقي الكلام في وجه اسناد الفعل الى الآلة وفي التعبير عنها بافظ العقلاء واجاب عنه ان ذلك مبني على تشبيهها بالعقلاء الفاعلين من حيث انها اظهر المراد وبين المقصود مثلهم (قوله او لاصحابه او للحفظة) الظاهر ان الاول مبني على ان يراد بالقلم الجنس والثاني على ان يراد به قلم الحفظة وعلى التقديرين ذكر القلم يدل على من يستعمله فصح ارجاع الضمير اليه (قوله وما مصدرية) فيكون المقسم به نفس الكتابة وان كانت موصولة يكون المقسم به المسطور والمكتوب (قوله والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة الرأي) اشارة الى ان قوله انت اسم ما وبمجنون خبره والباء مزيدة لتأكيد النفي والباء في قوله بنعمة متعلقة بمحذوف هو في موضع النصب على انه حال من المنوي في مجنون اي ما انت بمجنون ملتبسا بنعمة ربك والحصافة بالمهملتين صحة الرأي واستقامته والحصيف الرجل المحكم العقل واحصاف الامر احكامه (قوله والباء لا تمنع عمله فيما قبله) جواب عما قال كيف يعمل مجنون فيما قبل الجار مع ان المعمول لا يقع الاحيث يصح وقوع العامل فيه والمجرور لا يصح وقوعه قبل الجار وان جاز ان يعمل فيما قبله بناء على كون الباء مزيدة الا ان فيه خللا معنويا وهو ان النفي حينئذ هو الجنون المقيد بتلك الحال ونفي المقيد من حيث انه مقيد لا يلزم ان يكون بانتفاء نفس المقيد بل اللازم هو مجرد انتفاء المقيد سواء كان انتفاؤه بانتفاء مجموع القيد والمقيد او بانتفاء نفس القيد فقط كما قيل من ان نفي المقيد يرجع الى نفي قيده وكون الحال قيدا للجنون يستلزم ثبوت اصل الجنون مع انتفاء الحال وهو باطل ولا يلزم هذا المحذور على تقدير ان يكون العامل معنى النفي للفرق بين قولنا الحياة المقيدة بكونها في حال كذا منفية وبين قولنا الحياة منفية في حال كذا فان المقيد فيه النفي لا المنفي روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه قال غاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن خديجة رضي الله تعالى عنها الى حراء فلم تجده فاذا به ووجهه متغير فقالت له ما لك فذكر نزول جبريل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وانه قال له اقرأ باسم ربك فهو اول ما نزل من القرآن قال ثم نزل بي الى قرار الارض فتوضأ وتوضأت ثم صلى وصليت معه ركعتين وقال هكذا الصلاة يا محمد فذكر صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك لخديجة فذهبت خديجة الى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان قد خالف

(وما يسطرون) وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم او بالمعنى الثاني على ارادة الجنس واسناد الفعل الى الآلة واجراؤه مجرى اولي العلم لاقامته مقامه او لاصحابه او للحفظة وما مصدرية او موصولة (ما انت بنعمة ربك بمجنون) جواب للقسم والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة الرأي والعامل في الحال معنى النفي وقيل بمجنون والباء لا تمنع عمله فيما قبله لانها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى

دين قومه ودخل في النصرانية فسألته فقال لها ارسلي الى محمدا فارسلته فاتاه فقال هل امرك جبريل ان تدعوا احدا فقال لا فقال والله لئن بقيت الى دعوتك لا نصرنك نصرا عزيزا فمات قبل دعاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فوقعت تلك الواقعة في ألسنة كفار قريش فقالوا انه مجنون فاقسم الله تعالى على انه ليس بمجنون في خمس آيات منها اول هذه السورة ثم قال ابن عباس ان اول ما نزل قوله تعالى سبح اسم ربك وهذه الآية هي الثانية رواه الامام في الكبير (قوله على الاحتمال او الابلاغ) اي على احتمال طعنهم فيك بالجنون وسائر اقوالهم القبيحة او على تبليغ احكام رسالتك اليهم ودعائهم الى التوحيد والطاعة والممنون اما من من الشيء اذا قطعه فيكون الآية نظير قوله تعالى عطاء غير مجذوذا ومن من عليه منة اي امتن عليه اي وان لك لأجرا غير مكدر عليك بسبب المنة عليك من الناس وهو رد على صاحب الكشاف حيث فسره بقوله غير ممنون به عليك لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وانما تمن الفواضل لا الاجور على الاعمال ووجه الرد انه غير مستقيم على كل واحد من المذهبين اما على مذهب اهل السنة فلأن الثواب عندهم محض تفضل وانما سمي اجرا تشبيها له بالاجر من حيث كونه موعودا بمقابلة العمل واما عند المعتزلة فلأن الثواب وان كان اجرا عندهم الا ان الاقدار والتمكين على العمل تفضل منه تعالى ابتداء فصح ان يمن به على العبد فاذا صح ان يمن على العبد بنفس العمل يصح ان يمن عليه بالاجر المترتب عليه وكلمة على في قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم للاستعلاء المجازي فدلت على انه عليه الصلاة والسلام مشتمل على الاخلاق الجميلة المرضية ومجبول عليها حتى صارت غريزة له الامور الطبيعية والخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الجميلة ونفس الاتيان شيء وسهولته امر آخر فالحالة التي باعتبارها تحصل تلك السهولة هي الخلق وسمي حلما لرسوخه وثباته وصيرورته غريزة له الخلقة التي جبل عليها الانسان وان يوصف حصولها على اعتياد وطول رياضة ومجاهدة (قوله فقالت كان خلقه القرآن) يعني انه عليه الصلاة والسلام كان متحليا بما في القرآن من مكارم الاخلاق ومجانبا عما زجر عنه القرآن من سيئاتها (قوله بأيكم الذي فتن بالجنون) اشارة الى ان ايكم مبتدأ والمفتون بمعنى المجنون خبره وسمي المجنون مفتونا لانه فتن اي محن بالجنون وان الباء مزيدة في المبتدأ كما في قولك بحسبك زيد قيل هذا الوجه ضعيف لان الباء لا تزاد في المبتدأ الا في لفظ حسب فقط (قوله او بأيكم الجنون) على ان يكون الباء للالصاق كما في قولك به داء ويكون المفتون

(وان لك لأجرا) على الاحتمال او الابلاغ (غير ممنون) مقطوع او ممنون به عليك من الناس فانه تعالى يعطيك بلا توسط (وانك لعلى خلق عظيم) اذ تحتمل من قومك ما لا يحتمله امثالك وسئلت عائشة رضي الله تعالى عنها عن خلقه فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون (فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون) ايكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة او بأيكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او بأي الفريقين منكم الجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم

(ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله) وهم المجانين على الحقيقة (وهو اعلم بالمهتدين) الفائزين بكمال العقل (فلا تطع المكذبين) تهييج للتصميم على معاصاتهم (ودوا لو تدهن) تلاينهم بان تدع نهيهم عن الشرك او توافقهم فيه احيانا (فيدهنون) فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف اى ودوا التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى تدهن اوللسببية اى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فيه وفى بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمنى (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف فى الحق والباطل

مصدرا بمعنى الفتون وهو الجنون وقد يجئ المصدر على وزن المفعول نحو معقول وميسور ومجلود يقال ما لفلان معقول ولا مجلود اى ماله عقل ولا جلادة وعلى قوله او باى الفريقين منكم المفتون تكون الباء بمعنى فى وفسر ضمير الخطاب فى قوله بايكم بالفريقين مع ان الخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولجماعة قريش والا لم يصح العدد بالفريق و يدل على كون الخطاب له صلى الله تعالى عليه وسلم ولفريق قريش ما سبق من قوله تعالى فستبصر ويبصرون فان خطاب تبصر له عليه الصلاة والسلام خاصة ولا تدخل فيه الامة فينبغى ان لا تدخل الامة فى خطاب ايكم ايضا الا انه ادخلت الامة فيه وجعل عليه الصلاة والسلام مع امته فريقا وجماعة قريش فريقا آخر لئلا يرد ان يقال كيف يصح ان يقال لجماعة وفرد آخر بانا لهم فى ايكم زيد وهذا الوجه اوجه من الوجهين الاولين لافادته التعريض وسلامته من حمل اللفظ على الاستعمال النادر وهو زيادة الباء فى المبتدأ وجعل صيغة المفعول بمعنى المصدر (قوله وهم المجانين على الحقيقة) يعنى ان الظاهر ان يقال وهو اعلم بالمجانين والعقلاء لانه هو المناسب لقوله فستبصر ويبصرون الا انه وضع الضال والمهتدى موضع المجانين والعقلاء اشعارا بان المجنون فى الحقيقة هو من عصى ربه وضل عن سبيله والعاقل من اطاع ربه واتبع سبيله (قوله تهييج للتصميم على معاصاتهم) اى على عصيان رؤسائهم فان عاصاه بمعنى عصاه فانهم كانوا يدعونه عليه الصلاة والسلام الى ان يكف عنهم ويكفوا عنه فنهاه الله تعالى عن ذلك وامره بالتشدد مع قومه وقوى قلبه عليهم مع قلة العدد وكثرة الكفار فان هذه السورة من اوائل ما نزل (قوله تلاينهم) لان الادهان عبارة عن اللين والمصانعة وهى المداراة (قوله والفاء للعطف) جواب عما يقال لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار ان لانه جواب التمنى كما فى قوله تعالى ولو ان لى كرة فاكون وتقرير الجواب انه معطوف على تدهن ويكون داخلا فى التمنى وليس جوابا للتمنى حتى ينصب وتسقط نونه اى ودوا لو فعلت فيفعلون عقيبه فعلى هذا الظاهر ان تكون كلمة لو مصدرية فان بعض الفقهاء نصوا على جواز كونها مصدرية (قوله اوللسببية) اى لسببية ادهانه عليه الصلاة والسلام لادهانهم وهذا المعنى كما يحصل بنصب المضارع الواقع موقع جواب التمنى باضمار ان يحصل ايضا بان يجعل المضارع خبر مبتدأ محذوف اى فهم يدهنون بسبب ادهانه عليه الصلاة والسلام فعلى هذا يتعين الرفع واذا كان لمعنى واحد طريقان فللبليغ ان يختار ايهما شاء ونظيره قوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف اى فهو لا يخاف لاسيما ان الاسمية تدل على العدة بشأنهم على الملاءمة

والمواضعة وقوله اى ودوا لو تدهن فهم يدهنون يحتمل ان يكون للاستقبال عمى فيدهنون حينئذ وان يكون عمى الحال عمى فهم يدهنون الآن طمعا فى ادهانك معهم (قوله حقير الرأى) وكفى دليلا على حقارة رأيه كونه حلافا فانه يدل على انه لا يعرف عظمة الله تعالى حتى يحلف به تعالى فى ادنى شئ وكفى بهذه الآية زاجرا عن الاعتياد بالحلف (قوله عياب) اى على سبيل الاعتياب فان الهماز صيغة مبالغة من الهمز وهو فى اللغة الضرب طعنا باليد او العصا اونحوهما واستعير للمبالغ الذى يذكر الناس بالمكروه و يظهر عيوبهم تشبيها للطعن باللسان بالطعن بنحو اليد او العصا وقيل الهماز هو الذى يضرب الناس و يطعنهم بيده واللماز الذى يطعنهم بلسانه وقيل الهماز من يسب الناس فى وجوههم واللماز الذى يسبهم فى غيبتهم وقيل بالعكس (قوله منع الناس عن الخير من الايمان والانفاق والعمل الصالح) بعض المفسرين فسروا الخير بالمال وقالوا اى مناع للمال اى ان ينفق لاجل دفع حاجة الفقراء وفسر بالايمان ايضا وقيل كان للوليد بن المغيرة عشرة ابناء واهل وعشيرة وابناء عم وكان يمنعهم عن الاسلام و يقول لهم من اتبع منكم دين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لا انفق عليه شيئا ابدا والمصنف عمم الخير اذ لا دليل يخصصه ببعض وجوه الخير (قوله جاف غليظ) وقيل العتل الشديد الخصومة وقيل الفاحش اللئيم وقيل هو الاكول الشروب القوى الذى يوضع فى الميزان ولا يزن شعيرة يدفع الملك من اولئك فى جهنم بالدفعة الواحدة سبعين الفا (قوله من مثالبه) اى معايبه جمع مثلبة وهى العيب وقوله بعد ما عد من مثالبه يدل على ان كونه عتلا ربما افحش معايبه لانه اذا كان عتلا اى جافيا غليظ الطبع قسا قلبه واجترأ على كل معصية والزنيم يتولد من النطفة الخبيثة والغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الولد ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا يدخل الجنة ولد الزنى ولا ولده ولا ولد ولده وفى الحديث حرام على النطفة الخبيثة ان تخرج من الدنيا حتى تسيئ الى من احسن اليها وقال عليه الصلاة والسلام ان اولاد الزنى يحشرون يوم القيامة فى صورة القردة والخنازير وقال عليه الصلاة والسلام لا تزال امتى بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنى فاذا فشا فيهم ولد الزنى فيوشك ان يعمهم الله تعالى بعقاب وقال عكرمة اذا كثر اولاد الزنى قل المطر وقوله تعالى بعد ذلك ههنا نظير ثم فى قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا من حيث انها للتراخى الرتبى والدعى من كان ملصقا بالقوم وليس منهم قال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه

وانت زنيم نيط فى آل هاشم ❊ كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وقيل الزنيم من لا يعرف من ابوه كما قيل

(مهين) حقير الرأى من المهانة وهى الحقارة (هماز) عياب (مشاء بنميم) نقال للحديث على وجه السعاية (مناع للخير) يمنع الناس عن الخير من الايمان والانفاق والعمل الصالح (معتد) متجاوز فى الظلم (اثيم) كثير الاثم (عتل) جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة (بعد ذلك) بعدما عد من مثالبه

زنيم ليس يعرف من أبوه ※ بغي الأم ذو حسب لئيم

وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم أي أصلهم ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة من مولده وقيل بغت أمه ولم يعرف ذلك حتى نزلت هذه الآية روي أنه دخل على أمه شاهرا سيفه وقال إن محمدا وصفني بعشر صفات وجدت منها تسعة في نفسي فأما الزنيم فلا علم لي به فأخبريني بحقيقة الحال وإلا ضربت عنقك فقالت اسكت وأنا أصدقك وتأمل أن نبتك بما قلت وإلا فوالله اعلم أن أباك كان عنينا وخفت أن يموت فينقطع ذكره ويتفرق في غير ولده ماله فدعوت راعيا إلى نفسي فأنت من ذلك الراعي والزنمة من كل شيء الزيادة وزنمة الشاة شيء يقطع من أذنها فيسترخي ويصير لذلك كالشيء المعلق من خارج وهي في الأصل الهنة البائنة في عنق المعز (قوله قال ذلك حينئذ لأنه كان متمولا) إشارة إلى أن قوله أن كان مفعول له وأن المصدرية مع ما في حيزها مجرورة بلام مقدرة لكنها غير متعلقة بقوله قال أساطير الأولين لما ذكره بل هي متعلقة بمحذوف دل عليه الجملة الشرطية بعدها والتقدير يكفر ويكذب لأن كان ذا مال ووجه دلالتها على هذا المحذوف أن قوله في حق الآيات إنها أساطير الأولين كفر وجحود وتكذيب (قوله ويجوز أن يكون علة للا تطع) أي للا طاعة المنهي عنها أي لا تطعه مع هذه المثالب ليساره وكثرة أمواله (قوله أأن كان) أي بهمزتين مفتوحتين وعدم إدخال ألف بينهما (قوله على أن شرط الغنى في النهي عن الطاعة كالتعليل) لما ورد على قراءة إن الشرطية أنه كيف يصح منه تعالى أن يعلق النهي عن الإطاعة على كونه ذا مال وأعوان مع أنه يدل على جواز الإطاعة عند انتفاء الأمرين أشار إلى دفعه أولا بأن ليس المراد تعليق النهي عن الإطاعة على يسار المطاع حقيقة إلا أنه أورد صورة التعليق ليكون شرط اليسار في معنى التعليل به فكما جاز التعليل في النهي عن الشيء جاز فيه التعليق أيضا فقوله لا تطعه إن كان ذا مال وبنين في قوة أن يقال لا تطعه لأن كان ذا مال وبنين من حيث إن الشرط سبب للحكم فكأنه قيل لا تجعل يساره سببا لإطاعته وثانيا بأن الشرط ليس من قول الناهي بل من قول المخاطب كأنه قيل لا تجعل الغنى شرطا للإطاعة مع ما فيه من المثالب التي تقتضي هجره بالكلية ونظير صرف الشرط إلى المخاطب صرف الترجي إليه في نحو قوله تعالى لعلكم تتقون لعلكم تذكرون لعله يتذكر أو يخشى (قوله سبحانه وتعالى سنسمه) أي سنجعل له سمة أي علامة يعرف بها وعبر عن أنفه بالخرطوم استهانة له وتحقيرا لأن الخرطوم لا يستعمل إلا في الفيل والخنزير (قوله وقد أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر) قال صاحب الكشف هذا مبين بأن

(زنيم) دعي مأخوذ من زنمتي الشاة وهما المتدليتان من أذنها وحلقها قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل الأخنس بن شريق أصله من ثقيف وعداده في زهرة (أن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) أي قال ذلك حينئذ لأنه كان متمولا مستظهرا بالبنين من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لا نفسه لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز أن يكون علة للا تطع أي لا تطع من هذه مثالبه لأن كان ذا مال وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وأبو بكر أأن كان على الاستفهام غير أن ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين أي ألأن كان ذا مال كذب أو أتطيعه لأن كان ذا مال وقرئ إن كان بالكسر على أن شرط الغنى في النهي عن الطاعة كالتعليل بالفقر في النهي عن قتل الأولاد أو أن شرطه للمخاطب أي لا تطع شارطا يساره لأنه إذا أطاع للغنى فكأنه شرطه في الطاعة (سنسمه) بالكي (على الخرطوم) على الأنف وقد أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر فبقي أثرها

(إنا بلوناهم)

اباجهل قتل يوم بدر والثالثة الا حروهم الوليد والاسود والاحنس ماتوا فلم يسم احد بذلك الوسم الذى بقى أثره مدة حياته (قوله وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال) وذلك لان الوجه اكرم موضع فى الجسد والانف ابين عضو منه والوسم على الانف فيه غاية الاذلال والاهانة لان السمة على الوجه شين فكيف اذا كانت على اظهر موضع منه (قوله اونسود وجهه يوم القيامة) فعلى هذا يكون الخرطوم مجازا عن الوجه على طريق ذكر الجزء وارادة الكل اى سنجعل له فى الآخرة علامة يعرف بها اهل القيامة انه كان بالغا فى عداوة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام اقبح العداوة (قوله بلونا اهل مكة) لما وصفهم الله تعالى بالجنون والضلال حيث قال فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون وهو اعلم بمن ضل عن سبيله بين انه اذاقهم بعض وبال امرهم فى الدنيا حيث ابتلاهم بالجوع والقحط سبع سنين حتى اكلوا الجيف والعظام المحترقة لتمردهم وكفرهم بنعم الله تعالى فقال انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة الى قوله ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون والكاف فى كما فى موضع النصب على انها نعت لمصدر محذوف وما مصدرية اى بلوناهم ابتلاء مثل ابتلاء اصحاب الجنة واذ ظرف لبلونا وليصرمنها جواب للقسم وجاء على خلاف قولهم ومنطوقهم ولو جاء عليه لقيل لنصرمنها بنون المتكلم ومصبحين حال من فاعل ليصرمنها والصرم والصرام قطع ثمار النخيل من صرمه اذا قطعه ولا يستثنون جملة مستأنفة او حال ثانية من ضمير ليصرمنها او من المنوى فى مصبحين قيل كونه حالا من احدهما ضعيف لان المضارع المنفى بلا كالمثبت فى عدم دخول الواو عليه واضمار مبتدأ قبله كما فى قولهم قمت واصك وجهه ولا حاجة اليه وسمى قوله ان شاء الله استثناء وهو شرط ليس فيه اداة الاستثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج بان شاء الله خلاف المذكور وبان شاء الله بخلاف المخرج بالاستثناء فانه عين المذكور بالاستثناء مثلا اذا قيل جاء فى القوم الا زيدا فالمخرج من القوم بالاستثناء عين زيد واما اذا قيل يجئ زيد ان شاء الله تعالى فالمراد به اخراج ما لا يتعلق به المشيئة من المجئ وهو خلاف المذكور بان شاء الله لان المذكور ما يتعلق به مشيئة الله تعالى لان التقدير ان شاء الله مجيئه او لان قول ان شاء الله يؤدى معنى الاستثناء فسمى ما يؤدى معناه باسمه والفرق بين الوجهين ما اشار اليه بقوله غير ان المخرج به خلاف المذكور ومحصول الوجه الاول سمى استثناء تشبيها له بالاستثناء من حيث كونه مؤديا لمعنى الاخراج وان كان هذا الاخراج مغايرا للاخراج المعتبر فى الاستثناء ومحصول الثانى سمى استثناء على طريق تسمية ما يؤدى معنى الشئ باسم ذلك الشئ فان قولك لا

وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال كقولهم جدع انفه ورغم انفه لان السمة على الوجه سيما على الانف شين ظاهر او نسود وجهه يوم القيامة (انا بلوناهم) بلونا اهل مكة بالقحط (كما بلونا اصحاب الجنة) يريد بستانا كان دون صنعاء بفرسخين وكان لرجل صالح وكان ينادى الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطأه المنجل او القته الريح او بعد عن البساط الذى يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شئ كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال (اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين) ليقطعنها داخلين فى الصباح

(ولا يستثنون) ولا يقولون ان شاء الله وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء غيره اولان معنى لا حرج ان شاء الله ولا احرج الا ان يشاء الله واحدا ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يخرج ابوهم (فطاف عليها) على الجنة (طائف) بلاء طائف (من ربك) مبتدأ منه (وهم نائمون فاصبحت كالصريم) كالبستان الذي صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شئ فعيل بمعنى مفعول او كالليل باحتراقها واسودادها او كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سيما بالصريم لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه او كالرمال

اخرج ان شاء الله تؤدى معنى قولك لا اخرج فى حال ما الا حال ان شاء الله خروجى فانه استثناء متعارف اخرج فيه عين المذكور على اعم الاحوال (قوله ولا يستثنون حصة المساكين) عطف على قوله ولا تقولون ان شاء الله فالاستثناء على هذا المعنى الاخراج مطلقا (قوله كالبستان الذى صرم ثماره) شبهت به من حيث هلاك ثماره وعدم بقاء شئ منها فيه كما روى عن مقاتل انه قال بعث الله نارا بالليل على جنتهم فاحرقتها حتى صارت سوداء الا ان شبهها بالجنة المصرومة تشبيه الكامل بالناقص وحق التشبيه ان يشبه الناقص ويكون وجه الشبه فى المشبه به اتم منه الى المشبه كما قيل

طاك فى نشره صدغك بالمسك * وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى

ويطلق الصريم على الليل المظلم وعلى النهار ايضا لانصرام كل واحد منهما عن الآخر فهما من الاضداد ويقال لهما الصريمان فيحتمل ان يكون المراد بالصريم فى الآية الليل المظلم لان الجنة لما احترقت واسودت صارت كالليل ويحتمل ان يراد به النهار لانها لما يبست وذهبت خضرتها لم يبق منها شئ من قولهم ابيض الاناء اذا فرغ او كالرمال فان الصريم يطلق ايضا على قطعة ضخمة من الرمل منصرمة عن سائر الرمل وقيل الصريم رملة معروفة باليمن لا تنبت شيأ وعلى التقدير بن شبهت الجنة وهى محروقة بالرملة التى لا تنبت شيأ ولا تتوقع منها نفع ولاصلاح نقل عن القرطبى انه قال فى الآية دليل على ان العزم على المعصية مما يؤاخذ به الانسان لانهم عزموا على ان يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم ونظيرها قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم وقد صح انه عليه الصلاة والسلام قال اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار قيل يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل اخيه وعن الراغب قال اول ما يعرض من حديث النفس السانح ثم الخاطر ثم الارادة ثم الهم ثم العزم والسانح والخاطر متجاوز عنهما بكل وجه وانه من صار اهما او ارادة او عزما فذلك على ما يحوديه وعلى هذا قال تعالى وذروا ظاهر الاثم وباطنه وقال ان الله يعلم ما فى نفسكم فاحذروه فهذا وجه التوفيق بينها وبين قوله عليه الصلاة والسلام ان الله تجاوز لامتى ما حدثت به نفسها وقوله عليه الصلاة والسلام من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه هكذا وجدت والاشكال بعد باق لانه لم يظهر التوفيق بين الآيات وبين قوله عليه الصلاة والسلام ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه والله اعلم (قوله اى اخرجوا) على ان يكون ان مفسرة حيث تقدمها ما هو بمعنى القول وقوله او بان اخرجوا

اليه غدوة على ان تكون ان مصدرية اى تنادوا بهذا الكلام (قوله وتعدية الفعل بعلى) مع ان اصل غدا ان يتعدى بالى اما لتضمينه معنى الاقبال او معنى الاستيلاء حيث انهم غدوا للصرم وتوهموا اقتدارهم واستيلاءهم عليه وعملوا عما اراد الله تعالى بهم وجواب قوله ان كنتم صارمين محذوف لدلالة ماقبله عليه (قوله وخفى وخفت وخفد بمعنى الكتم) يقال اخفيت الشئ اخفيه كتمته وخفيته ايضا اظهرته وهو من الاضداد ويقال خفت الصوت خفوتا اى سكن والخفت والمخافتة والتخافت اسرار النطق واخفدت الناقة وهى مخفد اذا اظهرت انها حبلى ولم يكن بها حمل (قوله ان مفسرة) لان التخافت فى معنى القول ويحتمل ان يكون مصدرية اى يتخافتون بهذا الكلام وهو قول بعضهم لبعض على وجه الاخفاء والمسارة لايدخلنها اليوم عليكم مسكين وهو فى صورة نهى المسكين عن الدخول والمراد نهى انفسهم عن تمكين المسكين من الدخول كقولك لا ارينك ههنا فان دخول المساكين عليهم لازم لتمكينهم اياهم من الدخول كما ان رؤية المتكلم المخاطب لازم لحضوره عنده فذكر اللازم لينتقل منه الى الملزوم على سبيل الكناية التى هى ابلغ من التصريح لان انتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم ولايخفى ان ذكر الشئ بدليله ابلغ من مجرد ذكره وقرر ابن مسعود وجها آخر فى كلمة ان على اضمار القول اى وهم يتخافتون يقولون لايدخلنها اليوم (قوله وغدوا قادرين على نكد لاغير) على ان يكون قادرين حالا من فاعل غدوا او يكون خبر غدوا على تضمنه معنى اصبحوا وعلى حرد متعلق بقادرين قدم عليه للحصر والاختصاص والحرد مصدر حرد يحرد من باب علم ومعناه نكد واتى خيره (قوله اوو غدوا حاصلين على النكد والحرمان) وعلى هذا لايكون قوله على حرد متعلقا بقادرين بل بمحذوف هو حال من فاعل غدوا او خبره لكونه بمعنى اصبحوا وقوله قادرين حال ثانية او حال من المنوى فى قوله على حرد اى وغدوا واقعين فى النكد وقد كانوا عدوا انفسهم فى ظنهم انهم قادرون على غلة جنتهم والانتفاع بها فالمقدور عليه فى الوجه الاول هو الحرد والنكد (قوله وقيل الحرد بمعنى الحرد) بفتحتين وهو الغيظ والحنق عطف على ما يفهم مما قبله وهو كون الحرد بمعنى النكد والحرمان فيكون على حرد متعلقا بقادرين مقدما عليه للحصر او بمحذوف كما فى الوجه الاول (قوله وقيل الحرد القصد والسرعة) يقال حرد يحرد من باب ضرب اذا قصد واقبل فيكون على حرد فى محل النصب على انه حال من فاعل غدوا اى غدوا كائنين على قصد وقادرين حال ثانية او حال من المنوى فى قوله على حرد (قوله وقيل الحرد علم للجنة) اى لجنتهم اى واقبلوا على جنتهم وقت الغداة

بعلى اما لتضمنه معنى الاقبال اولتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن لمعنى الاستيلاء (ان كنتم صارمين) قاطعين له (فانطلقوا وهم يتخافتون) يتسارون فيما بينهم وخفى وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش (ان لايدخلنها اليوم عليكم مسكين) ان مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه من الدخول كقوله لا ارينك ههنا (وغدوا على حرد قادرين) وغدوا قادرين على نكد لاغير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم عزموا على ان يتنكدوا على المساكين فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون فيها الا على النكد او وغدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به اى لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض كقوله يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة * قال الشاعر اقبل سيل جاء من امر الله *

يحرد حرد الجنة المغلة اي عدوا الى جنتهم بسرعة قادرين ﴿ ٢٨ ﴾ عند انفسهم على صرامها او قل الحرة

على الجنة (فلما رأوها) اول ما رأوها (قالوا انا لضالون) طريق جنتنا وما هي بها (بل) اي بعد ما تأملوا وعرفوا انها هي قالوا بل (نحن محرومون) حرمنا خيرها بجناياتنا على انفسنا (قال اوسطهم) رأيا اوسنا (الم اقل لكم لولا تسبحون) لولا تذكرونه وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد قاله حينما عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى (قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين) اولولا تستثنون فسمى الاستثناء تسبيحا لتشاركهما في التعظيم او لانه تنزيه عن ان يجري في ملكه ما لا يريده (فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون) يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم من انكره (قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين) متجاوزين حدود الله (عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها) ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روي انهم بدلوا خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف

قادرين عند انفسهم على صرامها (قوله جنايتنا على انفسنا) بسوء نيتنا وظلمنا على انفسنا بمنع حق المساكين (قوله ويدل على هذا المعنى) اي على ان المراد بالتسبيح الله ان يذكروه ويتوبوا اليه ما حكى عنهم من قولهم سبحان ربنا انا كنا ظالمين فانهم نزهوا الله تعالى وقدسوه عن كل سوء ونقصان لا سيما عن ان يكون ظالما فيما فعل بهم واعترفوا على انفسهم بكونهم ظالمين في قصدهم حرمان المساكين اتباعا لشح انفسهم فكأنهم قالوا نستغفر الله من سوء صنيعنا ونتوب اليه من خبث نيتنا حيث قصدنا عدم اخراج حق المساكين من غلة بستاننا واعترفوا بذنبهم حيث قالوا انا كنا ظالمين وان كان المراد بالتسبيح الاستثناء يكون معنى قول الاوسط هلا تنزهون الله عن ان يجري في ملكه ما لا يريده بان تقولوا لنصرمنها مصبحين ان شاء الله ومعنى قولهم سبحان ربنا ننزه ربنا عن ان يجري في ملكه شئ الا بارادته ومشيئته وهو في معنى الاستثناء واختلف اهل التفسير في ان ما قاله اهل تلك الجنة تلك الجنة الى قوله انا الى ربنا راغبون هل هو توبة منهم فمنهم من توقف في ذلك وقال يحتمل ان يكون هذا الكلام منهم من قبيل ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة وذهب الاكثرون الى انهم قالوا ذلك بطريق التوبة والاخلاص روي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه قال بلغني ان القوم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا كذا في معالم التنزيل وفي التيسير والكشاف وقال ابو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل القائم (قوله اولولا تستثنون) عطف على قوله لولا تذكرونه اي بالتسبيح والتهليل تائبين عما فرط منكم من قصد العصيان يعني ان المفسرين قد اختلفوا في ان المراد بالتسبيح ما هو فقال بعضهم المراد به الاستثناء فان لفظ القرآن يدل على ان القوم حين اقسموا ليصرمنها مصبحين وتركوا الاستثناء بان يقولوا ان شاء الله انكر عليهم اوسطهم في تركهم الاستثناء وعدم خوفهم من عذاب الله تعالى على تركهم اياه ثم لما عاينوا وقوع ما حذرهم الاوسط به قال لهم الاوسط الم اقل لكم لولا تسبحون اي هلا تستثنون فتقولون ان شاء الله وقال آخرون ان القوم حين عزموا على منع زكاة ما خرج من جنتهم قال لهم اوسطهم توبوا عن هذه المعصية قبل نزول العذاب واعزموا على اعطاء حصة المساكين كما كان يخرجها ابوكم فلم يعتبروا عزمهم فلما رأوا العذاب ذكرهم ما قال لهم سابقا فقال لهم الم اقل لكم لولا تسبحون الله وتتوبون اليه فلاجرم اشتغل القوم بالتوبة والتسبيح فقالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فقيل

(انهم)

انهم لو تكلموا به قبل نزول العذاب لنجوا من نزوله لكنهم تكلموا به بعد خراب البصرة (قوله والى لانتهاء الرغبة) لما كان المشهور ان يعدى الرغبة بكلمة فى او بكلمة عن ولم يشتهر تعديها بالى ذكر المصنف لها وجهين احدهما ان تضمن الرغبة معنى الرجوع والآخران معنى الرغبة الرجاء والطلب وان كلمة الى ابيان انه تعالى هو منتهى رجائهم وطلبهم (قوله مثل ذلك العذاب) يعنى ان قوله تعالى كذلك العذاب جملة اسمية قدم فيها الخبر على المبتدأ ثم انه تعالى لما خوف الكفار بعذاب الدنيا وبما هو اكبر منه وهو عذاب الآخرة ذكر بعده احوال اهل السعادة فقال ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم وعند يجوزان يكون ظرفا معمولا للاستقرار الذى تعلق به للمتقين وان يكون متعلقا بمحذوف منصوب على الحالية من المنوى فى قوله للمتقين ولا يجوز ان يكون حالا من جنات لعدم العامل (قوله اى فى الآخرة) لما استحال كون عندية الجنة بالنسبة الى الله تعالى مكانية جعل المصنف عندية بها عبارة عن عندية الدار الآخرة بمعنى انها لاملك ولاحاكم فيها الا الله عز وجل اوعندية قدسه تعالى وطهارته فان الجنة يقال لها دار القدس وحضرة القدس لكونها مطهرة قدس الله تعالى ودليلا عليه فالمجاورة بمعنى الملابسة المشتملة فان النحويين يفرقون بين عند ولدى انه اذا قيل المال عندزيد يصدق ذلك سواء كان المال حاضرا عنده اوغائبا كائنا فى شئ يلابسه كبيته وصندوقه وامينه ونحو ذلك بخلاف ما اذا قيل المال لدى زيد فانه لايصدق الااذا كان المال حاضرا عنده (قوله ليس فيها الا التنعم الخالص) اى لايشوبها شئ مما يكدر مافيها من وجوه التنعم كما يشوب ذلك جنات الدنيا والحصر المذكور مستفاد من اضافة جنات الى النعيم فانها تفيد اختصاص المضاف بالمضاف اليه وذلك لايكون الا بان لايكون فيها الا النعيم الخالص ففيه تعريض بان جنات الدنيا مشوبة بما يكدر العيش وينغص التنعم والاستراحة عن مقاتل قال لما نزلت هذه الاية قال كفار مكة للمسلمين ان الله فضلنا عليكم فى الدنيا فلابد وان يفضلنا عليكم فى الاخرة فان لم يكن التفضيل فلااقل من المساواة فاجاب الله تعالى عنه على وجه الانكار بقوله افنجعل المسلمين كالمجرمين ثم وبخهم بقوله مالكم كيف تحكمون وكيف فى موضع الحال من المنوى فى لكم الراجع الى ما (قوله واصله ان لكم بالفتح) جواب عما يقال ان الجمهور قرأوا بكسر همزة ان والحال ان كلمة ان مع مافى حيزها واقعة موقع مفعول تدرسون والمعنى تدرسون فى الكتاب ان لكم ماتختارونه لانفسكم وان يكون العاصى كالمطيع بل يكون ارفع حالا منه فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين وتقرير الجواب نعم ان الاصل الفتح الا انها كسرت لدخول لام الابتداء فى اسمها فان لام الابتداء

(كذلك العذاب) مثل ذلك العذاب الذى بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة العذاب فى الدنيا (ولعذاب الآخرة اكبر) اعظم منه (لو كانوا يعلمون) لاحترزوا عما يؤديهم الى العذاب (ان للمتقين عند ربهم) اى فى الآخرة اوفى جوار القدس (جنات النعيم) جنات ليس فيها الا التنعم الخالص (افنجعل المسلمين كالمجرمين) انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما زعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم كما نحن عليه فى الدنيا (مالكم كيف تحكمون) التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج رأى (ام لكم كتاب) من السماء (فيه تدرسون) تقرأون (ان لكم فيه لما تخيرون) ان لكم ماتختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه المدروس فلما جيئ باللام كسرت

ويجوز ان يكون حكاية للمدروس او استئنافا وتخير الشيء واختياره اخذ خيره (ام لكم ايمان علينا) عهود مؤكدة بالايمان (بالغة) متناهية في التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين (الى يوم القيامة) متعلق بالمقدر في لكم اي ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم في ذلك اليوم او ببالغة اي ايمان تبلغ ذلك اليوم (ان لكم لما تحكمون) جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم (سلهم ايهم بذلك زعيم) بذلك الحكم قائم يدعيه ويصححه (ام لهم شركاء) يشاركونهم في هذا القول (فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) في دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه سبحانه في هذه الآيات على نفي جميع ما يمكن ان يتشبثوا به من عقل او نقل يدل عليه لاستحقاق او وعد او محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المؤمنين في الآخرة كأنه لما نفى ان يكون التسوية من الله نفى بهذا ان يكون مما يشركون الله به

لا تدخل على ما في حيز ان المفتوحة تقول علمت انك عاقل بالفتح وتقول علمت انك لعاقل بالكسر وكسر ان بعد تدرسون لانه علق عنه لما فيه من معنى العلم (قوله ويجوز ان يكون حكاية للمدروس او استئنافا) وجهان آخران لكسر ان تقرير الاول ان جملة ان لكم فيه لما تخيرون يجوز ان يكون كسر ان فيها لعدم وقوعها موقع المفرد فحكاها الله تعالى في القرآن بصورتها وان كانت في تأويل المفرد في هذا النظم لكونها مفعول تدرسون وهذا الوجه لا يخلو عن بعد لان كلمة فيه في قوله تعالى ان لكم فيه لما تخيرون تأبى ان يكون هذا النظم بصورته هذا المدروس الواقع في الكتاب المدروس الا ان يقال انها مقحمة فيه تأكيدا لما ذكر اولا وليست واقعة في النظم المحكي وتقرير الثاني انه يجوز ان يتم الكلام عند قوله فيه تدرسون بان ينزل تدرسون منزلة اللازم ويكون المعنى يوقعون القراءة فيه كما في قوله * يجرح في عراقيبها نصلي * ثم يبتدأ ويقال ان لكم فيه لما تخيرون اي ليس لكم ذلك (قوله عهود مؤكدة بالايمان) يقال لفلان علي يمين بكذا اذا ضمنته وكفلت له به وحلفت له على الوفاء به اي بل ضمنا لكم واقسمنا بايمان مغلظة فثبت لكم علينا عهود مؤكدة بالايمان (قوله متناهية في التوكيد) يعني كون الايمان بالغة عبارة عن كونها في غاية القوة والصحة وكل شيء يكون في نهاية الجودة وغاية الصحة يوصف بانه بالغ (قوله حتى نحكمكم في ذلك اليوم) اي حتى نجعلكم حكاما في ذلك اليوم ونعطيكم فيما تحكمون او هو متعلق ببالغة اي تبلغ الى يوم القيامة بمعنى انها في لزومها وتأكدها بحيث تنتهي الى ذلك اليوم تامة ولا يبطل منها شيء الى ان يحصل المقسم عليه الذي هو التحكيم واعطاء ما تحكمون (قوله بذلك الحكم قائم) اشارة الى ان قوله بذلك متعلق بزعيم وان الزعيم ههنا بمعنى القائم بالدعوى واقامة الحجة عليها اي سل الذين يدعون ان لهم علينا عهودا مؤكدة بالايمان على ان نحكمهم يوم القيامة ونعطيهم فيما يحكمون به من ان نجعلهم كالمسلمين او نفضلهم عليهم ايهم قائم بهذه الدعوى وبالاحتجاج على صحتها كما يقوم زعيم القوم باصلاح امورهم وايهم معلق بسلهم لان السؤال في معنى العلم لكونه سببا له ثم انه تعالى لما انكر عليهم ان يكون حكمهم بالتسوية بين المسلمين والمجرمين مستندا الى دليل عقلي حيث قال ما لكم كيف تحكمون او الى دليل نقلي حيث قال ام لكم كتاب انكر عليهم ايضا ان يكون لهم شركاء يوافقونهم فيما ذهبوا اليه من التسوية بين المحسن والمسيء حتى يقلدوهم لكونهم من العقلاء الذين يصح التقليد بهم فقال ام لهم شركاء وبين ان ما زعموه باطل من كل الوجوه (قوله وقيل المعنى) قال الامام قوله تعالى ام لهم شركاء في تفسيره وجهان الاول ان المعنى ام لهم اشياء

(يعتمدون)

(يوم يكشف عن ساق) يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا * او يوم يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من ساق الشجر وساق الانسان وتنكيره للتهويل او للتعظيم وقرئ تكشف بالتاء على بناء المفعول والفاعل والفعل للساعة او الحال

يعتقدون انها شركاء الله تعالى و يعتقدون ان اولئك الشركاء يجعلونهم في الآخرة مثل المؤمنين في الثواب والخلاص من العقاب وانما اضاف الشركاء اليهم لانهم جعلوها شركاء لله تعالى وهذا كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ الوجه الثاني ان المعنى ام لهم ناس يشاركونهم في هذا المذهب وهو التسوية بين المسلم والمجرم فليأتوا بهم ان كانوا صادقين في دعواهم والمراد بيان انه كما ليس لهم دليل عقلي في اثبات هذا المذهب ولا دليل نقلي وهو كتاب يدرسونه فليس لهم من يوافقهم من العقلاء على هذا القول وذلك يدل على انه باطل من كل الوجوه ثم انه تعالى لما ابطل قولهم وبين انه لا وجه لصحته اصلا شرع بعد ذلك في بيان عظمة يوم القيامة فقال يوم يكشف عن ساق و يوم ظرف منصوب بقوله فليأتوا فكانه تعالى قال ان كانوا صادقين في انها شركاء فليأتوا بها يوم يشتد الامر و يصعب الخطب لتنفعهم او تشفع لهم او منصوب باذكر المقدر و يجوز ان يكون العامل المحذوف غير اذكر و يكون تقدير الكلام يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ واشعارا بان ثم من الكوائن ما لا يوصف لعظمته (قوله وكشف الساق مثل في ذلك) يعني انه استعارة تمثيلية في اشتداد الامر وصعوبته فمعنى الآية يوم يشتد الامر و يتعاظم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثمة ولا غل وانما هو مثل في البخل بان شبه حال الشدة عليهم من الامر في الموقف بحال المخدرات اللاتي اشتد عليهن الامر فاحتجن الى تشمير ساقهن في الهرب فاستعمل في حق اهل الموقف من الاشياء ما استعمل في حقهن من غير تصرف في مفردات التركيب بل التصرف انما هو في الهيئة التركيبية روى انه سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال اذا خفي عليكم شئ من القرآن فابتغوه في الشعر فانه ديوان العرب اما سمعتم قول الشاعر

سن لنا قومك ضرب الاعناق * وقامت الحرب بنا على ساق

ثم قال هو يوم كرب وشدة (قوله او يوم يكشف عن اصل الامر) معطوف على قوله يشتد الامر اي و يجوز ان يكون من باب التمثيل بان يشبه اصل الامر وحقيقته بساق الشجر و يطلق عليه اسم المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية وتنكير ساق للتهويل والدلالة على انها شدة خارجة عما يتخيله الانسان كانه قيل يوم يكشف عن شدة واي شدة لا يمكن وصفها (قوله او للتعظيم) على ان يكون الساق مستعارا لاصل الامر وحقيقته وقرأ الجمهور يكشف بياء تحتية على بناء المفعول وعن ساق قائم مقام الفاعل وقرئ بالتاء الفوقية على بناء الفاعل واسناد الفعل الى ضمير الساعة وعلى بناء المفعول

ايضا واسناده الى ضمير الحال (قوله ان كان اليوم يوم القيامة) شرط لقوله توبخا نعى انهم اختلفوا فى هذا اليوم الذى يكشف فيه عن ساق اهو يوم القيامة او آخر ايام الرجل فى دنياه او يوم مرضه او هرمه وعجزه عن اداء الصلاة فذهب الجمهور الى انه يوم القيامة فان الكفار والمنافقين يدعون الى السجود فيه لكن لا على سبيل التكليف لان يوم القيامة لا يكون فيه تعبد ولا تكليف بل على سبيل التوبيخ والتعجيل على تركهم السجود فى الدنيا مع انه تعالى حال ما يدعوهم الى السجود يسلب عنهم القدرة على السجود ويحول بينهم وبين الاستطاعة ويجعل ظهورهم مثل صياصى البقر فلا يقدرون على السجود فلا يستطيعون كأن ظهورهم ادخلت فيها السفافيد فلا تنحنى فيبقون قياما كما كانوا على حالهم حتى ترداد حسرتهم وندامتهم على ما فرطوا فيه حين دعوا الى السجود وهم سالموا الاعضاء والمفاصل وذهب آخرون الى ان ليس المراد به يوم القيامة لانه تعالى وصف ذلك اليوم بانهم يدعون فيه الى السجود ويوم القيامة ليس فيه تعبد وتكليف بل المراد به يوم الذى يعجزون فيه عن اداء الصلاة من ايام الدنيا اما من القسوة النازلة بهم من هول ما عاينوه عند النزع واما بسبب العجز الحاصل لهم بسبب المرض او الهرم وقد كانوا يدعون الى السجود زمان الصحة بقول المؤذن حى على الصلاة فلا يجيبون وهم اصحاء معافون قال كعب الاحبار والله مانزلت هذه الآية الا فى الذين يتخلفون عن الجماعات وقوله تعالى خاشعة ابصارهم حال من مرفوع يدعون وابصارهم مرفوع على انه فاعل خاشعة ونسب الخشوع الى الابصار وان كانت الاعضاء خاشعة دالة مواضعة لظهور اثر خشوع الجميع فيها وقوله وهم سالمون حال من مرفوع يدعون الثانية ثم انه تعالى لما خوف الكفار بعظمة يوم القيامة زاد فى تخويفهم بذكر وعيده وما فى قدرته من القهر فقال فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث وهو القرآن ودليل القيامة والمعنى كل امره الى فانى اكفيكه اى اذا علمت يوم القيامة واشتداد الاهوال الآتية فيه فكل امر المكذبين الى وهذه تسلية له عليه الصلاة والسلام وتهديد لمن كذبه (قوله ومن) منصوب بالعطف على ضمير المتكلم او انه مفعول معه وهو مرجوح لامكان العطف من غير ضعف (قوله سنستدرجهم من العذاب درجة درجة) اى حتى نوقعهم فيه (قوله وهو الانعام عليهم) اى ادناؤهم من العذاب من حيث لا يعلمون انه استدراج هو الانعام عليهم لانهم يحسبونه تفضيلا لهم على المؤمنين وهو فى الحقيقة سبب لاهلاكهم فان العبد اذا كان بحيث كلما ازداد ذنبا جدد الله له نعمة وانساه التوبة والاستغفار كان ذلك منه استدراجا بحيث لا يشعر العبد انه استدراج

(ويدعون الى السجود) توبيخا على تركهم السجود ان كان اليوم يوم القيامة او يدعون الى الصلوات لاوقاتها ان كان وقت النزع (فلا يستطيعون) لذهاب وقته او زوال القدرة عليه (خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة) تغشيهم ذل (وقد كانوا يدعون الى السجود) فى الدنيا او زمان الصحة (وهم سالمون) متمكنون فيه مزاحوا العلل فيه (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث) كله الى فانى اكفيكه (سنستدرجهم) سندنيهم من العذاب درجة درجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة (من حيث لا يعلمون) انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم حسبوه تفضيلا لهم على المؤمنين (واملى لهم) وامهلهم (ان كيدى متين) لا يدفع بشئ وانما سمى انعامه استدراجا بالكيد

روى ان رجلا من بنى اسرائيل قال يارب كم اعصيك وانت لاتعاقبنى فاوحى الله تعالى الى نبى زمانه ان قل له كم من عقوبة لى عليك وانت لاتشعر كونها عقوبة ان جمود عينيك وقساوة قلبك استدراج منى وعقوبة لو عقلت وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال اذا رأيت الله تعالى ينعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم انه مستدرج وتلا هذه الآية (قوله لانه فى صورته) اى فى صورة الكيد وهو المكر والاحتيال لان ظاهره احسان وانعام وحقيقته اهلاك وعذاب ولاخفاء ان الاهلاك عقيب الاحسان فى صورة الكيد والاحتيال (قوله تعالى ام تسألهم اجرا) معطوف على قوله ام لهم شركاء اى لا تلتمس منهم اجرا على ماتدعوهم اليه من الايمان والطاعة حتى يثقل عليهم تحمل الغرامات فى بذل المال فيثبطهم ذلك عن الايمان والطاعة والمعنى ليس عليهم كلفة فى متابعتك بل هى سبب سعادتهم فى الدنيا والآخرة والمغرم الغرامة ثم انه تعالى لما بالغ فى زيف طريق الكفار وفى زجرهم عما هم عليه قال له عليه الصلاة والسلام فاصبر لحكم ربك اى لقضائه اولما حكم به من امهالهم وتأخير نصرتك عليهم (قوله تعالى اذنادى) منصوب بمضاف محذوف اى لا يكن حالك كحاله اووصفك كوصفه فى وقت ندائه ربه وتوبته وهو فى بطن الحوت وهو فى ذلك الوقت كان مكظوما اى مملوأ غما وغيظا وحزنا من كظم السقاء اذا ملأه والمعنى لا يوجد منك ماوجد منه من الضجرة والمغاضبة فتبلى ببلائه فان يونس عليه الصلاة والسلام لم يصبر على اذى قومه وخرج مغاضبا فصيره الله تعالى عليه فالتقمه الحوت وبنداؤه ماأخبر الله تعالى به عنه وهو قوله لااله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين ذكر توبته ههنا ولم يذكر زلته بصريحا بل ذكرها تعريضا حيث ذكر ندآءه وتوبته فلا يرد ان يقال كيف نهى عن ان ينهى احد عن ان يكون حاله كحال يونس اذنادى فى بطن الحوت مع ان حاله وقت ندائه هو التوحيد والتسبيح والاعتراف بالذنب والتوبة عنه وكل ذلك طاعة والطاعة لاينهى عنها وذلك لان المراد بحاله وقت ندائه الحالة التى اقتضت الطاعة المذكورة المدلول عليها تعريضا بذكر هذه الطاعة عنه تصريحا وقد ذكرت تلك الحال صريحا فى قوله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم نقل صاحب التيسير عن الحسين بن الفضل انه قال اذنادى لايتعلق بلا تكن اذ النداء طاعة فلا ينهى عنها فالاوجه ان يكون مفعولا لاذكر مقدرا (قوله وحسن تذكير الفعل) مع كونه مسندا الى النعمة للفصل بينه وبين فاعله بالضمير المنصوب مع

لانه فى صورته (ام تسألهم اجرا) على الارشاد (فهم من مغرم) من غرامة (مثقلون) تحملها فيعرضون عنك (ام عندهم الغيب) اللوح او المغيبات (فهم يكتبون) منه مايحكمون ويستغنون به عن علمك (فاصبر لحكم ربك) وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم (ولاتكن كصاحب الحوت) يونس عليه السلام (اذنادى) فى بطن الحوت (وهو مكظوم) مملوء غيظا من الضجرة فتبتلى ببلائه (لولا ان تداركه نعمة من ربه) يعنى التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل وقرئ تداركته وتداركه اى تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه (لنبذ بالعراء) بالارض الخالية عن الاشجار

ان تانيث النعمة غير حقيقي وثانيا استند الى ظاهر غير حقيقي في ضمير الامر ان ولان النعمة والانعام بمعنى واحد وتداركه فعل ماض بمعنى ادركه ويدل عليه قراءة من قرأ تداركته بزيادة تاء التأنيث في آخره وقرئ ايضا لولا ان تداركه بتشديد الدال وهو مضارع اصله تتداركه ادغمت التاء الثانية في الدال بعد قلبها دالا وحملت هذه القراءة على حكاية الحال الماضية ومعنى حكاية الحال الماضية ان تقدر ان تلك الحال واقعة في حال التكلم فيعبر عنها بلفظ يدل على وقوعها في حال التكلم ولا نفعل هذا فيما وقع سابقا الا اذا كان امرا غريبا ويقصد سلوك هذه الطريق ان تحضره للمخاطب وتصوره له حتى يطلع عليه ويتعجب من غرابته مثل ان تقول رأيت الاسد فآخذ السيف فاقتله فظهر بهذا التقرير ان ما يكون على حكاية الحال الماضية لا يدخله لم الاستقبال لان دخوله عليه ينافي الغرض المذكور فكان دخول ان الاستقبالية على قوله تداركه مانعا من حمله على حكاية الحال الماضية فلذلك قال المصنف في تصوير المعنى حينئذ لولا ان كان يقال فيه تداركه فادخل علامة الاستقبال على القول المقدر فصح بذلك ان يحمل قوله تداركه على حكاية الحال وليس مراده تقدير القول بيان ان حكاية الحال تقتضي تقديره لما عرفت من ان حكايتها لاتقتضي تقدير القول بل يكفي فيها ان تقدر وقوعها في حال التكلم ويعبر عنها بما يدل على وقوعها فيه (قوله مليم) اسم فاعل من الام الرجل بمعنى اتى بما يلام عليه (قوله وهو حال) اي من مرفوع قوله لنبذ تعتمد عليها الجواب يعني ان جواب لولا في الحقيقة مفهوم قوله وهو مذموم وان كان في الظاهر هو قوله لنبذ وذلك لان لولا الامتناعية تقتضي ان يكون جوابها منفيا والمنفي ههنا ليس نفس النبذ بالعراء لان ذلك قد وقع بقوله تعالى في الآية الاخرى فنبذناه بالعراء بان سحر بنا الحوت لان يلقيه فيها بل المنفي هو نبذه فيها مذموما فانه تعالى نبذه بالعراء محمودا وارسله الى مائة الف او يزيدون من حيث انه ادركه نعمة النبوة في النبوة عن زلته وقبول تلك التوبة ولولا ان ادركته تلك النعمة لنبذ مذموما مليما وقيل معنى الآية لولا هذه النعمة لبقي في بطن الحوت الى يوم القيامة ثم نبذ بعراء عرصة القيامة مذموما حين يحشر الناس ولكن من الله عليه بالنعمة المذكورة فنبذه بعراء الدنيا ويدل على هذا القول قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون (قوله بان رد الوحي اليه او استنبأه) يؤيد الاول ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال رد الله تعالى اليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه اي قبل

(وهو مذموم) مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال تعتمد عليها الجواب لانها المنفية دون النبذ (فاجتباه ربه) بان رد الوحي اليه او استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة (فجعله من الصالحين) من الكاملين في الصلاح ان عصمه من ان يفعل ما تركه اولى

(شفاعته)

شفاعته فى نفسه وقومه وقبل توبته ومن انكر الكرامات والارهاص لابد له ان ينكر هذا القول لان احتباسه فى بطن الحوت وعدم موته هناك لما لم يكن ارهاصا ولا كرامة لابد ان يكون معجزة وذلك يقتضى ان يكون رسولا قبل هذه الواقعة وقال قوم لعل صاحب الحوت ما كان رسولا قبل هذه الواقعة ثم جعله الله رسولا بعد هذه الواقعة وهو المراد من قوله تعالى فاجتباه ربه (قوله وفيه دليل على خلق الافعال) فان افعال العباد لو لم تكن بخلق الله تعالى لما قيل فجعله من الصالحين فانه صريح فى ان ذلك الصلاح انما حصل بجعل الله تعالى وخلقه (قوله ينظرون اليك شزرا) الشزر نظر الغضبان بمؤخر عينه او على وجه يؤذن بالغضب والعداوة (قوله اذ روى انه كان فى بنى اسد عيانون) وكان الرجل منهم يجوع ثلاثة ايام فلا يمر به شئ من الابل او الغنم او غيرهما فيقول لم ار كاليوم ابلا وغنما احسن من هذه اومثلها الا عانه فلا يذهب الا قليلا حتى تسقط طائفة منها هالكة فسأل الكفار بعض من كان له هذه الصفة ان يقول فى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك فعصمه الله تعالى من شرهم ومن الناس من انكر اصابة العين وقال انها لا حقيقة لها لان تأثير الجسم فى الجسم لا يعقل الا بواسطة المماسة ولا مماسة ههنا فامتنع حصول التأثير والمصنف اشار الى جوابه بقوله بكون من خصائص بعض النفوس فان النفوس مختلفة فى جواهرها وماهياتها واذا كان كذلك لا يمتنع ايضا اختلافها فى لوازمها وآثارها فلا يستبعد ان يكون لبعض النفوس خاصية التأثير المذكور (قوله وقرأ نافع ليزلقونك) بفتح الياء على ان زلق بفتح اللام متعدو بالكسر لازم يقال زلقته فزلق اى اسقطته فسقط مثل حزنه فحزن والباقون بضم الياء من ازلقه اى ازل رجله (قوله وقرئ ليزهقونك) من زهقت نفسه اى هلكت وازهقها غيره اى اهلكها (قوله لسمعوا الذكر لا ينبعث عند سماعه بغضهم) يعنى ان لما ظرفية منصوبة ليزلقونك (قوله بين انه ذكر عام) اى للجن والانس يتعظون به ويستنبطون منه صلاح احوالهم المتعلقة بالدين والدنيا وفيه من الآداب والحكم ومن سائر العلوم ما لا حد له ولا حصر فمن يظهر مثل هذا الكلام ويتلوه ويدعو الناس الى العمل بما فيه كيف يقال فى حقه انه مجنون والحال انه من ادل الامور على كمال عقله وعلو شانه فمن نسب اليه القصور فانما هو من جهله وحمقه فان ذا الفضل لا يعرفه الا ذووه

اذا لم تكن للمرء عين صحيحة ❊ فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر

تمت سورة ن والحمد لله رب العالمين

ماخذ حين حل به ما حل فاراد ان يدعو على المنهزمين (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم) ان هى المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك ويرمونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى اى لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روى انه كان فى بنى اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت وفى الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصائص بعض النفوس وقرأ نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك اى ليهلكونك (لما سمعوا الذكر) اى القرآن اى ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم (ويقولون انه لمجنون) حيرة فى امره وتنفيرا عنه (وما هو الا ذكر للعالمين) لما جننوه لاجل القرآن بين انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رأيا ❊ عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة

(سورة الحاقة)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله اى الساعة او الحالة التى يحق وقوعها) اى يجب والحاقة اسم فاعل من حق الشئ من باب ضرب اى وجب وثبت فوصفوها وهو الساعة او الحالة وكذا على قوله او التى تحق فيها الامور الا ان الحاقة على هذا اسم ادا اعم ... وضرب ... على نفس وعلى هذا الحاقة بمعنى الوارد فيه الامور ففيها تسمية الساعة بها مع ان الفعل لاهلها على الاسناد المجازي على طريق ليله قائم ونهاره صائم فان الملائكة هم الذين يعرفون الامور على حقيقتها يوم القيامة فاسند العرفان الى الوقت مجازا (قوله او يقع فيها حواق الامور) اى ثوابتها على ان الحاقة بمعنى الثابتة من حق الشئ يحق بالكسر اى ثبت والثبوت وصف لما يقع فى الساعة من الحساب والجزاء وصف به نفس الساعة على الاسناد المجازي ايضا فقوله على الاسناد المجازي متعلق بكل واحد من الوجهين الاخيرين (قوله خبرها ما الحاقة) يعنى ان ما مبتدأ ثان والحاقة خبره والجملة خبر الاول ولما ورد ان يقال الجملة الواقعة خبر المبتدأ لابد فيها من العائد ولا عائد فى هذه الجملة اجيب بانه صح ذلك لاشتمالها على الظاهر الذى اقيم مقام الضمير العائد فان اصلها الحاقة ما هى اى اى شئ هى وضع الظاهر موضع الضمير تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها فان معنى التفخيم وان كان مستفادا من الجملة الاستفهامية الا انه اذا وضع الظاهر موضع الضمير يكون ذلك ادل عليه وآكد فان البلغاء يضعون الظاهر موضع الضمير فى نظمهم ونثرهم لقصد التعظيم والتفخيم فيقولون زيد ما زيد بدل ان يقال ما هو لتعظيم شأنه وتفخيم امره فان دلالة الظاهر على ما هو منشأ التعظيم والتهويل اكثر من دلالة الضمير عليه فقول المصنف على التعظيم لشأنها بيان لمعنى الاستفهام وقوله لانه اهول لها اشارة الى نكتة وضع الظاهر موضع الضمير (قوله واى شئ اعلمك ما هى) اشارة الى ان ما الاولى الاستفهامية ومعناها التفخيم والتعظيم وكذا ما الثانية وكل واحدة منهما مبتدأ وما بعدها خبر والجملة الثانية فى محل النصب على انها مفعول ثان لادرى بل هى سادة مسد المفعول الثانى والثالث له لانه بمعنى اعلم وهو يتعدى الى ثلاثة وادراك عنها عامل فيها لما فيها من معنى الاستفهام (قوله تقرع الناس بالافزاع) اى تصيبهم بها كانها تقرعهم بها شبه الاصابة بالقرع ... استعارة ... وهى استعارة تبعية وكان مقتضى الظاهر ان يقال كذبت ثمود وعاد بها اى بالحاقة من حيث انه تعالى لما ذكر الحاقة وفخم شأنها

الفلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله تعالى اخلاقهم

سورة الحاقة مكية وآيها احدى وخمسون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحاقة) اى الساعة او الحالة التى يحق وقوعها او التى تحق فيها الامور اى يعرف حقيقتها او يقع فيها حواق الامور من الحساب والجزاء على الاسناد المجازي وهى مبتدأ خبرها (ما الحاقة) واصله ما هى اى اى شئ هى على التعظيم لشأنها والتهويل لها فوضع الظاهر موضع الضمير لانه اهول لها (وما ادراك ما الحاقة) واى شئ اعلمك ما هى اى انك لا تعلم كنهها فانها اعظم من ان تبلغها دراية احد وما مبتدأ وادراك خبره (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) بالحالة التى تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتثار وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة فى وصف شدتها

(فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية) بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة وهي الصيحة او الرجفة لتكذيبهم بالقارعة او بسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على انها مصدر كالعافية وهو لا يطابق قوله (واما عاد فاهلكوا بريح صرصر) اي شديدة الصوت او البرد من الصر او الصر (عاتية) شديدة العصف كأنها عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها (سخرها عليهم) سلطها عليهم بقدرته وهو استئناف او صفة جيء به لنفي ما يتوهم من انها كانت من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب (سبع ليال وثمانية ايام حسوما) متتابعات جمع حاسم من حسمت الداية اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستأصلته او قاطعات قطعت دابرهم

شرع في ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم الآية ووضع لفظ القارعة موضع ضمير الحاقة لما في القارعة من الدلالة على الشدة والهول ما ليس في ضمير الحاقة وثمود قوم صالح عليه الصلاة والسلام وكانت منازلهم بالحجر فيما بين الشام والحجاز وعاد قوم هود عليه الصلاة والسلام وكانت منازلهم بالاحقاف والاحقاف رمل بين عمان الى حضرموت او اليمن كله (قوله بالواقعة المجاوزة للحد) يعني ان الطاغية صفة لمحذوف هي الواقعة وان الطغيان مجاوزة الحد في اي شيء كان وان الباء فيها للاستعانة كما في كتبت بالقلم وتلك الواقعة هي الصيحة المجاوزة في قوتها وشدتها عن حد الصيحات بحيث لم يحملها قلب احد منهم كما قال الله تعالى انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر او الرجفة اي الزلزلة العظيمة لقوله تعالى فاخذتهم الرجفة انتهى (قوله او بسبب طغيانهم) على ان تكون الطاغية مصدرا بمعنى الطغيان كالكاذبة والعافية وتكون الباء سببية فان طغيانهم حملهم على التكذيب وعقر الناقة ونحوهما فاهلكوا بسببه كما قال تعالى كذبت ثمود بطغواها الى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها (قوله وهو لا يطابق قوله واما عاد فاهلكوا) اي حمل الطاغية بمعنى الطغيان وجعل الباء سببية لا يلائم قوله فاهلكوا بريح لان الباء فيه للاستعانة لا للسببية فجعلها في الجملة الاولى للسببية لا يلائم ما بعدها (قوله من الصر او الصر) الاول بفتح الصاد وهو الصوت يقال صر الباب صريرا وصر القلم والصر بكسر الصاد برد يضر بالنبات والحرث (قوله كأنها عتت) اي عصت وتمردت وغلبت على خزانها فجعل قوله تعالى عاتية استعارة تبعية بان شبهت شدة عصف الريح بعتوها على خزانها فسميت باسمه ثم اشتق منه لفظ عاتية حملها على المجاز لتعذر الحقيقة لان حقيقة العصيان من صفات العقلاء وقال الكلبي عتت الريح على خزانها فلم تطعهم ولم يستطيعوا ضبطها من شدة هبوبها غضبا لله تعالى ولم يخرج قبل ذلك ولا بعد شيء منها الا بقدر معلوم وقال عليه الصلاة والسلام طغى الماء على خزانه يوم نوح وعتت الريح على خزانها يوم عاد فلم يكن لهم عليهما سبيل وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه قال المراد بعتوها عليهم انهم لم يقدروا على ردها بحيلة من الاستتار ببناء او الاستناد الى جبل لانها كانت تنزعهم عن اماكنهم وتهلكهم (قوله اذ لو كانت) علة لوجه كون قوله تعالى سخرها عليهم نافيا للتوهم المذكور وتقريرها ان تلك الريح الصرصر العاتية لو كانت مقتضى الاتصال النجومي الفلكي لكان اقتضاؤه اياها بتقدير الفاعل المختار وجعله

سد الها لان الايصال المذكور به هي اياه الداه اذ لو كان كذلك لما حصل به تخويف قريش وتحذيرهم من التكذيب بسبب كونه مؤديا الى عداوته تعالى (قوله متتابعات) بين الله تعالى اولا زمان تعذيبهم بتسخير الريح عليهم فقال سبع ليال وثمانية ايام ثم بين ان ذلك التعذيب لم يكن متفرقا في تلك المدة بل كان على التتابع والتوالي بحيث لم يخل يوما من تلك الايام ولا ليلة من الليالي عن ذلك فقال حسوما اي متتابعة من غير فتور ولا انقطاع في تلك المدة وقوله تعالى سبع ليال منصوب على الظرفية وحسوما حال من مفعول سخرها اي ارسلها عليهم بقدرته في حال كونها متتابعة الهبوب في تلك المدة من غير فتور ولا انقطاع الى ان استأصل القوم وقطع دابرهم وهو جمع حاسم كشهود وعهود جمع شاهد وعاهد فقوله حسوما بمعنى حاسمات عبر عن الريح الصرصر بلفظ الجمع لكثرتها باعتبار وقوعها في تلك الليالي والايام ومعنى الحسم في اللغة القطع بالاستئصال وسمي السيف حساما لانه يحسم العدو عما يريده من بلوغ عداوته وسمي كي الدابة بالداء الى ان يزول عنها الداء باصله وينقطع مادة الداء بالكلية حسما لان الفاعل يعيد الكي على الدابة كرة بعد اخرى الى ان يستأصل المادة ويقطعها بالكلية ولما كانت الرياح متتابعة ما سكنت ساعة حتى اهلكتهم جميعا شبه تتابعها عليهم بتتابع فعل الحاسم في اعادته الكي على الدابة مرة بعد اخرى حتى يحسم مادتها فسمى ذلك التتابع حسما وسميت الرياح من حيث تتابع هبوبها الى ان تهلك القوم بالكلية حاسمات على سبيل الاستعارة والحاصل ان تلك الرياح فيها ثلاث حيثيات الاولى تتابع هبوبها والثانية كونها قاطعة لكل خير ومستأصلة لكل بركة اتت عليها والثالثة كونها قاطعة دابرهم فسميت حسوما بمعنى حاسمات اما لشبهها بما يحسم داء الدابة في تتابع الفعل واما لان الحسم في اللغة القطع والاستئصال (قوله ويجوز ان يكون مصدرا) عطف على قوله جمع حاسم اي ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى الحسم على وزن الشكور والكفور منصوبا على انه مفعول له اي سخرها عليهم لاجل حسمهم واستئصالهم او على انه مصدر مؤكد لفعله المقدر اي تحسمهم حسما او تستأصلهم استئصالا وتكون الجملة في محل النصب على انها حال من الضمير المنصوب في سخرها ويؤيده القراءة بفتح الحاء فان حسوما في هذه القراءة حال بمعنى سخرها عليهم قاطعا مستأصلا (قوله وهي كانت ايام العجوز) وهي ايام في آخر الشتاء ذات برود ورياح شديدة سميت بها العرب ايام العجوز اما لانها في عجز الشتاء او لان عجوزا من قوم عاد دخلت سربا وهو ثقب في الارض فتبعتها الريح فاهلكتها (قوله تعالى صرعى) حال من القوم لان الرؤية بصرية اي لو كنت عندهم

ويجوز ان يكون مصدرا منصوبا على العلة بمعنى قطعا او المصدر لفعله المقدر حالا اي تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء او لان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في الثامن فاهلكتها (فترى القوم) ان كنت حاضرهم (فيها) في مهابها او في الليالي والايام (صرعى) موتى جمع صريع (كانهم اعجاز نخل) اصول نخل (خاوية) ساقطة فارغة

(فهل ترى لهم من باقية) من بقية ﴿ ٣٩ ﴾ او نفس باقية او بقاء (وجاء فرعون ومن قبله) ومن تقدمه وقرأ البصريان والكسائي ومن قبله اي ومن عنده من اتباعه ويدل عليه انه قرئ ومن معه (والمؤتفكات) قرى قوم لوط عليه السلام والمراد اهلها (بالخاطئة) بالخطأ او بالفعلة او الافعال ذات الخطأ (فعصوا رسول ربهم) اي فعصى كل امة رسولها (فاخذهم اخذة رابية) زائدة في الشدة زيادة اعمالهم في القبح (انا لما طغى الماء) جاوز حده المعتاد او طغى على خزانه وذلك في الطوفان وهو يؤيد من قبله (حملناكم) اي آباءكم وانتم في اصلابهم (في الجارية) في سفينة نوح عليه السلام (لنجعلها لكم) لنجعل الفعلة وهي انجاء المؤمنين واغراق الكافرين (تذكرة) عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته (وتعيها) وتحفظها وعن ابن كثير وتعيها بسكون العين تشبيها بكتف والوعي ان تحفظ الشيء في نفسك والايعاء ان تحفظه في غيرك (اذن واعية) من شأنها ان تحفظ ما يجب حفظه لذكره واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه والتكبير

في ذلك الوقت لرأيتهم في مهابها مصروعين والكاف في كأنهم في موضع الحال ايضا امامن القوم على قول من جوز حالين من ذي حال واحد او من المنوي في صرعى عند من لم يجوز ذلك اي مصروعين مشبهين باعجاز نخل خاوية الاجواف لاشيء فيها شبهوا بها من حيث ان ابدانهم خوت اي خلت من ارواحهم كالنخل الخاوية وفيه اشارة الى عظم خلقهم وضخامة اجسامهم والى ان الريح املتهم فصاروا كالنخل البالية فقيل كانت الريح تدخل في افواههم فتخرج ما في اجوافهم من ادبارهم فصاروا كالنخل الخاوية البالية (قوله من بقية الخ) يعني يجوز ان تكون الباقية اسما بمعنى البقية وان تكون صفة فيقدر لها موصوف وان تكون مصدرا بمعنى البقاء كالعافية وعلى التقادير كلها قوله من باقية مفعول ترى ومن زائدة ثم انه تعالى لما ذكر قصة ثمود وعاد من جملة المكذبين تخويفا لاهل مكة شرع في ذكر قصص سائر المكذبين فقال وجاء فرعون ومن قبله بفتح القاف وسكون الباء بمعنى ومن تقدمه وكان قبله من الكفرة وقرئ بكسر القاف وفتح الباء بمعنى عنده من اتباعه (قوله قرى قوم لوط) سميت مؤتفكات لانه تعالى قلبها على قوم لوط عليه الصلاة والسلام من افكه على الشيء اذا قلبه وائتفكت البلدة باهلها اي انقلبت (قوله بالخطأ) على ان تكون الخاطئة مصدرا كالعافية وما بعده على ان تكون صفة لمحذوف هو الفعلة او الافعال والباء للنسب كتامر ولابن اي بالفعلة ذات الخطأ او الافعال ذات الخطأ (قوله زائدة في الشدة) اي على عقوبات سائر الكفار كما ان افعالهم القبيحة كانت زائدة في القبح على افعال سائر الكفرة يقال ربا الشيء يربو اذا زاد ومنه الربا الشرعي وهو الفضل الذي يأكله آكل الربا زائدا على ما اعطاه (قوله جاوز حده المعتاد) يعني ان الطغيان مجاوزة الحد فالماء قد جاوز حده المعتاد حقيقة حتى قيل انه ارتفع على كل شيء خمسمائة ذراع ويجوز ان يكون المراد مجاوزة حده في المعاملة مع خزانه من الملائكة حيث قيل ان الماء طغى على خزانه فلم يقدروا على ضبطه (قوله وهو يؤيد من قبله) بفتح القاف وسكون الباء لان الآية امتنان على المؤمنين بانجائهم مما اخذ به الخاطئين بالخاطئة من اغراقهم بالطوفان (قوله تشبيها بكتف) يعني ان تعي تشبه كتف وعضد والعرب تخفف مثلهما باسكان الوسط فلذلك اسكن في تعيها (قوله والوعي ان تحفظ الشيء) فيقال وعيت العلم ووعيت ما قلته ويقال اوعيت المتاع في الوعاء (قوله وان من هذا شأنه) اي ان معنى التنكير فيه للتقليل مع التعظيم وان من وعى هذه الفعلة اعاجيبها وحفظها لاجل ان يذكرها للناس ويرغبهم عن الاعمال الباطلة عما يحق ويحذرهم عن الكفر المردي ويكون

سببا لنجاة جم غفير ودوام نسلهم وكون الأذن التي هذا شأنها أذنا مفطنة (قوله وقرأ نافع أذن بالتخفيف) أي بسكون الذال والباقون بضمتين وهي مؤنثة وتصغيرها أذينة (قوله وبيانها على امكانها) فان ما ذكره في شرح حال المكذبين بعد ما بالغ في تهويل الحاقة يدل على القدرة الكاملة والحكمة البالغة وكان ذلك تنبيها على امكان القيامة لان القدرة على هذه الامور العظام دال على القدرة على البعث والنشور كما ان حكمة الشارع دال على وقوعها وشرع بعد ذلك في تفاصيل احوال القيامة فذكر اولا مقدماتها فقال فاذا نفخ في الصور الآية (قوله وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر الخ) يعني ان المصدر المبهم وهو الذي يكون لمجرد التأكيد نحو ضربت ضربا لا يجوز اقامته مقام الفاعل فلا يقال ضرب ضرب وانما يقال ضرب ضربة او الضرب الفلاني لان ما يقوم مقام الفاعل يجب ان يكون مثله في افادة ما لم يفده والمصدر المبهم لا يفيد امرا زائدا على مدلول الفعل فلا يقام مقام الفاعل ونفخة في هذه الآية ليست من قبيل المصادر المبهمة لانها لا تطلق على مجرد النفخ بل تطلق على النفخ المقيد بقيد المرة وحسن تذكير الفعل المسند الى نفخة للفصل بينهما او لجواز التذكير بناء على كون تأنيث النفخة غير حقيقي (قوله وقرئ نفخة بالنصب) اي على المصدرية واسناد الفعل الى الجار والمجرور لانه اذا لم يوجد المفعول به مع الفاعل سواء في جواز اقامتها مقام الفاعل وحمل المصنف النفخة على النفخة الاولى وهي التي لا يبقى عندها حيوان الاماتة ويكون عندها خراب العالم بقرينة قوله بعده وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وهاتان الحالتان تكونان عند النفخة الاولى وقوله بعد ذلك يومئذ وقعت الواقعة هي صيحة القيامة فالامام المراد من هذه النفخة الواحدة هي النفخة الاولى لان عندها خراب العالم ثم قال فان قيل اما قال بعد ذلك يومئذ تعرضون والعرض انما يكون بعد النفخة الثانية فاجاب عنه بقوله جعل اليوم اسما للحين الواسع الذي تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك قال يومئذ تعرضون كما تقول جئته يوم كذا وانما كان مجيئك في وقت واحد من اوقاته (قوله فضربت الجبال) اشارة الى وجه تثنية ضمير دكتا والظاهر ان يقال دكت لاسناد الفعل الى الارض والجبال وهي امور متعددة الا انه جعل الجبال كلها جملة واحدة والارض جملة اخرى فثنى الضمير المسند ونظيره قول تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا حيث لم يقل تزلن (قوله ووقت الرادفة) جواب لقوله تعالى فاذا نفخ في الصور ويومئذ بدل من اذا وكرر لطول الكلام والبدل ...

(قوله ويومئذ)

(فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة) للفصل بين الخلائق في تهويل القيامة وذكر مال المكذبين بها بعدما ذكر شأنها وبيانها على امكانها عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقدمه وحسن التذكير للفصل وقرئ نفخة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التي عندها خراب العالم (وحملت الارض والجبال) رفعت من اماكنها بمجرد القدرة الكاملة او بتوسط زلزلة او ريح عاصفة (فدكتا دكة واحدة) فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء او فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا عوج فيها ولا امتا لان الدك سبب للتسوية ولذلك قيل ناقة دكاء لا سنام لها وارض دكاء للمستوية المستوية (فيومئذ) فحينئذ (وقعت الواقعة) قامت القيامة (وانشقت السماء) لنزول الملائكة (فهي يومئذ واهية) ضعيفة مسترخية

(والملك) والجنس المتعارف بالملك (على ارجائها) جوانبها جمع رجى بالقصر ولعله تمثيل لخراب الدنيا بخراب البنيان وانضواء اهلها الى اطرافها وحواليها وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك (ويحمل عرش ربك فوقهم) فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية لانها في نية التقديم (يومئذ ثمانية) ثمانية املاك لما روى مرفوعا انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى ولعله ايضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال

و يومئذ في قوله فهي يومئذ واهية ظرف لواهية اي فالسماء يوم اذا نفخ في الصور وقامت القيامة حقيقة مسترخية ساقطة القوة كالعهن المنفوش بعد ان كانت محكمة شديدة يقال وهى البناء يهى وهيا فهو واه اذا ضعف جدا (قوله تعالى والملك على ارجائها) قال الضحاك اذا كان يوم القيامة امر الله تعالى السماء الدنيا فتشققت وتكون الملائكة على ارجائها حتى يأمرهم الرب فينزلون الى الارض فيحيطون بالارض ومن عليها وقيل ان الناس اذا رأوا جهنم تفزعون فيندون كما تند الابل فلا يأتون قطرا من اقطار الارض الا رأوا ملائكة فيرجعون الى حيث جاؤا (قوله ولعله تمثيل لخراب الدنيا) الظاهر انه اشارة الى ما اورده الامام الرازي بقوله فان قيل الملائكة يموتون في الصعقة الاولى لقوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون فكيف يقال انهم يقفون للحفظ على ارجاء السماء يومئذ واجاب عنه بقوله فلنا الجواب من وجهين الاول انهم يقفون على ارجاء السماء ثم يموتون والثاني ان المراد بالملائكة هم الذين استثناهم الله تعالى بقوله تعالى الا من شاء الله واشار المصنف الى جوابه الاول بقوله وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك بعدما اجاب عنه من قبل نفسه بان الكلام ليس على ظاهره حتى يرد ما ذكر بل هو من قبيل الاستعارة التمثيلية بان شبه خراب السماء بشقها واسترخائها وانضواء اهلها الى اطرافها الباقية على حالها بخراب البنيان فعبر عن الهيئة المشبهة بما يعبر به عن الهيئة المشبه بها من غير ان يكون في جانب الهيئة المشبهة اهل واطراف وانضواء الاهل اليها حتى يرد ان يقال ان اهل السماء يموتون عند النفخة الاولى فكيف يقفون على ارجائها (قوله او فوق الثمانية) يعني ان ضمير فوقهم راجع الى الجملة الثمانية والمعنى انهم يحملون العرش فوق انفسهم يومئذ فكل واحد من قوله فوقهم ويومئذ ظرف لقوله يحملون حينئذ واما على تقدير ان يكون ضمير فوقهم للملائكة الذين هم على الارجاء فالظاهر حينئذ ان يكون فوقهم حالا من ثمانية قدمت عليها لكونها نكرة (قوله ولعله ايضا تمثيل) جواب عن استدلال المشبهة بهذه الآية على انه تعالى حاصر في العرش متمكن فيه وجه الاستدلال انه تعالى لو لم يكن متمكنا مستقرا في العرش لكان حمله عبثا عديم الفائدة لاسيما وقد اكد ذلك بقوله يومئذ تعرضون والعرض انما يكون ان لو كان الاله حاصرا في العرش قال الامام اجاب اهل التوحيد عن هذا الاستدلال بانه لا يمكن ان يكون المراد منه انه تعالى جالس في العرش وذلك لان كل من كان حاملا للعرش كان حاملا لكل ما كان في العرش فلو كان الاله في العرش للزم ان يكون الملائكة حاملين له تعالى وذلك

تشبيها للمحاسبة بعرض
السلطان العسكر ليعرف
احوالهم هذا وان كان
بعد النفخة الثانية لكن
لما كان ذلك اليوم اسما
لزمان متسع يقع فيه النفختان
والصعقة والنشور
والحساب وادخال اهل
الجنة الجنة واهل النار
النار صح جعله ظرفا
للكل (لا يخفى منكم خافية)
سريرة على الله تعالى حتى
يكون العرض للاطلاع
عليها وانما المراد افشاء
الحال والمبالغة في العدل
او على الناس كما قال يوم
تبلى السرائر وقرأ حمزة
والكسائي بالياء للفصل
(فاما من اوتي كتابه
بيمينه) تفصيل للعرض
(فيقول) تبجحا (هاؤم
اقرأوا كتابيه) ها اسم
لخذ وفيه لغات اجودها
هاء يا رجل وهاء يا امرأة
وهاؤما يا رجلان
او امرأتان وهاؤم
يا رجال وهاؤن يا نسوة
ومفعوله محذوف وكتابيه
معمول اقرأوا لانه اقرب
العاملين ولانه لو كان
معمول هاؤم لقيل اقرأوه
إذ الاولى اضمرته حيث امكن والهاء فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت

محال لانه يقتضي احتياج الله تعالى اليهم ان يكونوا اعظم قدرة من الله تعالى
وكل ذلك كفر صريح فعلم انه لابد فيه من التأويل فذكر في تأويله ما ذكره
المصنف من انه تمثيل لعظمة الله بما يشاهد من احوال السلاطين يوم بروزهم
للقضاء العام فكما ان الملك اذا اراد محاسبة رعيته وعماله جلس لهم على سرير
ووقف الاعوان حوله كذلك اخبر الله تعالى انه يحضر يوم القيامة عرشا يحمله
الملائكة تصويرا لهم عظمة نفسه بما يعتادونه في العصر عن عظيم العظماء
لا ان له عرشا يقعد عليه و يحتاج الى حمله في وقت محاسبة الخلق والله اعلم
(قوله تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر) اى بامراره اياهم عليه
ليعرف حالهم يعني قوله تعرضون استعارة تبعية بمعنى تحاسبون تشبيها للمحاسبة
بالعرض المذكور قال الجوهري عرضت الخيل على عيني اذا امررتها عليك
ونظرت حالهم (قوله هذا وان كان بعد النفخة الثانية) جواب عما يقال
كيف قلت ان المراد بهذه النفخة هي النفخة الاولى التي عندها خراب العالم
مع ان قوله تعالى يومئذ تعرضون يفهم منه ان المراد بالنفخة النفخة الثانية لان
العرض والحساب انما يكون عندها ومحصول جوابه ان نعت النفخة بما يتعلق
بخراب العالم دال على ان المراد بها النفخة الاولى فلذا قلنا بذلك وقوله تعالى بعد
ذلك يومئذ تعرضون لا ينافي ذلك لان اليوم قد يطلق على الزمان الممتد (قوله
سريرة) والمعنى لا يخفى عليه تعالى فعلة خفية حال كونها واقعة منكم
وتسرونها من اعمالكم فان السر والسريرة الذي يكتم و يخفى والجملة مستأنفة
لبيان ان العرض المذكور ليس لخفاء شيء من اعمالكم عليه كما قال لا يخفى على الله
منهم شيء بل المراد به افشاء الحال وتحقيق انه تعالى ليس بظلام للعبيد (قوله
او على الناس) عطف على قوله على الله فعلى هذا يتعلق قوله منكم بقوله لا يخفى
اي لا يخفى منكم يوم القيامة ما كان يخفيه الانسان من الطاعة والمعصية في الدنيا
فانه يظهر فيه احوال المؤمنين فيتكامل بذلك سرورهم ويظهر احوال اهل
العذاب فيظهر بذلك حزنهم وفضيحتهم وهو المراد من قوله تعالى يوم تبلى
السرائر فما له من قوة ولا ناصر فقوله تعالى لا يخفى منكم خافية زجر عظيم عن
المعصية لأدائها الى الافتضاح على رؤس الاشهاد (قوله تبجحا) بالجيم ثم
الحاء ومعناه الفرح يقال تبجح به اي فرح به وفرح فانه لما اوتي كتابه بيمينه علم
انه من الناجين والفائزين بالنعيم المؤبد فاحب ان يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا
بما ناله وقيل ذلك لاهل بيته وقرابته (قوله وفيه لغات اجودها هاء يا رجل)
بفتح الهمزة وهاء يا امرأة بكسر الهمزة ويصرف بعضها هاءِ هاءَ هاؤما هاؤم وهاء
هاؤما هاؤن (قوله ومفعوله محذوف) يعني ان قوله تعالى هاؤم لكونه

يعني حدوا وتاولوا يقتضي مفعولا يتعدى اليه بنفسه وكذا قوله اقرأوا يقتضي ذلك فتنازعا في قوله كتابيه واعمل الثاني لكونه اقرب العاملين واعمال الاقرب في مثله جائز بالاتفاق بين البصريين والكوفيين الا ان الكوفيين يجوزون اعمال الابعد ايضا لكونه متقدما في الوجود على العامل الثاني والبصريون لا يجوزون اعمال الابعد لان بعده عن الاسم الظاهر الذي بعده يجعله مرجوحا ضعيفا ولا اثر للضعف عند وجود ما هو اقوى منه وايضا لو كان العامل هو الابعد لكان التقدير هاؤم كتابي فكان يجب ان تقول اقرأوه لما تقرر في النحو انه ان اعمل الفعل الاول والحال ان الثاني يطلب مفعولا فالمختار ان لا يحذف مفعول الثاني بل يجب ضميرا بارزا وذلك لان الثاني مع كونه اقرب الطالبين اذا لم يحظ بمطلوبه مع الامكان فحقه ان يشتغل بما يقوم مقام مطلوبه لئلا يلزم حرمانه عنه بالكلية فلما لم يبرز مفعول اقرأوا علمنا انه هو العامل في كتابيه ومفعول هاؤم محذوف والتقدير هاؤم كتابي اقرأوا كتابي فحذف الاول لدلالة الثاني عليه (قوله تثبت في الوقف وتسقط في الوصل) بيان لما هو الاصل في هاء السكت لان هاء السكت انما جيء بها لحفظ الحركة الحرف الموقوف عليها وبيانها فانه لولم يجأبها ووقف على الياء لسكنت فجيء بالهاء حفظا لحركتها فثبت انه لا حاجة اليها حال الوصل ولذلك كان حقها ان تثبت في الوقف وتسقط في الوصل الا ان القراء السبعة اتفقوا في كتابيه وحسابيه على اثبات هاء السكت فيهما في الوصل ايضا اجراء للوصل مجرى الوقف واتباعا لرسم الامام فانها ثابتة في المصحف في هذه المواضع وما كان ثابتا فيه لابد ان يكون ثابتا في اللفظ الا ان اثباته في اللفظ انما يحسن عند الوقف فعلم منه ان المستحب ان يوقف عليها وان من وصلها يثبتها حال الوصل ايضا اتباعا للرسم لان ما ثبت في الرسم لابد ان يثبت في اللفظ ولذلك اتفقوا في ماليه وسلطانيه وماهيه في القارعة على اثباتها في الحالتين الاخيرة فانه اسقط الهاء من هذه الكلم الثلاث وصلا واثبتها وقفا على الاصل ولم يعمل بالاصل في كتابيه وحسابيه واثبتها في الحالين جمعا بين اللغتين والهاء التي في قاصية وفي هاوية وفي حاوية وثمانية وغاية ودابة والحاقة فانها فيهن للتأنيث فيوقف عليهن بالهاء ويوصلن بالتاء وقيل لا بأس باسقاط هاء السكت حال الوصل في جميع هذه المواضع مع اجماع السبعة على خلافه بناء على ان الوقف والابتداء وما هو من قبيل الاداء ليس مما يعتمد على النقل المتواتر (قوله اي علمت) فسر الظن بالعلم لانه لو ابقي على اصله لكان يعني اني ظننت اني احاسب في الآخرة والاعتقاد بالبعث والحساب من جملة العقائد الدينية التي يجب الايمان بهما والايمان لا يحصل بالشك والظن بل لابد

تثبت في الوقف وتسقط في الوصل واستحب الوقف لثباتها في الامام ولذلك قرئ باثباتها في الوصل (اني ظننت اني ملاق حسابيه) اي علمت ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا تنفك عنها العلوم النظرية غالبا

للمؤمن ان يلقى بحجته البعث والحساب وما يترتب عليهما فلذلك فسره به فالمعنى اني علمت وتيقنت في الدنيا ان الله تعالى يحييني ويحاسبني فاجتهدت في الطاعات وجانبت السيئات ما استطعت فنجاني تعالى الله برحمته وفضله من اهوال هذا اليوم وجعلني من الآمنين فيه كما وفقني في الدنيا للايمان به والخوف من اهواله والعمل له عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال اول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الامة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وله شعاع كشعاع الشمس قيل له فاين ابو بكر رضي الله تعالى عنه فقال هيهات زفته الملائكة الى الجنة (قوله ذات رضى) اي رضي بها صاحبها والنسب قد يكون بالحرف نحو رومي وبصري وقد تكون بصيغة نحو تامر ولابن وراضية من هذا القبيل ويجوز ان يكون من قبيل الاسناد المجازي حيث اسند الرضى الى ضمير العيشة وهو لصاحبها (قوله وذلك) اي كون العيشة راضية باحد الوجهين لاشتمالها على ثلاثة امور فان مآل الوجهين كون العيشة مرضية والشيء انما يكون مرضيا من جميع الوجوه اذا اجتمع فيه ثلاثة امور الاول كونه منفعة صافية من الشوائب والثاني كونه دائما لا يرتقب زواله وانقطاعه والثالث كونه بحيث يقصد به تعظيم من رضي به واكرامه والا كان استهزاء واستدراجا وعيشة من اعطي كتابه بيمينه جامعة لهذه الامور فيكون مرضيا بها كمال الرضى قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انهم يعيشون فلا يموتون ابدا ويصحون فلا يمرضون ابدا وينعمون فلا يرون بأسا ابدا ويشبون فلا يهرمون ابدا (قوله في جنة عالية) بدل من عيشة باعادة الجار ويجوز كونه متعلقا بعيشة راضية اي يعيش عيشا مرضيا في جنة عالية والعلو ان اريد به العلو في المكان فهو حاصل لان الجنة فوق السموات وان اريد به العلو في الدرجة والشرف فالامر كذلك وان اريد علو ابنيتها وما فيها من الاشجار فالامر كذلك فهي عالية من جميع الجهات (قوله جمع قطف) بكسر القاف وسكون الطاء وهو العنقود والقطف بالفتح مصدر يقال قطفت العنب قطفا والقطاف وقت القطف والمصنف سلك القطف في جمع ما يجنى من الثمر عنبا كان او غيره ومعنى السرعة انه اذا اراد ان يأخذها بيده قائما او جالسا او مضطجعا انقادت له وكذا ان اراد ان يدنو الى فيه دنت (قوله باضمار القول) اي يقال لهم كلوا وهذا امر امتنان واباحة لا امر تكليف ضرورة ان الآخرة ليست بدار تكليف (قوله وجمع الضمير) اي بعد قوله فهو في عيشة راضية للمعنى فانه راجع الى من في قوله فاما من اوتي كتابه وهو في معنى الجمع (قوله اكلا وشربا هنيئا) على ان يكون قوله هنيئا صفة مصدر محذوف وقوله او هنئتم هنيئا على ان يكون

(فهو في عيشة راضية) ذات رضى على النسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم (في جنة عالية) مرتفعة المكان لانها في السماء او الدرجات او الابنية والاشجار (قطوفها) جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر (دانية) يناولها القاعد (كلوا واشربوا) باضمار القول وجمع الضمير للمعنى (هنيئا) اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا (بما اسلفتم) بما قدمتم من الاعمال الصالحة (في الايام الخالية) الماضية من ايام الدنيا (واما من اوتي كتابه بشماله فيقول) لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة

مصدرا مؤكدا للفعل المحذوف وكل شئ يأتيك من غير تعب فهو هنئ اى لا تكدير فيه ولا تنغيص ومعنى الاسلاف فى اللغة تقدم ما يرجوان يعود عليك بخير فهو كالاقراض ومنه يقال اسلف فى كذا اذا قدم فيه ماله والمعنى بما عملتم فى الدنيا والباء اما سببية او للمقابلة اى بدل ما اسلفتم (قوله ياليت الموتة التى متها) الموتة وان لم تكن مذكورة الا انها فى حكم المذكور بدلالة المقام والقاضية القاطعة للحياة اى ياليت الموتة التى متها لم احى بعدها تمنى عند مطالعة كتابه ان تدوم عليه الموتة الاولى وان لا يبعث للحساب ولا يلقى ما اصابه من الحالة وسوء العاقبة (قوله او ياليت هذه الحالة) اى او يكون ضميرليتها للحالة التى شاهدها عند مطالعة الكتاب اى ليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت على يتمنى ان يكون بدل تلك الحالة الموتة القاضية لانه رأى تلك الحالة اشنع وامر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها والوجه الثالث ان يكون ضمير ليتها للحياة الدنيا وهو ظاهر (قوله ومانفى) اى يجوز ان تكون ما فى ما اغنى نافية وما فى مالى موصولة ولى صلتها فحينئذ يكون مفعول اغنى محذوفا والتقدير لم يدفع عنى الذى كان لى فى الدنيا من الاموال والاتباع شيأ من عذاب الآخرة ويحتمل ان يكون مالا مضافا الى ياء المتكلم والمعنى لم يغن عنى المال الذى كان لى فى الدنيا شيأ من العذاب بل ألهانى عن امر الآخرة وصيرنى فصلاعن ان ينفعنى ويجوز ان يكون استفهامية منصوبة المحل على انها مفعول اغنى والاستفهام للانكار والمعنى اى شئ اغنى عنى ما جمعته من الاموال والاتباع اى لم ينفعنى ولم يدفع عنى شيأ من العذاب ❊ والسلطان من السلاطة وهى القهر والغلبة يطلق على الوالى لاتصافه بها وعلى الحجة والبرهان اتصالكونه يتسلط بها وفسر فى الآية بكل واحد من المعنيين كأنه يتحسر ويقول كان لى فى الدنيا ملك وتسلط على الناس او حجة أحتج بها عليهم فالآن بطل ذلك وبقيت ذليلا مبهوتا فحينئذ يقول الله تعالى لخزنة النار خذوه فغلوه اى اجعلوا يده الى عنقه وشدوه بالغل وهو جمع اليدين الى العنق بالقيد (قوله ثم لاتصلوه) اى لاتدخلوه الا الجحيم اى لاتحرقوه الا فيها يقال صليت الرجل نارا اذا ادخلته النار وجعلته يصلاها فان القيته فيها القاء كأنك تريد الاحراق قلت اصليته النار اصلاء وصليته تصلية والسلسلة حلق منتظمة كل حلقة فيها حلقة (قوله تعالى سبعون ذراعا) فى محل الجر على انه صفة سلسلة وذراعا تمييز وقوله فى سلسلة متعلق بقوله فاسلكوه اى ثم اسلكوه فى سلسلة من صفتها كيت وكيت اى أدخلوه فيها والسلك هو الادخال فى الطريق والخيط والقيد وغيرها وتقدم فى سلسلة على عامله كتقدم الجحيم على قوله صلوه فى الدلالة على قصر الفعل عليه

(ياليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه ياليتها) ياليت الموتة التى متها (كانت القاضية) القاطعة لامرى فلم ابعث بعدها او ياليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت على لكتابه صادفها امر من الموت فتمناه عندها او ياليت حياة الدنيا كانت الموت ولم اخلق حيا (ما اغنى عنى ماليه) مالى من المال والتبع وما نفى والمفعول محذوف او استفهام انكار مفعول لأغنى (هلك عنى سلطانيه) ملكى وتسلطى على الناس او حجتى التى كنت احتج بها فى الدنيا (خذوه) يقول الله تعالى لخزنة النار (فغلوه ثم الجحيم صلوه) ثم لا تصلوه الا الجحيم وهى النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس (ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا) اى طويلة

(قوله بان يلفوها على جسده) يعني ان المراد بادخال العاصي في السلسلة جعله مخاطابها على طريق ادخال الخيط في اللؤلؤة لما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان اهل النار يكونون في السلسلة كما يكون الثعلب في الحبة والثعلب طرف الرمح الداخل في جبة السنان وهي الرمح وذلك انما يكون بلفها على جسده بحيث يكون فيما بين اجزائها مخاطابها قال الجوهري رهقه بالكسر يرهقه رهقا اي غشيه قال تعالى لا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة والمراهق الذي ادرك ليفعل (قوله وثم لتفاوت ما بينهما في الشدة) يعني ان قوله فغلوه عطف على ما قبله بفاء التعقيب وعطفت الجملتان اللتان بعدها بكلمة ثم للدلالة على التراخي وظاهر ان التراخي الزماني غير مراد لان المقام مقام التهديد والتهويل ولاشك ان التهديد بتوالي العذاب اشد واقطع من التهديد بتفرقه في الازمنة فتعين ان المراد التراخي الرتبي ثم ان كلمة ثم والفاء الواقعتين في الجملة الاخيرة ان كانتا لعطف جملة فاسلكوه لزم اجتماع حرفي العطف وتواردهما على معطوف واحد ولا وجه له فينبغي ان تكون كلمة ثم لعطف قول مضمر على قول اخر مضمر قبل قوله خذوه اي قيل لخزنة النار خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم قيل لهم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه وتكون الفاء لعطف المقول على المقول مع افادة معنى التعقيب وكلمة ثم لعطف القول على القول مع الدلالة على ان الامر الاخير اشد واهول مما قبله من الاوامر مع تفاوت المأمور بها من الاخذ وجعل يده مغلولة الى عنقه وتصليته الجحيم وسلكهم اياه في السلسلة الموصوفة واشير بكلمة ثم الى ان امرهم بالاخير اشد من امرهم بما امر وا به قبله (قوله تعالى على طريقة الاستئناف) اي بيان لسبب استحقاقه لهذا العذاب الشديد للمبالغة في عظم جريمته كانه قيل ماباله يعذب هذا العذاب الشديد فاجيب بذلك لازالة استعظام الجزاء فان السائل لما استعظم الجزاء واستهوله فسأل عن السبب الذي يوجب هذه العقوبة الهائلة كان الواجب ان يبالغ في عظم الجريمة وقبحها ويقال كيف لا يشتد عذابه وانه قد ارتكب هذه الجريمة التي هي افحش الجرائم واشنعها كيف لا وقد علم مرارا ان مدار التكليف امران احدهما تعظيم امر الله والثاني الشفقة على خلق الله فمن لا يصدق بوحدانية الله تعالى ولم يؤمن بوحدانيته فقد ترك تعظيم امره ومن لم يحض غيره على طعام المسكين فقد ترك الشفقة على خلق الله من اجل انهما فقد خلع ربقة العبودية من عنقه وفي قوله ولا يحض على طعام المسكين دليلان قويان على عظم هذه الجريمة احدهما عطفه على الكفر وجعله قرينا له والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض اذا كان بهذه المنزلة فكيف

(فاسلكوه) فأدخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر انواع ما يعذب به وثم لتفاوت ما بينهما في الشدة (انه كان لا يؤمن بالله العظيم) تعليل على طريقة الاستئناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه هو المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك (ولا يحض على طعام المسكين) ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا ان يبذل من ماله

تارك العمل والحض الحث على الفعل واظهار الرغبة في ايقاعه وايقاعه وهو
لا يتعلق بما هو من قبيل الاعيان وانما يتعلق بما هو من قبيل الافعال والطعام
عين لانه اسم لما يطعم ويؤكل وليس بفعل حتى يحث عليه فاشار المصنف
الى توجيه نظم الآية بقوله ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه يعني ان نظم الآية
مبني على تقدير المضاف اي لا يحث على بذل طعامه او على ان الطعام فيه اسم
اقيم مقام الاطعام واستعمل بمعناه كما يقام العطاء مقام الاعطاء في كلامهم
(قوله ويجوز ان يكون ذكر الحض) كانه جواب عما يقال الظاهر ان يقال
ولا يبذل طعام المسكين اي ولا يطعم المسكين فلم عدل عنه الى قوله ولا يحض
على بذل طعامه او اطعامه وانما قلنا الظاهر ان يقال ذلك لان الكلام مسوق
لبيان عظم جريمته ولاشك ان ترك الفعل اعظم جريمة من ترك الحث عليه
(قوله وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع) على معنى انهم يعاقبون
على ترك الامتثال بها كعدم اقام الصلاة وايتاء الزكاة والانتهاء عن الفواحش
والمنكرات لا على معنى انهم يطالبون بها حال كفرهم فانهم غير مكلفين بالفروع
بهذا المعنى لانعدام اهلية الاداء ولا ثواب لاعمال الكفار واهلية الوجوب
لا تستلزم اهلية الاداء كما تقرر في الاصول (قوله تعالى فليس له اليوم ههنا
حميم ولا طعام) حميم اسم ليس وقوله ولا طعام عطف عليه وله خبره وقوله
اليوم وههنا ظرفان لما تعلق به له والمعنى فليس له يوم يقال في حقه خذوه
فغلوه ههنا اي في الآخرة قريب وصديق يرق لما ناله ويدفعه عنه او يحضض
عليه لقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وليس له طعام
يأكله لمحله عن الاطعام الا من غسلين وهو ما يسيل من ابدانهم من القيح
والدم روي انه لو وقعت قطرة منه على الارض لافسدت معايش اهلها فالياء
والنون زائدتان في غسلين (قوله من خطئ الرجل الخ) يقال خطئ الرجل
يخطأ خطأ فهو خاطئ على وزن علم يعلم علما فهو عالم اذا تعمد الخطئ يعني
الذنب فان الخطأ المضاد للصواب لا يقال في الفعل منه خطئ فهو خاطئ
بل يقال اخطأ فهو مخطئ او تخطأ فهو متخطئ اي اراد الصواب فصار
الى غيره من غير ان يتعمده ويقصده ثم انه تعالى لما ذكر ما يدل على امكان
القيامة ثم على وقوعها ثم ذكر احوال السعداء ختم الكلام بتعظيم القرآن
فقال فلا اقسم بما تبصرون وكلمة لا فيه يجوز ان تكون نافية للقسم على ان هذا
القول قول رسول كريم اي لا اقسم عليه لانه لوضوحه يستغني عن تأكيده
بالقسم ويجوز ان تكون صلة ويكون المعنى فاقسم بالاشياء كلها مما في الدنيا
والآخرة فان منها ما تبصر ومنها ما لا تبصر وان يكون لرد انكارهم البعث

ويجوز ان يكون ذكر
الحض للاشعار بان تارك
الحض بهذه المنزلة فكيف
تارك الفعل وفيه دليل
على تكليف الكفار
بالفروع ولعل تخصيص
الامرين بالذكر لان اقبح
العقائد الكفر بالله واشنع
الرذائل البخل وقسوة
القلب (فليس له اليوم
ههنا حميم) قريب يحميه
(ولا طعام الا من غسلين)
غسالة اهل النار
وصديدهم فعلين من
الغسل (لا يأكله الا
الخاطئون) اصحاب الخطايا
من خطئ الرجل اذا
تعمد الذنب لا من الخطأ
المضاد للصواب وقرئ
الخاطيون بقلب الهمزة
ياء والخاطون بطرحها
(فلا اقسم) لظهور
الامر واستغنائه عن
التحقيق بالقسم او فاقسم
ولا مزيدة او فلا رد
لانكارهم البعث واقسم
مستأنف (بما تبصرون
وما لا تبصرون)
بالمشاهدات والمغيبات
وذلك يتناول الخالق
والمخلوقات باسرها
(انه) ان القرآن (لقول
فان الرسول لا يقول رسول) يبلغه عن الله عن نفسه

واستئناف فيه تحقيق حقية القرآن (قوله وهو محمد او جبريل عليهما الصلاة والسلام) فان قيل لا شك ان القرآن كلام الله تعالى فكيف يصح ان يكون الكلام الواحد كلام الله تعالى وكلام جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام اجيب بان الاضافة يكفي فيها ادنى ملابسة فالقرآن كلام الله تعالى حقيقة اظهره في اللوح المحفوظ ورتبه ونظمه وهو ايضا كلام جبريل عليه الصلاة والسلام من حيث انه انزله من السموات الى الارض وتلاه على خاتم النبيين وهو ايضا كلام سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم من حيث انه اظهره للخلق ودعا الناس الى الايمان به وجعله حجة النبوة (قوله لما ظهر لكم صدقه) مستفاد من كون المقام مقام اللزوم والتوبيخ بعدم الايمان وقوله تصديقا قليلا اشارة الى انتصاب قليلا هنا وفيما بعده على انه صفة مصدر محذوف للفعل الذي بعده وان ما مزيدة للتأكيد (قوله المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم) من قبيل اللف والنشر المرتب فان الكاهن من تأتيه الشياطين ويلقون اليه ما سمعوه من اخبار السماء فيخبر الناس بما سمعه فهم وطريقه عليه الصلاة والسلام منافية لطريق الكاهن من حيث ان ما تلاه من الكلام مشتمل على ذم الشياطين وشتمهم فكيف يمكن ان يكون ذلك بالقاء الشياطين اليه فانهم لا يلقون فيه ذمهم وشتمهم لاسيما على من يلعنهم ويطعن فيهم وكذا معاني ما بلغه عليه الصلاة والسلام منافية لمعاني اقوال الكهنة فانهم لا يدعون الى تهذيب الاخلاق وتصحيح العقائد والاعمال المتعلقة بالمبدأ والمعاد بخلاف معاني اقواله عليه الصلاة والسلام فلو تذكر اهل مكة معاني القرآن ومعاني اقوال الكهنة لما قالوا انه قول كاهن (قوله وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالياء) اي بياء الغيبة فيهما اي في قوله تؤمنون ويذكرون على الالتفات وقرأ الجمهور بتاء الخطاب على وفق قوله بما تبصرون وما لا تبصرون (قوله كأنها جمع افعولة) اشارة الى وجه كون هذه التسمية تحقيرا للاقوال المفتراة فان صيغة افعولة انما تطلق على تحقيرات الامور غير انها كالاعجوبة لما يتعجب منه والاضحوكة لما يضحك منه واقوال ليس كذلك ولذلك لم يقطع بكون الاقاويل جمعا له بل قال كأنها جمع افعولة للاشعار بان كونه على صورة جمع افعولة كاف في التحقير والظاهر ان الاقاويل جمع اقوال واقوال جمع قول كالاناعيم جمع انعام وانعام جمع نعم (قوله نياط قلبه) الجوهري النياط عرق انيض غليظ كالقصبة علق به القلب من الوتين فاذا قطع مات صاحبه وقال ايضا الوتين عرق في القلب متصل بالرأس اذا

تارة (قليلا ما تؤمنون) تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم (ولا بقول كاهن) كما تزعمون تارة اخرى (قليلا ما تذكرون) تذكرا قليلا فلذلك فلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن للشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالياء فيهما (تنزيل) هو تنزيل (من رب العالمين) نزله على لسان جبريل (ولو تقول علينا بعض الاقاويل) سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كأنها جمع افعولة من القول كالاضاحيك (لأخذنا منه باليمين) بيمينه (ثم لقطعنا منه الوتين) اي نياط قلبه بضرب عنقه

(انقطع)

انقطع مات صاحبه (قوله وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما الخ) يعنى انه تعالى
لم يكتف بان يقول لو نسب الينا قولا لم نقله لاهلكناه او لعصرنا ساعقه بل
عدل الى ما يدل على سخط الله تعالى على من افترى عليه للدلالة على ان الافتراء
عليه موجب لذلك والوجه فى كون الاهلاك بان يأخذ الجلاد بيمين الجانى
ويضرب عنقه افظع وجوه الاهلاك ان الجلاد حينئذ يضرب بالسيف فى جيده
مواجهة من جهة امامه وهو اشد على المقتول من ان يضرب عنقه من جهة
قفاه لانه ينظر الى السيف حينئذ فان الجلاد اذا اراد ان يضرب قفا المقتول
اخذ بيساره وضرب عنقه من خلفه واذا اراد ان يوقع الضرب فى جيده
من جهة يأخذ بيمين المقتول ويضرب بالسيف فى جيده من جهة امامه ولاشك
انه اشد على المقتول وافظع (قوله وقيل اليمين بمعنى القوه) فالمعنى لاخذنا
منه بقوتنا وقدرتنا كما فى قوله

اذا ما راية رفعت لمجد ※ تلقاها عرابة باليمين

اى بالقوه وقيل المعنى حينئذ لاخذنا منه اليمين وسلبنا عنه القوة والقدره على
الكلام بذلك القول على ان الباء صله وعبر عن القوة باليمين لان قوة كل شئ فى ميامنه
فيكون من قبيل ذكر المحل وارادة الحال او ذكر الملزوم وارادة اللازم (قوله
وصف لاحد) مبنى على اصل بنى تميم فان كلمة ما فى قوله تعالى فما منكم هى المشبهة
بليس وبنو تميم لا يعملونها لدخولها على القبيلين فاعراب الاية على اصلهم
ان من احد فى موضع الرفع بالابتداء ومن زائده لتأكيد النفى ومنكم خبره
وحاجزين صفة لاحد مجرور حملا على لفظ احد ولكنه جمع حملا على معناه
فانه يعم كل احد لكونه نكره واقعة فى سياق النفى كانه قيل فما منكم قوم يحجزون
اى يمنعون عن المقتول او عن قتله او اهلاكه المدلول عليه بقوله ثم لقطعنا منه
الوتين وقوله من احد على اصل الحجازيين اسم ما وخبرها حاجزين وجمع الخبر
لما تقدم ومنكم حال لانه فى الاصل كان صفه لاحد ولما تقدم عليه امتنع كونه
صفة له لامتناع تقدم الصفة على الموصوف فتعين كونه حالا مثل موحشا
فى قوله لمية موحشا طلل وقوله عنه متعلق بقوله حاجزين على القولين
وضميره للمقتول او لقتله او اهلاكه المدلول عليه بقوله لاخذنا ثم لقطعنا ثم
انه تعالى لما بين حقية القرآن وانه تنزيل رب العالمين بين الحكمة فى تنزيله فقال
وانه لتذكرة للمتقين اى عظة لمن اتقى الشرك وحب الدنيا فانه يتذكر بهذا
القرآن وينتفع به بخلاف من مال اليها وعلق حبها فانه يكذب به لكون الايمان
به يستدعى ايثار الآخرة على الدنيا وهو عكس ما يحبه ويهواه فيكون نفس
القرآن او تكذيبه حسرة وندامة عليه يوم القيامة اذا رأى ثواب من آمن به

وهو تصوير لاهلاكه
بافظع ما يفعله الملوك بمن
يغضبون عليه وهو ان
يأخذ القتال بيمينه
ويكفحه بالسيف ويضرب
جيده وقيل اليمين بمعنى
القوه (فما منكم من احد
عنه) عن القتل او المقتول
(حاجزين) دافعين
وصف لاحد فانه عام
والخطاب للناس (وانه)
وان القرآن (لتذكرة
للمتقين) لانهم المنتفعون به
(وانا لنعلم ان منكم مكذبين)
فنجازيهم على تكذيبهم
(وانه لحسرة على
الكافرين) اذا رأوا
ثواب المؤمنين به

(وانه لحق اليقين) اليقين الذي لا ريب فيه (فسبح باسم ربك العظيم) فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضى بالتقول عليه وشكرا على ما أوحى اليك عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا
(سورة المعارج مكية وآيها اربع واربعون)
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(سأل سائل بعذاب واقع) اى دعا داع به بمعنى استدعاء ولذلك عدى الفعل بالباء والسائل نضر بن الحارث فانه قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم او ابو جهل فانه قال فأسقط علينا كسفا من السماء سأله استهزاء او الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم استعجل بعذابهم

وتمنى حتفه وفي الدنيا ايضا اذا رأى دولة المؤمنين والضمير في قوله تعالى وانه لحسرة للقرآن او للتكذيب المدلول عليه بقوله مكذبين (قوله اليقين الذي لا ريب فيه) أشار به الى ان الحق واليقين لفظان بمعنى واحد اضيف احدهما الى الآخر للتأكيد فان الحق هو الثابت الذي لا يتطرق اليه الريب وكذا اليقين قال الامام وانه لحق اليقين معناه انه حق يقين اى حق لا بطلان فيه ويقين لا ريب فيه ثم اضيف احدهما الى الآخر للتأكيد قال صاحب الكشاف في المفصل يقال هذا العالم حق العالم وجد العالم وحق العلم وزاد به العلم الكامل في شأنه وفي التفسير الماشي لحق اليقين اى محض اليقين وصرف اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم اى خلاصة العالم وحقيقته من غير شوب شيء آخر انتهى واليقين اسم للعلم الذي زال عنه اللبس ولهذا لا يوصف علم رب العزة باليقين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال انما هو كقولك علم اليقين ومحض اليقين وقيل انه من قبيل اضافة الشيء الى نفسه اذا اختلف اللفظان

وقلب اسحق اسوا عيها نحا الخلد انه ❊ سمر حكما فها سنام وغارب

والنجاهو الخلد من قولك نحوت جلد البعير عنه واحسنه اذا سلخته والشاعر يخاطب صيدين طرفاه اى ايابلا (قوله فسبح الله بذكر اسمه العظيم) على ان مفعول سبح محذوف والباء في باسم ربك للاستعانة كما في ضربته بالسوط فهو مفعول ثان بواسطة حرف الجر على حذف المضاف والمعنى نزه ذات الله تعالى عن الرضى بالتقول عليه بان تقول سبحان الله ❊ تمت سورة الحاقة والحمد لله رب العالمين

(سورة المعارج مكية)

❊ بسم الله الرحمن الرحيم ❊

(قوله ولذلك) اى ولكون سأل بمعنى دعا عدى بالباء مثل دعا يقال دعوت الله تعالى نكدا اى استدعيته وطلبته قال تعالى يدعون فيها بكل فاكهة اى يطلبون في الجنة كل فاكهة وسأل يعدى بنفسه اذا كان بمعنى الدعاء والطلب فيقال سأله الشيء ونقل الطيبي عن الامام الواحدي ان الباء في بعذاب زائدة للتأكيد كما في قوله تعالى وهزي اليك بجذع النخلة والمعنى سأل سائل عذابا واقعا وفي الصحاح سأله الشيء وسأله عن الشيء سؤالا ومسألة وقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع اى عن عذاب قال الاخفش يقال خرجنا نسأل عن فلان وبفلان وقد تخفف همزته فيقال سال سائل والامر منه سل ومن الاول اسأل

وقرأ نافع وابن عامر
سال وهو امام السؤال
على لغة قريش قال
سالت هذيل رسول الله
فاحشة * ضلت هذيل
بما سالت ولم تصب *
او من السيلان ويؤيده
انه قرئ سال سيل على
ان السيل مصدر بمعنى
السائل كالغور والمعنى
سال واد بعذاب ومضى
الفعل لتحقق وقوعه اما
في الدنيا وهو قتل بدر
او في الآخرة وهو عذاب
النار (للكافرين) صفة
اخرى لعذاب او صلة
لواقع وان صح ان السؤال
كان عمن يقع به العذاب كان
جوابا والباء على هذا
لتضمن سأل معنى اهتم
(ليس له دافع) يرده
(من الله) من جهته
لتعلق ارادته به (ذي
المعارج) ذي المصاعد
وهي الدرجات التي
يصعد بها الكلم الطيب
والعمل الصالح او يترقى
بها المؤمنون في سلوكهم
او في دار ثوابهم
او مراتب الملائكة
او السموات فان الملائكة
يعرجون فيها

(قوله وقرأ نافع وابن عامر سال) اي بغير همز والباقون بالهمز وذكر المصنف لقراءة الالف الساكنة وجهين الاول ان يكون من السؤال الا انه خففت همزته وقلبت ألفا للتخفيف على غير القياس كما قالوا في هنأه هناه ولاهناك المربع والقياس في مثله ان تسهل الهمزة بجعلها بين بين اي بين الهمزة والالف وهي لغة قريش قال حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه

سالت هذيل رسول الله فاحشة * ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

فعلى هذا يكون سال اليائية من سأل مهموز العين ويكون همزة سائل اصلية وقوله وهو امام السؤال معناه انه منه من جهة المعنى لا من جهة اللفظ والبناء فان السؤال مهموز العين وسال اجوف وان راد فا من حيث المعنى لما روي ان لغة قريش ان يقولوا سال يسال كخاف يخاف وان الف سال منقلبة عن الواو وانهم يقولون هما يتساولان فهمزة سائل على هذا منقلبة عن الواو كهمزة خائف والوجه الثاني ما ذكره بقوله او من السيلان فعلى هذا يكون الف سال وهمزة سائل منقلبة عن الياء كما في باع فهو بائع والمعنى جرى وادي في جهنم بعذاب يقع بالكافرين يوم القيامة او يوم بدر فقد روي ان النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط قتلا يوم بدر صبرا ولم يقتل صبرا غيرهما (قوله للكافرين صفة اخرى لعذاب) وصف العذاب اولا بانه واقع اي نازل لا محالة سواء طلبه او لم يطلبه وثانيا بانه معد للكافرين لا يخطاهم وان كان متعلقا بقوله واقع تكون اللام فيه بمعنى على او على بابها اي بعذاب نازل عليهم او لاجلهم (قوله وان صح ان السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا) روي انه تعالى لما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدعا الناس الى التوحيد وخوف المشركين بالعذاب قال المشركون بعضهم لبعض سلوا محمدا لمن هذا العذاب وعلى من يقع فاخبر الله تعالى عنهم بقوله سأل سائل بعذاب واقع فالسؤال على هذا لا يكون من سأله الشيء وطلبه منه حتى يعدى بالباء لتضمنه معنى الدعاء بل يكون من سأله عن الشيء ما هو وعلى من يقع فحقه ان يعدى بعن الا انه عدي بالباء لتضمنه معنى اهتم واعتنى فعدي تعديته فعلى هذه الرواية يكون قوله تعالى للكافرين جوابا عنه فقال لمن سأل ان ذلك العذاب اين هو وعلى من يقع اي هو للكافرين على انه خبر مبتدأ محذوف (قوله ذي المصاعد) اشارة الى ان العروج بمعنى الصعود والمعارج جمع معرج بفتح الميم وهو موضع الصعود لا بكسرها لانه آلة الصعود وهو غير مناسب لهذا المقام ثم ان المراد بالمعارج اما معارج الاعمال الصالحة فانها تتفاوت على حسب تفاوت انفس الاعمال في استجماع الآداب والسنن وخلوص النية وحضور القلب ونحوها واما

(تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة) استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان في زمان يقدر بخمسين الف سنة من سني الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه في يوم كان مقداره كمقدار خمسين الف سنة من حيث انهم يقطعون فيه ما قطعه الانسان فيها لو فرض لا ان ما بين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة لان ما بين مركز الارض ومقعر السماء الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحدة من السموات السبع والكرسي والعرش كذلك

معارج المؤمنين في سلوكهم ومراتب المعارف الالهية والمكاشفات والحالات ولاشك في تفاوت مقامات اولياء الله تعالى في ذلك او معارجهم في دار ثوابهم وهي الجنة ولاشك ايضا في تفاوتها واما معارج الملائكة فيجوز ان يراد بها مقامات الملائكة وهي السموات فانهم يعرجون فيها ولكل واحد منهم مقام معلوم فيها او مراتب الفضائل الروحانية والمعارف الالهية وبحسب تفاوت قواهم في تدبير هذا العالم فان الظاهر ان درجاتهم واحوالهم متفاوتة في جميع تلك فتلك المعارج سواء كانت للاعمال او للمؤمنين او للملائكة لله تعالى يختص برحمته من يشاء ولذلك وصف نفسه بقوله ذي المعارج (قوله استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها) فيه اشارة الى ان ضمير اليه للمعارج بتأويل المكان او المصدر بناء على ان الجمع المحلى باللام اضمحل فيه معنى الجمعية ويراد به الجنس وقوله اليه وفي يوم متعلقان بتعرج وخمسين خبر كان والف سنة تمييز لخمسين وكان مع ما في حيزها في موضع الجر على انه صفة ليوم (قوله على التمثيل والتخييل) متعلق بقوله لبيان يعني ان القول بان عروج الملائكة والروح الى تلك المعارج في مبدأ الصعود يكون في المدة المذكورة ليس على التحقيق بل هو جملة مسوقة جئ بها تمثيلا وتصويرا لارتفاع تلك المعارج والمعنى انها في ارتفاعها وبعد مداها بحيث لو كان حركة الملائكة والروح مثل حركة الانسان لما عرجوا اليها في خمسين الف سنة وان كانوا يعرجون اليها في اثناء يوم واحد من ايام الدنيا لغاية سرعتهم وقوتهم على الطيران في ملك الله تعالى (قوله وقيل تعرج الملائكة والروح الى عرشه في يوم كان مقداره كمقدار خمسين الف سنة) اي على ان يكون ضمير اليه راجعا اليه تعالى فمعنى الآية تعرج الملائكة والروح الى موضع لا يجري لاحد سواه تعالى فيه حكم وبتقدير يجعل عروجهم الى ذلك الموضع عروجا اليه تعالى كقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام اني ذاهب الى ربي اي الى حيث امرني بالذهاب اليه وقوله في يوم كان مقداره كذا من باب التشبيه البليغ اي كان مقداره بالنسبة الى الملائكة كمقدار تلك المدة بالنسبة الى الانسان ووجه التشبيه ما ذكر بقوله من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض وقوله لا ان عطف على قوله والمعنى اي ان المعنى مبني على تشبيه مقدار اليوم بمقدار خمسين الف سنة والظاهر ان المراد بهذا اليوم يوم وقوف الخلائق في موقف الحساب حتى يفصل بين الناس فان مقداره كمقدار خمسين الف سنة ثم انه تعالى يتم ذلك القضاء والحكومة في مقدار نصف يوم من ايام الدنيا فالمعنى في يوم كان مقداره خمسين الف سنة لو ولي الحساب غير الله تعالى ويدل عليه قوله

تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا واتفقوا على أن ذلك
هو الجنة والقيلولة هي النوم في الظهيرة وروي عن أبي سعيد الخدري
رضي الله تعالى عنه أنه قال قيل يا رسول الله في يوم كان مقداره خمسين ألف
سنة ما أطول هذا اليوم فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفس محمد بيده إنه
ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا
ولا يلزم من وجود هذا اليوم ومن عروج الملائكة في أثنائه إلى العرش أن يكون
ما بين أسفل العالم وأعلى شرفات العرش مسيرة خمسين ألف سنة (قوله
وحيث قال في يوم كان مقداره ألف سنة) بيان لوجه التوفيق بين الآيتين وقد
روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أنه قال في آية هذه السورة وفي قوله
تعالى في سورة السجدة ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة وقوله وإن يوما
عند ربك كألف سنة يومان ذكرهما الله تعالى في كتابه أكره أن أقول في كتاب الله
تعالى بما لا أعلم أي لا أعلم وجه التوفيق بينهما وتوضيح ما ذكره المصنف في وجه
التوفيق أن المراد بألف سنة هو زمان عروجهم من الأرض إلى محدب السماء
خمسمائة سنة منها زمان عروجهم من الأرض إلى مقعر السماء وخمسمائة
أخرى زمان عروجهم من مقعرها إلى محدبها والأظهر أن يقال المراد بألف سنة
زمان نزولهم من السماء إلى الأرض وعروجهم منها إلى السماء خمسمائة للنزول
وخمسمائة أخرى للصعود لأنه تعالى قال يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم
يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة فقد رتبها مدة الصعود والنزول جميعا
(قوله وقيل في يوم متعلق بواقع) عطف على ما يفهم مما تقدم من كونه متعلقا
بقوله تعرج وهو الأظهر وعلى تقدير كونه متعلقا بواقع يكون جملة قوله تعرج
الملائكة معترضة بين الظرف وعامله أي سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان
مقداره خمسين ألف سنة (قوله لأن السؤال كان عن استهزاء أو تعنت)
الأول مبني على أن يكون السؤال بمعنى الطلب والدعاء فإن النضر وأبا جهل
إنما سألا ما سألاه عن استهزاء برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتكذيب
بالوحي والثاني على أن يكون بمعنى السؤال عن الشيء ما هو ومتى يقع
ومتى يقع فإن كفار مكة إنما سألوه عن العذاب على طريق التعنت وطلب الزلة
وكل ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأمر بالصبر عليه
(قوله عن تضجر) مبني على أن يكون السائل هو النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم (قوله أو تسال) عطف على قوله تسأل يعني أن قرئ سأل سائل
أو سال سائل بالألف الساكنة يكون قوله فاصبر متفرعا عليه والضمير في قوله تعالى
إنهم لأهل مكة فإنهم كانوا يستبعدون العذاب أو البعث والقيامة عن الإمكان

وحيث قال في يوم كان
مقداره ألف سنة يريد به
زمان عروجهم من الأرض
إلى محدب السماء الدنيا
وقيل في يوم متعلق بواقع
أو بسال إذا جعل
من السيلان والمراد به
يوم القيامة واستطالته
إما لشدته على الكفار
أو لكثرة ما فيه من الحالات
والمحاسبات أو لأنه على
الحقيقة كذلك والروح
جبرائيل وأفرده لفضله
أو خلق أعظم من الملائكة
(فاصبر صبرا جميلا)
لا يشوبه استعجال
واضطراب قلب وهو
متعلق بسأل لأن السؤال
كان عن استهزاء أو تعنت
وذلك مما يضجره أو عن
تضجر واستبطاء للنصر
أو بسال لأن المعنى قرب
وقوع العذاب فاصبر
فقد شارفت الانتقام
(إنهم يرونه) الضمير
للعذاب أو ليوم القيامة
(بعيدا) من الإمكان
(ونراه قريبا) منه
أو من الوقوع

(يوم تكون السماء كالمهل) ظرف لقريبا اي يمكن يوم تكون السماء او لمضمر دل عليه واقع او بدل

من في يوم ان علق به
والمهل المذاب في مهل
كالفلزات او دردي
الزيت (وتكون الجبال
كالعهن) كالصوف
المصبوغ الوانا لان
الجبال مختلفة الالوان
فاذا بست وطيرت في
الجو اشبهت العهن
المنفوش اذا طيرته الريح
(ولا يسأل حميم حميما)
ولا يسأل قريب قريبا
عن حاله وقرأ ابن كثير
ولا يسأل على بناء المفعول
اي لا يطلب من حميم حميم
او لا يسأل منه حاله
(يبصرونهم) استئناف
او حال يدل على ان المانع
عن السؤال هو التشاغل
دون الخفاء او ما يغني عنه
من مشاهدة الحال كبياض
الوجه وسواده وجمع
الضميرين لعموم الحميم
(يود المجرم لو يفتدي
من عذاب يومئذ ببنيه
وصاحبته واخيه) حال
من احد الضميرين او
استئناف يدل على ان
اشتغال كل مجرم بنفسه
بحيث يتمنى ان يفتدي
باقرب الناس واعلقهم
بقلبه فضلا ان يهتم بحاله
ويسأل عنها وقرئ بتنوين
عذاب ونصب يومئذ

فرده الله تعالى عليهم بانا نراه قريبا من الامكان او من الوقوع لان كل ما هو آت قريب (قوله اي يمكن يوم تكون) فيه ان تقييد الامكان بالزمان المعين لا وجه له لان الممكن ممكن في جميع الازمنة الا ان يقال الظرف ليس لتقييد الامكان بل لمجرد بيان الامور الواقعة فيه ووقوع هذا الممكن كأنه قيل ونراه قريبا من الامكان يوم تكون كذا وكذا انتهى (قوله او لمضمر دل عليه واقع) اي يقع في ذلك اليوم ويحتمل ان يكون ظرفا لمحذوف اي يوم تكون السماء كالمهل كان ما لا يدخل تحت الوصف وان علق في يوم بقوله واقع يكون هذا اليوم بدلا منه بخلاف ما اذا كان متعلقا بقوله تعرج فانه حينئذ لا يكون بدلا منه لان يوم تكون السماء كالمهل هو يوم القيامة بخلاف يوم عروج الملائكة الظاهر ان قوله تعرج الملائكة والروح الآية استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج بانها بحيث لو كانت حركة الملائكة والروح مثل حركة الانسان لما عرجوا اليها الا في مدة خمسين الف سنة وذلك لا يتوقف على كون المراد به يوم القيامة واذا لم يكن المراد به يوم القيامة لا يصح ابدال هذا اليوم منه الا ان يكون بدل غلط وهو لا يقع في القرآن (قوله كالفلزات) جمع فلز بالكسر وتشديد الزاي وهو ما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الارض قيل هذا يدل على صحة ما روي من ان السماء الدنيا من حديد (قوله ولا يسأل قريب قريبا عن حاله) اي لا يكلمه لان لكل احد ما يشغله عن السؤال فالسؤال من سألته عن الشيء ومفعوله بالواسطة محذوف اي لا يسأله عن حاله (قوله او لا يسأل منه حاله) اشارة الى جواز ان يكون حميما منصوبا باسقاط عن اي لا يسأل حميم عن حميم ليعرف حاله من جهته كما تعرف خبر الصديق من جهة صديقه بل كل احد يسأل عن عمل نفسه (قوله استئناف) في جواب من قال لعله لا يبصره فكيف يسأل عن حاله فقال يبصرونهم اي يعرفونهم اي يعرف الحميم الحميم حتى يعرفوه ولا يمنعه عن المسألة خفاء مكانه ومع ذلك لا يسأل عن حاله لشغله بنفسه او لاستغنائه عن السؤال بسبب انه تعالى ميز اهل الجنة من اهل النار وبالعكس بالعلامات الدالة على حاله من السعادة والشقاوة فاستغنوا بذلك عن السؤال وفي الصحاح البصر العلم وبصرت بالشيء اي علمته وعرفته قال تعالى يبصرونهم عدي بالتضعيف الى ثان وقام الاول مقام الفاعل والشائع المتعارف تعديته الى الثاني بحرف الجر فيقال بصرته به وقد يحذف الجار فيقال بصرته اياه وما في الآية من هذا القبيل ويجوز ان يكون يبصرونهم حالا من حميم الاول اي لا يسأل حميم عن حال حميمه في حال كونه مبصرا اياه وان يكون صفة حميما اي حميما مبصرين لان معناه العموم لا النسبة لان كل واحد من الجمعين نكرة في سياق النفي (قوله او استئناف) كان السائل

لانه بمعنى تعذيب (وفصيلته) ﴿ ٥٥ ﴾ وعشيرته الذين فصل عنهم (التي تؤويه) تضمه في النسب وعند الشدائد

(ومن في الارض جميعا) من الثقلين او الخلائق (ثم ينجيه) عطف على يفتدي اي ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد (كلا) ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على ان الافتداء لا ينجيه (انها) الضمير للنار او مبهم يفسره (لظى) وهو خبر او بدل او للشأن او للقصة ولظى مبتدأ خبره (نزاعة للشوى) وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول عن اللظى بمعنى اللهب وقرأ حفص عن عاصم نزاعة بالنصب على الاختصاص او الحال المؤكدة او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الرأس (تدعو) تجذب وتحضر كقول ذي الرمة تدعو انفه الربب * مجاز عن جذبها واحضارها لمن فرعها وقيل تدعو زبانيتها وقيل تدعو تهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه (من ادبر) عن الحق (وتولى) عن الطاعة (وجمع فأوعى) وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه حرصا وتأملا

عاد فقال كيف لا يسأل مع تمكنه من السؤال فقيل يود المجرم (قوله لانه بمعنى تعذيب) والمصدر المنون ينصب المفعول وكلمة لو قد تكون مصدرية ومنه ما في الآية (قوله وعشيرته) وهي القبيلة وهم بنو اب واحد والفصيلة في الاصل القطعة المفصولة و يطلق على الآباء الاقربين وعلى الام لان الولد يكون مفصولا من الابوين فلما كان الولد مفصولا منهما كانا مفصولين منه ايضا فسميا فصيلة لهذا السبب والمراد بالفصيلة في الآية هو الآباء الاقربون لتقدم قوله وبنيه (قوله الضمير للنار) ولم يجر لها ذكر الا ان ذكر العذاب يدل عليها ولظى يجوز ان يكون خبران اي ان النار لظى ونزاعة خبر ثان او خبر مبتدأ مضمر اي هي نزاعة ويجوز ان يكون لظى بدلا من الضمير المنصوب ونزاعة خبر ان وان كان ضميرانها للقصة يكون قوله لظى نزاعة جملة اسمية خبر ان (قوله او الحال المؤكدة) اي من لظى لان لظى بمعنى جهنم لا تكون الا نزاعة ولا معنى للحال الا على وجه التأكيد كقوله تعالى وهذا صراط ربك مستقيما (قوله او المنتقلة على ان لظى بمعنى ملتظية) اي متلهبة وهو معناه في اصل اللغة والنار الملتهبة لا يلزمها ان تكون نزاعة فيجوز ان تكون حالا منتقلة (قوله والشوى الاطراف) اي الاعضاء التي ليست بمقتل كالايدي والارجل ومنه يقال للرامي اذا رمى الصيد ولم يصب مقتله رماه فاشواه اي اصاب الشوى فقوله نزاعة للشوى اي قلاعة للاعضاء الواقعة في اطراف الجسد ثم تعود كما كانت وهكذا ابدا (قوله كقول ذي الرمة) استشهاد لكون الدعوة مجازا عن الجذب والاحضار وصف الثور الوحشي بقوله

امسى بوهبين مجتاز المرتقة * من ذي الفوارس تدعو انفه الربب

وهبين اسم موضع وكذا ذو الفوارس ومجتازا عدي باللام لتضمنه معنى الطلب اي طالبا لمرتقة ويروى مجتارا بالخاء المهملة ورواية الصحاح بالجيم والربب جمع ربة بكسر الراء وهي اول ما نبت من الارض وفي مجمل اللغة الربة نبات ينبت في آخر الصيف وتدعو انفه اي تجذبه ليأكل وكذا دعوة لظى من فرعها مجاز عن جذبها واحضارها اياه وقيل انها تدعوهم بلسان الحال وقيل انه تعالى يخلق النطق في جرم النار فتدعو كل كافر ومنافق باسمائهم بلسان فصيح فتقول الي يا كافر الي يا منافق فان مستقرك في ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وليس ذلك ببعيد من قدرة الله تعالى وقيل تدعو زبانية النار على حذف المضاف او على الاسناد المجازي حيث اسند فعل الداعي الى المدعو اليه وقوله تدعو يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون صفة لقوله نزاعة وان يكون حالا من المنوي فيها وان يكون خبرا بعد خبر لان او خبر المبتدأ المحذوف (قوله حرصا وتأملا)

الاول علة لجمع المال والثاني لامساكه على طريق اللف والنشر المرتب فان جمع
المال مبني على الحرص وحب الدنيا وامساكه مبني على طول الامل فقوله ادبر
وتولى اشارة الى الاعراض عن معرفة الله وطاعته وقوله وجمع فاوعى اشارة الى
حب الدنيا وترك الشفقة على عباد الله تعالى ولا شك ان مجامع آفات الدين ليست
الا هذه وفي المفردات ان الوعي ان تحفظ الشيء في نفسك والايعاء ان تحفظه في غيرك
ثم انه تعالى لما ذكر ان من الناس من ادبر عن طاعة الحق واشتغل بالمال
بين ان الغالب على احوال نوع الانسان الهلع وانه مجبول عليه بحيث صارت
هذه الرذيلة كأنها غريزة له كسائر الغرائز الطبيعية التي خلق الانسان عليها
فقال ان الانسان خلق هلوعا والهلع صفة مركبة من صفتين ذميمتين وهما
الجزع البالغ عند اصابة المكروه والبخل والامساك البالغ عند اصابة الخير
قيل اصل الهلع في اللغة اشد الحرص واسوأ الجزع وفعله هلع من باب علم
يهلع هلعا فهو هالع وهلوع والجزع ضد الصبر وانتصاب هلوعا على الحال
من الضمير في خلق وهي حال مقدرة فان الهلع ليس خصلة مقرونة بما
جبل الله تعالى الانسان عليها والا لما قدر الانسان على ازالتها بالرياضة
والمجاهدة غاية ما في الباب ان الانسان اذا خلق وطبعه لا يظهر عليه الا مقتضى
نفسه الامارة بالسوء من ايثار العاجل على الآجل لكونها في عالم الطبائع فلا يميل
الانسان الا الى ما يلائمها من لذات عالم الطبيعة والاجسام الظلمانية ولا يلزم
من ذلك ان تكون تلك الرذائل مما خلق الانسان عليها وان لا تكون من
العوارض المكتسبة بالتعمد والاختيار فظهر بهذا انه يجوز ان يكون قوله
تعالى هلوعا وجزوعا ومنوعا من الاحوال المقدرة الا ان المصنف جوز كونها
من الاحوال المحققة فقال او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها وهذا رد على
صاحب الكشاف فانه زعم ان خلق الانسان هلوعا لا يصح اسناده اليه
تعالى فليس بكلام على حقيقته بل المعنى ان الانسان لايثاره الجزع والمنع ورسوخهما
فيه كأنه مجبول عليهما ومطبوع على انهما امر خلقي ضروري غير اختياري كقوله تعالى
خلق الانسان من عجل اي عجولا في اكثر اموره واغلب احواله ولو كان
المعنى انه تعالى خلقه كذلك لكانت الاوصاف المذكورة لازمة له غير منفكة
عنه ... حين كان جنينا في البطن وصبيا في المهد لم يكن به هلع
ولان قوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا ذم والله تعالى لا يذم فعله ويدل على
كونه مما اكتسبه الآدميون الموصوفين بثمانية اوصاف وهو ما ذكره الى قوله
والذين هم على صلواتهم يحافظون واشار المصنف الى جواز ان يكون
الاوصاف المذكورة صفات غريزية جبل عليها الانسان وانه اذا جبل عليها فطرة

(ان الانسان خلق هلوعا) شديد الحرص قليل الصبر (اذا مسه الشر) الضر (جزوعا) يكثر الجزع (واذا مسه الخير) السعة (منوعا) يبالغ في الامساك والاوصاف الثلاثة احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا (الا المصلين) استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعد ذكر المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل

(لا يظهر)

لايظهر منه الآثار تلك الصفات ومقتضياتها من الافعال والاقوال الا انه لما اعطى العقل ومهر ان الشرع وبين له عوائل الاخلاق الذميمة ومحاسن الاخلاق الحميدة تعلق بمخالفة طبعه وموافقة لشرعه ومجاهدة نفسه الامارة حتى يتحلى بالصفات المضادة لتلك الاحوال والامور الجبلية فيجوز تبديلها بالرياضة والمجاهدة فان لكل داء دواء متى اصاب الدواء ازاله وارتكاب القبح انما يتصور ممن يكلف باتباع المأمور به واجتناب المنهي عنه لاممن يفعل مايشاء بقدرته ويحكم مايريد بعزته ولا يسأل عما يفعل فلا يكون شئ من افعاله تعالى قبيحا ولا اصح ان يقال خلق الانسان هلوعا فيحتج فان قيل حاصل معنى الهلع ان يكون الشخص نفورا عن المضار طالبا للراحة وهذا وصف ملائم لمقتضى العقل فلم ذمه الله تعالى فالجواب ان المذموم هو كون الشخص بحيث يقصر نظره على الاحوال الجسمانية منهمكا في حب الحظوظ العاجلة راغبا فيها نافرا عما يكون شرها بالنسبة اليها وكان الواجب عليه ماذكره المصنف من الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والرضى بجميع مااصابه من الفقر والمرض ونحوهما وصرف مارزقه الله تعالى من النعم كالمال والصحة ونحوهما الى مايؤدي الى سعادة الآخرة ولايطلب شأ منها لكونها منفعة عاجلة (قوله لمضادة تلك الصفات لها) علة لاستثناء هؤلاء الموصوفين من المطبوعين على الاحوال المذكورة سابقا فان الصفات المذكورة بعدلما كانت مضادة لاحوال المطبوعين بحيث يمتنع اجتماعها في موضع واحد وجب ان يكون الموصوفون بتلك الصفات مستثنيات من المطبوعين على الاحوال المذكورة سابقا والالزم اجتماع الامور المضادة (قوله لايشغلهم عنها شاغل) اي عن ادائها في اوقاتها قال الامام فان قيل كيف قال على صلوتهم دائمون ثم قال على صلواتهم يحافظون واجاب عنه بقوله معنى دوامهم عليها ان لاينسوها في وقت من الاوقات ومحافظتهم عليها يرجع الى الاهتمام بحالها حتى يؤتى بها على اكمل الوجوه وهذا الاهتمام انما يحصل تارة بامور سابقة على الصلاة وتارة بامور لاحقة لها وتارة بامور متراخية عنها اما الامور السابقة فهي ان يكون المؤمن قبل دخول وقتها متعلق القلب بدخول اوقاتها وبالوضوء وستر العورة وطلب القبلة ووجدان الثوب والمكان الطاهرين والاتيان بالصلاة في الجماعة وفي المساجد المباركة وان يجتهد قبل الدخول في الصلاة في تفريغ القلب عن الوساوس والالتفات الى ماسوى الله تعالى وان يبالغ في الاحتراز عن الرياء والسمعة واما الامور المقارنة فهي ان لايلتفت يمينا ولا شمالا وان يكون حاضر القلب عند القراءة فاهما للاذكار مطلقا على حكم الصلاة

لمضادة تلك الصفات لها من حيث انها دالة على الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل وتلك ناشئة من الانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليه (الذينهم على صلاتهم دائمون) لايشغلهم عنها شاغل (والذين في اموالهم حق معلوم) كالزكوات والصدقات الموظفة (للسائل) الذي يسأل (والمحروم) الذي لايسأل فيحسب غنيا فيحرم

﴿والذين يصدقون بيوم الدين﴾ تصديقا بأعمالهم وهو أن يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا في المثوبة الأخروية ولذلك ذكر الدين ﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون﴾ خائفون على أنفسهم ﴿إن عذاب ربهم غير مأمون﴾ اعتراض يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يأمن عذاب الله وإن بالغ في طاعته ﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك ﴿٥٨﴾ فأولئك هم العادون﴾ سبق تفسيره في سورة المؤمنين ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ حافظون وقرأ ابن كثير لأمانتهم ﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾ لا ينكرون ولا يخفون ما علموه من حقوق الله وحقوق العباد وقرأ يعقوب وحفص بشهاداتهم لاختلاف الأنواع ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ فيراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها أولا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وإنافتها على غيرها وفي نظم هذه الصلاة مبالغات لا تخفى ﴿أولئك في جنات مكرمون﴾ بثواب الله ﴿فمال الذين كفروا قبلك﴾ حولك ﴿مهطعين﴾ مسرعين ﴿عن اليمين وعن الشمال عزين﴾ فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة من العزو وكأن كل فرقة تعتزي إلى غير من تعتزي إليه الأخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حلقا حلقا ويستهزئون بكلامه ﴿أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم﴾ بلا إيمان وهو إنكار لقولهم لو صح ما يقوله لنكونن فيها أفضل حظا منهم كما في الدنيا ﴿كلا﴾ ردع لهم عن هذا الطمع ﴿إنا خلقناهم مما يعلمون﴾ تعليل له والمعنى إنكم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمن لم يستكمل بالإيمان والطاعة ولم يتخلق

وأما الأمور المتراخية فهي أن لا يشتغل بعد إقامة الصلاة باللهو واللعب وأن يحترز كل الاحتراز عن الإتيان بشيء من المعاصي والمنكرات (قوله تصديقا بأعمالهم) فإن مجرد التصديق بالجنان واللسان وإن كان ينجي من الخلود في النار لكن لا يؤدي إلى أن يكون صاحبه مستثنى من المطبوعين على الأحوال المذكورة (قوله خائفون على أنفسهم) فلا يتركون واجبا ولا يرتكبون محظورا ويكونون مع سعيهم في طاعة ربهم ومع ذلك لا يأمنون عذابه (قوله تعالى فمن ابتغى وراء ذلك) وهو الاستمتاع بالنكاح وملك اليمين فأولئك هم العادون أي المتعدون عما أحل لهم ودخل في هذا حرمة وطء الذكران والبهائم والزنى وقيل يدخل فيه الاستمناء أيضا روي أن العرب كانوا يستمنون في الأسفار فنزلت الآية (قوله وقرأ ابن كثير لأمانتهم) أي بالإفراد لأن الأمانة اسم جنس ما يؤتمن عليه الإنسان سواء كان من جهة الباري تعالى أو من جهة الخلق فيتناول ما ائتمن الله تعالى عليه عباده من الشرائع وأمانات الدين كما يتناول ما حملوه من أمانات الناس فلا حاجة إلى لفظ الجمع ومن قرأه بلفظ الجمع نظر إلى اختلاف الأنواع وكذا الكلام في إفراد الشهادة وجمعها وأكثر المفسرين على أن القيام بالشهادة أداؤها عند الحكام على من كانت هي عليه من قريب أو بعيد شريف أو وضيع وعدم كتمها والقيام بها عند الحكام وإن كان من جملة الأمانات إلا أنه تعالى عطفها على ما قبلها عطف الخاص على العام إظهارا لفضلها وأن في إقامتها إحياء الحقوق وفي تركها إبطالها وإضاعتها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال المراد بالشهادة شهادة أن الله واحد لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله (قوله لا يخفون) أن لا يضيعون الأمانة فإن عدم رعايتها يكون بالإهلاك وبالإنكار يقال أخفى عليه الدهر أي أتى عليه وأهلكه (قوله وإنافتها) أي إعلاء قدرها يقال أناف على كذا إذا أشرف عليه (قوله وفي نظم هذه الصلاة مبالغات لا تخفى) فإن في قوله تعالى والذين هم على صلاتهم يحافظون مبالغات من حيث تعريف المسند إليه بالموصول فإنه يقتضي أن يكون ذات المسند إليه معلوما للمخاطب

حاضرا في ذهنه فيكون متصفا بما نسب اليه من مضمون الصلة ولا يخفى ان اشتهار المصلين بالمحافظة على صلاتهم مبالغة في المحافظة عليها ومن تكرير المسند اليه لتقوية الحكم وتقريره في ذهن السامع كما في قولك زيد هو يعطي الجزيل قصدا الى تحقيق انه يفعل اعطاء الجزيل ومن تقديم قوله على صلواتهم المفيد للاختصاص الدال على ان محافظتهم مقصورة على صلاتهم لا يتجاوز الى امور دنياهم ومن صيغة المفاعلة فانها ان كانت بمعنى الثلاثي تكون للمبالغة في ملابسة اصل الفعل وان كانت على بابها تدل على التعاون على البر وهو ابلغ من مجرد حفظ الصلاة ورعاية ما يناسبها واذا تقرر ان الموصول مع صلته افاد هذه المبالغات تقرر أن يوصف المصلين به بعد مدحا عظيما لهم كل ذلك يعرف بالتأمل وقس عليه البواقي والظاهر ان قوله تعالى مكرمون خبر اولئك وفي جنات متعلق به قدم عليه للحصر ويجوز ان يتعلق بمحذوف ويكون خبرا آخر لاولئك ولما ذكر ان المستغرقين في طاعة الحق والمشفقين على الخلق مكرمون في جنات ثواب الله تعالى ذكر بعده قبائح الكفار فقال فما للذين كفروا قبلك مهطعين روي ان المشركين كانوا يحتفون حول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون كلامه ويستهزئون به عليه الصلاة والسلام وبالقرآن ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلها قبلهم فنزلت هذه الآية الى قوله اطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم وكلمة ما في قوله تعالى فما للذين كفروا استفهامية بمعنى الانكار في موضع الرفع على الابتداء وللذين كفروا خبرها وقبلك ظرف مكان للاستقرار الذي تعلق به للذين او ظرف لمهطعين وهو حال من المنوي في الذين اي اي شيء ثبت لهم حولك حال كونهم مهطعين او اي شيء ثبت لهم حال كونهم مهطعين حولك وقوله عن اليمين يجوز ان يتعلق بعزين لانه بمعنى متفرقين وان يتعلق بمهطعين اي مسرعين عن هاتين الجهتين وعزين حال بعد حال من المنوي في للذين او حال من المنوي في مهطعين ويكون حالا متداخلة والعزة الفرقة من الناس والهاء عوض عن الواو او الياء الساقطة قال الاصمعي يقال في الدار عزون من الناس اي اصناف منهم سميت كل فرقة عزة لاعتزائها الى غير من يعتزي اليه الاخرى من قولهم عزوته الى ابيه وعزيته اليه فعلته واذا نسبته اليه فاعتزى هو وتعزى اي انتمى وانتسب (قوله او انهم مخلوقون من اجل ما تعلمون) اي ويحتمل ان يكون المعنى على تقدير كونه تعليلا للردع هكذا ان تكون كلمة من بمعنى الاجل كما في قوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا (قوله او استدلال) عطف على قوله تعالى وقوله بعد ردعهم ظرف لقوله

بالاخلاق الملكية لم يستعد دخولها او انهم مخلوقون من اجل ما تعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يبوأ في منازل الكاملين او استدلال بالنشأة الاولى على امكان النشأة الثانية التي بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه (فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم) اي نهلكهم ونأتي بخلق امثل منهم او نعطي محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بدلكم من هو خير منكم وهم الانصار (وما نحن بمسبوقين) بمغلوبين ان اردنا

استدلال لما كان قولهم لو صح ما يقولون لنكون فيها أفضل حظا منهم تعلقا على أمرين دعوى استحالة النشأة الثانية والطمع الفاسد المبني على فرض وقوعها منعهم الله تعالى عن ذلك الطمع أولا بقوله كلا ثم استدل على إمكانها بقوله خلقناهم مما يعلمون كأنه قال من قدر على خلق البشر السوي من النطفة المستقذرة ألا يكون قادرا على بعثهم ثم أبطل تمنيهم بقوله فلا أقسم وتمثلا لمثله أورد أقوالهم المذكور وما بعدها فهم منه أنه ليس على أن يكون أصله فلا أقسم فأشبعت الفتحة فحصل الألف وقوله على أن نبدل خيرا منهم أصله على أن نبدلهم بدلا خيرا منهم فحذف المفعول الأول وموصوف خيرا وجمع المشارق والمغارب إما لأن المراد بها مشرق كل يوم من السنة ومغربه أو مشرق كل كوكب ومغربه أو المراد بالمشرق ظهور حياة كل شيء وبالمغرب موته (قوله تعالى فذرهم) مفرع على قوله وما نحن بمسبوقين أي إذا تبين أنه لا يفوتنا ما يريده بهم ونهم من خزي وشر وأنه ليس تأخير عقابهم لعجز بل لحكمة داعية إليه فدعهم فيما هم فيه من الأباطيل واشتغل بما أمرت به فإنهم ملاقون عن قريب اليوم الذي وعدوا به وهو يوم يكون الناس كالمهل وكذا وكذا وقوله تعالى يوم يخرجون يجوز أن يكون بدلا من يومهم وأن يكون منصوبا بإضمار أعني والأجداث جمع جدث وهو القبر وسراعا حال من الضمير في يخرجون وكأنهم حال ثانية منه أو من المنوي في سراعا فتكون حالا متداخلة (قوله منصوب للعبادة أو علم) يعني أن نصب بفتح النون وسكون الصاد كما هو قراءة غير ابن عامر وحفص من السبعة بمعنى المنصوب سواء نصب لأن يعبد من دون الله أو نصب علامة لموضع الملك في نزوله ومسيره وهو المراد بالعلم والمعنى أنهم يسرعون إلى الموقف كإسراعهم إلى أصنامهم التي يعبدونه ويسرعون إليه أيهم يستلمه أولا فإنهم كانوا يبتدرون إذا طلعت الشمس إلى نصبهم التي كانوا يعبدونها من دون الله لا يلوي أولهم على آخرهم أو كأنهم قد نصب لهم علم فهم يسعون إليه ليبلغوه فهم يتبادرون في السبق إليه والنصب بضمتين واحد الأنصاب وقيل هو جمع نصاب نحو كتاب وكتب وقيل جمع نصب بمعنى المنصوب كرهن ورهن وسقف وسقف والنصب بالضم والسكون إما مخفف نصب بضمتين مثل عسر وعسر أو جمع نصب بالفتح والسكون (قوله تعالى خاشعة) حال من فاعل يوفضون والمعنى ذليلة خاضعة لا يرفعونها لما يتوقعونه من العذاب وكذا قوله ترهقهم ذلة في موضع الحال منه أيضا أي يغشاهم هوان الدنيا ويجوز أن يكون استئنافا بيان رهقه أي غشيه وهو من باب علم (قوله تعالى كانوا يوعدون) أي يوعدونه

(فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) مر في آخر الطور (يوم يخرجون من الأجداث سراعا) مسرعين جمع سريع (كأنهم إلى نصب) منصوب للعبادة أو علم (يوفضون) يسرعون وقرأ ابن عامر وحفص نصب بالضم على أنه تخفيف نصب أو جمع (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة) مر تفسيره (ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون) في الدنيا * عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون

فى الدنيا وان لهم فيه العذاب فحذف العائد من الصلة الى الموصول تمت سورة المعارج والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

(سورة نوح عليه الصلاه والسلام مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله بان انذر اى بالانذار) يحتمل ان مصدرية ناصبة للفعل المضارع ولما كان فعل الارسال لا يتعدى الى مفعول ثان بدون توسط حرف الجر قدر الباء الجارة فحذف الجار واوصل الفعل فحل ان انذر النصب على نزع الخافض او الجر على ارادته وقوله او بان قال له انذر اشارة الى ان النحاة اختلفوا فى ان صلة ان المصدرية هل يجوز ان تكون شيأ مما فيه معنى الطلب كالامر والنهى ونحوهما اولا فجوزه سيبويه وابو على ومنعه غيرهما قال ابو على فى قوله تعالى ماقلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله كله ان فيه يجوز ان تكون مصدرية فتكون بدلا من ما اومن الهاء فى به او خبر مبتدأ محذوف اى هوأن اعبدوا الله وان يكون مفسرة كذا فى شرح الرضى وفيه ايضا ان صلة ان المخففة لا تكون امرا ولا نهيا ولا غيرهما مما فيه معنى الطلب اجماعا وكذا صلة ان المصدرية على الاصح فقول المصنف بان انذر اى بالانذار مبنى على مذهب سيبويه وابى على وقوله او بان قال له انذر مبنى على مذهب غيرهما فانهم يقولون ان ان المصدرية مع صلتها تكون فى تأويل المصدر فيكون قوله تعالى ان انذر فى تأويل ارسلناه بالانذار والمصدر ليس فيه دلالة على الطلب فيكون اصدر صيغة الامر بأن المصدرية مستلزما لابطال معنى الصيغة واخلائها عن مدلولها الوضعى ثم اصدرت صيغة الطلب بأن المصدرية للانذار يقدر بعدها القول ليبقى معنى الصيغة على حال فيكون تقدير الآية ارسلناه بأن قلنا له انذر اى ارسلناه ارسالا ملتبسا بهذا القول الموضوع لطلب الانذار (قوله وقرئ بغيرها) اى بغير ان فلابد من اضمار القول اى قائلا أنذر وان فى قوله ان اعبدوا الله كالتى فى قوله ان أنذر قومك فى جواز كونها مصدرية ومفسرة ثم عليه الصلاة والسلام امر قومه بثلاثة اشياء بعبادة الله تعالى وتقواه وطاعة نفسه فالامر بالعبادة يتناول الامر بجميع الواجبات والمندوبات من افعال القلوب والجوارح والامر بتقواه يتناول الزجر عن جميع المحظورات والمكروهات وقوله واطيعون يتناول الامر بطاعته فى جميع المأمورات والمنهيات وهذا وان كان داخلا فى الامر بعبادة الله تعالى وتقواه الا انه خصه بالذكر بعد ذكر الامر بهما تأكيدا لذلك الامر ومبالغة فى تقريره وايجابا عليهم ان يؤمنوا به ويصدقوه فى دعواه الرسالة

(سورة نوح مكية وآيها تسع وعشرون) (بسم الله الرحمن الرحيم) (انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر) بان انذر اى بالانذار او بان قال له انذر ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغيرها على ارادة القول (قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم) عذاب الآخرة او الطوفان (قال ياقوم انى لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون) مر نظيره فى الشعراء وفى ان يحتمل الوجهان

(قوله بعض ذنوبكم وهو ما سبق) اى على الايمان اشارة الى ان فائدة ذكر من التبعيض فانه لو قال يغفر لكم ذنوبكم لكان قد وعد قومه بمقابلة امتثالهم لما امرهم به من الاشياء الثلاثة مغفرة جميع ذنوبهم تقدمت على الايمان او تأخرت عنه لان اضافة الجمع تفيد الاستغراق وليس كذلك فان الذنوب المتأخرة عن الايمان لا تكون مغفورة بمجرد الايمان فلذلك اورد حرف التبعيض وقيل المراد بعض الذنوب بعض ما سبق على الايمان وهو ما لا يتعلق بحقوق العباد (قوله وهو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة) جواب عما يقال انه عليه الصلاة والسلام وعدهم بمقابلة امتثالهم لما امروا به ان يؤخرهم الله تعالى الى اجل مسمى مع اخباره بامتناع تأخير الاجل وهما متناقضان بحسب الظاهر وتقرير الجواب ان الله تعالى جعل فى الاجل حكمين محتوما ومعلقا كقوله تعالى ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده فالمحتوم هو المسمى وهو الذى لا يمكن تأخيره والمعلق هو الحكم بان قوم نوح مثلا ان لم يؤمنوا اهلكهم الله تعالى قبل ذلك بما شاء من اسباب الاهلاك كقوله عليه الصلاة والسلام ان استقامت امتى فلهم يوم وان لم يستقيموا فلهم نصف يوم فاليوم هو الذى لا يمكن التجاوز عنه بوجه والنصف وهو الموقوف على عدم الاستقامة واى الاجلين قضى به وحكم فلا يمكن تأخيره وذلك هو الذى عبر عنه بالمجئ فى قوله ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر اى لا يؤخر اذا حكم به وتعلقت به الارادة فبادروا مجيئه بالايمان واشار المصنف اليه بقوله اذا جاء على الوجه المقدر به اجلا واضيف هذا الاجل اليه تعالى لكونه تعالى هو الذى قدره وتعلقت به ارادته وان امتنع اضافته الى العبد لكونه نهاية عمره فالاجل المعلق اذا تحقق بشرط كونه اجلا وتعلقت به ارادته تعالى لا يؤخر الا انه يؤخر اذا فقد شرط كونه اجلا بخلاف الاجل المقطوع به فانه لا يؤخر بوجه (قوله وقيل اذا جاء الاجل الاطول) عطف على قوله ان الاجل الذى قدره اى وقيل المراد باجل الله هو المسمى الذى لا يمكن تأخيره بوجه من الوجوه اى الوقت الذى سماه الله تعالى اجلا اذا جاء لا يؤخر كما يؤخر هذا المعلق فبادروا فى اوقات الامهال والتأخير فان المسمى ضرورى الوقوع لا يمكن تأخيره (قوله لعلمتم ذلك الخ) اشارة الى ان جواب لو محذوف وكلمة لو دلت على انهم لا يعلمون ذلك مع انه تعالى جعلهم متمكنين من اعلى اسباب العلم والآلات محصلة له الا انهم ضيعوها وجعلهم فى حب الدنيا وانهماكهم فى الالتذاذ بها (قوله واسناد الزيادة الى الدعاء) من قبيل اسناد الفعل الى السبب والمعنى دعوتهم دائما من غير فتور فازدادوا فرارا عند دعوتى ويجوز اسناد الزيادة الى السورة فى قوله تعالى واذا ما انزلت سورة

(ويؤخركم الى اجل مسمى) وهو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة (ان اجل الله) ان الاجل الذى قدره (اذا جاء) على الوجه المقدر به اجلا وقيل اذا جاء الاجل الاطول (لا يؤخر) فبادروا فى اوقات الامهال والتأخير (لو كنتم تعلمون) لو كنتم من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه انهم لانهماكهم فى حب العاجل كأنهم شاكون فى الموت (قال رب انى دعوت) الى الايمان (قومى ليلا ونهارا) اى دائما (فلم يزدهم دعائى الا فرارا) عن الايمان والطاعة واسناد) الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله تعالى فزادتهم ايمانا (وانى كلما دعوتهم) الى الايمان والطاعة (لتغفر لهم) بسببه (جعلوا اصابعهم فى آذانهم) سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة (واستغشوا ثيابهم) تغطوا بها لئلا يرونى كراهة النظر الى من فرط كراهية دعوتى اولئلا اعرفهم فأدعوهم

فيهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون فإن ضمير زادتهم يعود إلى السورة والمعنى أن الله تعالى زيدهم ذلك عند نزول السورة (قوله والتعبير بصيغة الطلب) مع أن معنى الطلب ليس بمقصود ههنا بل الاستغشاء ههنا بمعنى التغطي والستر كما فسر به للمبالغة في الاهتمام بالتغطي كأنهم طلبوا من الثياب أن تغشاهم لئلا يروا الداعي بعصائه ولما جاء به (قوله مستعار من أصر الحمار على العانة) وهي القطيع من حمر الوحش يقال صر الفرس أذنيه إذا سواهما وضمهما وإذا نقل إلى باب الإفعال وقيل أصر الفرس يكون لازما وهو من النوادر شبه الإقبال على الكفر والمعاصي بإصرار الحمار على العانة يكدمها ويطردها فسمي الإقبال عليه إصرارا واشتق منه أصر ولو لم يكن في ارتكاب المعاصي إلا التشبيه بالحمار لكفى به مزجرة فكيف والتشبيه في أسوأ الأحوال وهو حال الكدم والطرد للسفاد (قوله أي دعوتهم مرة بعد أخرى) يعني أنه عليه الصلاة والسلام عطف بكلمة ثم أولا دعوته إياهم مجاهرة وهي الدعوة على رؤس الأشهاد في المحافل ثم عطف بها دعوته إياهم على وجه الإعلان والإسرار بأن يخلو بالواحد فالواحد منهم فيعلن ويسر إليه في الدعوة وما عطف عليه هذان المعطوفان ليس إلا قوله كلما دعوتهم من غير تقييد تلك الدعوة بشيء فهذا الأسلوب يدل على أن مراتب دعوته كانت ثلاثة فبدأ أولا بالمناصحة في السر فعاملوه بالأمور الأربعة ثم ثنى بالمجاهرة فلما لم يؤثر جمع بين الإعلان والإسرار وكان حاصل الكلام ما ذكره المصنف بقوله أي دعوتهم مرة بعد أخرى وكرة بعد أولى على أي وجه أمكنني وثم إما للدلالة على تراخي بعض هذه المراتب عن بعض بحسب الرتبة وبحسب الزمان (قوله وكأنهم لما أمرهم بالعبادة قالوا) إشارة إلى وجه قوله عليه الصلاة والسلام استغفروا ربكم وبيان فائدته بعد ما أمرهم بعبادة الله تعالى وتقواه وطاعة رسوله فيما بلغ من قبله إليهم (قوله ولذلك) أي ولكون الاستغفار من الذنوب والمعاصي كما يمحو الذنوب والمعاصي يجلب للمستغفر منافع الدنيا من الخصب والغنى وعد عليه الصلاة والسلام لهم على ما هو أوقع في قلوبهم من الخيرات العاجلة فقال يرسل السماء عليكم مدرارا فإنه مجزوم على أنه جواب الأمر فإنهم لما قالوا إن كنا على باطل فكيف نقبل من عصيناه قال نوح عليه السلام إنكم وإن كنتم قد عصيتموه ولكن استغفروا من تلك الذنوب والمعاصي فإن شأنه تعالى الغفارية وبين لهم أن الاستغفار والتوبة عن الكفر والمعاصي يجمع لهم مع الحظ الوافر

والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة (وأصروا) وأكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من أصر الحمار على العانة إذا صر أذنيه وأقبل عليها (واستكبروا) عن اتباعي (استكبارا) عظيما (ثم إني دعوتهم جهارا ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا) أي دعوتهم مرة بعد أخرى وكرة بعد أولى على أي وجه أمكنني وثم لتفاوت الوجوه فإن الجهار أغلظ من الإسرار والجمع بينهما أغلظ من الإفراد أو لتراخي بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر لأنه أحد نوعي الدعاء أو صفة مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارا أي مجاهرا به أو الحال فيكون بمعنى مجاهرا (فقلت استغفروا ربكم) بالتوبة عن الكفر (إنه كان غفارا) للتائبين وكأنهم لما أمرهم بالعبادة قالوا إن كنا على حق فلا نتركه وإن كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فأمرهم بما

يجب معاصيهم ويجلب إليهم المنح ولذلك وعدهم عليه ما هو أوقع في قلوبهم

وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى اصرارهم حبس الله عنهم القطر اربعين سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله (يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا) ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء والسماء ✻ ٦٤ ✻ تحتمل المظلة والسحاب والمطر والمدرار كثير الدرور يستوي في هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد بالجنات البساتين (ما لكم لا ترجون لله وقارا) لا تأملون له توقيرا اي تعظيما لمن عبده واطاعه فتكونون على حال تأملون فيها تعظيمه اياكم ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار او لا تعتقدون له عظمة فتخافون عصيانه وانما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لادنى الظن مبالغة (وقد خلقكم اطوارا) حال مقررة للانكار من حيث انها موجبة للرجاء فانه خلقهم اطوارا اي تارات اذ خلقهم اولا عناصر ثم مركبات تغذي الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشأهم خلقا آخر فانه يدل على انه يمكن ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم بالثواب وعلى انه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم اتبع ذلك ما يؤيده من آيات الآفاق فقال (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا) اي في السموات وهو في السماء الدنيا وانما نسب اليهن لما بينهن من الملابسة

(ارواح)

في الآخرة منافع الدنيا وخيراتها (قوله وقيل لما طالت الخ) عطف على قوله تماديهم الاصرار [illegible]
(قوله فوعدهم بذلك) اي بفتح الارض بالمطر والمدرار من اوزان المبالغة بمعنى كثير الدرور وهو الانصباب ومدرارا حال من السماء (قوله والسماء تحتمل المظلة) على ما قيل من ان المطر ينزل منها الى السحاب ويطلق السماء ايضا على كل ما علاك كالسحاب وسقف البيت وعلى التقدير يكون المعنى يرسل ماء السماء فحذف المضاف ويطلق على نفس المطر ايضا كما في قوله

اذا نزل السماء بارض قوم ✻ رعيناه وان كانوا غضابا

فحينئذ لا حاجة الى تقدير المضاف (قوله لا تأملون له توقيرا) على ان الرجاء على اصله وهو الامل والطمع والوقار اسم بمعنى التوقير كالسلام بمعنى التسليم (قوله ولله بيان للموقر) اي للذي يتعلق به التوقير والتعظيم فكانهم لما سمعوا قوله ما لكم لا ترجون ان توقروا وتعظموا على بناء المفعول قالوا لمن التوقير والتعظيم اي من الذي نعظمنا ونوقرنا فقيل لله اي التوقير لله واصل لله ان يكون مؤخرا عن وقارا على انه صفة له فلما قدم امتنع ان يكون صفة له ولا متعلقا به لان معمول المصدر لا يتقدم عليه فتعين كونه للبيان (قوله مبالغة) اي في عدم اعتقادهم له عظمة فان من لا يكون له الرجاء التابع لادنى ظن كيف يكون له الاعتقاد الجازم والمعنى على هذا ما لكم لا تعتقدون حق عظمته وقدرته وتخافون وقد جعل لكم في انفسكم آية تدل على كمال عظمته من القدرة البالغة والعلم والحكمة وهو انه خلقكم اطوارا وخلق السموات طباقا وغير ذلك وعلى هذا قوله تعالى لله بيان للموقر كما انه على الاول بيان للموقر (قوله تعالى طباقا) اما جمع طبق كجمل وجمال او جمع طبقة كرحبة ورحاب او مصدر طابق يقال طابق مطابقة وطباقا وعلى التقادير فهو صفة سبع سموات اما على كونه جمعا فظاهر واما على تقدير كونه مصدرا فعلى طريق الوصف بالمصدر للمبالغة او على حذف المضاف اي ذات طباق ويجوز ان ينتصب على انه مصدر لفعل مقدر اي طوبقت طباقا بمعنى انها جعلت طبقة فوق اخرى قال الامام قوله تعالى خلق سبع سموات طباقا يقتضي كون بعضها منطبقا على الآخر وهذا يقتضي ان لا يكون بينها فرج فالملائكة كيف يسكنون فيها فاجاب بان الملائكة

(وجعل الشمس سراجا) مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض كما يزيلها السراج عما حوله (والله انبتكم من الارض نباتا) انشأكم منها فاستعير الانبات للانشاء لانه ادل على الحدوث والتكون من الارض واصله انبتكم انباتا فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية (ثم يعيدكم فيها) مقبورين (ويخرجكم اخراجا) بالحشر واكده بالمصدر كما اكده الاول دلالة على ان الاعادة محققة كالبدء وانها تكون لامحالة (والله جعل لكم الارض بساطا) تتقلبون عليها (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ (قال نوح رب انهم عصوني) فيما امرتهم به (واتبعوا من لم يزده ماله وولده الاخسارا) واتبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم المغترين باولادهم

ارواح ثم قال وايضا فلعل المراد من كونهما طباقا كونهما متوازية لامماسة وهو المروى عن المبرد ثم قال كيف قال وجعل القمر فيهن نورا والقمر ليس فيهما باسرها بل في السماء الدنيا وأجاب بان هذا كما يقال السلطان في العراق ولا يراد انذاته حاصلة في جميع احياز العراق بل يراد ان ذاته حاصلة في حيز من جملة احياز العراق فكذا ههنا وهذا هو المراد بقول المصنف لما بينهن من الملابسة كالبلد ان المتناسبة حيث جاز ان يقال في حق ماتي واحدة منها انه فيهن واشار صاحب الكشاف الى الجواب بوجه آخر حيث قال وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله تعالى عنهم ان الشمس وجهها مما يلي السماء وظهرها مما يلي الارض فاذا كان وجه كل واحد منهما متوجها الى جهة السموات وقفاه الى جهة الارض ظهر وجه قوله فيهن من حيث ان كل واحدة منها منوره بنور القمر ونوره ثابت فيها باسرها فعلى هذا ينبغي ان يكون قدر مابعده وجعل الشمس فيهن سراجا لاهل السموات والارض وقيل انه نور لاهل الارض (قوله مثلها به) يعني ان قوله تعالى وجعل الشمس سراجا من باب التشبيه البليغ شبهت به من حيث ان كل واحد منهما مزيل ظلمة الليل عن وجه الارض فان الليل عبارة عن ظل الارض الحاصل في الجو بسبب حيلولة الارض بينه وبين الشمس وبطلوع الشمس يزول الحيلولة وما يستتبعها من الظل كما يزول ذلك بضوء السراج والتشبيه لا يقتضي المماثلة بين المشبه والمشبه به من جميع الوجوه حتى يقال ضوء السراج عرضي كضوء القمر بخلاف ضوء الشمس فانه ذاتي فتشبيه القمر بالسراج اولى من تشبيه الشمس به (قوله فاستعير الانبات للانشاء) استعارة اصلية ثم اشتق من الانبات المستعار لفظ انبتكم فصار استعارة تبعية حمل الكلام على الاستعارة لتعذر حمله على الحقيقة لان الانبات اخراج فروع مارسخ عروقه في الارض ولاشك ان ايجاد الانسان ليس على هذا الوجه وانشاء بني آدم من الارض اما بواسطة انشاء ابيهم آدم عليه الصلاة والسلام منها او من حيث انه تعالى خلق كل واحد منهم من النطفة المتولدة من الغذاء المتولد من النبات المتولد من الارض والنكتة في العدول الى المجاز كون الانبات ادل على الحدوث لانهم اذا كانوا انباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات (قوله واصله انبتكم انباتا فنبتم نباتا) يعني ان نباتا منصوب بفعل مقدر وهو نبتم وحذف لدلالة انبتكم عليه التزاما فان النبات لازم للانبات ومطاوع له والملزوم يدل على لازمه وقد شكا نوح عليه الصلاة والسلام الى ربه بسبب عصيان قومه اياه فقوله بعد ذلك رب انهم عصوني تمهيد لما ذكره بعد بيان سبب عصيانهم اياه وهو تقليد رؤسائهم البطرين بالاموال والاولاد (قوله

بحيث صار ذلك سببا) اشارة الى ان اسناد زيادة الخسار الى المال والولد من قبيل اسناد الفعل الى سببه فان الاموال والاولاد وان كانت من الاسباب التي يكتسب بها سعادة الآخرة بصرفها في سبيل الله لاجله الا انهما اذا جعلا ذريعة لاقتضاء الشهوات الجسمانية واستيفاء اللذات العاجلة صارت اسبابا لزيادة خسارة الآخرة (قوله وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم الخ) وذلك يستفاد من توصيف متبوعهم بقوله من لم يزده ماله وولده الا خسارا فان توصيف متعلق اتباعهم بكونهم اصحاب اموال واولاد أدت بهم الى الخسار يشعر بعلية الوصف المذكور للاتباع (قوله ابلغ من كبارا) يعني ان كبارا بالضم والتشديد من اوزان المبالغة ابلغ من كبارا بالضم والتخفيف كما ان الخفيف ابلغ من كبير ونظيره الطويل ثم الطوال والمكر الكبار هو احتيالهم بصد السفلة عن قبول دعوة نوح والايمان به وتحريش الناس على اذاه وعلى الثبات على دين اسلافهم الاقدمين ويجوز ان يكون المراد بمكر الرؤساء قولهم لاتباعهم لاتذرن آلهتكم ولاتذرن ودا ولاسواعا عبادتها لاسيما هذه الآلهة الخمسة التي هي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر فان اضافة الآلهة اليهم من جملة الحيل الموجبة لاستمرارهم على عبادتها كأنهم قالوا هذه الاصنام آلهة لكم وكانت آلهة لآبائكم فلو قبلتم قول نوح لاعترفتم على انفسكم وعلى آبائكم بانكم كنتم غافلين ضالين واعتراف الانسان على نفسه وعلى جميع اسلافه بالجهل والضلال سماجة شديدة لايجترئ عليها عاقل فلما كان في اضافة آلهتكم اشارة الى هذه المعاني كان صارفا لهم عن الدين وطاعة نوح بالحيلة الخفية فلهذا سمى الله تعالى قولهم هذا مكرا اوجه له حجة (قوله خصوصا) اشارة الى ان قوله تعالى ولاتذرن ودا ولاسواعا من قبيل عطف الخاص على العام تعظيما لهذه الاصنام الخاصة بناء على انها اكبر اصنامهم (قوله فلما ماتوا صوروا) قيل لما مات هؤلاء الصلحاء اخبار حزن اتباعهم ان يتركوا سبيلهم في ابواب العبادة فقال لهم ابليس لو صورتم صورهم ونظرتم اليهم اذا ما كان انشط لكم واشوق الى العبادة ففعلوا ثم نشأ بعدهم قوم فقال لهم ابليس ان الذين كانوا قبلكم قد كانوا يعبدونها فعبدوها فابتداء عبادة الاوثان من ذلك الوقت فلما كانت ايام الطوفان والغرق دفنت تلك الاوثان فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة بعدها جيم قبيلة على وزن مسجد وهو ابو قبيلة من اليمن ويعوق لمراد وهو ايضا ابو قبيلة من اليمن ونسر لحمير

بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة وفيه انهم انما تبعوهم لوجاهة حصلت لهم باموال واولاد أدت بهم الى الخسار وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي والبصريان وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد (ومكروا) عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى (مكرا كبارا) كبيرا في الغاية فانه ابلغ من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم في الدين وتحريش الناس على اذى نوح (وقالوا لاتذرن آلهتكم) اي عبادتها (ولاتذرن ودا ولاسواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) ولاتذرن هؤلاء خصوصا قيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام فلما ماتوا صوروا تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب وكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرأ نافع ودا بالضم

وهو أيضا أبو قبيلة من اليمن قال الإمام قولهم انتقلت هذه الأصنام الخمسة إلى العرب فيه إشكال لأن الدنيا قد خربت في زمان الطوفان فكيف بقيت تلك الأصنام وكيف انتقلت إلى العرب ولا يمكن أن يقال إن نوحا عليه الصلاة والسلام وضعها في السفينة وأمسكها لأنه عليه الصلاة والسلام إنما جاء لنفيها وكسرها فكيف يمكن أن يقال إنه وضعها في السفينة سعيا وعزما في حفظها هذا كلامه ويزول إشكاله بما ذكر في التيسير ومعالم التنزيل وغيرهما من أن تكون تلك الأصنام الخمسة قد دفنها الطين والتراب والماء أيام الطوفان فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب وكان للعرب أصنام أخر اللات لثقيف وهو أبو قبيلة من هو ادن مضر ويقال له مضر الحمراء ولأخيه ربيعة الفرس لأنهما اقتسما الميراث أعطي مضر الذهب وأعطي ربيعة الخيل والعزى لسليم وغطفان وجشم ونصر وسعد بن بكر ومناة لهذيل وإساف ونائلة وهبل لأهل مكة وكان إساف حيال الحجر الأسود ونائلة حيال الركن اليماني وهبل في جوف الكعبة (قوله للتناسب) لأن ما قبلهما اسمان منصرفان منونان وهما ودا وسواعا وكذا ما بعدهما وهو نسرا فنونا أيضا للتناسب كما نون سلاسلا كذلك (قوله عطف على رب إنهم عصوني) يعني أن قوله ولا تزد الظالمين إلا ضلالا مقول ثان لنوح عطف الله تعالى أحد مقوليه على الآخر وأن الواو فيه من كلامه تعالى لا من كلام نوح لاستلزامه عطف الإنشاء على الإخبار وهو عليه الصلاة والسلام قال كل واحد من القولين من غير عطف أحدهما على الآخر وأحدهما قوله رب إنهم عصوني وثانيهما قوله ولا تزد الظالمين إلا ضلالا فحكى الله تعالى أحد قوليه مصدرا بلفظ قال وحكى قوله الآخر بعطفه على قوله الأول بكلمة الواو النائبة عن لفظ قال (قوله ولعل المطلوب) جواب عما يقال لا يليق بالنبي المبعوث للهداية أن يدعو على أمته بالضلال في أمر دينهم وزيادتهم فيه مع أنه عليه الصلاة والسلام قد بعث إليهم ليصرفهم عنه (قوله وما مزيدة) يعني أنها زيدت بين الجار والمجرور لتأكيد الحصر المستفاد من تقديم قوله مما خطيئاتهم فإنه يدل على أن إغراقهم بالطوفان لم يكن إلا من أجل خطيئاتهم تكذيبا لقول المنجمين من أن ذلك كان لاقتضاء الأوضاع الفلكية إياه فإنه كفر لكونه مخالفا لصريح هذه الآية ولزيادتها فائدة أخرى وهي تفخيم خطاياهم لأنها إبهامية وإبهام الشيء يدل على أنه مما لا يمكن وصفه ولا يقادر قدره (قوله وقرأ أبو عمرو مما خطاياهم) كل واحد من لفظي الخطايا والخطيئات جمع خطيئة

وقرأ يعوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلمية والعجمة (وقد أضلوا كثيرا) الضمير للرؤساء أو للأصنام كقوله إنهن أضللن كثيرا (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) عطف على رب إنهم عصوني ولعل المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في أمر دينهم أو الضياع والهلاك كقوله إن المجرمين في ضلال وسعر (مما خطيئاتهم) من أجل خطيئاتهم وما مزيدة للتأكيد والتفخيم وقرأ أبو عمرو مما خطاياهم (أغرقوا) بالطوفان

الا ان الاول جمع تكسير والثاني جمع سلامة وقد تقرر ان الجمع المكسر غير الاوزان الاربعة التي هي افعل وافعال وافعلة وفعلة جمع كثرة ولا يطلق على مادون العشرة الا بالقرينة والمقام مقام التكثير خطاياهم فلعل اباعمرو انما قرأ خطاياهم بلفظ جمع الكثرة لذلك ومن اختار لفظ جمع السلامة نظر الى ان جمع السلامة سواء كان بالواو والنون او الالف والتاء اطلق الجمع فاذكر في شرح الرضي وهو قوله والظاهر ان كل واحد من جمعي السلامة لمطلق الجمع من غير نظر الى القلة والكثرة فيصلحان لهما وامثال ذلك الجمهور فيهما واستدلوا عليه بقوله تعالى ما نفدت كلمات الله (قوله المراد عذاب القبر) تمسك اصحابنا في اثبات عذاب القبر بقوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وذلك من وجهين الاول ان الفاء في قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا تدل على ان الادخال حصل عقيب الاغراق فلا يمكن حمل الادخال على عذاب الآخرة لئلا يلزم اخلال الفاء عن مدلوله الوضعي من غير دليل والوجه الثاني ان قوله تعالى فادخلوا اخبار عن الماضي وهو انما يصدق بوقوع الخبر به قبل نزول الآية وقال مقاتل والكلبي معنى الآية انهم سيدخلون في الآخرة نارا و عبر عن المستقبل بلفظ الماضي لانه كائن لامحالة وكانه قد كان كقوله تعالى ونادى اصحاب النار ونادى اصحاب الجنة ولانه لما تحقق سبب الادخال ومن حق المسبب ان يتحقق عقيب السبب جعل كالمحقق وعبر عنه بلفظ الماضي ولا يخفى ان ما ذكر انما يصحح التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي ولا يكون دليلا على ترك الظاهر ومن المعلوم ان العدول عن الظاهر من غير دليل لا وجه له فالوجه ان يراد به عذاب القبر ومن مات في ماء او نار او اكلته السباع والطير اصابه ما يصيب المقبور من العذاب لقوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها غدوا وعشيا و يوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وعن الضحاك انهم كانوا يغرقون من جانب و يحرقون من جانب وهو يؤيد كون المراد به عذاب القبر (قوله فعال من الدار او الدور) يعني ان ديارا على الاول احد ينزل الدار و يسكنها وعلى الثاني احد يدور في الارض اي يذهب و يجيء وانكر بعضهم كونه من الدوران وقال ان كان من الدوران لم يبق على الارض جني ولا شيطان وليس كذلك فينبغي ان يكون من الدار و يكون المعنى اهلك كل نازل دار او ساكنها من الكفار اي كل انسي منهم (قوله لا فعال والا لكان دوارا) اي انما كان يعني ان اجتمع واوه ولا قلبت ياء لان اصل دار دور فعلت واوه الفا فلما ضعف عينه كان دوارا بواو صحيحة مشددة اذ لا وجه لقلبها ياء وكذا الحال اذا كان فعالا من

(فادخلوا نارا) المراد عذاب القبر او عذاب الآخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال او لان المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط اووجود مانع وتنكير النار للتعظيم او لان المراد نوع من النيران اعدلهم (فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا) تعريض لهم باتخاذهم آلهة من دون الله لا تقدر على نصرهم (وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) اي احدا وهو مما يستعمل في النفي العام فيعال من الدار او الدور واصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا

الدور (قوله قال ذلك لما جربهم) جواب عما يقال كيف عرف انهم
لا يلدون الا فاجرا كفارا حتى دعا في حقهم بان يهلكهم الله تعالى جميعا
واخبر عنهم بانهم لا يلدون الا فاجرا كفارا اي الا من سيكون فاجرا كفارا
اذا بلغ مبلغ التكليف فهو من قبيل تسمية الشيء بما سيؤول اليه وتقرير
الجواب انه عليه الصلاة والسلام عرف ذلك بالتجربة والاستقراء فانه لبث فيهم
الف سنة الا خمسين عاما فعرف طباعهم واستقرى احوالهم واخلاقهم حتى
قيل كان الرجل منهم ينطلق بابنه ويقول احذر هذا فانه كذاب وان
ابي اوصاني بمثل هذه الوصية فيموت الكبير وينشأ الصغير على مذهب الكبير
في العتو والعناد وكما انه عليه السلام عرف ذلك بالاستقراء عرفه بالنص ايضا
فانه عليه الصلاة والسلام دعا عليهم بعد ان اوحى الله تعالى اليه انه لن
يؤمن من قومك الا من قد آمن فحينئذ دعا عليهم بذلك لما أيس من ايمانهم وبقي
باطراد النجاسة في جميعهم وانه يجب تطهير وجه الارض منهم فاجاب الله
تعالى دعاءه واهلكهم جميعا فان قيل ما بال صبيانهم اغرقوا فلما اغرقوا لا على
وجه التعذيب كما يموتون بسائر الاسباب فكم من صبي يموت بالغرق والحرق
والهدم وغيرها وكان ذلك زيادة في تعذيب الآباء والامهات اذا ابصروا
اطفالهم يغرقون ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في مثله يهلكون مهلكا
واحدا ويصدرون مصادر شتى وقيل لم يكن فيهم صبي وقت العذاب لانه
تعالى اخرج كل من يؤمن من اصلابهم وارحام نسائهم اعقم ارحام نسائهم
وايبس اصلاب رجالهم قبل الطوفان باربعين سنة وقيل سبعين سنة فلم يكن
معهم صبي حين اغرقوا ويؤيده قوله تعالى وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم
ولم يوجد التكذيب من الاطفال (قوله لمك بن متوشلخ) فانه عليه الصلاة
والسلام هو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه الصلاة
والسلام ابن يرد بن مهلائيل بن يونس بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم عليه
الصلاة والسلام قال وهب وكلهم مؤمنون ارسل عليه الصلاة والسلام الى
قومه وهو ابن خمسين سنة وقال ابن عباس ابن اربعين سنة وقيل بعث وهو
ابن ثلاثمائة وخمسين سنة روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال اول نبي
ارسل نوح وارسل الى جميع اهل الارض ولذلك لما كفروا اغرق الله تعالى
اهل الارض جميعا ثم انه عليه الصلاة والسلام لما دعا باهلاك من علم انه لا يرجى
منه الايمان على وجه العموم والاستغراق دعا بالمغفرة لجميع المؤمنين والمؤمنات
الا انه خص نفسه اولا بالدعاء ثم ذكر من هو اشد اتصالا به ثم ذكر من هو دونه
في الاتصال به لكونهم اولى واحق بدعائه لهم ثم ذكر عامة المؤمنين والمؤمنات

(الا ان تذرهم يضلوا
عبادك ولا يلدوا الا فاجرا
كفارا) قال ذلك لما
جربهم واستقرى
احوالهم الف سنة
الا خمسين عاما فعرف
شيمهم وطباعهم
(رب اغفر لي ولوالدي)
لمك بن متوشلخ وشمخاء
بنت انوش وكانا مؤمنين
(ولمن دخل بيتي)
منزلي او مسجدي او سفينتي
(مؤمنا وللمؤمنين
والمؤمنات) الى يوم
القيامة (ولا تزد الظالمين
الا تبارا) هلاكا ❊
عن النبي عليه الصلاة
والسلام من قرأ سورة
نوح كان من المؤمنين
الذين تدركهم دعوة نوح
عليه الصلاة والسلام

الى يوم القيامة ثم ختم الكلام بالدعاء على الكافرين مرة اخرى فقال ولا تزد الظالمين الا تبارا اى هلاكا فاستجاب الله تعالى دعاءه فاهلكهم بالكلية ونجاه ومن معه من المؤمنين بسبب السفينة قال مقاتل حمل نوح فى السفينة ثمانين نفسا اربعين رجلا واربعين امرأة وفيهم اولاده الثلاثة وروى انس عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان الداعى للمؤمنين والمؤمنات يعطى له بعدد كل مؤمن فى الارض حتى اولهم وآخرهم مثل الذى دعا لهم من كل مؤمن فى الارض وعن انس انه عليه الصلاة والسلام قال ان الداعى للمؤمنين والمؤمنات يقام يوم القيامة ونبى الله تعالى عليه فى الاولين والآخرين خيرا بدعائه لهم ويؤجره مثل اجورهم اجمعين ولا ينقص من اجورهم شئ كذا فى التيسير * تمت سورة نوح عليه افضل الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين

(سورة الجن مكية)

* بسم الله الرحمن الرحيم *

(قوله وقرئ احى) يعنى ان القراءة المشهورة اوحى على لفظ الماضى المبنى للمفعول من باب الافعال وقرئ وحى بضم الواو وكسر الحاء وهما لغتان بمعنى يقال وحى اليه واوحى اليه اذا كلمه كلاما بخفية والايحاء القاء المعنى الى النفس فى خفاء كالالهام وانزال الملك وقرئ احى بضم الهمزة من غير واو واصله وحى قلبت الواو همزة كما فى اقتت واجرت وهذا القلب جائز فى كل واو مضمومة وجوزه المازنى فى المكسورة ايضا كاشاح واعاء اخيه (قوله تعالى انه استمع) لا خلاف فى فتح همزة انه فيه لوقوعها موقع المفرد من حيث انه قائم مقام الفاعل لاوحى وضمير انه للشأن اى اوحى الى ان الشأن استمع القرآن نفر من الجن حذف مفعول استمع لدلالة ما بعده عليه وهو قوله انا سمعنا قرآنا (قوله والجن اجسام عاقلة خفية) كثير من الفلاسفة ينكرون وجود الجن فى الخارج روى ان ابا على بن سينا حد الجن بانه حيوان هوائى يتشكل باشكال مختلفة ثم قال وهذا شرح للاسم اى بيان لمدلول هذا اللفظ مع قطع النظر عن انطباقه على حقيقة خارجية سواء كان معدوما فى الخارج او موجودا ولم يعلم وجوده فيه فان التعريف الاسمى لا يكون الا كذلك بخلاف التعريف الحقيقى فانه عبارة عن تصوير ماله حقيقة خارجية فى الذهن وجمهور ارباب الملل المصدقين بالانبياء قد اعترفوا بوجوده واعترف به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة ايضا واختلف المثبتون على قولين الاول ان الجن اجسام عاقلة خفية والقول الثانى انهم ليسوا اجساما ولا جسمانية لا بمعنى انها ركبتها الذات تعالى فى ذاتى مشترك الجرم انما ربما تعاقب بعض جسم والجرم يرك الواحب ثم

(سورة الجن مكية وآيها ثمان وعشرون)
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(قل اوحى الى) وقرئ أحى واصله وحى من وحى اليه فقلبت الواو همزة لضمتها ووحى على الاصل وفاعله (انه استمع نفر من الجن) والنفر ما بين الثلاثة الى العشرة والجن اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية والهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها

ان تلك الجواهر المجردة مختلفة بالماهية وان كانت متشاركة في بعض الاوصاف العرضية فبعضها خيرة كريمة مائلة الى الخيرات وبعضها دنيئة خسيسة مائلة الى الشرور والآفات والحزن فقد تكون من هذه عالية عن تدبير الاجسام بالكلية وهي الملائكة المقربون وقد تكون متعلقة بتدبير الاجسام واشرفها حملة العرش ثم الحافون حول العرش ثم ملائكة الكرسي ثم ملائكة السموات طبقة طبقة ثم الملائكة المتعلقة بتدبير عالم البسائط العنصرية ثم ملائكة عالم المركبات المعدنية والنباتية والحيوانية ثم صلحاء الجن فانها خيرة مشرقة خيرة والكدرة الشريرة السيئة هي المسماة بالشياطين والماردين من الجن وكل نوع من هذه الانواع المختلفة بالماهية يقدر على افعال شاقة عظيمة تعجز عنها قوة البشر وقيل الجن نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها فانها حال تعلقها بابدانها ان استكملت بالفضائل العلمية والعملية ثم فارقت عنها ازدادت قوة وكمالا بسبب ما في ذلك العالم الروحاني من انكشاف الاسرار الروحانية وان تخلفت وتعطلت عن الفضائل والكمالات وانهمكت في قضاء الشهوات الجسمانية وسلكت سبيل الغواية في كل باب من ابواب الاعمال والعقائد تكون بعد مفارقتها عن بدنها باقية على غوايتها فاذا اتفق ان حدث بدن آخر مشابه للبدن الذي فارقت تلك النفس عنه فبسبب تلك المشابهة يحصل لتلك النفس المفارقة تعلق ما بهذا البدن وتصير تلك النفس المفارقة كالمعاونة لنفس ذلك البدن في افعالها وتدبيرها في ذلك البدن فان الجنسية علة الضم فان اتفقت هذه الحالة في النفوس الخيرة سمى ذلك المعين ملكا وتلك الاعانة الهاما وان اتفقت في النفوس الشريرة سمى ذلك المعين شيطانا وتلك الاعانة وسوسة (قوله وفيه دلالة على انه عليه الصلاة والسلام ما رآهم) كما ذهب اليه ابن عباس حيث قال انطلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وادركهم وقت صلاة الفجر وهم بنخلة فاحدهم عليه السلام يصلي باصحابه صلاة الفجر فرغا لهم نفر من الجن وهم في الصلاة فلما سمعوا القرآن استمعوا له ثم رجعوا الى قومهم فقالوا ياقومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا فانزل الله تعالى على نبيه قل اوحي الى انه استمع نفر من الجن اي استمع القرآن نفر منهم ووجه دلالة الآية على انه عليه الصلاة والسلام لم يرهم انه عليه السلام لو رآهم لما استند معرفة هذه الواقعة الى الوحي فان ما عرف وجوده بالمشاهدة لا يستند اثباته الى الوحي وذهب ابن مسعود رضي الله تعالى عنه الى انه عليه الصلاة والسلام امر بالمسير الى الجن ليقرأ القرآن عليهم ويدعوهم الى الاسلام حيث قال عليه السلام

وفيه دلالة على انه عليه الصلاة والسلام ما رآهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبر الله به رسوله (فقالوا) لما رجعوا الى قومهم (انا سمعنا قرآنا) كذا

امرت ان اقرأ القرآن على الجن فمن يذهب معي فسكتوا ثم قال الثانية فسكتوا ثم قال الثالثة فقال عبد الله انا اذهب معك يا رسول الله قال فانطلق حتى اذا جاء الحجون عند شعب ابي دب خط علي خطا فقال لا تجاوزه فانك ان فعلت لم ترني ولم ارك الى يوم القيامة ثم مضى الى الحجون فانحدروا عليه امثال الحجل كأنهم رجال الزط حتى غشوه فغاب عن بصري ثم اومأ الي ان اجلس ثم تلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع ولصقوا بالارض حتى صرت لا اراهم قال الامام واعلم انه لا سبيل الى تكذيب الروايات وطريق الجمع بين مذهب ابن عباس ومذهب ابن مسعود رضي الله تعالى عنهم من وجوه احدها لعل ما ذكره ابن عباس وقع اولا فاوحى الله تعالى اليه بهذه السورة ثم امر بالخروج اليهم بعد ذلك كما روى ابن مسعود وثانيها يحتمل ان تكون واقعة الجن مرة واحدة ويجوز ان يؤمر عليه السلام بالذهاب اليهم ويقرأ القرآن عليهم ويدعوهم الى الاسلام الا انه صلى الله تعالى عليه وسلم ما رآهم وما عرف انهم ماذا قالوا واي شيء فعلوا فالله سبحانه وتعالى اوحى اليه انه كان كذا وكذا وقالوا كذا وكذا وثالثها ان تكون الواقعة مرة واحدة وهو عليه الصلاة والسلام رآهم وسمع كلامهم وهم آمنوا به ثم لما رجعوا الى قومهم قالوا لقومهم على سبيل الحكاية انا سمعنا قرآنا عجبا وكان كذا وكذا فاوحى الله تعالى الى رسوله ما قالوه لاقوامهم وقيل ان الجن اتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دفعتين احداهما بمكة وهي التي ذكرها ابن مسعود والثانية بنخلة وهي التي ذكرها ابن عباس ثم قيل ان الجن الذين اتوه بمكة جن نصيبين وهي قرية باليمن غير التي بالعراق والذين اتوه بنخلة جن غيرهم (قوله بديعا مباينا) اشارة الى ان العجب وان كان مصدرا في الاصل الا انه ههنا بمعنى العجيب المبالغ وهو الذي يعجب منه لحسن نظمه وصحة معانيه من حيث انه يدعو الى الرشد وهو التوحيد والطاعة وانه وضع موضع العجيب للمبالغة وهو ما خرج عن حد اشكاله ونظائره (قوله وقرأ ابن كثير والبصريان بالكسر) لكونه معطوفا على قوله انا سمعنا وهي مكسورة لانها لكونها محكية بعد القول وقد اتفق القراء على كسر الهمزة اذا وقعت بعد القول او بعد فاء الجزاء وقد اجمعوا على فتح الهمزة في قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع وعلى كسرها في قوله تعالى انا سمعنا والبواقي تحتمل عليهما فما كان من الموحى مفتوح وما كان من قول الجن مكسور فابن كثير والبصريان جعلوا الجميع من قول الجن وكسروا الهمزة فيها الا اربعة مواضع وهي قوله تعالى قل اوحي الي

(عجبا) بديعا مباينا لكلام الناس في حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة (يهدي الى الرشد) الى الحق والصواب (فآمنا به) بالقرآن (ولن نشرك بربنا احدا) على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد (وانه تعالى جد ربنا) وقرأ ابن كثير والبصريان بالكسر على انه من جملة المحكي بعد القول وكذا ما بعده الا قوله وان لو استقاموا وان المساجد لله وانه لما قام عبد الله فانه من جملة الموحى به

انه استمع وان لو استقاموا وان المساجد لله وانه لما قام عبد الله فانهم فتحوا الهمزه فيها بناء على انها من جملة الموحى به وان في قوله وان لو استقاموا مخففة من الثقيلة معطوفة على معمول اوحى كأنه قيل اوحى اليه انه استمع وان لو استقاموا والضمير للشأن فيها وكذا قوله وان المساجد لله معطوفة عليه ففتحت الهمزه لذلك وقيل لان التقدير ولان المساجد لله فلا تدعوا وحذف الجار في مثله شائع كثير (قوله ووافقهم نافع) اى في القراءة بالكسر في غير المواضع المستثناة من تلك المواضع وكذا في قوله وانه لما قام اما على الاستئناف او على كونها من قول الجن (قوله وفتح الباقون الكل) لفظ الكل على ظاهره لانه لاخلاف في كسر ما كان محكيا بعد القول فينبغي ان يكون مراده بالكل كل ما كان مقترنا بالواو العاطفة وقرينة التخصيص قوله على ان ما كان من قولهم معطوف على محل الجار والمجرور ولم يجعله معطوفا على لفظ الجار والمجرور لعدم ذكر الجار في المعطوف ولا على لفظ المجرور لان البصريين لايجوزون العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار في المعطوف وان اجازه الكوفيون ولما كان محل الجار والمجرور النصب على انه مفعول به غير صريح لآمنا كان ماعطف عليه ايضا كذلك فكان في موضع المفرد ففتح فكأنه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا (قوله مستعار من الجد الذي هو البخت الخ) يعني ان الجد في اللغة يكون بمعنى العظمة ومنه حديث عمر رضي الله عنه كان الرجل منا اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا وفي رواية جد في اعيننا اي جل قدره وعظم ويكون بمعنى الدوله والغنى والبخت ايضا ومنه حديث لاينفع ذا الجد منك الجد اى لاينفع ذا الغنى غناه وانما ينفعه الطاعة منك وكذلك الحديث الآخر قمت على باب الجنة فاذا عامة من يدخلها الفقراء واذا اصحاب الجد محبوسون يعني اصحاب الغنى في الدنيا فالجد في الآية يجوز ان يراد به العظمة وهو ظاهر وان يراد به ملك الله تعالى وسلطانه او استغناؤه المطلق الذاتي تشبيها لكل واحد منهما ببخت الملوك والاغنياء وغناهم لان الملوك والاغنياء هم المجدودون فسمى المشبه باسم الجد والبخت على سبيل الاستعارة (قوله والمعنى) اى المراد الاخبار بتعالى جده سواء كان الجد بمعنى العظمة او السلطان او استغنائه تعالى عن الصاحبة والولد اكتفى بذكر الملزوم عن ذكر اللازم ثم بين كون المراد ذلك بقوله ما اتخذ صاحبة ولاولدا فهو استئناف لبيان ان المعنى ذلك كأنه قيل وما اماره فردانيته بتعالى الجد فقيل ما اتخذ صاحبة ولاولدا وقرئ تعالى جدا ربنا بنصب جدا على التمييز من النسبة ورفع ربنا على الفاعلية والمعنى تعالى ربنا جدا ثم قدم المميز كما في قولك حسن وجها زيد وقرئ جد ربنا

ووافقهم نافع وابو بكر الا قوله وانه لما قام على انه استئناف او مقول وفتح الباقون الكل الا ما صدر بالفاء على ان ما كان من قولهم معطوف على محل الجار والمجرور في به كأنه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اى عظمته من جد فلان في عيني اى عظم ملكه وسلطانه او غناه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقوله (ما اتخذ صاحبة ولاولدا) بيان لذلك وقرئ جدا التمييز وجد بالكسر اى صدق ربوبيته كأنهم سمعوا من القرآن ما نبههم على خطأ ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد

ايضا بكسر الجيم هو صفة الرجل وصفة الوالي في الامور ايضا فالمعنى تعالى صفة ربوبيته وحق الوهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد والمراد انه لا يشبه شيئا من سمات الاحتياج والحدوث فان الصاحبة والولد انما يتخذان للحاجة اليهما في الاستئناس والتذكر وبقاء النسل بعد فوت الوالد وكل ذلك من توابع الامكان والحدوث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فهم اولا من الشرك ونفيا فيه رد على النصارى واليهود (قوله تعالى وانه كان يقول سفيهنا) ضمير انه للشأن واسم كان ضمير فيها وهو ضمير الشأن ايضا والجملة التي بعد كان مفسرة لاسم كان لانه ضمير لم يتقدمه ظاهر يعود هو اليه فلابد من جملة تفسره وهي في موضع خبر كان (قوله قولا ذا شطط) يعني ان الشطط في نظم الآية صفة مصدر محذوف ولما كان الشطط عبارة عن مجاوزة الحد والقدر في اي شئ كان احتيج الى تقدير المضاف لان القول لا يوصف بانه في نفسه بعد عن الحق ومجاوزة الحد الا على طريق المبالغة كما في رجل عدل وامثاله قول شاطط او ذو شطط بتقدير المضاف لذلك ثم اشار الى جواز كونه من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة فقال فرط ما اشطط اي ابعد ذلك السفيه في ذلك القول الدال على نسبة الصاحبة والولد اليه تعالى (قوله اعتذار) كأنهم قالوا ظننا ان الشأن لن يقول الانس والجن على الله كذبا فلذلك صدقنا سفهاءنا في ان لله شريكا وصاحبة وولدا فلما سمعنا القرآن وتبين لنا انه الحق علمنا انهم قد كذبوا عليه تعالى وهذا منهم اقرار بانهم انما وقعوا في تلك الجهالة بسبب التقليد وانهم انما تخلصوا من تلك الظلمات ببركة الاستدلال والتفكر في آيات الله تعالى (قوله جعله مصدرا) اي مصدرا مؤكدا لفعله لان كذبا بمعنى قولا كاذبا فكأنه قال لن تقول تقولا ولا يجوز ان يكون صفة لقولا المحذوف المؤكد لفعله لان التقول لا يكون الا كذبا فلا فائدة في توصيفه بالكذب وان قدرت من التأويل اي ظننا انه والضمير للشأن وكذا ضمير انه في قوله وانه كان رجال اي وان الشأن كان رجال من الانس ورجال اسم كان ومن الانس صفة لرجال وكذا من الجن ويعوذون خبر كان ورهقا مفعول ثان لزاد واختلفوا في فاعله فقيل الانس اي فزاد الانس الجن باستعاذتهم بهم كبرا وعتوا حتى قالوا سدنا الجن والانس وفطموا بذلك من كفرهم وقيل بل فاعله هو الجن اي فزاد الجن الانس بذلك طغيانا في الكفر فان الانس اذا عاذوا بهم وامنوا في منازلهم ظنوا ان ذلك من الجن فازدادوا رغبة في طاعة الشياطين وقبول وساوسهم والمصنف اشار الى جواز الوجهين وقدم الوجه الاول قال مقاتل اول من تعوذ بالجن قوم من اهل اليمن ثم قوم من بني حنيفة ثم فشا ذلك في العرب فلما جاء الاسلام عاذوا بالله وتركوهم روى

(وانه كان يقول سفيهنا) ابليس او مردة الجن (على الله شططا) قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد او هو شطط لفرط ما اشطط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله تعالى (وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا) اعتذار عن اتباعهم للسفيه في ذلك بظنهم ان احدا لا يكذب على الله وكذبا نصب على المصدر لانه نوع من القول او الوصف لمحذوف اي قولا مكذوبا فيه ومن قرأ لن تقول كيعقوب جعله مصدرا لان التقول لا يكون الا كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) فان الرجل كان اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه (فزادوهم) فزادوا الجن باستعاذتهم بهم

عن رجل انه قال خرجت مع ابى الى المدينة اول ما ذكر مبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأوانى المبيت الى راعى غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فحمل حملا من الغنم فقال الراعى يا عامر الوادى جارك الله فنادى مناديا يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل فى الغنم ولم يصبه كدمة فانزل الله تعالى على رسوله بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا اى زاد الانس الجن خطيئة والرهق الاثم فى كلام العرب واضيفت الزيادة الى الجن اذ كانوا سببا لها اوزاد الانس الجن كفرا وغيا فان الانس باستعاذتهم بالجن كانوا سببا لزيادة غيهم (قوله والرهق فى الاصل غشيان الشئ) اى اتيانه على وجه استيلاء والاحاطة بالذى قال تعالى ولا رهق وجوههم قتر ولا ذلة استعمل فيما يأتى من نحو الاثم والشر والكبر والغى نقل عن الامام الواحدى انه قال الرهق غشيان الشئ ومنه قوله تعالى ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ورجل مرهق اى يغشاه السائلون والمعنى ان رجال الانس انما استعاذوا بالجن خوفا من ان يغشاهم الجن ثم انهم زادوا فى ذلك الغشيان فانهم لما تعوذوا بهم ولم يتعوذوا بالله تعالى استذلوهم واجترأوا عليهم فزادوهم ظلما وعلى هذا القول زادوا من فعل الانس والقول الاول هو اللائق بسياق الآية والموافق لنظمها (قوله والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض اواستئناف كلام من الله) الآية الاولى هى قوله تعالى وانهم ظنوا كما ظننتم فعلاها على ان تكون من كلام الجن ما قال مقاتل ان مؤمنى الجن لما رجعوا الى قومهم منذرين كذبوهم فقال مؤمنوا الجن لكفارهم وانهم يعنون كفار الانس ظنوا ظنا مثل ظنكم يامعشر الجن ان الشأن لن يبعث الله احدا بالرسالة بعد عيسى او بعد موسى اولن يبعث الله احدا بعد الموت للحساب والجزاء ثم انهم لما بعث الله اليهم سيد المرسلين محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالقرآن المعجز آمنوا به وصدقوه فى جميع ما اخبر به فافعلوا انتم يا معشر الجن مثل ما فعله الانس ومعناها على ان تكون من جملة الوحى اى وان الجن ظنوا كما ظننتم يا كفار قريش ان لن يبعث الله رسولا الى خلقه تقيم به الحجة عليهم اولن يبعث الله الخلق بعد موتهم فالمقصود تأكيد الحجة على قريش بانه اذا آمن هؤلاء الجن بمحمد النبى الامى وبما اخبر به فانتم احق بذلك وكونهما من كلام الجن اظهر واولى لان ما قبلهما وما بعدهما من كلام الجن وادخال كلام اجنبى بين كلامهم غير مناسب واشار بقوله ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى به الى ان جريان الاحتمالين انما هو على تقدير القراءة بكسر ان فيهما واما على تقدير القراءة بالفتح فالاحتمال الثانى هو المتعين (قوله سادمسد

(رهقا) كبرا وعتوا او فزاد الجن الانس غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق فى الاصل غشيان الشئ (وانهم) وان الانس (ظنوا كما ظننتم) ايها الجن او بالعكس والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض او استئناف كلام من الله ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى به (ان لن يبعث الله احدا) ساد مسد

مفعولي ظنوا) اعمل الفعل الاول وهو ظنوا مع ان ظننتم ايضا يقتضي مفعولين والتنازع مثله عند البصريين اعمال الثاني ولعل الوجه في اختياره اعمال الاول ان ما في قوله كما ظننتم مصدرية فيكون الفعل بعدها في تأويل المصدر والفعل اقوى من المصدر في العمل فلا يجوز عنه المصدر فيه فتعين اعمال الفعل الاول (قوله طلبنا بلوغ السماء) بان يكون اللمس مستعارا للطلب بتقدير المضاف اى بلوغ السماء وجه المشابهة الطلب باللمس من حيث ان كل واحد منهما يؤدي الى غاية مطلوبة فان اللمس يؤدي الى ادراك ما يدرك باللمس كما ان الطلب يؤدي الى ادراك المطلوب فسمى الطلب باسم اللمس ثم اشتق منه لمسنا بمعنى طلبنا فهو استعارة تبعية (قوله اسم جمع يعني ان الحرس بفتحتين اسم مفرد في معنى الجمع وهو الحراس فانه جمع حارس وهو الحافظ كما ان الخدم اسم مفرد بمعنى الخدام جمع خادم ولكونه مفرد اللفظ وصف بشديد وقوله فوجدناها بمعنى اصبناها وصادفناها فيتعدى الى مفعول واحد وهو ها وجملة ملئت حال ولا بد في مثلها من كلمة قد ظاهرة او مقدرة وان لم تكن ظاهرة ههنا فهي مقدرة ويحتمل ان يكون من افعال القلوب المتعدية الى اثنين فيكون جملة ملئت في موضع المفعول الثاني اى علمناها مملوءة وحرسا تمييز نحو امتلأ الاناء ماء وشهبا عطف على حرسا وهو في الاعراب حكمه وهي جمع شهاب وهو الشيء المضيء الذي يتولد من نار الكواكب التي هي زينة للسماء يرى كأن كوكبا انقض وترجم به الشياطين لانا نعلم ان الكواكب ومردة الجن كانوا يقعدون في مواضع القعود من السماء لاستماع الاخبار من اهل السماء والقائها الى الكهنة فحرسها الله تعالى حين بعث رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بان رمى المسترقة منهم بالشهب المحرقة ولذلك قالوا فمن يستمع الآن يجد لها شهابا رصدا اى كنا قبل هذا الوقت نسمع فالآن من حاول الاستماع رمينا بالشهب (قوله مقاعد خالية عن الحرس) على ان يكون للسمع صلة لنقعد وقوله او صالحة للترصد على ان يكون صفة لمقاعد (قوله اى شهابا راصدا له) على ان يكون الشهاب بمعنى المضيء المتولد من نار الكواكب ويكون رصدا مصدرا بمعنى فاعل ومنصوبا على انه صفة شهابا اى شهابا راصدا له ولاجله فان الشهاب لما كان معدا له صار كأنه راصده مراقب اياه ليهلكه (قوله او ذوي شهاب راصدين) على ان يكون رصدا اسم جمع لراصد كالحرس ويكون شهابا بمعنى ملائكة ذوي شهاب بتقدير المضاف ويكون رصدا صفة له والمعنى يجد له ملائكة ذوي شهاب راصدين له اى يرجمونه ويمنعونهم من الشهب فان قيل قوله تعالى فمن يستمع الآن يدل على ان الرجم لم يكن قبل بعثته صلى الله

معفولي ظنوا (وانا لمسنا السماء) طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه (فوجدناها ملئت حرسا) حراسا اسم جمع كالخدم (شديدا) قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها (وشهبا) جمع شهاب وهو المضيء المتولد من النار

تعالى عليه وسلم وقوله تعالى وجعلناها رجوما للشياطين يدل على انه كان قبل ذلك لانه لما ذكر خلق الكواكب فائدتين التزيين ورجم الشياطين وكانت فائدة التزيين حاصلة قبل البعثة وجب ان تكون الفائدة الاخرى حاصلة قبلها ايضا اجيب عنه بان ذكر تلك الفائدتين لا يقتضي اقترانهما بحسب الزمان ويجوز ان يكون المعنى وجعلناها بحيث تصلح لان يرجم بها فان الرجم مصدر سمي به مايرجم به ويؤيد هذا المعنى ماروي عن جماعة من المفسرين ان السماء لم تكن تحرس في الفترة بين عيسى وبين خاتم النبين عليهما الصلاة والسلام خمسمائة عام فلما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منعوا من السماء وحرست بالملائكة والشهب قال ابى بن كعب كان ذلك موجودا قبل عيسى عليه الصلاة والسلام وبعده الى ان رفع الى السماء ولم يرم بنجم بعدما رفع حتى بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما بعث رمى بها فرأت قريش امرا مارأوه قبل ذلك فجعلوا يسيبون انعامهم ويعتقون رقابهم يظنون انه فناء العالم فبلغ ذلك بعض اولي رأيهم فقال لم فعلتم ما ارى قالوا رمي بالنجوم فرأيناها تتهافت من السماء فقال اصبروا فان تكن نجوما معروفة فهو وقت فناء العالم وان كانت نجوما لا تعرف فهو امر حدث فنظروا فاذا هي نجوم لا تعرف فاخبروه فقال في الامر مهلة وهذا يكون عند ظهور نبي فامكثوا الايسرا حتى ظهر وانتشر بعثة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والاقرب الى الصواب ان هذه الشهب كانت موجودة قبل البعثة الا انها زيدت بعد البعثة زيادة ظاهرة ومنعت الجن عن استراق خبر السماء رأسا لئلا يلتبس على الناس احوال الرسول المستندة الى الوحي باقوال الكهنة المأخوذة من الشياطين مما استرقوا من اقوال اهل السماء وهذا القول يؤيده نظم القرآن وهو قوله فوجدناها ملئت حرسا فانه يدل على ان الحادث الآن هو الملئ والكثرة وقوله تعالى نقعد منها مقاعد اي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية عن الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال ماقرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الجن وماراٰهم ولكنه عليه الصلاة السلام انطلق في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا مالكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وارسل علينا الشهب قالوا ما ذاك الا من شئ حدث فاضربوا في مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو بنخل يصلي باصحابه صلاة الصبح فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم وقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا الآية فأوحى الله تعالى الى نبيه عليه الصلاة والسلام قل اوحي

(وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) مقاعد خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع صلة لنقعد او صفة لمقاعد (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) اي شهابا راصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم اوذوي شهاب راصدين على انه اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك في الصافات

الى انه استمع نفر من الجن رواه الشيخان في صحيحيهما (قوله تعالى أشر) يجوز ان يكون مبتدأ واريد بمن في الارض خبره وان يكون فاعل فعل محذوف يدل عليه ما بعده اي اريد شر وهذا احسن لتقدم طالب الفعل وهو اداة الاستفهام (قوله المؤمنون الابرار) فسر الصالحين بهم اي بالابرار الكاملين في الصلاح لانه جعل دون ذلك مرفوع المحل على انه صفة مبتدأ محذوف اي ومنا قوم دون ذلك في الصلاح وهم المقتصدون وما يكون ادنى من المقتصدين الابرار ويجوز ان لا يكون ظرفا بل يكون بمعنى غير ويكون مرفوع المحل على الابتداء وبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن اي ومنا غير الصالحين وهذا قول الجن اي قال بعضهم لبعض لما دعوا اصحابهم الى الايمان بسيد المرسلين انا كنا قبل استماع القرآن دون الصالحين اي مؤمنين دون الطبقة الاولى في اعمال الخير اذ المؤمنون بالانبياء المتقدمين مقصرون في اعمال الخير وما احدثنا ايماننا بمحمد عليه الصلاة والسلام ما لم يكن فينا ويدل عليه انه كان في زمن موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام منهم المؤمنون حتى قالوا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فهذا ارتقاء منهم في الايمان لما رجعوا اليهم منذرين (قوله ذوي طرائق) لما لم يمكن حمل الكلام على حقيقته لامتناع كون انفس الذوات طرائق ومذاهب اوله ثلاثة اوجه الاول تقدير ما اضيف الى طرائق والثاني حمل الكلام على التشبيه البليغ والثالث تقدير ما اضيف الى اسم كان وتقدير موصوف قددا اي كانت طرائقنا طرائق قددا وقيل تقدير الكلام كنا في طرائق فحذف كقوله كما عسل الطريق الثعلب اي في الطريق والاول اصل المعنى قال سعيد بن المسيب معنى الآية كنا مسلمين ويهودا ونصارى ومجوسا وقال الحسن الجن امثالكم فمنهم قدرية ومرجئة ورافضة وشيعة (قوله علمنا) يعني ان الظن هنا بمعنى اليقين لان الاعتقاد بان العبد لا يفوت الله تعالى ولن يسبقه سواء كان مستقرا في الارض او هاربا منها الى السماء من العقائد الدينية التي يجب الايمان بها والايمان لا يحصل بالظن فلذلك فسره باليقين وقوله في الارض وهربا حالان من فاعل نعجز اي لن نعجزه كائنين في الارض اينما كنا فيها او هاربين منها الى السماء ولن نعجزه عن امضاء ما اراد بنا سواء كنا ثابتين مستقرين في الارض او هاربين منها من موضع الى آخر ومحصول المعنى على الوجه الثاني ان الفرار وعدمه سيان في ان شيئا منهما لا ينفعنا في دفع مراده فينا وفائدة ذكر الارض حينئذ الاشارة الى ان الارض مع سعتها وانبساطها ليست بمنجى منه تعالى ولا مهربا ويحتمل ان يكون اللام على الوجه الثاني للعهد اي لن نعجزه سواء ثبتنا في ارضنا الى

(وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض) بحراسة السماء (ام اراد بهم ربهم رشدا) خيرا (وانا منا الصالحون) المؤمنون الابرار (ومنا دون ذلك) اي قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون (كنا طرائق) ذوي طرائق اي مذاهب او مثل طرائق في اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق (قددا) متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع (وانا ظننا) علمنا (ان لن نعجز الله في الارض) كائنين في الارض اينما كنا فيها (ولن نعجزه هربا) هاربين منها الى السماء او لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا (وانا لما سمعنا الهدى) اي القرآن

(آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف) فهو لا يخاف وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمن
واختصاصها به (بخسا
ولا رهقا) نقصا في الجزاء
ولا ان يرهقه ذلة او جزاء
بخس ولا رهق لانه لم يبخس
حقا ولم يرهق ظلما لان
من حق الايمان بالقرآن
ان يجتنب ذلك (وانا منا
المسلمون ومنا القاسطون)
الجائرون عن طريق
الحق وهو الايمان
والطاعة (فمن اسلم فاولئك
تحروا رشدا) توخوا
رشدا عظيما يبلغهم
الى دار الثواب (واما
القاسطون فكانوا لجهنم
حطبا) توقد بهم كما توقد
بكفار الانس (وان لو
استقاموا) اي ان الشان
لو استقام الجن او الانس
او كلاهما (على الطريقة)
المثلى (لأسقيناهم ماء
غدقا) لوسعنا عليهم
الرزق وتخصيص الماء
الغدق وهو الكثير
بالذكر لانه اصل المعاش
والسعة ولعزة وجوده
بين العرب (لنفتنهم فيه)
لنختبرهم كيف يشكرونه
وقيل معناه ان لو استقام
الجن على طريقتهم القديمة
ولم يسلموا باستماع القرآن
لوسعنا عليهم الرزق
مستدرجين لهم لنوقعهم
في الفتنة ونعذبهم في كفرانه (ومن يعرض عن ذكر ربه) عن عبادته او موعظته او وحيه

سكن فيها ام هرب منها الى موضع آخر واللام على الاول لاستغراق اجزاء الارض والمهروب اليه العالم العلوي المباين للارض (قوله فهو لا يخاف) قدر المبتدأ وجعل قوله لا يخاف خبرا عنه وجعل الجملة الاسمية المصدرة بالفاء جزاء الشرط والجزاء اذا كان جملة اسمية يجب دخول الفاء عليها لان حرف الشرط لما لم يؤثر في الجزاء من حيث الاعراب لكون الجملة لا يظهر فيها الاعراب وجب دخول الفاء لتدل على انها جزاء الشرط (قوله وقرئ فلا يخف على ان لا ناهية وصحت الفاء الدالة على الجزائية لما تقرر ان الجزاء اذا كان جملة طلبية كالامر والنهي يجب مقارنتها لعلامة الجزاء ولا يجوز كونها نافية والا لاستغنى عن الفاء بجزم الجزاء ودلالته على الجزائية (قوله والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به) جواب عن قول صاحب الكشاف فان قلت اي فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبرا له ووجوب ادخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بان يقال لا يخف كما في قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم وتقرير الجواب نعم انه كذلك الا انه التزم ذلك لانه يفيد تقوي الحكم وتقرره في ذهن السامع بسبب تكرار الاسناد الحاصل بسبب تقديم المسند اليه وتخصيص الخبر الفعلي بالمسند اليه المتقدم بحيث لا يشاركه فيه غيره وليس المراد بقوله واختصاصها به ان تقدير المبتدأ يفيد مجموع التقوي والتخصيص لان اجتماعهما في مثل هو عرف وانت عرفت خلاف ما ذهب اليه الشيخ عبد القاهر والسكاكي وانما يفيد التخصيص اذا اعتبر ان المقدم كان مؤخرا على انه فاعل معنى ثم قدم ليفيد التخصيص وانما لم يعتبر ذلك بل اعتبر كونه مبتدأ محضا فلا يفيد الا التقوي (قوله او جزاء بخس) بتقدير المضاف اي لا يخاف جزاء بخس ولا جزاء رهق على ان البخس والرهق من افعال المكلف لا من افعال الباري تعالى كما في الاول (قوله وانا منا المسلمون الآية) من كلام الجن لاصحابهم تحريضا لهم على الاسلام وبيان احوال الفريقين اي منا بعد استماع القرآن من اسلم ومنا من كفر والقاسط الجائر لانه عادل عن الحق والمقسط العادل لانه عادل عن الجور يقال قسط اذا جار واقسط اذا عدل روي ان الحجاج قال لسعيد بن جبير ما تقول في قال انك قاسط عادل فقال الحاضرون ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة جعلني جائرا كافرا وتلا قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وهذا من اقوال الجن وقوله تعالى وان لو استقاموا على الطريقة من جملة الموحى به اي اوحي الي ان الشأن استمع نفر من الجن وان الشأن لو استقاموا على طريقة

الاسلام لوسعنا عليهم في الدنيا ووسطنا لهم في الرزق وكلفناهم بالشكر
فيه لنعلم كيف يشكرونه العدق بفتح الدال مصدر غدق الماء يغدق بكسر
العين في الماضي وفتحها في المضارع اذا غزر وصف به الماء للمبالغة في غزارته
كرجل عدل (قوله تعالى يسلكه عذابا) اصله يسلكه في عذاب لقوله تعالى
ما سلككم في سقر وقولهم سلك الخيط في الابرة فحذف الجار واوصل الفعل
كما في قوله تعالى واختار موسى قومه والصعد مصدر صعد يصعد صعدا
وصعودا وصف به العذاب لانه يصعد المعذب اي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه
فقوله عذابا صعدا بمعنى ذا صعد ومشقة او عذابا صاعدا شاقا فدم ان القراء
السبعة اتفقوا على فتح ان في قوله تعالى وان المساجد لله على انه من جملة الموحى به
والفاء في قوله فلا تدعوا سببية اي اذا كان الامر كذلك فلا تدعوا فيها غيره
وذهب الخليل الى ان تقدير الآية ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام
متعلقة بلا تدعوا اي فلا تدعوا مع الله احدا في المساجد لانها لله خاصة واعادته
فالمعبد اشار الى صعفه بانه حينئذ يلزم الغاء فائدة الفاء السببية لان معنى السببية
يستفاد حينئذ من لام التعليل عن قتادة انه قال كان اليهود والنصارى اذا دخلوا
كنائسهم وبيعهم اشركوا فامر الله تعالى ان يخلص المسلمون له الدعوة اذا
دخلوا مساجدهم (قوله لانه قبلة المساجد) تعليل لاطلاق لفظ المساجد
وهو جمع على المسجد الحرام والمساجد في قوله قبلة المساجد جمع مسجد بفتح
الجيم وهو مصدر ميمي بمعنى السجود او اسم مكان بمعنى موضع السجود يعني
ان المسجد الحرام وان كان مكانا معينا الا انه تعدد اعتبارا من حيث ان كل
جزء منه قبلة لسجدة الساجدين بوجه كل ساجد في سجدته الى جزء من اجزائه
فكان المسجد الحرام مساجد باعتبار كون اجزائه جهاتا للسجود (قوله
ومواضع السجود) على ان المراد النهي عن السجود لغير الله تعالى مرفوع
بالعطف على قوله المسجد الحرام وكذا قوله وآرابه السبعة وقوله والسجدات
ووجد في بعض النسخ بدل هذا النظم بعد قوله لانه قبلة المساجد هكذا وقيل
مواضع السجود على ان المراد النهي عن السجود لغير الله تعالى وبآرابه السبعة
وبالسجدات وقوله على انه جمع مسجد اي بفتح الجيم متعلق بالتفاسير الاربعة
المذكورة بقوله وقيل المسجد الحرام الى آخره فان المسجد بالفتح يصح ان يكون
مصدرا بمعنى السجود واسما لكل السجود اي ما يسجد به من الآراب السبعة
فانها مواضع السجود من الجسد قال عطاء مساجد اعضائك التي امرت بالسجود
عليها لا تذللها لغير خالقها قال عليه الصلاة والسلام امرت ان اسجد على سبعة
آراب وهي الوجه واليدان والركبتان والقدمان والآراب الاعضاء جمع ارب

(يسلكه) يدخله (عذابا صعدا) شاقا يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به (وان المساجد لله تعالى) مختصة به (فلا تدعوا مع الله احدا) فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل ان مقدرة باللام علة للنهي الغى فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على ان المراد النهي عن السجود لغير الله وآرابه السبعة والسجدات على انه جمع مسجد (وانه لما قام عبد الله) اي النبي

وهو القصو واصله ءاراب بهمزبين كجمل واجمال والمساجد على قدر كونه جمع مسجد بمعنى السجود جمع مع ان الاصل في المصدر ان لايثنى ولايجمع لقصد الانواع فان انواع السجود مختلفة باختلاف اوقات الصلوات الخمس وتلاوة آيات السجود (قوله وانما عدل ذكر لفظ العبد) يعنى ان الظاهر ان يقال وان الشأن لما قام ادعوه اي اعبده كادوا يكونون علي لبدا الا ان هذا الكلام من جملة الموحى به الا انه عدل عن الضمير الى الاسم الظاهر لفائدتين التواضع والاشعار بما هو سبب قيامه وعبادته لله تعالى وهو كونه عبدا له (قوله اوكاد الجن والانس) عطف على قوله كاد الجن الاول على ان تقرأوانه بفتح الهمزة و يكون الكلام من جملة الموحى به والثاني على ان تقرأ بكسر الهمزة وهي قراءة نافع وابى بكر على انه ابتداء كلام من الله تعالى اوعلى انه من قول الجن لقومهم بان قالوا حين رجعوا اليهم لما قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي كاد كفار الانس والجن يتلبدون و يتظاهرون عليه ليبطلوا الحق الذي جاء به و يطفؤا نور الله فابى الله الا ان ينصره و يظهره على من عاداه يريدون بهذا القول تقبيح حال الكفرة والطعن عليهم في اجتماعهم على الناصح الامين وطلب منعه عن اظهار ما جاء به من الحق المبين مع كونه موافقا لقانون العقل ومقتضى الحكمة ومؤيدا بالشواهد والمعجزات الباهرة واصل المقصود ترغيب قومهم في قوله والانقياد له (قوله وهو جمع لبدة) يعنى ان الجمهور قرؤا لبدا بكسر اللام وفتح الباء المخففة وهو جمع لبدة كقربة وقرب واللبدة الشيء المتلبد اي المتراكب الملاصق بعضه فوق بعض والمعنى كادوا يكونون عليه جماعة متراكمة مزدحمة وقرئ لبدا بضم اللام وفتح الباء مشددة وهو جمع لابد كسجدا في جمع ساجد وقرئ لبدا بضم اللام والباء خفيفة وهو جمع لبود كصبر في جمع صبور (قوله بوجب تعجبكم اوالطافكم على مقتى) لف ونشر مرتب فاذا كان معنى الآية المتقدمة واوحى الى لما قام عبد الله كاد الجن يتلبدون علي وتعجب مما رأوا من عبادتي لله تعالى وحده متبرئا من الشرك والاوثان كاهو دأبهم لانهم رأوا مالم يروا مثله وسمعوا مالم يسمعوا نظيره فلاجرم ازدحموا عليه متعجبين يكون معنى قوله قال انما ادعوا ربي انه عليه الصلاة والسلام قال للجن عند ازدحامهم عليه متعجبين مما رأوا وسمعوا ليس ما ترون من عبادتي لله تعالى ورفضي الاشراك به بمتعجب منه وانما يتعجب ممن يدعو غير الله و يجعل له شريكا وان كانت الآية المتقدمة ابتداء كلام من الله تعالى او من قول الجن وكان معناها كاد الانس والجن يزدحمون عليه و يتظاهرون لابطال امره يكون معنى الثانية انه عليه الصلاة والسلام قال للمتظاهرين عليه انما

وانما ذكر لفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضى لقيامه (يدعوه) يعبده (كادوا) كاد الجن (يكونون عليه لبدا) متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما رأوا من عبادته وسمعوا من قراءته اوكاد الجن والانس يكونون عليه مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة وهي لغة وقرئ لبدا كسجدا جمع لابد ولبدا بضمتين كصبر جمع لبود (قال انما ادعوربي ولااشرك به احدا) فليس ذلك ببدع ولامنكر يوجب تعجبكم او اطباقكم على مقتى وقرأ عاصم وحمزة قل على الامر للنبي عليه الصلاة والسلام ليوافق ما بعده

ادعوا ربي اي ما ادعوكم اليه امر منكر انما ادعو ربي وحده ولا اشرك به احدا وليس ذلك مما يوجب اطباقكم على مقتي وعداوتي وقيل سبب نزول هذه الآية ان كفار قريش قالوا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انك جئت بامر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا ونحن نجيرك فانزل الله تعالى قل انما ادعو ربي على قراءة حمزة وعاصم ومن قرأ قال حمل ذلك على ان القوم لما قالوا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك اجابهم بقوله انما ادعو ربي فحكى الله تعالى عنه ذلك بقوله قال (قوله ولا نفعا) اي يجوز ان يفسر الرشد بالنفع على طريق اطلاق اسم السبب وارادة المسبب ويجوز ان يكون الرشد بمعناه ويكون الضر بمعنى الكفر والغي على طريق اطلاق اسم المسبب وارادة السبب فان الرشد سبب النفع والضر مسبب عن الغي وعبر به حتى يكون في نظم الكلام اشعار بالمعنيين الاول لا املك لكم ضرا ولا نفعا والثاني لا املك لكم غيا ولا رشدا وكلا المعنيين مناسب للمقام فان النافع والضار والمرشد والمغوي هو الله تعالى وان احدا من الخلق لا يقدر على شيء فان وان اردت منكم الاهتداء والرشد بالايمان والطاعة ونهيتكم عن الغي بالكفر والعصيان فانكم ما تقوون الا البتة والتظاهر على عداوتي وبغضي فليس في يدي اجباركم على الرشد ولا اغواؤكم في الكفر والغي وليس في يدي ايضا اضراركم بالعقوبة على الكفر والغي ولا نفعكم بالاثابة على الرشد والايمان (قوله مفرا وملجأ) فان اللحد في دين الله والحد فيه اي مال عنه وعدل وقيل للملجأ ملتحد لان اللاجئ يميل اليه اي لن يمنعني مما قدره الله تعالى علي من السوء احد ان عصيته ولن اجد من دونه ملتحدا لا يعدل اليه الا هو (قوله فان التبليغ ارشاد وانفاع) اي انه استثناء متصل من قوله لا املك لكم ضرا ولا رشدا بناء على ان تبليغ الرسالة من جنس الرشد وفائدة الاعتراض تأكيد نفي الاستطاعة المدلول عليه بقوله لا املك (قوله او من ملتحدا) اي لن اجد موضعا امل اليه في الالتجاء الا بلاغا اي لا ينجيني ولا يجيرني الا ان ابلغ عن الله ما ارسلت به (قوله او معناه ان لا ابلغ بلاغا) على ان لا يكون الكلام استثناء بل شرطا والاصل ان لا افعل ثم وان شرطية وفعلها محذوف وهو ابلغ حذف لدلالة مصدره عليه ولا نافية والمعنى ان لا ابلغ بلاغا من الله فلن يجيرني منه احد وهذا الوجه ضعيف لان حذف فعل الشرط بعد ان انما يقل جدا ... (قوله عطف على بلاغا) ... لا املك الا التبليغ والرسالة من الله ... اي بلاغا كائنا من الله تعالى ...

(قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا) ولا نفعا او غيا ولا رشدا عبر عن احدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه او مسببه اشعارا بالمعنيين (قل اني لن يجيرني من الله احد) ان اراد بي سوءا (ولن اجد من دونه ملتحدا) مفرا وملجأ (الا بلاغا من الله) استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد وانفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا او معناه ان لا ابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب (ورسالاته) عطف على بلاغا ومن الله صفة فان صلته عن كقوله بلغوا عني ولو آية

(قوله

(قوله في الامر بالتوحيد) اشارة الى الجواب عن استدلال المعتزلة بهذه الاية على ان عصاة المؤمنين مخلدون في النار ووجه الاستدلال ان العصيان المذكور فيها عام يتناول كل ما يصدق عليه انه عصيان ومخالفة للامر سواء كان عصيان الكفر او عصيان الفسق وقد حكم على العاصي بهذا المعنى العام بانه مخلد في النار ابدا فثبت مدعى جمهور المعتزلة وتقرير الجواب عن استدلالهم ان العصيان وان كان يتناول كل ما يصدق عليه انه عصيان الا انه قد تقرر ان العام يجوز تخصيصه بامور منها تخصيصه بالقرائن المعاقبة والعصيان المذكور في الاية من هذا القبيل فان المقصود من امره عليه الصلاة والسلام بان يقول لمشركي قريش ايها المصرون على الشرك قد اوحي الى ان الجن استمع هذا القرآن نفر من الجن فآمنوا به وبوحدانيته تعالى وتنزهه عن الشرك والصاحبة والولد ثم دعوا قومهم الى ان يؤمنوا به هو توبيخ مشركي مكة باصرارهم على الشرك كانه قيل ما لكم تصرون على الشرك والعناد مع طول ما دعوتكم الى التوحيد وتلوت عليكم من القرآن ما يدل على بطلان الشرك والجن قد آمنوا بالقرآن وتبرأوا من الشرك اول استماعهم اياه ثم ولوا الى قومهم منذرين عن الشرك وسوء عاقبته فظهر ان المقصود المهم في هذه السورة الدعوة الى التوحيد والامر به والنهي عن الشرك والاصرار عليه فهذا قرينة واضحة على ان المراد بالعصيان المذكور فيها العصيان في الامر بالتوحيد فكانه قيل ومن يعص الله ورسوله فيما امر به من التوحيد واصر على الشرك والضلال فانه مخلد في النار ابدا فليس في الاية دلالة على ما ادعاه جمهور المعتزلة من خلود عصاة المؤمنين (قوله والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثاني) اي المشار اليه بقوله او كاد الجن والانس يكونون عليه مجتمعين لابطال امره والمعنى كاد المشركون من الجن والانس يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون انصاره ويستقلون عددهم حتى اذا رأوا ما يوعدون في الدنيا من وقعة بدر واظهار دين الله تعالى عليهم او من يوم القيامة فسيعلمون حينئذ من اضعف ناصرا واقل عددا وان فسر قوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الاول وقيل اي يزدحمون عليه تعجبا مما رأوا وسمعوا منه يكون ما بعد حتى غاية لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعددهم والمعنى لا يزالون على هذه الحال حتى اذا رأوا ما يوعدون تبين حينئذ ان المستضعف من هو ومن في قوله تعالى من اضعف يجوز ان تكون موصولة في موضع النصب بقوله فسيعلمون ويكون اضعف خبر مبتدأ محذوف اي فسيعلمون الذي هو اضعف وان تكون استفهامية مرفوعة المحل على الابتداء واضعف خبرها والجملة في موضع النصب سادة مسد

(ومن يعص الله ورسوله) في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه (فان له نار جهنم) وقرئ فان على فجزاؤه ان (خالدين فيها ابدا) جمعه للمعنى (حتى اذا رأوا ما يوعدون) في الدنيا كوقعة بدر او في الاخرة والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثاني او لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم له (فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا) هو امهم

مفعولي العلم لانها معلقة للعلم ولهذا وناصرا وعددا منصوبان على التمييز قال مقاتل لما سمعوا قوله تعالى حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا واقل عددا قال النضر بن الحارث متى يكون هذا الذي توعدنا به فأنزل الله تعالى قل ان ادري أقريب ما توعدون الآية والمعنى ان وقوعه متيقن به واما وقته فغير معلوم اه (قوله تعالى أقريب) خبر مقدم وما توعدون مبتدأ ويجوز ان يكون أقريب مبتدأ وان لم يكن مسندا اليه لوقوعه بعد الف الاستفهام وما توعدون فاعل له سد مسد الخبر وما موصولة والعائد محذوف اى أقريب الذي توعدونه [illegible] فان قيل أليس قال عليه الصلاة والسلام بعثت انا والساعة كهاتين فكان عالما بقرب وقوع القيامة فكيف قال ههنا لا ادري أقريب ام بعيد والجواب ان المراد بقرب وقوعه هو ان ما بقي من الدنيا اقل مما انقضى فهذا القدر من القرب معلوم واما قرب بمعنى كونه بحيث يتوقع وقوعه في اى ساعة فغير معلوم (قوله على الغيب المخصوص به علمه) احترز به من اضافة الغيب الى ذاته المقدس فان اضافته [illegible] صاحب الكشاف [illegible] انه تعالى عالم بجميع ما غاب عن الخلق بناء على ان اللام في الغيب للاستغراق ثم بين انه لا يطلع على الغيب الذي يختص به علمه الا المرتضى الذي يكون رسولا [illegible] الاشارة الى ان ما لا يختص به علمه تعالى يطلع عليه غير الرسول اما بواسطة الانبياء عليهم الصلاة والسلام او نصب الدلائل وترتيب المقدمات او بان يلهم الله تعالى بعض الاولياء وقوع بعض المغيبات في المستقبل بواسطة الملك والحمل على هذا المعنى متعين ليطابق ان ليس مراد الله تعالى بهذه الآية انه تعالى لا يطلع احدا على شيء من المغيبات الا الرسل لظهور انه قد يطلع على شيء من الغيب غير الرسل كما اشتهر ان كهنة فرعون اخبروا بظهور موسى عليه الصلاة والسلام وزوال ملك فرعون على يده وان بعض الكهنة اخبر بظهور نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ظهوره زمانا ونحو ذلك من المغيبات وكانوا صادقين وارباب الملل والاديان يطلعون على علم [illegible] فيخبرون عن وقوع الوقائع الآتية في المستقبل ويكون صادقا (قوله ويستدل به على ابطال الكرامات) وجه الاستدلال انه تعالى خص الرسل من بين الخلائق بالاطلاع على الغيب واصحاب الكرامات من الاولياء ليسوا رسلا فلا يطلعون على الغيب فلا كرامة لهم بالاطلاع على ما سيقع في المستقبل من الغيبات [illegible] ان المراد بالرسول الملك [illegible] بواسطة الملائكة [illegible]

(قل ان ادرى) ما ادرى (اقريب ما توعدون ام يجعل له ربى أمدا) غاية تطول مدتها كأنه لما سمع المشركون حتى اذا رأوا ما يوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كائن لا محالة ولكن لا ادرى وقته (عالم الغيب) هو عالم الغيب (فلا يظهر) فلا يطلع (على غيبه أحدا) اى على الغيب المخصوص به علمه (الا من ارتضى) لعلم بعضه حتى يكون له معجزة (من رسول) بيان لمن ويستدل به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير واسطة وكرامات الاولياء على المغيبات انما تكون تلقيا من الملائكة كاطلاعنا على احوال الآخرة بتوسط الانبياء (فانه يسلك من بين يديه) من بين يدى المرتضى (ومن [illegible] رصدا) حرسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاطفهم

يخص الاظهار بغير واسطة الملك وذلك لاينافي اطلاع الاولياء على بعض من الغيوب باعيانهم من الملائكة الهاما تهم الصادقة وفيه بحث لان تخصيص الرسول بالملك يستلزم ان يكون اطلاع كل واحد من الاولياء والرسل على الغيب بواسطة الملك فلا يكون اخبار الانبياء عن المغيبات معجزة لهم وقد اشتهر بين العلماء انه تعالى يطلع رسله على مايشاء من الغيب ليستدل على نبوتهم بالآية المعجزة وهي الاخبار عن الغيب على ما هو به والاظهر في الجواب ان يقال الرسول من البشر يتلقى من الملك بالذات والولي لايتلقى بالذات بل بواسطة تصديقه بالنبي فلا حاجة الى تخصيص الرسول بالملك لان معنى الآية لايطلع على الغيب المخصوص به علمه الا الرسول من البشر فانه تعالى يطلعه عليه بواسطة ان يتلقاه من الملك وبالذات ولايطلع الولي عليه بان يتلقاه من الملك بالذات وذلك لاينافي ان يتلقاه من الملك بواسطة تصديقه بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه يجوز ان يتلقى النبي الغيب من غير واسطة الملك كما صرح به المصنف في قوله تعالى آخر حمعسق وماكان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا حيث قال ان المراد بالوحي مايعم المشافهه به كما روي في حديث المعراج والاسراء فانه يدل على انه تعالى قد اظهر النبي على بعض المغيبات بلا واسطة فكيف يجوز تخصيص الرسول بالملك وقوله على الغيب المخصوص به علمه قسم ما نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الآخر واحواله وهو المراد بقوله يؤمنون بالغيب ثم انه تعالى ذكر انه يحفظ ذلك الذي يطلع عليه الرسول وهو جبريل عليه الصلاة والسلام فقال فانه يسلك اي يدخل من بين يديه اي يدي الرسول ومن خلفه رصدا اي حرسا من الملائكة يحفظون الوحي من ان يسترقه الشيطان فيلقيه الى الكهنة فيخبرون به قبل اخبار الرسول (قوله اي ليعلم النبي الموحى اليه) فقوله ليعلم متعلق بمحذوف دل عليه الكلام كانه قال اخبر بانه يحفظ الوحي عن اختطاف الشياطين ليعلم رسول البشر ان رسل الملائكة ابلغوا رسالات ربهم كما هي (قوله او ليعلم الله) اي ليعلم ان الانبياء قد ابلغوا رسالات ربهم كما هي اي يعلم تبليغهم الرسالات كما هي موجودة واصل المعنى ليبلغ الانبياء رسالات ربهم كما هي محروسة عن الزيادة والنقصان وعبر عن هذا المعنى بعلمه تعالى تبليغهم اياها كما هي لكونه ابلغ في الدلالة على تحقق التبليغ على الوجه المذكور كناية عن وجوده لكونه لازماله ومتفرعا عليه وقد تقرر ان ذكر الشيء كناية ابلغ من التصريح به وقوله ليتعلق علمه به موجودا مبني على ان نفس علم الله تعالى ليس مما

ليعلم أن قد أبلغوا) اي ليعلم النبي الموحى اليه ان قد ابلغ جبرائيل والملائكة النازلون بالوحي او ليعلم الله تعالى ان قد ابلغ الانبياء بمعنى ليتعلق علمه به موجودا (رسالات ربهم) كما هي محروسة من التغيير (واحاط بما لديهم) بما عند الرسل (واحصى كل شيء عددا) حتى القطر والرمل * عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا او كذب به عتق رقبة

يتفرع على وجود شيء من الحوادث بل المتفرع عليه هو تعلقه بالاحوال
الحادثة على حسب ما هي عليه والتبدل والتغير انما هو في المعلوم لا في العلم
فانه تعالى يعلم جميع الجزئيات على وجه جزئي فقبل وجودها يعلم انها
ستحدث وبعد عدمها يعلم انها عدمت وقبل ذلك يعلم انها ستوجد وتعدم
ولما كان المراد من العلم المتفرع العلم الذي يتعلق به الجزاء وذلك هو العلم بكونه
موجودا قيد التفرع بقوله موجودا والمعنى ليعلمه موجودا والعلم انما
يتعلق بالشيء موجودا بعد وجود الشيء واما قبل وجوده فانما يعلم بانه
سيوجد لا انه موجود فان ذلك لا يكون علما بل هو جهل والعلم بانه
سيوجد لا يتعلق به الجزاء * تمت سورة الجن والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

(سورة المزمل مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قوله وبالمزمل) اي بفتح الزاي وفتح الميم على انه اسم المفعول وهو
الذي زمله غيره وبكسر الميم وفتح الزاي ايضا اي المزمل نفسه فهو على صيغة
المفعول من زمله في ثوبه اي لفه فيه وزمل في ثيابه اي تدثر وتلفف بها
وازدمله اي احتمله والزمل الحمل (قوله لانه كان نائما او مرتعدا) فلما كان
عليه الصلاة والسلام نائما بالليل متزملا في قطيفة فنودي بما يهجن
اليه تلك الحالة التي كان عليها من التزمل للنوم كما يفعل من لا يهمه امر
ولا يعنيه شأن وقيل يا أيها النائم المتزمل بثوبه قم واشتغل بالعبادة امره عليه
الصلاة والسلام ان يختار التهجد على التزمل ويؤيد هذا المعنى امره عليه الصلاة
والسلام بالقيام الى الصلاة بعده وهو قوله تعالى قم الليل اي قم للصلاة وقيل
كان في اول ما اوحي اليه فلما سمع صوت الملك ونظر اليه اخذته الرعدة والحمى
فاتى اهله وقال زملوني دثروني فاتاه وكذلك اذ جاء جبريل عليه الصلاة والسلام
وناداه وقال يا أيها المزمل تهجينا لما كان عليه وقيل ليس فيه تهجين لحاله بل
كان تهوينا عليه وتحسينا لحاله اذ روي انه عليه الصلاة والسلام كان
متزملا في مرط لعائشة رضي الله تعالى عنها وهو يصلي وقيل عليه ان
هذه السورة مكية وهذه الرواية تدل على انها مدنية لانه عليه الصلاة والسلام
لم يبن بها الا بالمدينة واجيب بانه يجوز ان يكون عليه الصلاة والسلام
قد ابتنى ببنت ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قبل ذلك وكان بعض
المرط على عائشة وهي داخلة فيه والباقي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وليس في هذه الرواية ما يدل على ان هذه الواقعة كانت بعد البناء بها حتى ينافي ما روي

(سورة المزمل مكية وآيها تسع عشرة او عشرون)
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(يا أيها المزمل) اصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاي وقد قرئ به وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورها اي الذي زمله غيره او زمل نفسه سمي به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تهجينا لما كان عليه لانه كان نائما او مرتعدا مما دهشه بدء الوحي متزملا في قطيفة او تحسينا له اذ روي انه عليه الصلاة والسلام كان يصلي متلففا بمرط مفروش على عائشة فنزل او تشبيها له في تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد في قيام الليل او من زمل الزمل اذا تحمل الحمل اي الذي تحمل اعباء النبوة

انه تزوجها في شوال سنة عشر من النبوة قبل الهجرة بثلاث ولها ست سنين واعرس بها بالمدينة وهي بنت سبع سنين وناداه صلى الله تعالى عليه وسلم بالمزمل تحسين لحاله التي كان عليها وجعل هذا النداء ذريعة الى الامر بالمداومة على تلك الحال الحسنة (قوله اي قم الى الصلاة اوداوم عليها) الاول على ان يكون اشارة على ان تسميته بالمزمل للتهجين والثاني على ان يكون للتحسين (قوله وقرئ بضم الميم) يعني قرأ العامة قم الليل بكسر الميم لالتقاء الساكنين وقرئ بضمها اتباعا لحركة القاف وبفتحها لخفة الفتحة والليل ظرف للقيام ان استغرقه الحدث الواقع فيه وحد الليل من غروب الشمس الى طلوع الفجر وضمير نصفه على تقدير كونه بدلا من قليلا راجع الى الليل وضمير منه وعليه راجعان الى النصف والمعنى قم الى الصلاة في الزمان المحدود المسمى بالليل لا في الجزء القليل منه وهو نصفه او انقص القيام من نصفه اورد عليه كأنه قيل قم نصف الليل او انقص من النصف اورد عليه وهو مخير بين قيام النصف بتمامه والزائد عليه والناقص منه (قوله وقلته بالنسبة الى الكل) اي لا بالنسبة الى النصف الآخر لان كل واحد من النصفين يجب ان يكون مساويا للنصف الآخر ولايتصور ان يكون اقل منه (قوله اونصفه بدل من الليل) بدل البعض من الكل وقوله الا قليلا مستثنى من قوله نصفه مقدم عليه كانه قيل قم اقل من نصف الليل كالثلث ثم ان كان ضمير منه وعليه لما هو اقل من النصف يكون المعنى حينئذ النقص من ذلك الاقل والزيادة عليه ويكون التخيير بين ان تقوم فيما هو اقل من النصف كالثلث وبين ان تقوم فيما هو انقص من ذلك الاقل كالربع وبين ان تقوم فيما هو ازيد منه كالنصف (قوله اوالنصف) عطف على قوله للاقل من النصف اي على تقدير ان يكون نصفه بدلا من الليل ويكون الا قليلا مستثنى من نصفه يجوز ان يكون ضميره وعليه للنصف ويكون المعنى حينئذ قم اقل من نصف الليل كالثلث او انقص من النصف قليلا بان تقوم الربع مثلا اورد على النصف ويفهم من ظاهر النظم ان يكون التخيير بين ثلاثة امور لان فيه حرفي عطف وليس كذلك اذ ليس ههنا الا امران فقط وهما القيام في اقل من النصف او في ازيد منه لان مدلول قولنا قم نصف الليل الا قليلا ودولنا او انقص من نصفه واحد فلم يبق الا الامران فقط فلذلك جعل احد شقي التخيير ان تقوم فيما هو اقل من نصف الليل على البت وجعل شقه الآخر ان تختار احد الامرين وهما القيام فيما هو اقل من النصف والقيام فيما هو اكثر منه (قوله او الاستثناء من اعداد الليل) عطف على قوله والاستثناء

(قم الليل) اي قم الى الصلاة اوداوم عليها وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع او التخفيف (الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا اوزد عليه) الاستثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث او نصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير في منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الاقل منه كالربع والاكثر منه كالنصف او للنصف والتخيير بين ان تقوم اقل منه على البت وان تختار احد الامرين من الاقل والاكثر او الاستثناء من اعداد الليل فانه عام والتخيير بين قيام النصف والناقص منه والزائد عليه

من الليل جوز ايلا ان يكون الاستثناء من ساعات الليل واجزائه فان يكون تعريف الليل للاستغراق اجزائه ثم جوز ان يكون من افراده واعداده كأنه قيل قم في جميع الليالي الا قليلا منها اذ ادخلها مع لا بد فيها من عذر ويمنعك من القيام فيها ثم بين ما تقوم به من اجزاء الليل الذي يقوم فيه وهو قيام النصف والانقص منه والازيد عليه وقيل هذا التخيير على حسب طول الليالي وقصرها فالنصف اذا استوى الليل والنهار والانقص منه اذا قصر الليل والزيادة عليه اذا طال الليل قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان قيام الليل كان فريضة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله تعالى قم الليل وظاهر الامر انه للوجوب ثم نسخ واختلفوا في سبب النسخ فقيل انه كان فرضا قبل ان فرض الصلوات الخمس ثم نسخ بها وقيل ان قيام الليل كان فريضة عليه وعلى المؤمنين مع كونهم مخيرين بين المقادير المذكورة فكان الرجل لا يدري في اي مقدار من الليل يصلي وكم يقوم فكان يقوم الليل كله مخافة ان لا يحفظ القدر الواجب وشق عليهم ذلك حتى انتفخت اقدامهم فرحمهم الله تعالى وخفف عنهم فنسخ فريضته بقوله في آخر هذه السورة فاقرؤا ما تيسر من القرآن وكان بين ايجاب قيام الليل ونسخه سنة كاملة وقيل ستة اشهر (قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا) هو من ثغر الثاء وكسرها اذا كان متباعدا ما بينها فيقال ثغر رتل اذا كان بين الثنايا افتراق فالترتيل مصدر مؤكد لفعله الدال على ايجاب الترتيل اكده ايجابا بالمصدر ليعلم انه لا بد للقاري منه لكن هو من حضره من الملائكة في حالة التلاوة وليستعين على تدبر المعاني فان ذلك يساعد على حضور القلب الى ذكر الله وان في الحروف والكلمات ما لو قرئ بتأمل الى معانيه والوقوف على ما تضمنه من الدقائق والمعاني كان معرفة الله تعالى ما لا يدرك الا بتدبر اسرار الكلام الالهي (قوله والجملة اعتراض) اي بين قوله يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا وبين قوله ان ناشئة الليل يا ايها المزمل بالقول المناسب له في سطر هذا المقام ليسهل عليه ما كلفه به فكأنه تعالى قال امرتك بقيام الليل لانا سنلقي عليك قولا ثقيلا فلا بد ان تسعى في ضرورة تسلك فيه وتستعد الى تلقي ذلك القول العظيم وذلك الاستعداد لا يحصل الا بصلاة الليل فان النفس تستعد بها الى تلقي الفيض الالهي من حيث ان الشواغل الحسية والعوائق الجسمانية تكون ساكنة في الليل الغفلة ثابتة عن الانسان فيها تقاومه فيه وقال كلام منور بانوار وتجليات تريد ماسها واتصالا بعالم الغيب فتستعد الى المعارف الالهية والالهامات الربانية (قوله ويدل على انه) اي التهجد مطلوب على قوله يسهل التكليف ان التهجد بالمعنى الدال على ان المطلوب قيام الليل من جملة

(ورتل القرآن ترتيلا) اقرأه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا (انا سنلقي عليك قولا ثقيلا) يعني القرآن فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اذ كان عليه ان يتحملها ويحملها امته والجملة اعتراض يسهل عليه التكليف بالتهجد ويدل على انه

التكاليف الثقيلة التي تشتمل عليهـا القرآن فعلك بملازمة هذا التكاليف والاستئناس به ألا تثقل عليك امثاله (قوله مشق) بالميم الظاهر انه تحريف من الناسخين والاصل شق بكسر الشين وهي الشقة قال تعالى لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس يقال شق على الشئ يشق شقا ومشقة والاسم الشق بالكسر ولم يسمع اشق على فهو مشق (قوله اورصين) اي محكم ثابت وهو عطف على قوله ثقيل على المكلفين والرزانة الوقار والثقل يعني اوان ثقله عباره عن بلاغته واعجازه بحسب النظم ودقة المعاني فالثقل على الاول راجع الى ثقل العمل به وعلى هذا الى ان جهات حسنة وكماله ثابتة مستقرة لا تزول ابدا كثبوت الشئ الثقيل في محله (قوله فيفصم) اي تقلع يقال افصم المطر اي اقلع وانجلى (قوله ليرفض) اي يرشح عرقا (قوله وعلى هذا) اي على ان يكون قولا ثقيلا صفة للمصدر لا للمفعول به اي سنلقي القاء ثقيلا وقول الشاعر

نشأنا الى خوص برى نيها السرى ❊ والصق منها مشرفات القماحد

نشأنا اي نهضوا الخوصاء الناقة الغائرة العينين والذكر اخوص وجمعهما خوص والني الشحم واللحم يقال ناقة ناوية اي سمينة ونوى اي سمين وبرى اي اذهب واذاب من برى القلم بريا وبريت البعير اذا حسرته واذهبت لحمه والسرى سير الليل والصق اي طأطأ ونكس وفاعله ضمير السرى والقماحد جمع قمحدوة وهي القفا الذي هو مؤخر الرأس ومعقد الازرار والمعنى انا الى نوق غائرات الاعين اذاب لحمها وشحمها سير الليل وجعلها مهرولة ضعيفة وجعل السرى قماحدها المشرفة المرتفعة من السمن لاصقة منخفضة من الهزال اي اي نبا الها وراحلناها والناشئة على هذا صفة لمحذوف اي النفس القائمة من مضجعها بالليل للعبادة (قوله اوقيام الليل) على ان الناشئة مصدر كالعاقبة من نشأ اذا قام (قوله اوساعات الليل) على ان يكون الناشئة صفة ساعات الليل الناشئة اي الحادثة شيئا بعد شئ الجوهري ناشئة الليل اول ساعاته يقال نشأ يفعل كذا اذا ابتدأ واقبل شيئا بعد شئ فهو ناشئ وانشأه الله فنشأ قال زين العابدين ناشئة الليل ما بين المغرب الى العشاء لان ناشئة الليل هي الساعة التي منها تبتدأ انشاء الليل وفيدها ابن عباس والحسن بما كان بعد العشاء وما كان قبلها فليس ناشئة وخصصتها عائشة بما كان بعد النوم فلو لم يتقدمها نوم لم تكن ناشئة وقيل الليل كله ناشئة (قوله اي كلفة او ثبات قدم) بمعنى ان وطأ بفتح الواو وسكون الطاء وقصر الالف وهو مصدر قولك وطئ الشئ اذا داسه برجله او جعل عليه ثقله فان النفس القائمة بالليل الى العبادة اشد وطأ من التي تقوم بالنهار

مشق مضاد للطبع مخالف للنفس اورصين لرزانة لفظه ومتانة معناه اوثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية السر وتجريد النظر اوثقيل في الميزان او على الكفار والفجار اوثقيل تلقيه لقول عائشة رضي الله تعالى عنها رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على هذه الاوجه للتعليل مستأنف فان التهجد يعد للنفس ما به يعالج ثقله (ان ناشئة الليل) ان النفس التي تنشأ من مضجعها الى العبادة من نشأ من مكانه اذا نهض قال ❊ نشأنا الى خوص برى نيها السرى ❊ والصق منها مشرفات القماحد ❊ اوقيام الليل على ان الناشئة له او العبادة التي تنشأ بالليل اي تحدث به اوساعات الليـل لانها تحدث واحدة بعد اخرى اوساعاتها الاول من نشأت اذا ابتدأت

(هي اشد وطئا) اي كلفة او ثبات قدم وقرأ ابو عمرو وابن عامر وطاء اي مواطأة القلب اللسان لها او فيها او موافقة لما يراد من الخضوع والاخلاص (واقوم قيلا) واسد مقالا او اثبت قرآءة لحضور القلب وهدوء الاصوات (ان لك في النهار سبحا طويلا) تقلبا في مهامك واشتغالا بها فعليك بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعي فراغا وقرئ سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعارا من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه (واذكر اسم ربك) ودم على ذكره ليلا ونهارا وذكر الله يتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقرآءة قرآن ودراسة علم (وتبتل اليه تبتيلا) وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضع موضعه تبتلا (رب المشرق والمغرب) خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره (لا اله الا هو) وقرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو

على ان يكون الوطء عبارة عن الكلفة والثقل كما قال اشتددت على القوم وطأة سلطانها اذ ثقل عليهم معاملة معهم. وفي الحديث اللهم اشدد وطأتك على مضر والمقصود من الكلام بيان ان صلاة الليل من حيث انها اشد كلفة بيان انها اكثر ثوابا لان ثواب العبادة على قدر شدة الوطأة وثقلها كما قال عليه الصلاة والسلام افضل العبادات احمزها اي اشقها او على ان يكون عبارة عن ثبات القدم فان النهار زمان اضطراب المعاش وكثرة الشواغل الموجبة لاضطراب القلب للمعاش فلا يكون القائم بالعبادة فيه ثابت القدم عليها ويكون المقصود حينئذ بيان وجه اختيار الليل وتخصيصه بالامر بالقيام فيه فانه تعالى جعل الليل لباسا يستر الناس ويمنعهم من الاضطراب والانقلاب الى اكتساب المعاش وجعل النهار معاشا منتشرون فيه لامور معاشهم فلا يثبت فيه اقدامهم للعبادة (قوله اي مواطأة القلب) تفسير لقرآءة ابي عمرو وابن عامر وطاء بكسر الواو وفتح الطاء ومد الالف لان المواطأة هي الموافقة يقال واطأت فلانا على كذا مواطأة ووطاء اذا وافقته فان فسرت الناشئة الليل بالنفس الناشئة بالليل من مضجعها يكون المعنى انها اشد من جهة مواطأة القلب اللسان لها وان فسرت بقيام الليل او بالعبادة الناشئة بالليل او الساعات الناشئة بالليل بمعنى الحادثة او المبتدأة يكون المعنى ان الناشئة باحد المعاني اشد من جهة موافقة قلب القائم لسانه في تلك الناشئة (قوله واسد مقالا او اثبت قرآءة) يعني انه يجوز ان يكون اقوم اسم تفضيل من القيام بمعنى السداد والاستقامة وان يكون من القيام بمعنى الثبات والاستقرار وهدوء الاصوات سكونها يقال هدأ هدأ وهدوءا سكن واهدأه غيره اسكنه والسبح التصرف في المعاش والتقلب في الامور ومنه السابح في الماء وسبخ الصوف والقطن جعله منفوشا لينفصل اجزاؤه وينتشر (قوله وجرد نفسك عما سواه) اشارة الى ان تبتيلا مصدر مؤكد لفعله المحذوف المدلول عليه بالاسم لان التبتل لا يكون الا بالتبتيل وتقدير الكلام تبتل اليه فبتل نفسك عما سواه تبتيلا (قوله ولهذه الرمزة) يعني ان الظاهر ان يقال وتبتل اليه تبتلا او يقال بتل نفسك عما سواه تبتيلا لكن لم يرد النظم هكذا لرمزة خفية وهي ان المقصود بالذات انما هو التبتل والانقطاع الى الله تعالى وذلك لا يحصل الا بتبتيل النفس وقطعها عن التعلق بما سواه فذكر اولا التبتل اشعارا بانه المقصود بالذات وذكر التبتيل ثانيا اشعارا بانه لابد منه وان كان مقصودا بالعرض لانه لا يتاتى الانقطاع الى الله بدون التعلق بغير الله فلا يكون مقصودا بالذات وفي وضع التبتيل مقام التبتل رعاية الفواصل ايضا

(قوله)

(قوله فان توحده بالالوهية تقتضى ان يوكل اليه الامور) لان جميع ماسواه يكون ممكنا محدثا محتاجا الى غيره فكيف تصلح ان يكون موكولا اليه الامور ومن عرف انه لااله الاهو لاجرم فوض جميع الامور اليه ومن لا تفوض ذلك اليه فهو لا يعلم بحقيقة لا اله الاهو ومن اتخذه وكيلا يستريح من معارضة زيد وعمرو والاغتمام على ما فاته من المقاصد لانه يتحقق عنده ان قيام الله تعالى باصلاح امره احسن من قيامه باصلاح امور نفسه فيقع فى دائرة التسليم والرضى فيستريح ثم انه تعالى لما ارشد رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم الى كيفية معاملته مع ربه من اول السورة الى هنا اخذ فى بيان كيفية معاملته مع الخلق فقال واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا لان من يخالط الناس كثيرا ما يجد منهم الايذاء والمداورة فيتعرى بسبب ذلك الغموم فلابد لاهل الاختلاط من الصبر الجميل وترك المخالطة بان يخالفهم فى افعالهم السيئة ولا يخاصمهم ولا يشتمهم القبيح ويصفح لمن رضى منهم القول وذلك هو الهجر الجميل ثم لما استراح منهم ثم لما خطر بالبال ان من بعث لدعوة الخلق وارشادهم كيف يهجر المكذبين مع ان يهددهم بالمجازاة على الكذب ادخل فى ظهور آثار الرسالة دفع ذلك الخاطر بقوله وذرنى والمكذبين يعنى ان الامر كذلك الا انه ينبغى ان يكل امر مجازاتهم الى وان لايهتم بهم وانا اكفيكهم وقوله تعالى والمكذبين يجوز ان يكون انتصابه على انه مفعول معه او على انه معطوف على ياء المتكلم فى ذرنى والاول هو الانسب بالمقام والانسب اوفق بصناعة العربية لان المتبادر من نحو قولك ضربت زيدا وعمرا انما هو مجرد مشاركة الواو لما قبلها فى ملابسة معنى العامل لكل واحد منهما وهو معنى العطف ولا تفهم منه كون تلك الملابسة بطريق المعية واجتماعهم ذلك اذا كان الفعل المذكور قبلها لازما فانه اذا كان لازما يكون ما بعد الواو على تقدير العطف مرفوعا ويكون العدول الى النصب نصا على قصد المعية والمصاحبة فى ملابسة الفعل فان العطف لايدل الاعلى ان مابعد الواو مشارك لما قبلها فى ملابسة الفعل لكل واحد منهما والنصب كما يدل على تلك المشاركة يدل ايضا على كون تلك الملابسة فى زمان واحد مثلا اذا قلت سرت وزيدا بالنصب يكون زيد مشاركا للمتكلم فى ملابسة السير لكل واحد منهما وفى وقوعهما معا بخلاف ما اذا قلت سرت انا وزيد بالعطف فانه انما دل على مشاركتهما فى السير فقط ولايدل على المعية فيه فظهر ان النصب انما يكون نصا على المعية والمصاحبة اذا كان الفعل لازما وذرنى فى الآية متعد والنعمة بفتح النون التنعم وهو مطاوع نعم يقال نعمه الله وناعمه فتنعم والنعمة بالكسر

(فاتخذه وكيلا) مسبب عن التهليل فان توحده بالالوهية تقتضى ان يوكل اليه الامور (واصبر على ما يقولون) من الخرافات (واهجرهم هجرا جميلا) بان تجانبهم وتداريهم ولاتكافئهم وتكل امرهم الى الله كما قال (وذرنى والمكذبين) دعنى واياهم وكل الى امرهم فان فى غنية عنك فى مجازاتهم (أولى النعمة) ارباب التنعم يريد صناديد قريش (ومهلهم قليلا) زمانا او امهالا

في الحلق كالضريع والزقوم ﴿ وعذابا اليما ﴾ ونوعا آخر من العذاب مؤلما لايعرف كنهه الا الله ولما كانت العقوبات الاربع مما يشترك فيه الاشباح والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة محرقة بغصة الهجران معذبة بالحرمان من تجلي انوار القدس فسر العذاب بالحرمان من لقاء الله تعالى ﴿ يوم ترجف الارض والجبال ﴾ تضطرب وتتزلزل ظرف لما في لدينا انكالا من معنى الفعل ﴿ وكانت الجبال كثيبا ﴾ رملا مجتمعا كأنه فعيل بمعنى مفعول من كثبت الشيء اذا جمعته ﴿ مهيلا ﴾ منثورا من هيل هيلا اذا نثر ﴿ انا ارسلنا اليكم ﴾ يا اهل مكة ﴿ رسولا شاهدا عليكم ﴾ يشهد عليكم يوم القيامة بالاجابة والامتناع ﴿ كما ارسلنا الى فرعون رسولا ﴾ يعني موسى عليه الصلاة والسلام ولم يعينه لان المقصود لم يتعلق به ﴿ فعصى فرعون الرسول ﴾ عرفه لسبق ذكره ﴿ فاخذناه اخذا وبيلا ﴾ ثقيلا ﴿ الرسول ﴾

ما انعم به عليك (قوله تعالى للامر) اي بالامهال فان تعداد ما عنده من اسباب العذاب بيان لاستمراره على الانتقام منهم والجحيم كل نار عظيمة في مهواة وهي ما بين الجبلين والغصة الشجى وما ينشب في الحلق ولا يتساغ فيه والطعام ذو الغصة هو الطعام الذي ينشب في الحلق لا ينزل ولا يخرج وتنكير عذابا وابهام كنهه يدل على كونه في نهاية الهول واشده بالنسبة الى ماتقدم عليه من الامور الثلاثة وكونا للمهول بل لا يسبق كونا للوعيد (قوله فان النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات) بيان لكون تلك العقوبات مما يصح ان يعاقب بها الارواح ولم يتعرض لبيان كونها عقوبات للاشباح لظهوره واستغنائه عن البيان وكون الارواح العاصية بعد مفارقتها عن الابدان باقية على التقييد بحب الشهوات والتعلق بها المانع من الخلاص الى عالم المجردات بمنزلة الانكال والقيود المانعة عن الوصول الى مامر من المشتهيات ثم تولد من تلك القيود الروحانية روحانية شبيهة بالجحيم فان شدة ميلها الى ما فارقت عنه من الشهوات الدنيوية وعدم تمكنها من الوصول اليها توجب حرقة شديدة وروحانية شبيهة بالاحراق بنار الجحيم وهي حرقة فراق المشتهيات ويصير تألم الروح بألم هذا الفراق على الاستمرار والدوام بمنزلة طعام ذي غصة لايسوغ ولايخرج من الحلق ثم حرمانه من ان يتجلى له نور جمال الله تعالى و يتلذذ بالمعارف الالهية والاسرار الربانية وينخرط في سلك المقربين عذاب اليم اشد ايلاما من جميع العقوبات الثلاث (قوله فسر العذاب) جواب لما اشار به الى ان اللائق بهذا المفسر ان يفسر العقوبات الثلاث الاول بالعقوبات الروحانية وان يكون ماذكره من تفسير العذاب بالحرمان من لقاء الله تعالى للاشارة الى كون العذاب متناولا له كما تناول العذاب الجسماني (قوله منثورا) اشارة الى ان مهيلا اسم من هلت الشيء اذا صببته من غير كيل وحساب اي تكون الجبال بعدما كانت اوتاد الارض قطعة مجتمعة كالرمل المهيل لا تماسك اجزاؤها بل تصير شيئا منثورا اي متفرق الاجزاء بان ينسف الله تعالى اجزاءها اي يقلع بعضها من بعض و يحملها كالعهن المنفوش فعند ذلك تصير كالكثيب ثم انه تعالى يحركها كما قال و يوم نسير الجبال فعند ذلك تصير مهيلا اي رملا سائلا متناثرا ثم انه تعالى لما خوف المكذبين اولا بما يكون في القيامة خوفهم بعد ذلك اهوال الدنيا فقال انا ارسلنا اليكم رسولا الاية فان المقصود تهديد اهل مكة بالاخذ الوبيل وان في اعادة فرعون والرسول مظهرين نمطا للشأن عصيانه وان ذلك لكونه عصيان الرسول لا لكونه عصيان موسى ونحوه ان عصيان الخاطبين افظع وادخل في الذم اذا قابلهما

الرسول وصفا آخر اعنى شاهدا عليكم وادمج فيه انهم لوآمنوا لكانت الشهادة لهم لا عليهم (قوله تعالى وكيف تتقون) مرتب على الارسال الذى رتب عليه عصيانهم اى فكيف تتقون اهوال القيامة وما اعد لكم من الانكال ونحوها ان دمتم على ما انتم عليه ومتم على الكفر وقوله ان كفرتم الخ اى بحرف الشرط اشارة الى ان ارسال هذا الرسول لايبقى لاحد شبهة تقيه من الكفر كيف وهو النور المبين فكيف بقاؤهم على الكفر بعد ارسال الرسول الذى حقه ان تقرر الامور المشكوك فى وجودها (قوله تقون انفسكم) فسر تتقون بتقون انفسكم فعداه بذلك الى مفعولين اولهما انفسكم المقدر وثانيهما يوما فانه مفعول به لتتقون كما اشار اليه المصنف بقوله عذاب يوم اى بتقدير المضاف فان وقى يتعدى الى مفعولين قال تعالى ووقاهم عذاب الجحيم وفيه بحث لان تتقون مضارع اتقى وهو ليس بمعنى وقى وكيف لا يصح تفسيره به وتعديته مثله بل هو متعد الى واحد فتقدير قوله انفسكم لايظهر له وجه صحة الا ان يقال ذكره بيانا لحاصل المعنى فان اتقاء العذاب بمعنى وقاية النفس منه (قوله تعالى يجعل الولدان شيبا) صفة ليوما والعائد الى الموصوف ضمير يجعل واسناد الجعل الى اليوم من قبيل اسناد الفعل الى زمانه للمبالغة والشيب جمع اشيب بمعنى ذى الشيب وهو بياض الشعر (قوله وهذا على الفرض) اى لا على الحقيقة لان يوم القيامة ليس فيه ولدان حتى يصير واشيبا حقيقة بل الكلام مبنى على الفرض والمعنى ان هول ذلك اليوم بحال لو كان هناك صبى لكان اشيب ويرى انه شيخ والحال انه طفل صغير والاصل فيه ان الهموم اذا تفاقمت على الانسان اسرع فيه الشيب روى ان رجلا نام وهو حالك الشعر ثم اصبح ورأسه كالثغامة فقيل له فى ذلك فقال رأيت القيامة فى المنام والجنة والنار ورأيت الناس يقادون فى السلاسل الى النار فمن هول ذلك اصبحت كما ترون (قوله او على التمثيل) بان شبه يوم القيامة من شدة هوله بزمان يجعل الولدان شيبا فوصف بوصف ذلك الزمان وان لم يكن فيه ولدان (قوله ويجوز ان يكون وصف اليوم بالطول) لا لكثرة اهواله ويكون المعنى انه فى طوله بحيث يبلغ الاطفال فيه اوان الشيخوخة والشيب وهو لا يمضى بعد وهذا الوجه وان كان يشارك الوجه الاول فى ان الكلام مبنى على الفرض الا ان المراد من الوجه الاول وصف اليوم بكثرة الهموم مع قطع النظر عن التعرض لطوله والمراد من الوجه الاخير وصفه بالطول مع قطع النظر عن التعرض لما فيه من الهموم واعترض على الوجه الاخير بان ذلك اليوم اطول من مدة بلوغ الطفل آوان الشيخوخة فلا يوصف طوله بهذه العبارة ويمكن ان يجاب عنه بانه مبنى

من قولهم طعام وبيل لا يستمرئ لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم (وكيف تتقون) تقون انفسهم (ان كفرتم) بقيتم على الكفر (يوما) عذاب يوم (يجعل الولدان شيبا) من شدة هوله وهذا على الفرض او على التمثيل واصله ان الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويجوز ان يكون وصف اليوم بالطول (السماء منفطر) منشق والتذكير على تأويل السقف او اضمار شئ (به) بشدة ذلك اليوم على عظمها واحكامها فضلا عن غيرها والباء للآلة

على عادة العرب فانهم يسمون بمثل هذه العبارة عن عادة الطول مع قطع النظر عن ملاحظة حصوص الزمان المتداول عليهم ... كانهم يرون عدم التأسد وعدم الانقطاع بقولهم ما ناحب ... وما لاح كوكب وما ... الايام والشهور وقال تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض ذكر الله تعالى من هول ذلك اليوم امرين الاول قوله يجعل الولدان شيبا والثاني قوله السماء منفطر به فان السماء على عظمها وشدتها اذا انفطرت بسبب ذلك اليوم ... غيرها من الخلائق (قوله الضمير لله تعالى) وان لم يجر له ذكر للعلم به فيكون المصدر مضافا الى فاعله اي وان وعده تعالى بكون يوم القيامة على ما وصف به من الشدائد كائن لا محالة لانه تعالى لا يخلف الميعاد وان كان من اضافة المصدر الى مفعوله فالمعنى كان وعده تعالى اياه مفعولا (قوله هذه الآيات الموعدة) بكسر العين اي الناطقة بالوعيد وهي قوله تعالى ان لدينا انكالا وجحيما الى هنا وفسر اتخاذ السبيل اليه بالتقرب اليه والتوسل بالطاعة والانتهاء تمثيلا ثم لكونه طريقا الى رضاء رحمته (قوله استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشئ اقل بعدا منه) الظاهر انه اراد من الاستعارة المجاز المرسل لانه جعل العلاقة بين الاقرب والاقل كون القرب الى الشئ مستلزما لقلة ما بينهما من البعد فيكون اطلاق الادنى على الاقل من قبيل اطلاق الملزوم على اللازم ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها ما يفهم من قول عائشة رضي الله تعالى عنها ان الله تعالى فرض القيام في اول هذه السورة فقام نبي الله واصحابه حولا حتى انتفخت اقدامهم وامسك الله تعالى آخر هذه السورة اثني عشر شهرا في السماء ثم انزل الله التخفيف في آخر السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد كونه فرضا (قوله عطفا على ادنى) والمعنى يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه وثلثه وهو مطابق لما مر من اول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الانقص منه وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه وهو مطلقه كانه بني على ان يكون الا قليلا استثناء من الليل ويكون نصفه بدلا من قليلا وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر بجرهما عطفا على المجرور قبلهما وهو قوله ثلثي الليل والمعنى يعلم انك تقوم اي تصلي اقل من ثلثي الليل واقل من نصف الليل واقل من ثلث الليل والاقل من الثلثين هو النصف والاقل من النصف هو الثلث والاقل من الثلث هو الربع وهو مطابق لان يكون التخيير بين قيام الثلث والربع والنصف ان يكون قوله نصفه بدلا من الليل ويكون الا قليلا استثناء من النصف ويكون ... وجعله للاول على معنى قم اقل من نصف الليل وهو الثلث وانقص منه هو اقل من النصف قيام الربع اوزد على ذلك الاول

(كان وعده مفعولا) الضمير لله عز وعلا او لليوم على اضافة المصدر الى المفعول (ان هذه) الآيات الموعدة (تذكرة) عظة (فمن شاء) ان يتعظ (اتخذ الى ربه سبيلا) اي سبيلا اليه بسلوك التقوى (ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه) استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشئ اقل بعدا منه وقرأ هشام ثلثي الليل وابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى

من الصف بقيام الصف (قوله ويقوم ذلك جماعة) يعني ان قوله وطائفة مرفوع بالعطف على المرفوع المتصل في يقوم وجاز ذلك للفصل بالظرف وما عطف عليه (قوله فان تقديم اسمه تعالى مبتدأ مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص) علة لقوله لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي الا الله فان بناء الفعل على المبتدأ يفيد الحصر عند صاحب الكشاف مطلقا اي سواء كان المبتدأ معرفا او منكرا مظهرا او مضمرا مقدما او على نية التأخير على انه فاعل معنى فانه تعالى لما كان هو الذي يزيد في ساعاتهما وينقص من غير ان يكون لنا مدخل في شيء من ذلك فبالضرورة صار هو العالم بمقاديرهما على الحقيقة واما نحن فانا نعلم ذلك بالتحري والاجتهاد الذي يؤدي الى الخطأ احيانا (قوله ولن تستطيعوا ضبط الساعات) فان الاحصاء قد يكون بمعنى العد وقد يكون بمعنى الاستطاعة قال عليه الصلاة والسلام استقيموا ولن تحصوا اي ولن تطيقوا ذلك على الوجه الذي امرتم به قال الحسن قاموا حتى انتفخت اقدامهم فنزل قوله تعالى علم ان لن تحصوه اي لن تطيقوا معرفة القدر الذي يجب قيامه وقال مقاتل كان الرجل يصلي الليل كله مخافة ان لا يصيب ما امر به من القيام فخفف الله عنهم وقال علم ان لن تحصوه واحتج بعضهم بهذه الآية على وقوع التكليف بما لا يطاق فانه تعالى قال لن تحصوه اي لن تقدروا ولن تطيقوا تعيين القدر الذي فرض عليكم القيام به ثم انه تعالى قد كلفهم بتقدير ساعات الليل والقيام في المقدار الذي فرض عليهم القيام فيه حيث قال قم الليل الا قليلا نصفه الخ ويمكن ان يجاب عنه بأن المراد بعدم استطاعتهم على تقدير ساعاتهما وضبطهما كون ذلك شق عليهم بعض المشقة لا انهم لا يقدرون عليه اصلا كما يقال لا اقدر ان انظر الى فلان اذا استثقل النظر اليه وصعب عليه ذلك (قوله ورفع التبعة فيه) رفعها عن التائب اشارة الى ان قوله تعالى فتاب عليكم استعارة تبعية شبه الترخيص في ترك ما قدر من قيام الليل بقبول التوبة من المذنب التائب في رفع التبعة في تركه كما رفعت عن التائب ثم استعمل لفظ المشبه به وهو قبول التوبة في المشبه الذي هو الترخيص ثم اشتق من لفظ المشبه به قوله فتاب بمعنى فرخص (قوله وقيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور) وهو التخيير بين القيام في احد المقادير المعينة فلما عسر عليهم اقامته بتلك المقادير المعينة نسخ فرضيته رعاية للمقدار المنصوص عليه وبقي اصل الوجوب فان الامر في قوله تعالى فاقرأوا ما تيسر من القرآن يدل على ان ما تيسر من وجوب صلاة الليل غير مقدر بكونه في ثلث الليل او ربعه او نحوهما ثم نسخ اصل وجوبها ايضا بالصلوات الخمس والتطوع (قوله او فاقرأوا القرآن بعينه

(وطائفة من الذين معك) ويقوم ذلك جماعة من اصحابك (والله يقدر الليل والنهار) لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي الا الله فان تقديم اسمه مبتدأ مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله (علم ان لن تحصوه) اي لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات (فتاب عليكم) بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه (فاقرأوا ما تيسر من القرآن) فصلوا ما تيسر عليكم من صلاة الليل عبر عن الصلاة بالقرآن كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس او فاقرأوا القرآن بعينه

كثيرا ما تيسر) عطف على قوله فصلوا ما تيسر من القرآن او قوله فاقرأوا واما اشارة
اى فصلوا الى اطلاق اسم الجزء على الكل اشارة الى ان المعنى احب
تلاوة القرآن في غير الصلاة كثيرا ما تيسر لتحصل الامن من الشيطان والفوز
برضى الرحمن والوقوف على ما في القرآن تلاوة وما فيه من دلائل التوحيد والبعث
والجزاء ونحوها من العقائد الدينية ثم قيل الامر بالقراءة خارج الصلاة للوجوب
وقيل الندب والاستحباب روى عن انس بن مالك انه سمع رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يقول من قرأ خمسين آية في كل يوم او في كل ليلة لم يكتب
من الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية لم يحاجه
القرآن يوم القيامة ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الاجر وعن عبد الله
بن عمر قال قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقرأ القرآن في كل شهر
مرة قال قلت اني اجد قوة على ان اقرأه في اقل من ذلك قال فاقرأه في عشرين
ليلة قال قلت اني اجد قوة على ان اقرأه في اقل من عشرين قال فاقرأه في سبع
ولا تزد على ذلك وقيل قوله تعالى فاقرأوا ما تيسر ايجاب للقراءة في صلاة
الليل لا ايجاب نفس الصلاة في الليل وقيل انه لايجاب القراءة في كل صلاة
واختلف العلماء في قدر ما يقرأه في الصلاة فقال الامام مالك والامام الشافعي
هو فاتحة الكتاب بخصوصها لا يجوز العدول عنها ولا الاقتصار على بعضها
وقدره ابو حنيفة بآية واحدة من اي آيات القرآن كانت وعنه ثلاث آيات
لانها اقل سورة (قوله المسافرة للتجارة) سوى الله تعالى في هذه الآية
بين درجة المجاهدين في سبيل الله والمكتسبين للمال الحلال للانفاق على نفسه
وعياله والاحسان الى ذوي الحاجات حيث جمعهما في قرن واحد فدل على
ان التجارة بمنزلة الجهاد قال عليه السلام ما من جالب يجلب طعاما من بلد الى بلد
فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله منزلة الشهداء ثم قرأ رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله
وآخرون يقاتلون في سبيل الله (قوله وآتوا الزكاة الواجبة) قال الامام
وقيل زكاة الفطر لانه لم يكن بمكة زكاة غيرها وانما وجبت بعد ذلك ومن
فسرها بالزكاة الواجبة جعل آخر السورة مدنيا على ما روي انه تعالى افترض
قيام الليل في اول هذه السورة فقام نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه
حولا مع مشقة عظيمة من حيث انه يعسر عليهم تمييز القدر الواجب حتى قام
اكثر الصحابة الليل كله خوفا من الخطأ في اصابة القدر المفروض وامسك الله
تعالى خاتمة السورة اثني عشر شهرا في السماء حتى انزل الله تعالى في آخر
السورة التخفيف فنسخ تقدير القيام بالمقادير المذكورة مع بقاء فرضية اصل

كثيرا ما تيسر عليكم (علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله) استئناف مبين لحكمة اخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال (فاقرأوا ما تيسر منه) والضرب في الارض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم (واقيموا الصلاة) المفروضة (وآتوا الزكاة) الواجبة

الجهد حسنا بسير ودوام الامر على ذلك ما دام عليه الصلاه والسلام بمكة حتى نسخت فرضيته اصله فى المدينة بالصلوات الخمس (قوله او باداء الزكاة على احسن وجه) وهو اخراجها من اطيب الاموال واكثرها نفعا للفقراء ومراعاة النية وهى ان تقصد باخراجها مجرد التعبد وابتغاء وجه الله تعالى والصرف الى احوج الفقراء الصالحين ووجه هذا التفسير ان قوله تعالى وآتوا الزكاة امر بمجرد ادائها على اى وجه كان وقوله واقرضوا الله قرضا حسنا ليس كذلك بل هو امر بالاعطاء المقيد بكونه حسنا واسمية الانفاق على الوجه المذكور قرضا حسنا من قبيل الاستعارة حيث شبه بالاقراض من جهة ان ما انفقه يعود اليه على احسن الوجوه (قوله والترغيب) منصوب بالعطف على الامر والمعنى يريد به الامر بسائر الانفاقات او الامر باداء الزكاة على احسن وجه او الترغيب فيه اى فى سائر الانفاقات او فى اداء الزكاة على احسن وجه والتعبير عن كل واحد منها بالاقراض يتضمن وعد العوض وقد صرح به بعيد وقوله تعالى تجدوه مجزوم على انه جواب الشرط ولفظ هو تاكيد للمفعول الاول لتجدوه اوفصل بينه وبين المفعول الثانى فان ضمير الفصل كما يتوسط بين المبتدأ والخبر قبل دخول العوامل يتوسط بينهما ايضا بعد دخولها وشرطه ان يكون الخبر معرفة او افعل من كذا لان افعل من كذا يشبه المعرفة فى امتناع دخول حرف التعريف عليه وليس معنى كون نحو هذه الجملة شرط لتوسط ضمير الفصل ان الفصل انما يحتاج اليه عند كون الخبر معرفة فانما يتوسط بينهما لئلا يلتبس الخبر بالوصف والالتباس انما يتم اذا كان كل واحد من المبتدأ والخبر معرفة وتوسطه يدفع الالتباس لان الخبر اذا كان صفة كان الموصوف هو الضمير والضمير لا يوصف ولا يوصف به وجاز توسطه فيما لا لبس فيه وذلك عند اختلاف الاعراب وعند كون المبتدأ ضميرا وكون الخبر افعل من كذا اتساعا وحملا لصورة عدم اللبس على صورة الالتباس مع ان الفصل له فائدة اخرى وهى انه يفيد ضربا من التأكيد لانه عبارة عن المبتدأ وذكر بدله والتكرير يفيد التأكيد ومعنى الآية وما تقدموا لانفسكم من المال تجدوه اى تجدوا ثوابه عند الله اى فى الآخرة خيرا من ثواب ما اخرتموه الى حضور الموت واسائه وما قدموا لانفسكم من طاعة من الطاعات كلها تجدوا ثوابه خيرا مما اخرتم من الطاعة (قوله وقرئ هو خير) على ان هو مبتدأ وخير خبره والجملة مفعول ثان لتجدوه وهذا على مذهب من يجعل ضمير الفصل موضعا من الاعراب كما اشار اليه صاحب الكاشفة بقوله وبعض العرب يجعله مبتدأ وما بعده خبرا ولا موضع له عند الخليل

(واقرضوا الله قرضا حسنا) يريد به الامر بسائر الانفاقات فى سبيل الخير او باداء الزكاة على احسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به فى قوله (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا) من الذى تؤخرونه الى الوصية عند الموت او من متاع الدنيا وخيرا ثانى مفعولى تجدوه وهو تأكيد او فصل لان افعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر (واستغفروا الله) فى مجامع احوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط (ان الله غفور رحيم) عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر فى الدنيا والآخرة

(سورة المدثر)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله وهو لابس الدثار) الدثار الثوب الذي فوق الشعار والشعار ما يلبس مماسا للجلد من بدنه لانه يلي الجسد وشعر البدن والدثر المعنى بالدثار اسما لما يتدثر به (قوله دثروني) اي ويحمل ما ذكر من الرواية عن صاحب الكشف وهذه الرواية لا تدل على انها اول سورة نزلت والظاهر ان اقرأ الى قوله ما لم يعلم للاحاديث الصحاح في ذلك ولانها كانت في حراء وهذه بعد الهبوط وقوله عليه الصلاة والسلام لست بقارئ فانه لا يتصور الا اذا نزل ذلك اولا والا لكان الامتناع عنه معصية والوجه ان يراد بالسورة في قول من قال انها اول سورة نزلت السورة الكاملة انتهى * اعلم انهم اتفقوا على ان المراد بالدثار المدلول عليه بالمدثر ما هو فقال اكثر المفسرين المراد به الدثار الحقيقي ثم اختلفوا في سبب تدثره عليه الصلاة والسلام بذلك فمنهم من قال انه عليه الصلاة والسلام تدثر بناء على اقشعرار جلده وارتعاد فرائصه رعبا من الملك الذي رآه على سرير بين السماء والارض كالنور المتلألئ من حيث انه رأى ما لم يره قبل ولم يستأنس به بعد فظن انه مساس الجن فخاف على نفسه لذلك ومنهم من قال انه عليه الصلاة والسلام تدثر تغما بما سمع ان قريشا قد اجتمعوا فقالوا قد اختلفت كلمتنا في الاخبار عن حال محمد فمن قائل انه مجنون ومن قائل هو كاهن ومن قائل هو شاعر او ساحر ووفود العرب يجتمعون في ايام الحج ويسألون عن امره فاذا سمعوا منكم هذه الاجوبة المختلفة لا يصدقونكم لعلمهم بان هذا كله لا يجتمع في رجل واحد فيحملون تكذيبكم اياه على التعصب والحسد فسموه باسم واحد تجتمعون عليه فيكون اشنع بحاله فقال الوليد بن المغيرة اني فكرت فيه واعتقدت ان اسمه ساحر لان الساحر من شأنه ان يفرق بين الاب وابنه وبين الاخ واخيه وبين المرأة وزوجها وشأنه ذلك فاتفقوا على ذلك واتفقوا عليه فلما سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك اشتد عليه ورجع الى بيته محزونا فتدثر بثوبه متفكرا كما يفعله المهموم وقال بعضهم انه عليه الصلاة والسلام انما تدثر لانه طلب ان ينام ويتدثر وانه طمع بما ناداه جبريل عليه الصلاة والسلام وايقظه وقال ان التدثر والنوم لا يليقان بالكبار وانك اجل من ذلك فقد ارسلت لتدعوهم الى الاسلام وتنذرهم بسوء عاقبة الكفر والطغيان ومن هنا انه كعب بانوار [illegible] الاسرار والتلبس بالدثار فأزل عنك العيلة وكن [illegible] أحد

(وصدق)

(سورة المدثر مكية وآيها ست وخمسون) (بسم الله الرحمن الرحيم) (يا أيها المدثر) أي المتدثر وهو لابس الدثار روي انه عليه الصلاة والسلام قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي فلم أر شيئا فنظرت فوق فإذا هو على العرش بين السماء والأرض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت دثروني فنزل جبريل وقال يا أيها المدثر ولذلك قيل هي أول سورة نزلت وقيل تأذى من قريش فتغطى بثوبه متفكرا او كان نائما متدثرا فنزلت وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية او المختفي فانه كان بحراء كالمختفي فيه على سبيل الاستعارة

وصدق عزيمة في القيام على مقتضى منصبك وانذر قومك وقال آخرون ليس المراد بالدثار ماهو دثار حقيقة بل المراد به خلعة النبوة والكمالات النفسانية تشبيها لها بما هو دثار حقيقة من حيث ان كل واحد منهما زينة وتشريف لصاحبه كما قال الله تعالى لباس التقوى وزينه برداء العلم وكأنه قيل يا أيها المبعوث للانذار المدثر بدثار الرسالة قم لما بعثت له وقيل المراد بالدثار جبل حراء ومعنى تدثره عليه الصلاة والسلام اختفاؤه فيه اعتزالا عن الخلق شبه اختفاؤه فيه بالدثار فكأنه قيل يا أيها المدثر بدثار الاختفاء قم من زاوية الخمول واشتغل بالانذار وقيل في هذه العبارة لطيفة من جهة المعنى وهي ان المنذر اذا انذر عن شدة الامر وهجوم العدو عن قريب يرتفع لاعلى المواضع ويتجرد عن ثيابه وينادي قومه ياصحباه ياصحباه ولما كان عليه الصلاة والسلام متدثرا خاطبه الله تعالى بيا أيها المدثر فكأنه تعالى يقول بعثتك نذيرا فالتدثر لا ينبغي لشأنك وانما اللائق بك ان تكون عريانا كما قال عليه الصلاة والسلام انا المنذر العريان (قوله وقرئ المدثر) اي بفتح الدال الخفيفة وفتح الثاء المشددة على لفظ اسم المفعول من دثره غيره اي غطاه به فهو مدثر اي مغطى والامر في قوله دثر هذا الامر منصوب بنزع الخافض اي دثر بهذا الامر وعصب به اي احيط به يقال عصب القوم بفلان اي احاطوا به (قوله قم من مضجعك) هذا على تقدير ان يكون المراد تدثره عليه الصلاة والسلام بالدثار الحقيقي واضطجاعه في مضجعه باحد الاسباب المذكورة وقوله او قم قيام عزم وجد على ان يراد تدثره عليه الصلاة والسلام بدثار النبوة والاصطفاء او بدثار الاختفاء بجبل حراء (قوله فانذر مطلق) يعني انه منزل منزلة اللازم حيث لم يقصد تعلقه بالمفعول ولم يذكر لفظا ولا تقديرا للتعميم والاختصار كما في قوله تعالى والله يدعوا الى دار السلام اي يدعو العباد كلهم وهذا التعميم وان امكن ان يستفاد من ذكر المفعول بصيغة العموم لكنه يفوت الاختصار (قوله او مقدر بمفعول) اي عام او خاص حسبما تعين القرينة عمومه او خصوصه فان وجدت قرينة دلت على خصوص المفعول قدر خاصا فيقال تقديره قم فأنذر عشيرتك الاقربين العذاب ان لم يوحدوا ربك وان وجد ما يدل على عمومه قدر عاما فيقال تقديره قم فانذر البشر كافة والمقدر بحسب دلالة القرينة عليه كالمذكور الذي قيد به الفعل صريحا فانه لما اعتبر تعلقه عن وقع عليه سواء كان عاما او خاصا على حسب تعيين القرينة فقد قيد بتعلقه به وانما يصير مطلقا اذا لم يعتبر تعلقه به اصلا وكان المعنى فافعل الانذار من غير تخصيص له بأحد فكون الانذار حينئذ مطلقا ظاهر وكذا كونه مفيدا للتعميم في المفعول

وقرئ المدثر اي الذي دثر هذا الامر وعصب به (قم) من مضجعك او قم قيام عزم وجد (فانذر) مطلق للتعميم او مقدر بمفعول دل عليه قوله وأنذر عشيرتك الاقربين او قوله وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا

نزل كبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأيقن أنه الوحي وذلك لأن الشيطان لا يأمر بذلك والفاء لمعنى الشرط وكأنه قال وما يكن فكبر ربك أو للدلالة على أن المقصود الأول من الأمر بالقيام أن يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فإن أول ما يجب معرفة الصانع وأول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مشركين (وثيابك فطهر) من النجاسات فإن التطهير واجب في الصلاة محبوب في غيرها وذلك بغسلها أو بحفظها عن النجاسة بتقصيرها [illegible] وهو أول ما أمر به من رفض العادات المذمومة أو طهر نفسك من الأخلاق الذميمة والأفعال الدنيئة فيكون أمراً باستكمال القوة العملية بعد أمره باستكمال القوة النظرية والدعاء إليه أو فطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر (والرجز فاهجر) واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي إليه [illegible] الشرك [illegible] (ولا تمنن تستكثر) لا تعط (سع)

(قوله وخصص ربك) [illegible] (قوله عقدا) بأن يعتقد أنه تعالى منزه عن الشركاء والأنداد وعن مشابهة الممكنات والمحدثات (قوله وقولا) بأن يقول الله أكبر (قوله والفاء [illegible] لإفادة معنى الشرط) [illegible] أن يكون [illegible] لم [illegible] وإن المعنى وما يكن فكبر ربك أي [illegible] التأكيد في إفادة الاختصاص [illegible] من جهة التعليق [illegible] الشرط العام الذي [illegible] فإن قلت كيف يكون ربك مفعول كبر مع الفاء [illegible] من العمل [illegible] في الحقيقة داخلة على الاسم أي [illegible] (قوله أو للدلالة على أن المقصود الأول من الأمر [illegible]) عطف على قوله [illegible] الشرط أي [illegible] للأمر [illegible] أن يكون [illegible] تعالى [illegible] أن يكون له شريك [illegible] وذلك [illegible] المشركون [illegible] الله [illegible] الطاهر [illegible] (قوله وذلك بغسلها أو بحفظها عن النجاسة [illegible]) [illegible] على [illegible] ويحمل لفظ التطهير على [illegible] حيث ذكر اللازم وأريد الملزوم فإن التقصير [illegible] للطهارة قال عليه الصلاة والسلام إزار المؤمن إلى [illegible] (قوله أو طهر نفسك من [illegible] والأفعال [illegible]) [illegible] الثياب [illegible] على [illegible] (قوله أو فطهر دثار النبوة) على أن [illegible] عليه السلام [illegible] دثار النبوة [illegible] من الحقد والضجر [illegible] النبوة [illegible] عليه الصلاة والسلام [illegible] عليه الصلاة والسلام [illegible] صدرك (قوله والرجز) [illegible] وهو العذاب [illegible] العذاب (قوله ولا تعط [illegible]) أي [illegible] الأعطاء (قوله [illegible]) أي [illegible]

جميع المكلفين فان الاستكثار ليس بحرام في حق الجميع لقوله عليه الصلاة والسلام المستغزر يثاب من هبته اي يعوض منها والغزارة الكثرة يقال غزر الشئ غزر بالضم فهو غزير وغزارة فهو غزر اي كثير يكثر فهو كثير (قوله او نهيا خاصا به عليه الصلاة والسلام) اي نهي تحريم فان حرمة ذلك من خواصه عليه السلام لما فيه من الحرص والبخل فان اصل البخل الا لتذاذ بامساك المال وجمعه (قوله او لا تمنن على الله تعدادك) على انه من باب من عليه منة اذا امتن عليه واعتد بما فعله وعلى الاول كان من من عليه اذا انعم واعطى وقوله تستكثر على الوجهين مرفوع لفظا لتجرده عن الناصب والجازم ومنصوب محلا على انه حال من فاعل لا تمنن كقوله تعالى فذرهم في خوضهم يلعبون اي لا تمنن والسين فيه على الاول للطلب وعلى الثاني للوجدان وان قرئ تستكثر بالسكون ففيه ثلاثة اوجه الاول انه مرفوع لكنه سكن اعتبارا بحال الوقف واجراء للوصل مجرى الوقف والثاني انه بدل من تمنن بدل اشتمال كانه قيل ولا تمنن ولا تستكثر فان شأن اهل الامتنان ان يستكثر ما يعطيه وان يعتد به فصح ابداله منه بدل اشتمال والثالث ما ذكره بقوله وتستكثر بمعنى تجده كثيرا مع انه يجوز ان يكون تستكثر مجزوما على انه جواب النهي على ان يكون المن بمعنى المن والمعنى لا تمنن بعطيتك تستكثر وتزدد من الثواب الجزيل بسلامة عطيتك من الابطال بالمن قال الله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وذكر صاحب الكشاف وجها آخر لقراءة السكون وهو قوله وان تشبه ثرو بعضد فتسكن تخفيفا (قوله وبالنصب على اضمار ان) ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ولا تمنن ان تستكثر اي لان تستكثر فيكون المن بمعنى الاعطاء اي لا تعط للاستكثار ونظير النصب باضمار ان قول الشاعر الا ايها الزاجري احضر الوغى بروايته على النصب (قوله وعلى هذا) اي وعلى تقدير ان يكون اصل الآية ولا تمنن ان تستكثر جاز ان يكون ارتفاع تستكثر لخلوه عن العوامل الناصبة بسبب حذف ان وابطال عملها لان ان لا تعمل مضمرة الا في مواضع مخصوصة وهذا الموضع ليس منها وعليه رواية رفع احضر في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى (قوله فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف) الاول على ان يجعل فاصبر منزلا منزلة اللازم بان لا يعتبر تعلقه بما يصبر عليه من الطاعات وما يصبر عنه من المعاصي والثاني ان يعتبر تعلقه بهذا المفعول العام المتناول لكل مصبور عليه وكل مصبور عنه لكنه ترك ذكره اعتمادا على القرينة لقصد التعميم مع الاختصار كانه قيل اذا تحملت هذه التكاليف من الافعال والتروك فاصبر عليها

مستكثرا نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا طامعا في عوض اكثر نهي تنزيه او نهيا خاصا به لقوله عليه الصلاة والسلام المستغزر يثاب من هبته والموجب له ما فيه من الحرص والضن او لا تمنن على الله تعالى بذلك مستكثرا اياها او على الناس بالتملع مستكثرا له الاجر منهم او مستكثرا اياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف او الابدال من تمنن على انه من من بكذا وتستكثر بمعنى تجده كثيرا او بالنصب على اضمار ان وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال عملها كما روي احضر الوغى بالرفع في قول الشاعر ✻ الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ✻ وان اشهد اللذات هل انت مخلدي (ولربك) ولوجهه او امره (فاصبر) فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف واذى المشركين (فاذا نقر) نفخ (في الناقور) في الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت

لاحل امر ربك اولوجهه الكريم ثم انه تعالى بعد ما ارشد رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم الى ماهو اللائق بشأنه وبعد شرع فى شرح وعيد الاشقياء وبيان ماهم المدرجة فى حقهم فقال فاذا نقر فى الناقور والنقر فى الاصل بمعنى القرع والكب الذى هو سبب لحدوث الصوت ومعلوم ان مباشرة ماهو سبب لحدوث الصوت راجع الى معنى التصويت وجعل الشئ بحيث يظهر منه الصوت ولذلك فسر المصنف النقر بالتصويت واتفق المفسرون على ان الناقور الصور وهو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل عليه الصلاة والسلام مرة للاصعاق ومرة للاحياء وسماه الله تعالى باسمين احدهما الصور والآخر الناقور وهو فاعول من النقر بمعنى ما ينقر فيه (قوله والفاء للسببية) يعنى انها فاء جواب الامر كما فى قوله تعالى اخرج منها فانك رجيم وقولك اكرم زيدا فانه فاضل فان الفاء السببية قد تكون بمعنى لام التعليل وذلك اذا كان ما بعدها سببا لما قبلها كما فى الامثلة المذكورة وقد يكون ما قبلها سببا لما بعدها وقد دخل على المسبب نحو زيد فاضل فاكرمه فانها دخلت على ماهو جزاء فى المعنى لان المعنى اذا كان كذا فاكرمه كما ان الاولى داخلة على ما هو شرط فى المعنى وما بعد الفاء فى الآية شرط فى المعنى اى اذا كان بين ايديهم يوم عسير يلقون فيه عقوبة أذاهم وتلقى انت ثواب صبرك عليه فاصبر والفاء فى قوله فذلك فاء الجزاء فان اذا شرطية وجواب الشرط قوله فذلك يومئذ يوم عسير وذلك الجزاء دل على عسر وهو العامل فى اذا والمعنى اذا نقر فى الناقور عسر الامر على الكافرين وذلك مبتدأ ويوم عسير خبره ويومئذ مرفوع المحل على انه بدل من ذلك وبنى على الفتح لاضافته الى اذ وهو غير متمكن كانه قيل فيوم اذا نقر فى الناقور يوم عسير (قوله اذا لتقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير) جواب عما يرد على قوله ويومئذ ظرف لخبر المبتدأ وهو يوم عسير من ان يومئذ كيف يكون ظرفا ليوم عسير والزمان لا يكون ظرفا للزمان وانما يكون ظرفا للحدث فاجاب بان المراد من اليوم العسير وقوعه وان يومئذ ظرف لوقوعه لا لنفس اليوم ورد على هذا الجواب ان يومئذ كيف يكون ظرفا للوقوع ومعمول المصدر لا يتقدم عليه وينبغى ان يكون مراده بكون يومئذ ظرفا لوقوع يوم عسير كونه حالا من يوم عسير مقدما عليه والمعنى وقت النقر يوم عسير واقعا ذلك اليوم العسير يوم النفخ فاليوم الذى عبر عنه بيومئذ عبارة عن الزمان الممتد الطويل والزمان الذى حكم عليه بانه يوم عسير جزء من ذلك الزمان الممتد واقع فى ذلك الزمان الممتد ولما كان يومئذ ظرفا واقعا موقع الحال من يوم عسير بمعنى واقعا فيه عبر عن هذا

والفاء للسببية كأنه قال اصبر على أذاهم فبين ايديهم زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك واعداؤك عاقبة ضرهم واذا ظرف لما دل عليه قوله (فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين) فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير ويومئذ بدله او ظرف لخبره اذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير

المعنى بقوله اذا نقدير ذلك الوقت وقوع يوم عسير (قوله تأكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه) جواب عما قال ما فائدة قوله غير يسير مع ان قوله عسير مغن عنه ووجه كونه تأكيدا ظاهر ووجه كونه نافيا لليسر بالكلية ان قوله يسير نكرة في سياق النفي فيعم جميع افراده ووجه كونه مشعرا بيسره على المؤمنين انه لما أكد كونه عسيرا على الكافرين كان المعنى انه غير يسير بالنسبة الى الكافرين فكان تعريضا بانه يسير على المؤمنين كما ان قوله تعالى وظل من يحموم لا بارد ولا كريم تعريض بظل الجنة وهذا اغاظ للكافرين بجمعه بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم وقوله تعالى على الكافرين متعلق بعسير لا بيسير لانه لما لم يجز تقديم المضاف اليه على المضاف كان عدم جواز تقديم معمول المضاف اليه عليه اولى ثم انه تعالى لما بين ان اليوم الذي ينفخ فيه في الناقور يوم عسير على الكافرين قال له عليه الصلاة والسلام خلني وبين الوليد بن المغيرة الذي تعت في قومه بالوحيد زعما منهم انه لا نظير له في وجاهته ولا في ماله وكان يبعث نفسه ويقول انا الوحيد بن الوحيد ليس لي في العرب نظير ولا لابي نظير ايضا فسماه الله تعالى بذلك تهكما واستهزاء كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم هذا على تقدير كون قوله وحيدا منصوبا على الذم بتقدير اعني (قوله او ارادة انه وحيد) عطف على قوله تهكما اي سماه به على ارادة انه وحيد في الكفر والخبث وانواع الشرارة او على ارادة انه وحيد عن ابيه اي لا اب له والزنيم من الحق بالقوم وليس منهم (قوله مبسوطا كثيرا) وصف بان ماله ممدود لامتداد مكانه وتكثيره ايضا فان المال الكثيرة اذا عد يمتد عدده والمال الذي يمتد مكانه يوصف بالامتداد لامتداده بحسب امتداد مكانه قال ابن عباس كان له مال ممدود ما بين مكة الى الطائف الابل والخيل والغنم والبساتين الكثيرة بالطائف والاشجار والانهار والنقد الكثير وقال مقاتل كان له بستان لا ينقطع نفعه صيفا ولا شتاء فالممدود هنا كما في قوله وظل ممدود اي لا ينقطع او ممدود بالنماء بان يكون نماء ماله مدا لاصله يقال مدد نا القوم اي صرنا مددهم وامددناهم بغيرنا او مددناهم بفاكهة ولما ذكر الله تعالى كثرة امواله وبنيه بين انبساط جاهه ورياسته فان الاولين لا يستلزمان الثالث فقال ومهدت له تمهيدا حذف معمول مهدت للتعميم مع الاختصار فانه الله تعالى وهب نعمة المال والجاه والبنين واجتماع هذه الثلاث هو الكمال عند اهل الدنيا وكان الوليد من اكابر قريش ولذلك لقب بالوحيد وريحانة قريش والريحان نبت معروف ويطلق على الرحمة والراحة وعلى الرزق ايضا قال عليه الصلاة والسلام

المؤمنين (ذرني ومن خلقت وحيدا) نزل في الوليد بن المغيرة ووحيدا حال من الياء اي ذرني وحدي معه فاني اكفيكه او من التاء اي ومن خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احدا ومن العائد المحذوف اي ومن خلقته فريدا لا مال له ولا ولدا وذم فانه كان ملقبا به فسماه الله تعالى به تهكما او ارادة انه وحيد ولكن في الشرارة او عن ابيه لانه كان زنيما (وجعلت له مالا ممدودا) مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة (وبنين شهودا) حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم لا يحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج ان يرسلهم في مصالحه لكثرة خدمه او في المحافل والاندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين او اكثر كلهم رجال فأسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام (ومهدت له تمهيدا) وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد اي باستحقاق الرياسة والتقدم

(ثم يطمع أن أزيد) على ما أوتيه وهو استبعاد لطمعه إما لأنه لا مزيد على ما أوتي أو لأنه لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال (كلا إنه كان لآياتنا عنيدا) ﴿١٦﴾ فإنه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستئناف بمعاندة آيات المنعم المناسبة لإزالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان ماله حتى هلك (سأرهقه صعودا) سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدائد وعنه عليه الصلاة والسلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك أبدا (إنه فكر وقدر) تعليل للوعيد أو بيان للعناد والمعنى فكر فيما يخيل طعنا في القرآن وقدر في نفسه ما يقول فيه (فقتل كيف قدر) تعجب من تقديره استهزاء به أو لأنه أصاب أقصى ما يمكن أن يقال عليه من قولهم قتله الله ما أشجعه أي بلغ في الشجاعة مبلغا يحق أن يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روي أنه مر بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يقرأ حم السجدة فأتى قومه وقال لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس والجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه ليعلو ولا يعلى فقال قريش صبأ الوليد فقال ابن أخيه أبو جهل أنا أكفيكموه فقعد إليه حزينا وكلمه بما أحماه

الوليد رحمه الله تعالى أي رزقه (قوله أن أزيد على ما أوتيه) أي أن أزيد عليه في الدنيا لأنه مشرك والمشرك لا يؤمن بالبعث والجزاء حتى يطمع أن يثاب في الآخرة بناء على ما أوتي في الدنيا فيكون قوله تعالى كلا ردعا له عن طمعه [illegible] في الدنيا ويؤيده ما روي أنه بعد ما نزل قوله تعالى كلا إنه كان لآياتنا عنيدا ما زال في نقصان من ماله وولده حتى مات فقيرا وعن الحسن أنه قال ثم يطمع أن أزيد أن أعطيه مالا وولدا كما قال تعالى أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا (قوله ردع له عن الطمع وتعليل) يعني أن قوله كلا ردع وقوله إنه كان لآياتنا عنيدا تعليل للردع على سبيل الاستئناف كأنه قيل لم حرم مما طمع فيه وانعكس حاله فأجيب بأن شأنه أن يعاند آيات الله ويكفر [illegible] ما أنعم به عليه فضلا عن أن يزيد عليه (قوله سأغشيه عقبة) فسر الإرهاق بالإغشاء والتكليف كما في قوله تعالى ولا ترهقهما طغيانا وكفرا وفسر الصعود بالعقبة الشاقة المصعد والمعنى سأكلفه مشقة العذاب روي عنه عليه الصلاة والسلام أن الصعود جبل من نار يكلف أن يصعده فإذا وضع عليه يده ذابت فإذا رفعها عادت وإذا وضع عليه رجله ذابت فإذا رفعها عادت (قوله أو بيان للعناد) أي يجوز أن يكون قوله تعالى إنه فكر وقدر بدلا من قوله إنه كان لآياتنا عنيدا بيانا لكيفية عناده ويكون قوله سأرهقه صعودا جملة معترضة بين البدل والمبدل منه لبيان أنه مع كونه محروما مما طمع فيه من أن يزاد على ما عنده من الأموال والأولاد فهو من أشد أهل النار عذابا يوم القيامة (قوله استهزاء به أو لأنه أصاب أقصى ما يمكن أن يقال عليه) أي على الوجهين يعني أن لفظ قتل [illegible] التعجب والاستعظام وما قدره [illegible] في غاية الركاكة والسقوط ويحتمل أن يكون تعجبا من قوة خاطره في نفس الأمر أي أصاب ما لم يبلغ إليه ذهن أحد من المعاندين (قوله روي أنه مر بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) إشارة إلى كونه معاندا في إنكار آيات الله تعالى حيث اعترف أنه يعلو ولا يعلى وبيان للحمله على الفكر والتقدير فهو لما رأى أن القرآن لا يشبه كلام الشعراء ولا كلام الكهنة [illegible] لا يشبه شيئا من كلام الإنس والجن قال إن له لحلاوة [illegible] اللطف والإحكام [illegible] الطلاوة [illegible] والمغدق أي الكثير [illegible] ومكان [illegible] وقوله إن أعلاه [illegible] وأسفله

وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا فقالوا لا فقال ماهو الا ساحرا ما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه (ثم قتل كيف قدر) تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها (ثم نظر) اى فى امر القرآن مرة بعد اخرى (ثم عبس) قطب وجهه لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر ما يقول او نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطب فى وجهه (وبسر) اتباع لعبس (ثم ادبر) عن الحق او الرسول (واستكبر) عن اتباعه (فقال ان هذا الا سحر يؤثر) يروى ويتعلم والفاء للدلالة على انه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر (ان هذا الا قول البشر) كالتأكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها (سأصليه سقر) بدل من سارهقه صعودا (وما ادراك ما سقر) بتعظيم لشأنها وقوله

لمعدق استعاره بالكناية شبه القرآن العظيم فى نفسه بشجرة عصة طرية استحكم اصلها بكثرة الماء فى اسفلها وعلا فرعها فى السماء واثبت له الا على والاسفل واثبت لاعلاه ثمارا ولاسفله عدقا على طريق التخييل ولما رأه كما وصفه وكان مجبولا على المكابرة والعناد والتعصب والحسد لاجرم حمله خبث طبعه على ان يتفكر فيما يحيل طعنا فى القرآن وان يقدر فى نفسه ما يقول فى حقه (قوله فقام فأتاهم) اى فقام الوليد واتى قريشا فقال لهم ما تقولون فى هذا الرجل فقالوا نقول انه شاعر فعبس عندها فقال قد سمعنا قول الشعر فما يشبه قوله الشاعر فقالوا نحن نقول انه كاهن فقال كيف تقولون ذلك وانكم لما تحدثونه يحدث بما يحدث به الكهنة فقالوا نحن نقول انه مجنون فقال كيف تنسبون الى الجنون وما رأيتموه يخنق قال ذلك بناء على زعمهم ان الجن والشياطين يخنق المجنون فقالوا له فما تقول فى حقه فأخبرهم بما قدر فى نفسه ان يقول فى حقه عليه الصلاة والسلام فقال ماهو الا ساحر وما كلامه الا سحر يفرق بين الاحبة فقبلوا منه ذلك ورضوا به فخرجوا من عنده فجعل ما يلقى احد منهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا قال يا ساحر يا ساحر واشتد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرجع الى منزله فتدثر فاضطجع حزينا متفكرا فى امره فانزل الله يا ايها المدثر الى قوله ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر يعنى انه كلام الانس وليس من عند الله (قوله تكرير للمبالغة) اى للمبالغة فى المعنى الذى قصد بارادة اولا وهو استعظام حسن تقديره استهزاء او استعظاما لقوة تخيله فى نفس الامر بعد الدعاء عليه باللعن حتى جئ بكلمة ثم للدلالة على ان الكرة الثانية ابلغ فى الاستعظام واللعن من الكرة الاولى يعنى ان كلمة ثم فى قوله ثم قتل للتراخى بحسب الرتبة وفيما بعده على اصلها اى للتراخى بحسب الزمان اى ثم اعاد النظر والتأمل فى طلب ما يدفع به القرآن ويرد مارجا ان يصح له ما لم يطلع عليه فى المرة الاولى فلم يتهيأ له ذلك فلذلك عبس اى كلح وقطب ما بين عينيه وقبض وجهه تغيظا من عدم وجدانه ما يدفع به القرآن فاضطر الى ان قال ان هذا الا سحر يؤثر اى يتعلم ويؤخذ من الغير وليس هو عين سحره بنفسه من قولك اثرت الحديث آثره اثرا اذا حدثت به عن قوم فى آثارهم اى بعد ما ماتوا هذا هو الاصل فى اطلاقه ثم صار عبارة عن الرواية عن الغير مطلقا (قوله والفاء للدلالة) يعنى انه تعالى لم يقل ثم قال ان هذا للدلالة على ان الكلمة الشنعاء لما خطرت بباله بعد طلب ما يطعن به فى القرآن ولم يتهيأ له ان يتفوه بها من غير تلبث حيث لم يجد غير ذلك قالها عتوا وعنادا لا عن اعتقاد لما روى انه قال حين سمع حم السجدة لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس والجن وكيف نقول

بعد ذلك ان هذا الا قول البشر عن اعتقاد انتهى (قوله بيان لذلك) اى
لما اجمل من فخامة شأنها اى لا تبقى لهم لحما الا اكلته ولا تذرهم اذا اعيدوا خلقا
جديدا الا اكلتهم مرة اخرى وهكذا ابدا (قوله والعامل فيها معنى التعظيم)
اى المستفاد من ما الاستفهامية فى قوله ما سقر فانه يستفاد منها معنى التعظيم
والمعنى استعظم امرها فى كونها لا تبقى ولا تذر قوله لا تبقى على شئ يلقى فيها)
اى لا تترحم عليه وفى الصحاح ابقيت عليه اذا رعيت عليه ورحمته يقال لا ابقى
الله عليك ان ابقيت على وفيه ايضا يقال ارعيت عليه اذا ابقيت عليه ورحمته
(قوله ولا تدعه حتى تهلكه) يعنى انها لا تقنع بمجرد التعذيب بنوع من انواع
العذاب بل تبالغ فى تعذيبه الى ان تهلكه وقيل قوله لا تبقى ولا تذر لفظان
مترادفان بمعنى واحد كرر للتأكيد كقولك صدعنى واعرض (قوله مسودة
لاعالى الجلد) فسر قوله لواحة بمسودة وفسر البشر باعالى الجلد اى ظواهره
اشارة الى ان لواحة اسم فاعل بمعنى المبالغة من لاحه السفر والعطش اى غيره
وسوده وهى لواحة اى مغيرة ومسودة قيل تلفح وجوههم النار لفحة تدعها
اشد سوادا من الليل والبشر جمع بشرة وهى ظاهر الجلد وتوصيفها بتسويد
البشرة لا ينافى قوله تعالى لا تبقى ولا تذر لان ذلك بعد الالقاء فيها والتسويد قبله
(قوله او لائحة للناس) على ان لواحة اسم فاعل من لاح يلوح بمعنى ظهر
وقيل لواحة للتهويل والبشر بمعنى الناس فقيل انها تلوح للناس من مسيرة
خمسمائة عام قال الله تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى وقال لترون الجحيم ثم
لترونها عين اليقين (قوله وقرئت بالنصب) اى بتقدير اعنى وقيل منصوبة
على انها حال من سقر والعامل معنى التعظيم او من المنوى فى لا تبقى ولا تذر وقرأ
الجمهور لواحة بالرفع بتقدير هى لواحة (قوله ملكا او صنفا) يعنى ان
تسعة عشر يحتمل ان يكون الاشخاص الذين يلون امر سقر ويتسلطون
على اهلها من الملائكة وان يكون اصنافا منهم ولا يعلم عدد كل صنف منهم
الا الله وقيل هذه التسعة عشر عدد الرؤساء والنقباء واما جملة اشخاصهم
فكما قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو روى ان خزنة النار تسعة عشر
ملكا مالك ومعه ثمانية عشر اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصى
واشعارهم تمس اقدامهم تخرج لهب النار من افواههم ما بين منكبى الواحد
منهم مسيرة سنة يسع كف احدهم مثل ربيعة ومضر نزعت منهم الرحمة والرأفة
يرفع الواحد منهم سبعين الفا فى كفه فيرميهم حيث اراد فى جهنم (قوله
والمخصص لهذا العدد) قال ارباب الحكمة فى وجه اختصاص خزنة النار
بهذا العدد ان سبب فساد النفوس الانسانية فى قواها النظرية والعملية هو

(لا تبقى ولا تذر) بيان
لذلك او حال من سقر
والعامل فيها معنى
التعظيم والمعنى لا تبقى
على شئ يلقى فيها ولا
تدعه حتى تهلكه (لواحة
للبشر) مسودة لاعالى
الجلد او لائحة للناس
وقرئت بالنصب على
الاختصاص (عليها
تسعة عشر) ملكا او
صنفا من الملائكة يلون
امرها والمخصص لهذا
العدد ان اختلال النفوس
البشرية فى النظر والعمل
بسبب القوى الحيوانية
الاثنى عشرة والطبيعية
السبع او ان جهنم سبع
دركات

ست منها لاصناف الكفار
وكل صنف معذب بترك
الاعتقاد والاقرار
والعمل انواعا من العذاب
بناسبها وعلى كل نوع
ملك او صنف يتولاه
و واحده لعصاه الامة
يعذبون فيها بترك العمل
نوعا يناسبه و يتولاه ملك
او صنف اوان الساعات
اربع وعشرون خمس
منها مصروفة في الصلاة
فتبقى تسع عشرة قد
تصرف فيما يؤاخذ به
بانواع من العذاب
تتولاها الزبانية وقرئ
تسعة عشر بسكون العين
كراهة توالي الحركات
فيما هو كاسم واحد

القوى الحيوانية والطبيعية اما القوى الحيوانية فهي الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والشهوة والغضب مجموعها اثنا عشرة واما القوى الطبيعية فهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة وهذه سبع قوى والمجموع تسع عشرة فلما كان منشأ الآفات هو هذه التسع عشرة لا جرم كان عدد الزبانية هكذا فاستولى على الانسان ملك او صنف من الزبانية بمقابلة كفرانه بكل واحدة من هذه القوى التي كل واحدة منها نعمة الهية يتوسل بها الى الاستكمال بحسب القوى النظرية والعملية وقد توسل بها الى معصية من انعم بها عليه والمراد بالقوى الحيوانية القوى التي تخص الحيوان من بين المولدات الثلاث الحيوان والنبات والمعدن وهي قسمان مدركة وفاعلة فالمدركة عشر وهي التي لها مدخل في الادراك بالمشاهدة او الحفظ وهي الحواس الظاهرة والباطنة والفاعلة اثنتان الشهوة والغضب والقوى الطبيعية وهي التي لا تختص بالحيوان بل توجد في النبات ايضا سبع ثلاث منها مخدومة وهي الغاذية والنامية والمولدة واربع منها خوادم وهي الجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة (قوله ست منها لاصناف الكفار) وهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاوثان وعبدة الملائكة وعبدة الشمس واهل كل دركة من دركات جهنم يعذبون فيها لامور ثلاثة ترك الاعتقاد وترك الاقرار وترك العمل فيكون في كل دركة ثلاثة انواع من العذاب كل نوع يناسب امرا من تلك الامور الثلاثة التي هي اسباب تعذيبهم فيها فيكون في ست دركات جهنم ثمانية عشر نوعا من العذاب يلي امر كل نوع من هذه الانواع شخص من الزبانية او صنف منهم فيكون مجموع اشخاص الزبانية او اصنافها ثمانية عشر واما دركة الفساق فانهم لا يعذبون فيها الا بترك العمل فيكون فيها نوع واحد من العذاب بناسب تلك الجريمة يستولي على ذلك النوع الواحد من العذاب ملك او صنف واحد من الزبانية فيكون المجموع تسعة عشر (قوله اوان الساعات اربع وعشرون) يعني حصت اعداد الزبانية بكونها تسعة عشر بناء على ان الساعات التي حصت لصرف في المعصية كذلك فكان اعداد من يتولى تعذيب العصاة ايضا تسعة عشر على عدد ساعات المعصية فيتولى كل واحد منهم مجازاة المعصية الواحدة الواقعة في ساعة واحدة من تلك الساعات (قوله فيما هو كاسم واحد) فان تسعة عشر ليس اسما واحدا في الاصل وانما جعل اسما واحدا بالتركيب فان اصله تسعة وعشرة فحذفوا الواو وجعلوا الاسمين اسما واحدا ولذلك بني الاسم الاول على الفتح لكون آخره وسط الكلمة بسبب التركيب وبني الاسم الثاني ايضا لتضمنه معنى حرف

وتسعة عشر جمع عشير كبير وايمن اى تسعة كل عشير جمع يعنى نقيبهم او بجمع عشر فيكون تسعين (وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة) ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقون لهم ولا يستروحون اليهم ولانهم اقوى الخلق بأسا واشدهم غضبا لله تعالى روى ان ابا جهل لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فنزل (وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا) وما جعلنا عددهم الا العدد الذى اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على انه لا ينفك منه وافتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم به واستبعادهم ان يتولى هذا العدد القليل تعذيب اكثر الثقلين

العطف وهذا الاسم المركب فى الآية فى محل الرفع على الابتداء وعليها خبره وكثرة الحركات فيما هو كالكلمة الواحدة توجب الثقل فلذلك اسكن اول الاسم الثانى للتخفيف وجعل ذلك امارة لقوة اتصال احد الاسمين بالآخر انتهى (قوله وتسعة اعشر جمع الخ) يعنى ان تسعة اسم عدد اضيف الى مميزه وهو اعشر جمع عشير بمعنى معاشر ومصاحب كانه قيل عليها تسعة ملائكة كل واحد منهم معاشر جماعة ومدبر امرهم ومعينهم ومبلغ الجماعة غير معلوم (قوله ولا يستروحون) اى لا يميلون ولا يلتفتون مع المعذبين وفى الصحاح استروح اليه اى استنام وفيه ايضا استنام اليه اى سكن اليه واطمأن روى انه لما نزل قوله تعالى عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم قال ابن ابى كبشة ان خزنة النار تسعة عشر نحو وكم بهم وانتم الجمع العظيم وروى وانتم الدهم اى الشجعان الاقوياء ايعجز كل مائة منكم ان يبطشوا بواحد منهم ثم يخرجوا من النار فقام ابو الاسود بن اسيد بن كلدة وهو رجل من بنى جمح وكان من شجعان العرب واقوى ابائهم وكان يقوم على اديم و يجتمع جماعة على ان يخرجوه من تحت رجليه و يزيلوا رجليه عنه فلم يستطيعوا و يقطع الاديم قطعا قطعا ورجله ثابتة على حالها فقال يا معشر قريش اذا كان يوم القيامة فانا امشى بين ايديكم على الصراط فارفع عشرة بمنكبى الايمن وعشرة بمنكبى الايسر عن النار و نمضى حتى ندخل الجنة وروى انه قال انا اكفيكم سبعة عشر منهم فاكفونى انتم اثنين منهم فلما قال ابو جهل وابو الاسود ذلك قال المسلمون ويحكم لا تقاس الملائكة بالحدادين يجرى هذا مثلا فى كل شيئين لا تساوى بينهما والمعنى لا تقاس الملائكة بالسجانين والحداد السجان الذى يحبس الناس و يمنعهم من الخروج من السجن فانزل الله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اى لم نجعلهم من جنسكم فتساووهم فان قوة واحد منهم اعظم من قوة الانس والجن جميعا فلا يطيقهم البشر ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا والجنسية لما كانت مظنة الرأفة والرحمة جعل الله تعالى خزنة النار مخالفين للمعذبين فيها بحسب الجنس لئلا يرقوا لهم (قوله وما جعلنا عددهم الا العدد الذى اقتضى فتنتهم) جواب عما يقال ان جعل من نواسخ الابتداء فوجب ان يكون مفعوله الثانى مما يصح ان يحمل على مفعوله الاول ولا يصح ان يحمل فتنة الكفار على عدد الزبانية وتقرير الجواب ان المراد بقوله تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عدتهم الا تسعة عشر الا انه وضع قوله فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لكون افتتان الكفار اثر العدد المذكور فعبر عن المؤثر بلفظ الدال على الاثر تنبيها على ان الاثر من لوازم ذلك المؤثر

ثم بين ان الكفار افتتنوا بالعدد المذكور من جهة استقلالهم اياه واستبعادهم ان يكون هذا العدد وافيا بتعذيب اكثر خلق العالم ومن جهة استهزائهم به قائلين لم لم يكونوا عشرين وكانوا اقل منه بواحد (قوله ولعل المراد الجعل بالقول) جواب عما يقال كيف يصح جعلهم في نفس الامر على هذا القدر معللا وسببا لاستيقان اهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا واستبعاد اهل الشك والنفاق وليس ايجادهم واحداثهم تسعة عشر سببا لشئ من ذلك وانما السبب ما ذكر من الامور هو الاخبار عن عددهم بانه تسعة عشر وتقرير الجواب ان الجعل يطلق على معنيين احدهما جعل الشئ متصفا بصفة في نفس الامر وثانيهما الاخبار باتصافه بها ويقال له الجعل بالقول كما في قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ولعل المراد بالجعل المذكور في الآية الجعل بالمعنى الثاني والمعنى وما جعلنا عدتهم بالاخبار عنها الاعددا يلزم افتتان الكفار به لاستيقان اهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا واستبعاد اهل الشك والنفاق اياه فحينئذ يظهر وجه السببية وعبر عن الاخبار عن العدد بالجعل للمشاكلة لوقوعه في صحبة قوله وما جعلنا اصحاب النار الاملائكة كقوله فلما اطعموا الى جنة وقيصا (قوله لما رأوا ذلك موافقا لما في كتابهم) فان العدد المذكور لما كان موجودا في كتابهم وانه عليه الصلاة والسلام اخبر عنه على وفق ذلك من غير سابقة دراسة وتعلم ظهر لهم انه عليه الصلاة والسلام انما علم ذلك بسبب الوحي الالهي فيستيقنون نبوته عليه الصلاة والسلام ويكون القرآن كلاما الهيا (قوله بالايمان به او بتصديق اهل الكتاب له) فعلى الاول يكون المراد بالازدياد الازدياد بحسب الكمية لازدياد متعلقه فان الايمان قد كان يزداد به يوما فيوما في زمان الوحي بحسب ازدياد ما يجب الايمان به فان من آمن بجميع ما جاء من عند الله قبل نزول ما يدل على عدد الزبانية اذا نزل عليهم قوله تعالى عليها تسعة عشر فآمنوا به ايضا فلا شك انه يزداد ايمانهم بحسب الكمية لازدياد متعلقه وعلى الثاني يكون المراد بالازدياد ازدياد يقينهم قوة بتصديق اهل الكتاب به وبموافقة كتابهم لكتابنا اولئك كما انه من اولئك بموافقة كتابهم لكتابنا (قوله وهو تأكيد للاستيقان وزيادة الايمان) جواب عما يقال لما اثبت الاستيقان لاهل الكتاب واثبت زيادة الايمان للمؤمنين فما الفائدة في قوله بعد ذلك ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وتقرير الجواب الاول كونه تأكيدا وتقرير الجواب الثاني ان المتيقن قد يعتريه شك وارتياب بسبب غفلته عن مقدمة من مقدمات دلائله او طريان ما يوهم كونه واقعا او معارضا لتلك المقدمة

ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله (ليستيقن الذين اوتوا الكتاب) اى ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن لما رأوا ذلك موافقا لما في كتابهم (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) بالايمان به او بتصديق اهل الكتاب له (ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون) اى في ذلك وهو تأكيد للاستيقان وزيادة ايمان ونفي لما يعرض المتيقن حيثما عراه شبهة (وليقول الذين في قلوبهم مرض) شك او نفاق

وثبوت اليقين في بعض الاحوال لا ينافي طريان الارتياب بعد ذلك فالمقصود من ذكر هذا الكلام بعد ذلك بيان ان المراد من الاستيقان والازدياد المذكورين قبل ان يكونا بحيث لا يطرأ عليهما شك وارتياب اصلا (قوله فتكون الآية اخبارا بمكة) جواب عما يقال كيف يصح ان يفسر المرض بالنفاق والحال ان السورة مكية من اوائل ما نزل فيها ولم يكن بمكة نفاق لان اهلها اما مكذب قاطع بالكذب او شاك غير مصدق ولا مكذب واما مؤمن حقا والنفاق انما حدث بالمدينة بعد الهجرة اليها وتقرير الجواب ان قوله تعالى وليقول المنافقون والكافرون لا يقتضي تحقق النفاق وقت النزول بل يجوز ان يكون مبنيا على انه قد تقرر في علم الله تعالى انه سيحدث قوم منافقون يقولون ذلك فعلى هذا تكون هذه الآية معجزة له عليه الصلاة والسلام حيث اخبر عن غيب سيقع وقد وقع على وفق اخباره فان قيل كيف يصح ان يكون قول الكافرين والمنافقين ماذا اراد الله بهذا مثلا مقصودا من الاخبار عن عدد الزبانية والقول المذكور كفر وضلال فكيف يصح ان يريده الله تعالى فالجواب انه لا اشكال فيه على اصلنا لانه تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء (قوله المستغرب استغراب المثل) اشارة الى ان اطلاق المثل على هذا العدد على سبيل الاستعارة حيث شبهه بالمثل المضروب الذي هو القول السائر في الغرابة حيث لم يكن عقدا تاما كعشرين او ثلاثين وكان ناقصا عنه بواحد والاستفهام فيه للانكار والمراد بانكاره انكار انه من عند الله وقوله مثلا تمييز لهذا او حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية (قوله وقيل لما استبعدوه) اي لما كان هذا العدد عددا عجيبا ظن القوم ان ليس مراد الله تعالى منه ما اشعر به ظاهره بل جعله مثلا لشيء آخر وتنبيها على مقصود آخر كسائر الامثال السائرة فسموه مثلا بالمعنى العرفي فان قيل القوم كانوا منكرين كون القرآن من عند الله تعالى فكيف قالوا ماذا اراد الله بهذا مثلا اجيب بان الذين في قلوبهم مرض ان كان المراد بهم المنافقين فهم كانوا مقرين في الظاهر بان القرآن من عند الله فلا جرم قالوا ذلك باللسان وان كان المراد بهم الكفار فيجوز ان يقولوا ذلك على سبيل التهكم او على سبيل الفرض والاستدلال بان القرآن لو كان من عند الله لما كان فيه مثل هذا الكلام (قوله مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى) اشارة الى ان محل الكاف في كذلك النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي يضل اضلالا مثل ذلك وان ذكره اشارة الى ما تقدم ذكره من الاضلال والهدى في قوله وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون وفي قوله ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا اي كاضلال الله ابا جهل واصحابه المنكرين لخزنة

فتكون الآية اخبارا بمكة عما سيكون في المدينة بعد الهجرة (والكافرون) الجازمون في التكذيب (ماذا اراد الله بهذا مثلا) اي شيء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل (وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب (كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين (وما يعلم جنود ربك) جموع خلقه على ما هم عليه (الا هو) اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما خصه من كم وكيف واعتبار ونسبة

جهنم وعددهم يضل و يخزي من يشاء و يهدي و يرشد من يشاء كارشاد الصحابة ثم ان ابا جهل لما استقل خزنة جهنم وقال وليس لتعذيب العصاة من الجنود الا تسعة عشر قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو والمراد من بيان كثرتها التنبيه على انه تعالى لا يعسر عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له تعالى في اختيار هذا العدد حكمة لا يعلمها الا هو و يحتمل ان يكون المعنى وما يعلم عدد الملائكة الذين خلقهم الله تعالى لتعذيب اهل النار الا هو وكون خزنة النار تسعة عشر لا ينافي ان يكون لهم من الاعوان ما لا يعلم عددهم الا الله (قوله وما سقر او عدة الخزنة او السورة الا ذكرى) فان سقر بما ذكر من صفاتها من كونها لا تبقي ولا تذر الخ تذكرة للبشر اي انذار لهم بسوء عاقبة الكفر والعناد وكذا ذكر عدة الخزنة تذكرة لهم ليتذكروا و يعلموا كمال قدرة الله تعالى وانه لا يحتاج في تعذيب الكفار والعصاة الى اعوان وانصار وكذا السورة تذكرة لهم لاشتمالها على الانذار وغيره (قوله وحفص اذ أدبر) اي بسكون الذال وأدبر على وزن افعل والباقون اذا دبر بفتح الذال والف بعدها ودبر على وزن فعل ودبر وادبر بمعنى ذهب ومضى كاقبل وقبل من اختار اذا قال لان ما بعده اذا اسفر وايضا هي في مصحف عبد الله مكتوبة بألفين بعد الذال احدهما الف اذا والاخرى همزة ادبر وايضا ليس في القرآن قسم يعقبه اذ بسكون وانما يعقبه اذا واختار ابن عباس اذ بالسكون و يحكى عنه انه لما سمع دبر قال انما يدبر ظهر البعير واختلف اهل اللغة في ان دبر وادبر هل هما بمعنى واحد اولا فقال الفراء والزجاج انهما بمعنى واحد والادبار نقيض الاقبال وكذا الدبور والقبول يقال مضى امس الدابر وامس المدبر وقيل قول العرب دبر فلان معناه جاء من خلف وقولهم ادبر الليل النهار بمعنى خلفه وجاء بعده فعلى هذا معنى اذا ادبر اذا اقبل بعد مضي النهار (قوله اي البلايا الكبر كثيرة) تعريف البلايا الكبر للعهد والمعهود دركات جهنم و يجوز ان يكون للجنس و يكون المعنى ان جنس البلايا الكبيرة كثيرة وسقر واحدة منها ومعنى كونها واحدة منها انها من بينهن واحدة في العظم لا نظير لها كما تقول هو احد الرجال وهي احدى النساء و يؤيد الاول ما روي عن مقاتل والكلبي انهما قالا اراد بالكبر دركات جهنم وابوابها وهي سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية نعوذ بالله من جميعهن (قوله وانما جمع كبرى على كبر) يعني ان فعلى يجمع على فعالى كحبلى وحبالى ولا يجمع على فعل بل هو جمع فعلة نحو ركبة وركب فعنى ان لا يجمع كبرى على كبر لكنه جمع على كبر تنزيلا لكبرى منزلة كبرة بتنزيل الف فعلى منزلة تاء فعلة كما جمع قاصعاء

(وماهي) وما سقر او عدة الخزنة او السورة (الا ذكرى للبشر) الا تذكرة لهم (كلا) ردع لمن انكرها او انكار لان يتذكروا بها (والقمر والليل اذ ادبر) اي ادبر كقبل بمعنى اقبل وقرأ نافع وحمزة و يعقوب وحفص اذ ادبر على المضي (والصبح اذا اسفر) اضاء (انها لاحدى الكبر) اي لاحدى البلايا الكبر اي البلايا الكبر كثيرة وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى على كبر الحاقا لها بفعلة تنزيلا للالف منزلة التاء كما الحقت قاصعة فجمعت على قواصع

على فواصل تنز بلا انها من ان فاصله جمع ان فاعلاء لا يجمع على فواعل اذهو جمع فاعلة لا جمع فاعلاء وفى الصحاح شبهوا فاعلاء بفاعلة وجعلوا الف التأنيث بمنزلة الهاء (قوله والجملة) اى جملة قوله انها لاحدى الكبر جواب القسم فان القسم فى قوله والقمر مقسم به مجرور بواو القسم والليل والصبح معطوفان عليه كأنه قيل وحق هذه الامور ان سقر لاحدى الكبر فكون القسم مع جوابه جوابا لمن انكر سقر وكونها احدى الكبر بعد ردعه عن انكاره بقوله كلا فان القسم وان واللام انما يصدر بها الكلام مع المنكر (قوله او تعليل لكلا) اى للامر بالارتداع كأنه قيل ارتدع عن انكار سقر لانها احدى الكبر وتأكيد الجملة بان واللام لوقوعها جوابا للمنكر لا لوقوعها جوابا للقسم وجواب القسم محذوف كأنه قيل والقمر ان الامر كذلك والقسم وجوابه جملة وقعت معترضة بين الامر بالارتداع وعلته وهذا على تقدير كون قوله تعالى كلا ردعا لمن انكر سقر وكونها من احدى الكبر فانه حينئذ يجوز ان يكون قوله انها لاحدى الكبر جوابا وتعليلا كما قررنا واما ان كان قوله كلا انكارا من الله تعالى لان يتذكروا بها فلا وجه حينئذ لان يكون قوله انها لاحدى الكبر تعليلا لكلا بالمعنى المذكور وتعين كونه جوابا للقسم ويكون تصدير الجملة بالمؤكدات مبنيا على تنزيل من لم يتذكر بها منزلة المنكر لسقر (قوله تمييز) اى من نسبة احدى الكبر الى اسم ان فصح ان ينتصب على التمييز كأنه قال انها من معظمات الدواهى من جهة كونها نذيرا كما تقول هى احدى النساء زمانا على قوله من يقول النار هى المنذرة وحذفت التاء من نذيرا كما فى قوله ان رحمة الله قريب من المحسنين اى شئ قريب اوذات قرب فهو على معنى النسب كقولهم امرأة طالق وطاهر اولأنه بمعنى النار العذاب (قوله او حال مما دلت عليه الجملة) لم يجعله حالا من ضمير انها لان الحروف المشبهة لا تنصب الحال (قوله بدل من للبشر) باعادة الجار كقوله تعالى لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وللذين استضعفوا لمن آمن وقوله تعالى ان يتقدم مفعول شاء والمعنى ان العبد متمكن من السبق الى الخيرات بالايمان والطاعات ومن التخلف عنها بالكفر والعصيان اى نذيرا لمن شاء التقدم الى الخير والجنة بالطاعة او التأخر عنه بالمعصية فمن اراد الخير فهو متمكن منه فليفعل ومن اراد الشر فهو متمكن منه ايضا فليفعل وفيه نوع تهديد كما فى الوجه الثانى فان قلت قد تقرر ان مفعول شاء واراد لا يذكر فى الكلام الفصيح الا ان يكون فيه غرابة فاى غرابة فيه حتى ذكره فى هذا الوجه دون الوجه الثانى والجواب ان اختيار التأخر والحرمان عن الخير مع التمكن من التقدم والفوز بالخير امر غريب وان المعنى انها لاحدى الكبر نذيرا للكافرين

والجملة جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتأكيد (نذيرا للبشر) تمييز اى لاحدى الكبر انذارا او حال مما دلت عليه الجملة اى كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا او خبر المحذوف

عنه اولمن شاء خبر لان يتقدم فيكون فى معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (كل نفس بما كسبت رهينة) مرهونة عند الله مصدرا كالشتيمة اطلق للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين (الا اصحاب اليمين) فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم وقيل هم الملئكة او الاطفال (فى جنات) لا يكتنه وصفها وهى حال من اصحاب اليمين او من ضميرهم فى قوله (يتساءلون عن المجرمين) اى يسأل بعضهم بعضا او يسألون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه اى دعوناه وقوله (ما سلككم فى سقر) جوابه حكاية لما جرى بين المسؤلين والمجرمين اجابوا بها (قالوا لم نك من المصلين) الصلاة الواجبة (ولم نك نطعم المسكين) ما يجب اعطاؤهم وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع (وكنا نخوض مع الخائضين) نشرع فى الباطل مع الشارعين فيه (وكنا نكذب بيوم الدين) اخره لتعظيمه (١٥) اى وكنا (بعد) بعد ذلك كله مكذبين بالقيامة (حتى اتانا اليقين) الموت ومقدماته

التمكن من فعل الخير مع التمكن من فعل الطاعة والمعصية فهو عنده كقوله لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر (قوله اولمن شاء خبر لان يتقدم) فلا يكون ان يتقدم مفعول شاء بل يكون فى محل الرفع على الابتداء ولمن شاء خبر قدم عليه ومحصول المعنى انه لاقسر ولا الجاء بل المكلف مختار فى كل ما اتاه او تركه فليفعل ما اراده وفيه نوع تهديد كما فى قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (قوله ولو كانت صفة لقيل رهين) لان فعيلا اذا كان بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث فعلم ان التاء فيه ليست للفرق بين المذكر والمؤنث بل هو اسم للمصدر الكائن بمعنى المفعول اى اسم لما رهن والتاء التى فيه للدلالة على كونه منقولا من الوصفية الى الاسمية فان الصفة اذا غلب الاسمية عليها وكانت بحيث لا يحتاج الى الموصوف ولا يذكر معها الموصوف تلحقها التاء دليلا على النقل كالنطيحة والذبيحة اسمان لما نطح وذبح فيصح ان يقال كل امرئ رهينة كما يقال كل نفس رهينة اى محبوسة من قولهم رهن الشئ اى دام وثبت وارهنته كذا اى تركته ثابتا مقيما عنده والمرتهن هو الذى يأخذ المرهون ونفس المكلف محبوسة والخالق الله تعالى بمقابلة ما اوجبه عليه من التكاليف التى هى خالص حقه فان اداها المكلف كما وجبت عليه فك رقبته وخلص نفسه والا بقى نفسه محبوسة عنده تعالى (قوله وقيل هم الملائكة او الاطفال) فانهم ليسوا مكلفين بالاعمال حتى يكونوا محبوسين بما عليهم من حق الله تعالى فعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا لان النفوس المرهونة هى نفوس المكلفين والملائكة واطفال المسلمين ليسوا بمكلفين فلا يدخلون فى المستثنى منه الا ان تعم النفس الكل (قوله او من ضميرهم) عطف على اصحاب اليمين (قوله تعالى يتساءلون) يجوز ان يكون من التساؤل الواقع بين اثنين على معنى ان اصحاب اليمين يسأل بعضهم بعضا عن احوال المجرمين ويجوز ان يكون بمعنى يسألون اى يسألون غيرهم عن احوال المجرمين فان تفاعل قد يجئ بمعنى فعل كما يقال تداعينا اى دعونا وعلى التقديرين ليس المجرمون مسؤلا عنهم بل هم المسؤل منهم فلا بد من توجيه مجئ عن فان قوله ما سلككم فى سقر سؤال للمجرمين وقوله يتساءلون عن المجرمين سؤال عنهم فلا يتطابقان وانما يتطابقان لو قيل يسألون المجرمين ما سلككم فى سقر وتوجيه الكلام ان قوله ما سلككم فى سقر مع جوابه حكاية من قبل المسؤلين لما جرى بينهم وبين المجرمين من السؤال والجواب والمعنى ان اصحاب اليمين لما تساءلوا بان سأل بعضهم بعضا او بان سألوا غيرهم عن المجرمين قال المسؤلون فى جواب من سألهم قلنا لهم ما سلككم فى سقر فاجابوا بان قالوا لم نك من المصلين الخ الا ان الكلام جئ على الحذف والاختصار

(فما تنفعهم شفاعة الشافعين) لو شفعوا لهم جميعا (فما لهم عن التذكرة ﴿١١٤﴾ معرضين) اى معرضين

عن التذكير يعني القرآن اوما يعمه ومعرضين حال (كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) شبههم في اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة فرت من قسورة اى اسد فعولة من القسر وهو القهر وقرأ نافع وابن عامر مستنفرة بفتح الفاء (بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة) قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتي كلا منا بكتاب من السماء فيه من الله الى فلان ان اتبع محمدا (كلا) ردع لهم عن اقتراحهم الآيات (بل لا يخافون الآخرة) فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف (كلا) ردع لهم عن اعراضهم (انه تذكرة) واى تذكرة (فمن شاء) ان يذكره (ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله) ذكرهم او مشيئتهم كقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشيئة الله وقرأ

نافع يذكرون بالتاء وقرئ بهما مشددا (هو اهل التقوى) حقيق بان يتقى عقابه (واهل المغفرة) حقيق (سورة

كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه (قوله تعالى فما تنفعهم) الفاء فيه سببية دخلت على المسبب اى اذا ثبت انهم اعترفوا بذنبهم من ترك الاعتقاد والعمل ثبت انه لو فرض اجتماع الشفعاء على شفاعتهم لما نفعتهم شفاعتهم ثم انه تعالى لما بين ان من ترك الاعتقاد والعمل يعذب لامحالة بحيث لا تنفعه شفاعة الشافعين باسرهم تعجب من اصرار كفار مكة على الكفر والعناد واعراضهم عن التذكير بالقرآن فقال فما لهم عن التذكرة معرضين وكلمة ما في محل الرفع بالابتداء ولهم خبره ومعرضين حال من الضمير المجرور في لهم وعن التذكرة متعلق بمعرضين والعامل في الحال معنى الاستقرار المدلول عليه باللام الجارة في لهم وكأنهم حمر حال بعد حال والاستفهام في مالهم للانكار اى اى شئ ثبت لهم معرضين عن وعظه مشابهين حمرا ومستنفرة بكسر الفاء بمعنى نافرة فان استنفر ونفر بمعنى كعجب واستعجب وسخروا واستسخر واستنفرا لم من نفر كأنه يطلب من نفسه النفار وقرئ بفتح الفاء ايضا اى مذعورة منفرة نفرها الصائد كأنه طلب منها النفار (قوله اى اسد) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان القسورة هو الاسد بلسان الحبشة سمى بالقسورة لانه يغلب السباع ويقهرها والحمر الوحشية اذا عاينت الاسد تهرب وكذا المشركون اذا سمعوا القرآن ورأوا من يذكرهم به وقوله تعالى بل يريد اضراب عن اعراضهم الى ماهو افحش من ذلك وهو الاقتراح على سبيل الاستهزاء (قوله فيه من الله تعالى الى فلان) اى لن نتبعك حتى تصبح عند رأس كل واحد منا كتاب عنوانه هذا كتاب من عبد الله رب العالمين الى فلان ابن فلان ان اتبع محمدا فانه رسول من قبلي اليكم ثم اضرب وابطل ان يكون اتيانهم اياه عليه الصلاة والسلام لعدم ايتاء الصحف وبين ان ذلك لعدم خوفهم من الآخرة فقال بل لا يخافون الآخرة ثم قال كلا ردعا لهم عن الاعراض عن التذكرة ثم أثبت كونه تذكرة بليغة فقال انه تذكرة (قوله فمن شاء ان يذكره) اى ان يحمله على ذكره وينتفع به ذكره اى جعله نصب عينه لان نفع ذلك راجع اليه وانه ممكن من ذلك قرأ الجمهور وما يذكرون بياء الغيبة وتخفيف الذال والكاف على وفق ما تقدم في قوله فما لهم عن التذكرة معرضين وقرأ نافع بتاء الخطاب على طريق الالتفات من الغيبة الى الخطاب وقرئ بتشديد الدال والكاف بالتاء والياء ايضا بمعنى يتذكرون وتتذكرون (قوله وهو تصريح بان فعل العبد بمشيئة الله تعالى) كما هو مذهب اهل السنة وقالت المعتزلة المعنى الا ان يقسرهم على الذكر ويلجئهم اليه ونحن نقول تخصيص المشيئة بالمشيئة القسرية ترك للظاهر بلا دليل ❊ تمت سورة المدثر والحمد لله رب العالمين

(سورة القيامة اربعون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله ادخال لا النافية على فعل القسم للتأكيد) اى لتأكيد القسم شائع اراد بلا النافية ما هو فى صورة النافية بشهادة قوله للتأكيد فان ما يكون للتأكيد لا تكون نافية كما ان النافية لا تكون مؤكدة وكلمة ما ولا كثيرا ما تكون صلة زائدة كقوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وقوله ما منعك ان لا تسجد وقوله فبما رحمة من الله وقول امرئ القيس

لا وابيك ابنة العامرى ❊ لا يدعى القوم انى افر

والمعنى وابيك لا يدعى القوم فكذا معنى الآية اقسم بيوم القيامة (قوله ابنة العامرى) منادى حذف منه حرف النداء اى يا ابنة العامرى انا لا افر من الحرب وانا مشهور ومتمز بذلك حتى لا يدعى ذلك احد ويجوز ان يكون مراده ان كلمة لا فى الآية لنفى ما سبق المقسم عليه ورد من قال بذلك فكأنه قيل ليس الامر كما زعم منكروا البعث ثم ابتدأ بعد القسم فقال اقسم بيوم القيامة انكم لتبعثن ومعنى قوله للتأكيد اى لنفى ما سبق المقسم عليه تأكيد القسم وجواب القسم فى الآية محذوف يدل عليه قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه اذ هو لا يصلح جوابا لكونه جملة انشائية كأنه قيل اقسم بيوم القيامة انكم لتبعثن ثم اكد هذا المعنى بالانكار على حسبان انه تعالى لا يقدر على احياء من فى القبور بجمع عظامهم النخرة واجسادهم البالية المتلاشية ويحتمل ان يكون مراده ان كلمة لا فيهما لنفى القسم والمعنى لا اقسم بيوم القيامة على حقية البعث والقيامة لان هذا المطلوب اعظم واجل من ان نقسم عليه ويكون المقصود تأكيد المقسم عليه وتفخيم شأنه وبيان استغنائه عن الاقسام عليه (قوله او بالجنس) يعنى ان قوله تعالى اللوامة اما صفة مخصصة لجنس النفس المتقية خصصها بالتى تلوم المقصرين فى التقوى واما مؤكدة بناء على تعريف الجنس وان كان للعهد والمعهود النفس المتقية الا انها تلوم نفسها ابدا ثم ذكر احتمال ان يكون المعهود النفس المطمئنة اى المستقرة الثابتة على الحق المتقية بحيث لا يلتفت عنه الى ما سواه فان القوة العاقلة اذا اخذت فى سلسلة الاسباب والمسببات وانتهت فى مدارج الارتقاء الى واجب الوجود لذاته الذى هو مستغن عن جميع ما سواه فى ذاته وصفاته وافعاله وان جميع ما سواه محتاج اليه فى جميع شؤونه فلا جرم تقف عنده وتطمئن اليه ولا تنتقل عنه الى غيره فتثبت فى مقام العبودية فلا يزعجها عنه شئ من حظوظ عالم الطبيعة ولذاته الفانية فهذه النفس المعهودة لوامة للنفس الامارة والمطمئنة الى الحق المستغرقة فى بحار معرفته وملاحظة جلاله

من صدق بمحمد وكذب به بمكة

(سورة القيامة مكية وآيها تسع وثلاثون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا اقسم بيوم القيامة) ادخال لا النافية على فعل القسم للتأكيد شائع فى كلامهم قال امرؤ القيس

لا وابيك ابنة العامرى ❊ لا يدعى القوم انى افر ❊

وقدمر الكلام فيه فى قوله فلا اقسم بمواقع النجوم وقرأ قنبل لأقسم بغير الف بعد اللام وكذا روى عن البزى (ولا اقسم بالنفس اللوامة) بالنفس المتقية التى تلوم النفوس المقصرة فى التقوى يوم القيامة على تقصيرها او التى تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت فى الطاعة او النفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة او بالجنس لما روى عليه الصلاة والسلام قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتنى ما كنت قصرت او نفس

آدم فانها لم تزل تلوم على ما خرجت به من الجنة

وجعله احص من المتقدم عما يؤتم ثم ذكر احتمال ان يكون تعريف النفس للاستغراق وتكون اللوامة صفة مؤكدة (قوله وضمها الى يوم القيامة) جواب عما يقال ما المناسبة بين القيامة و بين النفس اللوامة حتى جمع الله تعالى بينهما في القسم وتقرير الجواب انه تعالى اقسم بيوم القيامة وهو يوم يقوم الناس من القبور لرب العالمين اى لامره وحكمه بذلك اظهارا لعظمته فانه امر عظيم الشان تظهر فيه الاشياء بحقائقها فصح لذلك ان يعظم قدره وجعلت النفس اللوامة ايضا مقسما بها لما بينهما من المناسبة من حيث ان المقصود من البعث واقامة القيامة اظهار النفوس وتمييز المطيعة والعاصية منهما وهو من بدائع القسم من حيث تناسب القسم والمقسم عليه حيث اقسم بيوم البعث وبالنفوس المجزية فيه على حقيقة البعث والجزاء كقول ابي تمام وثناياك انها اغريض كما مر في سورة الزخرف (قوله او نجمع الله) همزة الواو العاطفة بعد همزة الاستفهام اى أيبعث ونجمع وان فى قوله تعالى ان لن نجمع عظامه مخففة من الثقيلة اى ايحسب الانسان انه لن نجمع عظامه و بلى ايجاب لما ذكر بعد النفى وهو الجمع كانه قيل بلى نجمعها وقادرين حال مؤكدة من الضمير المستكن فى نجمع المقدر بعد بلى اى بلى نجمع العظام قادرين على تأليف جمعها واعادتها الى التركيب الاول والسلاميات عظام الاصابع واحدتها سلامى والبنانة واحدة البنان وهى اطراف الاصابع ومن قدر على جمعها مع صغرها فهو على جمع الكبار اقدر او ومن قدر على جمع الحواشى والاطراف فهو على جمع الاصول والاساس اقدر (قوله فيجوز ان يكون استفهاما وان تكون ايجابا) يعنى على تقدير ان يكون قوله بل يريد معطوفا على ايحسب يجوز امران الاول ان يكون المعطوف استفهاما انكاريا كالمعطوف عليه وتقدير الكلام بل ايريد استفهم عن شئ اولا ثم اضرب عن الاستفهام عنه الى الاستفهام عن امر آخر كانه قيل منشأ انكار البعث هل هو حسبان عجزنا عن البعث وجمع الاجزاء او ارادة ان يدوم على ما اعتاده من التمادى وانواع الفجور امامه اى فيما يستقبله من الزمان وهو قول المصنف لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم اى مع بقاء اصل الاستفهام على حاله والامر الثانى ان يكون المعطوف ايجابا استفهم اولا على سبيل الانكار على حسبانه ثم اضرب عن اصل الاستفهام الى الاخبار عن حاله بما هو ادخل فى اللوم عليه من الاول كانه قيل دع الانكار على حسبانه امرا باطلا فى حقنا فان فيه ماهو اقبح من ذلك وهو انه يحب اللذات العاجلة والحياة الفانية وانهماكه فى قضاء شهواته الفانية يصرفه عن النظر فى الدلائل المؤدية الى

وضمها الى يوم القيامة لان المقصود من اقامتها مجازاتها (أيحسب الانسان) يعنى الجنس واسناد الفعل اليهم لان منهم من يحسب او الذى نزل فيه وهو عدى بن ابى ربيعة سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن امر القيامة فاخبره فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام (ان لن نجمع عظامه) بعد تفرقها وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول (بلى) نجمعها (قادرين على ان نسوى بنانه) نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوى بنانه التى هى اطرافه فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع اى نحن قادرون (بل يريد الانسان) عطف على أيحسب فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم او عن الاستفهام (ليفجر امامه) ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان (يسأل ايان يوم القيامة) متى يكون استبعادا او استهزاء (ويعيب)

تعيين الحق من الباطل وتمييز الصواب من الخطأ فإن إنكار البعث قد ينشأ من الشبهة
وقد ينشأ من حب العاجل ومتابعة الهوى فالله تعالى أشار إلى الأول بقوله أيحسب
الإنسان أن لن نجمع عظامه أي أن لن نقدر على جمع ما تفرق من أجزائه غربا وشرقا
بتفريق الرياح وأكل السباع إياها وما اختلط من أجزاء كل شخص بأجزاء غيره
حتى نبعث كل أحد بعينه بجميع أجزائه ويحاسب ويجازى بما عمل في الدنيا ثم
إنه تعالى رد هذه الشبهة بقوله بلى قادرين أي نجمع عظامه ونركبها كما كانت
بناء على أنه تعالى عالم بالجزئيات بأسرها فيكون عالما بأجزاء كل شخص متميزة عن
أجزاء غيره وقادر على كل الممكنات فيلزم أن يكون قادرا على تركيبها ثانيا
وأشار إلى المنشأ الثاني لإنكار البعث بقوله بل يريد الإنسان ليفجر أمامه يعني
أن الإنسان الذي هو عبد بطنه وفرجه واستمر ماله وجاهه فإن فكرة البعث
يكدر عليه ابتهاجه في استيفاء هذه اللذات الطبيعية وتقتضي حبس نفسه الأمارة
بالسوء عن إطلاقها في قضاء شهواتها وتقييدها بالقيود الشرعية فيجد أمر
البعث ثقيلا مخالفا لمقتضى طبعه فينكره لذلك فلا ينتهي عن المعاصي ولا يخطر
بباله أن يتوب عنها وإن خطر يقول سوف أتوب حتى يأتيه الموت وهو على
شر أحواله وأسوأ أفعاله وقوله تعالى أمامه ظرف ليفجر والفجور التكذيب
وما يتفرع عليه ومفعول يريد محذوف والمعنى بل يريد الإنسان الثبات على
ما هو عليه من عدم التقييد بقيود الإيمان والطاعة ليدوم على فجوره فيما بقي
من عمره وفسر قوله تعالى ليفجر بقوله ليدوم على فجوره لأنه في هذه الحالة ملابس
بالفجور وهو حسبان ما لا يجوز في حقه تعالى وإرادة الفجور كأنه قيل ليس
إنكاره للبعث لاشتباه الأمر عليه وعدم قيام الدليل على صحة البعث بل يريد
أن يستمر على فجوره في حال كونه سائلا على طريق الاستهزاء والسخرية أيان
يوم القيامة فيوم القيامة مبتدأ وأيان خبره ثم إنه تعالى ذكر من علامات القيامة
ههنا أمورا ثلاثة أولها قوله فإذا برق البصر وثانيها قوله وخسف القمر
وثالثها قوله وجمع الشمس والقمر وقرأ نافع برق بفتح الراء من باب نصر
والباقون بكسرها فقيل هما لغتان في التحير والدهشة وقيل برق بالكسر بمعنى
تحير فزعا فتراه لا يطرف وبرق بالفتح من البرق أي لمع وتلألأ من شدة شخوصه
أي ارتفاعه يقال شخص شخوصا أي ارتفع (قوله من برق الرجل إذا نظر
إلى البرق فدهش بصره) يعني أن الأصل فيه أن الرجل إذا أكثر من النظر
إلى لمعان البرق فدهش بصره لذلك وتحير يقال برق الرجل ثم يستعمل ذلك
في كل حيرة سواء نشأت من النظر إلى البرق أم لا كما يقال قمر الرجل يقمر قمرا
إذا تحير بصره من كثرة النظر إلى القمر ثم استعير في كل حيرة عرضت له من كثرة

(فإذا برق البصر) تحير
فزعا من برق الرجل
إذا نظر إلى البرق فدهش
بصره وقرأ نافع بالفتح
وهو لغة أو من البريق
بمعنى لمع من شدة شخوصه
وقرئ بلق من بلق
الباب إذا فتح (وخسف
القمر) وذهب ضوءه
وقرئ على بناء المفعول

البطر من كل ما يفرق البصر كالملح ونحوه ثم اختلفوا في ان هذه الحالة التي هي برق البصر متى تكون وتحصل فقيل عند الموت وقيل عند البعث وقيل عند رؤية جهنم والقولان الاخيران ظاهران لارتباط السؤال عن يوم القيامة بقولهم ايان اي متى يوم القيامة كانه قيل يوم القيامة اذا تحير البصر واما اذا اريد به الحالة الحادثة عند الموت فحينئذ لابد من بيان وجه ارتباط الآية بالسؤال عن يوم القيامة لانه لما سئل بان يقال ايان يوم القيامة كان المناسب ان يقع الجواب بما يحصل عند قيامها والجواب بما يحصل عند الموت لايطابقه ظاهرا ولعل وجه الارتباط حينئذ ان من قال ايان يوم القيامة انما يقوله على سبيل الاستهزاء والسخرية فقيل في جوابه ان من استهزأ اذا قرب موته وبرق بصره تيقن حينئذ ان ما كان عليه من الانكار والاستهزاء خطأ عظيم مستوجب للعذاب الاليم الدائم فيقول حينئذ اين المفر (قوله ولاينافيه الخسوف) ورد على تفسير جمع الشمس والقمر بجمعهما في الطلوع من المغرب ان يقال الجمع بينهما بهذا الطريق ينافي خسوف القمر لان خسوفه يقتضي المقابلة بينه وبين الشمس لتحقق حيلولة الارض بينهما فلا يتأتى للقمر ان يستفيد النور من الشمس فيبقى اسود عديم النور الذي هو معنى خسوف القمر ولما كان اجتماعهما في الطلوع من المغرب منافيا للمقابلة بينهما كان منافيا لخسوفه ايضا لان ما ينافي الملزوم ينافي اللازم ايضا ＊ اجاب عنه بانه ليس المراد بالخسوف الا المحاق وذهاب النور مطلقا سواء كان ذهابه بحيلولة الارض بينهما او بغير ذلك فالله تعالى قادر على كل الممكنات فيقدر على ازالة الضوء من القمر باي طريق شاء وقرأ العامة وخسف القمر على بناء الفاعل وقرئ وخسف على بناء المفعول لان خسف استعمل لازما ومتعديا يقال خسف القمر وخسفه الله والخسوف يكون بمعنى غيبة الشيء وذهابه بنفسه ومنه قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض (قوله ولمن حمل ذلك على امارات الموت) الاشارة بذلك الى برق البصر فمن حمله على ما يلحق البصر عند البعث او عند رؤية جهنم يفسره بملاحظة ارتباط الكلام بما قبله ووجه عطف قوله وخسف القمر وجمع الشمس والقمر بالواو الجامعة على قوله فاذا برق البصر كون كل واحد منهما مما يتحقق يوم البعث والجزاء واما من حمل برق البصر على ما هو من امارات الموت فيفسر ما بعده بملاحظة ارتباط الكلام بما قبله وملاحظة وجه العطف بالواو الجامعة لان ذهاب ضوء القمر واجتماعه مع الشمس في ذلك لايكونان في زمان البروق الذي هو من امارات الموت فلا يصح عطفهما عليه بالواو الجامعة وتقرير الجواب نعم ان الامر كذلك ولابدع ان يفسر خسف القمر والجمع بينهما بما يكون من

(وجمع الشمس والقمر)
في ذهاب الضوء او
الطلوع من المغرب
ولاينافيه الخسوف فانه
مستعار للمحاق ولمن
حمل ذلك على امارات
الموت ان يفسر الخسوف
بذهاب ضوء البصر
والجمع باستتباع الروح
الباصرة في الذهاب

(امارات)

امارات الموت ايضا بان يجعل القمر استعارة لحاسة البصر تشبيها لها بالقمر في ان نورها مستمد من الروح بواسطة تصرفه واستمدادا من قواه الطبيعية السبع التي هي الجاذبة والماسكة والهاضمة ونحوها فيما هيئت كل واحدة منها له وبان يجعل الشمس استعارة للروح تشبيها للروح بالشمس في ان كمالات عالم الارض محتاج الى تأثير الشمس وحركاتها وبفسر قوله خسف القمر بان يقال ذهب ضوء البصر عند الموت وقوله وجمع الشمس والقمر بان يقال اجتمعا في حكم الذهاب وان اختلف طريق الذهابين وان ذهاب ضوء القمر بمعنى بطلانه واضمحلاله وطريق ذهاب الروح بطلان تعلقه بالبدن وانتقاله الى عالم المجردات (قوله او بوصوله) اشارة الى تفسير آخر للجمع بان تجعل الشمس مستعارة للارواح العالية والعقول المجردة التي يستفاد منها انوار العقول الانسانية وادراكاتها وان يجعل القمر مستعارا للروح الانساني فحينئذ يكون جمعهما عبارة عن وصول الروح الانساني الى الارواح العالية (قوله وتذكير الفعل) حيث لم يقل وجمعت الشمس لتقدمه اي لكونه مسندا الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي وهي الشمس وفي مثله يجوز تذكير الفعل وتأنيثه مع ان فعل الجمع لم يسند الى الشمس وحدها بل هو مسند الى القمر ايضا بواسطة الواو العاطفة والقمر مذكر فغلب جانب التذكير على التأنيث وهذا الوجه لا يصلح بانفراده دليلا على التذكير فانك اذا قلت قام هند وزيد لم يجز عند الجمهور الا انه يصلح مؤيدا للوجه الاول فكانه قيل ذكر الفعل لاسناده الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي مع انه قد عطف عليه مذكر فغلب على المؤنث الغير الحقيقي (قوله تعالى يقول الانسان) جواب اذا في قوله فاذا برق واذا ظرف معمول له وان المفر منصوب المحل بالقول اي يقول هذا الانسان المنكر للقيامة اذا عاين هذه الاحوال وايقن سوء عاقبة انكاره اين الفرار من حيث انه لا يرى شيئا من امارات تمكنه من الفرار والمفر بفتح الميم وكسر الفاء اسم للمكان المفر اليه (قوله مستعار من الجبل) فان الوزر في الاصل الجبل المنيع ثم اطلق لكل ما التجأ اليه وتحصن به تشبيها له بالجبل المنيع والمعنى لا شيء يعتصم به من امر الله وخبر لا محذوف اي لا ملجأ ثمة او في الوجود (قوله اليه وحده استقرار العباد) على ان تقديم قوله الى ربك يفيد الاختصاص واللام في المستقر عوض عن المضاف اليه وانه بمعنى الاستقرار والمراد اما استقرار نفس العباد اي لا يقدرون ان يستقروا الى غيره تعالى ولا يتوجهون الا اليه واما استقرار امورهم على معنى لا يرجع امور العباد الا الى حكمه لا يحكم فيها غيره ويجوز ان يكون المستقر بمعنى مكان الاستقرار فيكون المعنى موضع قرار العباد من الجنة والنار

او بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف (يقول الانسان يومئذ اين المفر) اي الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمني وقرئ بالكسر وهو المكان (كلا) ردع عن طلب المفر (لا وزر) لا ملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل (الى ربك يومئذ المستقر) اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من شاء الجنة ومن شاء النار

يومئذ مفوض الى مشيئة ربك وحده من شاء ادخله الجنة ومن شاء ادخله النار والمستقر مرفوع على الابتداء والى ربك خبره ويومئذ ظرف معمول لما تعلق به الى ربك ولا يجوز ان يكون معمولا للمستقر لانه ان كان مصدرا بمعنى الاستقرار فلا يتقدم عليه معموله وان كان اسم مكان فلا عمل له اصلا وكذا الكلام في نحو قوله الى ربك يومئذ المساق (قوله اي بما قدم من عمل عمله او بما اخر من سنة حسنة او سيئة عمل بها بعده) فما قدمه هو ما عمله بنفسه من الاعمال خيرا كان او شرا ولم يتعد نفعه الى من بعده وما اخره سواء عمله هو بنفسه من ذلك او ابقاه سنة حسنة او سيئة لمن بعده وعلى الاول ما قدمه واخره ما عمله من عمل طاعة كان او معصية وما لم يعمله من طاعة وعلى الثالث ما قدم وانفق من امواله ايام حياته وما خلفه للورثة وعلى الرابع ما عمله في حياته مقدما ومؤخرا اي اول عمله وآخره ثم انه تعالى لما قال ينبأ الانسان يومئذ باعماله قال بل لا يحتاج الى ان يخبر بذلك بناء على ان نفسه شاهدة عليه بجميع ما فعله من الافعال وتشهد عليه جوارحه بذلك قال تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون قيل هذا في حق الكفار فانهم ينكرون ما عملوه فيختم على افواههم وتنطق جوارحهم (قوله حجة بينة على اعمالها) اشارة الى ان الانسان مبتدأ وبصيرة خبره وعلى نفسه متعلق ببصيرة اي على اعمال نفسه وانث البصيرة مع كونها خبرا عن الانسان وهو مذكر مبني على انها صفة موصوف محذوف اي الانسان حجة بصيرة او مثل البصيرة على التشبيه البليغ شبه الانسان بالحجة من حيث كونه شاهدا بالاعمال على نفسه لان جوارحه تنطق بها وتكون شاهدا على نفسه بشهادة جوارحه كما ان الحجة شاهدة للدعوى فالانسان لما شابه الحجة من حيث كون كل واحد منهما شاهدا قيل انه حجة بينة على اعماله على التشبيه البليغ فقوله لانه شاهد بها اي شاهد بالاعمال على نفسه علة لحمل المشبه على المشبه به واشارة الى وجه الشبه (قوله وصفها بالبصارة على المجاز) اراد بالمجاز المجاز العقلي كانه قيل سلمنا ان تقدير الكلام بل الانسان على نفسه حجة على التشبيه البليغ فما معنى توصيف الحجة بكونها بصيرة والبصير انما هو صاحبها اجاب عنه بانه من قبيل الاسناد المجازي وصف الحجة بوصف صاحبها للدلالة على كونها اوضح الدلالة سهلة الاهتداء بها فان الهادي الى الطريق اذا كان بصيرا غير اعمى سهل عليه امر الدلالة وسهل على غيره الاهتداء به فوصف الحجة بكونها بصيرة للاشارة الى كونها سهلة الدلالة وسهلة الاهتداء بها فالمصنف اشار الى هذا المعنى بقوله حجة بينة بدل حجة بصيرة وان جعل تقدير الكلام بل الانسان على نفسه عين بصيرة فلا يكون الانسان مبتدأ وبصيرة مبتدأ

(ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر) بما قدم من عمل عمله وبما اخره لم يعمله او بما قدم من عمل عمله وبما اخر من سنة حسنة او سيئة عمل بها بعده او بما قدمه من مال تصدق به وبما اخر فخلفه او باول عمله وآخره (بل الانسان على نفسه بصيرة) حجة بينة على اعمالها لانه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز او على عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء (ولو ألقى معاذيره) ولو جاء بكل ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر او جمع معذرة على غير القياس كالمناكير في المنكر فان قياسه معاذر

(ثانيا)

ثانيا وعلى نفسه خبر الثانى والجملة خبر الاول كقولك زيد على رأسه عمامة والعائد من الجملة الى المبتدأ الاول ضمير نفسه والمراد بالبصيرة على هذا هو الملك الموكل او الجوارح فان الحافظ والرقيب يطلق عليه العين البصيرة وجواب لو فى قوله تعالى ولو ألقى معاذيره محذوف اى لم تقبل منه المعذرة ولو جاء بكل ما يعتذر به فان العذر لارواج له يومئذ لانه يوم تبلى السرائر و تظهر حقائق الاشياء كما هى (قوله وذلك اولى) اى كون المعاذير جمع معذار اولى من كونه جمع معذرة لان بناء الجمع حينئذ يكون على وفق القياس كمفتاح ومفاتيح و مثقال ومثاقيل بخلاف ما اذا كان جمع معذرة فانه يجمع على معاذر كمحمدة ومحامد ولايجمع على معاذير الاعلى وجه الشذوذ كمنكر و مناكير (قوله وفيه نظر) اى فى كون هذا الوجه اولى لعل وجه النظر ان كون البناء على وفق القياس انما يكون وجها لاولوية كون معاذير جمع معذار ان لو كان معذار بمعنى العذر لفظا مستعملا مسموعا وليس كذلك وكونه جمع معذرة وان كان على خلاف القياس الا انه على وفق الاصل فان الاصل ان يكون بناء الجمع بناء مغيرا عن مفرد ملفوظ مستعمل ولفظ معذرة كذلك فالوجهان متعارضان متساويان لا اولوية لاحدهما على الآخر والى كل واحد من الوجهين ذهب جماعة من النحويين فان منهم من ذهب الى ان مثل هذا الجمع لفظ مستعمل على خلاف القياس وقالوا المذاكير جمع ذكر وهو العضو المعروف ومناكير جمع منكر ومنهم من ذهب الى ان مثله اسم جمع لغير الملفوظ به بل لمقدر فقال ان نحو مذاكير جمع مذكار وان لم يسمع (قوله قبل ان يتم وحيه) اخذه من قوله تعالى فى سورة اخرى ولاتعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما روى انه عليه الصلاة والسلام كان يشتد عليه حفظ التنزيل وكان عليه الصلاة والسلام اذا نزل عليه الوحى يحرك لسانه وشفتيه قبل فراغ جبريل مخافة ان لا يحفظ فانزل الله تعالى لا تحرك به لسانك اى بالقرآن وجاز هذا الاضمار وان لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه كما اضمر فى قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر (قوله تعالى لتعجل به) اى باخذه دلت الآية على انه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ مع قراءة جبريل عليه الصلاة والسلام وكان يسأله فى اثناء قراءته عن مشكلات معانيه لغاية حرصه على العلم فنهى عن الاول بقوله لاتحرك به لسانك الى قوله فاذا قرأناه فاتبع قرآنه وعن الثانى بقوله ثم ان علينا بيانه فضمن له عليه الصلاة والسلام بيان المشكل منه كما ضمن له الحفظ واثبات قراءته فى لسانه عليه الصلاة والسلام بحيث يقرأه متى شاء على ان القرآن مصدر بمعنى القراءة مضاف الى

وذلك اولى وفيه نظر (لاتحرك) يا محمد (به) بالقرآن (لسانك) قبل ان يتم وحيه (لتعجل به) لتأخذه على عجل مخافة ان تتفلت منك (ان علينا جمعه) فى صدرك (وقرآنه) واثبات قرآنه فى لسانك وهو تعليل للنهى

مفعوله وان ثمة مضافا مقدرا (قوله بلسان جبريل) اشارة الى ان قوله قرأناه من قبيل اسناد فعل المأمور الى الآمر والمعنى اذا قرأه جبريل عليك بامرنا وفرغ من قرآنه فاقرأه حينئذ وكرر كيلا يتفلت منك وكن تابعا له فى القراءة ولا تقرأ معه (قوله وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب) وجه الدلالة انه تعالى ذكر البيان بكلمة ثم وهى للتراخى وانما قال عن وقت الخطاب لانه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة الى العمل لانه تكليف بما لا يطاق والاعتراض عليه بما روى من ان قوله تعالى وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود نزل ولم ينزل معه قوله من الفجر فكان بعض الصحابة اذا اراد الصوم وضع عقالين ابيض واسود وكان يأكل ويشرب حتى يتبين له احدهما من الآخر فقد تأخر البيان عن وقت حاجتهم الى الصوم مدفوع بان ما فعله الصحابة كان فى صوم التطوع ووقت الحاجة انما هو وقت الفرض من الصوم كذا فى التلويح ويجوز تأخيره عن وقت الخطاب مطلقا اى سواء كان البيان تفصيليا او اجماليا بان يقترن باللفظ ما يشعر بانه ليس المراد من اللفظ ما يقتضيه ظاهره بل ان يقترن بما يشعر ان المراد بهذه النكرة فرد متعين وبهذا المطلق مقيد وبهذا العام خاص وبهذا اللفظ المعنى المجازى ونحو ذلك (قوله وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة) يعنى ان قوله تعالى لا تحرك به لسانك اعتراض وقع بين قوله تعالى بل يريد الانسان ليفجر امامه وبين قوله تعالى بل تحبون العاجلة قال الامام زعم قوم من قدماء الروافض ان هذا القرآن قد غير وبدل وزيد فيه ونقص واحتجوا عليه بانه لا مناسبة بين هذه الآية وما قبلها والجواب عن ذلك من وجهين احدهما ان الاستعجال المنهى عنه انما اتفق للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عند انزال هذه الآيات عليه فلا جرم نهى عن ذلك الاستعجال فى هذا الوقت فقيل له لا تحرك به لسانك لتعجل به وهذا كما ان المدرس اذا كان يلقى على تلميذه شيئا فاخذ التلميذ يلتفت يمينا وشمالا فيقول المدرس فى اثناء ذلك الدرس لا تلتفت يمينا ولا شمالا ثم يعود الى الدرس فاذا نقل ذلك الدرس مع توسط هذا الكلام فى اثنائه فمن لم يعرف السبب يقول ان وقوع تلك الكلمة فى اثناء ذلك الدرس غير مناسب لكن من عرف الواقعة علم انه حسن الترتيب وثانيهما انه تعالى نقل عن الكفار انهم يحبون العاجلة حيث قال بل يريد الانسان ليفجر امامه ثم بين ان التعجيل مذموم مطلقا حتى التعجيل فى امور الدين فقال لا تحرك به لسانك لتعجل به وقال فى آخر الآية كلا بل تحبون العاجلة فان كل واحد من الكلامين يتضمن التوبيخ على حب

(فاذا قرأناه) بلسان جبريل عليك (فاتبع قرآنه) قراءته وكرره حتى يرسخ فى ذهنك (ثم ان علينا بيانه) بيان ما اشكل عليك من معانيه وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو أهم الامور واصل الدين فكيف بها فى غيره او بذكر ما اتفق فى اثناء نزول هذه الآيات

العاجلة فوسط هذا الكلام بينهما وبين به ان العجلة مذمومة حتى فى امر الدين تأكيدا لما تضمنه من التوبيخ على حب العاجلة وتضمن الكلام الاخير اياه ظاهر واما تضمن الاول له فلما مر من ان المعنى ان انكار الكفرة للبعث ليس من جهة اشتباه الحق عليهم لعدم قيام الدليل على صحته ووقوعه بل لان شدة حرصهم على قضاء الشهوات العاجلة صرفتهم عن النظر فى ذلك الدال فانكروا البعث لذلك فظهر به ان مؤداه التوبيخ على الاهتمام بعاجل الامر مع فنائه وتأديته الى خسران الابد كأنه قيل لاتقتف آثارهم بأن تهتم بعاجل الحال وتستعجل فى اخذ القرآن خوفا من فوات حفظه وقراءته متى شئت (قوله وقيل الخطاب الخ) اى وقيل فى وجه ارتباطه بما قبله ان الخطاب فى قوله تعالى لاتحرك به لسانك ليس مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يتوهم عدم مناسبته بموقعه بل هو خطاب مع الانسان المذكور فى قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر كأنه اذا عرض عليه كتابه وقيل له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فاخذ فى القراءة يلجلج لسانه من شدة الخوف ومن سرعة القراءة فيقال له فاذا قرأناه فاتبع قرآنه بالاقرار بانك قد فعلت تلك الافعال ثم ان علينا بيان مراده وشرح مراتب جزائه فالله تعالى يقدر على بيان جميع اعمال الكافر على سبيل التفصيل وهذا الوجه ذكره القفال ثم قال فهذا وجه حسن ليس فى العقل ما يدفعه وان كانت الآثار غير واردة به وقوله تعالى بل تحبون العاجلة اضراب عن الردع المدلول عليه بكلا للدلالة على ان الاستعجال لكونه غريزة الامر الطبيعى الذى جبل عليه الانسان ليس مما يستحق الانسان بسببه كثرة لوم وتوبيخ الا ان اللائق للانسان ان يجاهد نفسه ولايخلى بينهما وبين ما جبلت هى عليه ولذلك عمم الخطاب لكل من يصلح ان يخاطب بعد تخصيصه المخاطب دون غيره (قوله وان كان الخطاب للانسان) اى بطريق الالتفات عن الاخبار عن الجنس المتقدم والاقبال عليه بالخطاب فعلى هذا لايكون الكلام محمولا على تعميم الخطاب فانه اذا حمل على تعميم الخطاب لايكون فيه التفات بل يكون من قبيل تغليب المخاطب على غيره (قوله ويؤيده القراءة بالياء فيهما) وجه التأييد ان الفعل فى هذه القراءة تعين كونه مسندا الى ضمير الانسان المذكور فدل ذلك على انه اذا قرئ بتاء الخطاب يكون الخطاب للانسان ايضا بطريق الالتفات ثم انه تعالى لما وبخ على حب العاجلة ذكر اختلاف حال المؤمن العامل للآجلة وحال الكافر العامل للعاجلة يوم القيامة فقال وجوه يومئذ ذكر الوجوه واراد بها اربابها فان الوجه مما يعبر به عن الكل كذا قيل الا انه لامانع من ان يراد بالوجه

وقيل الخطاب مع الانسان المذكور والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا فيقال له لاتحرك به لسانك لتعجل به فان علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه من اعمالك وقراءته فاذا قرأناه فاتبع قرآنه بالاقرار او التأمل فيه ثم ان علينا بيان امره بالجزاء عليه (كلا) ردع للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عن عادة العجلة او للانسان عن الاغترار بالعاجل وقوله (بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) تعميم للخطاب اشعارا بان بنى آدم مطبوعون على الاستعجال وان كان الخطاب للانسان والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالياء فيهما (وجوه يومئذ ناضرة) بهية متهللة

(الى ربها ناظرة) براه مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا فى كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يعدى بالى وقول الشاعر واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتنى نعما بمعنى السؤال فان الانتظار لا يستعقب العطاء

معناه الحقيقى فلا وجه للعدول عنه مع انعدام مايصرفه عن ارادته ثم قيل قوله وجوه مبتدأ وناضرة نعته ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة خبره والى ربها متعلق بالخبر والمعنى ان الوجوه البهية اى الحسنة المتلألئة من كثرة التنعم بنعيم الجنة يومئذ اى يوم القيامة ناظرة الى الله تعالى والنضرة طراوة البشرة وجمالها وذلك من اثر التنعم والناضر الناعم والنضرة الحسن من كل شئ والبهاء الحسن يقال بهى الرجل وبهو ايضا فهو بهى وقيل وجوه مبتدأ وناضرة خبره ويومئذ منصوب بالخبر وسوغ الابتداء بالنكرة لكون تنكير النوعية نازلا منزلة الوصف فى نحو ولعبد مؤمن وقوله الى ربها ناظرة خبر بعد خبر (قوله براه مستغرقة فى مطالعة جماله) مستفاد من تقديم قوله الى ربها (قوله وليس هذا فى كل الاحوال) جواب عما يقال كيف تكون مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه مع ان اهل السعادة ينظرون فى الموقف وفى الجنة الى امور لا تحصى وتقرير الجواب ظاهر وفيه بحث لان التقييد ببعض الاحوال تقييد بلا دليل ومناف لمقام المدح المقتضى لعموم الاحوال وغير مناسب لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة لعمومه فى الاحوال والاولى ان يقال التقديم لا يتعين كونه للاختصاص لاحتمال كونه للاهتمام ورعاية الفاصلة ولو سلم فالمعنى ان النظر الى غيره من حيث النظر اليه لا يعد نظرا كما فى قوله زيد الجواد (قوله وقيل منتظرة) اذ من المعتزلة المنكرين للرؤية من فسر النظر بالانتظار كما فى قوله تعالى فناظرة بم يرجع المرسلون اى فمنتظرة وقوله انظرونا نقتبس من نوركم وقوله ما ينظرون الا صيحة واحدة وقوله انعامه اشارة الى ان من فسره بالانتظار جعل قوله الى اسما مفردا بمعنى النعمة مضافا الى المنعم مقدما لقوله ناظرة بمعنى منتظرة (قوله ورد) اى ورد هذا القول بوجهين الاول ان الانتظار لا يسند الى الوجه فان قيل نعم انه لا يسند الى الوجه بمعنى العضو الا ان القائل به يجوز ان يفسره بالذات وجملة الشخص ولا يخفى انه يصح اسناد الانتظار الى الكل اجاب عنه المصنف بقوله وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر والوجه الثانى من وجهى الرد ان النظر بمعنى الانتظار لا يعدى بالى بل يعدى بنفسه فيقال نظرته ولا يخفى ان هذا الوجه من الرد انما يتوجه على تقدير ان يكون كلمة الى حرف جر واما اذا كان اسما بمعنى النعمة كما اشار اليه بقوله منتظرة انعامه فلا يتوجه (قوله وقول الشاعر) جواب عما يقال لا نسلم ان النظر بمعنى الانتظار وقد عدى بالى والتقرير الجواب ان النظر فيه ليس بمعنى الانتظار لانه لا يستوجب العطاء بل هو بمعنى السؤال والتوقع ومن فى قوله من ملك تجريدية كما فى قولك رأيت من زيد اسدا بمعنى انه اسد (قوله

(والبحر)

والبحر دونك) اى اقل منك فى الجود والمعنى ان رجوت عطاءك وتوقعت معروفك وانت ملك والحال ان البحر دونك فى الجود رددتنى نعما اى تعطينى فوق ما ارجوه والظاهر ان كون النظر بمعنى السؤال مبنى على كونه من نظر العين والنظر الى الملك وان كان لا يوجب الانعام ظاهرا الا انه مقدمة طلب المعروف وهو الذى يوجب ملوكيته من مقدماته ويقصد ذلك انه ينزل منزلته ويعبر به عنه كما ينزل زيارة الاغنياء من الفقراء وتسليمهم عليهم منزلة التوقع منهم كما قيل * وحسبك بالتسليم منى تقاضيا * عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينظر الى جنانه وازواجه ونعمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ عليه الصلاة والسلام وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فسر النظر بنظر العين والرؤية ومن فسره بالانتظار فقد اتبع هواه وروى عنه عليه الصلاة والسلام ايضا انه نظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون فى رؤيته وهو تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئى بالمرئى والاحاديث فى هذا الباب كثيرة (قوله شديدة العبوس) كون البسر ابلغ من العبوس لا ينافى ما سبق ان بسر اتباع لعبس والمعنى انها عابسة كالحة قد اظلمت الوانها وعدمت آثار السرور والنعمة منها لما سود ها الله تعالى حين ميز بين اهل الجنة والنار فأيست من رحمة الله تعالى وايقنت ان العذاب نازل بها وهى تظن ان يفعل بها فاقرة وهى الداهية العظيمة سميت فاقرة لانها تكسر عظام الظهر اى فقاره يقال فقرت الرجل اذا ضربت فقار ظهره كما يقال رأسته وبطنته اذا ضربت رأسه وبطنه والفقارة واحدة فقار الظهر ومنه سمى الفقير لانه فعيل بمعنى مفعول فان الفقر كسر فقار ظهره فجعله مفقورا وتظن مرفوع المحل على انه خبر وجوه او خبر بعد خبر وباسرة على الاول صفة وجوه ويومئذ منصوب بها ذهب جمهور المفسرين الى ان الظن ههنا بمعنى اليقين بناء على ان اليوم الذى تفوز فيه اهل السعادة بمشاهدة جمال ذى الجلال والاكرام تتيقن فيه الاشقياء ما يفعل بهم من الدواهى الفاقرة اذ يبدل فيه المظنون بالعيان وتنكشف فيه الامور بحقائقها الا ان القياس النحوى يقتضى ان يكون الظن ههنا على معناه لا بمعنى العلم واليقين لانه قد وقع بعده ان الناصبة وهى لا تقع بعد العلم وانما تقع بعده ان المشددة وذلك ان العلم من مواضع التقرير والتحقيق والظن ونحوه من الرجاء والتوقع من مواضع الشك والتردد وان المشددة تفيد التأكيد وان الناصبة لا تفيده فلذلك وجب ان تقترن المشددة بما يفيد التحقيق والمخففة الناصبة بما يدل على الشك

(ووجوه يومئذ باسرة) شديد العبوس والباسل ابلغ من الباسر لكنه غلب فى الشجاع اذا اشتد كلوحه (تظن) تتوقع اربابها (ان يفعل بها فاقرة) داهية تكسر الفقار

والتردد فيقال علمت انك قائم وظننت ان تخرج واطمع ان يغفر لى ربى ولو قلت علمت ان تخرج زيد واظن ان زيدا تخرج كان قلبا للعادة المعارفة من حيث انه اقترن ما هو علم التأكيد بما لا تقرير فيه وما هو عار من التأكيد بما فيه تقرير فاذا قيل ارجو انك تعطينى فذلك لاجل الدلالة على قوة الرجاء واذا قلت اخشى انه يفعل فهو لقوة الخشية وتقررها فلذلك فسر المصنف الظن بالتوقع حيث قال يتوقع ان يفعل بها اشارة الى ان الظن ليس بمعنى العلم واليقين كما ذهب اليه الجمهور والمعنى ان ارباب الوجوه الباسرة مع ما هم فيه وهم يقاسون شدة اشد الدواهى وافظعها يظنون ويتوقعون بعده ما هو اشد منه واهول لانهم حينئذ تيقنوا اعظم جرمهم وبكمال سخط الملك الجبار عليهم وتيقنوا ايضا انه كما لا نهاية للطفه ورحمته لا نهاية ايضا لقهره واليم عذابه فكلما فعل بهم فاقرة من الدواهى ظنوا ان تفعل بهم ما هو اشد منها وهكذا ابدا فكما ان ارباب الوجوه الناضرة فى غاية الرحمة والنعمة وهو الاستغراق فى مشاهدة جمال ربهم الكريم فكذلك ارباب الوجوه الباسرة فى غاية النقمة والعناء وهو ان يتوقعوا فى كل لحظة ان يفعل بهم ما هو اشد مما هم فيه وافظع (قوله ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة) كانه قيل لما عرفتم صفة سعادة السعداء وشقاوة الاشقياء فى الآخرة وعلمتم انه لا نسبة لها الى الدنيا فارتدعوا عن ايثار الدنيا على الآخرة وتهيؤا لما بين ايديكم من الموت الذى تنقطعون به عن العاجلة وتنقلون به الى الآجلة التى تبقون فيها مخلدين والتراقى جمع ترقوة وهى عظم وصل بين ثغرة النحر والعاتق والعاتق موضع الرداء من المنكب وبلوغ النفس التراقى كناية عن الاشراف على الموت والعامل فى اذا بلغت معنى قوله الى ربك يومئذ المساق اى اذا بلغت النفس الحلقوم رفعت وسيقت الى الله تعالى اى الى موضع امر الله تعالى ان يرفع اليه فترفع اليه كما فى قوله تعالى انى ذاهب الى ربى معناه انى ذاهب الى حيث امرنى ربى (قوله تعالى وقيل من راق) معطوف على بلغت اى وقال من حضر المحتضر عند موته من الاحبة والاقارب هل من طبيب يرقى ويشفى برقيته فلا يلفون له اطباء يغنون عنه من قضاء الله تعالى شيئا والرقية هى التعويذ بما يحصل به الشفاء كما يقال بسم الله ارقيك وفعلها من باب ضرب والاستفهام يحتمل ان يكون بمعنى الطلب كان الذين كانوا حول المحتضر طلبوا له طبيبا يعالجه وراقيا يرقيه ويحتمل ان يكون استفهاما بمعنى الانكار بان يغلب عليهم اليأس من صحته فيقولون من الذى يقدر ان يرقى هذا الانسان المشرف على الموت (قوله ايكم يرقى بروحه) اى يصعد على انه من الرقى وفعله من باب علم يقال رقيت السلم ارقاه رقيا ورقيا اذا صعدت واسترقيته

(كلا) ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة (اذا بلغت التراقى) اذا بلغت النفس اعالى الصدر واضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها (وقيل من راق) وقال حاضر واصحابها من يرقيه مما به من الرقية او قال ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقى

فرقاني يرقي رقيه اي داواني بها عن ابن عباس قال ان الملائكة يكرهون القرب من الكافر فيقول ملك الموت من يرقى بروح هذا الكافر وقيل يحضر العبد عند الموت سبعة املاك من ملائكة الرحمة وسبعة من ملائكة العذاب مع ملك الموت فاذا بلغت نفس العبد التراقي نظر بعضهم الى بعض ايهم يرقى بروحه السماء أمن ملائكة الرحمة ام من ملائكة العذاب (قوله وظن المحتضر) وذلك حين عاين ملائكة الموت قال المفسرون المراد ان المحتضر ايقن انه فارق الدنيا وعبر عن المعرفة التي حصلت له حينئذ بالظن لان الانسان مادامت روحه ببدنه متعلقة فانه يطمع في الحياة لشدة حبه لهذه التي ابى الله ان تسوى جناح بعوضة وهي الحياة العاجلة ولا ينقطع رجاؤه عنها فلا يحصل له يقين الموت بل ظنه الغالب على رجاء الحياة و يحتمل ان يكون وجه التعبير به التهكم (قوله اوشدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة) على ان يكون التفاف الساق بالساق كناية عن تتابع الشدة والصعوبة فان الساق كثيرا ما يكنى به عن الشدة و يجعل مثلا فيه كما في قوله تعالى يوم يكشف عن ساق وقولهم كشفت الحرب عن ساقها اي اشتدت ووجه المجاز ان الانسان اذا دهمته شدة شمر لها عن ساقه فقيل للامر الشديد ساق من حيث ان ظهوره لازم لظهور ذلك الامر (قوله سوقه الى الله وحكمه) يعني ان المساق مصدر ميمي بمعنى السوق وان الالف واللام فيه عوض عن المضاف اليه وان قوله الى ربك تقديره الى حكم ربك والمعنى ان هؤلاء في ذلك اليوم مفوض امرهم الى حكمه يساقون الى حيث امر الله ان يساقوا فالسائق هو الله تعالى يسوق كل احد الى حيث شاء و يجوز ان يكون المراد ان المسوق اليه هو الرب تعالى (قوله والضمير فيهما للانسان المذكور في أيحسب الانسان) اي في قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه و يدل عليه قوله فيما بعد أيحسب الانسان ان يترك سدى فكأنه قيل لم يؤمن بالبعث ولا صدق بالرسول والقرآن ولا صلى وقيل فلا صدق ماله اي فلا زكاه على ان فعل بمعنى تفعل و يأباه قوله ولكن كذب وتولى وجعله صاحب الكشاف معطوفا على قوله يسأل ايان يوم القيامة وهو حال من الانسان اي ايحسب كذا بل أيريد كذا في حال كونه منكر البعث فلا صدق ولا صلى ثم شرح الله تعالى كيفية اعماله المتفرعة على انكار البعث مما يتعلق باصول الدين و بفروعه أما ما يتعلق بفروع الدين فهو ما صلى ولكنه تولى واعرض واما ما يتعلق بدنياه فهو انه ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر و يختال في نفسه فدلت الآية على ان الكافر يستحق الذم والعقاب بترك الصلاة كما يستحقهما بترك الايمان (قوله من المط) وهو المد يقال مطه يمطه اي مده

(وظن انه الفراق) وظن المحتضر أن الذي نزل به فراق الدنيا ومحابها (والتفت الساق بالساق) والتوت ساقه بساقه فلا يقدر تحريكها اوشدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة (الى ربك يومئذ المساق) سوقه الى الله تعالى وحكمه (فلا صدق) ما يجب تصديقه اوفلا صدق ماله اي فلا زكاه (ولا صلى) ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في ايحسب الانسان (ولكن كذب وتولى) عن الطاعة (ثم ذهب الى اهله يتمطى) يتبختر افتخارا بذلك من المطاط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه

(اولى لك فاولى) ويل لك من الولى واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما فى ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار (ثم اولى لك فاولى) اى تكرر ذلك عليه مرة بعد اخرى (أيحسب الانسان ان يترك سدى) مهملا لايكلف ولايجازى وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضى الامر بالمحاسن والنهى عن القبائح والتكليف لا يتحقق الا بمجازاة وهى قد لاتكون فى الدنيا فتكون فى الآخرة (الم يك نطفة من منى تمنى) وقرأ حفص بالياء (ثم كان علقة فخلق فسوى) فقدره

وتمطط اى تمدد وابدلت الطاء الآخرة من تمطط الفا لكراهة اجتماع الامثال كما فى تقضى البازى وان كان من المطا مقصورا وهو الظهر كانت الفه مبدلة من الواو ويقال للمتبختر تمطى لانه يلوى مطاه ويحركه فى تبختره وتمطى جملة حالية من فاعل ذهب (قوله ويل لك) يريد ان اولى لك كلمة مستعملة فى موضع ويل لك لقرب معناه من معناه وانه مشتق من الولى بمعنى القرب واصله اولاك الله ما تكرهه على ان اولى فعل مثل اكرم من وليه يليه اى قربه نقل الى باب افعل فعدى به الى مفعولين الاول الكاف والثانى محذوف وهو ما تكرهه واللام زائدة فى المفعول كما فى ردف لكم وهو تهديد من الله تعالى لابى جهل قال له اى اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى ان لم تؤمن فقال ابو جهل باى شئ تهددنى لا تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بى شيئا وانى لأعز اهل هذا الوادى فانزل الله تعالى كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يرد به الدعاء بالشدة او اعمرات بل مرة بعد مرة كما فى قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين (قوله او اولى لك الهلاك) اى ويجوز ان يكون اولى اسم تفضيل بمعنى احق واحرى ويكون خبر مبتدأ محذوف اى الهلاك اولى لك من كل شئ وقيل انه افعل من الويل بعد القلب اصله اويل فقدم اللام على الياء فصار اولى كما فى شاكى وهارى اصلهما شائك وهائر والمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بان يليه ما يكرهه وقيل انه فعلى من آل يؤول لانه بعد القلب صار علما للويل وهو غير منصرف للعلمية والوزن ومعناه المصير والمرجع واللام صلة والتقدير اولاك اى مرجعك وعقباك الهلاك والنار وكرر اولى للتأكيد وحذف لك من الثانى لدلالة الاول عليه ثم انه تعالى بعد ما انكر على عدى بن ربيعة واصرانه من منكرى البعث بقوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه كرر الانكار عليه فقال أيحسب الانسان ان يترك سدى اى مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يكلف فى الدنيا ولا يحاسب بعمله فى الآخرة ولا يثاب ولا يعاقب عليه وتكرير الانكار بحسبانه يتضمن تكرير انكاره للحشر ويتضمن ايضا الاستدلال على صحة البعث وتقريره ان اعطاء القدرة والآلة والعقل بدون التكليف والامر بالمحاسن والنهى عن المفاسد يقتضى كونه تعالى راضيا بقبائح الافعال وذلك لايليق بحكمته فاذا لابد من التكليف فى الدنيا ولايليق بالحكيم الكريم الرحيم ان يكلف ثم يسوى بين المطيع والعاصى ولايميز بينهما بالثواب والعقاب والمجازاة لابأس فى الدنيا فلابد من البعث والقيامة ثم استدل على صحة البعث بدليل ثان وهو الاستدلال بالابتداء على الاعادة فقال الم يك نطفة اى الم يكن هذا الانسان نطفة فى صلب ابيه منى بمعنى انه يصب فى الرحم وتمنى بالتاء صفة منى وبالياء صفة نطفة وهى

الماء القليل يقال نطف الماء اى قطر نبه الله تعالى بهذا على خسة قدر الانسان اولا وعلى كمال قدره نفسه حيث صير مثل هذا الشئ الدنئ بشرا سويا (قوله فعدله) اى جعل كل عضو من اعضاء الروح معادلا لزوجه وجعل كل واحد من ذوات اعضائه واوضاعها وهيأ بها معادلا لما تقتضيه الحكمة

(سورة الانسان مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله استفهام تقرير وتقريب) يعنى ان هل لا تستعمل الا فى الاستفهام لا بمعنى انها بنفسها علم الاستفهام بل لابد من ملاحظة اداة الاستفهام قبلها اما ملفوظة كما فى البيت او مقدرة كما فى الآية قال صاحب الكشاف فى المفصل نافلا عن سيبويه ان هل فى قولهم أهل بمعنى قد الا انهم تركوا الالف قبلها لانها لا تقع الا فى الاستفهام يعنى انها مختصة بالاستفهام ولا تستعمل الا فى موضع الاستفهام فكأنها بنفسها علم الاستفهام فلم يذكر معها اداة الاستفهام (قوله ولذلك) اى ولكون هل موضوعة لتقريب ماضى وقوعه من الحال فسرت بقد كما ذكر فى المفصل ولما كانت كلمة هل مخصصة بالاستفهام التقريرى وتقريب الماضى من الحال كان اصل هل اى أهل اى وكان معناه قد اتى على الانسان قبل زمان قريب من خلقه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا بالانسانية على معنى انه وان كان شيئا الا انه كان شيئا لا يعرف ولا يذكر ولا يدرى ما اسمه ولا يراد به وذلك من حين خلقه من تراب الى ان نفخ فيه الروح ونظيره قوله تعالى ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون اى فهلا تذكرون فتعلمون ان من انشأ الانسان بعد ان لم يكن قادر على اعادته بعد موته (قوله كقوله) اى الشاعر واصل البيت

سائل فوارس يربوع بشدتنا ❊ أهل رأونا بسفح القاع ذى الاكم

ويربوع ابو حى من تميم وقوله بشدتنا بفتح الشين وهى الحملة ويروى بكسرها وهى القوة وسفح الجبل اسفله حيث يسفح فيه الماء من الجبل اى الحصص والقاع المستوى من الارض اى الصحراء والاكم جمع اكمة وهى التل اى الجبل الصغير تقول سائل هذه القبيلة عن حال شدتنا اكانت قوية جلبت لنا العز والغلبة ام كانت دونها فحصلت الذل والمغلوبية (قوله طائفة محدودة من الزمان) فسر الحين بالطائفة المحدودة من مطلق الزمان ولم يعين حدها تنبيها على انها محدودة فى نفسها ومبهمة الحد فى علمنا وفسر الدهر بمطلق الزمان وهو الزمن الممتد الوهمى كما هو المشهور واختلفوا فى الانسان المذكور

فعدله (فجعل منه الزوجين) الصنفين (الذكر والانثى) وهو استدلال آخر بالابداء على الاعادة على ما مر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله (أليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى) وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه من قرأ سورة القيامة شهدت انا له وجبريل يوم القيامة انه كان مؤمنا به

(سورة الانسان مكية وآيها احدى وثلاثون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل اتى على الانسان) استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد واصله أهل كقوله أهل رأونا بسفح القاع ذى الاكم (حين من الدهر) طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود

فههنا قال جماعة من المفسرين المراد به آدم عليه السلام فمن ذهب الى هذا قال ان الله تعالى ذكر خلق آدم في هذه الآية ثم عقبه بذكر خلق جنس الانسان من ذريته فقال انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج وقال آخرون المراد بالانسان بنو آدم بدليل قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة اذ المناسب ان يكون المراد بالانسان في الموضعين واحدا وعلى هذا القول يكون المراد بالحين تسعة اشهر مدة الحمل لانه ما دام في بطن امه لم يكن شيئا مذكورا لانه نطفة او علقة او مضغة ولا يدرى شيء منها حتى يذكر ويعتنى بشأنه واذا كان المراد به نفس آدم عليه السلام فقد اختلف في تعيين المراد بالحين حينئذ فقيل انه اربعون سنة لما روى انه اتى عليه اربعون سنة وهو جسد ملقى من طين قبل ان ينفخ فيه الروح بين مكة والطائف والطين وان كان شيئا موجودا لكن لم يكن شيئا مذكورا ثم نفخ فيه الروح بعد اربعين سنة وروى ايضا انه خلق من طين فقام عليه اربعين سنة ثم من حمأ مسنون اربعين سنة ثم تم خلقه بعد مائة وعشرين سنة وروى ايضا انه خلق من طين فقام عليه اربعين سنة ثم من حمأ مسنون اربعين سنة ثم من صلصال اربعين سنة ثم تم خلقه تمام اربع اربعينات اعنى مائة وستين سنة ثم نفخ فيه الروح ولاجل هذه الاختلافات فسر الحين بالطائفة المحدودة ولم يعين حدها (قوله بل كان شيئا منسيا) اشارة الى ان المنفى ليس اصل كونه شيئا بل المنفى هو كونه شيئا مذكورا بالانسانية فانه في ذلك الحين كان شيئا خاملا لا يعرف ولا يذكر ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به وذلك من حين خلقه من تراب الى ان نفخ فيه الروح وكذا جنس الانسان من ذرية آدم كان في الرحم شيئا تافها حقيرا كالنطفة فان قيل ان الطين والصلصال والحمأ المسنون قبل نفخ الروح فيه ما كان انسانا والآية تقتضي ان يمضي على الانسان حال كونه انسانا حين من الدهر مع انه في ذلك الوقت ما كان شيئا مذكورا بالانسانية فالجواب ان الطين او الصلصال اذا كان مصورا بصورة الانسان وكان محكوما عليه بانه سينفخ فيه الروح ويصير انسانا صح تسميته انسانا باعتبار ما يؤول اليه وان كان غير مذكور بالانسانية ومن قال ان الانسان هو النفس الناطقة وانها موجودة قبل وجود الابدان فلا يتوجه عليه الاشكال (قوله والجملة حال من الانسان) تقديره اتى عليه حين من الدهر حالة كونه لم يكن شيئا مذكورا او وصف لحين بحذف الراجع مع الجار وهو فيه تقديره حين لم يكن الانسان فيه شيئا مذكورا (قوله اخلاط) جمع خلط وهو المادة التي تركب منها الشيء يقال اخلاط الطيب اى اجزاؤه ومواده والامشاج واحدها اما مشج بفتحتين كمثل وامثال او مشج بكسر الميم وسكون الشين كعدل واعدال او مشيج كشريف واشراف يقال مشجت الشيء

(لم يكن شيئا مذكورا) بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة حال من الانسان او وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله (انا خلقنا الانسان من نطفة) او آدم عليه السلام بين اولا خلقه ثم ذكر خلق بنيه (امشاج) اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته

(مشجا)

مشجا اذا خلط بهما (قوله ووصف النطفة به) اى جعله وصفا لها مع كونها مفردا والامشاج جمعا ولا مطابقة بينهما وتقرير الجواب ان لفظ النطفة وان كان مفردا الا ان المراد به هو المجموع المؤلف من منى الرجل والمرأة وكل واحد منهما منى مغاير للآخر بالذات وايضا لما كانت اجزاء كل واحد منهما مختلفة كأنها نطف مفردة عن بعضها صار المجموع المؤلف منهما كأنه نطف شتى فجمع وصفه لذلك (قوله وقيل مفرد) عطف على قوله جمع مشج اى وقيل ان قوله تعالى من نطفة امشاج مثل قولهم برمة اعشار وبردة اكياش فى ان صيغة افعال فيها لفظ مفرد ولذلك وقعت صفة لمفرد ليدل على تحقق معنى الكثرة فيه لا جمع مكسر مثل اشراف واشام يقال برمة اعشار اذا انكسرت قطعا وبردا كياش وهو ما يغزل غزله مرتين وهو برد من برود اليمن (قوله وقيل الوان) عطف على قوله اخلاط قال مجاهد الامشاج ألوان النطفة نطفة الرجل بيضاء ونطفة المرأة صفراء وقيل الامشاج هى الاطوار المختلفة التى ينقل الجسم من بعضها الى بعض وقيل ان الله تعالى جعل فى النطفة اخلاطا من الطبائع التى تكون فى الانسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والتقدير من نطفة ذات امشاج فحذف المضاف (قوله يعنى مريدين اختباره) اى بالامر والنهى والمحنة بالرخاء والشدة يعنى انه حال مقدرة لا مقارنة اذ لا اختبار وقت خلقه او مقارنة ان كان الابتلاء مستعارا للنقل بان شبه النقل من حال الى حال بفعل من يفعل افعالا مختلفة للامتحان من حيث انه يظهر بعد النقل امر آخر كما يظهر بعد الافعال الكائنة للامتحان العلم المفرع عليها فهو كالسبب من الابتلاء فانه لما خلق الانسان للابتلاء والتكليف اعطاه ما يصح معه التكليف والابتلاء وهو السمع والبصر وسائر ما يتوقف عليه الفهم والتمييز ولذلك دخلت الفاء على اعطائه الذى هو سبب له والمراد بالفعل المقيد بالابتلاء هو قوله خلقنا وقوله نبتليه قيد له لما تقرر من ان الحال قيد لعاملها والمراد بترتيب الهداية على اعطاء الحواس ما ذكره بعد ذكر جعله سميعا بصيرا لكون الهداية وبيان سبل الهدى وتعريفه بنصب الادلة وبعث الرسل متأخرة عن خلق الحواس واسباب الفهم والتعقل فان المراد بالسبيل سبيل الخير والشر والنجاة والهلاك ومعنى هدايته تعريفه وتبيين كيفية كل واحد منهما وذلك انما يكون بعد اعطاء العقل واعطاء الحواس متقدم على اعطاء العقل لان الانسان فى مبدأ الفطرة خال عن جميع العلوم والمعارف الا ان الحواس الظاهرة والباطنة آلات تعينه على تحصيل العلوم الاولية من المبادى التصورية والتصديقية فانه اذا احس بها المحسوسات

ووصف النطفة به لان المراد بهما مجموع منى الرجل والمرأة وكل منهما مختلفة الاجزاء فى الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منهما مادة عضو وقيل مفرد كاعشار واكياش وقيل الوان فان ماء الرجل ابيض وماء المرأة اصفر فان اختلط احمر او اطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة (نبتليه) فى موقع الحال اى مبتلين له بمعنى مريدين اختباره او ناقلين له من حال الى حال فاستعار له الابتلاء (فجعلناه سميعا بصيرا) ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالسبب من الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله (انا هديناه السبيل) اى بنصب الدلائل وانزال الآيات

وتنبه لما بينها من المشاركات والمباينات حصل له المبادي التصورية بالضرورة ثم اذا تحرك فيها على طريق الحركة في الكشف الى ان يجد المبادي المناسبة لمطالبه ورتبها على الوجه المخصوص يحصل له المطالب التصورية المكتسبة واذا تصور بها نسبا حكمية وحكم عليها بالايقاع والانتزاع يحصل له مبادي تصديقية بالضرورة ثم اذا تحرك فيها الى ان يجد المبادي المناسبة لمطالبه التصديقية يحصل بالاكتسابات الفكرية مثل الحكم بان هذا الاعتقاد وهذا العمل سبيل السعادة والنجاة وذلك سبيل الشقاوة والهلاك فتبين ان مرتبة التحلي بالحواس الظاهرة والباطنة متقدمة على مرتبة تعقل حقائق الاشياء والتصديق باحوالها وتعيين سبيل الخير وتمييزه عن سبيل الشر ولهذا السر رتب قوله انا هديناه السبيل على اعطاء الحواس (قوله تعالى اما شاكرا واما كفورا) حالان من الضمير المنصوب في هديناه اي بينا له سبيل الهدى شاكرا او كفورا اي في حالة جميعا على ان تكون كلمة اما للتفصيل اي لتفصيل ذي الحال فانه مجمل من حيث الدلالة على الاحوال اذ لا يعلم ان المراد هدايته في حال كفره او في حال ايمانه وطاعته لله تعالى فلما دخلت كلمة اما على كل واحد من الحالين فصل وذكر في شرح الرضي ان كلا او واما لهما ثلاثة معان في الخبر الشك والابهام والتفصيل وفي الامر لهما معنيان التخيير والاباحة فالشك اذا اخبرت عن احد الشيئين ولا تعرفه بعينه والابهام اذا عرفته بعينه وقصدت ان تبهم الامر على المخاطب فاذا قلت جاءني زيد او عمرو او جاءني اما زيد واما عمرو ولم تعرف الجائي منهما بعينه فاو واما للشك واذا عرفته وقصدت الابهام على السامع فهما للابهام واذا لم تشك ولم تقصد الابهام على السامع فهما للتفصيل هذا محصل ما فيه (قوله اوللتقسيم) بان يراد ذو الحال من حيث انه مطلق وهو اللفظ الدال على الماهية من حيث هي ويجعل كل واحد من مدخول كلمة اما قيدا له فيحصل بتقييده لكل واحد منهما قسم منه والمعنى هدينا مطلق الانسان منقسما الى الانسان الشاكر وهو الموحد المطيع والى الانسان الكفور المشرك فالمعنى على التفصيل هديناه في حاليه جميعا وعلى التقسيم هدينا السبيل ثم جعلناه تارة شكورا وتارة كفورا كما هو مذهب اهل السنة (قوله اومن السبيل) عطف على قوله من الهاء اي انهما حالان من الهاء او انهما حالان من السبيل على معنى عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا او سبيلا كفورا ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز من حيث ان السبيل وصف بوصف من سلكه (قوله وقرئ اما بالفتح) اي بفتح الهمزة على انها المصلية وجوابها محذوف والمعنى اما كونه شاكرا فبتوفيقنا واما

(اما شاكرا واما كفورا) حالان من الهاء واما للتفصيل او التقسيم اي هديناه في حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه او من السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل واشعارا بان الانسان لا يخلو عن كفران غالبا وانما المؤاخذ به التوغل فيه (انا اعتدنا للكافرين سلاسل) بها يقادون (واغلالا) بها يقيدون (وسعيرا) بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن وقرأ نافع وهشام والكسائي وابو بكر سلاسلا للمناسبة

كفورا فحذ لان ما سوء اختياره ثم انه تعالى لما ذكر فريقي الشاكر والكفور اتبعه الوعد والوعيد لهما فقال انا اعتدنا للكافرين قدم وعيد الكافرين ثم ذكر ما اعد للشاكرين لما ذكره المصنف والاعتاد الاعداد والتهيئة وهي جعل الشيء عتيدا حاضرا زمان الاحتياج اليه (قوله هو جمع بر) وهو من اطاع الله تعالى وامتثل امره وقيل البر الموحد وقيل البر الذي لا يؤذي الذر ولا يضمر الشر وقيل الابرار هم الذين بروا الناس واشفقوا عليهم وقيل هم الذين بروا انفسهم بترك المعاصي (قوله من خمر) فسر الكأس بالخمر على طريق ذكر المحل وارادة الحال لما روي عن قتادة والضحاك وابن عباس انهم فسروا بذلك ولعل الباعث عليه قوله تعالى كان مزاجها كافورا والكافور لا يمزج بالكأس بل يمزج بما فيها من الخمر فالظاهر على هذا ان يكون كله من صلة والكأس عند اهل اللغة الاناء الذي فيه الخمر وان لم يكن فيه خمر فهو قدح ومزاج الشيء اسم لما يمزج به اي يخلط كالقوام اسم لما يقام به الشيء ومنه مزاج البدن وهو ما يمازجه من الصفراء والسوداء والبلغم والكيفيات المناسبة لكل واحد منها والكافور طيب معروف واشتقاقه من الكفر وهو الستر لانه يغطي الاشياء برائحته ولانه ماء مكفور في جوف ضيق من الشجرة فيعرونه بالحديد فيخرج الى ظاهر الشجر فيضربه الهواء فيجمد وينعقد كالصمغ المتجمد على الاشجار قيل في الآية سؤال هو ان مزج الكافور بالمشروب لا يحدث لذة فما السبب في ذكره ههنا والجواب عنه من وجوه احدها ان الكافور اسم عين في الجنة ماؤها ابيض مثل الكافور في لونه ورائحته وبرده ولكن لا يكون فيه طعمه ولا مضرته فالمعنى ان ذلك الشراب يكون ممزوجا بماء هذه العين وثانيها ان رائحة الكافور عرض لا يكون الا في جسم فاذا خلق الله تعالى تلك الرائحة في جرم ذلك الشراب سمي ذلك الجسم كافورا تشبيها له بالكافور في رائحته وان كان طعمه طيبا وثالثها لا بأس في ان يخلق الله الكافور في الجنة لكن مع طعم طيب لذيذ ويسلب ما فيه من المضرة ثم انه تعالى يمزجه بذلك المشروب فالمصنف اشار الى هذا الجواب بقوله لبرده وعذوبته وطيب عرفه يعني ان كافورها وان شارك كافور الدنيا في البياض والبرودة وطيب الرائحة لكنه يخالفه في طعمه فانه حلو لذيذ والى الجواب الاول بقوله وقيل الكافور اسم ماء في الجنة يشبه الكافور في بعض اوصافه فسمي باسمه على سبيل الاستعارة والى الثاني بان المراد بالكافور الممزوج بخمر الجنة كيفيات كافور الدنيا وسميت كافورا بطريق تسمية الحال باسم المحل (قوله ان جعل اسم ماء) واما ان كان المراد بالكافور الطيب المعروف او كيفيته فلا يصح حينئذ الابدال عينا

(ان الابرار) جمع بر كارباب او بار كاشهاد (يشربون من كأس) من خمر وهي في الاصل القدح تكون فيه (كان مزاجها) ما يمزج بها (كافورا) لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء في الجنة يشبه الكافور في رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فيكون كالممزوجة به (عينا) بدل من كافورا ان جعل اسم ماء ومن محل من كأس

منه الاغلاط و بدل الغلط لايقع في القرآن فعينا حينئذ بدل من محل من كاس على تقدير المضاف والمقدر يشرب بها حرا جر عين او منصوب بتقدير اعنى او باضمار يشرب بها يفسره ما بعده ولم يجعل عينا مفعول يشرب بها ومن صلة فلا ينصب مفعولا آخر (قوله على تقدير مضاف) لابد من تقديره على كل حال من التقديرين اما على تقدير كونه بدلا من كافورا فلان كونه بدلا منه مبنى على ان يجعل الكافور اسم ماء والعين التى هى منبع الماء لاتبدل من نفس الماء الا بتقدير مضاف اى ماء عين واما على تقدير كونه بدلا من محل من كاس فلانه فسر الكاس بالخمر والعين لاتبدل من الخمر الا بان يكون التقدير خمر عين وقول المصنف اى ماء عين او خمرها لف ونشر مرتب (قوله ملتذا او ممزوجا بها) على ان تكون الباء في بها متعلقة بمحذوف هو حال من مفعول يشرب وهو ايضا محذوف وهو ضمير العين ثم ان كان العين بدلا من الكافور الممزوج بالخمر كان تقدير الكلام عينا يشرب بها عباد الله في حال كونها ملتذا بها وان كان بدلا من محل من كأس كان تقدير الكلام عينا يشرب بها عباد الله في حال كونها ممزوجا بها (قوله وقيل الباء مزيدة) فيكون الضمير المجرور مفعولا به ليشرب اى عينا يشرب بها والجملة على جميع التقادير صفة لقوله عينا وقوله يفجرونها صفة ثانية لها او حال من عباد الله بمعنى مفجرين والتفجير الاجراء يقال فجرت الماء افجره بالضم فجرا فانفجر اى شققته واجريته فجرى وفجرته شدد للكثرة وقوله حيث شاؤا مستفاد من عدم ذكر المفعول وقوله اجراء سهلا مستفاد من المصدر المؤكد فانه يدل على انه لايمتنع عليهم كاجراء انهار الدنيا وعيونها واعلم ان الله تعالى لما وصف ثواب الابرار في الآخرة شرح اعمالهم التى استوجبوا بها ذلك الثواب فقال على طريق الاستئناف يوفون بالنذر الآية كانه قيل مالهم حتى رزقوا مثل ذلك الثواب الجزيل فاجيب بانهم كانوا يوفون ما اوجبوه على انفسهم ابتغاء لوجه الله ومن وفى بما اوجب الله على نفسه كان بما اوجبه الله تعالى عليه اوفى والايفاء بالشئ هو الاتيان به تاما وافيا (قوله وفيه اشعار بحسن عقيدتهم) حيث يؤمنون بالبعث والجزاء فان الاعتقاد به اصل يدور عليه مراعاة جميع الوظائف الاعتقادية والعملية عن مقاتل قال فشا شره في السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وكورت الشمس والقمر وفزعت الملائكة وفى الارض فنسفت الجبال واندكت الارض وغارت المياه وتكسر كل شئ على الارض من جبل وبناء اطلق الشر على اهوال القيامة مع انها عين حكمة وصواب لكونها مضرة وشديدة بالنسبة الى من تنزل عليه ولذلك فسره المصنف بقوله شدائده ومن خاف

على تقدير مضاف اى ماء عين او خمرها اونصب على الاختصاص او بفعل يفسره ما بعده (يشرب بها عباد الله) ملتذا او ممزوجا بها وقيل الباء مزيدة او بمعنى من لان الشرب مبتدأ منها كما هو (يفجرونها تفجيرا) يجرونها حيث شاؤا اجراء سهلا (يوفون بالنذر) استئناف ببيان ما رزقوه لاجله كأنه سئل عنه فاجيب بذلك وهو ابلغ فى وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه لله فقد كان اوفى بما اوجبه الله عليه (ويخافون يوما كان شره) شدائده (مستطيرا) فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم و اجتنابهم عن المعاصى

من مثل ذلك اليوم فلا حرج يجتنب المعاصي (قوله حب الله) يحتمل
وجهين الاول ان يكون المصدر مضافا الى المفعول والفاعل متروك اى على
حبهم الله تعالى والثاني ان يضاف الى الفاعل والمفعول متروك اى على حب
الله تعالى الاطعام وعلى تقدير ان يكون ضمير حبه للطعام المذكور
او للاطعام المدلول عليه بقوله ويطعمون يكون المصدر مضافا الى مفعوله
والفاعل متروك اى على حبهم الطعام او الاطعام اى وهم يحبونه على ان يكون
الجار والمجرور في موضع الحال من فاعل يطعمون وقوله مسكينا او ما عطف
عليه مفعول ثان لقوله ويطعمون فان مجامع الطاعات محصورة في امرين
التعظيم لامر الله واليه الاشارة بقوله يوفون بالنذر والشفقة على خلق الله
تعالى واليه الاشارة بقوله ويطعمون الطعام فان الاطعام الذي هو جعل
الغير طاعما كناية عن الاحسان الى المحتاجين والمواساة معهم باى وجه
امكن وان لم يكن ذلك بالطعام بعينه الا ان الاحسان بالطعام لما كان اشرف
انواع الاحسان عبر عن جنس الاحسان باسم هذا النوع (قوله
فيقول أحسن اليه) وذلك لانه يجب الاطعام الى ان يرى الامام رأيه فيهم من
قتل او من او فدية او استرقاق فان قيل اذا كان الاسير الكافر ممن يكون عاقبة
امره القتل كيف يجب اطعامه قلنا القتل في حال لا ينافي وجوب الاطعام
في حال اخرى ولا يجب اذا عوقب بوجه ان يعاقب بوجه آخر ولذلك
لا يحسن فيمن يلزمه القصاص ان يفعل به غير القتل ثم هذا الاطعام يجب
على الامام فان لم يطعمه الامام وجب على المسلمين ثم انه تعالى لما ذكر
اصناف من يجب مواساتهم وهم ثلاثة احدهم المسكين وهو العاجز عن
الكسب بنفسه والثاني اليتيم وهو الذي مات كاسبه وهو صغير والثالث
الاسير وهو الذي اخذ من قومه فلا يملك لنفسه نصرا ولا حيلة بين ان لهم
فيه غرضين احدهما تحصيل رضى الله تعالى وهو المراد بقوله انما نطعمكم
لوجه الله والثاني الاحتراز عن خوف يوم القيامة وهو المراد من قوله انا نخاف
من ربنا يوما عبوسا قمطريرا والعبوس صفة من يحضر اليوم حقيقة
ووصف اليوم به مجازا كما يقال صام نهاره (قوله فلذلك نحسن اليكم
ولا نطلب المكافأة منكم) يعني ان قوله تعالى انا نخاف من ربنا يوما عبوسا
جملة مسوقة لتعليل ما سبق فيحتمل ان يكون علة لقوله لا نريد منكم جزاء
ولا شكورا اى لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله تعالى على طلب
المكافأة (قوله او يشبه الاسد العبوس في ضراوته) عطف على تعبس
يعني ان اسناد العبوس الى اليوم اما من قبيل اسناد فعل اهل ذلك اليوم

(ويطعمون الطعام على حبه) حب الله او الطعام او الاطعام (مسكينا ويتيما واسيرا) يعني اسارى الكفار فانه عليه الصلاة والسلام كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او الاسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون وفي الحديث غريمك اسيرك فأحسن الى اسيرك (انما نطعمكم لوجه الله) على ارادة القول بلسان الحال او المقال ازاحة لتوهم المن وتوقع المكافأة المنقصة للاجر وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله (لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) اى شكرا (انا نخاف من ربنا) فلذلك نحسن اليكم او لا نطلب المكافأة منكم (يوما) عذاب يوم (عبوسا) تعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس في ضراوته
(قمطريرا) شديد العبوس كالذي يجمع ما بين عينيه من اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها

وتحفظهم عنه (ولقاهم نضرة وسرورا) بدل عبوس الفجار وحزنهم (وجزاهم بما صبروا) بصبرهم على اداء الواجبات واجتناب المحرمات وايثار الاموال (جنة) بستانا يأكلون منه (وحريرا) يلبسونه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في اناس معه فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما رضي الله تعالى عنهم صوم ثلاثة ايام ان برئا فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي كرم الله وجهه من شمعون الخيبري ثلاثة اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص فوضعوا بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة

الى زمان فعلهم مثل صام نهاره اوس قبيل اثبات لازم المشبه به للمشبه ليكون دليلا على التشبيه المضمر في النفس بان شبه الزمن بالاسد العبوس الكريه المنظر في شدة عبوسه لمن يراه تشبيها مضمرا في النفس وجعل اثبات لازم المشبه به له وهو العبوسة دليلا على ذلك التشبيه المضمر على سبيل الاستعارة بالكناية والجملة والضراوة هي السطوة والاقدام على ايصال الضرر بالعنف والحدة لكل من وراءه والقمطرير الشديد العبوس بحيث يجمع ما بين عينيه وهو ايضا من صفة من يحضر اليوم على الحقيقة يقال وجه قمطرير اي منقبض من شدة العبوس (قوله وجمعت قطريها) يقال جمع فلان بين قطريه اذا تغير مغضبا كأنه جمع جوانبه لان يصول على من يغضبه والقطر هو الجانب والناحية يقال طعنه فقطره تقطيرا اي القاه على احد قطريه اي على احد جانبيه فتقطر اي سقط يقال اقطرت الناقة اذا ارفعت ذنبها وجمعت قطريها على ان القطر في اللغة بمعنى جمع فعلى هذا وصف اليوم بالقمطرير لكونه سببا لعبوس اهله وجمعهم ما بين اعينهم وعلى ما ذكره المصنف يكون تشبيهه بالعبوس الذي يجمع ما بين عينيه استعارة بالكناية (قوله والميم زائدة) لم يتعرض لزيادة الراء مع ان قاعدة الصرف تقضي زيادتها ايضا بناء على ان الراء ليست من حروف الزيادة وهي حروف هويت السمان بخلاف الميم قال الاخفش القمطرير اشد ما يكون من الايام واطوله في البلاء (قوله وايثار الاموال) اشارة الى المراد بقوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله ليس هو الاطعام فقط بل جميع طرق المواساة باهل الحاجات من الطعام والكسوة ويدل عليه عطف قوله وحريرا على جنة عند ذكر مجازاتهم على صبرهم على الجوع والمواساة بالحرير بناء على سبب صبرهم على العري (قوله بستانا يأكلون منه) اشارة الى انه ليس المراد بالجنة ما يقابل النار وهي دار الكرامة المشتملة على جميع آثار رحمة الله تعالى وفضله حتى يقال اي حاجة الى ذكر الحرير بعد ذكر الجنة مع انها مشتملة عليه في جملة ما اعد فيها للمؤمنين بل المراد بها بستان المأكولات فذكرها لايغني عن ذكر الملبس (قوله واختبزت) فلما وضعوها بين ايديهم وقف عليهم مسكين من المسلمين وقال اطعموني يطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه على انفسهم وآثروا اليتيم في الليلة الثانية والاسير في الليلة الثالثة فلما آثروه اصبحوا فاخذ علي بيد الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم ودخل الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال عليه الصلاة والسلام ما اشد ما يسوءني ما ارى بكم وقام وانطلق معهم فرأى فاطمة رضي الله تعالى عنها في محرابها

قد النصق بطنها بظهرها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام بهذه السورة الى آخرها ولايلزم من هذا ان يكون المراد من الابرار اهل بيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله واصحابه اجمعين غاية مافي الباب انها نزلت عند صدور هذه القربة منهم فان العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فانه تعالى ذكر في اول السورة انه اخلق الخلق للابتلاء والامتحان ثم بين انه هدى الكل وازاح علتهم ثم بين انهم انقسموا الى شاكر والى كفور ثم ذكر وعيد الكفور ثم اتبعه بذكر وعد الشاكرين والابرار وهذا الاسلوب يأبى ان يخص الابرار باهل بيت معين وان كانوا يدخلون فيهم دخولا اولياء كما يدخلون في جميع الايات الدالة على شرح احوال المطيعين وكذا غيرهم من اتقياء الصحابة والتابعين فلاوجه لان يقال انها نزلت في حق علي بن ابي طالب خاصة رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه (قوله او صفة لجنة) اي لقاهم واعطاهم جنة متكئين فيها وفيه بحث لان متكئين حينئذ تكون جارية على غير من هي له فيجب ابراز الضمير عند البصريين فان اسم الفاعل اذا جرى صفة او خبرا او حالا او صلة على غير من هو له لايستتر فيه ضمير الفاعل بل يجب ابرازه ولا كذلك الفعل فانه يجوز استتار الضمير فيه حينئذ فقوله تعالى لايرون فيها شمسا يجوز ان يكون صفة لجنة مع استتار الضمير بخلاف متكئين ودانية فانهما لايكونان صفة له لعدم الابراز ومنهم من لايفرق بين الفعل واسم الفاعل في جواز الابراز حينئذ ولايجوز ان يكون متكئين حالا من فاعل صبروا لان صبرهم كان في الدنيا واتكاؤهم انما هو في الآخرة الا ان يجعل حالامقدرة والارائك جمع اريكة وهي السرير في الحجلة بالتحريك واحدة حجال العروس وهي بيت يزين بالثياب والاسرة والستور والسرير لايسمى اريكة الا اذا كان في الحجلة كالسجل وهو الدلو المملوء بالماء واذا كان فارغا لايسمى سجلا وكذا الكأس لاتسمى كأسا الا اذا كانت مملوءة من الخمر ومثله كثير (قوله يمر عليهم فيها هواء معتدل) يعني ان ذكر الشمس في الاية من قبيل ذكر اسم الملزوم وارادة اللازم لان المقصود توصيف الجنة باعتدال الهواء وخلوها عن الهواء الحار المؤدي بحره وعن الهواء البارد المؤدي ببرده فذكر الشمس والزمهرير واريد مايلزمهما من خروج الهواء بسببهما عن الاعتدال وعدم رؤية نفسهما لايفيد هذا المعنى فقوله تعالى لايرون بمعنى لايجدون لان الهواء ليس مما يرى وفي الحديث هواء الجنة سجسج لاحر فيه ولاقر والسجسج بسينين مهملتين وجيمين هو الهواء المعتدل والقر بالضم بمعنى البارد وبالصم بمعنى البرد (قوله قد اعتكر) قال اعتكر الظلام اي اختلط كأنه راكم بعضه على بعض من بطئ انجلائه وزهرت النار زهورا اضاءت وروي والزمهر يرما ظهر

(متكئين فيها على الارائك) حال من هم في جزاهم او صفة لجنة (لا يرون فيها شمسا ولازمهريرا) يحتملهما وان يكون حالا من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم فيها هواء معتدل لاحار محم ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طئ قال الشاعر

وليلة ظلامها قد اعتكر * قطعتها والزمهر يرمازهر

بدل ما زهر اى وقرها ما طلع (قوله والمعنى) يعنى ان المعنى على تقدير ان يكون المراد بالزمهرير القمر ان يكون هو اى هواها مضيئا بذاته لا يحتاج الى شمس ولا الى قمر وان اهلها فى ضياء مستديم لا ليل فيها ولا نهار لانهما انما يحصلان بطلوع الشمس وغروبها وعبر بعدم رؤية الشمس والقمر عن انعدام الاحتياج اليهما (قوله اى وجنة اخرى) على ان دانية صفة موصوف محذوف والمعنى وجزاهم بصبرهم على الطاعة وعن المعصية جنة وحريرا وجنة اخرى دانية فالابرار المذكورون لما كانوا خائفين بدليل قولهم انا نخاف من ربنا وعدوا جنتين كما فى قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان (قوله والجملة حال او صفة) اى على تقدير ان يكون ظلالها مبتدأ ودانية خبره مقدما عليه تكون الجملة الاسمية اما حالا من فاعل لا يرون فيكون الواو فيها حالية لا عاطفة والمعنى لا يرون فيها حرا ولا قرا والحال ان ظلالها دانية عليهم واما صفة لجنة فيكون الواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما فى قوله تعالى سبعة وثامنهم كلبهم فان قيل كيف يوصف الجنة بان ظلال ما فيها من الاشجار دانية اى قريبة من الابرار والحال ان الظل انما يوجد حيث توجد تلك الشمس ولا شمس فى الجنة حتى يظل اهلها ما فيها من الاشجار فالجواب ان المراد بان اشجار الجنة تكون بحيث لو كان هناك شمس لكانت تلك الاشجار مظللة عليها والقطوف جمع قطف بالكسر وهو العنقود والمراد به فى الآية الثمر مطلقا والقطف بالفتح مصدر قولك قطفت الثمرة اى قطعتها وسمى الثمر قطفا لانه يقطف كما سمى جنى لانه يجنى (قوله معطوف على ما قبله) فيكون بمنزلته فى حكم اعرابه فان نصبت دانية على الحالية يكون جملة ذللت ايضا حالا اى ودانية ومذللة قطوفها لهم وان نصبتها على الوصف يكون ذللت ايضا صفة اخرى اى جزاهم جنة ذللت (قوله او حال من دانية) بتقدير قد وهذا الوجه مبنى على ان يكون دانية منصوبا بالعطف على جنة بتقدير الموصوف حتى تكون حالا من المفعول به اى وجزاهم جنة اخرى دانية وقد ذللت قطوفها لهم الا ان يكون المراد او حال من فاعل دانية كانه قيل دنوا ظلالها عليهم فى حال تذلل قطوفها لهم ثم انه تعالى لما وصف طعامهم ولباسهم ومسكنهم وصف شرابهم وقدم عليه وصف الاوانى التى يشربون بها فقال ويطاف عليهم اى وتدور على هؤلاء الابرار الخدم اذا ارادوا الشرب بآنية من فضة وآنية جمع اناء واصلها أأنية بهمزتين الاولى همزة افعلة مزيدة للجمع والثانية فاء الكلمة فقلبت الثانية الفا لسكونها وانفتاح ما قبلها وقوله من فضة نعت لآنية والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له ولا خرطوم

والمعنى ان هواها مضئ بذاته لا يحتاج الى شمس وقمر (ودانية عليهم ظلالها) اما حال او صفة اخرى معطوفة على ما قبلها او عطف على جنة اى وجنة اخرى دانية على انهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئت بالرفع على انه خبر ظلالها والجملة حال او صفة (وذللت قطوفها تذليلا) معطوف على ما قبله او حال من دانية وتذليل القطوف ان تحصل سهلة التناول لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا

(و يطاف عليهم بآنية من فضة واكواب) واربايق لا عروة لهـا (كانت قوارير قوارير من فضة) اى تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقد نون قوارير من نون سلاسلا وابن كثير الاولى لانها رأس الآية والباقون لم ينونوا اصلا وقرئ قوارير من فضة على هى قوارير

و افراد هـا بالذكر بعد ذكر الآنية لسرفها بالنسبة الى غيرها كقوله تعالى من المؤمنين والمهاجرين ويحتمل ان يكون المراد بالآنية ما يشرب فيه كالقدح وبالكوب ما يصب منه فى الاناء كالاباريق كما اشار اليه بقوله واباريق (قوله اى تكونت) اشارة الى ان كان تامة بمعنى حدثت وتكون قوارير الاول حالا من فاعل كان ولعل الوجه فى اختيار كونهـا تامة مع جواز كونهـا ناقصة وقوارير الاول خبرها انهـا اذا جعلت بمعنى تكونت وحدثت بنقل الذهن الى المكون المحدث وحيث لا يكون الا الله كان المعنى تكونت حال كونهـا قوارير بتكوين الله تعالى فيكون اشاره الى تفخيم الآنية بكونها اثر قدرة الله تعالى ولما ورد ان يقال كيف تكون الاكواب المذكورة من فضة ومن قوارير زجاجية اشار الى جوابه بانه ليس المعنى انها قوارير زجاجية متخذة من الفضة بل الحكم عليهـا بانها قوارير وانها من فضة من باب التمثيل للمفهوم فانهـا فى نفسها ليست فضة ولا زجاجية لما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال ليس فى الدنيا مما فى الجنة الا الاسماء فثبت به ان آنية الجنة مباينة بالحقيقة لقارورة الدنيا وفضتها الا انها لما كانت جامعة بين صفاء الزجاجة ولطفهـا وبين بيـاض الفضة ولينها وصفت بانهـا من فضة تكونت حال كونهـا قوارير والاصل فى مثل سـلاسل وقوارير ان لا ينصرف لانه على صيغة منتهى الجموع الا ان من صرفه ونونه شبهه بالمفرد من حيث انه جمع جمع السـلامة كما يجمع الآحاد المنصرفة حيث يقـال صواحبـات يوسف فى جمع صواحب فلما جمع كما يجمع الالفـاظ المفرده جعل فى حكمهـا وصرف مع ان ابا الحسن حكى عن بعض القوم انهم صرفوا جميع مالا ينصرف الا افعل من بناء على ان الاصل فى الاسماء ان تكون منصرفة ولهذا يصرفها الشعراء فى الشعر واعلم ان القرآن فى كلمتى قوارير على خمس مراتب الاولى تنوينهمـا معا والوقف عليهما بالالف بدل التنوين كنافع والكسائى وابى بكر والثـانية عكس هذا وهو عدم تنوينهما وعدم الوقف عليهما بالالف كحمزه وحده والثالثة تنوين الاول دون الثانى والوقف على الاول بالالف وعلى الثـانى بدونها وهو لابى عمرو وابن ذكوان وحفص ووجه القول الاخير ان الاول رأس آية فناسب ان يوقف عليه بالالف والثانى ليس رأس آية فلم يوقف عليه بالالف ومن لم ينونهما وقف عليهما بالالف نظرا الى ان الاول رأس آية وحمل الثانى على الاول للمناسبة بينهما ونصب قوارير الاول على انه خبر كان ان جعلت ناقصة وعلى الحال ان جعلت تامة والجملة صفة لاكواب واما نصب قوارير الثانى وهو قرآءة الجمهور

وعلى انه بدل من الاول للايضاح والبيان حيث بين انه من الفضة (قوله اى قدروها فى انفسهم) على ان يكون فاعل قدروها ضمير اهل الجنة لا ضمير الطائفين وقدروها فى محل النصب على انه صفة قوارير والمعنى قدر الشاربون فى انفسهم وتمنوا كون تلك القوارير على مقادير واشكال على حسب ما يريدون ويشتهون فجاء كما قدروها فان منتهى ما يريده الرجل فى الآنية التى يشرب منها الصفاء والنقاء والشكل اما الصفاء فقد ذكره الله تعالى بقوله كانت قوارير واما النقاء فقد ذكره بقوله من فضة واما الشكل والمقدار فقد ذكره بقوله قدروها تقديرا (قوله اوقدر الطائفون بها) على ان ضمير قدروها للخدام الطائفين ولابد من تقدير المضاف حينئذ اى قدر الخدام شراب القوارير على قدر رى الشارب من غير زيادة ولا نقصان وهو ألذ للشارب لكونه على مقدار حاجته فان كل واحد من طرفى الاعتدال مذموم وقرئ قدروها بضم القاف وكسر الدال المشددة على بناء المفعول منقولا الى بناء التفعيل من قدرت الشئ وقدر نيه فلان اذا جعلك قادرا له والمعنى جعلوا قادرين لها كما شاؤا (قوله مايشبه الزنجبيل) كلمة ما فى قوله مايشبه الزنجبيل يحتمل ان يكون بألف ممدوده ويشبه صفتها وبألف مقصورة ويشبه صلتها وعلى التقديرين لا يكون الزنجبيل على حقيقته بل يكون اسم ماء فى الجنة يشبه الزنجبيل فى بعض اوصافه يمزج به شراب الابرار كما ان الكافور اسم ماء فيها يشبه الكافور فيكون عينا بدلا من زنجبيلا بتقدير المضاف اى ماء عين وان كان زنجبيل على حقيقته يكون عينا بدلا من كأسا اى ويسقون فيها خمرا تجرى فيها لما وصف الله تعالى اولا مشروبهم فقال ويسقون فيها الآية وصف مشروبهم بانه ممزوج بالزنجبيل لان العرب كانوا يحبون جعل الزنجبيل فى المشروب ولما توهم من تسميه تلك العين بالزنجبيل انه ليس فيها سلاسة الانحدار فى الحلق وسهولة مساغها كما هو مقتضى اللذع ازال ذلك الوهم بانها تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها اى نزولها فى الحلق وانتفاء لذع الزنجبيل عنها فان السلاسة هى ضد اللذع وهو الاحراق يقال لذعته النار اى احرقته (قوله ولذلك) اى ولكون السلسبيل بمعنى السلسال والسلسل اللذين هما من صفات الماء بمعنى سهل الدخول فى الحلق لعذوبته وصفائه قيل زيدت الباء على السلسال للدلالة على غاية السلاسة والحلاوة (قوله وقيل اصله سل سبيلا) على انه كلام مركب من فعل امر من سأله الشئ وفاعل مستتر فيه ومفعول بارز والتقدير سل انت سبيلا اليها ثم جعل هذا الكلام المركب علما لعين فى الجنة اولنا ئها كما سمى الرجل بتأبط

(قدروها تقديرا) اى قدروها فى انفسهم فجاءت مقاديرها واشكالها كما تمنوها او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها او قدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها اى جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشئ (ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا) مايشبه الزنجبيل فى الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به (عينا فيها تسمى سلسبيلا) لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد ان ينفى عنها لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل اصله سل سبيلا فسميت به كتأبط شرا لانه لا يشرب منها الا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) دائمون

(اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) من صفاء ألوانهم و انبثاثهم في مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض (و اذا رأيت) ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه ان بصرك اينما وقع (ثم رأيت نعيما و ملكا كبيرا) واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه هذا وللعارف اكبر من ذلك و هو ان تنقش نفسه بجلايا الملك و خفايا الملكوت فيستضيء بانوار قدس الجبروت (عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق) يعلوهم ثياب الحرير الخضر ما رق منها وما غلظ

شربا واعلم انه تعالى مزج شراب الابرار اولا بالكافور و ثانيا بالزنجبيل لان المقصود الاهم حال الدخول البروده لهجوم العطش عليهم من حر عرصات القيامة وعبور الصراط و بقدر استيفاء حظوظهم من انواع نعيمها ومطعوماتها تميل طباعهم الى الاشربة التي تهيج الاشتهاء وتعين على تشهيه ثانيا الوان المطعومات و يشتد الطمع بشربها فلعل الوجه في تأخير ذكر ما يمزج به الزنجبيل عما يمزج به الكافور ذلك والله اعلم ثم انه تعالى شرع في ذكر اوصاف الخدم الذين يطوفون عليهم بذلك المشروب في تلك الاواني فقال و يطوف عليهم ولدان فانهم احف في الخدمة مخلدون دائمون على ماهم عليه من الشباب والغضاضة في الحسن لا يهرمون ولا يتغيرون و يكونون على سن واحد على مر الازمنة (قوله وانبثاثهم) اى تفرقهم في محل الخدمة عند اشتغالهم بانواع الخدمة وطوافهم على الابرار المخدومين مسارعين في الخدمة ولو اصطفوا على وتيرة واحدة لشبهوا باللؤلؤ المنظوم واللؤلؤ اذا كان متفرقا كان احسن من المنظوم لوقوع شعاع بعضه على بعض فيكون مخالفا للمجتمع منه في اللمعان والبريق وشبهت الحور العين باللؤلؤ المكنون اى المحفوظ المخزون لانهن لا يمتهن في الخدمة فلا يذبن اشار الولدان ثم انه تعالى لما فصل بعض ما في الجنة من وجوه النعم وصنوف العزة والاكرام اتبعه بما يدل على ان مافيها من آثار الله تعالى ورحمته ليس مما يحصيه العدو التفصيل فقال واذا رأيت ثم اى في الجنة فان ثم ظرف مبنى على الظرفية ورأيت من رؤية البصر فتعدى الى مفعول واحد الا انه في الآية لم يقصد تعلقه بالمفعول فليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع في جميع ماوقعت الرؤية عليه كانه قيل اذا وجدت الرؤية منك ثم اى في الجنة لا يحصل لك بتلك الرؤية الا ادراك نعيم كثير لا يوصف عظمته وملك كبير لا يعرف كنهه وقيل مفعوله ثم وهو اسم لا ظرف والمعنى اذا رأيت ذلك الموضع وقيل بتقديره واذا رأيت ماثم على ان ما موصولة في موضع النصب على انه مفعول رأيت وثم صلته ثم حذف ما واقيم ثم مقامه وهذا خطأ عند البصريين لانه لا يجوز عندهم حذف الموصول واقامة الصلة مقامه ثم قيل الخطاب في رأيت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل عام لكل من يصح ان يخاطب والنعيم ما يتنعم به والملك الكبير ماذكر في الحديث الذي اورده المصنف وزاد المصنف ان العارف له اكثر من ذلك وهو ان ينكشف له صور عالم الغيب والشهادة بحقائقها فتستضيء مرآة قلبه بانوار العلوم المدنية والمعارف الالهية بسبب ارتفاع الحجب النفسانية والطبيعية و حصول قوة الاتصال بقدس الجبروت كما قيل مجموع رأى بمجرد تصل انتهى (قوله

ونصبه على الحال من هم في عليهم او حسبتهم او ملكا على تقدير مضاف اي واهل ملك كبير عاليهم وقرأ نافع وحمزة بالرفع على انه خبر ثياب وقرأ ابن كثير وابو بكر خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرأ ابو عمرو وابن عامر بالعكس وقرأهما نافع وحفص بالرفع وحمزة والكسائي بالجر وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب

ونصبه على الحال) اختار قرآءة الجمهور وهم عدا نافع وحمزة فانهم قرأوا عاليهم بفتح الياء وضم الهاء على الاصل فان الاصل في هاء الضمير هو الضم مطلقا اي سواء كان ضمير المفرد او المثنى او المجموع نحو منه وعنه ومنهما وعنهما ومنهم وعنهم ومنهن وعنهن وفتحت في منها وعنها لاجل الالف وكسرت اذا وقع قبلها كسرة او ياء ساكنة نحو بهم اوفيهم للمجانسة الا ان حمزة قرأ الا لفاظ الثلاث وهي عليهم واليهم ولديهم بضم الهاء في جميع القرءآن حيثما وقعت فيه نظرا الى ان الياء فيها بدل من الالف ولو نطق بالالف لم يكن في الهاء الا الضم فكذا الحال اذا نطق ببدلها ثم قرأ عاليهم بالنصب جعله حالا من الضمير المجرور في قوله يطوف عليهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا المطوف عليهم ثياب سندس وقوله ثياب سندس مرفوع على انه فاعل اسم الفاعل المنصوب على الحالية فان عاليهم نكرة تكون اضافته لفظية لانه اسم فاعل بمعنى الاستقبال اضيف الى معموله فلا خلل كونه نكرة جاز نصبه على الحال فان حق الحال ان يكون نكرة ويجوز بحسب العربية ان يكون عاليهم حالا من الولدان ويكون ضمير الجمع فيه للولدان لا الابرار الا ان المصنف لم يلتفت اليه من حيث ان المقام مقام تعداد نعم الابرار وكرامتهم فالمناسب له ان يكون الثياب المذكورة لهم لا للولدان الطائفين (قوله اوحسبتهم) اي ويجوز ان يكون انتصاب عاليهم مبنيا على كونه بدلا من الضمير المنصوب في حسبتهم اي حسبت الولدان لؤلؤا منثورا في حال كونهم بحيث يعلوهم ثياب سندس فعلى هذا تكون الثياب للطائفين لا للمطوف عليهم اومن الاهل المقدر بعد رأيت اي رأيت اهل نعيم وملك كبير عاليهم ثياب سندس (قوله وقرأ نافع وحمزه بالرفع) اي بسكون الياء من عاليهم لثقل الضمة عليها وجعل المصنف قرأة الرفع مبنية على ان يكون ثياب سندس مبتدأ وعاليهم خبره على خلاف ما اختاره الزمخشري من ان يكون عاليهم مبتدأ وثياب سندس خبره بمعنى مايعلوهم من اللباس ثياب سندس لانه رد على مااختاره الزمخشري ان اضافة عاليهم لفظية فيكون نكرة ولايجوز الابتداء بالنكرة وان امكن ان يجاب عنه بانها مخصصة باضافتها الى المعرفة فجاز الابتداء بها (قوله حملا على سندس بالمعنى) اي قرئ خضر بالجر على انه صفة سندس وقوله بالمعنى جواب عما يقال كيف يجوز ان يكون خضر وهو جمع اخضر صفة لمفرد وتقرير الجواب ان سندسا وان كان مفردا بحسب اللفظ لكن لما اريد به الجنس كان في معنى الجمع فصح ان يوصف بالجمع كما في قوله تعالى وينشئ السحاب الثقال واعلم ان القرآء السبعة في خضر واستبرق على اربع مراتب الاولى

رفعهما نافع وحفص صفة للثياب كما فى قوله تعالى و يلبسون ثيابا خضرا واستبرق بالرفع معطوف على ثياب لكن على حذف مضاف اى وثياب استبرق كما فى قولك على زيد ثوب خز وكتان اى وثوب كتان والثانية خفضهما حمزة والكسائى خضر صفة لسندس واستبرق عطف عليه لان المعنى ثياب من سندس وثياب من استبرق والثالثة رفع الاول وخفض الثانى لابى عمرو وابن عامر رفع خضر على انه نعت لثياب وجر استبرق عطفا على سندس والرابعة عكس الثالثة اى خفض الاول ورفع الثانى جر خضر على انه نعت لسندس ورفع استبرق عطفا على ثياب بحذف مضاف اى وثياب استبرق والسندس الديباج الرقيق الفاخر الحسن والاستبرق الديباج الغليظ الذى له بريق وقيل عاليهم ظرف مكان بمعنى يعلوهم فهو منصوب على الظرفية ثم منهم من قدر مضافا اى فوق حجالهم المضروبة عليهم ثياب سندس والمعنى ان حجالهم من الحرير والديباج لان كل واحد من الاستبرق والسندس داخل فى اسم الحرير فى قوله ولباسهم فيها حرير (قوله عطف على و يطوف عليهم) على طريق عطف فعلية على فعلية وحلوا وان كان ماضيا لفظا فانه مستقبل معنى وعبر بلفظ الماضى لتحقق وقوعه واساور مفعول ثان لحلوا بمعنى و يحلون (قوله ولا مخالفة) جواب عما يقال انه تعالى قال فى سورة الكهف يحلون فيها من اساور من ذهب وفى سورة الحج يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤ وكيف قيل ههنا من فضة واجاب عنه بثلاثة اوجه الاول انه يجوز ان يجمع فى ايديهم سوار ان سوار من فضة وسوار من ذهب ولؤلؤ او يجوز ان يجمع لايديهم محاسن الجنة كما روى عن سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه انه قال ليس من اهل الجنة احد الا وفى يده ثلاثة اسورة واحد من فضة وآخر من ذهب والثالث من لؤلؤ واحتج عليه بهذه الآيات والثانى يجوز ان يكون ذلك بحسب التعاقب فى الاوقات اى يلبسون تارة الذهب وتارة الفضة والثالث يجوز ان يكون ذلك بحسب اختلاف اعمالهم (قوله او حال من الضمير فى عاليهم) عطف على قوله عطف على و يطوف عليهم اى يعلوهم ذلك وقد حلوا وعلى هذا الوجه يمكن ان تدفع المخالفة بين الآيتين بوجه آخر وهو ان يكون اسورة الذهب للمخدومين واسورة الفضة للخدم وانما قال وعلى هذا لما مر ان ضمير عاليهم يجوز ان يكون مسندا الى ضمير الولدان بان يكون حالا من ضمير حسبتهم فعلى هذا اذا كان قوله تعالى وحلوا حالا من ضمير عاليهم يكون مسندا الى ضمير الولدان ايضا بخلاف ما اذا كان حالا من ضمير عاليهم او من ملكا كبيرا على تقدير المضاف فان قوله حلوا على التقدير بن يكون مسندا الى ضمير الابرار فيكون اسورة الفضة لهم لا للولدان (قوله فانه يطهر شاربه) يعنى ان الطهور

(وحلوا اساور من فضة عطف على ويطوف عليهم ولا مخالفة قوله اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلى اهل الجنة يختلف باختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من الضمير فى عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) يريد به نوعا آخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك اسند سقيه الى الله تعالى و وصفه بالطهورية

يعني المطهر كالوري عن مقاتل انه قال هو عين ماء اي على باب الجنة تنبع من ساق شجرة منها من شرب منه نزع الله تعالى ما كان في باطنه من غش وغل وحسد وما كان في جوفه من قذر واذى واشير الى هذا المعنى بقوله تعالى طبتم فادخلوها خالدين فانه شرع في ان الطهور بمعنى المطهر حيث قال ان الاشربة تطهر باطنهم من الاخلاق الذميمة والاخلاط المؤذية وعن علي رضي الله تعالى عنه انه قال في هذه الآية اذا توجه اهل الجنة الى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيشربون من احداهما فتجري عليهم نضرة النعيم فلا تتغير ابشارهم ولا تشعث شعورهم ابدا ثم يشربون من الاخرى فيخرج ما في بطونهم من الاذى ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقيل الطهور مبالغة الطاهر من حيث انه ليس بنجس كخمر الدنيا لان كونها رجسا ثبت شرعا لا عقلا وليست الدار دار تكليف ثم انه تعالى لما أتم شرح ثواب الابرار قال ان هذا اي يقال لهم بعد دخولهم الجنة ومشاهدتهم لما فيها من انواع البهجة والنعيم ان هذا كان لكم جزاء لاعمالكم التي قد قدمتموها في الدنيا لله تعالى يقال لهم ذلك ليزداد سرورهم ويحتمل ان يكون ذلك اخبارا من الله تعالى لعباده في الدنيا بعد شرح ثواب اهل الجنة لهم بان يقول هذا الذي شرحته لكم كان في علمي وحكمي جزاءكم يا معشر عبيدي لكم خلقتها ولاجلكم اعددتها والشكر اذا اسند الى العبد يكون عبارة عن قبول طاعة العبد وتوفير ثوابه يقال شكر الله سعيك اي جزاك الله خيرا على ما سعيت واطلاق الشكر عليه مجاز تشبيها له بالشكر من حيث كونه مقابلا واقعا بمقابلة العمل كالشكر الواقع بمقابلة الانعام ثم انه تعالى لما ذكر في القرآن العظيم اصناف الوعد والوعيد في حق الشاكر والكفور وكان التذكر والاتعاظ به موقوفا على صدق المبلغ وحقية رسالته بين ان ما بلغه اليهم ليس بسحر ولا شعر ولا كهانة بل هو وحي الهي نزله الله تعالى تنزيله مفرقا منجما آية بعد آية ولم ينزل جملة واحدة فقال انا نحن نزلنا ولم يقل انزلنا للمبالغة في تأكيد كونه وحيا الهيا بتصدير الكلام بان وتكرير الضمير الذي هو اسم ان وتأكيده بالضمير المنفصل تأكيدا على تأكيد وكأنه تعالى يقول ان هؤلاء الكفار يقولون انه سحر او كهانة او نحو ذلك وانا الله رب العالمين اقول على سبيل التأكيد والتحقيق ان ذلك وحي حق وتنزيل صدق من قبلي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فلا تكترث بما قالوا في حقه وفي شأنك فان ما قالوه صادر عن المكابرة والعناد بمنزلة قول من ينكر زوجية الاربعة وكون الواحد نصف الاثنين فأنت لا محالة رسول مبعوث بالهدى ودين الحق وان المقصود من بعثك ان تظهر الدين الحق على الاديان كلها فاصبر تأخير

فانه يظهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهو منتهى درجات الصديقين ولذلك ختم به ثواب الابرار (ان هذا كان لكم جزاء) على اضمار القول والاشارة الى ما عد من ثوابهم (وكان سعيكم مشكورا) مجازى عليه غير مضيع (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع ان مزيد لاختصاص التنزيل (فاصبر لحكم ربك) بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم (ولا تطع منهم آثما او كفورا) اي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي اليه

واو للدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتيب النهي على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك يستدعي ان يكون المطاوعة في الاثم والكفر محظورا فان مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر غير محظور

تصرك على اعداء الدين فانه كائن لا محالة (قوله واو للدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان) يعني ان كلمة او سواء وقعت في سياق الاثبات او النفي فمعناها احد الامرين او الامور الا ان ثبوت الشئ لاحد الامرين او الامور لا يستلزم ثبوته للجميع فهي اذا وقعت في سياق الاثبات تكون للاباحة او التخيير فان كان الجمع بين الامرين مما فيه فضيلة وشرف عادة كما في قولك جالس الحسن او ابن سيرين تكون للاباحة فيجوز الجمع بينهما والاقتصار على احدهما والا فهي للتخيير نحو اضرب زيدا او عمرا ولا يجوز الجمع بينهما بل يجب الاقتصار على احدهما بخلاف نفي احد الامرين او الامور والنهي عن احدهما فانه يستلزم نفي الجمع والنهي عنه لان كل واحد منهما يصدق عليه مفهوم احدهما ونفي ما يصدق عليه هذا المفهوم يستلزم نفي الجمع فاذا قلت لا تضرب زيدا او عمرا فالتقدير لا تضرب احدهما فيكون ضرب كل واحد منهما منهيا عنه لكونه ضرب احدهما وقد نهي عنه وكذا او قيل لا تطع احدهما كان المعنى لا تطع كل واحد منهما فيكون كلمة او للدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان فان قيل فعلى ما ذكرت يكون معنى او في الآية النهي عن طاعة احدهما فهلا جئ بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا فالجواب انه لو قيل ولا تطعهما او ولا تطع آثما وكفورا لاحتمل جواز ان تطع احدهما بخلاف ما اذا قيل لا تطع احدهما فانه حينئذ يعلم ان النهي عن طاعة احدهما هو نهي عن طاعتهما (قوله والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه) اي من الاثم والكفر لا باعتبار انقسامهم في انفسهم الى الآثم والكفور لان القوم كلهم كفرة ومن كان كافرا يكون آثما لا محالة لان الكفر اخبث انواع الاثم فكلهم كفرة واثمة فلا معنى لتقسيمهم في انفسهم الى القسمين واما التقسيم باعتبار ما يدعونه اليه من الكفر والاثم فالمعنى لا تطع من يدعوك من الكفرة الى الاثم ولا من يدعوك منهم الى الكفر والتقسيم بهذا الاعتبار افاد تعليق النهي بوصفي الكفر والاثم القائمين بهم فدل على ان مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر غير محظور ونهيه عليه الصلاة والسلام عن اطاعة من يدعوه الى الاثم والكفر مع انه عليه الصلاة والسلام لا يتصور في حقه ان يطع احدا منهم اشارة الى ان الناس محتاجون الى مواصلة التنبيه والارشاد من حيث ان طبيعتهم التي جبلوا عليها ركب فيها الشهوة الداعية الى السهو والغفلة ولو ان احدا استغنى عن توفيق الله تعالى وامداده وارشاده لكان احق الناس به هو الرسول المعصوم صلى الله تعالى عليه وسلم فظهر منه انه لا بد لكل مسلم ان يرغب اليه تعالى ويتضرع اليه في ان يحفظه عن الفتن والآفات في جميع الامور والحالات ثم قيل المراد بالآثم عتبة بن ربيعة

(واذكر اسم ربك بكرة واصيلا) وداوم على ذكره اودم على صلاة الفجر والظهر او العصر فان الاصيل يتناول وقتهما (ومن الليل فاسجدله) وبعض الليل فصل له ولعل المراد به صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلاة الليل من مزيد الكلفة والخلوص (وسبحه ليلا طويلا) وتهجدله طائفة طويلة من الليل (ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم) امامهم او خلف ظهورهم (يوما ثقيلا) شديدا مستعار من الثقل الباهظ للحامل وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه

وبالكفور الوليد بن المغيرة لان عتبة كان متعاطيا لانواع الفسق والوليد كان متوغلا في الكفر * روى ان عتبة بن ربيعة قال له عليه الصلاة والسلام ارجع عن هذا الامر حتى ازوجك ولدي فاني من اجمل قريش ولدا وقال الوليد انا اعطيك من المال حتى ترضى فاني من اكثرهم مالا فقرأ عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عشر آيات من اول حم السجدة الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فانصرفوا عنه وقال احدهما ظننت ان الكعبة ستقع علي وقيل المراد بهما شخص واحد هو ابو جهل وقيل المراد بهما الآثم والكفور مطلقا اي شخص كان وهو الاقرب الى اطلاق اللفظ ثم انه تعالى لما ذكر هذا النهي عقبه بالامر فقال واذكر اسم ربك ثم قيل ليس المراد من الذكر الصلاة بل المراد به التسبيح الذي هو القول والاعتقاد اي وكن ذاكر الله تعالى دائما ليلا ونهارا بقلبك ولسانك كما هو المراد من قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا وقيل المراد به الصلاة الخمس لان التقييد بالبكرة والاصيل يدل على ان المراد به ذلك فالبكرة هي صلاة الصبح والاصيل صلاة الظهر والعصر لان الاصيل اسم للوقت الذي يكون بعد الزوال الى الغروب وقيل لما بعد العصر الى الغروب ثم انه تعالى لما خاطب رسوله بالتعظيم والنهي والامر عدل الى شرح احوال الكفار والمتمردين فقال ان هؤلاء اي الكفرة يحبون العاجلة اي يؤثرونها على الآخرة يعني ان الذي حمل هؤلاء الكفار على الكفر والاعراض عن اتباع ما تدعوهم اليه ليس هو اشتباه الحق عليهم لعدم كفاية ما نزل عليك من الآيات والدلائل الدالة على التوحيد وحقيقة امر النبوة فان فيما بلغته اليهم كفاية في بيان الحق والارشاد اليه وانما الذي حملهم عليه غلبة الشهوة والمحبة لهذه اللذات العاجلة (قوله امامهم او خلف ظهورهم) فان الوراء يستعمل في كل واحد من المعنيين وفي الصحاح وراء بمعنى خلف وقد يكون بمعنى قدام فهي من الاضداد فهو ان كان بمعنى القدام يكون حالا من قوله يوما ثقيلا وهو مفعول يذرون لا ظرف له وان كان بمعنى خلف يكون ظرفا ليذرون كانه قيل ويذرونه خلف ظهورهم فحينئذ يكون قوله ويذرون وراءهم يوما ثقيلا استعارة تمثيلية بان شبهت حالهم في عدم اهتمامهم بيوم القيامة واعراضهم عنه بجعلهم اياه وراء ظهورهم فاستعمل ما يدل على الحال المشبه بها في الحال المشبهة (قوله مستعار من الثقل) الثقل من صفات الاجسام الكثيفة ولا يوصف به الزمان حقيقة الا انه شبه يوم القيامة لشدته وهوله بالشيء الثقيل الذي يتعب حامله (قوله وهو كالتعليل لما امر به ونهى

عنه) يعني ان توصيف اليوم بالثقل والشدة وان وقع لتهديد الكفار وتجهيلهم الا انه اصلح ان يكون تعليلا لما جرى به تعالى وبين رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم من نقل ذلك اليوم وشدته والظفر فيه بجميع السعادات والكرامات (قوله واحكمنا ربط مفاصلهم) فسر الاسر بالربط كما ثبت ذلك عند اهل اللغة وقدر بعده مضافا وهو المفاصل فكان المعنى احكمنا ربط اوصال بعضها ببعض كالعروق والاعصاب لما ذكر الله تعالى ان الذي دعاهم الى الاستمرار على ماهم عليه من الكفر والعناد حب العاجلة اتبعه بهذه الآية فكأنه قيل لهم هبوا ان حبكم لهذه اللذات العاجلة طريقة مستحسنة الا ان ذلك الحب يوجب عليكم الايمان والطاعة ايضا من حيث ان جميع ما انتم عليه من النعم وما تتمكنون به من الانتفاع بها فانما هو بخلق الله تعالى وحده لا شريك له في خلق شيء منها كما يدل عليه تقديم المسند اليه في قوله نحن خلقناهم وشددنا اسرهم وحق هذا المنعم ان يطاع في جميع ما كلف به ولا يعصى بوجه ما وانتم اسأتم بكمال العصيان مع كمال رغبتكم في احسانه وفي ان يزيد عليكم ما تؤملونه ومثل هذه الرغبة ينافي العصيان ثم اشار بقوله واذا شئنا الآية الى ان من قدر على اعطاء هذه النعم قادر على ان يهلكهم ويسلب عنهم جميع ما انعم به عليهم وان يلقيهم في كل محنة وبلية ان لم يطيعوا هذا المنعم القادر على كل شيء شكرا لانعامه وزجره في مقابلة احسانه فلم لم يطيعوه خوفا من نقمته وقهره ففيه توبيخ عظيم على كفرهم (قوله ولذلك جيء باذا) فان حقها ان تستعمل فيما هو محقق الوقوع استدل به على ان المراد التبديل الاعادة والبعث فان المعاد مثل المبدأ من حيث اشتماله على الاجزاء الاصلية المبدأة وان خالفه باختلاف العوارض وان التبديل بمعنى الاعادة محقق الوقوع لا ريب فيه فكلمة اذا حينئذ تكون في موقعها ويحتمل ان يكون المراد بتبديل امثالهم انشاء امثالهم في الدنيا لا بالبعث بل باتيان اشباههم بدلا منهم ممن يطع كما قال ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين فحينئذ لا يكون اذا مناسبا للمقام لان اهلاكهم وايجاد امثالهم في الدنيا ليس معلوم الوقوع فلا يناسب المقام ايراد كلمة ان والجواب ان ايجاد امثالهم في الدنيا بمنزلة محقق الوقوع من حيث كونه داخلا تحت قدرة الله تعالى وقوة ما يدعو اليه من كفرهم وعنادهم وعدل الله تعالى وكونه شديد العقاب (قوله تقرب اليه بالطاعة) فسر السبيل الى مرضاة الرب بالطاعة وفسر اتخاذها بالتقرب بها اليه اي اذا اتضح هذا التذكير فمن شاء النجاة من ثقل ذلك اليوم وشدته اختار سبيلا مقربا الى مرضاة ربه وهو الطاعة (قوله الا وقت ان يشاء الله) اشارة الى ان ان مع الفعل

(نحن خلقناهم وشددنا اسرهم) واحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب (واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا) واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا هم امثالهم في الخلقة وشدة الاسر يعني النشأة الثانية ولذلك جيء باذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع واذا لتحقيق القدرة وقوة الداعية (ان هذه تذكرة) الاشارة الى السورة او الآيات القريبة (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) تقرب اليه بالطاعة (وما تشاؤن الا ان يشاء الله) وما تشاؤن ذلك الا وقت ان يشاء الله مشيئتكم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر يشاؤن بالياء (ان الله كان عليما) بما يستأهل كل احد (حكيما) لا يشاء الا ما تقتضيه حكمته (يدخل من يشاء في رحمته) بالهداية والتوفيق للطاعة (والظالمين اعد لهم عذابا اليما) نصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم مثل اوعد وكافأ

ليطابق الجملة المعطوف عليها وقرئ بالرفع على الابتداء * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

(سورة والمرسلات مكية وآيها خمسون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا) اقسم بطوائف من الملائكة ارسلهن الله باوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح فى امتثال امره ونشرن الشرائع فى الارض او نشرن النفوس الموتى بالجهل بما اوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل فالقين الى الانبياء ذكرا (عذرا) للمحقين (او نذرا) للمبطلين

فى حكم المصدر الصريح فى قيامه مقام طرف الزمان وانتصابه بالظرفية فى نحو قولك آتيك خفوق النجم وصياح الديك فهو استثناء مفرغ اى ما تشاؤن الطاعة والتقرب بها وقتا من الاوقات الا وقت ان يشاء الله تعالى مشيئتكم فان جميع ما يجرى على الانسان من الطاعة والمعصية والكفر والايمان انما يجرى عليه بخلق الله تعالى وما يخلقه الا مشيئته فلا يشاء ان يخلق فيكم مشيئة الطاعة الا اذا علم فيكم اختيار ذلك قرأ نافع والكوفيون تشاؤن على الخطاب العام او على الالتفات من الغيبة فى قوله نحن خلقناهم الى الخطاب والباقون بالغيبة على وفق قوله خلقناهم (قوله ليطابق الجملة المعطوف عليها) فانها معطوفة على جملة يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين وقع منصوبا على انه من قبيل ما اضمر عامله على شريطة التفسير فتطابق الجملتان فى الفعلية بخلاف ما اذا رفع والظالمون على الابتداء فانه حينئذ تفوت المطابقة بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يضمر ناصب الظالمين بما يوافق لفظ المفسر وهو اعد لهم بل اضمر ما يناسبه فى المعنى مثل اوعد وكافأ لان لفظ اعد لا يتعدى بنفسه * تمت سورة الانسان والحمد لله رب العالمين

(سوره والمرسلات)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله تعالى والمرسلات) جمع مرسلة بمعنى الطوائف المرسلات بالالف والتاء لكونها عبارة عن الطائفة المرسلة المصلحة ومن حق جمع المؤنث من العقلاء ان يجمع بالالف والتاء ولا يتكئ فى صحة جمع المرسلات بالالف والتاء ان تقدر كونها صفة الملائكة لانه يستلزم ان يكون مفردها مرسلا بمعنى ملك مرسل وليس كذلك بل هى جمع مرسله بمعنى طائفة مرسلة فيكون المرسلات بمعنى الطوائف المرسلات من الملائكة (قوله متتابعة) اشارة الى ان عرفا حال من المنوى فى المرسلات وانه من باب التشبيه البليغ بان شبهت الملائكة المرسلة فى تتابعهم وتلو بعضهم بعضا بشعر عرف الفرس من قولهم جاؤا كعرف الفرس اى متتابعين وفى الصحاح العرف عرف الفرس وقوله تعالى والمرسلات عرفا يقال هو مستعار من عرف الفرس اى يتتابعون كعرف الفرس انتهى (قوله باوامره) اى بتعذيب من كفر به وامرهم بالمصابه كتعذيب قوم واهلاك آخرين وليس المراد من ارسالهن بالاوامر ايصال اوامر الله الى الانبياء لانه لا يبقى حينئذ للتخصيص بالاوامر فائدة ويكون قوله والناشرات تكرارا او عصفا مصدر مؤكد وكذلك نشرا وفرقا وعصوف الريح شدة هبوبها شبهت الطوائف المرسلات من الملائكة فى سرعة جريهن فى نزولهن وهبوطهن

بالرياح الشديدة الهبوب والفاء للدلالة على اتصال جريهن في نزولهن بالارسال من غير مهلة وهو من عطف الصفة على الصفة لاتحاد موصوف المرسلات والعاصفات وعطف قوله والناشرات على المرسلات بالواو لعدم كون نشر الشرائع متفرعا على الارسال ومتعقباله فان الملائكة اول ما ينزلون الوحي الى الرسل لا ينتشر ذلك الدين في الحال مشهورا منتشرا بل اكثر الخلق يكذبون الرسل مكابرة وعنادا فلم يعطف النشر على ما قبله بفاء التعقيب بل عطف بالواو الدالة على الاجتماع في الوجود مع قطع النظر عن افادة معنى التعقيب والتراخي ثم اذا حصل النشر رتب عليه حصول الفرق بين الحق والباطل والقاء الذكر الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى ان تم امر اسم الدين وما يتعلق بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال الى ان نزل قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم فلذلك عطف هذين الامرين بفاء التعقيب وهذا وجه الترتيب على تقدير ان تكون الصفات الخمس لطوائف الملائكة وبه يعرف وجه الترتيب على ان تكون الصفات المذكورة لغير الملائكة (قوله او بآيات القرآن) عطف على قوله بطوائف من الملائكة فعلى هذا يكون المقسم بها آيات القرآن الموصوفة بتلك الصفات الخمس (قوله بكل عرف) اشارة الى ان انتصاب عرفا حينئذ بنزع الخافض (قوله فعصفن سائر الكتب والاديان) اي غلبتها وقهرتها يقال عصف الشئ اي اباده واهلكه وعصفت الحرب بالقوم اي ذهبت بهم (قوله او برياح عذاب ورياح رحمة) فعلى هذا يكون قوله والناشرات قسما مستأنفا برياح الرحمة بعد ان اقسم برياح العذاب التي ارسلت عرفا اي متتابعة كشعر العرف فعصفن وحمل المرسلات العاصفات على رياح العذاب بقرينة توصيفها بالعصف الذي هو شدة الهبوب وهي امارة كونها مرسلة للعذاب وحمل ما بعدها على رياح الرحمة اخذا من توصيفها بنشر السحاب اي بسطه في الجو ونشر اجزائه بعضها عن بعض عند نشره قال الله تعالى الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فقوله تعالى والناشرات نشرا فالفارقات فرقا على هذا التفسير في معنى قوله فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا اي قطعا فان الكسف جمع كسفة وهي القطعة من الشئ والرياح الموصوفة بصفات القهر واللطف لما كانت سببا لتمسك العاقل بذكر الله تعالى والالتجاء الى عفوه ورحمته وبذل الجهد في شكر نعمته صارت تلك الرياح كأنها القت الذكر فكان الاسناد اليها مجازيا (قوله وعرفا اما نقيض النكر) يعني ان عرفا اما بمعنى المعروف والاحسان

بالسحب ونشرن آثار الهدى والحكم في الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فألقين ذكر الحق فيما بين العالمين او بالنفوس الكاملة المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن ما سوى الحق ونشرن أثر ذلك في جميع الاعضاء ففرقن بين الحق بذاته والباطل في نفسه فيرون كل شئ هالكا الا وجهه فالقين ذكرا بحيث لا يكون في القلوب والالسنة الاذكر الله او برياح عذاب ارسلهن فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن فالقين ذكرا اي تسبب له فان العاقل اذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته وعرفا اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف او بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال

والخير كما فى قوله تعالى وأمر بالمعروف وهو نقيض المنكر واما بمعنى الاجتماع والتتابع من عرف نحو الفرس والضبع وهو شعر الرقبة يقال جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع اذا تألبوا عليه اى اجتمعوا (قوله مصدران لعذر وانذر) كون عذرا مصدر عذر ظاهر لان فعلا نحو شكرا وكفرا من مصادر الثلاثى واما كون نذرا مصدر انذر فليس بظاهر فلعل المراد انه اسم مصدر له وفى الصحاح الانذار الابلاغ ولا يكون الا فى التخويف والاسم النذر ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابى ونذر اى انذارى فانه صريح فى ان النذر اسم لمصدر انذر (قوله او جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار) فان لفظ فعيل كثيرا ما يستعمل بمعنى المصدر كالنكير بمعنى الانكار قال ابو على العذر والعذير والنذر والنذير مثل النكر والنكير ويجوز ان يجمع المصدر لاختلاف اجناسه فان المعذرة تختلف بحسب اختلاف الاساءة ووجوه نحوها وكذا الانذار ويجوز تثنية المصدر وجمعه عند اختلاف اجناسه وانواعه ثم ذكر احتمال ان يكون العذر والنذر جمعى العذير والنذير بمعنى العاذر والمنذر كما فى قوله تعالى هذا نذير من النذر الاولى اى منذر من قبيل المنذرين الاولين (قوله ونصبهما على الاولين) اى على ان يكونا مصدرين او جمعى ما هو بمعنى المصدرين بالعلية اى بان يكونا مفعولا لهما اى فالملقيات ذكرا للاعذار والانذار اى لمحو ذنوب المحقين المعتذرين الى الله تعالى بالتوبة والاستغفار وتخويف المبطلين المصرين (قوله او البدلية) اى ويجوز ان يكون انتصاب عذرا او نذرا على البدل بان يكونا منصوبين على البدلية من قوله ذكرا اى فالملقيات عذرا او نذرا ثم ان كان الذكر المبدل منه بمعنى جميع الوحى يكون عذرا او نذرا بدل البعض من الكل فان ما يتعلق بمعذرة المطيعين وتخويف المعاندين بعض من جملة الوحى وان اريد بالذكر المبدل منه ما يتعلق بسعادة الموحد وشقاوة المشرك خاصة من جملة الوحى يكون بدل الكل من الكل فان ما القى الى الانبياء من الآيات المتعلقة بمحو الاساءة وتخويف المصر عليها متحد بالذات مع الذكر المخصوص المتعلق بسعادة الموحد وشقاوة المشرك فقوله او ما يعم الموحد والمشرك معناه او ما يتناول احوال اهل التوحيد والشرك خاصة (قوله وعلى الثالث) وهو ان يكونا جمعى عذير ونذير بمعنى العاذر والمنذر يكون انتصابهما على الحالية من المنوى فى الملقيات اى فالملقيات ذكرا حال كونهم عاذرين او منذرين (قوله بالتخفيف) اى باسكان

او عذرا او نذرا مصدران لعذر اذا محا الاساءة وانذر اذا خوف او جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الاولين بالعلة اى عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او البدلية من ذكرا على ان المراد به الوحى او ما يعم التوحيد والشرك والايمان والكفر وعلى الثالث بالحالية وقرأهما ابو عمرو وحمزة والكسائى وحفص بالتخفيف

الذال فيهما وقرأ الباقون بتحريكهما بالضم (قوله تعالى انما توعدون لواقع) اى ان الذى توعدونه من امر القيامة على أن ما موصولة فى محل النصب على انها اسم ان وتوعدون صلتها والعائد محذوف ولواقع خبرها وكان من حقها ان تكتب منفصلة عن الموصول ولكنهم كتبوها متصلة وخص الموعود بمجيئ القيامة لان المذكور عقيب هذه الآية علامات القيامة فدل ذلك على ان المراد بالموعود هو القيامة فقط وقال الكلبى المراد ان كل ماتوعدونه من الخير والشر لواقع نظرا الى عموم لفظ الموصول (قوله محقت) فى الصحاح الطموس الدروس والامحاء يقال طمس الطريق وانطمس اى امحى ودرس والطمس محو الاثر الدال على الشئ فيحتمل ان يكون المراد بقوله تعالى طمست محقت ومحيت ذواتها لقوله واذ النجوم انكدرت وان يكون المراد محقت انوارها والاول اولى لعدم احتياجه الى الاضمار وقوله النجوم مرتفعة بفعل مضمر يفسره ما بعده عند البصريين من غير الاخفش وبالابتداء عند الكوفيين والاخفش وطمست خبره والاول اولى لان اذا فيها معنى الشرط والشرط بالفعل اولى ومحل الجملة على المذهبين الجر باذا وجواب اذا محذوف والتقدير فاذا طمست النجوم وقع ما توعدون او بعثتم اوجوزيتم على اعمالكم وحذف لدلالة قوله انما توعدون لواقع عليه وقيل جوابه ويل يومئذ للمكذبين وقيل بعد الكلام وذكر اذا النجوم طمست (قوله صدعت) اى انشقت والفرج الشق يقال فرجه الله تعالى فانفرج وصدعته فانصدع اى انشق (قوله كالحب ينسف) اى يطير فى الهواء ليخلص من تبنه قال تعالى لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا يقال حرقت الشئ حرقا اى بردته بالمبرد وشدد للكثرة والمبالغة (قوله عين لها وقتها) فسر توقيت الرسل بان يعين لهم وقتهم الذى يحضرون فيه للشهادة على اممهم وذلك الوقت ما اشير اليه بقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم (قوله بحصوله فانه لاتتعين لهم قبله) جواب عما يقال كيف يكون تعيين ذلك الوقت لهم من مقدمات القيامة واما رابعها كالثلاثة المتقدمة وهى الطمس والفرج والنسف مع ان الرسل قد عين لهم ذلك الوقت وبين لهم ايام حياتهم فى الدنيا فكيف يكون ذلك من مقدمات القيامة وعلاماتها وتقرير الجواب ان ما بين لهم فى الدنيا ليس الا انهم مجمعون يوم القيامة ويسألون ماذا اجبتم ولم يبين لهم فيها ذلك الوقت بعينه ولاتتعين لهم ذلك الا بحصوله ومجيئه وفسر توقيت الرسل بتعيين وقت حضورهم للشهادة لا بتعيين وقت انفسهم وذواتهم لان توقيت الشئ بمعنى تعيين وقته انما يعتبر بالنسبة الى

(انما توعدون لواقع) جواب القسم ومعناه ان الذى توعدونه من مجيئ القيامة كائن لا محالة (فاذا النجوم طمست) محقت اواذهب نورها (واذا السماء فرجت) صدعت (واذا الجبال نسفت) كالحب ينسف بالمنسف (واذا الرسل اقتت) عين لها وقتها الذى يحضرون فيه للشهادة على الامم بحصوله فانه لاتتعين لهم قبله او بلغت ميقاتها الذى كانت تنتظره وقرأ ابو عمرو وقتت على الاصل

الى ما بيانه المحددة لانا نسبة الى الذوات القارة فاذا اضيف التوقيت بهذا المعنى الى الذوات القارة فلا بد من اضمار الحدث فذلك الحدث هو الذي عد من علامات القيامة و فسر التوقيت ثانيا قوله او بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره فان الوقت قد يستعمل بمعنى حصول الشيء بالغا الى وقته المحدود بمعنى ان ذلك الوقت وحصوله كما ان تسويد الشيء وتحريقه عبارة عن تحصيل حقيقة السواد والحرقة فيه فكذا التوقيت عبارة عن تحصيل وقت الشيء و بلوغه اليه والتوقيت بهذا المعنى ايضا في الحقيقة مضاف الى حضور الرسل للشهادة على اممهم و سؤال الرسل عما احسنوا به وسؤال الامم عما اجابوهم كما قال تعالى فلنسألن الذين ارسل اليهم و لنسألن المرسلين (قوله اى يقال لاى يوم اخرت) يعني ان الجملة الاستفهامية في محل النصب بالقول المضمر و هذا القول المضمر يجوز ان يكون جوابا لاذا اى اذا كان كذا وكذا يقال لاى يوم اخرت هذه الامور التي هي طمس النجوم ونسف الجبال وتأقيت الرسل وان يكون حالا من مرفوع اقتت اى اقتت مقولا فيها لاى يوم اجلت اى اخرت الرسل والامور المتعلقة بجمعهم واحضارهم وهي تعذيب من كذبهم وتعظيم من آمن بهم وصدقهم ونحو ذلك ومعنى الاستفهام تعظيم ذلك اليوم و التعجب من هوله (قوله و تحور) عطف على قوله اى يقال و تقدير الكلام حينئذ واذا الرسل اعلمت وقت تأجيلها (قوله وويل في الاصل مصدر منصوب باضمار فعل لامن لفظه فان اصله اهلكه الله اهلاكا وهلاك هو هلاكا والويل موضوع موضع الاهلاك او الهلاك اشارة الى وجه وقوع ويل مبتدأ مع انه نكرة فانه لما كان مصدرا سادا مسد الفعل المخصص بصدوره عن فاعل معين كانت النكرة المذكورة مخصصة بذلك الفاعل فساغ الابتداء بذلك كما قالوا في سلام عليكم والمصنف قدر مفعول المكذبين المذكورين او لا فقال للمكذبين بذلك اى بيوم الفصل و بكل ما اخبر به الانبياء عنه واما غيره فقال للمكذبين بآيات الله وانما لئلا يكون كل واحد من المكذبين مغايرا للآخر معنى و متعلقيهما فرارا من التكرار واعلم ان المقصود من هذه السورة تخويف الكفار وتحذيرهم عن الكفر فخوفهم اولا بان اقسم على ان اليوم الذي يوعدون به وهو يوم القيامة لواقع ثم هول فقال وما ادراك ما يوم الفصل ثم زاد في التهويل فقال ويل يومئذ للمكذبين فهذا نوع من التخويف ثم ذكر نوعا آخر منه فقال الم نهلك الاولين وهو تعميم بالكفار والذين هلكوا قبل بعثة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خوف اهل عصره من الكفار بان اخبرهم بانه اهلك الكفار المتقدمين بسبب كفرهم فلما كان سبب

(لاى يوم اجلت) اى يقال لاى يوم اخرت و ضرب الاجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله و يجوز ان يكون ثاني مفعولى اقتت على انه بمعنى اعلمت (ليوم الفصل) بيان ليوم التأجيل (وما ادراك ما يوم الفصل) ومن اين تعلم كنهه ولم تر مثله (ويل يومئذ للمكذبين) اى بذلك وويل في الاصل مصدر منصوب باضمار فعل عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك للمدعو عليه و يومئذ ظرفه او صفته (الم نهلك الاولين) كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نهلك من هلكه بمعنى اهلكه

اهلاك الاولين حاصلا فيهم لزمهم ان يخافوا منه (قوله ثم نتبعهم) اختار قراءة الجمهور وهي القراءة برفع قوله نتبعهم على القطع عما قبله واستئناف الاخبار عما يفعله في المستقبل باضمار المبتدأ اي نحن نتبعهم ويعضده قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ثم سنتبعهم بزيادة سين التسويف وقراءة الرفع متعينة على ان يكون المراد بالآخرين الذين كذبوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لو قرئ بالجزم لكان المعنى حينئذ اهلكنا الاولين ثم اتبعناهم الآخرين في الاهلاك لكون الاتباع واقعا في حيز لم التي تقلب معنى المضارع الى الماضي وتعميه فيه والآخرون ليسوا من المهلكين وقت نزول السورة بمكة بل يجب ان يكون المراد بالآخرين على قراءة الجزم الذين تأخر هلاكهم عن اهلاك المتقدمين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم الصلاة والسلام ثم انه تعالى خوفهم بنوع ثالث فقال ألم نخلقكم من ماء مهين الآية وهو استفهام تقرير فمن اقر بقدرته تعالى على الابتداء لزمه ان يقر بقدرته على الاعادة ثم انه لما انكر الاعادة بافص نفسه مكابرة وعنادا فاستحق ان يقال له ويل يومئذ للمكذبين (قوله فقدرنا على ذلك اوفقدرناه) يعني ان قدرنا بتخفيف الدال يجوز ان يكون من القدرة ويعضده قوله فنعم القادرون اي قدرنا على خلقه وتصويره كيف شئنا واردنا من مثل تلك المادة الحقيرة فنعم القادرون حيث خلقناه في احسن الصور والهيئات ويجوز ان يكون من التقدير فان قدر المخفف لغة في قدر المشدد فان قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت قرئ بالتخفيف والتشديد مع انه بمعنى التقدير ويدل على كون ما في الاية من التقدير قراءة نافع والكسائي بالتشديد فيكون قوله فنعم القادرون ايضا بمعنى فنعم المقدرون والمراد تقدير خلقه وجوارحه وألوانه واشكاله ومدة حمله وحياته والقرار المكين الموضع المستقر الحصين وهو الرحم فان الماء الذي يخلق منه الولد لابد وان ينصب في الرحم ويتمكن فيه الى قدر معلوم اي مقدار من الوقت معلوم لله تعالى لا يعلمه غيره وذلك المقدار تسعة اشهر او اقل او اكثر وما لا يخلق منه الولد لا يستقر في الرحم ثم انه تعالى لما شرع في النوع الرابع من تخويفهم بان ذكر ما انعم به عليهم من نعم الآفاق فقال ألم نجعل الارض كفاتا الآية وقد ذكر قبل هذه الآية ما انعم به عليهم من نعم الانفس وهو ان اوجدهم من المادة الخسيسة بعد ما اثبتها في الزاوية الخسيسة الى وقت الولادة وصورهم باحسن الصور واحكم الخلقة وقدم ما ذكره من نعم الانفس على ما ذكره من نعم الآفاق لكون ما في الانفس اصلا بالنسبة الى ما في الآفاق فانه لولا الوجود وما تفرع عليه من القوى والآلات لما تيسر الانتفاع بشيء من النعم التي في الآفاق

(ثم نتبعهم الآخرين) اي ثم نحن نتبعهم نظراءهم ككفار مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون الآخرين المتأخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم الصلاة والسلام (كذلك) مثل ذلك الفعل (نفعل بالمجرمين) بكل من اجرم (ويل يومئذ للمكذبين) بآيات الله وانبيائه فليس تكرارا وكذا ان اطلق التكذيب او علق في الموضعين بواحد لان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا للاهلاك في الدنيا مع ان التكرير للتوكيد حسن شائع في كلام العرب (ألم نخلقكم من ماء مهين) نطفة مذرة ذليلة (فجعلناه في قرار مكين) هو الرحم (الى قدر معلوم) الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة (فقدرنا) على ذلك اوفقدرناه ويدل عليه قراءة نافع والكسائي بالتشديد (فنعم القادرون نحن (ويل يومئذ للمكذبين) بقدرتنا على ذلك او على الاعادة (ألم نجعل الارض كفاتا) كافتة اسم لما يكفت اي يضم ويجمع كالضمام والجماع لما يضم ويجمع (٢٠) او مصدر نعت به او جمع (ناسع) كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء اجرى على

حملهم على ان يقروا بانه الذى خصهم بهذه النعم التى كل واحده منها اعجب من البعث وأدل على كمال قدرته وبديع حكمته ليستدلوا به على الاعادة ويستعدوا لذلك اليوم فهذا هو وجه النحو يف بهذه الاية وقوله كفاتا مفعول ثان لقوله نجعل لان المعنى ألم نصيرها كافتة تضم الاحياء الى ظهرها والاموات الى بطنها ولهذا كانوا يسمون الارض اما للناس تشبيها لها بالام فى ضمها الناس الى نفسها احياء واموانا كالام التى تضم اولادها اليها وتضبطهم ولما كانوا ينضمون اليها جعلت كانها تضمهم الى نفسها وكما ان الارض كفات لهم بمعنى انهم ينضمون اليها ويسكنون فيها فهم ينضمون اليها ايضا من حيث انها تجمع لهم جميع ما يحتاجون اليه فى معاشهم من المأكل والمشرب والملبس والمركب والآنية الجامعة للمصالح الدافعة للمضار وغير ذلك وايضا انها تكفت ما ينفصل من الاحياء من الامور المستقذره ومعنى الكفت فى اللغة الضم والجمع يقال كفت الشئ يكفته كفتا اذا ضمه وجمعه وفى الحديث اكفتوا صبيانكم بالليل فان للشيطان خطفة ويقال جراب كفيت وكفت اذا كان لا يضيع شيئا مما يجعل فيه وذكر المصنف فى كفاتا اربعة اوجه الاول انه اسم لما يكفت كالضمام والجماع اسمان لما يضم ويجمع يقال هذا الكتاب جماع الابواب وضمام اصول الكتاب كما يقال للخيط الذى يشد به الشئ شداد والثانى انه مصدر كالكتاب والحساب وصفت الارض به للمبالغة نحو رجل عدل والثالث انه جمع كافت كصيام جمع صائم والرابع انه جمع اسم غير مشتق وهو كفت بمعنى الوعاء فيكون الكفات بمعنى الاوعية ويكون على الوجه الثالث بمعنى الاشياء الكافتة ولما ورد على الوجهين الاخيرين ان الارض شئ واحد فكيف يطلق عليها لفظ الجمع اجاب عنه بقوله اخرى اى لفظ الجمع عليها باعتبار اقطارها (قوله منصبان على المفعولية) فان كفاتا سواء جعل مصدرا ام وبا اوجمع اسم فاعل ينصب المفعول به والمعنى على التقدير ان لم نجعلها كافتة احياء واموانا (قوله وتنكيرهما للتفخيم) جواب عما يقال ان النكره للفرد المنتشر ويكون المعنى ان الارض تكفت بعض الاحياء والاموات وليس كذلك بل هى كفات لجميع الاحياء والاموات وتقرير الجواب ان التنكير فيهما للتفخيم لا للافراد ولا للنوعية حتى يرد ماذكر وتنكير اسم الجنس لقصد التفخيم لاينافى كونه عاما مستغرقا لجميع الافراد لانه فى معنى أنكفت احياء لايعدون واموانا لايحصرون واجاب ثانيا بانا لانسلم كون الارض كفاتا لجميع الاحياء والاموات بل هى كفات للبعض الذى هو احياء الانس واموانهم فان الاحياء والاموات مطلقا غير منحصره فى احياء الانس واموانهم لان بعض الحيوان تكفته الهواء والبعض

الارض باعتبار اقطارها (احياء واموانا) منصبان على المفعولية وتنكيرهما للتفخيم او لان احياء الانس واموانهم بعض الاحياء والاموات او الحالية من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الانس او نجعل على المفعولية وكفاتا حال

الآخر يكفته الماء فجاز ان يكون التنكير فيهما للافراد او النوعية (قوله او الحالية من مفعوله) اى ويجوز ان يكون انتصاب احياء وامواتا على انهما حالان من المفعول المحذوف اى الم نجعلها كافتة للانس والجن فى حال كونهم احياء وامواتا وعلى التقديرين فهما منصوبان بكفاتا على ان يكون مصدرا وصف به او جمع كافتة واما على تقدير كونه اسما لما يكفت او جمعا للكفت بمعنى الوعاء فلا يكون عاملا لما تقرر فى النحو ان الاسماء الجامدة وكذا اسماء الزمان والمكان والآلة مع كونها مشتقة لا تعمل وفى اسم المصدر خلاف واما المصدر واسم الفاعل مفردا كان او جمعا فهما من الاسماء العاملة انتهى (قوله او بجعل) اى ويحتمل ان يكونا منصوبين بجعل اما على انهما مفعولان له وكفاتا حال من الارض بمعنى كافتة واما على انهما حالان من الارض وكفاتا مفعوله وعلى التقديرين يكون المراد بحياة الارض كونها نامية وبموتها كونها مواتا لا تنبت (قوله جبالا ثوابت) على ان رواسى بمعنى ثوابت صفة لمحذوف هو الجبال فانها ثوابت على الارض لا تزول وشامخات صفة ثانية لذلك المحذوف والشامخ العالى المرتفع (قوله والتنكير) اى وتنكير رواسى شامخات للتفخيم اذ من جبالها مالم يعرف ولم يره انسان ما يرى على ظهر الارض من الجبال بعض منها فالتنكير فيها وكذا فى قوله ماء فراتا للبعض فان السماء فيها جبال ايضا لقوله تعالى من جبال فيها من برد وفى السماء ايضا ماء فرات بل هى معدنه ومصبه والفرات الماء العذب لما عدد الله تعالى انواع ما انعم به عليهم واستفهم عن انعامه عليهم بها واستفهام تقرير كأنه قال قد انعمنا بها عليهم ثم هدد بالويل على تكذيبهم وكفرانهم بها تعريضا بانهم قابلوا تلك النعم الموجبة للشكر بالكفر والعصيان وخوفهم بما لهم بسوء عاقبة صنيعهم هذا يوم الحساب والجزاء شرع فى تخويفهم والوعيد عليهم بان ما قال للكفرة المكذبين للبعث والجزاء يوم القيامة فقال انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون والظاهر ان القائل هم خزنة النار او زبانية جهنم (قوله خصوصا) يعنى ان المأمور به اولا هو انطلاقهم الى انواع عذاب الآخرة عموما والمأمور به ثانيا هو انطلاقهم الى نوع مخصوص منه واختلف فى انطلقوا الثانى هل هو على لفظ الامر او الماضى فقرأ الجمهور انطلقوا على لفظ الامر وعن يعقوب انه قرأ انطلقوا بفتح اللام على لفظ الماضى اخبارا عن انقيادهم للامر لاجل انهم مضطرون اليه لا يستطيعون الامتناع منه كأنه قيل كانوا يؤمرون فى الدنيا بالايمان والطاعة فلا يلتفتون اليه ويكذبون من امر به فلما امروا فى العقبى بالانطلاق الى ما كذبوا به سمعوا واطاعوا اضطرارا اذ لو اطاعوا فى الدنيا لكان خيرا لهم قيل هو بعيد

او الحالية فيكون المعنى بالاحياء ما انبت وبالاموات ما لا ينبت (وجعلنا فيها رواسى شامخات) جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم والاشعار بان فيها ما لم يعرف ولم ير (واسقيناكم ماء فراتا) بخلق الانهار والمنابع فيها (ويل يومئذ للمكذبين) بامثال هذه النعم (انطلقوا) اى يقال لهم انطلقوا (الى ما كنتم به تكذبون) من العذاب (انطلقوا) خصوصا وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار عن امتثالهم بالامر اضطرارا

لانه كان ينبغي ان يقال فانطلقوا ليرتبط الكلام بأوله على طريق قولك قلت له قم فقام ويمكن ان يقال تركت الفاء بناء على ان الكلام استئناف لبيان امتثالهم كرها بعد ما قيل لهم انطلقوا الامر (قوله كقوله وظل من يحموم) وهو الدخان الغليظ الاسود استشهد به المصنف على ان ظل المكذبين هو دخان نار جهنم (قوله يتشعب لعظمه) اشارة الى ان قوله تعالى ذي ثلاث شعب كناية عن كون ذلك الدخان عظيما بناء على ان التشعب من لوازم عظمته واستشهد قتادة على ذلك اي على ان المراد بظل المكذبين هو دخان نار جهنم بقوله تعالى احاط بهم سرادقها وقال سرادق النار هو الدخان شبهه بالسرادق وهو واحد السرادقات التي تمد فوق صحن الدار ثم قال ان شعبة من ذلك الدخان على يمينه وشعبة اخرى على يساره وشعبة اخرى فوقه قال المفسرون ان الشمس تقرب يوم القيامة من رؤس الخلائق وليس عليهم يومئذ لباس ولا اكنان فتلفحهم الشمس وتسفعهم ويأخذ كرب ذلك اليوم انفاسهم وعند ذلك اليوم ينجي الله تعالى برحمته من يشاء الى ظل ظليل من ظله فهنالك يقولون فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ويقال للمكذبين انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من عذاب الله تعالى وعقابه وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق يتشعب منه دخانها ثلاث شعب فيقال لهم كونوا فيه الى ان يفرغ من الحساب والمؤمنون في ظل العرش تحت شجرة طوبى ولما كان عظم دخان جهنم مستلزما للتشعب تشعب لا محالة وكون تلك الشعب ثلاثا لا ازيد منها ولا انقص فلعل الوجه فيه ان حجب النفس عن الاستنارة بانوار القدس ثلاثة الحس والخيال والوهم فان كل واحد منها سبب تعلق النفس بعالم الطبيعة الظلمانية فلكل واحد منها نوع من الظلمة يخصه فلا جرم تشعبت شعب العذاب على حسب تعددها فان جميع ما يصدر من الانسان من العقائد الفاسدة والاعمال الباطلة لا يصدر منه الا بواسطة القوة الواهمة والغضبية والشهوية فلذلك انشعب العذاب ثلاث شعب على عدد القوى المؤدية اليه (قوله وغير مغن) اي وغير مغن عنهم يعني ان قوله ولا يغني في موضع الجر بالعطف على قوله لا ظليل فانه مجرور على انه صفة لظل اي ظل غير ظليل وغير مغن وان مفعول يغني من اللهب محذوف وهو شيئا ومن في من اللهب لبيانه وان قوله ولا يغني من اللهب من قول العرب أغن عني وجهك اي ابعده لان الغنى عن الشيء يباعده كما ان المحتاج اليه يقاربه فصح ان يعبر باغناء شيء عن شيء عن ابعاده عنه فكان المعنى ان هذا الظل لا يظلكم من حر الشمس ولا يدفع عنكم لهب النار واللهب ما يعلو على النار اذا اضطرمت من احمرار واصفرار

(الى ظل) يعني ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم (ذي ثلاث شعب) يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يفترق ذوائب وخصوصية الثلاث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان المؤدي الى هذا العذاب هو القوة الواهمة الحالة في الدماغ والغضبية التي في يمين القلب والشهوية التي في يساره ولذلك قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره (لا ظليل) تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ الظل (ولا يغني من اللهب) وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا (انها ترمي بشرر كالقصر) اي كل شررة كالقصر في عظمها

القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج والهاء للشعب (كأنه جمالات) جمع جمال او جمالة جمع جمل (صفر) فان الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود فان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائي وحفص جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة وقد قرئ بها وهي الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه بها في امتداده والتفافه (ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون) اى بما يستحق فان النطق بما لا ينفع كلا نطق او بشئ من فرط الدهشة والحيرة وهذا في بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم اى هذا الذى ذكر واقع يومئذ (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفى الاذن

واحصرار ثم انه تعالى وصف النار التى كان هذا الظل دخانها بانها ترمى بشرر عظيمة شبيهة بشيئين الاول القصر والثانى الجمالات الصفر والمقصود بيان ان تلك النار عظيمة جدا وقوله كل شررة كالقصر اشارة الى ان شررا جمع شررة هى ما تطاير من النار فى الجهات متفرقا كالنجوم والقصر هو البناء العالى وصف به الجمع باعتبار كل واحد من آحاده (قوله ويؤيده) اى ويؤيد ان شررا جمع وان وصفه بكونه كالقصر باعتبار كل واحد من آحاده انه قرئ بشرار بفتح الشين والف بين الراءين وهو جمع شرارة كما ان الشرر جمع شررة (قوله وقيل هو جمع قصرة) بالفتحات كشجرة وشجر (قوله وهى) اى القصرة اصل العنق (قوله والهاء للشعب) اى ضمير انها فى قوله انها ترمى بشرر ضمير الشعب وقيل هى ضمير النار المدلول عليها باللهب (قوله جمع جمل) اى كل واحد من جمال وجمالة جمع جمل الاول مثل حبال فى جمع حبل والثانى مثل حجارة فى جمع حجر ثم يجمع جمال على جمالات كما يجمع رجال على رجالات وبيوت على بيوتات وكذا يجمع جمالة على جمالات فجمالات على التقديرين جمع الجمع قرأ حمزة والكسائى وحفص جمالة والباقون جمالات (قوله وقيل سود) يعنى قيل ان المشبه به هو الجمالات السود وعبر عنها بالصفر لكون سواد الابل يشوبه شئ من الصفرة فعلى هذا بناء على ان تسمية الاسود بالاصفر باعتبار ما يشوبه شئ قليل من الصفرة لا يخلو عن بعد (قوله والاول) اى قوله كالقصر تشبيه للشرر بالقصر فى عظمه وقوله كأنه جمالات تشبيه له بالجمالات فى لونه وكثرته وتتابع بعضه بعضا واختلاطه وسرعة حركته (قوله وقد قرئ بها) اى قرئ جمالة بضم الجيم كما قرئ جمالات بالضم وكلاهما من السواد (قوله بما يستحق) اى لان نطق به لكونه مما ينفع قائله اراد به دفع ما يتوهم من كون هذه الآية مخالفة للآيات الدالة على انهم ينطقون يوم القيامة كقوله تعالى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون وقوله تعالى حكاية عنهم والله ربنا ما كنا مشركين وقوله ولا يكتمون الله حديثا وذلك لانهم وان نطقوا وتخاصموا الا انهم لما لم ينتفعوا بنطقهم بل كان جميع ما نطقوا به حجة عليهم موجبا لخجلهم وافتضاحهم جعل نطقهم كلا نطق لانه لا ينفع ولا يسمع وهذا كما يقال لمن جاء بما لا ينتفع به ما جئت بشئ ثم اشار الى دفع المخالفة بوجه آخر حيث قال او بشئ وحاصله ان يوم القيامة يوم طويل ذو مواقيت ومواقف ينطقون فى بعضها ولا ينطقون فى بعض فقوله فى هذه الآية لا ينطقون بشئ اصلا حكاية لحالهم فى بعض تلك المواقف ولا ينافيه ان يختصموا وينطقوا

في موقف آخر من مواقفه والجمهور على رفع قوله يوم في قوله هذا يوم لا ينطقون على انه خبر هذا والاشارة الى اليوم وقرئ يوم بالنصب ونصبه عند البصريين على الظرفية والاشارة الى غير اليوم اى هذا الذى تقدم من الوعيد واقع يوم لا ينطقون لانه انما يبنى عندهم اذا اضيف الى مبنى نحو يومئذ والفعل هذا معرب وعند الكوفيين هو مبنى والفتحة فتحة بناء وهو خبر لهذا كما تقدم واجمع القرآء على رفع قوله فيعتذرون عطفا على يؤذن ولم ينصبوه على انه جواب النفى لانه لو كان جوابا لكان عدم اعتذارهم مسببا عن عدم الاذن لان المضارع انما ينتصب بعد الفاء في جواب النفى اذا كانت الفاء سببية وذلك يوهم ان لهم عذرا لكنهم منعوا من ذكره لعدم الاذن وليس كذلك فرفعوه عطفا على يؤذن وجعلوا الفاء لمجرد العطف من غير ملاحظة السببية لئلا يتوهم ذلك فكون النفى متوجها الى اذن يعقبه الاعتذار مطلقا اى مع قطع النظر عن كون عدم الاعتذار مسببا عن عدم الاذن فلا يوهم الرفع ما اوهمه النصب فانه ليس لهم عذر في الحقيقة ولكن ربما تخيلوا خيالا فاسدا ان لهم فيما ارتكبوه من القبائح عذرا فلا يؤذن لهم في ذكر العذر الباطل واى عذر لمن اعرض عن منعمه وكفر بآيات الله ونعمه ولم يتفكر فيما نصبه من الدلائل الهادية الى سبيل الرشاد وهذه الآية تخويف للكفار وتشديد للامر عليهم بوجه آخر وذلك لانه تعالى بين فيها انه ليس لهم عذر ولا حجة فيما اتوا به من القبائح ولا لهم قدرة على دفع العذاب عنهم فيجتمع عليهم في هذا الموقف انواع من العذاب منها العذاب الروحانى الذى هو عذاب الخجالة والافتضاح على رؤس الاشهاد وهو اشد من العذاب الجسمانى (قوله تقرير وبيان للفصل) اشاره الى فائدة قوله جمعناكم والاولين والخطاب فيه لمكذبى خاتم النبيين والمراد بالاولين مكذبوا من قبله من الانبياء المرسلين على نبينا وعليهم افضل الصلاة والسلام ووجه كونه تقريرا للفصل بين المحق والمبطل بالاثابة والعقاب ان الفصل يستلزم الجمع بينهم ليمكن الفصل بينهم فلما قيل جمعناكم والاولين كان ذلك تقريرا لما فهم من قوله هذا يوم الفصل (قوله تقريع) اى تخجيل لهم بانهم كانوا في الدنيا يدفعون الحقوق عن انفسهم بضروب الحيل والتلبيسات فقال فان كان لكم كيد فكيدون لزيادة التخجيل والتقريع وهذا من قبيل العذاب الروحانى ولاظهار عجزهم عن الكيد فمثل هذا الكلام لا يتكلم به الا من تيقن عجز مخاطبه عن الكيد بالكلية فكيف اذا (قوله لانهم في مقابلة المكذبين) يعنى ان المراد بالمتقين هم الذين اتصفوا بالمرتبة الاولى من مراتب التقوى وهو التوقى من العذاب المخلد بالتبرى من الشرك وذلك

لم يؤذن لهم فيه (ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل) بين المحق والمبطل (جمعناكم والاولين) تقرير وبيان للفصل (فان كان لكم كيد فكيدون) تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم (ويل يومئذ للمكذبين) اذ لا حيلة لهم في التخلص من العذاب (ان المتقين) من الشرك لانهم في مقابلة المكذبين (في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون) مستقرون في انواع الترفه

لان السورة من اولها الى آخرها نازلة فى تقريع الكفار على كفرهم وتخويفهم
من سوء عاقبته فيجب ان تكون هذه الآية ايضا نازلة لهذا المقصود
والا لتفككت آيات السورة فى نظمها وترتيبها وهذا المقصود انما يتم بان تكون
الآية مذكورة لوعد المؤمنين بسبب ايمانهم وتوقيهم عن الشرك ليكون هذا
نوعا آخر من تعذيبهم من حيث انه كان بينهم وبين المؤمنين كمال العداوة
والبغضاء فلما بين الله تعالى فى هذه السورة اجتماع انواع العذاب على الكافرين
بين فى هذه الآية اجتماع انواع السعادة والكرامة فى حق المتقين عن الشرك
لتضاعف حسرة الكفار واحزانهم فانهم اذا رأوا ذلك ازدادوا غما الى غمهم
وعذابا روحانيا الى ما هم فيه من العذاب الجسمانى والظلال جمع ظل وتنوينه
للتعظيم وهو فى مقابلة ما انطلق اليه الكفار من ظل ذى ثلاث شعب (قوله
اى مقولا لهم ذلك) اى يعنى ان الجملة الامرية وما فى حيزها فى موضع النصب
على انها مقول قول مضمر منصوب على انه حال من المنوى فى قوله فى ظلال
اى هم مستقرون فى ظلال مقولا لهم ذلك وكذا قوله كلوا وتمتعوا فى موضع
الحال من المنوى فى قوله للمكذبين اى الويل ثابت لهم فى حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا
(قوله تذكيرا لهم بحالهم فى الدنيا) جواب عما يقال كون قوله كلوا وتمتعوا حالا
من المنوى فى المكذبين يقتضى ان يقال لهم هذا القول فى الآخرة لان ثبوت الويل لهم
انما هو فى الآخرة فيكون هذا القول مقولا لهم فى الآخرة ايضا وهو بعيد لان الكفار
لا نصيب لهم فى نعيم الآخرة وتقرير الجواب ان هذا القول يقال لهم فى الآخرة
الا انه ليس المقصود منه اباحة الاكل والتمتع لهم فى الآخرة حقيقة بل انما يقال لهم
ذلك تذكيرا لهم ما هم عليه فى الدنيا من ايثار الفانى على الباقى وانهماكهم فى حب
اللذة البشرية والاعراض عن السعادة الابدية فيكون الامر امر توبيخ وتحسير
وتحزين ثم علل المأمور به وهو الاكل والتمتع اياما قلائل بقوله انكم مجرمون
للدلالة على ان كل مجرم ماله الا الاكل والتمتع اياما قلائل ثم الهلاك والعذاب
الابدى ويجوز ان يكون قوله كلوا واشربوا كلاما مستأنفا خطابا للمذكورين
فى الدنيا ثم خوفهم بان اخبر ان شأنهم العصيان وترك المأمور به وهو اما
الركوع بمعنى الانقياد والخضوع بالايمان والطاعة وترك الاستكبار والعناد
واما الركوع بمعنى الصلاة على طريق ذكر الجزء وارادة الكل (قوله
لا نجبى) التجبية ان يقوم الانسان قيام الراكع وفى حديث ابن مسعود فى ذكر
القيامة حين ينفخ فى الصور فيقومون فيجبون تجبية رجل واحد قياما لرب
العالمين وقيل التجبية تكون فى حالين احدهما ان يضع يديه على ركبتيه وهو قائم
والآخر ان ينكب على وجهه باركا وهو السجود كذا فى الصحاح (قوله فانها

(كلوا واشربوا هنيئا
بما كنتم تعملون) اى مقولا
لهم ذلك (انا كذلك
نجزى المحسنين) فى العقيدة
(ويل يومئذ للمكذبين)
يمحض لهم العذاب المخلد
ولخصومهم الثواب
المؤبد (كلوا وتمتعوا
قليلا انكم مجرمون)
حال من المكذبين اى الويل
ثابت لهم فى حال ما يقال
لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم
فى الدنيا وبما جنوا على
انفسهم من ايثار المتاع
القليل على النعيم المقيم
(ويل يومئذ للمكذبين)
حيث عرضوا انفسهم
للعذاب الدائم بالتمتع القليل
(واذا قيل لهم اركعوا)
اطيعوا واخضعوا
او صلوا او اركعوا
فى الصلاة اذ روى انه
نزل حين امر رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم
ثقيفا بالصلاة فقالوا
لا نجبى فانها

ستة وقيل هو يوم القيامة حين يدعون الى السجود لايستطيعون (لا يركعون) لا يمتثلون واستدل به على ان الامر للايجاب والكفار مخاطبون بالفروع (ويل يومئذ للمكذبين فبأى حديث بعده) بعد القرآن (يؤمنون) اذا لم يؤمنوا به وهو معجز فى ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعانى الشريفة ❋ قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والمرسلات كتب انه ليس من المشركين

(سورة النبأ مكية وآيها اربعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عم يتساءلون) اصله عن ما فحذف الالف لما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن ما يتساءلون عنه

ستة) اى ان هيئة التحية هيئة تظهر ويرتفع فيها السنة وهى الاست اى الدبر او انها زمان ظهور السنة وارتفاعها وفى التيسير فقالوا لانحنى اى لا نحنى للركوع والسجود فتعلوا أستاهنا فقال عليه الصلاة والسلام لاخير فى دين لايكون فيه ركوع ولا سجود (قوله وقيل هو يوم القيامة) فانه يقال لهم اركعوا يوم القيامة كشفا لحال الناس فى الدنيا فمن كان يسجد لله تعالى فى الدنيا ابتغاء لوجهه يمكن من السجود ومن كان يسجد رياء لغيره صار ظهره طبقا واحدا فلا يستطيع ان ينحنى فضلا عن ان يسجد فان يوم القيامة ليس زمان تكليف حتى يكون اركعوا امر تكليف وايجاب بل هو صيغة ايجاب قصد بها كشف حالهم (قوله واستدل به على ان الامر للايجاب) وجه الاستدلال انه تعالى ذمهم على مجرد ترك المأمور به فلو لم يكن تعلق الامر به سببا لوجوبه لما استحقوا الذم بتركه فدل ذلك على ان مجرد الامر للايجاب فان قيل انما ذمهم على كفرهم فالجواب انه تعالى قد ذمهم على كفرهم سابقا من وجوه كثيرة وانما ذمهم فى هذه الآية لتركهم المأمور به فقط فدل ذلك على ان ترك المأمور به لا يجوز (قوله وان الكفار مخاطبون بالفروع) وجه الاستدلال به عليه انه تعالى ذمهم على حال كفرهم بترك الصلاة فانه قد روى عن ابن عباس ان المراد بالركوع فى هذه الآية الصلاة وقد دل عليه سبب نزولها ايضا فدل ذلك على ان الكفار مخاطبون بفروع الايمان يعنى انهم كما يستحقون الذم والعقاب بترك الايمان فكذلك يستحقونه على ترك الصلاة ثم انه تعالى لما بالغ فى زجر الكفار ووعيدهم وخوفهم بانواع من التخويف ختم السورة بالتعجب من حالهم وبين انهم فى اقصى درجات التمرد والعناد حيث لم يؤمنوا بهذا القرآن مع اعجازه وحسن نظمه فقال فبأى حديث بعده يؤمنون وهو جواب شرط محذوف يعنى اذا لم يؤمنوا به فبأى كتاب يؤمنون وقرئ بالتاء على خطاب الكفار والله اعلم

(سورة النبأ العظيم)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله اصله عن ما) ادغمت النون فى الميم لقرب مخرجهما فان اجتماع الحرفين المتجانسين والمتقاربين فى الكلام يوجب ضربا من الثقل ويدفع بطريق من الطرق ومن جملة طرق دفعه الادغام لانه يورث ضربا من الخفة واحد المتقاربين لا يدغم فى الآخر الا بعد قلبه بالآخر تحصيلا للمماثلة الموجبة للادغام (قوله لما مر) اى من ان حروف الجر اذا دخلت على ما الاستفهامية تحذف

ألفها تخفيفا للفظ الكثير التداول وفرقا بين ما الاستفهامية والاسمية نحو لم وبم والى م وعم وعلى م ونحوها وقرئ عن ما باثبات الالف على الاصل كما في قول حسان

على ما قام يشتمني لئيم ※ كخنزير تمرغ في رماد ※

وطرح الالف اكثر استعمالا من اثباتها فان قلت الميم حرف شفوى ومخرج النون ما بين طرف اللسان وما فوق الثنايا العليا فلا تقارب بينهما في المخرج فسبب الادغام قلنا انهم الآن فهما غنة والغنة قد جعلتهما كالمتقاربين في المخرج والغنة حرف يخرج من الخيشوم ومرة تخرج من الفم وقيل الغنة صوت في الخيشوم والاغن الذي يتكلم من قبل خياشيمه (قوله كأنه لفخامته خفي جنسه فسأل عنه) يعني ان كلمة ما سواء كانت لشرح المفهوم او كشف الشئ المعلوم الموجود اداة للطلب والسؤال يطلب بها شرح المفهوم او كشف الحقيقة العينية والمطلوب لابد ان يكون مجهولا عند الطالب لئلا يلزم تحصيل الحاصل هذا اصل تلك الكلمة ثم انها قد تطلق على الشئ العظيم الشان المعجم القدر وان لم يكن مجهولا عند المتكلم على طريق الاستعارة تشبيها له بالمجهول المسؤل عنه من حيث انه لفخامته وعظم شأنه صار كأنه عجز العقل عن ان يحيط بكنهه فيسئل عنه كالاشياء التي جهلت مفهوماتها او حقائقها فطلبت بما ولاجل هذه المشابهة استعمل فيه كلمة ما ايضا مجازا حيث جردت عن معنى الاستفهام ولم تستعمل فيه ومنه قوله تعالى الحاقة ما الحاقة القارعة ما القارعة ما سجين ما العقبة ونحوها فان كلمة ما فيها لمجرد التعظيم (قوله او يسألون) يعني يجوز ان تكون صيغة التفاعل في الآية على اصلها من الدلالة على ان اصل الفعل بين اثنين فصاعدا بان يكون كل منهما فاعلا له من وجه ومفعولا من وجه كالتخاصم والتقاتل وان تكون بمعنى الفعل الثلاثي بان يكون المرفوع بها فاعلا ليس الامثل تداعوهم بمعنى دعوهم قال الامام التساؤل هو ان يسأل بعضهم بعضا كالتقاتل وقد يستعمل ايضا في ان يتحدثوا به وان لم يكن من بعضهم لبعض سؤال قال تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول أئنك لمن المصدقين فهذا على معنى التحدث فيكون معنى الكلام عم يتحدثون وهذا قول الفراء انتهى كلامه ولم يتعرض لكونه بمعنى يتساءلون (قوله او للناس) عطف على قوله لاهل مكة والظاهر ان المراد بالناس اهل ذلك العصر من الكفار والمؤمنين اما المؤمنون فيتساءلون ويسألون عنه ليزدادوا يقينا في ايمانهم بالبعث واما الكفار فعلى سبيل السخرية وايراد الشكوك والشبهات الا ان قول المصنف فيما بعد كلا سيعلمون ردع للتساؤل او وعيد عليه يستدعي ان يحمل

كأنه لفخامته خفي جنسه فسئل عنه والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم او يتساءلون الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم تداعونهم ويتراأونهم اي يدعونهم ويرونهم او للناس

الناس على ما يعم أهل مكة وغيرهم من الكفار فقط فإن قلت فلا تصح حينئذ قوله فيه مختلفون مع أن الكفار كانوا متفقين في إنكار الحشر قلت منهم من يقطع بعدم بعثه ويقول إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ومنهم من يشك فيه ويقول ما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى وجمهور النصارى بعد اختلافهم على الوجه المذكور يثبتون المعاد الروحاني والمشركين لا يثبتونه ويختلفون في المعاد الجسماني (قوله بيان لشأن المفخم) فتكون عن الأولى متعلقة بيتساءلون المذكورة والثانية متعلقة بمضمر يدل عليه هذا الظاهر والمعنى عن أي شيء يتساءلون على سبيل تفخيم المسؤول عنه وتعظيمه ثم بين ذلك المفخم فقال عن النبأ العظيم أي يتساءلون عن النبأ العظيم حذف متعلق الثاني لدلالة الأول عليه (قوله أو صلة يتساءلون) أي ويجوز أن تكون عن الثانية متعلقة بيتساءلون المذكور فحينئذ تكون عم متعلقة بيتساءلون المضمر الذي يفسره الظاهر وتم الكلام بقوله عم مع متعلقه المضمر ويكون ما بعده مفسرا له ويكون التعرض لفخامة شأن المسؤول عنه مقصودا بالعرض ويدل على هذا الوجه قراءة من قرأ عمه بهاء السكت فإن هذه القراءة تدل على أنه وقف على عمه وابتدأ يتساءلون عن النبأ فهو يقتضي أن يتم الكلام عند قوله عم بأن تكون كلمة عن متعلقة بمضمر يفسر بما بعده فيكون ما بعده كلاما مبتدأ وإنما وقف بهاء السكت لأن ألف ما الاستفهامية لما حذفت جعلت فتحة الميم دليلا على الألف المحذوفة فوقف عليها بالهاء حفظا لتلك الفتحة عن السقوط حال الوقف وهذه هي الفائدة المطردة في جميع ما يوقف عليه بهاء السكت (قوله بجزم النفي والشك فيه) متعلق بمختلفون وهذا على تقدير أن يكون ضمير يتساءلون لأهل مكة فإنهم كما مر ليسوا متفقين على إنكار الحشر بل منهم من نفاه جزما ومنهم من يشك فيه وقوله أو بالإقرار والإنكار على تقدير أن يكون الضمير للناس كافة فإنهم مختلفون فيه يقر به المسلمون وينكره الكافرون (قوله ردع ووعيد) يعني أن كلا ردع عن التساؤل هزؤا وسيعلمون وعيد للمتسائلين بأنهم سوف يعلمون عاقبة استهزائهم (قوله وثم للإشعار بأن الوعيد الثاني أشد) يعني أن لفظة ثم موضوعة للتراخي الزماني وقد تستعمل في التراخي الرتبي أي التباعد ما بين المعطوف والمعطوف عليه في الرتبة تشبيها لتباعد الرتبة بالتباعد زمانا والمعنى المجازي هو المراد ههنا لأن المقام مقام التهديد والتشديد وزيادة التهديد إنما تكون بالحمل على التراخي الرتبي ثم إنه تعالى لما هددهم على استهزائهم بأمر البعث والجزاء وبخهم بقلة الدين وسخافة العقل بأن ذكرهم بعض ما عاينوا مما يدل على كمال قدرته ووجود

(عن النبأ العظيم) بيان لشأن المفخم أو صلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر مفسر به ويدل عليه قراءة يعقوب عمه (الذي هم فيه مختلفون) بجزم النفي والشك فيه أو بالإقرار والإنكار (كلا سيعلمون) ردع عن التساؤل ووعيد عليه (ثم كلا سيعلمون) تكرير للمبالغة وثم للإشعار بأن الوعيد الثاني أشد وقيل الأول عند النزع والثاني في القيامة أو الأول للبعث والثاني للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء فيهما على تقدير قل لهم ستعلمون (ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا) تذكير ببعض ما عاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مر تقريره مرارا وقرئ مهدا أي أنها لهم كالمهد للصبي

علمه وحكمته كأنه قيل من بلغ علمه وحكمته وقدرته الى هذه المثابة كيف يصح ان يفعل فعلا عبثا وما ينكرونه من البعث والجزاء يستلزم كونه تعالى عابثا فى كل فعل (قوله مصدر سمى به مايمهد) اى يبسط يقال مهدت الفراش مهدا اذا بسطته ووطأته وسمى به مهد الصبى تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير والمراد الفراش وهو فى الاصل مصدر ماهدت بمعنى مهدت كسافرت بمعنى سفرت اطلق على الارض الممهدة اى الم نجعل الارض بساطا ممهودا تتقلبون عليها كما تتقلب الرجل على بساطه ومهادا مفعول ثان لجعل ان كان الجعل بمعنى التصيير وحال مقدرة ان كان بمعنى الخلق واوتادا ايضا كذلك وما ومعنى جعل الجبال اوتادا للارض ارساؤها بالجبال لتسكن ولا تميل باهلها كما يرسى البيت بالاوتاد فهو من باب التشبيه البليغ (قوله قطعا عن الاحساس والحركة) لما طعن بعض الملاحدة فى هذه الآية بان قالوا السبات هو النوم والمعنى وجعلنا نومكم نوما اجاب عنه بوجهين الاول ان السبت فى اللغة يجئ لمعان منها الراحة ومنها القطع يقال سبت شعره سبتا اى قطعه وحلقه ومنه سمى يوم السبت لانقطاع الايام عنده وسمى النوم سباتا لكونه مقطوعا عن الاحساس والحركة ولان النوم يقطع التعب والكلال فكان نعمة عظيمة لذلك حسن ذكره فى اثناء تعداد النعم الجليلة والثانى انا لانسلم ان السبات هو النوم بل هو الموت وفى الصحاح والمسبوت الميت والمغشى عليه فالمعنى وجعلنا النوم موتا واستدل على صحة هذا المعنى بقوله لانه احد التوفيين لقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها قال الامام وهذا القول عندى ضعيف لان الاشياء المذكورة فى هذه الآيات من جلائل النعم فلا يليق ذكر الموت فى اثنائها ولعل المصنف اشار الى دفعه بقوله لانه احد التوفيين فان الذى لا يليق ذكره فى هذا المقام هو التوفى بمعنى الموت حقيقة ولا يمكن ان يكون المراد بالآية على تقدير ان يفسر السبات بالموت مايفهم من ظاهرها بل هى من قبيل التشبيه البليغ وذلك لان الموت انما يكون بانقطاع الروح عن البدن والنوم يكون بانقطاع اثر الحواس الظاهرة واستراحة القوى الحيوانية مع بقاء الروح فى البدن فهما متباينان فكيف يكون احدهما هو الآخر فلابد من حملها على التشبيه البليغ والحال ان التشبيه بالموت نعمة جليلة يليق ذكرها فى مقام تعداد النعم وكذا الكلام فى قوله تعالى وجعلنا الليل لباسا فانه ايضا من قبيل التشبيه البليغ (قوله وقت معاش) يعنى ان قوله تعالى معاشا اسم زمان بمعنى وقت التعيش ولفظ معاش فى عبارة المصنف مصدر ميمى يقال عاش يعيش عيشا ومعاشا ومعيشة وعيشة والكل بمعنى ثم فسر وقت التعيش بوقت التقلب لتحصيل

مصدر سمى به مايمهد للنوم عليه (وخلقناكم ازواجا) ذكرا وانثى (وجعلنا نومكم سباتا) قطعا عن الاحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية وازاحة لكلالها او موتا لانه احد التوفيين ومنه المسبوت للميت واصله القطع ايضا (وجعلنا الليل لباسا) غطاء يستتر بظلمته من اراد الاختفاء (وجعلنا النهار معاشا) وقت معاش يتقلبون فيه لتحصيل ما يعيشون به

اوحياة يبعثون فيه عن نومكم (و بنينا فوقكم سبعاشدادا) سبع سموات اقوياء محكمات لايؤثر فيها مرور الدهور (وجعلنا سراجا وهاجا) متلألئا وقادا من وهجت النار اذا اضاءت او بالغا في الحرارة من الوهج وهو الحر والمراد الشمس (وانزلنا من المعصرات) السحائب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او من الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب او الرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت مبدأ للانزال لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه ويؤيده انه قرئ بالمعصرات (ماء ثجاجا) منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وقرئ ثجاحا ومثاجح الماء مصابه

مايعاش به فقولنا النهار وقت تعيش معناه وقت تحصيل اسباب التعيش وهذا التفسير مبني على ان تفسير السبات بالقطع عن الاحساس والحركة فتحصل المقابلة بين السبات والمعاش فانه لما فسر السبات بالقطع عن الحركة فسر المعاش بما يتضمن الحركة لتحصل المقابلة (قوله اوحياة يبعثون فيه عن نومكم) مبني على ان تفسير السبات بالموت رعاية للمطابقة بينهما وقصد المطابقة اعانتهم ان لو قيل وجعلنا نقظتكم حياة الا انه عبر عن اليقظة بالنهار لكونه سببا لزمانها (قوله السحائب) ان فسرت المعصرات بالسحائب تكون اسم فاعل من اعصرت السحائب اذا حان لها ان تعصرها الرياح فتمطر ولم تعصرها بعد وهمزه اعصر للحينونة كما في احصد الزرع اي حان له ان يحصد واعصرت الجارية اي حان لها ان تعصر الطبيعة رحمها فتحيض والا لكان ينبغي ان يقرأ المعصرات بفتح الصاد على انه اسم مفعول لان الرياح تعصرها وان فسرت المعصرات بالرياح يكون ايضا اسم فاعل من اعصرت الرياح اذا حان لها ان تعصر السحاب والهمزة للحينونة ايضا لا للتعدية لانه يتعدى بنفسه واما اذا كانت بمعنى الرياح ذوات الاعاصير فهمزة افعل حينئذ تكون للصيرورة فيكون اسم فاعل من اعصرت الريح اي صارت ذات اعصار وهي الريح التي تستدير في الارض ثم ترتفع الى السماء كالعمود وقيل هي ريح تثير سحابا فيه رعد وبرق (قوله وانما جعلت مبدأ للانزال) اي انزال الماء جواب عما يقال كيف جاز ان تفسر المعصرات بالرياح وهي ليست مبدأ لانزال الماء بل المبدأ لانزاله هو السحاب وتقرير الجواب ان الرياح وان لم تكن مبدأ قريبا لانزال الماء الا انها سبب لتكون مبدئه الذي هو السحاب لانه انما تكون وتنشأ وتنحلب اخلافه بالمطر بهبوب الرياح فصح ان تجعل مبدأ للانزال بهذا الاعتبار (قوله ويؤيده) اي يؤيد كون المعصرات بمعنى الرياح وان كونها مبدأ للانزال باعتبار كونها سببا لتكون مبدئه القريب قراءة من قرأ بالمعصرات بدل من المعصرات ووجه التأييد ان الباء للسببية والسببية في المبدأ الاول الذي هو الريح اظهر منها في المبدأ المادي وهو السحاب (قوله يقال ثجه وثج بنفسه) يعني ان ثج قد يكون لازما بمعنى انصب بنفسه وقد يكون متعديا بمعنى صبه غيره كما في الحديث فان معناه افضل اعمال الحج رفع الصوت بالتلبية وصب دم الهدي واختار المصنف كون ثجاجا في الآية مبالغة اسم الفاعل من ثج اللازم حيث قال في تفسيره منصبا بكثرة واختار الزجاج كونه من المتعدي حيث قال معناه صبابا كأنه يثج نفسه اي يصبها وايا ما كان فالمراد تتابع القطر حتى يكثر الماء ويعظم النفع به (قوله وقرئ ثجاحا) بالجيم ثم بالحاء قرأه الاعرج وتفهم من قوله ومثاجح

(الماء)

الماء مصابه ان محج متعد بمعنى صب لا بمعنى انصب ومصارعه يمج و يقال انمج الماء فى الوادى اى سال فقوله ثجاجا بالجاء مرادف الثجاج المأخوذ من المتعدى كاختياره الرجاج (قوله ما يقتات به) القوت بالضم ما تقوم بدن الانسان كالحنطة والشعير ونحوهما اى لنخرج به حبا ليكون قوتا للانسان كالحنطة والشعير ونحوهما ونباتا ليكون علفا للحيوان كالبقل والحشيش وجنات الفافا ليتفكه بها الانسان والجنات الحدائق الملتفة الاشجار وقدم الحب لانه هو الاصل فى الغذاء وثنى بالنبات لاحتياج سائر الحيوانات اليه واخرت الجنات فى الذكر لانعدام الحاجة الضرورية الى الفواكه (قوله جمع لف) اختلفوا فى الالفاف فذهب صاحب الكشاف الى انه لا واحد له كالاوزاع والاخياف فان الاوزاع الجماعات المتفرقة وكذا الاخياف للاخوة من آباء شتى وامهم واحدة وكثير من اهل اللغة اثبتوا له واحدا ثم اختلفوا فى واحده قال الاخفش والكسائى واحدها لف بالكسر كجذع واجذاع وقيل واحده لف بالضم وهو جمع لفاء كخمر فى جمع حمراء فيكون الفافا جمع الجمع كخضراء وخضر واخضار واستبعد صاحب الكشاف هذا الاحتمال بناء على ان الجموع التى جاءت على وزن فعل لا تجمع على افعال فلا يقال فى جمع حمر احمار ولا فى خضر اخضار فالقول بان الفافا جمع لف مخالف للقياس ووجه هذا الاستبعاد بطريق ان الجمع لا يجمع بالقياس الى نظائره من الجموع بل يكون له نظير فى المفردات فلفظ لف لما كان له نظير كقفل وشغل من حيث الوزن صح ان يجمع على الفاف ولا يضره عدم استعمال احمار واخضار ثم قال صاحب الكشاف ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها وقال صاحب الكشف وفيه انه لا نظير له ايضا لان تصغير الترخيم ثابت واما جمعه فلا انتهى يعنى ان القول بان الفافا جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لا نظير له ايضا وكأنه قاس بناء الجمع على تصغير الترخيم وهو ان يحذف الزوائد كلها من الاسم ثم تصغره على ما بقى نحو ان يقال حميد فى احمد ومحمد ومحمود ولا يبالى بالالتباس اعتمادا على دلالة القرينة و يقال سويد فى اسود وحريج فى محرج ومثل هذا التصغير يسمى تصغير الترخيم لما فيه من الحذف للتخفيف فشبهوه بالترخيم المصطلح ولم يسمع من النحاة ان تحذف زوائد الاسم ثم يجمع ما بقى منه (قوله كان فى علم الله تعالى او فى حكمه) لما كان الاصل فى كان الناقصة الدلالة على ثبوت خبرها لفاعلها فى الزمان الذى يدل عليه الفعل بصيغته ماضيا كان او حالا او استقبالا فان كان للماضى و يكون للحال او الاستقبال وكن للاستقبال ومعلوم ان ثبوت الميقاتية ليوم الفصل غير مقيد بالزمان الماضى لانه امر مقدر قبل حدوث الزمان ايضا ولما لم يصح ان يكون

(لنخرج به حبا ونباتا) ما يقتات به وما يعتلف من التبن والحشيش (وجنات الفافا) ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع قال جنة لف وعيش مغدق اوله هو كسرب اولف جمع لفاء كخضراء وخضر واخضار او ملتفة بحذف الزوائد (ان يوم الفصل كان) فى علم الله او فى حكمه (ميقاتا)

حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه ﴿ ١٦٦ ﴾ (يوم ينفخ في الصور) بدل او بيان

ليوم الفصل (فتأتون افواجا) جماعات من القبور الى المحشر روى انه عليه السلام سئل عنه فقال تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسون يسحبون على وجوههم وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات واهل السحت واكلة الربا والجائرين في الحكم والمعجبين باعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم فعلهم والمؤذين جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان والتابعين للشهوات المانعين حق الله والمتكبرين الخيلاء (وفتحت السماء) وشققت وقرأ الكوفيون بالتخفيف (فصدعت)

المعنى كان ميقاتا في زمان كذا فسره بقوله كان ميقاتا في علم الله تعالى او في حكمه ولعل المراد بالحكم القضاء الازلي والقدر الالهي فهو غير العلم عند الاشاعرة لانه عبارة عن الارادة الازلية المتعلقة بالاشياء على ماهي عليه فيما لا يزال (قوله حدا توقت به الدنيا) اي نهاية ينتهي عندها بقاء الدنيا ووقتا يبتدأ فيه احوال الآخرة وبوصف الحد بما ذكر اشارة الى ان الميقات اخص من الوقت حيث وجد بكونه حدا ينتهي عنده بقاء الدنيا او بكونه حدا ينتهي اليه الخلائق من الجن والانس كالميعاد والميلاد فان كل واحد منهما اخص من مطلق الوقت لتقيد الاول بكونه زمان الوعد والثاني بكونه زمان الولادة وقيل الميقات زمان مقيد بكونه وقت ظهور ما وعد الله من الثواب والعقاب او بكونه وقتا لاجتماع الخلائق في موقف الحساب للفصل ما يدل على صحة البعث وامكانه اتبعه بذكر ان يوم الفصل حد ينتهي عنده هذا النظام المحسوس (قوله او بيان ليوم الفصل) يحتمل ان يكون المراد به انه عطف بيان ليوم الفصل وانه منصوب بتقدير اعني وافواجا حال من فاعل تأتون وهذا النفخ هي النفخة الاخيرة التي عندها يكون الحشر والنفخ في الصور اما بمعنى نفخ الارواح في اجساد الاموات فيكون الصور جمع صورة نحو بسر في جمع بسرة واما بمعنى نفخ اسرافيل عليه الصلاة والسلام في القرن والصور حينئذ اسم مفرد بمعنى القرن الذي ينفخ فيه للبعث (قوله تحشر عشرة اصناف من امتي) فان قيل لم يذكر هيئة حشر المتقين من امته عليه الصلاة والسلام حتى يكون الاصناف المحشورون احد عشر صنفا قلت لعل الوجه فيه انه لا يخفى على احد ان المؤمنين يحشرون على الصور الحسنة ثم انهم وان كانوا اصنافا كثيرة على حسب اختلاف الاعمال الحسنة والاخلاق المرضية الا ان اهتمام السائل لا يتعلق ببيان تفاصيلهم بحسب صورتهم الحسنة وتفصيل ما ادى الى ان يحشروا عليها من الاعمال الصالحة والاخلاق المرضية بل مطمح نظره ونهاية قصده واهتمامه معرفة هيئاتهم القبيحة المنكرة ومعرفة ما كان سببا لان يحشروا عليها فلذلك فصل هيئات اهل المعاصي مع بيان الاسباب المؤدية اليها ولم يتعرض لهيئات الصالحين تفصيلا بل اكتفى بالاشارة الاجمالية بقوله من امتي عن التفصيلية (قوله منكوسون) النكس مقابل هيئة القيام على الرجل بان يجعل الرجل اعلى والرأس اسفل (قوله ثم فسرهم بالقتات) جمع قتات وهو النمام وهو تفسير للذين يحشرون على صورة القردة والثاني والثالث وهكذا على ترتيب اللف والنشر وبيان المناسبة بين معاصيهم وبين الصور التي يحشرون عليها يفضي الى تطويل الكلام فطلب بيانها من علم التفسير (قوله وشقت) اي

تصدعت بعد ان كانت شدادا لا فطور فيها ويكون قوله وفتحت السماء هو هنا بمعنى اذا السماء انشقت واذا السماء انفطرت بناء على ان الفتح والتشقيق والتفطير متقاربة المعنى (قوله فصارت من كثرة الشقوق كان الكل ابواب) لما لم يمكن حمل قوله تعالى فكانت ابوابا على ظاهره لان نفس السماء اذا كانت بكليتها ابوابا لم يبق فيها ما تعتمد تلك الابواب عليها حمله اولا على التشبيه البليغ للمبالغة في كثرة ابوابها فان تلك الابواب لما كثرت جدا صارت السماء كأنها ليست الا ابوابا مفتوحة كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا اي كثرنا العيون في الارض بحيث صارت كأنها بكليتها عيون تتفجر وثانيا حمله على حذف المضاف اي فكانت ذوات ابواب (قوله مثل سراب) ووجه الشبه ما اشار اليه بقوله اذ ترى على صورة الجبال فان من يرى السراب من بعيد يحسبه ماء فاذا جاء الموضع الذي رآه فيه لم يجده شيأ وكذلك الجبال تصير في عين الرائي كأنها جبال وليست كذلك في نفس الامر لتفرق اجزائها وانبثاث جواهرها وصيرورتها كالعهن المنفوش ثم تتقطع وتتبدد فتصير هباء منبثا مع استقرارها في مواضعها ثم تنسف وتقلع من مواضعها كما قال تعالى فقل ينسفها ربي نسفا ثم ترفعها الرياح عن وجه الارض فتطيرها في الهواء كأنها غبار كما قال وهي تمر مر السحاب واعلم ان الاحوال المذكورة الى ههنا هي احوال عامة القيامة ومن ههنا شرع في وصف احوال جهنم واهوالها فقال ان جهنم كانت مرصادا والمرصاد يحتمل ان يكون اسما للمكان الذي يرصد فيه الراصد العدو اي يرقبه كالمضمار فانه اسم للمكان الذي تضمر فيه الخيل ويطلق على المدة التي تضمر فيها الخيل ايضا وهي اربعون يوما والضمر الهزال وخفة اللحم وتضمير الفرس ان يعلفه حتى يسمن ثم يرده الى القوت وذلك يتم في اربعين يوما وفي الصحاح الراصد للشيء الراقب له تقول رصده يرصده رصدا ورصدا والترصد الترقب والرصد ايضا القوم الذين يرصدون كالحرس يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث والمرصاد الطريق انتهى ما فيه ويحتمل ان يكون المرصاد من ابنية المبالغة كالمعطار والمطعان والمعمار فالمعنى ان جهنم بالغ وتجد في رصد اعداء الله تعالى لئلا يشذ منها واحد والمصنف اشار الى هذا الاحتمال بقوله او مجدة في رصد الكفرة ويجوز ان يكون العبارة او مجدة بالجيم المهملة من احددت النظر اذا وجهت ونظرت بالجد والاحكام ويكون المرصاد بمعنى المبالغ في النظر الى الكفار لئلا يشذ منهم احد وقوله كانت معناه انها كانت في حكم الله تعالى مرصادا اي موضع رصد او مجدة فيه وقيل انها بمعنى صارت مرصدا (قوله على التعليل لقيام الساعة) المداول عليه

(فكانت ابوابا) فصارت من كثرة الشقوق كان الكل ابوابا وفصارت ذات ابواب (وسيرت الجبال) اي في الهواء كالهباء (فكانت سرابا) مثل سراب اذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على صورة حقيقتها لتفتت اجزائها وانبثاثها (ان جهنم كانت مرصادا) موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها في مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذي تضمر فيه الخيل او مجدة في رصد الكفرة لئلا يشذ منها واحد كالمطعان وقرئ ان بالفتح على التعليل لقيام الساعة (للطاغين مآبا) مرجعا ومأوى (لابثين فيها) حرة وروح لابثين وهو ابلغ (احقابا) دهورا متتابعة وليس فيه ما يدل على خروجهم منها اذ لو صح ان الحقب ثمانون سنة او سبعون الف سنة فليس فيه ما يقتضي تناهي تلك الاحقاب لجواز ان يكون المراد احقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه آخر

بقوله يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجا كأنه قيل ان يوم الفصل وقت تنتهي عنده الدنيا وتقوم الساعة فيه اووقت تنتهي اليه الخلائق لان جهنم مرصاد لتجزى كل نفس بما كسبت لان الترقب لايكون الا لاقامة الجزآء و قوله مرصادا خبر كانت ومآبا يجوز ان يكون خبرا بعد خبر و ان يكون بدلا من مرصادا اى انها كانت مرصادا لهم ومحدا لايتجاوزونه ثم ان كان مرصادا بمعنى محدا فى رصد الكفرة يكون قوله للطاغين متعلقا بمرصادا وان كان اسم مكان بمعنى كانت موضع رصد خزنة النار الكفار يجوز ان يكون للطاغين صفة لمرصادا وان يكون حالا من مآبا وكان فى الاصل صفة فلما قدم عليه انتصب حالا وعلى التقديرين يكون متعلقا بمحذوف وان كان بمعنى كانت موضع ترصد خزنة الجنة المؤمنين لتحرسهم من فيحها لايجوز ان يكون للطاغين صفة لمرصادا بل يكون حالا من مآبا ويكون قوله تعالى ان جهنم كانت مرصادا كلاما تاما تصح الوقف عليه ويكون قوله للطاغين مآبا كلاما مبتدأ ولعل المصنف اختار هذا الاحتمال حيث وصل قوله تعالى للطاغين بقوله مآبا ثم انه تعالى لما بين ان جهنم كانت مآبا للطاغين بين كيفية استقرارهم هنالك فقال لابثين فيها احقابا و هو حال من المقدر المنوى فى قوله للطاغين اى مقدرين اللبث فيها واحقابا ظرف زمان لقوله لابثين ومعموله والاحقاب جمع حقب بضمتين وهو الدهر ومنه قوله تعالى او امضى حقبا نقل الامام عن الفرآء انه قال اصل الحقب من الترادف والتتابع يقال احقب اذا اردف ومنه الحقيبة واحتقبه واستحقبه بمعنى اى احتمله ومنه قيل احتقب فلان الاثم كأنه جمعه واحتقبه من خلفه فلذلك فسر المصنف قوله احقابا بقوله دهورا متتابعة اى يتبع بعضها بعضا والحقب بالضم والسكون ثمانون سنة قال الحسن لم يجعل الله تعالى لاهل النار مدة بل قال احقابا فوالله ما هو الا انه اذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر كذلك الى الابد وقال المفسرون الحقب الواحد بضع وثمانون سنة السنة ثلاثمائة وستون يوما اليوم الف سنة من ايام الدنيا (قوله وان كان من الخ) اى وان كان فيه مايدل على خروجهم منها فذلك الخروج من قبيل المفهوم (قوله ولو جعل قوله تعالى لايذوقون فيها الخ) جواب ثان عما يرد على قوله تعالى لابثين فيها احقابا و هو دلالته على خروج الكفار منها وتقرير الجواب سلمنا ان احقابا المنكر يدل على التناهى وعدم التتابع الى مالا نهاية له لكن تناهى الاحقاب انما يستلزم تناهى اللبث المقيد بمضمون الحال وتناهى اللبث المقيد لايستلزم تناهى مطلق اللبث حتى يستلزم الخروج (قوله اونصب احقابا بلايذوقون) جواب

وان كان من قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل قوله تعالى (لايذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا) حالا من المستكن فى لابثين اونصب احقابا بلايذوقون احتمل ان يلبثوا فيها احقابا غير ذائقين الاحميما وغساقا ثم يبدلون جنسا آخر من العذاب

رابع تقريره ما ذكرتم من ان تناهي الاحقاب تدل على تناهي اللبث فيها
المستلزم لخروجهم منها موقوف على قول من يرى تقدم معمول ما بعد
كلا لا على ما قبلها فحينئذ لا يكون فيه دلالة على تناهي اللبث والخروج حيث لم يكن
احقابا ظرف اللبث (قوله ويجوز ان يكون جمع حقب) اى بكسر الفاء
وهو جواب خامس عنه تقريره ان ما ذكرتم مبنى على ان يكون احقابا ظرفا
للابثين وليس بلازم لجواز ان لا يكون ظرفا اصلا بل يكون حالا من الضمير
المستكن فى لابثين بمعنى حقبين اى مجدبين يقال حقب عامنا اذا قل مطره وخيره
وحقب فلان اذا اخطأه الرزق فهو حقب فعلى هذا يكون قوله لا يذوقون
فيها بردا ولا شرابا تفسيرا لكونهم حقبين ولا تتوهم حينئذ تناهي مدة لبثهم فيها
حتى يحتاج الى التوجيه (قوله والمراد بالبرد ما يروحهم) كانه اشار
الى جواب ما يقال انهم يذوقون فيها برد الزمهرير فكيف قيل انهم
لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا وتقرير الجواب ان بردا وان كان نكرة واقعة
فى سياق النفى المقتضى العموم فى كل برد الا انه خص بالبرد النافع المروح
له بالمخصص وقوله ولا شرابا اى ولا ماء باردا مخصص بعد التعميم
لكمال الماء البارد فى الترويح وقوله الا حميما وغساقا استثناء منقطع لان
الحميم والغساق ليسا من جنس الشراب المروح فى تسكين العطش فى شئ
والحميم الماء الحار الذى انتهى حره والغساق صديد اهل النار (قوله
او النوم) سمى النوم بردا لانه يبرد صاحبه الا ترى ان العطشان اذا نام سكن
عطشه ومن امثال العرب منع البرد البرد اى اصابنى من البرد ما منعنى من النوم
(قوله اى جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق) على ان جزاء مصدر مؤكد لفعله
المحذوف وقوله وفاقا صفة لجزاء بتقدير المضاف اى جزاء ذا وفاق او بان
يوصف الجزاء بنفس الوفاق للمبالغة فى وفاقه لاعمالهم (قوله او وافقها
وفاقا) على ان يكون وفاقا مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف كجزاء فتكون الجملة
صفة جزاء والتقدير جوزوا بذلك جزاء وافق اعمالهم وفاقا ووجه الموافقة
بينهما انهم اتوا بمعصية عظيمة وهى الكفر فعوقبوا عقابا عظيما وهو التعذيب
بالنار ابدا (قوله بيان لما وافقه هذا الجزاء) اى بيان للاعمال القبيحة الناشئة
عن فساد القوة العملية فان من لا يخاف البعث والحساب يرخى عنان هواه ولا
يمتنع عن ارتكاب المنكرات ولا يرغب فى التحلى بالطاعات ولما كان الحساب
من اشق الامور واصعبها على الانسان وكان الشئ الصعب الشاق لا يقال
فيه انه يرجى بل يقال انه يخشى ويخاف قال كثير من المفسرين ان قوله تعالى
انهم كانوا لا يرجون حسابا معناه لا يخافون كذا وقوله تعالى ما لكم لا ترجون

ويجوز ان يكون جمع
حقب من حقب الرجل
اذا اخطأه الرزق وحقب
العام اذا قل مطره وخيره
فيكون حالا بمعنى لابثين
فيها حقبين وقوله
لا يذوقون تفسيره والمراد
بالبرد ما يروحهم وينفس
عنهم حر النار او النوم
وبالغساق ما يغسق اى
يسيل من صديدهم وقيل
الزمهرير وهو مستثنى
من البرد الا انه اخر
ليوافق رؤوس الآى
وقرأ حمزة والكسائى
وحفص بالتشديد (جزاء
وفاقا) اى جوزوا بذلك
جزاء ذا وفاق لاعمالهم
او موافقا لها او وافقها
وفاقا وقرئ وفاقا فعال
من وفقه كذا (انهم كانوا
لا يرجون حسابا) بيان لما
وافقه هذا الجزاء (وكذبوا
بآياتنا كذابا) تكذيبا
وفعال بمعنى تفعيل

مطرد شائع في كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب كقوله * فصدقتها وكذبتها * والمرء ينفعه كذابه * وانما اقيم مقام الكذب للدلالة على انهم كذبوا في تكذيبهم او المكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهما مكاذبة او كانوا مبالغين في الكذب مبالغة المغالبين فيه وعلى المعنيين يجوز ان يكون حالا بمعنى كاذبين او مكاذبين ويؤيده انه قرئ كذابا وهو جمع كاذب ويجوز ان يكون للمبالغة فيكون صفة للمصدر اي تكذيبا مفرطا كذبه

لله وقارا معناه ما لكم لا تخافون عظمة الله تعالى ثم بين فساد قوتيهم النظرية فقال وكذبوا بآياتنا كذابا ولا شك ان من فسدت كل واحدة من قوتيه النظرية والعملية وتباعد عن كل واحد من الاعتقاد الصحيح والعمل الصالح كان في غاية الرداءة ونهاية الفساد فاستحق ان يعاقب باهوال العقاب جزاء وفاقا فان مدة عمره وان كانت متناهية الا ان قبح حاله لما كان غير متناه كان تعذيبه بالنار ابدا موافقا لحاله في عدم التناهي فان ما جوزي به من العذاب وان كان متناهيا من حيث انه تعالى قادر على ما فوقه من مراتب العذاب الا انه غير متناه بحسب المدة لانه مؤبد فكل واحد منهما موافق للآخر في مطلق عدم التناهي (قوله مطرد شائع) مثل كلم كلاما وفسر فسارا قال صاحب الكشاف وكنت افسر به فقال بعضهم لقد فسرتها فسارا اما سمع مثله (قوله قال فصدقتها وكذبتها * والمرء ينفعه كذابه) استدل به على ان الكذاب مصدر كذب الثلاثي وان معناه الكذب ووجه الاستدلال ان كذابه فيه وقع بعد الفعل الثلاثي فدل ذلك على انه مصدر لذلك الثلاثي (قوله او المكاذبة) عطف على الكذب في قوله وهو بمعنى الكذب ثم ذكر لكونه بمعنى المكاذبة وجهين الاول ان يكون بناء المفاعلة للمشاركة كما هي الاصل فيه والثاني ان يكون للمبالغة تنبيها على كونهم مبالغين في الكذب مبالغة المغالبين فيه فيكون كذابا مصدر كاذب بمعنى بالغ في الكذب فانه قد يخرج الفعل الواقع من واحد على زنة المفاعلة تنبيها على قوة الفعل وكماله ووجه التنبيه ان الفعل الصادر عن اثنين على طريق مغالبة كل واحد منهما الآخر لا بد ان يكون اتم واقوى مما يصدر عن واحد لا مغالب له فاذا خرج الفعل الصادر ممن لا مغالب له على زنة المفاعلة كان تنبيها على تشبيه ذلك الفعل بما صدر عن المغالبين في القوة والكمال (قوله وعلى المعنيين) وهما كونه بمعنى الكذب والمكاذبة يجوز ان يكون كذابا المخفف حالا من فاعل كذبوا على طريق استعمال المصدر في معنى اسم الفاعل ويؤيده قراءة من قرأ كذابا بضم الكاف وتشديد الذال فانه جمع كاذب كنصار جمع ناصر منصوب على الحال والجملة معطوفة على قوله وانما اقيم مقام الكذب يعني ان كذابا المخفف يجوز ان يكون منصوبا على انه مفعول مطلق لكذبوا المشدد لتضمنه معنى الكذب بناء على ان كل من كذب الحق فهو كاذب ويجوز ان يكون منصوبا على الحالية (قوله ويجوز ان يكون للمبالغة) عطف على قوله جمع كاذب اي ويجوز ان يكون كذابا بالضم والتشديد صيغة مبالغة بمعنى الواحد البالغ في الكذب نحو رجل كبار وشاب حسان وذلك الواحد البالغ في الكذب هو مصدر كذبوا والمعنى وكذبوا بآياتنا كذابا اي

تكذيبا مفعول مطلق لكذبوا (قوله وقرئ بالرفع على الابتداء) وقراءة الجمهور
بالنصب على انه من باب ما اضمر عامله على شريطة التفسير وهو الاولى في هذا
المقام بتقديره جملة فعلية قال ابن الحاجب ويختار النصب للعطف على جملة
فعلية للتناسب نحو جاءني زيد وعمرا اكرمته ثم انه تعالى لما بين ان ما يوجب
الجزاء المذكور وهو فسادهم بحسب قوتهم العملية والنظرية بين ان تفاصيل
احوالهم الفاسدة عملا واعتقادا معلومة له فقال وكل شيء احصيناه كتابا وهذه
الجملة معترضة بين السبب والمسبب فان قوله فذوقوا مسبب عن تكذيبهم والاصل
وكذبوا باياتنا كذابا فذوقوا وفائدة الاعتراض تقرير ما ادعاه من قوله جزاء
وفاقا كأنه قال انا عالم بجميع ما فعلوه على وجه جزئي فاجازيهم جزاء وفاقا
لاعمالهم وما انا بظلام للعبيد (قوله وفي الحديث هذه الآية اشد ما في القرآن
على اهل النار) لانها تدل على انهم كلما استغاثوا من نوع من العذاب اغيثوا
باشد منه فيكون كل مرتبة منه متناهية في الشدة وان كانت مراتبه غير متناهية
بحسب العدد والمدة كما اشرنا اليه سابقا ثم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار
اتبعه ذكر ما وعد للابرار فقال ان للمتقين مفازا وهو يحتمل ان يكون مصدرا
ميميا بمعنى الفوز عما يتقى ويطلب فيكون حدائق بدل اشتمال منه وان يكون
اسما لمكان الفوز وهو الجنة فيكون حدائق بدل البعض والحدائق جمع حديقة
وهي كل بستان محوط عليه من قولهم احدق قوله اي احاطوا به وتنكير اعنابا
لتعظيم حالها (قوله فلكت ثديهن) اي استدارت فصارت كالكعب
في النتوء يقال فلك ثدي الجارية تفليكا اي استدار كفلكة المغزل (قوله
لدات) اي مستويات في السن واحدتها ترب وواحده لدات لدة والهاء فيها
عوض عن الواو الذاهبة من اوله لانها من الولادة (قوله ملأى) دهاقا
مصدر على وزن فعال بمعنى مدهق اي مملئ وصف به الكأس للمبالغة
في امتلائها (قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا) اللغو هو
ما يصدر من الكلام في اثناء الشرب بخلاف اهل الجنة فانهم اذا شربوا
لا تتغير عقولهم فلا يتكلمون بلغو من نحو الهذيان والصياح والعربدة ولا يكذب
بعضهم بعضا فان كذابا بالتشديد بمعنى التكذيب فلا تسمع فيها شيء من ذلك
(قوله بمقتضى وعده) جواب عما يقال انه تعالى جعل ما وعده للمتقين جزاء
وعطاء وهو كالجمع بين المتنافيين لان كونه جزاء يستدعي ثبوت الاستحقاق
وكونه عطاء يستدعي عدم ثبوته وتقرير الجواب ان ذلك تفضل وعطاء
في نفس الامر وجزاء مبني على الاستحقاق من حيث انه تعالى وعد به لاهل
الطاعة وقوله عطاء بدل الكل من الكل من قوله جزاء لاتحادهما بالذات

(وكل شيء احصيناه)
وقرئ بالرفع على الابتداء
(كتابا) مصدر لاحصيناه
فان الاحصاء والكتبة
تتشاركان في معنى الضبط
او لفعله المقدر او حال
بمعنى مكتوبا في اللوح
او في صحف الحفظة
والجملة اعتراض وقوله
(فذوقوا فلن نزيدكم
الا عذابا) مسبب عن
كفرهم بالحساب وتكذيبهم
بالآيات ومجيئه على طريقة
الالتفات للمبالغة وفي الحديث
هذه الآية اشد ما في القرآن
على اهل النار (ان للمتقين
مفازا) فوزا او موضع
فوز (حدائق واعنابا)
بساتين فيها انواع الاشجار
المثمرة بدل من مفازا بدل
الاشتمال او البعض
(وكواعب) نساء فلكت
ثديهن (اترابا) لدات
(وكأسا دهاقا) ملأى
وادهق الحوض ملأه
(لا يسمعون فيها لغوا
ولا كذابا) وقرأ الكسائي
بالتخفيف اي كذبا او مكاذبة
اذ لا يكذب بعضهم بعضا
(جزاء من ربك) بمقتضى
وعده (عطاء) تفضلا منه
اذ لا يجب عليه شيء وهو
بدل من جزاء وقيل منتصب به نصب المفعول به

واحلافهما بحسب المفهوم وفي ابداله منه نكتة لطيفة وهي الدلالة على ان بيان كونه عطاء وتفضلا منه تعالى هو المقصود وبيان كونه جزاء وسيلة اليه وقيل انتصاب عطاء على انه مفعول به لجزاء بمعنى جزاهم عطاء على ان العطاء بمعنى المعطى فلا يلزم عليه انتصاب جزاء على انه مصدر مؤكد لفعله المحذوف كما صرح به المصنف في مثله والمصدر انما يعمل اذا كان بمعنى ان مع الفعل والمفعول المطلق لا يكون كذلك لان الفعل لا يؤكد بان مع الفعل وانما يؤكد بالمصدر الصريح صرح به سيبويه في كتابه حيث قال واعمل عمل فعله ماضيا كان او غيره اذا لم يكن مفعولا مطلقا واجيب عنه بانه لا يلزم من عدم جواز تأكيد الفعل بان مع الفعل لفظا عدم كون المفعول المطلق بمعنى ان مع الفعل فاذا جاز ان يكون المفعول المطلق بمعنى ان مع الفعل جاز ان يكون عاملا وفيه ان هذا الجواب يدفعه قول سيبويه وتعمل عمل فعله اذا لم يكن مفعولا مطلقا (قوله كافيا) يعني ان قوله تعالى حسابا صفة لقوله عطاء على انه مصدر اقيم مقام محسبا بمعنى كافيا من قولهم اعطاني مااحسبني اي ما كفاني واحسبت فلانا اذا اعطيته ما يكفيه حتى قال حسبي ومنه قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام حسبي من سؤالي علمه بحالي اي كفاني من سؤالي (قوله او على حسب اعمالهم) فيكون ايضا صفة لعطاء اي عطاء كائنا بحسب اعمالهم ومقدارها فحذف الجار ونصب الاسم فحسابا على هذا مصدر حسبته بمعنى عددته وقدرته وفي الصحاح حسبه يحسبه بالضم حسبا وحسابا اذا عده وقدره والظاهر ان يقال على حسب ماوعد للعاملين من اصل الثواب واضعافه في مقابلة اعمالهم فان الجزاء وقع في القرآن على ثلاثة اوجه الاول من جاء بالحسنة فله عشر امثالها والثاني مادل عليه آية السنبلة وهو سبعمائة ضعف والثالث مايدل عليه قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقول المصنف او على حسب اعمالهم يفهم منه كون الجزاء مثل العمل وذلك انما يكون في السيئة لا في الحسنة والكلام في جزاء المتقين وجزاؤهم لا يكون مماثلا لاعمالهم البتة فلا بد ان يكون مراده قوله على حسب اعمالهم كون الاضعاف الموعودة التي هي المراد بالعطاء على حسب اعمالهم بان يجازى كل عمل بما وعد له من الاضعاف (قوله وقرئ حسابا) بفتح الحاء وتشديد السين على انه صيغة مبالغة من احسبه كذا اي كفاه وقياس فعال ان يبنى من الثلاثي كضرار وعلام وان يكون مبالغة فاعل وحساب هنا فعال بني من افعل في مبالغة مفعل كما يقال اجبره فهو جبار اي مجبر وادرك فهو دراك اي مدرك ثم انه تعالى لما بالغ في وصف وعيد الكفار ووعد المتقين

(حساب) كافيا من احسبه الشئ اذا كفاه حتى قال حسبي او على حسب اعمالهم وقرئ حسابا اي محسبا كالدراك بمعنى المدرك

ختم الكلام بوصف نفسه بسعة الملك وكمال القدرة والسلطنة ونهاية الفضل والرحمة فقال رب السموات والارض وما بينها (قوله بدل من ربك) اختار قراءة من قرأ بجر لفظي الرب والرحمن على ان الاول بدل من ربك والثاني صفة للاول او لمتبوعه وهذه القراءة قراءة ابن عامر وعاصم ثم ذكر ان اباعمرو وابن كثير المكي ونافعا المدني قرأوا برفع الاول وان اباعمرو برفع الثاني ايضا ثم ذكر ان حمزة والكسائي قرءا بجر الاول ورفع الثاني ولم اعلم مراد المصنف ماهو لاختلاف النسخ في بيان اعراب هذه الآية وقد ذكر شهاب الدين في معربه قرأ نافع وابن كثير وابوعمرو برفع رب السموات والرحمن وابن عامر وعاصم بخفضهما والاخوان بخفض الاول ورفع الثاني ويوافقه ما في التيسير للامام النسفي وهو قوله قرأ عاصم وابن عامر رب بالخفض والرحمن كذلك وصفا لقوله جزاء من ربك والباقون كلاهما بالرفع على معنى هو رب السموات والارض وما بينهما الرحمن وقرأ حمزة والكسائي رب بالخفض نعتا للاول والرحمن رفعا لانقطاعه عن الاول ووقع على تقدير هو الرحمن وقال الامام الرازي رب السموات والرحمن فيهما ثلاثة اوجه احدها الرفع فيهما وهي قراءة ابن كثير ونافع وابي عمرو والجر فيهما وهي قراءة عاصم وابن عامر والجر في الاول مع الرفع في الثاني وهو قراءة حمزة والكسائي وكذا في شرح الشاطبية (قوله اى لايملكون خطابه والاعتراض عليه) اى لايملكون من جهته تعالى ان يخاطبوه على سبيل الاعتراض عليه فيما حكم به بين العباد من اثابة بعض وعقاب آخرين على ان يكون خطابا للتنويع ولايلزم من عدم تمليكه تعالى اياهم ان يخاطبوه على سبيل الاعتراض ان لايأذن لهم في الشفاعة والاعتراض على الحاكم عبارة عن ان يتكلم فضولي في اثناء حكمه على قصد تغيير ما حكم به والمتكلم بالاذن ليس فضوليا قاصدا لتغيير الحكم (قوله فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق) اشارة الى ان هذه الآية فيها دلالة على ان الملائكة افضل من البشر وذلك لان المقصود منها ان الملائكة والروح مع انهم افضل المخلوقات لما لم يقدروا ان يتكلموا في موقف القيامة اجلالا لربهم وخوفا منه وخضوعا له فكيف يكون حال غيرهم اى عدم قدرة غيرهم عليه اولى ومعلوم ان هذا المقصود يستدعي كونهم افضل الخلائق (قوله تعالى الامن اذن) يجوز ان يكون في موضع الرفع على البدلية من واو لايتكلمون وهو المختار لكونه غير موجب والمستثنى منه مذكور وفي مثله يختار البدل وان

الا بتداء (الرحمن) بالجر صفة له في قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب وبالرفع في قراءة ابي عمرو وفي قراءة حمزة والكسائي بجر الاول ورفع الثاني على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره (لايملكون منه خطابا) والواو لاهل السموات والارض اى لايملكون خطابه والاعتراض عليه في ثواب او عقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا وذلك لاينافي الشفاعة باذنه (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا) تقرير وتوكيد لقوله لايملكون فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق واقربهم من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف للايملكون اولايتكلمون والروح ملك موكل على الارواح او جنسها او جبرائيل او خلق اعظم من الملائكة (ذلك اليوم الحق) الكائن

المرء ما قدمت يداه) يرى ما قدمه من خير اوشر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم ويكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة منصوبة بينظر او استفهامية منصوبة بقدمت اى ينظر اى شيء قدمت يداه (و يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا) فى الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او فى هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود الكافر حالها ❊ عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيامة

(سورة والنازعات مكية وآيها خمس اوست واربعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا) هذه صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح الكفار من ابدانهم غرقا

يكون منصوبا على اصل الاستثناء والمعنى لا يشفعون الا من اذن له الرحمن فى الشفاعة وقال ذلك الشفيع المأذون له فى الشفاعة صوابا بان يشفع لمن ارتضى او بان كان من اهل الايمان والاقرار بالشهادتين فان المؤمنين لهم الشفاعة كما للانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل المعنى لا يتكلمون بالشفاعة لاحد الا لمن اذن له اى الا فى حق شخص اذن له الرحمن فى شفاعته وكان ذلك الشخص ممن قال صوابا اى حقا بان يقر بالتوحيد والرسالة وبحقية جميع ماجاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنه يشفعون لمن قال لا اله الا الله فعلى هذا يكون من اذن له الرحمن فى موضع الجر باضمار حرف الجر اى الا لمن اذن له وضمير قال راجع الى من الذى اريد به المشفوع له وذلك فى قوله تعالى ذلك اليوم الحق مبتدأ واليوم الحق خبره والاشارة الى اليوم الذى تقدم ذكره لما قرر الله تعالى عظمة يوم القيامة قال ان ذلك اليوم يوم ثابت وكائن لا محالة والخطاب فى قوله تعالى انا انذرناكم عذابا قريبا لمشركى العرب وكفار قريش لانهم كانوا ينكرون البعث ويوم ظرف لمحذوف اى انذرناكم عذابا كائنا يوم ينظر المرء عمله الذى قدمه والمرء عام لكل احد مؤمنا كان او كافرا لان كل احد يرى عمله فى ذلك اليوم مثبتا فى صحيفته خيرا كان اوشرا ❊ تمت سورة النبأ والله سبحانه وتعالى اعلم

(سورة والنازعات)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله صفات ملائكة الموت) توصيف الملائكة بالنازعات مثلا يستدعى ان يصح توصيف الملك بالنازعة وليس كذلك لان الملك لا يوصف بالمذكورة ولا بالانوثة وانما يصح توصيف الملائكة بنحو النازعات والناشطات باعتبار كونهم طائفة وكل طائفة منهم نازعة وناشطة اقسم الله تعالى بطوائف الملائكة فان اعوان ملك الموت طوائف مختلفة وجماعات متكثرة وصف الله تعالى تلك الجماعات بخمس صفات لان الواو الاولى للقسم ومابعدها للعطف فالصفات المذكورة لموصوف واحد هو طوائف الملائكة الموكلين بقبض الارواح والعطف لتغاير الصفات والنزع جذب الشيء بشدة والنشط جذبه واخراجه برفق ولين والاغراق فى النزع التوغل فيه والبلوغ الى اقصى درجاته يقال اغرق النازع فى القوس اذا بلغ غاية المدحتى انتهى الى النصل والغرق اسم مصدر للاغراق كالسلام للتسليم فلذلك فسره المصنف بقوله اى اغراقا فى النزع وهو منصوب على انه مفعول مطلق للنازعات من غير لفظها

لاتفاقهما من حيث المعنى فان النزع نوع من الغرق والمصنف خص طائفة النازعات بالتي تنزع ارواح الكفار بالقهر لشدة تعلقها بالابدان وذلك انه ليس من كافر يحضره الموت الاعرضت عليه جهنم فيراها قبل ان يخرج روحه ويرى فيها اقواما مرة ينهشون ومرة يرتعون فعند ذلك يغرق روحه في جسده فينزعه الملك الموكل بقبض روحه بعنف وشدة من اقاصى بدنه حتى من انامله واظفاره فقوله غرقا على هذا مفعول مطلق للنازعات كما اشار اليه بقوله او نفوسا غرقة في الاجساد فانه معطوف على قوله ارواح الكفار والمراد بالنفوس الغرقة نفوس الكفار ايضا بقرينة النزع والنشط ولان نفوس المؤمنين ليست غرقة في اجسادهم بل اجسادهم محض سجن لارواحهم وخص طائفة الناشطات بالتي تنزع ارواح المؤمنين فان تلك الطائفة تخرج ارواح المؤمنين برفق ولين لكون ارواحهم راغبة في الطيران الى عالم القدس وذلك انه ما من مؤمن يحضره الموت الا ويرى منزله في الجنة ويرى فيها اقواما من اهل معرفته وهم يدعونه الى انفسهم فعند ذلك ترغب روحه في الخروج من طلبه البدن وينشطه فيخرج الملك روحه برفق لسهولة تعلقه ببدنه (قوله يسبحون في اخراجها سبح الغواص) يعنى ان قوله تعالى والسابحات سبحا استعارة تبعية شبه اخراجهم لارواح المؤمنين برفق ولطف باخراج الغواص ما التقطه من قعر البحر فكما ان من سبح في الماء تحرك فيه بلطف ورفق بحيث لا يتأذى نفسه ولايدرى بالحركة فكذلك الملك الذي ينشط روح المؤمن يخرجه برفق لئلا يصل اليه ألم وشدة فاطلق اسم المشبه به على المشبه واستعار منه لفظ السابحات (قوله فيسبقون) فان قيل السبق لا بد له من المسبوق فما فائدة المسبوق ههنا قلنا لعل السبق هنا كناية عن الاسراع لكون السبق من لوازم الاسراع والفاء في قوله فالسابقات فالمدبرات للدلالة على ان السبق يعقب الصفات السابقة وكذا تدبير الثواب والعقاب يعقب احوال كل طائفة في منزلها والظاهر ان تدبير امور الثواب والعقاب في الجنة والنار من وظائف خزنة الجنة والنار لامن وظائف الملائكة الموكلين بقبض الارواح الذين هم الموصوفون بالصفات المذكورة هنا لقول المصنف هذه صفات ملائكة الموت ولعل قول المصنف ان يهيؤها لادراك ما اعد لها من الثواب والعقاب اشارة الى ذلك (قوله او الاولياء) وهما النازعات والناشطات لهم اى لملائكة الموت والثلاث الباقية لطوائف اخرى ويكون قوله والسابحات قسما ثانيا والواو التي فيها تكون للقسم لا للعطف

ارواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج الشئ من اعماق البحر فيسبقون بارواح الكفار الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان يهيؤها لادراك ما اعد لها من الآلام واللذات او الاولياء لهم والباقيات لطوائف من الملائكة يسبحون في مضيها اى يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به فيدبرون امره

وتكون الكلمتان اللتان بعدها عطفا عليها على طريق عطف القصة على القصة كما ان قوله والنازعات قسم ابتدائي وقوله والناشطات عطف عليه اقسم الله تعالى اولا بطوائف ملائكة الموت وثانيا بطوائف اخرى ينزلون من السماء مسرعين مشبهين في سرعة نزولهم بمن سبح في الماء واستعارة السبح للاسراع شائع كما قال في الفرس الجواد انه لسابح (قوله او صفات النجوم) عطف على قوله صفات ملائكة الموت وقوله تنزع من المشرق الى المغرب يدل على ان النازعات على هذا بمعنى السائرات كأنه مشتق من نزع الى اهله ينزع نزاعا اى اشتاق فكأن النجوم في مسيرها الى جانب المغرب اشتاقت اليه واغراقها في النزع ان تقطع الفلك كله حتى تنحط في اقصى المغرب واسناد النزع بمعنى السير الى النجوم يشعر ان النجوم تتحرك حركة ذاتية من المشرق الى المغرب كما تتحرك كذلك من برج الى برج وكذا اسناد السبح اليها يشعر بذلك والظاهر ان الامر ليس كذلك بل حركتها الى مغاربها عرضية تابعة لحركة الفلك الاعظم فينبغي ان يحمل قوله بان تقطع الفلك مبنيا على انا نراها كذلك وان كانت هي في انفسها مركوزة في افلاكها ومتحركة تبعا لافلاكها (قوله وتنشط من برج الى برج) نقل الامام هذا الوجه عن صاحب الكشاف ثم قال واقول يرجع حاصل هذا الكلام الى ان قوله تعالى والنازعات غرقا اشارة الى حركتها اليومية وقوله والناشطات نشطا اشارة الى انتقالها من برج الى برج وهو حركتها المخصوصة بها في افلاكها الخاصة والعجب ان حركتها اليومية قسرية وحركتها من برج الى برج ليست قسرية بل لذواتها فلا جرم عبر عن الاول بالنزع وعن الثاني بالنشط فتأمل [illegible] في هذه الاسرار (قوله فتدبر امرا نيط بها) اسند التدبير اليها مع ان الامر كله لله من حيث ان الامور المرتبطة بها المترتبة عليها اسندت اليها بحسب الظاهر وان كانت في الحقيقة مستندة الى الله تعالى من حيث انه تعالى خلق الاشياء كلها بحيث تترتب عليها المصالح المتعلقة بها فان قيل لم قال فالمدبرات امرا ولم يقل امورا مع ان المصالح المترتبة عليها امور كثيرة قلنا المراد بالامر الجنس فيصح ان يعبر به عن الجمع (قوله فانها تنزع عن الابدان) اى تقلع عن الابدان قلعا شديدا شبه قلع التعلق بالنزع لانها تتعلق من كثرة الاتصال بالشيء فان نفس الميت توصف بالنزع فيقال لمن هو في صدد الموت فلان في النزع اى في قلع تعلق روحه ببدنه وتلك النفوس الفاضلة كما انها تنزع اى تقلع تعلقها بالابدان غرقا تنشط اى تخرج منها الى عالم الملكوت ثم انها لاشتياقها الى الاتصال بالعالم العلوي ترقى الى عالم الملائكة وحظائر القدس على اسرع الوجوه

او صفات النجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط في اقصى المغرب وتنشط من برج الى برج اى تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في الفلك فتسبق بعضها في السير لكونه اسرع حركة فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة سمى الاولى نزعا والثانية نشطا او صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فانها تنزع عن الابدان غرقا اى نزعا شديدا من اغراق النازع في القوس فتنشط الى عالم الملكوت وتسبح فيه فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات

فى روح ورىحان بعد حرو حهامن ظلمة الاحساد فعبر عن دهابها على هده الحالة بالسباحة ثم لاشك ان مراتب النفوس الفاصلة فى النفرة عن الدنيا ومحبة الاتصال بعالم القدس مختلفة فكلما كانت اتم فى هده الاحوال كان سيرهـا الى دلك العالم اسبق وكلما كانت اضعف كان سيرها اليه ابطأ ولاشك ان الارواح السابقة اشرف فلاجرم اوقع القسم بها حيث قال والسابقات سبقا ثم ان هده النفوس الشريفة لعلو همتها فى تكميل النفوس القاصرة ولشرفها وقوتها لايبعد ان يظهر منها آثار وتدبيرات فى هدا العالم فتكون من المدبرات الاترى ان الانسان قد يرى فى المنام ان بعض الاموات يرشده الى مطلوبه (قوله او حال سلوكها) عطف على حال المفارقة عن الابدان اى اوهى صفات النفوس الفاصلة حال سلوكهـا (قوله اقسم الله بها على قيام السـاعة) يعنى ان جواب القسم محدوف وهو اما لتبعثن ويدل عليه ماحكى الله تعالى عنهم انهم قالوا أئذا كنا عظامـا نخرة اى انبعث اذا صرنا عظاما نخرة واما لننفخن فى الصور نفختين ويدل عليه ذكر الراجفة والرادفة وهما النفختان واما ان القيامة واقعة لانه تعالى قال والداريات ذروا ثم قال انما توعدون لصادق وقال والمرسلات عرفا ثم قال انما توعدون لواقع فكدا ههنا فان القرآن كالسورة الواحدة وقيـل الجواب مدكور وهو اما قوله تعالى قلوب يومئذ واجفة ابصارها خاشعة والتقدير والنازعات عرقا ان يوم ترجف الراجفة تحصل قلوب واجفة وابصارها خاشعة واما قوله تعالى هل اتاك حديث موسى فان هل ههنا بمعنى قد كما فى قوله تعالى هل اتاك حديث الغاشية فانه بمعنى قد اتاك واما قوله تعالى ان فى دلك لعبرة لمن يخشى (قوله وهو منصوب به) اى بالجواب المحدوف الذى هو قيـام الساعة والتقدير والنازعات لتبعثن يوم ترجف الراجفة فان قيل كيف يصح هدا مع ان القيامة لاتقع يوم تضطرب الاجرام الساكنة الذى هو يوم النفخة الاولى وانما تقع بعد النفخة الثانية ويدل عليه قوله تعالى تتبعها الرادفة وبينهما اربعون سنة اجيب عنه بان المراد بيوم ترجف الراجفة الوقت الواسع الذى تحصل فيه النفختان ولاشك انها تقع فى بعض دلك الوقت الواسع وهووقت النفخة الثانية ويدل عليه ان قوله تعالى تتبعها الرادفة جعل حالا من الرادفة فانه يستلزم كون الرجفان واقعا فى حال كون الرادفة تابعة له وان يكونا فى زمان واحد لان الحال يجب ان يكون حصولها مقارنا لحصول الفعل المقيد بها ودلك لايكون الااذا يكون المراد باليوم الوقت الواسع والرجفة والرجف الحركة والاضطراب ولفظ ترجف لكونه فعلا مضارعا يقتضى ان يكون قيام مدلوله بفاعله حادثا بعد نزول

او حال سلوكها فانها تنزع عن الشهوات وتنشط الى عالم القدس وتسبح فى مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات او صفات انفس الغزاة او ايديهم تنزع القسى باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمى ويسبحون فى البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او صفات خيلهم فانها تنزع فى أعنتها نزعا تغرق فيه الأعنة لطول اعناقها وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح فى جريها فتسبق الى العدو فتدبر امر الظفر اقسم الله تعالى بها على قيام الساعة وانما حدف لدلالة ما بعده عليه (يوم ترجف الراجفة) وهومنصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التى يشتد حركتها حينئد كالارض والجبال كقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال

او الواقعة التي ترجف
الاجرام عندها وهي
النفخة الاولى (تتبعها
الرادفة) التابعة وهي
السماء والكواكب تنشق
وتنتثر او النفخة الثانية
والجملة في موقع الحال
(قلوب يومئذ واجفة)
شديدة الاضطراب
من الوجيف وهي صفة
لقلوب والخبر (ابصارها
خاشعة) اي ابصار
اصحابها ذليلة من الخوف
ولذلك اضافها الى
القلوب (يقولون أئنا
لمردودون في الحافرة)
في الحالة الاولى يعنون
الحياة بعد الموت من
قولهم رجع فلان في
حافرته اي طريقته التي
جاء فيها فحفرها اي
أثر فيها بمشيه على النسبة
كقوله عيشة راضية
او تسميه القابل بالفاعل

الآية والرجفة انما تحدث في الاجسام الساكنة فلذلك فسر الراجفة بالاجرام الساكنة ليتصور عروض الحركة لها (قوله او الواقعة) عطف على الاجرام الساكنة والمراد بالواقعة النفخة الاولى سميت راجفة لكونها سببا لاضطراب الاجرام الساكنة واسندت الرجفة اليها على طريق اسناد الفعل الى سببه والاصل ان يقال يوم ترجف الارض والجبال بسبب حدوث الواقعة التي هي النفخة الاولى وان فسرت الراجفة بنحو الارض والجبال من الاجرام الساكنة يكون اسناد الرجفة اليها حقيقة وحينئذ يكون المراد بالرادفة الاجرام المتحركة التي هي السماء والكواكب سميت رادفة لانها في تغير احوالها الى الانشقاق والانتثار تتبع الاجرام الساكنة في الرجفة والاضطراب (قوله او النفخة الثانية) هذا على تقدير ان تفسر الراجفة بالنفخة الاولى فان الرادفة كل ما كان بعد شيء آخر يقال ردفه اي جاء بعده والنفخة الثانية تجيء بعد الاولى وكذا تغير احوال الاجرام المتحركة كانفطار السماء وانتثار الكواكب فانها ايضا تكون بعد رجفة السواكن وزلزالها (قوله وهي صفة القلوب) اشارة الى وجه الابتداء بقلوب وهي نكرة يعني انها وان كانت نكرة لكنها موصوفة بقوله واجفة والنكرة الموصوفة يجوز الابتداء بها فقلوب مبتدأ ويومئذ ظرف لواجفة وابصارها مبتدأ ثان وخاشعة خبره وهو مع خبره خبر الاول واضيفت الابصار الى ضمير القلوب مع ان القلوب لا ابصار لها بتقدير المضاف واشار المصنف اليه بقوله اي ابصار اصحابها ويدل على تقدير الاصحاب ايضا قوله يقولون قال الامام خصص قوله قلوب بقوله واجفة ولم يعرفها بلام الاستغراق بان يقول القلوب يومئذ واجفة لانه ثبت بالدليل ان اهل الايمان لا يخافون بل المراد قلوب الكفرة ومما يؤيد ذلك انه تعالى حكى عنهم انهم يقولون ائنا لمردودون في الحافرة وهذا لا يقوله الا الكفار (قوله ولذلك) اي ولكون خشوع الابصار وذلتها ناشئا من الخوف بحيث يترقبون اي شيء ينزل عليهم من الامور العظام اضاف الابصار الى القلوب التي هي محل الخوف وهو من احوالها واخواتها واسناد الابصار لما كان في معنى يومئذ ذلك الاضافة اشعر بكونها دالة لا محكم بالذلة وبيان سبب ذلتها ما في القلوب من الخوف والوحشة والوجيف خفقان القلب واضطرابه يقال وجف وجيفا وجف الفرس والبعير في العدو والايجاف هو حمل الدابة على السير السريع وللمفسرين عبارات كثيرة في تفسير الواجفة ومعناها واشد فالوا في تفسيرها خائفة وزائلة عن اماكنها وقلقة شديدة الاضطراب غير ساكنة ونحو ذلك ثم انه تعالى حكى عن منكري البعث والقيامة اقوالا ثلاثة اولها قولهم ائنا لمردودون في الحافرة

وثانيها قولهم أئذا كنا عظاما نخرة وثالثها قولهم تلك اذا كرة خاسرة وهذه الاقوال صدرت عنهم في الدنيا استبعادا للبعث وتحاشيا عنه والحافرة في الاصل عبارة عن الطريق التي سلكها المرء اولا واثروا فيها قدمه عنه عليها حفرا ان القدم حفرا وسميت الطريقة حافرة على التشبيه بمعنى انها ذو حفر كماء دافق ثم اطلقت الحافرة على الحالة الاولى واول الامر حتى قال الواحدي الحافرة عند العرب اسم لاول الشئ وابتداء الامر قال الشاعر

أحافرة على صلع وشيب ❊ معاذ الله من سفه وعار

يقول أأرجع الى ما كنت عليه في شبابي من الغزل والتصابي بعد ان شبت وصلعت ثم قال معاذ الله هذا سفه ظاهر وعار شديد فمعنى الآية أنرد الى اول احوالنا فنصير احياء كما كنا (قوله وقرئ في الحفرة) على وزن الكلمة وهو صفة مشبهة من قولهم حفرت اسنانه فحفرت حفرا اى فسدت اصول اسنانه وتقشرت بالاوساخ وركبها الوسخ من ظاهرها وباطنها مرة بعد اخرى والمراد بالحفرة على القراءتين الارض المنتنة المتغيرة بما فيها من الاجداث واجساد الموتى والمعنى أئنا ونحن في الارض المتغيرة بما انضم اليها من القاذورات لمردودون فقوله في الحفرة في موضع الحال من فاعل لمردودون وقيل يجوز ان تكون الحفرة بمعنى الحافرة ومقصورة منها (قوله وقرأ نافع اذا كنا على الخبر) فكلمة اذا حينئذ معمول لقوله لمردودون بخلاف ما اذا قرئ أئذا على الاستفهام فان عاملها حينئذ يكون محذوفا مدلولا عليه بقوله لمردودون والتقدير أئنرد اذا كنا عظاما نخرة وفيه زيادة استبعاد للبعث وانما قلنا ان العامل حينئذ يكون محذوفا لان حرف الاستفهام يمنع ان يكون ما بعده معمولا لما قبله والنخرة والناخرة بمعنى كل واحدة منهما من البلى والفساد الا ان النخرة للدلالة على الثبوت والناخرة على الحدث وقيل النخرة هي التي بليت من البلى والتفتت والناخرة هي العظام الفارغة المجوفة التي يحصل فيها صوت عند هبوب الريح كنخير النائم لامن النخر بمعنى البلى (قوله ذات خسران او خاسرة اصحابها) يعني ان اسناد الخسران الى الكرة والحال انهم هم الخاسرون والكرة مخسور فيها اما على ان يكون بناء الفاعل للنسبة كتامر ولابن واما على طريق اسناد الفعل الى طرفه وقوله تلك مبتدأ اشير بها الى الردة والرجعة في الحافرة وكرة خبرها واذا جواب وجزاء والمعنى ان كان البعث بعد الموت حقا فتلك الرجعة رجعة خاسرة والكر الرجوع يقال كره وكر بنفسه يعدى ولا يعدى كما يقال رجعه ورجع بنفسه والكرة المرة من الرجوع وقوله وهو استهزاء منهم اى بأمر الخسر حيث انزلوا ما قطعوا بانتفائه واستحالته في صورة المشكوك المحتمل

وقرئ في الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة (أئذا كنا) وقرأ نافع وابن عامر والكسائي اذا كنا على الخبر (عظاما ناخرة) بالية وقرأ الحجازيان وابو عمرو والشامي وحفص وروح نخرة وهي ابلغ (قالوا تلك اذا كرة خاسرة) ذات خسران او خاسرة اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم

الوقوع ثم انه تعالى لما حكى عنهم هذه الكلمات اجاب بقوله فانما هي زجرة واحده (قوله متعلق بمحذوف) يعنى ان الفاء تعليلية لجملة محذوفة والتقدير لاتستبعدوا تلك الكرة ولاتستصعبوها فانما هي سهلة هينة في قدرة الله تعالى فما هي الا صيحة واحدة يقال زجر البعير اذا صاح عليه والمراد من هذه الصيحة النفخة الثانية وهي نفخة اسرافيل عليه الصلاة والسلام قال المفسرون يحييهم الله تعالى في بطون الارض فيسمعونها فيقومون (قوله لان السراب يجري فيها) جعل جريان السراب فيها بمنزلة جريان الماء عليها فقيل لها ساهرة تشبيها بالعين الساهرة اى الجارية الماء واختلفوا في ان الساهرة هل هي ارض الدنيا ام ارض الآخرة فقال بعضهم هي ارض الدنيا وقال آخرون هي ارض الآخرة لانهم عند الزجرة والصيحة ينقلون امواتا الى ارض الآخرة فقال ابو سعيد الساهرة هي صحراء على شفير جهنم ثم انه تعالى لما حكى عن الكفار اصرارهم على انكار البعث حتى انتهوا في ذلك الانكار الى حد الاستهزاء فقالوا تلك اذا كرة خاسرة وكان ذلك يشق على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر له قصة موسى عليه الصلاة والسلام وما تحمله من المشاق العظيمة في دعوة فرعون وبين عاقبة من اطاعه ومن عصاه ليكون ذلك تسلية له عليه الصلاة والسلام وتهديدا لمكذبيه كما اشار اليه المصنف بقوله فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم عليه انتهى (قوله اليس قد اتاك حديثه) اشارة الى ان هل بمعنى قد وان همزة الاستفهام قبلها محذوفة استغناء عنها بلفظة هل لكثرة وقوعها في الاستفهام بحيث صارت كانها علم استفهام بنفسها فاستغنى بها عن الهمزة واقيمت مقامها فكانت هل متضمنة معنى الاستفهام وتقريب الحكم المستفهم عنه من الحال فلذلك اتى المصنف في تفسير هل اتاك بهمزة الاستفهام وكلمة قد اى اقد اتاك وبلغك حديثه عن قريب ومعنى الاستفهام حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه قبل ذلك كما في الم نشرح لك صدرك والم يجدك يتيما واليس الله بكاف عبده وزاد كلمة ليس في قوله اليس قد اتاك لكونها اظهر في الدلالة على ان الاستفهام للتقرير لان انكار النفي اثبات وهذا المعنى مبني على ان يكون قد اتاه ذلك الحديث قبل هذا الاستفهام واما ان لم يكن اتاه قبل ذلك فحينئذ يكون الاستفهام لحمل المخاطب على طلب الاخبار اذ لاوجه لحمله على الاقرار حينئذ (قوله قد مر بيانه) ذكر فيها ان طوى بالضم اسم للوادي المقدس فيكون عطف بيان له لكون الاسم اوضح وقيل ان طوى بالضم مثل طوى بالكسر في انهما بمعنى ثنى بكسر الثاء مقصورا وهو الشئ المثنى او الامر يعاد مرتين يقال ناديته طوى وثنى اى مرتين وعلى هذا يحتمل ان يتعلق بنودي اى نودي

(فانما هي زجرة واحدة) متعلق بمحذوف اى لاتستصعبوها فما هي الا صيحة واحدة يعنى النفخة الثانية (فاذاهم بالساهرة) فاذاهم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة التي يجري ماؤها وفي ضدها نائمة اولان سالكها يسهر خوفا وقيل اسم جهنم (هل اتاك حديث موسى) اليس قد اتاك حديثه فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم عليه بان يصيبهم مثل ما اصاب من هو اعظم منهم (اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) قد مر بيانه في سورة طه (اذهب الى فرعون انه طغى) على ارادة القول وقرئ ان اذهب لما في النداء من معنى القول

(فقل هل لك الى ان تزكى) هل لك ميل الى ان تطهر من الكفر والطغيان وقرأ الحجازيان و يعقوب تزكى بالتشديد (واهديك الى ربك) وارشدك الى معرفته (فتخشى) بأداء الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا

بدايين وان يتعلق بالمقدس اى قدس مرتين وثنيت فيه البركة والتقديس وقال الفراء طوى وادبين المدينة ومصر فمن صرفه قال ليس فيه الا العلمية وهو اسم لمكان وهو مذكر ومن لم يصرفه جعله معدولا عن صيغته كعمر وزفر ثم قال والصرف احب الى اذا لم اجد له فى المعدول نظيرا اى لم اجد اسما من الوادى عدل عن فاعل غير طوى وقيل طوى بمعنى يارجل بالعبرانية فكانه قيل يارجل اذهب الى فرعون وهذا قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انتهى واذفى قوله اذناداه ظرف منصوب بحديث اى اتاك حديثه الواقع حين ناداه ربه لا بقوله اتاك لاختلاف وقتى الاتيان والنداء ضرورة ان الاتيان لم يقع فى وقت النداء وقوله اذهب مفعول قول مضمر اى اذناداه ربه فقال اذهب والطغيان مجاوزة الحد ثم انه تعالى لم يبين فى اى شئ تعدى ولهذا قال بعض المفسرين معناه انه تكبر على الله تعالى وكفر به وقال آخرون انه طغى على بنى اسرائيل بان استذلهم غاية الاذلال والتحقير والاولى ان يحمل على الاطلاق والتعميم و يكون المعنى انه طغى على الخلق بان تكبر عليهم واستعبدهم فكما ان كمال العبودية لايكون الا بالصدق مع الحق وحسن الخلق مع الخلق فكذا كمال الطغيان يكون بسوء المعاملة معهما (قوله هل لك ميل) اشارة الى ان لك خبر مبتدأ محذوف وان كلمة الى متعلقة بذلك المحذوف ومثل هذا الحذف شائع فى الكلام يقال هل لك فى الخير والتقدير هل لك رغبة فى الخير ومن قرأ تزكى بتشديد الزاى ادغم احدى التاءين فى الزاى لقرب مخرجهما ومن قرأ بالتخفيف حذف احدى التاءين للتخفيف لان اجتماع المثلين يوجب الثقل والتخفيف كما يحصل بالادغام يحصل بالحذف ايضا والتزكى من النقائص لما توقف على الهداية والارشاد عطف عليه قوله واهديك الى ربك فتخشى قدم الهداية الى معرفة الله تعالى لكونها اول ما يجب على المكلف فى باب الاعتقاد ثم رتب عليها ما هو ملاك الخيرات ومبنى السعادات كلها وهو خشية الله تعالى فان من خشى الله تعالى يسارع الى الخيرات ومن امن تجرأ على المعاصى والمنكرات قال عليه الصلاة والسلام من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل يقال ادلج القوم اذا سار وامن اول الليل وان سار وامن آخر الليل يقال انهم ادلجوا بتشديد الدال (قوله اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة) تعليل لكون المضاف المقدر فى قوله الى ربك هو المعرفة حيث قال وارشدك الى معرفته (قوله وهذا كالتفصيل) وذلك لان المأمور به فى قوله تعالى لموسى وهرون اذهبا الى فرعون فقولا له قولا لينا مفهومه مجمل يحتمل صورا شتى والمأمور به فى هذه الآية صورة جزئية من محتملات القول اللين فيكون بمنزلة التفصيل له ووجه كونه لينا انه عليه الصلاة والسلام ابدأ فى مخاطبة فرعون

بالاستفهام عن ميله الى كونه زاكيا عما لا يليق به ومتطهرا عنه ولم يخرج كلامه على صورة الامر والالزام ولم يصرح بما هو فيه من الجهل والشرك وكفران نعمة خالقه ورازقه وكونه متوغلا في الضلالة والطغيان بسبب ذلك ونحو ذلك مما فيه عنف او غلظة ووجه كونه كالتفصيل ظاهر وظهر منه انه لا بد في الدعوة الى معرفة الله تعالى وطاعته من سلوك سبيل الرفق واللين وترك الخشونة والعنف ولذلك قال الله تعالى لسيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك (قوله فذهب وبلغ فأراه) اشارة الى ان الفاء في قوله فأراه للعطف على محذوف يدل عليه قوله تعالى اذهب الى فرعون فقل له كذا وكذا ونظيره قوله تعالى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفجرت وامثال هذا الاضمار كثير في القرآن (قوله وهي قلب العصا حية) اعلم انهم اختلفوا في الآية الكبرى على ثلاثة اقوال الاول انها اليد البيضاء لقوله تعالى في سورة طه وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى لنريك من آياتنا الكبرى قاله مقاتل والكلبي وقال عطاء هي قلب العصا حية وقال مجاهد هي مجموع اليد البيضاء والعصا وذلك لان سائر الآيات دلت على ان اول ما اظهره موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون هو العصا ثم اتبعه باليد فوجب ان تكون مجموعهما واختار المصنف القول الثاني ثم استدل على ما اختاره بانها كانت مقدمة في الارادة حيث ابتدأ موسى عليه الصلاة والسلام بها وهذه دعت الى الاخرى فان العصا لما انقلبت حية اضمر موسى عليه الصلاة والسلام في نفسه خيفة منها وقصد ان يضرب الحية بيده فقيل له حين رفع يده واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء بحيث تبرق كالشمس من غير سوء آية اخرى لنريك من ذلك الصنيع آية اخرى من حيث انه تعالى لم يرض بان يخاف مما اظهر الله تعالى على يده معجزة له فلما كانت الآية الاولى هي الداعية الى الاخرى كانت الاول اصلا والثانية تابعة لها فسميت الاولى لذلك كبرى وذلك لانه ليس في اليد الا انقلاب لونها الى لون آخر وهذا المعنى كان حاصلا في العصا ثم حصل فيها امورا اخر زائدة من ذلك منها حصول الحياة في الجرم الجامد ومنها الدكيفية وكبر جرمه وبطشه ومنها ابتلاعها اشياء كثيرة بحيث ينبغي فيها وغير ذلك وكل واحد من هذه الوجوه كان معجزا مستقلا في نفسه فعلمنا ان الآية الكبرى هي العصا (قوله او مجموع معجزاته) وجعلها آية واحدة نظرا الى وحدتها الاعتبارية وهي كون الجمع معجزة دالة على صدق من ظهر هذا المجموع على يده فصار الجمع باعتبار وحدة القدر المشترك بينها كالآية الواحدة وجعلها كبرى بالاضافة الى سائر الآيات التي اعطيها الانبياء قبل موسى عليه الصلاة والسلام (قوله

(فأراه الآية الكبرى) اي فذهب وبلغ فأراه المعجزة الكبرى وهي قلب العصا حية فانه كان المقدم والاصل او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالآية الواحدة

وعصى الله بعد طهور الآية وتحقق الامر) اى امر رسالة موسى عليه الصلاه والسلام من قبله تعالى من حيث انه قد اعتقد بقلبه ان ماظهره عليه الصلاه والسلام من المعجزه يمتنع ان يعارضه السحر وانه ليس الا فعل الله تعالى خلقه فى يد موسى تصديقا له فى دعوى الرسالة وما روى من انه جمع السحرة وقال لهم انه ساحر فعارضوه بالسحر ليظهر للناس كونه ساحرا او كاذبا فى دعوى الرسالة انما هو تعلل بالباطل ودفع للمحاسن وتلبيس للامر على الناس لا لاعتقاده بانه يمكن معارضته واشار المصنف بقوله بعد طهور الآية الى فائده عطف العصيان على التكذيب وهى ان مطلق التكذيب لا يلزم كونه معصية لاحتمال كونه تكذيب من لم يتحقق صدقه وانما يكون معصية اذا كان ناشئا عن التمرد والعناد لكونه مقرونا باعتقاد كون من كذبه صادقا فى دعواه مصدقا من قبله تعالى وكانه قيل فكذب على وجه يستلزم معصية الله تعالى وقوله تعالى يسعى حال من فاعل ادبر سواء كان السعى بمعنى السعى فى ابطال امره عليه الصلاة والسلام او بمعنى الاسراع فى المشى هاربا من الثعبان وسواء اريد بالادبار الادبار عن الطاعة او الادبار عن الثعبان وكلمة ثم فى قوله تعالى ثم ادبر لاستبعاد الادبار المقيد بحال كونه ساعيا فى ابطال امره بعد ظهور الآية لا لمجرد الادبار عن الطاعة لكونه عبارة عن العصيان فلا وجه لعطفه عليه بكلمة ثم (قوله اعلى كل من يلى امركم) يريد انه لم يرد بقوله انا ربكم انه خالق السموات والارض وما بينهما وما فيهما فان العلم بفساد ذلك ضرورى ومن شك فيه وجوزه كان مجنونا والمجنون لا يبعث اليه رسول يدعوه الى الحق بل الرجل كان دهريا منكرا للصانع والحشر والجزاء وكان يقول ليس للعالم اله حتى يكون له عليكم امر ونهى او يبعث اليكم رسولا ولا يحتاج الخلق الا الى من يلى امرهم ويحكم بينهم على امر ينتظم به معاشهم ومعادهم ولا يجرى بينهم البغى والاعتساف وذلك الذى يلى أمركم انا لا غيرى (قوله احذا منكلا) يعنى ان نكالا مصدر بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم والكلام بمعنى التكليم وان التنكيل بمعنى المنكل على طريق رجل عدل وانه منصوب على انه صفة مصدر محذوف لاخذه الله وان اضافته الى الآخرة والاولى بمعنى فى كضرب اليوم اى فى اليوم والظرف للاخذ الموصوف لا لنفس التنكيل بمعنى المنكل لان معنى الاخذ المنكل ان يفعل بالمسيء فعل يمنع غيره عن الاتيان بمثل ذنبه ويمنعه ايضا عن المعاوده الى مثل ذلك الذنب والفعل المذكور لا ينكل فى الدار الآخرة بخلاف مافعل به من العقوبة فى الدنيا او فى الآخرة فان ما فعل فى الدنيا ينكل من رآه ومن سمعه عن اتيان مثل تلك الاساءة وما فعل فى الآخرة

(فكذب وعصى) فكذب موسى وعصى الله بعد ظهور الآية وتحقق الامر (ثم ادبر) عن عن الطاعة (يسعى) ساعيا فى ابطال امره او ادبر بعد ان رأى الثعبان مرعوبا مسرعا فى مشيه (فحشر) فجمع السحرة او جنوده (فنادى) فى المجمع بنفسه او بمناد (فقال انا ربكم الاعلى) اعلى كل من يلى امركم (فاخذه الله نكال الآخرة والاولى) اخذا منكلا لمن رآه او سمعه فى الآخرة بالاحراق وفى الدنيا

نكل من سمعه وصدق به وان لم نكن منكلا لمن رآه في الآخرة فقوله لمن رآه مخصوص بالذات المشكل الواقع في الدنيا وقوله او سمعه يتناول للاحد الواقع في الدنيا وللواقع في الآخرة فان من سمع في الدنيا بما عوقب به المذنب في الآخره وصدق بذلك يمتنع بسبب سماعه عن ارتكاب ذلك الذنب ولفظ النكال والتنكيل ينبئ عن الامتناع عن الشئ وعدم الاقدام عليه ومنه نكل عن اليمين اذا امتنع عن ان يحلف ونكل عن العدو واذا امتنع عن معارضته ومحاربته حسا ومخافة ونكل به على ذنبه نكالا اى عاقبه على ذنبه عقابا يحمل المعاقب على الامتناع من المعاودة الى ذلك الذنب ويحمل غيره ايضا على الامتناع عن اتيان مثل ذنبه لان المعاقب لما عوقب على ذلك الذنب كان ذلك عبرة لغيره يعتبر بحاله فيمتنع عن اتيان مثل ما اتى به وقيل نكال الآخره منصوب على انه مصدر مؤكد للفعل المذكور حملا على المعنى لان الاخذ في قوله تعالى فاخذه الله نكال الآخرة والاولى عبارة عن العقوبة فكانه قيل نكل الله به نكالا الآخره اى نكالهما (قوله او على كلمة الآخره وهى هذه) عطف على قوله في الآخره بالاحراق وفي دار الدنيا بالاغراق وعلى هذا التفسير هما صفتان لكلمتى فرعون اللعين اولاهما قوله ما علمت لكم من اله غيرى واخراهما قوله انا ربكم الاعلى قالوا وكان بينهما اربعون سنة فلما ذكر الثانية اخذه بهما وهذا ينبئ عن انه تعالى يمهل ولا يهمل واضافة النكال على هذا من قبيل اضافة المسبب الى سببه فان كل واحدة من الكلمتين سبب لما اضيف اليه من النكال (قوله او للتنكيل فيهما اولهما) عطف على قوله اخذا منكلا اى ويجوز ان يكون انتصاب نكال الآخره على انه مفعول له لقوله فاخذه الله نكال الآخرة سواء كانت الآخره والاولى صفتين للدار المحذوفة وكانت اضافة النكال اليهما بمعنى في او كانتا صفتين للكلمتين وكانت الاضافة من قبيل اضافة المسبب الى سببه (قوله ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله) نحو وعد الله وصبغة الله كانه قيل نكل الله نكال الآخره والاولى وقد مر انه يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا لفعله المذكور لان معنى اخذه الله نكله الله نكال الآخره فان اخذه ونكله متقاربان معنى كما قال اخذه ركا شديدا ثم انه تعالى ختم هذه القصة بقوله ان في ذلك لعبرة اى فيما قصصناه عليك من نصرة موسى عليه الصلاة والسلام وخزى فرعون لعبرة لمن يخشى اى شأنه الخشية فانه يدع التمرد على الله تعالى وتكذيب انبيائه خوفا من ان ينزل به مثل ما نزل بمكذبى نبوة موسى عليه الصلاة والسلام وعلما بانه تعالى ينصر رسله واوليائه واعداءه كما نصر موسى عليه الصلاة والسلام فاعتبروا معاشر مكذبى سيد المرسلين صلى الله

اوعلى كلمته الآخره وهى هذه وكلمته الاولى وهى قوله ما علمت لكم من اله غيرى او للتنكيل فيهما اولهما ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله (ان في ذلك لعبرة لمن يخشى) لمن كان من شأنه الخشية

تعالى عليه وسلم عما ذكرنا لكم واعلموا انكم ان شاركتموهم فيما اوجب عقابهم شاركتموهم ايضا فى حلول العقاب بكم ثم انه تعالى لما ختم هذه القصة رجع الى مخاطبة منكرى البعث فقال ءأنتم اشد خلقا اقسم الله تعالى اولا على قيام الساعة وبين مقدماتها الهائلة وذلة الكفرة فيها ثم البعث عن خطاباتهم الى ان حكى عنهم بطريق الغيبة مقالاتهم المتعلقة بانكار البعث ثم اجابهم بقوله فانما هى زجرة واحدة اى لاتستصعبوها فانها سهلة هينة فى قدرة الله تعالى والآن شرع فى بيان سهولته فقال ءأنتم اشد خلقا وفسر المصنف الشدة بالصعوبة لا الصلابة لانه لا يلائم المقام اى اخلقكم بعد الموت مع صغر جثتكم وضعف تأليفكم اصعب ام خلق السماء بلامادة مع عظم جرمها وقوة تأليفها وهو استفهام تقرير ليقروا بأن خلق السماء اصعب فلزمهم بان يقول لهم ايها السفهاء من قدر على الاصعب الاعسر كيف لايقدر على اعادتكم وحشركم وهى ايسر واسهل فاعادتكم اولى بان تكون مقدورة له تعالى فكيف تنكرون ذلك والتفاوت بين الامرين بان يكون احدهما اصعب من الآخر انما هو بالنسبة الى المخاطبين وقدرتهم وتقديرهم فان كلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله تعالى واحد لاتفاوت بينهما بالصعوبة والسهولة (قوله تعالى ءأنتم) مبتدأ واشد خبره وخلقا تمييز والسماء عطف على انتم وحذف خبره لدلالة خبر انتم عليه اى ام السماء اشد خلقا وبناها مستأنف لبيان كيفية خلقها فيتم الكلام عند قوله ام السماء ويبتدأ من قوله بناها استعمل لفظ البناء فى موضع ذكر السقف فان السماء سقف مرفوع والبناء انما يستعمل فى اسافل البيت لافى الاعالى للاشارة الى انه وان كان سقفا لكنه فى البعد عن الاختلال والانحلال كالبناء وان البناء ابعد عن تطرق الاختلال اليه بالنسبة الى السقف فلهذه الدقيقة اختير لفظ البناء فى هذا الموضع (قوله ثم بين البناء) اى لما بين كيفية خلق السماء بقوله بناها بين كيفية البناء بوجوه اربعة الاول مايتعلق بالارتفاع فقال رفع سمكها واعلم ان امتداد الشئ اذا اخذ من اسفله الى اعلاه سمى سمكا واذا اخذ من جانب اعلاه الى اسفله سمى عمقا والمراد برفع سمكها هو جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها الذاهب فى العلو رفيعا حتى ذكروا ان مابين الارض وبينها مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحدة منها كذلك والثانى من وجوه كيفية البناء مااشار اليه بقوله فسواها وفسره المصنف بوجوه ثلاثة الاول قوله فعدلها اى جعلها متعادلة الاجزاء فى سلامتها من العيوب وفى مشابهة اللون وفى سائر الاوصاف والثانى قوله اوجعلها مستوية اى مساوية غير مختلفة الاجزاء بالارتفاع والانخفاض بان يكون بعض اجزائها اقرب الى المركز بالنسبة الى البعض الآخر بل جعل جميع

(ءأنتم اشد خلقا) اصعب خلقا (ام السماء) ثم بين كيف خلقها فقال (بناها) ثم بين البناء فقال (رفع سمكها) اى جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها الذاهب فى العلو رفيعا (فسواها) فعدلها اوفجعلها مستوية او فتممها بما يتم به كمالها من الكواكب والدوائر وغيرهما من قولهم سوى فلان امره اذا اصلحه (واغطش ليلها) اظلمه منقول من غطش الليل اذا اظلم وانما اضافه اليها لانه يحدث بحركتها

احزائها متساوية البعد بالنسبة الى المركز فيكون ذلك اشارة الى كونها كرة قالوا لما ثبت كونها محدثة مفتقرة الى فاعل مختار فأى ضرر فى الدين بتسليم كونها كرة ويحتمل ان يكون المراد باستوائها كونها مسطحة ملساء والثالث قوله اوفتممها واستعمال التسوية فى معنى الاتمام والاصلاح شائع والثالث من وجوه كيفية السماء ما اشار اليه بقوله واغطش ليلها وانما اضافه اليها وحق حق الليل ان يضاف الى الارض لكونه اسما لزمان الظلمة الحاصلة فى الهوآء بسبب حيلولة الارض بينها وبين الشمس فهو فى الحقيقة ظل الارض الا انه اضيف الى السماء للملابسة بينهما من حيث ان الليل يحدث بسبب غروب الشمس اى يحصل بسبب حركة الفلك والاضافة يكفى فيها ادنى الملابسة بين المضاف والمضاف اليه والظلمة الحاصلة فى الليل لما حصلت بتدبير الله تعالى وبقدرته لم يرد ان يقال قوله اغطش ليلها بمنزلة ان يقال جعل المظلم مظلما فاوجهه والرابع من وجوه كيفية بناء السماء ما اشار اليه بقوله واخرج ضحاها فسر المصنف الاخراج الابراز وهو ظاهر والضحى بالضوء وحمل الكلام على تقدير المضاف اى واخرج ضحى شمسها لان الضحى هو ضوء الشمس لقوله تعالى والشمس وضحاها وحذف لدلالة الضحى عليه (قوله وبرز النهار) اى برز بضحى الشمس وضوئها النهار وانما عبر عن النهار بضوء الشمس تسمية للمحل باسم اشرف ماحل فيه فان فضل النهار على الليل انما هو لاشتماله على نور الشمس وضوئها فهو اشرف مافيه فسمى النهار به فلذلك ولما بين الله تعالى كيفية خلق السماء اتبعه بكيفية خلق الارض فقال والارض بعد ذلك دحاها والجمهور على نصب الارض والجبال بفعل مضمر مفسر بما بعده اى ودحا الارض ورواسى الجبال وقرئ بالرفع والنصب هو المختار لكون هذه الجملة معطوفة على الفعلية التى قبلها وبتقدير النصب يحصل التناسب بينهما وكلمة بعد تقتضى ان يكون دحو الارض بعد خلق السماء ولا يعارضه قوله تعالى فى سورة حم السجدة ثم استوى الى السماء بعد قوله خلق الارض فى يومين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فان بعد ايام لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال خلق الله الارض باقواتها من غير ان يدحوها قبل السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك وقد ذكر اختلاف الناس فى خلق السماء والارض انهما كان اولا فى سورة البقرة وسورة فصلت وقيل كلمة بعدهما بمعنى مع كأنه تعالى قال والارض مع ذلك دحاها كقوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم اى مع ذلك وقيل انها بمعنى قبل كما فى قوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر اى من قبل الفرقان (قوله ورعيها) اى كلأها فان الرعى بكسر الرآء الكلأ وبالفتح

(واخرج ضحاها) وابرز ضوء شمسها كقوله تعالى والشمس وضحاها يريد النهار (والارض بعد ذلك دحاها) بسطها اومهدها للسكنى (اخرج منها ماءها) بتفجير العيون (ومرعاها) ورعيها وهو فى الاصل لموضع الرعى وتجريد الجملة عن العاطف لانها حال باضمار قد او بيان للدحو (والجبال ارساها) اثبتها وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء وهو مرجوح لان العطف على فعلية

المصدر والمرعى في اصل اللغة يطلق على موضع الرعي بفتح الراء وعلى زمانه وعلى نفس المعنى المصدري الا انه لم يسمع استعماله في المعنيين الاخيرين ويطلق ايضا على الرعي بكسر الراء وهو الكلأ وهو مجاز في هذا المعنى مبني على تشبيه الكلأ بموضع الرعي بالمعنى المصدري في تعلق الرعي بالفتح بكل واحد منهما ويجوز ان يكون المرعى اذا اريد به الكلأ مصدرا ميميا بمعنى المفعول (قوله تمتيعا لكم) على ان المتاع بمعنى التمتيع كالسلام بمعنى التسليم وانتصابه اما على انه مصدر لفعله المحذوف المدلول عليه بسياق الكلام اي متعكم بها تمتيعا وعلى انه مفعول له اي فعلنا ذلك تمتيعا لكم (قوله وتجريد الجملة عن العاطف) جواب عما يقال لم جرد قوله اخرج عن العاطف مع كون الجملة المقدمة مصدرة به اجاب عنه اولا بان هذه الجملة في موضع الحال من مفعول دحاها باضمار قد فان الماضي المثبت اذا وقع حالا لا بد له من قد ظاهرة او مقدرة لتقرب في الظاهر بين لفظ الماضي والحالية وباضمار قد يكون الماضي قريبا من الحال فيرتفع التنافي وفي مثله يجوز ترك الواو كما في قوله تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم فلذلك جرد قوله اخرج منها ماءها ومرعاها عن العاطف وثانيا بانها جردت عن العاطف لكونها جملة مستأنفة لبيان قوله دحاها فان معناه بسطها ومهدها للسكنى ودحو الارض وتمهيدها لسكنى الحيوان لا يكون الا باشتمالها على ما لا بد منه في تأتي السكنى فيها من تهيئة امر المأكل والمشرب باخراج الماء والمرعى ومن ارساء الجبال عليها اوتادا لها فتستقر فيتأتى السكون والقرار عليها والكلام المستأنف لا يعطف على ما قبله فلذلك جردت عن العاطف ثم انه تعالى لما بين ان بعث الاموات هين عليه تعالى حيث قال ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها اخبر عن وقوعه وبين ما يكون وقت وقوعه من تذكر الانسان ما عمله وبروز الجحيم لجميع اهل الساهرة بحيث لا يخفى على احد فقال فاذا جاءت الطامة الكبرى اي بعد ما تبين لكم امكان البعث وسهولته فاعلموا انه اذا جاءت الطامة اي الحادثة التي تعلو على ما سواها وتقهره يقال جاء السيل فطم الركية اي دفنها وسواها وكل شيء كثر حتى علا وغلب فقد طم (قوله وما موصولة) اي الذي سعاه وعمله في الدنيا من خير او شر او مصدرية اي يتذكر سعيه (قوله لكل راء) هذا العموم مستفاد من لفظة من لانها من الفاظ العموم ويرى منزل منزلة اللازم وهذا العموم لا ينافيه قوله تعالى في سورة الشعراء وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين لان اظهارها انما هو لتهديد الغاوين خاصة ولكن المؤمنون يرونها انها مأوى الكفار ومثواهم والمؤمنون يمرون عليها حال مجاوزة الصراط ويؤيده قوله تعالى وان منكم

(متاعا لكم ولانعامكم) تمتيعا لكم ولمواشيكم (فاذا جاءت الطامة) الداهية التي تطم اي تعلو على سائر الدواهي (الكبرى) التي هي اكبر الطامات وهي القيامة او النفخة الثانية او الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار (يوم يتذكر الانسان ما سعى) بان يراه مدونا في صحيفته وكان قد نسيها من فرط الغفلة او طول المدة وهو بدل من اذا جاءت وما موصولة او مصدرية (وبرزت الجحيم) واظهرت (لمن يرى) لكل راء بحيث لا يخفى على احد وقرئ وبرزت ولمن رأى ولمن يرى على ان فيه ضمير الجحيم كقوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد او انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم اي لمن تراه من الكفار وجواب فاذا جاءت محذوف

الاوارد ها الى قوله ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ويحتمل ان يكون اظهارها لكل راء عبارة عن اظهارها اظهارا بينا لانها صور اعمال المبطلين ابرزها تعالى يوم البعث بصور الحقيقة ليجازوا ابها جزاء وفاقا ولا يلزم منه ان يراها كل راء بل يجوز ان لايراها الاصحاب تلك الاعمال كما لايرى جنة الاعمال الصالحة الا اهلها (قوله دل عليه يوم يتذكر) اى اذا جاءت يتذكر الانسان سعيه وما عمله ويعرفه كل ما استحقه ومأواه (قوله اوما بعده) اى يجوز ان يكون جواب اذا محذوفا دل عليه قوله تعالى فاما من طغى الى آخر الآية كأنه قيل فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك اى فان الطاغى للجحيم وهى مأواه وان الخائف للجنة وهى مأواه فان قيل على ماذكرت يكون الجواب هو الجملة الشرطية المصدرة باما التفصيلية الدالة على تفصيل ما اجمل سابقا ولم يسبق فى الكلام مجمل حتى تكون كلمة اما تفصيلا له فيكون لغوا خاليا عن الفائدة قلنا انها ليست للتفصيل هنا بل هى حرف جئ بها لتوكيد ترتب الجزاء على الشرط وبيان ان الحكم ثابت البتة كما فى قولك اما زيد فطلق فان معناه مهما يكن من شئ فزيد طلق اى ان يقع فى الدنيا شئ يقع انطلاق زيد مترتبا عليه والمقصود القطع بوقوع الانطلاق حيث جعل وقوعه لازما لوقوع شئ ما فى الدنيا وفى شرح الرضى جواز السكوت على مثل قولك اما زيد فقائم برفع دعوى لزوم التفصيل فيها ويحتمل ان يكون قوله اوما بعده معطوفا على قوله يوم يتذكر والمعنى اودل على الجواب المحذوف مابعد قوله يوم يتذكر الانسان من التفصيل وتقدير الكلام فاذا جاءت الطامة الكبرى تقع مالايدخل تحت الوصف والبيان ويكون قوله فاما من طغى تفصيلا لذلك المحذوف (قوله واللام فيه سادة مسد الاضافة) اى الى مايعود الى المبتدأ يعنى انه لابد فى الخبر من رابط يربطه بالمبتدأ اذا كان جملة وكلمة من فى قوله من طغى موصولة فى موضع الرفع على الابتداء وقوله طغى صلتها وقوله فان الجحيم هى المأوى خبره ولاضمير فيه يعود الى المبتدأ فذهب البصريون الى ان تقدير الكلام فان الجحيم هى المأوى له وانما حذف لطول الكلام وذهب الكوفيون الى ان تقديره فان الجحيم هى مأواه فسد الالف واللام مسد العائد لعدم الالتباس يعنى ان ترك التعريف بالاضافة لعدم الحاجة الى تعريف المأوى بالاضافة الى صاحبها لان كل احد علم ان صاحب المأوى هاهنا هو الطاغى فلم يحتج الى الرابط لعدم الالتباس ترك العائد ولم يضف الاسم بل عرف تعريف الحقيقة للدلالة على ان حقيقة المأوى فى حقه هو الجحيم ليس الا وليست اللام فى المأوى لتعريف العهد اذ لم يسبق حصة من الحقيقة معهودة بين المتكلم والمخاطب

دل عليه يوم يتذكر الانسان اوما بعده من التفصيل (فاما من طغى) حتى كفر (وآثر الحياة الدنيا) فانهمك فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس (فان الجحيم هى المأوى) هى مأواه واللام فيه سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغى وهى فصل او مبتدأ

(لاضميرفيها)

لاضمير بحثا ولا كناية فقوله واللام فيه سادة مسد الاضافة ليس معناه انه ترك الاضافة الى الضمير العائد واقيم حرف التعريف مقامها من حيث ان حرف تعريف العهد يغني غناء الاضافة الى الضمير في افادة الربط بل معناه انه ترك الاضافة الى الضمير لعدم الاحتياج الى مايدل على الربط وعرف الاسم تعريف الجنس مع توسيط ضمير الفصل بينه وبين اسم ان لافادة الحصر ومثل هذا الضمير لاموضع له عند الخليل وبعض العرب يجعله مبتدأ ومابعده خبره (قوله مقامه بين يدى ربه) يعني ان المقام انما هو للعبد واضيف اليه تعالى للملابسة له تعالى من حيث كونه بين يديه ومقاما لحسابه والعبد انما يخاف من ذلك المقام لعلمه بالمبدأ والمعاد فان الخشية من الله تعالى نتيجة العلم به والخشية من مقام الحساب نتيجة العلم بالمعاد ولما كان الخوف من الله تعالى سببا وعلة لمخالفة الهوى ونهى النفس عن الهوى قدمه عليه ضرورة تقدم العلة على المعلول وكما ان الطغيان وايثار الحياة الدنيا والذهول عن الآخرة اصل لجميع القبائح والسيئات فكذلك الخوف من الله تعالى ومخالفة الهوى اصل لجميع الطاعات والحسنات ولذلك كان الوصفان الاولان سببا لكون صاحبهما من اهل الجحيم وكان الوصفان الاخيران سببا للسعادة الابدية (قوله متى ارساؤها) على ان ايان ظرف زمان بمعنى متى مبني على الفتح لتضمنه معنى حرف الاستفهام وان المرسى مصدر بمعنى الارساء وهو الاثبات فان المصدر الميمي واسمي الزمان والمكان مما زاد على ثلاثي يكون على لفظ اسم المفعول فيه وقوله تعالى مرساها مبتدأ وايان خبره (قوله او منتهاها ومستقرها) على ان يكون المرسى اسم مكان ينتهي اليه المتحرك ويستقر فيه كمرسى السفينة كأن الساعة شئ متحرك يجرى الى جانب الوقوف مثل جريان السفينة الى مستقرها وكان المشركون يسمعون اخبار القيامة واوصافها الهائلة مثل انها طامة كبرى وصاخة وقارعة فيسألون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن وقت وقوعها قائلين ايان مرساها استعجالا لها واستهزاء بمن يخبر عنها وايهاما لاتباعهم انه لااصل لها كما قال تعالى يستعجل بها الذين لايؤمنون بها (قوله من ان تذكر وقتها لهم) اشارة الى ان قوله من ذكراها فيه مضاف محذوف وهو الوقت وصلة محذوفة هي لهم والقرينة الدالة عليهما ذكره في مقابلة حكاية سؤال الكفار عن وقت اتيانها فان ايان مرساها سؤال منهم عن وقت اتيانها وفيم انت في مقابلة حكاية سؤالهم وهي قرينة دلت على ذينك المحذوفين والمعنى ما انت في شئ من ان تبين وقتها لهم لانك لاتعلم وقتها لان الاستفهام في قوله فيم انت للانكار اى ان تبين وقتها لهم لايزيدهم الا عمى فعلى هذا انت مبتدأ وفيم خبره قدم عليه

(واما من خاف مقام ربه) مقامه بين يدى ربه لعلمه بالمبدأ والمعاد (ونهى النفس عن الهوى) لعلمه بانه مرد (فان الجنة هى المأوى) ليس له سواها مأوى (يسألونك عن الساعة ايان مرساها) متى ارساؤها اى اقامتها واثباتها او منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة وهو حيث تنتهي اليه وتستقر فيه (فيم انت من ذكراها) في اى شئ انت من ان تذكر وقتها لهم اى ما انت من ذكراها لهم وتبيين وقتها في شئ فان ذكراها لايزيدهم الا غيا ووقتها مما استأثره الله تعالى بعلمه

وذلك يدل على ان ذلك الفعل منكر لا يتصور وقوعه ممن جبل على خلق عظيم وبعث رحمة للعالمين وانما المتصور ان يقع ذلك من غيره وان يشكو المتكلم الى المخاطب منه وهو انكار عظيم لوقوعه فيكون ذكر ذلك المستبهر انه نو صف الاعمى مفيد الزيادة الانكار عليه كأنه قيل قد استحق ذلك المسكين منك العبوس والاعراض عنه وكان من حقه ان يزيد لعماه العطف والاهتمام بامره كما ان وجه الالتفات من الغيبة الى الخطاب في قوله تعالى وما يدريك هو زيادة الانكار على فعله فانه تعالى صور فعله مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في صورة من يشكو الى احد جانيا جنى عليه ويقبل على الجاني حين التهب غضبه وحمى رأسه مواجها اياه بالتوبيخ والزام الحجة فكان الالتفات الواقع في الآية لمزيد الانكار فان قيل ان ابن مكتوم كان قد استحق التأديب والزجر لانه وان كان لا يرى القوم لعماه لكنه لصحة سمعه كان يسمع مخاطبة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم مع اولئك الكفار ويعرف بذلك شدة اهتمامه صلى الله تعالى عليه وسلم بشأنهم فيكون اقدامه على قطع كلامه عليه الصلاة والسلام ايذاء له ولاشك ان ايذاءه عليه الصلاة والسلام معصية عظيمة وايضا الاهم مقدم على المهم وقد كان ابن ام مكتوم اسلم وتعلم ما يحتاج اليه من امر الدين بخلاف الصناديد المذكورة فانهم لم يسلموا بعد وقد كان اسلامهم سببا لاسلام جمع عظيم فكان الاستمرار على دعوتهم وتقرير الدلائل لهم والزام الحجة عليهم اهم والبق بحاله عليه الصلاة والسلام وكان قطع الكلام معهم والاقبال على ابن ام مكتوم تقديما للمهم القليل على خير العظيم ولاوجه له فثبت بهذين الوجهين ان ابن ام مكتوم كان يستحق التأديب والزجر فكيف عاتب الله تعالى رسوله على ان ادبه بترك الاقبال عليه والتولي عنه والحال انه عليه الصلاة والسلام انما بعث ليؤدب المؤمنين ويعلمهم محاسن الآداب واجيب عنه بوجهين احدهما ان الامر كما ذكر الا انه عليه الصلاة والسلام عوتب بناء على ان ما فعله يوهم ظاهره تقديم الاغنياء على الفقراء وقلة المبالاة بانكسار قلوب الفقراء وهو لا يليق بمنصب النبوة وثانيهما ان ابن ام مكتوم وان كان قد استحق التأديب والتولي الا انه تعالى لم يعاتبه عليه الصلاة والسلام على ذلك بل على ما كان في قلبه من الميل اليهم بسبب قرابتهم وعلو منصبهم وشرفهم وان لم يعرض عنه عن الاعمى بسبب عماه وعدم قرابته وقلة شرفه فلما كان العبوس والتولي لهذه الداعية لا لاجل تأديبه على ما ارتكبه من الذنب عوتب على ذلك (قوله واي شيء يجعلك داريا بحاله) اي بحال هذا الاعمى قدر لفعل الدراية مفعولا ثانيا على ان قوله لعله يزكى ليس مفعوله بل تم

(وما يدريك لعله يزكى) اي واي شيء يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف منك وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره (او يذكر فتنفعه الذكرى) او يتعظ فتنفعه موعظتك

الكلام عند قوله ومايدريك ووقف عليه وبدأ بما بعده على معنى ومايطلعك على امره وعاقبة حاله على ان الاستفهام بمعنى النفى اى لايدريك شئ ثم ابتدأ وقال لعله يزكى على ان ضمير لعله للاعمى ولعل فى كلامه تعالى مستعمل فى معنى القطع والتحقيق مجازا فان لعل ونحوه فى كلام العظماء يراد بهما ذلك وتلقف الشئ تناوله بسرعة والمراد به ههنا الاستفادة والتعلم (قوله وقيل الضمير فى لعله للكافر) فعلى هذا كلمة لعل على اصل معناها الذى هو الترجى الكائن من قبله صلى الله تعالى عليه وسلم ولذلك قال انك طمعت فى اسلامه الخ (قوله وقرأ عاصم) اى قرأ فتنفعه بالنصب والباقون بالرفع فمن رفعه جعله معطوفا على يذكر ومن نصبه نصبه على انه جواب لعل بالفاء فان الفعل المضارع ينتصب بان مقدره بعد الفاء بشرطين احدهما السببية وثانيهما ان يكون قبلها احد الاشياء الستة الامر والنهى والاستفهام والنفى والتمنى والعرض ولا شبهة فى تحقق الشرط الاول ههنا بخلاف الشرط الثانى فانه غير محقق بحسب الظاهر الا انه حمل الترجى على التمنى من حيث ان متعلق كل واحد منهما غير موجود بل مطموع الحصول بعد فقدرت ان بعد الترجى كما قدرت بعد التمنى ليكون الفعل معهما فى تأويل المصدر فعطف المصدر على المصدر الاول هربا من عطف الاخبار على الانشاء فتقدير الآية فلعله يكون منه تذكر فانتفاع ونظيره قوله تعالى لعلى ابلغ الاسباب ثم قال فأطلع بالنصب على قرآءة حفص والمعنى لعله يكون منى بلوغ الاسباب فالاطلاع الى اله موسى ويحتمل ان تكون كلمة لعل ههنا للتمنى كما يدل عليه عبارة الكواشى حيث قال ونصب على جواب التمنى قال صاحب المفتاح وسبب مجئ لعل بمعنى التمنى فى قولهم لعلى ساحج فأزورك بالنصب هو بعد المرجو عن الحصول (قوله تعالى اما من استغنى) اى عن الله تعالى وعن الايمان وعن التزكى بما له من المال كذا روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه وقول المصنف فيما بعد يسرع طالبا للخير يدل على ان المعنى ههنا من استغنى عن طلب الخير مطلقا والتصدى للشئ عبارة عن التعرض له والتقيد به والاهتمام بشأنه بالقلب والقالب بان يقبل عليه بوجهك وتميل اليه بقلبك وضده التشاغل عنه بالميل الى غيره ويقال له التلهى والتغافل واصل تصدى تصدد يقال تصدد للشئ يتصدد اذا كان فى صدده وقربه ومواجهه والصدد ما استقبلك وصار فى قبالتك وفى الصحاح الصدد القرب يقال داره صدد دارى اى قبالتها نصب على الظرف وحذف تاء التفعل من تصدد للتخفيف وابدل الدال الاخيرة ياء كما فى تقضى البازى ومن قرأ تصدى بتشديد الصاد ادغم تاء التفعل

وقيل الضمير فى لعله للكافر اى انك طمعت فى تزكيه بالاسلام وتذكره بالموعظة ولذلك اعرضت عن غيره فمايدريك ان ماطمعت فيه كائن وقرأ عاصم بالنصب جوابا للعل (اما من استغنى فانت له تصدى) تتعرض بالاقبال عليه واصله تتصدى وقرأ ابن كثير ونافع تصدى بالادغام وقرئ تصدى اى تعرض وتدعى الى التصدى

(و ما عليك ألا يزكى) و ليس عليك بأس فى ان لايتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ (واما من جاءك يسعى) يسرع طالبا للخير (وهو يخشى) الله او اذية الكفار فى اتيانك او كبوة الطريق لانه اعمى لاقائد له (فأنت عنه تلهى) تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى ولعل ذكر التصدى والتلهى للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغنى وتلهيه عن الفقير ومثله لاينبغى له ذلك (كلا) ردع عن المعاتب عليه او عن معاودة مثله (انها تذكرة فمن شاء ذكره) حفظه او اتعظ به والضميران للقرآن او العتاب المذكور وتأنيث الاول لتأنيث خبره

فى الصاد بعد قلبها صادا وقرئ تصدى بضم التاء وبتخفيف الصاد اى تحمل وتدعى الى التعرض والتصدى له اى يدعوك داع الى التعرض والتصدى له من الحرص والتهالك على اسلامه (قوله وليس عليك بأس) اشارة الى ان ما فى وماعليك نافية بمعنى ليس حذف اسمها وعليك خبرها وقوله ألا يزكى فى موضع الجر بكلمة فى المقدرة المتعلقة باسم لا وهو بأس المقدر والجملة فى موضع النصب على انها حال من فاعل تصدى مقررة لجهة الانكار ويجوز ان تكون كلمة ما استفهامية على معنى اى شئ عليك ان لايتزكى بالاسلام من بدعوه اى لاشئ عليك فيه ويؤول المعنى الى كونها نافية وقوله يسعى حال من فاعل جاءك وقوله وهو يخشى جملة حالية من فاعل يسعى على التداخل اى يسعى حال كونه خائفا من الله تعالى ان يقصر فى اداء شئ من تكاليفه وما اوجبه عليه (قوله للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغنى وتلهيه عن الفقير) لابمجرد تعبيس الوجه والتولى عنه ووجه الاشعار انه تعالى ذكر المتصدى له بوصف الاستغناء فاشعر ذلك ان سبب العتاب على تصديه عليه الصلاة والسلام هو جعل تصديه متعلقا بالمستغنى وكذا وصف المتلهى عنه بالسعى الى الخير والافتقار والخشية يدل على ان سبب العتاب هو التلهى عن من اتصف بالوصف المذكور والظاهر ان المراد بالغنى المستغنى عما دعى اليه من التزكى بالايمان والطاعة وبالفقير الطالب المحتاج الى ذلك فانه عليه الصلاة والسلام حاشاه ان يكون تصديه للصناديد لاجل شدتهم وكثرة اموالهم وتلهيه عن الاعمى لعدمه وفقد ماله (قوله ردع عن المعاتب عليه) وهو تلهيه عليه الصلاة والسلام عمن جاءه يسعى وهو يخشى وتصديه لمن استغنى عن الحسن انه قال لما نزل جبريل عليه الصلاة والسلام على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هذه الآيات عاد وجهه كانما اسف فيه الرماد ينتظر ما يحكم الله تعالى عليه فلما قال كلا سرى وانكشف (قوله والضميران) اى ضمير انها وضمير ذكره فان كانا للقرآن يكون وجه ارتباط هذه الآية بما قبلها انه تعالى لما ذكر استغناء الصناديد عن قبول ما عاهم اليه عظم شأن القرآن ووصفه بانه هدى للناس وتذكرة لهم وليس شرفه وعلو قدره بقبول الصناديد اياه حتى تتهالك على قبولهم اياه بل ان شرف الخلق بقبولهم اياه واتعاظهم به فمن شاء اتعظ به فاقتصر على تبليغه اليهم ودع الحرص على قبولهم وايمانهم واياك ان تعرض عمن آمن به تطلبا لقلوب من استغنى عنه وان كان الضميران للعتاب يكون وجه الارتباط انه تعالى لما عاتب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ماوقع منه من الاهتمام باسلام

الصادىد لصمه وله المالاة ىسأن صعفاء المسلمين مع حلالة قدره الشريف عىده تعالى عقبه بقوله ان هده المعاتبة تذكرة اى موعطة للساممين فا تعطوا انهسا يامعاشر من يطلب تحلية النفس بالاحلاق الحميدة والآداب المرضة ولازموا ىاحلال الفقراء الطائعين تزكية نفوسهم عن المعاصي وتحليهسا بالطاعات (قوله صفة لتذكره) فيكون قوله فمن شاء ذكره جلة معترضه بين الصفة وموصوفهسا وان كان في صحف خبرا ثانيا لقوله انهسا تكون الجملة معترضة بين الخبرين نقل عن صاحب الكشاف انه انكر كونها اعتراضا وقال شرط الاعتراض ان يكون بالواو اومجردا عنهسا واما الاعتراض بالفاء فغير مفهوم واجيب بان هذا النقل منه ينافي ما صرح به الزمخشري في قوله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون في سورة النحل من انه من الاعتراض على بعض الوجوه ويحتمل ان يكون في صحف حالا من ضميرانهسا وعلى التقديرين لايوقف على قوله فمن شاء ذكره ويوقف عليه ان جعل في صحف خبرمبتدأ محذوف اى هي في صحف وهو جمع صحيفة وهي الصحف التي انتسختهسا الملائكة من اللوح وهي مكرمة عند الله مرفوعة في السماء ويحتمل ان يكون المراد بالصحف صحف الانبياء عليهم الصلاة السلام لقوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى وهي صحف الانبياء المتقدمين اشار المصنف الى الاحتمالين بقوله كتبة من الملائكة او الانبياء ينسخون الكتب من اللوح او الوحي والسفرة كالكتبة لفظا ومعنى جمع سافر وهو الكاتب من سفر اذا كتب والسفر بالكسر الكتاب وبالفتح مصدر بمعنى الكتابة (قوله اوسفراء) عطف على قوله كتبة اى ويحتمل ان يكون سفرة جمع سافر بمعنى سفير وهو الرسول الذى شأنه السفارة والتبليغ والى المعنيين اشار المصنف بقوله جمع سافر من السفر او السفارة وهي الرسالة اما من الله تعالى الى الرسل فكون السفرة الملائكة واما من الله تعالى الى الامة فالسفرة بهذا المعنى هم الرسل من البشر (قوله والتركيب للكشف) اى تركيب حروف السفرة سواء كان من السفر بمعنى الكتابة او من السفارة بمعنى الرسالة والتبليغ ينبئ عن معنى الكشف والتبيين اما على الاول فلأن في الكتابة معنى الكشف والوضوح ويقال للكتاب سفر وللكاتب سافر لان كل واحد منهما يبين الشئ ويوضحه واما على الثاني فلأن السفير يعبر عن مرسله ويكشف عنه حكمه ولما ذكر السفرة اثنى عليهم بوصفين الاول انهم كرام اى يكرمون عند الله تعالى والثاني انهم بررة اى اتقياء مطيعون فان كل واحد من الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام كذلك قال الامام قوله تعالى مطهرة

(في صحف) مثبتة فيها صفة لتذكرة اوخبر ثان لان او خبر محذوف (مكرمة) عند الله (مرفوعة) مرفوعة القدر (مطهرة) منزهة عن ايدي الشياطين (بايدي سفرة) كتبة من الملائكة او الانبياء ينسخون الكتب من اللوح او الوحي او سفراء يسفرون بالوحي بين الله تعالى ورسله او الامة جمع سافر من السفر او السفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المرأة اذا كشفت وجهها (كرام) اعزاء على الله تعالى اومتعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم (بررة) اتقياء

بأيدي سفرة تقتضي ان تكون طهارة تلك الصحف انما حصلت بأيدي هؤلاء السفرة فقال القفال في وجهه انها لما كانت لا يمسها الا الملائكة مطهرون قيل ذلك وهو قصر اضافي والمراد تنزيهها عن ايدي الشياطين كما اشار اليه المصنف بقوله منزهة عن أيدي الشياطين وما ذكر من قول الامام مبني على ان تكون الباء في قوله تعالى بأيدي سفرة متعلقة بمطهرة وليس بلازم لجواز تعلقها بمحذوف هو صفة لصحف اي صحف كائنة بأيدي سفرة ويجوز ايضا تعلقها بما تعلق به كلمة في في قوله في صحف اي انها مثبتة في صحف كذا بأيدي سفرة كذا (قوله دعاء عليه باشنع الدعوات) فان القتل اشد شرا وأشده فان قيل الدعاء على الانسان انما يليق بالعاجز والقادر على كل شئ كيف يليق به ذلك اجيب بان ذلك ورد على اسلوب كلام العرب فانهم اذا انكروا فعل احد يقولون قاتله الله والمقصود بيان انهم استحقوا اعظم انواع العقاب حيث اتوا باشنع القبائح فانه تعالى لما وصف الصادقين بالاستغناء عن الهدى والتمادي في الاغترار بمالهم من اسباب الردى وهددهم بقوله فمن شاء ذكره عقب عباده المؤمنين من ترفع الكفار عن الذكر والاتعاظ بهذه التذكرة النافعة والذكر الحكيم كأنه قيل اي سبب في هذا الاستغناء والترفع مع ان اوله نطفة قذرة وآخره جيفة مذرة وهو فيما بين الوقتين حامل العذرة فقال قتل الانسان ما اكفره وهو صيغة تعجب والتعجب حالة انفعالية تعرض للانسان عند مشاهدة ما خفي سببه فهو تعالى منزه عن ذلك فذلك تعجيب من الله تعالى لخلقه اي اعجبوا من كفره بالله تعالى مع وضوح دلائل الوهيته ووحدانيته وكمال قدرته ونفاذ مشيئته ومن كفره بدلائل نعمه مع معرفته بكثرة احسانه اليه من بدء خلقه الى ان تتوارى في قبره ويحتمل ان تكون كلمة ما في ما أكفره استفهامية ويكون معنى الاستفهام فيه التقريع والتوبيخ اي اي شئ حمله على الكفر قال المفسرون نزلت الآية في عتبة بن ابي لهب وقيل المراد بالانسان الصناديد الذين اقبل عليه الصلاة والسلام عليهم وترك ابن ام مكتوم بسببهم وقيل المراد ذم كل كافر ترفع بسبب غناه على الفقراء لفقرهم لانه تعالى اعادهم لعتوهم فوجب أن يعم الحكم بسبب عموم العلة (قوله بيان لما انعم عليه) لتصحيح كفرانه نعم الله تعالى واستدأ باول ما انعم به عليه من مبدأ حدوثه وهو خلق مثل هذه الصورة البهية من مثل تلك المادة الحقيرة لكون هذه النعمة اصلا لجميع النعم المتعلقة به الى آخر عمره والخصوصية وصف للنعمة التي نبهنا بقوله من مبدأ حدوثه فان حدوث من هو في احسن تقويم من مثل تلك المادة نعمة جليلة ولا وجه لجعلها وصفا للمنعم عليه لان

(قتل الانسان ما اكفره) دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه في الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ (من أي شئ خلقه) بيان لما انعم عليه خصوصا من مبدأ حدوثه

النعمة المذكوره ليست مخصوصة بالانسان الذى دعى عليه بقوله قتل الانسان صرورة ان ما فيه من التعريف ليس للاستغراق ولا للجنس الحقيقة فلابد ان تكون الاشاره الى حصة معينة تعيينا نوعيا او شخصيا (قوله والاستفهام للتحقير) اى لتحقير اصلة للاشعار بان كل من كان اصله مثل هذا الشئ الحقير كيف يليق به التكبر والكفران بحق من انعم عليه بهذه النعمة الجليلة كما قال الحسن كيف يتكبر من خرج من سبيل البول مرتين (قوله فهيأه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال) لما كان خلق الشئ عبارة عن احداثه على وفق التقدير كان متفرعا على التقدير وقد جعل التقدير فى الآية متفرعا على الخلق حيث قيل خلقه فقدره اولذلك فسر التقدير المعطوف على الخلق بالتهيئة فان التقدير قد يستعمل بمعنى التهيئة ايضا وقال قدره فمقدر بمعنى هيأه فهيأه فالمعنى احدثه احداثا راعى فيه التقدير الازلى فى حقه مما يتعلق باعضائه واشكاله وكماله وكونه فهيأه لما يصلح له من الاحوال العارضة له والمصالح المتعلقة به فى بابى الدين والدنيا (قوله او فقدره اطوارا) اى ويجوز ان يكون الفاء للترتيب فى الذكر بان يكون قوله فقدره تفصيلا لما اجمل بقوله من نطفة خلقه فانه وان وقع جوابا لقوله من اى شئ خلقه الا انه اجمل فيه كيفية خلقه من النطفة ففصل ذلك المجمل بقوله فقدره اى قدر فى حق ذلك المخلوق اطوارا نطفة ثم علقة الى آخر خلقه ذكرا وانثى شقيا او سعيدا وانما عطفه بالفاء لان التفصيل يعقب الاجمال (قوله والهمه ان ينكس اى ينقلب عن الهيئة التى كان الجنين عليها فى بطن امه فان رأسه وهو فى بطن امه كان الى جانب صدر امه ورجليه الى جانب رجلها وكانت فوهة الرحم غير مفتوحة قبل وقت الولاده فاذا جاء وقت الولاده انفتحت فوهة الرحم وانتكس المولود بان ينقلب وتصير رجلاه الى جانب صدر امه ورأسه الى جانب المخرج فيخرج رأسه اولا ولا يخفى ان ما ذكر تسهيل لسبيل الخروج فانه لولا الانفتاح والانتكاس لما تأتى الخروج (قوله او ذلل له سبيل الخير والشر) اى ويجوز ان يكون المراد تسهيل الذى يختار سلوكه من طريق الخير والشر وتيسيره الاقدار على سلوكه وتمكينه منه والهداية الى غاية كل واحد منهما بعثة الانبياء وانزال الكتب واعطاء العقل المميز والهوى والاعضاء المستوية (قوله وتعريفه باللام) يعنى ان الكلام فى الانسان المدعو عليه وبيان ما انعم عليه فالمناسب للمقام ان يقال ثم يسر سبيله باضافة السبيل اليه الا انه عرف باللام للاشعار بانه غير مختص به بل هو سبيل عام لجميع المكلفين من الانس والجن على المعنى الثانى وللحيوانات ايضا على المعنى الاول (قوله وفيه على المعنى الاخير ايماء) وجه الايماء انه لما فسر السبيل بسبيل الخير والشر فهم ان المكلف مادام فى هذه

والاستفهام للتحقير ولذلك اجاب عنه بقوله (من نطفة خلقه فقدره) فهيأه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال او فقدره اطوارا الى ان اتم خلقته (ثم السبيل يسره) ثم سهل مخرجه من بطن امه بان فتح فوهة الرحم والهمه ان ينكس او ذلل له سبيل الخير والشر ونصب السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة فى التيسير وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار بانه سبيل عام وفيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه بقوله

الدار فهو ان السبيل وان سبله يؤديه اما الى خير واما الى شر اى الى دار الجزاء بالثواب والعقاب والدار الآخرة هى الدار التى تقربها ويؤيد حمل السبيل على هذا المعنى انه حينئذ يحسن انتظام ما بعد هذه الآية بها (قوله وعد الاماتة والاقبار فى النعم) لانه جعل قوله تعالى من اى شئ خلقه الى قوله كلا مسوقا لبيان ما انعم الله تعالى به على الانسان وكفرانه به ووجه كون الاماتة والاقبار نعمة بين وجه ذلك بان الاماتة وصلة فى الجملة الى الحياة الابدية وبان الاقبار تكرمة وصيانة للميت عن كونه طعمة للسباع واعا قال وصلة فى الجملة لان كونها وصلة الى ما ذكر انما هو بالنسبة الى المؤمن لا الكافر لا يقال الكلام ههنا فى الكافر بقرينة قوله قتل الانسان ما اكفره فكيف تعد الاماتة نعمة فى حقه مع ان الموت فى حقه مفتاح لكل بلاء ومحنة لانا نقول الاماتة فى نفسها شأنها ان تكون نعمة للميت يتخلص بها من سجن الدنيا الى سعة عالم الآخرة وكونها نقمة فى حق الكافر انما هو من سوء اعتقاده وسيئات اعماله (قوله والامر بالقبر) منصوب بالعطف على الاماتة فان قيل من اى شئ استفيد الامر بالقبر والحال انه ليس ههنا صيغة الامر قلنا هو مستفاد من قوله تعالى فاقبره فانه يقال قبر الحى الميت يقبره من باب نصر اذا دفنه بيده والقابر هو الدافن بيده ولا يقال اقبر الميت الا اذا امر غيره بان يجعله فى القبر فالمقبر هو الله تعالى لانه هو الآمر بان يدفن اموات بنى آدم فى القبور اكراما لهم ولو القوا على وجه الارض كسائر الحيوانات لصار واجزرا للطير والسباع والمراد بالانشار الاحياء والبعث منقول من نشر الميت ينشر نشورا اذا عاش بعد الموت (قوله غير متعين فى نفسه) اى كما انه غير متعين فى علمنا ولعل الوجه فيه ان تعين الوقت فى نفسه متفرع على بقاء الافلاك وحركاتها وتكون الليل والنهار ونشور الاموات انما يكون بعد خراب العالم فلا يسلم لنا ان نقول ان وقت النشور متعين فى نفسه وان لم نعلمه بخصوصه لان تعين الوقت فى نفسه فرع تحققه وما لم يتحقق فى نفسه كيف يحكم عليه بانه متعين فى نفسه بخلاف الامور الواقعة حال بقاء العالم على حاله فان الموت مثلا وان لم يتعين وقت وقوعه بالنسبة الينا الا انه متعين فى نفسه من حيث انه لا يقع الا فى حد معين من حدود الزمان (قوله لم يقض بعد من لدن آدم عليه الصلاة والسلام الى هذه الغاية) اشارة الى ان فى لما توقعا وانتظارا ولذلك قال تعالى لما يقض ولم يقل لم يقض لان قضاء المأمور به كان متوقعا فى زمن كل احد لتعاضد دلائل وجوبه عليه وتحقق ما هو مناط التكليف فيه من العقل والتمييز وسلامة القوى الظاهرة والباطنة ومعنى بعد فى مثل هذا الموضع بالفارسية هنوز وكان اصله بعد ما مضى من الزمان الى هذا الوقت

(ثم اماته فأقبره ثم اذا شاء انشره) ﴿وعد﴾ الاماتة والاقبار فى النعم لان الاماتة وصلة فى الجملة الى الحياة الابدية واللذات الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفى اذا شاء اشعار بان وقت النشور غير متعين فى نفسه وانما هو موكول الى مشيئته تعالى (كلا) ردع للانسان عما هو عليه (لما يقض ما امره) لم يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله باسره اذ لا يخلو احد من تقصير ما

(ثم حذف)

(فلينظر الانسان الى طعامه) اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية (انا صببنا الماء صبا) استئناف مبين لكيفية احداث الطعام وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال

ثم حذف المضاف اليه وبنى بعد على الضم وقوله من لدن آدم الخ بدل من قوله بعد حين به ابراز المعنى التوقع المدلول عليه بلفظ لما * نقل الامام عن مجاهد انه قال فى تفسير الآية لا نقضى احد جميع ما كان مفروضا عليه ابدا وهو اشارة الى ان الانسان لا ينفك عن تقصير البتة ثم قال وهذا التفسير عندى فيه نظر لان قوله لما يقض الضمير فيه عائد الى المذكور السابق وهو الانسان فى قوله قتل الانسان ما اكفره وليس المراد من الانسان ههنا جميع الناس بل الانسان الكافر المترفع المتكبر فانه لم يقض ما امره الله تعالى به من ترك الكفر والتكبر بان يتأمل فى دلائل الله تعالى ويتدبر فى عجائب خلقه وبينات حكمته فكيف يصح ان يقال فى تفسير الآية لا نقضى احد ما كان مفروضا عليه وكلمة ما فى قوله ما امره موصولة وعائدها يجوز ان يكون محذوفا والتقدير ما امره به فحذف الجار اولا وبقى ما امره هو ثم حذف العائد ثانيا ويجوز ان يكون باقيا ويكون المحذوف من الهاء من هو العائد الى الانسان والباقى هو العائد الى الموصول فاعرفه وقس عليه امثاله ثم انه تعالى لما ذكر خلق ابن آدم من شئ حقير قليل وهو اول ما انعم به عليه فى مبدأ حدوثه ثم ذكر بعض ما يترتب عليه من النعم الموجبة للشكر ليصح ان تكذيبهم وكفرانهم فى غاية القباحة والشناعة ذكر بعده ما انعم به عليه من النعم الخارجية وامره بالنظر اليه والتأمل فيه فقال فلينظر الانسان الى طعامه الذى يعيش به كيف دبرنا امره ولا شك انه موضع للاعتبار (قوله اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية) فان ما ذكر الى ههنا من النعم الموجبة للشكر نعم ذاتية متحققة فى نفس الانسان وهى خلقه بانزال النطفة من صلب الآباء الى ارحام الامهات وتصويره بأحسن الصور والهيئات وما يتعاقب عليه من الاطوار والحالات الى ان ينتهى الى دار الابد وما ذكره ههنا نعم خارجة عنه يحتاج اليها الانسان فى معاشه وبين انه كيف دبر فى خلق طعامه الذى هو قوام حياته واقوى اسباب معاشه التى يستعد بها لمواده وذكر ان ذاته كما تكون بنزول ماء الرجل الى رحم المرأة كذلك طعامه انما يحصل بنزول الماء من السماء الى الارض وبما يتبعه من التدبيرات المتعلقة بتولده من الارض وبلوغه الى اقصى كماله * قرأ ما عدا الكوفيين انا صببنا بكسر الهمزة على الاستئناف وقرأ الكوفيون بفتحها على ان الجملة بدل من الطعام كانه قيل فلينظر الانسان الى انا صببنا الماء فان تكون الطعام وحدوثه من الارض بالاسباب المذكورة وكيفية حدوث المطر وبقائه معلقا فى جو السماء مع كثرته وغاية ثقله وغير ذلك مما يحير العقل عن ادراكه والمعنى فلينظر كيف حولنا احوال طعامه كما حولنا احوال نفسه فى بدء خلقه وجعله من بدل الاشتمال لان انصباب الماء وانشقاق الارض

سبب لحدوث الطعام ويكون بينهما استعمال السببية فان الواجب في بدل الاشتمال ان يكون بينهما علاقة بغير الكلية والجزئية وقد حصلت * والكراب قلب الارض للحرث (قوله واسند الشق الى نفسه) اي جعل اسناد الشق بمعنى الكراب اليه تعالى مجازا مع انه تعالى هو الموجد لجميع الاشياء من الجواهر والاعراض لكونه اسنادا الى غير ماهو له لان المراد بما هوله ما يكون معنى الفعل قائما به وصفاله وحقه ان يسند اليه سواء كان مخلوقا له اولغيره وسواء كان صادرا عنه باختياره كضرب اولا كمرض ومات فاسناد نحو الضرب الى من قام به حقيقة والى موجده الذي هو الباري تعالى مجاز ولاشك ان شق الارض قائم بمن حرثها وقلبها (قوله لانها تقضب مرة بعد اخرى) فصارت لكثرة قضبها كانها عين القضب فسميت قضبا للمبالغة فيه (قوله غلبا) الغلب جمع اغلب اوغلباء كحمر في جمع احمر اوحمراء واصله في وصف الرقاب يقال رجل اغلب واسد اغلب اي غليظ العنق وامرأة غلباء اي غليظة العنق وجماعة غلب اي غلاظ الاعناق ذكر المصنف في وجه توصيف الحدائق بالغلب قولين الاول ان الحديقة الواحدة سميت غلباء توصيفا لها بوصف مجموع اشجارها الملتفة المتكثرة بحيث صارت كانها شيء واحد ضخم عظيم يشبه الرقبة الغلباء فالحديقة الواحدة لما وصفت بالغلباء بهذا الوجه وصفت الحدائق بالغلب والقول الثاني انه وصفت الحدائق بالغلب لكونها ذوات الاشجار الغلاظ الرقاب فوصفت بوصف اشجارها (قوله ومرعى) المرعى الذي لم يزرعه الناس سمي ابا اما لانه يؤب اي يؤم ويقصد جزه لاجل الدواب والاب والام اخوان والنجعة بالضم طلب الكلأ في موضعه واما لانه يؤب ويهيأ للرعي على انه من اب لكذا اذا تهيأ له (قوله تعالى متاعا لكم ولانعامكم) اي تمتيعا منصوب على انه مفعول له لقوله فانبتنا اي انبتنا ذلك كله تمتيعا لكم (قوله وصفت بها مجازا) فان الصاخة اسم فاعل من صخ لحديثه اي اصغى واستمع فهو صاخ اي مصغ ومستمع والنفخة ليس من شانها ان تصغي وتسمع بل الناس هم الذين يصخون لها فاسند الاصغاء والاستماع الى النفخة المسموعة مثل عيشة راضية اي مرضية وقيل سميت صيحة القيامة صاخة لانها تصخ الاذان اي تصمها لشدة صوتها يقال صخ الصوت الاذن يصخها صخا فهو صاخ اذا اصمها فعلى هذا يكون الاسناد حقيقيا ووجه ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى لما بين ما انعم به على الانسان من النعم الداخلة والخارجة توبيخا وتقريعا لمن كفر بها وحثا على شكرها بالايمان والطاعة شرح بعده احوال القيامة للمناسبة بين شرحها وبين تعداد النعم المذكورة في كونها

(ثم شققنا الارض شقا) بالنبات او بالكراب واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب (فانبتنا فيها حبا) كالحنطة والشعير (وعنبا وقضبا) يعني الرطبة سميت بمصدر قضبه اذا قطعه لانها تقضب مرة بعد اخرى (وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا) عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها اولانها ذات اشجار غلاظ مستعارا من وصف الرقاب (وفاكهة وأبا) ومرعى من أب اذا ام لانه يؤم وينتجع اومن اب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعي اوفاكهة يابسة تؤب للشتاء (متاعا لكم ولانعامكم) فان الانواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف (فاذا جاءت الصاخة) اي النفخة وصفت بها مجازا لان الناس يصخون لها

(يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه) لاشتغاله بشأنه وعلمه بانهم لا ينفعونه اوللحذر من مطالبتهم بماقصر فى حقهم وتأخير ❊ ١ ٢ ❊ الاحب فالاحب للمبالغة كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل

من صاحبته وبنيه (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) يكفيه فى الاهتمام به وقرئ يعنيه اى يهمه (وجوه يومئذ مسفرة) مضيئة من اسفر الصبح اذا أضاء (ضاحكة مستبشرة) بما ترى من النعيم (ووجوه يومئذ عليها غبرة) غبار وكدور (ترهقها قترة) يغشاها سواد وظلمة (اولئك هم الكفرة الفجرة) الذين جمعوا الى الكفر الفجور ولذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة ❊قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

(سورة التكوير مكية وآيها تسع وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم (اذا الشمس كورت) لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا اريد رفعه لف اولف ضوءها فذهب انبساطه فى الآفاق

داعية الى الايمان والطاعة فان الانسان اذا سمع احوال القيامة خاف فيدعوه الخوف منها الى التأمل فى دلائل الحق فقال فاذا جاءت الصاخة وجواب اذا محذوف يدل عليه قوله يوم يفر المرء الى قوله لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه والتقدير فاذا جاءت الصاخة اشتغل كل احد بنفسه وقوله يوم يفر المرء بدل من اذا ولا يجوز ان يكون يغنيه عاملا فى اذا ولا فى يوم لانه صفة لشأن ومعمول الصفة لايتقدم على الموصوف (قوله اوللحذر من مطالبتهم بماقصر فى حقهم) بان تقول الاخ لم تواس بمالك و يقول الابوان قصرت فى برنا والصاحبة اطعمتنى الحرام و فعلت وصنعت والبنون لم تؤدبنا ولم تعلمنا وقيل اول من يفر من اخيه هابيل من قابيل لانه العاصى ومن ابويه ابراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح عليه الصلاة والسلام (قوله وتأخير الأحب فالأحب للمبالغة) اى فى بيان اشتغال كل احد بنفسه فانه بدأ بالاخ لانه شقيقه ثم بالابوين لانهما اقرب اليه من الاخ ثم بالصاحبة والبنين لانهم الصق بالقلب واعلق بالنفس كانه قيل يفر من اخيه وكيف لايفر منه وهو يفر من ابويه وكيف لايفر منهما وهو يفر ممن هو أحب اليه منهما وهو الصاحبة والبنون (قوله وقرئ يعنيه) بفتح الياء وبالعين المهملة من قولهم عنانى الامر اى اهمنى وقصدنى ثم انه تعالى لما ذكر احوال يوم القيامة واهوالها بين ان المكلفين فيه على قسمين وميز احدهما عن الآخر بما يعرض لوجوههما يومئذ يقال اسفر الصبح اذا اضاء والغبرة الغبار والقترة سواد كالدخان ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد فى الوجه كما اذا اغبر وجه الزنجى فكانه تعالى جمع فى وجوههم بين السواد والغبرة كما جمعوا بين الكفر والفجور وفى الحديث ان البهائم اذا صارت ترابا يوم القيامة يذرى ذلك التراب فى وجوه الكفار تمت سورة عبس بحمدالله وعونه

(سورة التكوير مكية)

❊ بسم الله الرحمن الرحيم ❊

(قوله من كورت العمامة) التكوير اللف على وجه الاستدارة كتكوير العمامة تقول كرت العمامة على رأسى اكورها كورا وكورتها تكويرا اذا لففتها فالطى واللف والكور والتكوير واحد وجعل تكويرها بمعنى لفها وطيها عبارة عن رفعها عن مكانها لكون الرفع من توابع التكوير لان الثوب اذا اريد رفعه لف (قوله اولف ضوءها) عطف على قوله لفت اى

وزال اثره أو القيت عن فلكها (٢٦) من طعنه فكوره (ناسع) اذا ألقاه مجتمعا والتركيب للادارة والجمع وارتفاع الشمس بفعل يفسره مابعدها اولى لان اذا الشرطية تطلب الفعل

و يجوز ان يكون معنى كورت كور ضوؤها بتقدير المضاف او على اسناد فعل الحال الى المحل لان تكوير الضوء وذهاب انبساطه فى الآفاق انما يكون باذهاب نفسها لانها مادامت باقية يكون ضوؤها منبسطا غير ملفوف ثم فسر التكوير بالالقاء والاسقاط و يؤيده ماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال يكور الله تعالى الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة فى البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضربها فتصير نارا وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الشمس والقمر ثوران مكوران فى النار يوم القيامة ولما ذكر هذا الحديث عند الحسن قال وما ذنبهما قال انى احدثك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسكت الحسن قال الامام سؤال الحسن ساقط لان الشمس والقمر جمادان والقاؤهما فى النار لايكون سببا لمضرتهما ولعل ذلك يصير سببا لازدياد الحر فى جهنم فلا يكون هذا الحديث على خلاف العقل ذكر الله تعالى ههنا اثنى عشر شأ و قال اذا وقعت هذه الاشياء فهنالك علمت كل نفس ما احضرت فكلمة اذا فى قوله اذا الشمس كورت وفيما عطف عليه عاملها وناصبها قوله تعالى فى آخر المعطوفات علمت نفس و ارتفاع الاسماء الواقعة بعد اذا على انها مفاعل مالم يسم فاعله المفسرة بما بعدها عند البصريين فانهم لايجوزون ان يلى اذا غير الفعل وقال الكوفيون انها مرفوعة بالابتداء والافعال التى بعدها اخبارها بناء على ان التقدير خلاف الاصل والجملة على المذهبين فى محل الجر باضافة اذا اليها (قوله انقضت) اى تساقطت وتناثرت الجوهرى انكدر اى اسرع وانقض قال تعالى واذا الكواكب انتثرت قال السماء عطر يومئذ نجومها فلا يبقى فى السماء نجم الاوقع على وجه الارض قال عطاء وذلك انها كانت فى قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور وتلك السلاسل بايدى ملائكة من نور فاذا مات من فى السموات ومن فى الارض تساقطت تلك الكواكب من ايدى الملائكة لانه قدمات من يمسكها (قوله انصر خربان قضاء فانكدر) الخربان بكسر الخاء المعجمة جمع خرب بفتحين وهو ذكر الحبارى والبيت للعجاج عمر بن لجأ التيمى واوله

اذا الكرام ابتدروا الباع بدر ❊ تقضى البازى اذا البازى كسر

دانى جناحيه من الطود فمر ❊ ابصر خربان فضاء فانكدر

الباع قدر مد اليدين يعبر به عن الكرم يقول اذا الكرام ابتدروا وتسارعوا فعل المكارم بدر اى اسرع اليه كانقضاض البازى على الحبارى يقال كسر الطائر جناحيه اذا ضمهما حين ينقض وقوله تقضى البازى مصدر منصوب

(واذا النجوم انكدرت) انقضت ❊ قال ابصر خربان فضاء فانكدر او اظلمت

مَنْ قَدَرَتِ ٱلْمَاءَ فَٱنْكَدَرَ
(و اذا الجبال سيرت) عن وجه الارض او فى الجو (واذا العشار) النوق اللاتى التى على حملهن عشرة اشهر جمع عشراء (عطلت) تركت مهملة او السحائب عطلت عن المطر وقرئ بالتخفيف (واذا الوحوش حشرت) جمعت من كل جانب او بعثت للقصاص ثم ردت ترابا او اميتت من قولهم اذا اجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد (و اذا البحار سجرت) احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وروح بالتخفيف (واذا النفوس زوجت) قرنت بالابدان منها شكلها او بكتابها وعملها او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين (واذا الموءودة) المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهن

نزع الخافض اصله فقصص لما كثرت الصادات ابدلت الاخيرة ياء (قوله من كدرت الماء فانكدر) الكدر خلاف الصفو يقال كدر الماء يكدر كدرا فهو كدر من باب علم وكدر يكدر كدورة بضم العين فيهما بمعنى وكدره غيره فانكدر وتكدر النجم عبارة عن زوال نوره وضوئه (قوله سيرت عن وجه الارض) اى قلعت فصارت هباء منبثا او سيرت فى الجو كالسحاب لقوله تعالى وهى تمر مر السحاب وقيل سيرها تحويلها من صفة الحجرية فجعلها كثيبا مهيلا اى رملا سائلا وكالعهن وهباء منبثا والعشار جمع عشراء كنفاس جمع نفساء وهى الناقة التى اتى على حملها عشرة اشهر من يوم ارسل عليها الفحل ثم هو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وقيل هو اسمها بعد ما وضعت ايضا ومن عادة العرب ان يسموا الشئ باسمه المتقدم وان كان قد جاوز حدا ان يسمى به وخص العشار بالذكر لانها اعز الاموال عند العرب وانها معظم اسباب معاشهم وتعطيلها تركها واهمالها من غير راع اشتغالا بانفسهم عند مجئ امارات قيام الساعة (قوله او السحائب) اى ويجوز ان يراد بالعشار السحائب تشبيها لها بها والعشار وان كان مجازا فى هذا المعنى الا ان حمله عليه بوجب كثرة مناسبة هذه القرينة لما قبلها وشاع عند العرب تشبيه السحاب بالحامل لقوله تعالى فالحاملات وقرا كما مر فى سورة والذاريات والتعطيل الاهمال ومنه قيل لمرأة عاطل اذا لم يكن عليها حلى والوحوش جمع وحش وهو اسم لما لا يستأنس من حيوان البر وفسر حشرها ثلاثة اوجه الاول ان يجمعها هول ذلك اليوم من كل ناحية بحيث يختلط بعضها ببعض وبالناس مع كمال النفرة بينهما ونفورها فى الصحارى والقفار والثانى ان يجمع اجسادها بعد الموت ليقتص لبعضها من بعض فانه قد ثبت انه تعالى يحشر الوحوش كلها فيقتص للجماء من القرناء ثم يقال لها موتى فتموت والثالث ما روى عن ابن عباس ان حشر البهائم موتها (قوله اذا اجحفت السنة) يقال اجحف به اى اذهبه واستأصله والسنة القحط وبناء التفعيل هنا يحتمل ان يكون لتكثير الفعل وتكريره والتعرض لحشر الوحوش بالمعنى الاول للدلالة على هول ذلك اليوم فان اجتماع الاضداد مع كمال النفرة بينها انما يكون لهول عظيم وبالمعنى الثانى لتأييد حشر المكلفين فان الحيوانات اذا بعثت للقصاص محة ما لمقتضى العدل فحشر المكلفين من الانس والجن يكون اولى (قوله احميت او ملئت) فان السجر فى اللغة يكون بمعنى الملاء وبمعنى الاحماء ايضا يقال سجرت الاناء وسجرت التنور قيل فى احماء البحار انه تعالى يكور الشمس والقمر والنجوم فى البحر يوم القيامة ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتنفخه فيصير نارا وهو قوله

تعالى واذا البحار سجرت وفي وجه امتلأ نها انه تعالى خلق الآن بين البحار حاجزا لايصل بعضها الى بعض كما قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان اى لا يتجاوز ان حديهما باغراق ما بينهما فاذا رفع الله ذلك الحاجز فاض البعض في البعض واختلط العذب بالملح وبالعكس وصارت البحور كلها بحرا واحدا فعمت الارض كلها ثم ارتفاع الحاجز الكائن بينهما يحتمل ان يكون بان اندكت الجبال ونسفت اجزاؤها وصارت كالتراب الهائل الغير المتماسك فلا جرم ينصب اجزاؤها الرفيعة في اسافلها فتميل في المواضع الغائرة من الارض ويصير وجه الارض مستويا باغرقا تحت البحار وتصير الكل بحرا واحدا مستعليا على الارض وهذه الاحوال الست تكون في مبادى قيام الساعة على ماروى عن ابى بن كعب رضى الله تعالى عنه انه قال ست آيات تكون قبل القيامة بينا الناس في اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبيناهم كذلك اذ تناثرت النجوم فبيناهم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والوحوش والطير وماج بعضهم في بعض فحينئذ تقول الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فينطلقون الى البحر فاذا هو نار متأججة قال فبيناهم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة من الارض السابعة السفلى الى السابعة العليا فبيناهم كذلك اذ جاءتهم الريح فأماتتهم والله اعلم كذا في المعالم ثم اعلم انه تعالى شرع في ذكر الاحوال التي تكون بعد قيام الساعة فقال واذا النفوس زوجت بالابدان بان ردت اليها او بان يضم كل احد الى من يشاكله ويماثله في الخير والشر قبل ذلك حين تكون الناس ازواجا ثلاثة اى اصنافا ثلاثة السابقون زوج واصحاب اليمين زوج واصحاب الشمال زوج والشكل بالفتح المثل (قوله سكبيا لوائدها) اى لمن دفنها في القبر وهي حية وهو جواب عما يقال ما معنى سؤال الموؤدة عن ذنبها الذي قتلت به مع ان الظاهر ان يسأل الوائد عن قتله اياها وتقرير الجواب ان هذه الطريقة اقطع في ظهور جناية الوائد والزام الحجة عليه فانه اذا قيل للموؤدة ان القتل لايجوز الا بذنب عظيم فباى ذنب قتلت فلاجرم كان جوابها انى قتلت بغير ذنب فيفتضح الوائد ويصير مبهوتا وهذا كقوله تعالى لعيسى بن مريم ءأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله فانه عليه الصلاة والسلام لما اجاب بقوله سبحانك مايكون لى ان اقول ماليس لى بحق ماقلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم كان ذلك اشد في تبكيت النصارى وفي توبيخهم (قوله وقرئ سألت) اى بفتح السين والهمزة على لفظ الماضى المبنى للفاعل المسند الى ضمير الواحدة الغائبة على ان الموؤدة هى السائلة

(سئلت باى ذنب قتلت) تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام ءانت قلت للناس اتخذونى وقرئ سألت اى خاصمت عن نفسها وانما قيل قتلت على الاخبار عنها وقرئ قتلت على الحكاية (واذا الصحف نشرت) يعنى صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت

تسأل الله تعالى او تسأل قاتلها قائلة باى ذنب قتلت بضم تاء المتكلم وحده فانه هو المناسب لكون الموءوده هى السائله لان الظاهر ان يحكى كلامها بعبارتها وهذه القراءة ذكرها المصنف بقوله وقرئ قتلت على الحكاية اى على حكاية قول الموؤده كأمر اى بعبارتهما حين سألت وقرئ ايضا سألت بأى ذنب قتلت على لفظ الاخبار عن الواحدة الغائبة على بناء المفعول كقراءة الجمهور والظاهر ان يقرأ قتلت على لفظ حكاية قول الموءوده كأمر لانها هى السائلة كما ان الظاهر على قراءة الجمهور ان يقال قتلت على لفظ خطاب الواحدة لان السائل حينئذ هو الله تعالى فالظاهر حينئذ ان يحكى قوله تعالى بعبارته ولما ذكرت الموءوده بالاسم الظاهر جاز الامران اسناد الفعل الى ضمير الغائب الذى هو عبارة عنها وحكاية قول السائل بعبارته بان يقال فى قراءة سألت قتلت بضم التاء وفى قراءة سئلت قتلت بكسر التاء (قوله وتنشر وقت الحساب) اى تفتح بعد ما كانت مطوية فتعطاها الناس منشورة بأيمانهم وشمائلهم فيقف الانسان على ما فيها ويحصى عليه جميع اعماله فيقول مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها (قوله للمبالغة فى النشر الخ) يعنى ان التشديد لتكثير الفعل وتكريره او لتكثير محله او للمبالغة فى شدة التطاير اى تطاير الصحف وتفريقها بين الاصحاب فالتشديد للمبالغة فى النشر بمعنى التفريق بحسب الكيفية انتهى (قوله قلعت وازيلت) بحيث ظهر ما وراءها وهو الجنة والعرش (قوله وانما صح الخ) اى صح ان يكون اذا المضافة الى الخصال الواقعة قبل قيام الساعة معمولة لقوله علمت نفس مع ان كونها معمولة له يستلزم ان تكون النفس عالمة بما احضرته من الاعمال فى زمان وقوع الخصال الست المتقدمة وليست كذلك وانما تكون عالمة بها بعد قيام الساعة ووجه صحة الجواب ان المراد بما هو المعمول لعلمت هو الزمان المتسع المحيط بتلك الخصال الاثنى عشرة وابتداء ذلك الزمان المتسع هو زمان النفخة الاولى الذى هو زمان التكوير ونهايته الى ان يتم موقف الحساب وتعلم كل نفس جزاء عملها وفى ذلك الزمان المتسع تعلم كل نفس ما احضرت فى صحيفة عملها وما احضرته فى موقف المحاسبة وعد الميزان من آثار تلك الاعمال لان نفس الاعمال اعراض لا يمكن احضارها كأنه قيل الزمان الذى تقع فيه هذه الامور الاثنا عشرة بأسرها علمت فيه كل نفس ما احضرت (قوله ونفس فى معنى العموم) جواب عما يقال من ان النكرة فى سياق الاثبات للافراد والنوعية لا للاستغراق والعموم والمقام مقام الاستغراق والعموم لان العلم بما أحضرت حاصل لكل نفس حينئذ لقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه امدا بعيدا فمعنى قوله علمت نفس بالتنكير

او لكثرة الصحف او لشدة التطاير (واذا السماء كشطت) قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير (واذا الجحيم سعرت) اوقدت ايقادا شديدا وقرأ نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد (واذ الجنة ازلفت) قربت من المؤمنين (علمت نفس ما احضرت) جواب اذا وانما صح والمذكور فى سياقها ثنتا عشرة خصلة ست منها فى مبادى قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لان المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على اعمالها ونفس فى معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة (فلا اقسم بالخنس) بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهى ما سوى النيرين من السيارات ولذلك وصفها بقوله (الجوار الكنس) اى السيارات التى تختفى تحت ضوء الشمس من كنس الوحشى اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من اغصان الشجر

فى موضع الاثبات ومحصول الجواب ان ماذكر اكثرى لاكلى مطرد وان النكرة فى سياق الاثبات قد يقصد بها العموم بمعونة المقام كما فى قولهم تمرة خير من جرادة ونص فى الآية من هذا القبيل ثم انه تعالى لما فصل ما يكون فى مبادى قيام الساعة قبل فناء الدنيا وبعده اقسم على ان القرآن العظيم قول رسول كريم فقال فلا اقسم بالخنس الآية ترهيبا للمشركين المنكرين للبعث والجزاء اى تأملوا ماذكر لتعلموا انه كلام الهى منزل من عند الله تعالى على رسوله بواسطة رسول كريم موصوف بما ذكر من الاوصاف وكلمة لا فى قوله فلا اقسم يحتمل ان يكون صلة مؤكدة وان تكون رد الكلام سابق اى ليس الامر كما يزعمون ايها الكفرة ثم ابتدأ جل ذكره فقال اقسم بالخنس وان تكون لنفى القسم بناء على انه لا يحتاج اليه لوضوح الحق وهو ان القرآن كلام الهى منزل به الروح الامين وبلغه الى سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى سائر الانبياء والمرسلين وعلى الملائكة المقربين (قوله والليل) عطف على الخنس وكذا قوله والصبح والعامل فى اذا معنى القسم واذا مع ما بعده فى موضع الحال اى اقسم بالليل مدبرا ومقبلا وبالصبح مضيئا وجواب القسم قوله انه لقول رسول وضميرانه للقرآن وان لم يجر له ذكر لحصول العلم به والخنس جمع خانس والخنوس الانقباض والاستخفاء وفى الحديث الشيطان يوسوس الى العبد فاذا ذكر الله تعالى خنس اى انقبض ولذلك سمى بالخناس والكنس جمع كانس وهو الداخل فى الكناس الذى هو مقر الوحش والجوارى جمع جارية اى الكواكب التى تجرى فى افلاكها وماسوى الشمس والقمر من الكواكب السبعة السيارة وهى المريخ ويسمى بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى خنس وكنس وخنوس هذه النجوم الخمسة رجوعها من اول البرج الى آخره وكنوسها اختفاؤها وغيبتها عن البصر تحت ضوء الشمس والنيران لا يكنسان لان المراد بكنوس الكواكب استتارها واختفاؤها وغيبتها عن البصر تحت ضوء الشمس كالظبى المستتر بالكناس ولا كنوس لهما بهذا المعنى والخمسة الباقية من السيارات جوار وكنس وهو ظاهر وخنس ايضا من حيث انها ترجع وتستقيم فانها بينما ترى فى آخر البرج اذكرت راجعة الى اوله فرجوعها من آخر البرج الى اوله هو الخنوس كما ان اختفاءها تحت ضوء الشمس كنوسها (قوله وهو من الاضداد) لان العسعسة رقة الظلام وذلك يكون فى كل واحد من طرفى الليل فلذلك يقال عسعس الليل اذا اقبل ويقال ايضا عسعس اذا ادبر فمنهم من قال المراد به فى الآية اقبل الليل لتناسب قوله تعالى والصبح اذا تنفس لان القسم حينئذ يكون باقبال كل واحد من الليل والنهار وان اريد بعسعسة الليل

(والليل اذا عسعس) اقبل ظلامه او ادبر وهو من الاضداد يقال عسعس الليل وسعسع اذا ادبر

(والصبح اذا تنفس) اى اذا اضاء غبرته عند اقبال روح ونسيم (انه ان القرآن) لقول رسول كريم) يعني جبريل عليه الصلاة والسلام فانه قاله عن الله تعالى (ذى قوة) كقوله تعالى شديد القوى (عند ذى العرش مكين) عند الله ذى مكانة (مطاع) فى ملائكته (ثم امين) على الوحى وثم يحتمل اتصاله بما قبله وبما بعده وقرئ ثم تعظيما للامانة وتفضيلا لها على سائر الصفات

ادباره يكون القسم بادبار الليل واقبال النهار فتفوت المناسبة ويتضمن الكلام تكرار المقسم به لان ادبار احدهما يستلزم اقبال الآخر (قوله اى اذا اضاء غبرته عند اقبال روح ونسيم) النسيم الريح الطيبة ويقال لها روح لكونها للاستراحة وتنفس الصبح عبارة عن اقبال النسيم المروح المحرك عند طلوع الصبح فاذا هب ذلك النسيم عند طلوعه قيل تنفس والنفس المروح للقلب انبساطا وانقباضا جعل ذلك نفسا للصبح على المجاز ثم ذكر المشبه به واريد المشبه ثم اشتق منه تنفس بمعنى اقبل النسيم مع طلوعه ثم لما كان التنفس من لوازم ذهاب ظلمة الليل بطلوع الصبح وزوال غبرته كنى بتنفسه عن طلوعه وانبساط ضوئه بحيث زالت معه عسعسة الليل وهى الغبرة الحاصلة فى آخره وهى كناية متفرعة على الاستعارة والغبرة لون الاغبر وهو الشئ الملون بلون يشبه الغبار واضاء يجئ لازما ومتعديا وكلاهما يصح ههنا وفى بعض النسخ اذا تنفس اى اذا اضاء غبرته عن اقبال روح ونسيم والمعنى واحد اى شبه اقبال النسيم وقت طلوع الصبح بتنفسه فعبر عنه بالتنفس ثم اشتق منه تنفس وجعل تنفسه كناية عن اضاءته كما اشار اليه بقوله اى اذا اضاء (قوله فانه قاله عن الله تعالى) يعنى ان كون القرآن قول جبريل عليه الصلاة والسلام لا ينافى كونه كلام الله تعالى حقيقة لانه عليه الصلاة والسلام قاله وبلغه عن الله تعالى واعلم انه تعالى وصف جبريل عليه الصلاة والسلام ههنا بست صفات اولاها انه رسول فانه لاشك انه رسول منه تعالى الى الانبياء عليهم السلام وثانيتها انه كريم على ربه حيث جعله امين وحيه وواسطة بينه وبين رسله وهذا من اجل المناصب واشرف المراتب ومن كرمه انه وسيلة لنيل افضل العطايا واقصى الكرامات وهو المعرفة والهداية وثالثها انه ذو قوة اى ذو قدرة على مايكلف به لا يعجز ولا يضعف عن شئ مما يكلف به روى انه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل ذكر الله تعالى قوتك وامانتك وانى عليك بهما فما كانت قوتك وماكانت امانتك قال اما قوتى فانى بعثت الى مدائن لوط وهى اربع مدائن وفى كل مدينة اربعمائة الف مقاتل سوى الذرارى فحملتهن من الارض السفلى حتى سمع اهل سماء الدنيا اصوات الدجاج ونبح الكلاب ثم هويت بهن فقلبتهن واما امانتى فانى لم اومر بشئ فعدوته الى غيره وروى ان شيطانا يقال له الابيض صاحب الانبياء قصد ان يتعرض للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فدفعه جبريل دفعة دقيقة رفعه بها من مكة الى اقصى الهند ورابعتها قوله تعالى فى حقه عند ذى العرش مكين اى ذى منزلة ومكانة عند الله ومن مكانته عنده تعالى انه تعالى جعله تالى نفسه فى قوله فان الله هو مولاه وجبريل وهذه العندية كناية عن كونه ذا منزلة رفيعة وقدر عظيم عنده تعالى

وخامستها انه مطاع فى ملائكته يطيعه الملائكة المقربون لعلمهم بمنزلته عند الله وسادستها انه امين على وحى الله تعالى ورسالته قد عصمه الله تعالى من الخيانة والزلل وقوله ثم يصح التاء اشارة الى الظرف المذكور وهو عند ذى العرش ثم انه ان اتصل بما قبله بان يكون ظرفا له يكون المعنى انه عند الله مطاع فى ملائكته المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رأيه وان اتصل بما بعده يكون المعنى انه مؤتمن عند الله على وحيه ورسالته الى الانبياء وان قرئ ثم بضم الثاء يكون للتراخى الرتبى على طريق الترقى من صفاته الفاضلة الى ما هو افضل واعظم وهو الامانة (قوله تعالى وما صاحبكم بمجنون) عطف على جواب القسم وكذا قوله ولقد رآه بالافق المبين اقسم الله على ان القرآن كلامه نزل به جبريل رسوله الكريم الامين وعلى ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ليس بمجنون وعلى انه قد رآه اى جبريل بالافق المبين (قوله وهو ضعيف) يعنى ان ما ذكره المستدل انما يدل على مقصوده ان لو كان المقصود من سوق الآية تعداد خصالهما الشريفة وبيان ان من اردادت خصاله الشريفة فهو افضل وليس كذلك بل المقصود اثبات ان القرآن لاسيما هذه السور المصدرة بما يدل على مقدمات القيامة واهوالها وحى الهى نزل به الملك المقرب عند ذى العرش نفيا لقول الكفرة انما يعلمه بشر وانه لمجنون وترغيبا للسامعين فى استماع القرآن وتصديق جميع ما ذكر فيه وهذا المقصود يستدعى ان يوصف الملك المتوسط بين يدى الله تعالى ورسوله بما وصف به من صفات الشرف والقربة وذلك لايستلزم كونه افضل من رسل البشر بل الظاهر ان وصف جبريل عليه السلام بهذه الصفات وبما هو ازيد منها وافضل مما يدل على شرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالنسبة اليه من حيث ان جبريل مع اتصافه بهذه المناقب والفضائل الشريفة مبلغ الرسالة اليه فاى مرتبة اعلى من مرتبته بعدما ثبت ان السفير بينه وبين ذى العرش مثل هذا الملك المقرب (قوله بمطلع الشمس الاعلى) افق السماء ناحيتها والآفاق النواحى الاان المفسرين اتفقوا على ان المراد بالافق ههنا حيث تطلع الشمس استدلالا بوصفه بالمبين فان نفس الافق لامدخل له فى ابانة الاشياء واظهارها وانما يكون له ذلك من حيث كونه مطلعا لكوكب نير يبين الاشياء بضيائه وذلك الكوكب هو الشمس واسند الابانة الى مطلعها مجازا باعتبار نسبته لها فى الجملة فان الابانة فى الحقيقة لضياء الطالع منه ثم خص من بين المطالع ما هو اعلى المطالع وارفعها وهو المطلع الذى اذا طلعت الشمس منه تكون فى غاية الارتفاع ويكون النهار فى غاية الطول وانما فعل ذلك جعلا للمبين على كمال الابانة فانه كما كان

﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ كما بهته الكفرة واستدل بذلك على فضل جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام حيث عد فضائل جبريل واقتصر على نفى الجنون عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف اذ المقصود منه نفى قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما ﴿ولقد رآه﴾ ولقد رأى رسول الله جبريل عليه السلام ﴿بالافق المبين﴾ بمطلع الشمس الاعلى ﴿وما هو﴾ وما محمد ﴿على الغيب﴾ على ما يخبره من الوحى اليه وغيره من الغيوب ﴿بظنين﴾ بمتهم من الظنة وهى التهمة وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بضنين من الضن وهو البخل اى لايبخل بالتعليم والتبليغ والضاد من اصل

الكوكب الطالع ارفع واعلى وكان النهار اطول كانت الانارة والاظهار اتم
واكمل * روى انه عليه الصلاة والسلام سأل جبريل عليه السلام ان يتراآى له
في صورته التي خلقه الله تعالى عليها فقال ما اقدر على ذلك وما ذاك الي
فاستأذن له فاتاه عليها فرآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد ملأ الافق
بكلكله اي بصدره ورجلاه في الارض ورأسه في السماء جناح له بالمشرق
وجناح له بالمغرب فغشي عليه فتحول جبريل عليه السلام الى صورة بني آدم الى
آخر الكلام فقال له عليه السلام ما رأيتك منذ بعثت احسن منك اليوم فقال عليه
الصلاة والسلام جاءني جبريل اليوم في صورته فاعتراني هذا من حسنه
(قوله من الظنة وهي التهمة) اي وليس من الظن الذي يتعدى الى مفعولين
اي هو ثقة في جميع ما يخبر به لا يتوهم فيه انه يخبر بشئ من ذلك عن الهوى وهذه
القراءة اعني القراءة بالظاء هي قراءة ابن كثير وابي عمرو والكسائي فالظنين
الرجل المتهم وقرأ نافع وحمزة وعاصم وابن عامر بضنين بالضاد اي ببخيل
يقال ضننت بالشئ بكسر العين اضن به ضنا وضنانة فانا ضنين اي بخيل وهو
من باب علم فالمعنى يأتيه علم الغيب فلا يبخل به عليكم بل يعلمكم ويخبركم به ولا يكتمه
كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا واختار ابو عبيدة القراءة الاولى
لوجهين احدهما ان الكفار لم يبخلوه وانما اتهموه فنفي التهمة اولى من نفي
البخل والآخر قوله الغيب فان البخل وما معناه لا يتعدى بكلمة على وانما يتعدى
بالباء فيقال فلان ضنين بكذا ولا يقال ضنين على كذا (قوله حافة اللسان)
اي جانبه والثنايا من الاسنان جمع ثنية وهي اربع اسنان في مقدم الفم اثنتان منها
عليا واثنتان منها سفلى وورآء الثنايا اسنان اربع يقال لها رباعيات اثنتان منها
عليا واثنتان منها سفلى وورآءها الانياب الاربع نابان من فوق ونابان من تحت
وورآءها الضواحك وهي اربع كذلك وورآءها الاضراس ثمانية من فوق وثمانية
اخرى من تحت (قوله استضلال لهم فيما يسلكونه في امر الرسول صلى الله
تعالى عليه وسلم والقرآن) فان اين ظرف مكان منهم منصوب بتذهبون
والاستفهام فيه للانكار شبهت حالهم في تركهم ما هو الصواب والحق في باب
الاعتقاد والعمل وعدولهم الى ما هو الباطل في ذلك بحال من يترك الجادة وهي
معظم الطريق ويتعسف الى ما ليس بسبيل قط فانه يقال له الى اين تذهب
استضلالا له وانكارا على تعسفه وقيل ذلك القول لمن ترك الدين الحق وعدل
عنه الى الباطل على سبيل الاستعارة والمعنى اي طريق تسلكون ابين من هذا
الطريق الذي ظهرت حقيته ووضحت استقامته وان في قوله ان هو نافية بمعنى
ما هو والذكر بمعنى التذكر والعظة والعالمين يعم جميع ما سوى الله تعالى ممن يعلم

حافة اللسان وما يليها
من الاضراس من يمين
اللسان او يساره والطاء
من طرفي اللسان واصول
الثنايا العليا (وما هو
بقول شيطان رجيم)
قول بعض المسترقة
للسمع وهو نفي قولهم انه
لكهانة وسحر (فاين
تذهبون) استضلال لهم
فيما يسلكونه في امر
الرسول والقرآن كقولك
لتارك الجادة اين تذهب
(ان هو الا ذكر للعالمين)
تذكير لمن يعلم (لمن شاء
منكم ان يستقيم) بتحري
الحق وملازمة الصواب
وابداله من العالمين لانهم
المنتفعون بالتذكير
(وما تشاؤن) الاستقامة

ومن لا يعلم وخص بهم لانهم من يعلم من الانس والجن حيث قيل لمن يعلم والمخصص هو العقل وقوله تعالى لمن شاء بدل من قوله للعالمين باعادة الجار بدل البعض من الكل وان يستقيم مفعول شاء كأنه قيل ما هو الا بيان وهداية للخلق اجمعين ماهو الا هداية لمن شاء الاستقامة منكم بتحري الحق واتباع البرهان والدليل وابداله من العالمين مع انه ذكر شاملا لجميع المكلفين لانهم هم المنتفعون به دون غيرهم فكان بذلك كأنه مختص بهم ولم يوعظ به غيرهم ثم بين ان مشيئة الانسان قائمة موقوفة على ان يعطي الله تلك المشيئة لان تلك المشيئة صفة محدثة ولابد في حدوثها من مشيئة اخرى فظهر من مجموع هذه الآيات ان فعل الاستقامة موقوف على اراده الاستقامة وهذه الاراده موقوفة على الحصول على ان يريد الله تعالى اعطاء تلك الاراده والموقوف على الموقوف على الشيء موقوف على ذلك الشيء فافعال العباد ثبوتا وانتفاء موقوفة على مشيئة الله تعالى وهذا قول اصحابنا (قوله يامن يشاء ها) اشاره الى ان الخطاب في قوله وماتشاؤن ليس للمخاطبين بقوله فاين تذهبون بل لبعض منهم وهم الذين عبر عنهم بقوله لمن شاء منكم فان قوله لمن شاء منكم يدل على ان منهم من يشاء الاستقامة ومنهم من لا يشاء ها فالخطاب لمن يشاء ها منهم وجعل المصنف قوله تعالى الا ان يشاء الله من اقامة المصدر مقام الزمان كما في نحو آتيك خفوق النجم روى انه لما نزل قوله تعالى لمن شاء منكم ان يستقيم قال ابوجهل وكل الامر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم فانزل الله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين
※ تمت سوره التكوير والله اعلم بالصواب

(سوره الانفطار مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ذكر الله تعالى في اول هذه السوره اربعة اشياء من اشراط الساعة اثنان منها متعلقان بالعلويات واثنان منها متعلقان بالسفليات وقال اذا وقعت هذه الاشياء علمت كل نفس ماقدمت من خير وشر ووقوعها عبارة عن خراب العالم وفناء الدنيا والسماء في هذا العالم كالسقف والارض كالبناء ومن اراد تخريب دار فانه اولا يبدأ بتخريب السقف وذلك هو قوله تعالى اذا السماء انفطرت وانتقض تركيبها وذلك يستلزم انتثار مافيها من الكواكب وتساقطها متفرقة ثم بعد تخريب السماء وانتثار كواكبها يخرب كل ما على وجه الارض وينفذ بعض البحار الى بعض بارتفاع الحاجز الذي جعله الله تعالى برزخا بينهما فحينئذ يصير الكل بحرا واحدا وانما يقع ذلك الحاجز لتزلزل الارض وتصدعها (قوله قلب ترابها واخرج موتاها) يعني ان بعثرة الشيء عبارة عن تفريق

يامن يشاء ها (الا ان يشاء الله) الا وقت ان يشاء الله مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم (رب العالمين) مالك الخلق كله ※ قال عليه الصلاه والسلام من قرأ سورة التكوير اعاذه الله من ان يفضحه حين ينشر صحيفته

(سورة الانفطار مكية وآيها تسع عشره)

بسم الله الرحمن الرحيم

(اذا السماء انفطرت) انشقت (واذا الكواكب انتثرت) اي تساقطت متفرقة (واذا البحار فجرت) فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا (واذا القبور بعثرت) قلب ترابها واخرج موتاها وقيل انه مركب من بعث وراء الاثاره كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى

اخرأته وتقليبها ظهرا لبطن وبطنا لظهر وفى الصحاح بعثر الرجل متاعه وبحثره اذا فرقه وبدده وقلب بعضه على بعض ويقال بعثرت الشئ وبحثرته اذا استخرجته وكشفته وقال عبيدة فى قوله تعالى بعثر ما فى القبور اثير واخرج ما فيها انتهى وقيل ان بعثر مركب من بعث وراء مأخوذة من الاثارة كبسمل فانه مركب من بسم ولام مأخوذة من لفظة الله وكذا بحثر فانه بمعنى بعثر وهو مركب من البحث والراء المضمومة اليه والمعنى بحث واخرج موتاها ومنه سميت سورة براءة المبعثرة لانها تبحث عن احوال المنافقين (قوله من عمل او صدقة) اى يجوز ان يكون المراد بما قدمته ما عمله بنفسه من الاعمال الصالحة والسيئة مقدما على موته وبما اخرته ما عمله بعد موته بان سن لمن بعده سنة حسنة كانت اوسيئة فان الاعمال الصادرة بمباشرة من بعده يصدق عليها انها اعمال الميت اخرها عن موته اذ كان له مدخل فى مباشرة من بعده بان سنه له واسناد الفعل الى سببه شائع كثير مثل بنى الامير ويجوز ايضا ان يراد بما قدمته الاموال التى تصدق بها قبل موته لتكون ذخيرة له فى النشأة الاخرى وبما اخرته الاموال التى خلفها لمن بعده من ورثته (قوله ويجوز ان يراد بالتأخير التضييع) فيكون المعنى علمت نفس ما عملته من الطاعات وما اضاعت العمل به ولم تعمل وقدمر ان تنكير نفس فى الآيات لا ينافى ارادة العموم والعلم بجميع ذلك كناية عن المجازاة عليه والمقصود من الكلام تقرير امر البعث والجزاء والزجر عن المعصية والترغيب فى الطاعة فان قيل فى اى موقف من مواقف القيامة يحصل له هذا العلم قلنا اما العلم الاجمالى فيحصل له فى اول زمان الحشر لان المطيع يرى آثار السعادة والعاصى يرى آثار الشقاوة فى اول الامر واما العلم التفصيلى فانما يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة (قوله اى شئ خدعك) اشارة الى ان ما فى قوله ما غرك استفهامية مرفوعة المحل على الابتداء وغرك خبره وان غرك بمعنى خدعك وجرأك على عصيانه يقال غره فلان يغره غرورا اذا خدعه وجرأه عليه وآمنه من ان يصل اليه المكروه من قبله مع انه غير مأمون والمعنى ما الذى خدعك وسول لك معصية ربك وآمنك من عقابه والاستفهام فيه بمعنى الاستجهال والتنكيل والتوبيخ (قوله وذكر الكريم للمبالغة فى المنع عن الاغترار) جواب عما يقال قد سيقت الآية لاستجهال العصاة وتوبيخهم على اغترارهم بربهم فكيف يلائم لهذا السوق وصفه تعالى بالكرم والحال ان الاغترار بكرمه تعالى وجوده مما يدعو الى الاغترار به لان الكرم والجود عبارة عن قضاء حاجة المحتاج لا للعوض فلما لم يكن الكريم مستقصيا على عبده استوى عنده طاعة المطيع وعصيان المسئ وهذا يوجب الاغترار به وقد روى ان

(علمت نفس ما قدمت) من عمل او صدقة (واخرت) من سنة او تركة ويجوز ان يراد بالتأخير التضييع وهو جواب اذا (يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم) اى شئ خدعك وجرأك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة فى المنع عن الاغترار فان محض الكرم لا يقتضى اهمال الظالم وتسوية الموالى والمعادى والمطيع والعاصى فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغره الشيطان فانه يقول له افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب احدا او لا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعى الجد فى طاعته لا الانهماك فى عصيانه اغترارا بكرمه (الذى خلقك فسواك فعدلك) صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك اولا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الاعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها

علما رضى الله عنه دعا غلامه مرات فلم يجبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له لم لم تجبنى فقال لثقتى بحلمك وامنى من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه ولولا ان كرم الكريم يوجب الاغترار به لما استحسن جواب الغلام وتقرير الجواب انا لا نسلم ان كرم الكريم يقتضى الاغترار به بل هو يقتضى الخوف والحذر من مخالفته وعصيانه من حيث ان اهمال الظالم يأبى كونه كريما بالنسبة الى المظلوم وكذا التسوية بين المطيع والعاصى وبين الموالى والمعادى فثبت ان محض الكرم لا يقتضى الاغترار به فكيف اذا انضم اليه وصف كونه قهارا منتقما ذا بطش شديد ثم اشار الى فائدتين اخريين لذكر الكريم فقال والاشعار بما به يغره الشيطان وقال ثانيا والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعى الجد فى طاعته فان كل واحد منهما معطوف على قوله للمبالغة فكانه قيل ايها العاصى كيف تجرأ على معصيته مع ان كرمه يستدعى ان لا تسوى بين المطيع والعاصى ولم تغتر بما به يغرك الشيطان من كثرة كرمه مع انها تستدعى الجد فى الطاعة قضاء لحق شكره على كرمه وفيه اشارة الى ان سبب اغترار بنى آدم تسويل الشيطان بقوله افعل ما شئت فان ربك كريم ثم انه تعالى لما وصف نفسه بالربوبية والكرم اتبعه قوله الذى خلقك فسواك فعدلك ليكون كالدليل على ربوبيته وكرمه ودلالته على الربوبية ظاهرة لان من فعل هذه الامور الثلاثة فى المخلوق لا جرم يكون ربا مالكا له وكذا دلالته على الكرم لانه لا شك ان اصل الخلق والايجاد كرم وجود لان الوجود محض كرم وكذا تسوية الاعضاء وتعديل البنية فان سلامة الاعضاء كونها مسواة اى تامة الخلق سالمة عن النقصان فى خلقتها بحيث يكون الشخص بها بشرا سويا تام الخلق سليم الاعضاء انتهى (قوله والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء) الظاهر انه اراد باعتدال البنية اعتدال كيفياتها المتضادة لتكون كل واحدة منها منكسرة بحصول الفعل والانفعال بينها وبتناسب الاعضاء كون كل عضو منها معادلا للآخر الا يتفاوت بعضها عن بعض مثل ان تكون احدى اليدين اطول من الاخرى وكذا الرجلان والاذنان ومثل ان تكون احدى العينين اوسع من الاخرى قال علماء التشريح انه تعالى ركب جانبى هذه الجثة على التساوى حتى لا تفاوت بين نصفيه لا فى العظام ولا فى اشكالها ولا فى الاوردة والشرايين والاعصاب النافذة فيها والخارجة عنها وكل ما فى احد الجانبين مساو لما فى الجانب الآخر كانه عدله (قوله اومعد لما يستعدها من القوى) عطف على قوله معتدلة والقوى فى يستعدها ضمير البنية بتقدير المضاف وهو الاعضاء اى والتعديل جعل كل

والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء اومعدة لما يستعدها من القوى وقرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف اى عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت او فصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوانات

من أعضائه المتقابلة معادلا متناسبا لما يليه من القوة كاليد للبطش والرجل للمشي
واللسان للكلام والعين للابصار الى غير ذلك فالتعديل على هذا تناسب الاعضاء
وما فيها التي هي القوى المودعة فيها والبارز المنصوب في يستعدها راجع
الى ما وراء العناية اليها لكونها عبارة عن القوى وذكر لقراءة عدلك
بالتخفيف وجهين الاول انه بمعنى المشدد اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى
اعتدلت والثاني انه من العدول اي فصرفك عن الخلقة المكروهة التي لسائر
الحيوانات الى احسن تقويم والفاء في قوله فسواك فعدلك لافادة ان ما بعدها
كلام مرتب على ما قبلها في الذكر لانها عاطفة لتفصيل المجمل على المجمل
وموضع ذكر التفصيل بعد ذكر المجمل كما في نحو قولك احسنته فقلت لبيك
والتسوية في الآية تفصيل للخلق والتعديل تفصيل للتسوية (قوله اي
ركبك في اي صورة شاءها) اي الله تعالى على ان قوله في اي صورة متعلق
بركبك وان شاء في موضع الجر على انه صفة لصورة فلذلك قدر الضمير
الراجع اليها بعد شاء لربط جملة الصفة بالموصوف ولم يعطف جملة
ركبك على ما قبلها لانها بيان لقوله فعدلك اي فعدلك بان ركبك في اي صورة
اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول
والقصر والذكورة والانوثة ومن الصور التي تشبه الاب والام او اقارب
الاب او اقارب الام او لا تشبه واحدا منهم (قوله وقيل شرطية) اي وقيل
ما شرطية وشاء فعل الشرط وركبك جزاء الشرط فيكونان في موضع
الجزم والمعنى ما شاء من الصور ركبك عليها والجملة الشرطية في موضع الجر
على انها صفة لصورة ايضا والعائد محذوف وهو عليها فعلى هذا يكون
قوله في اي صورة متعلقا بعدلك ولا يجوز ان يتعلق بركبك لان ما كان في حيز
الشرط لا يتقدم عليه فان قيل كيف يجوز ان يكون الظرف صلة عدلك مع
ان اي اسم استفهام فلها صدر الكلام فلا يعمل فيها ما قبلها قلنا من جعله
متعلقا بعدلك جعل قوله في اي صورة بمعنى التعجب كما في قولك مررت برجل
اي رجل كانه قيل فعدلك في صورة اي صورة اي في صورة عجيبة ثم حذف
الموصوف لزيادة التفخيم والتعجب (قوله اضراب) اي اعراض عن ايجاب
الارتداع من الاغترار بكرم الله تعالى عليهم بجعله كالمسكوت عنه الى بيان
ما هو السبب في اغترارهم بالكرم وهو تكذيبهم بيوم الحساب والجزاء على
ان يكون المراد بالدين الجزاء يقال دانه دينا اي جازاه وان اريد بالدين الاسلام
كما قال ان الدين عند الله الاسلام يكون المعنى كيف يرتدعون عن الاغترار
بالكرم وانتم مصرون على تكذيب الاسلام الذي هو السبب الاصلي

(في اي صورة ما شاء
ركبك) اي ركبك
في اي صورة شاءها وما
مزيدة وقيل شرطية
وركبك جوابها
والظرف صلة عدلك
وانما لم يعطف الجملة
على ما قبلها لانها بيان
لعدلك (كلا) ردع عن
الاغترار بكرم الله تعالى
وقوله (بل تكذبون
بالدين) اضراب الى بيان
ما هو السبب الاصلي
في اغترارهم والمراد
بالدين الجزاء او الاسلام

للاعتزار به تعالى والجراءة على عصيانه فان كل واحد من تكذيب الجزاء ومن تكذيب الاسلام والاصرار عليه سبب اصلي في الاعتزار والجراءة (قوله تعالى وان عليكم لحافظين) يجوز ان يكون حالا من فاعل تكذبون اى تكذبون والحالة هذه ويجوز ان تكون جملة مستأنفة اخبرهم الله تعالى بذلك ليزجروا عماهم عليه من الاصرار على الكفر والتكذيب فان من وكل به ملائكة كرام على الله يكتبون اعماله ليحاسب يوم البعث والجزاء من عظائم الامور عندالله تعالى فانه لولا ذلك لما وكل بضبط الاعمال مثل هذه الملائكة الكرام وصف الملائكة بكونهم حافظين لحفظهم الاعمال وبكونهم كراما لكرامتهم عندالله تعالى بجدهم في طاعته وبكونهم كاتبين لانهم يكتبون اعمال بني آدم على علم منهم بجميع اعمالهم فانه قال قوله تعالى ما تفعلون يعم اعمال القلوب وهو من الغيبيات التي لايعلمها الا الله تعالى فكيف يكتبها الملائكة وقد دلت الآية على انهم يكتبون جميع اعمال المكلفين من اعمال القلوب ومن اعمال الجوارح اجيب بان ما تفعلون عام مخصوص باعمال الجوارح وتخصيص العام كثير شائع وسئل سفيان الثوري كيف تعلم الملائكة ان العبد هم بمعصية او بحسنة قال اذا هم العبد بحسنة وجدوا منه ريح المسك واذا هم بسيئة وجدوا منه ريح النتن ومحصول كلامه انالانسلم ان اعمال القلوب بالنسبة الى الملائكة من قبيل الغيبيات التي لايعلمها الا الله بل هي بالنسبة اليهم مما نصب عليه دليل ثم انه تعالى بعد ان وصف الكرام الكاتبين لاحوال العباد ذكر العاملين فقال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم والمراد نعيم الجنة وجحيم النار الموقدة ويصلونها اى يدخلونها صفة لجحيم او حال من المنوى في الخبر ويوم الدين ظرف ليصلونها ولما بين انهم يقاسون حرها يوم القيامة بين انهم مخلدون فيها ولايخرجون منها فقال وماهم عنها بغائبين ويجوز ان يكون معناه يصلونها يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك في قبورهم (قوله تعجيب وتفخيم) يعني ان قوله تعالى وماادراك مايوم الدين تعظيم لذلك اليوم ثم كرر تعجيبا للمخاطب وتفخيما لشأن اليوم وقوله لاتدركه دراية دار اشارة الى ان ما ادراك خطاب عام وقيل انه خطاب له عليه الصلاة والسلام خاطبه بذلك لانه ماكان عالما بذلك قبل الوحي وقيل الخطاب للكافرين زجرا لهم وتهديدا (قوله تقرير لشدة هوله وفخامة امره اجمالا) فان اليوم الذي لاينفع المرء فيه الاالايمان والطاعة ولا تستطيع نفس ان تنفع نفسا ولا ان تدفع عنها ضررا كيف يكون وهذا حال من خاف الملك الجبار وعصاه قرأ الجمهور يوم لا تملك بفتح الميم حملوا في انها فتحة اعراب او فتحة بناء فمن قال

﴿وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون﴾ تحقيق لما يكذبون به ورد لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراما عندالله لتعظيم الجزاء ﴿ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم﴾ بيان لما يكتبون لاجله ﴿يصلونها﴾ يقاسون حرها ﴿يوم الدين وماهم عنها بغائبين﴾ لخلودهم فيها وقيل معناه وما يغيبون عنها قبل ذلك اذ كانوا يجدون سمومها في القبور ﴿وما ادراك مايوم الدين ثم ماادراك مايوم الدين﴾ تعجيب وتفخيم لشأن اليوم اى كنه امره بحيث لاتدركه دراية دار ﴿يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله﴾ تقرير لشدة هوله وفخامة امره اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان يوم على البدل من يوم الدين او الخبر لمحذوف قال صلى الله تعالى عليه وسلم * من قرأ سورة انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

ابها حركة اعراب ذكر لصه و حوها احدها ان تكون بدلا من يوم الدين في قوله يصلونها يوم الدين وثانيها ان يكون ظرفا لفعل محذوف يدل عليه الدين اى يدانون ويجازون في ذلك اليوم وثالثها ان يكون منصوبا باذكر او اعني ويكون مفعولا به ومن قال انها فتحة بناء قال انما بني لاضافته الى الجملة وما اضيف الى غير المتمكن بني على الفتح وقوله اوالخبر اى انه في موضع الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو يوم لاتملك فانه لما قيل وما ادراك ما يوم الدين اخبر عنه بانه يوم لاتملك ❊ تمت سورة الانفطار بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

(سورة المطففين)

❊ بسم الله الرحمن الرحيم ❊

قال مقاتل هي اول سورة نزلت بالمدينة وقيل هي مدنية الاثمان آيات وهي من قوله تعالى ان الذين اجرموا الى آخر السورة وقيل مكية وقال الكلبي قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة وهم يسيئون كيلهم ووزنهم لغيرهم ويستوفون لانفسهم فنزلت الآيات فخرج عليه الصلاة والسلام فقرأها عليهم وقال خمس بخمس الى آخر الحديث فاحسنوا الكيل بعد ذلك وقال السدي قدمها وبها رجل يسمى اباجهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما للغير ويكتال بالآخر لنفسه فنزلت فاحسنوا الكيل انتهى (قوله تعالى ويل) مبتدأ وللمطففين خبره وجاز الابتداء به اما لانه اسم لوادي مخصوص في جهنم لوارسلت منه الجبال لماعت من حره اى لذابت واما لكونه دعاء فانه في الاصل مصدر منصوب باضمار فعل لامن لفظه فان اصله اهلكهم الله تعالى ويلا او هلكوا ويلا فلما حذف الفعل وسد الويل مسده عدل الى الرفع للدلالة على الثبات والدوام كما في سلام عليك فلما كان الويل في الاصل مصدرا سادا مسد الفعل المخصص بصدوره عن فاعل معين كانت النكرة المذكورة مخصصة بذلك الفاعل فساغ الابتداء بها لذلك وفي الصحاح الطفيف القليل والتطفيف نقص المكيال وهو ان لاتملأ الى اصباره اى رأسه وفيه ايضا البخس الناقص قال تعالى وشروه بثمن بخس وقد بخسه حقه يبخسه بخسا اذا نقصه وسمى البخس في الكيل والوزن تطفيفا اى تقليلا لكون مايبخس شيئا طفيفا اى قليلا حقيرا فان من لاتملأ المكيال الى حوافه وكذا من لايسوي عمود الميزان لاينقص الاشيأ قليلا من حق المشتري لان نقص الكثير يظهر فيمنع منه (قوله اى اذا اكتالوا من الناس) يعني ان الاكتيال اخذ الحق من الغير بالكيل كما ان الاتزان اخذه منه بالوزن فهما اخذ الحق لنفسه والكيل والوزن اعطاؤه

(سورة التطفيف مختلف فيها وآيها ست وثلاثون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل للمطففين) التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس طفيف اى حقير روى ان اهل المدينة كانوا اخس الناس كيلا فنزلت فاحسنوه وفي الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وماظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولامنعوا الزكاة الاحبس عنهم القطر (الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون) اى اذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية وانما ابدل على بمن للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيال يتحامل فيه عليهم

(واذا كالوهم اووزنوهم) اى اذا كالوا الناس اووزنوا الهم (يخسرون) فحذف الجار واوصل الفعل كقوله ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا بمعنى جنيت لك او كالوا امكيلهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولا يحسن جعل المنفصل تأكيدا للمتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة ماقبله اذ المقصود بيان اختلاف حالهم في الاخذ والدفع لافي المباشرة وعدمها ويستدعى اثبات الالف بعد الواو كما هو خط المصحف في نظائره (الا يظن اولئك انهم مبعوثون) فان من ظن ذلك لم يتجاسر على امثال هذه القبائح فكيف من تيقنه وفيه انكار وتعجب من حالهم (ليوم عظيم) عظمه لعظم مايكون فيه

لغيره بالكيال والميزان تحقق الاكتيال ان يعدى بكلمة من حيث يقال كلت من فلان ولا يقال كلت على فلان الا ان كلمة على اقيمت في الآية مقام من لوجهين الاول الدلالة على ان المأخوذ الحق الثابت له على الناس فانه اذا قيل اكتالت منه لايفهم منه الاانه اخذ منه بالكيل مع قطع النظر عن كون المأخوذ هل هو حق له عليه اولا والثاني الدلالة على ان اكتيالهم من الناس اكتيال فيه اضرار لهم وتحامل عليهم فان كلمة على تدل على الاضرار والظلم يقال تحامل عليه اى ظلمه فقولهم اكتال عليه يفهم منه انه اخذ منه واخذ اخذا فيه تحامل عليه والوجه الاول اظهر (قوله اى اذا كالوا الناس اووزنوا الهم) يعني ان الكيل والوزن عبارتان عن الاعطاء للغير بالمكيال والميزان فاللغة السائغة فيهما ان يقال كالوا لهم اووزنوا لهم ولايقال كاله اووزنه ونظم الآية اما من قبيل حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والاصل كالوا امكيلهم اووزنوا موزونهم واما من قبيل الحذف والايصال كما في قوله

ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا ۞ ولقد نهيتك عن بنات الاوبر

والاصل جنيت لك اى لاجلك نوعين من الكمأة من اجودها فان اكمؤا جمع فله واحدها كم والكمأة جمع كرة الكمء ايضا على غير القياس والتنوين في اكمؤا للتعظيم والعساقل ضرب من الكمأة الواحدة عسقول وهى الكمأة الكبار البيض التى يقال لها شحمة الارض وبنات الاوبر كمأة صغار مزغبة على لون التراب وهى اردأ انواع الكمأة ولزغب الشعرات الصغار من ريش الفرخ (قوله ولايحسن جعل المنفصل تأكيدا للمتصل) اى لايحسن ان يكون كلمة هم في الموضعين ضميرا مرفوعا منفصلا مؤكدا للضمير المتصل في كالوا اووزنوا العائدين الى المطففين لوجهين الاول ان المقصود من الآية بيان اختلاف حالهم في الاخذ والدفع وانهم حال الاخذ يستوفون وحال الدفع يخسرون وينقصون وعلى تقدير ان يحمل المنفصل تأكيدا للمرفوع المتصل يفوت هذا المقصود ويكون اول الكلام دالا على انهم يستوفون حال الاخذ ويكون ما بعده دالا على انهم اذا تولوا الكيل والوزن هم بأنفسهم على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع في الفعل وهو الاكتيال والكيل لافي المباشر والوجه الثاني ان الضمير لو كان مرفوعا مؤكدا للمتصل لوجب ان يكتب الالف بعد واو الجمع في امام المصاحف كما هو الاصل في امثاله مثل فعدوا اهم وقاموا اهم وهذا الوجه ضعيف لان رسم المصحف كثيرا ما يخالف القياس المقرر في علم الخط (قوله وفيه انكار وتعجب من حالهم) في الاجتراء على التطفيف والانكار مستفاد من

صورة الاستفهام فان ألاهنا ليست للتنبيه بل هي همزة الاستفهام دخلت على لا النافية وأفادت الانكار على انتفاء ظنهم والتعجب مستفاد من ذكر الظن في موضع ذكر اليقين والانكار على انتفائه فان الواجب على العاقل ان يتيقن البعث والجزاء لتعاضد الدلائل العقلية والنقلية عليه وان لا يتجاسر على ما يوجب الافتضاح والخجالة على رؤس الاشهاد في يوم الحساب وان لم يتيقن به فلا اقل من ان يظنه ومن تجاسر عليه يرى من ظاهر حاله انه لا يظن البعث والحساب ولا يخطر بباله فضلا عن التيقن به فان الظن كاف في حصول الخوف الموجب للامتناع عن التطفيف ونحوه وعدم امتناعه عنه يدل على انه لا يظن ذلك وذلك امر عجيب حيث كان أسوأ حالا من الكفار فانهم يظنون البعث ويقولون ان نظن الاظنا ومانحن بمستيقنين (قوله او بدل من الجار والمجرور) فانه منصوب المحل (قوله لحكمه) قدر المضاف لان ذاته تعالى لا تكون علة لقيامهم الا باعتبار كونه حاكما وآمرا بذلك (قوله وذكر الظن) فان ذكره ليس لاجل ان امر البعث والقيام من القضايا التي يكفي المؤمن ان يظن بوقوعها لانه مما يجب ان يعتقده المؤمن اعتقادا جازما ثابتا بل انما ذكر للمبالغة في المنع عن التطفيف لدلالته على ان الظن بالبعث والقيام يكفي في الامتناع والانزجار عن امثاله فضلا عن الجزم واليقين به وكذا وصف اليوم بالعظم فان ما يستعظمه الله تعالى لاشك انه يكون في غاية العظمة وقد مر ان عظمته لعظم ما يكون فيه من الاهوال وكذا ذكر قيام الناس فيه لله الكبير المتعال اي لحكمه يدل على المبالغة في المنع عن ذلك وكذا ذكر وصف نفسه بالربوبية للعالمين فان من كان مالكا للعالمين وكان العالم باسره مسخرا في قبضته وقدرته كيف يمنع عنه الظالم القوى وكيف يضيع حق المظلوم الضعيف فان مقتضى الربوبية ان لا يضيع شيأ من حقوق المستحقين واصل المنع من التطفيف قد حصل بقوله اولا ويل للمطففين فانها كلمة تقال لمن استحق ان يترل عليه بلية وآفة ويقال ويل لك زجرا له عما هو فيه فدل بذلك على ان المطففين يترل بهم بسبب تطفيفهم بلية وعذاب هائل فما ذكر بعده يكون للمبالغة في المنع قال اعرابي لبعض الملوك انك قد سمعت ما قال الله عز وجل في المطففين اراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم في اخذ القليل فما ظنك بنفسك وانت تأخذ اموال المسلمين بغير كيل ولا وزن (قوله ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم) جواب عما قال الامام الله تعالى بان كتاب الفجار في سجين ثم فسر السجين بقوله كتاب مرقوم فصار كأنه قيل ان كتابهم في كتاب مرقوم

(يوم يقوم الناس) نصب بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور ويؤيده القرآءة بالجر (لرب العالمين) لحكمه وفي هذا الانكار والتعجب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله والتعبير برب العالمين مبالغات في المنع عن التطفيف وتعظيم اثمه (كلا) ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب (ان كتاب الفجار) ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم (لفي سجين) كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال

(وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم) اى مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه فعيل من السجن لقب به الكتاب لانه سبب الحبس اولانه مطروح كما قيل تحت الارضين فى مكان وحش وقيل هو اسم مكان والتقدير مكان السجين او محل كتاب مرقوم فحذف المضاف (ويل يومئذ للمكذبين) بالحق او بذلك (الذين يكذبون بيوم الدين) صفة مخصصة او موضحة او دامة (وما يكذب به الا كل معتد) متجاوز عن النظر غال فى التقليد حتى استقصر قدرة الله وعلمه فاستحال منه الاعادة

فما معناه اجاب عنه المصنف اولا بان الكتاب فى قوله كتاب الفجار مصدر كتب يقال كتب كتبا وكتابا وكتابة اطلق فى الآية على المكتوب كضرب الامير والكتاب الذى فسر به السجين على السفر الذى كتب فيه الاعمال والمعنى الاعمال المكتوبة للفجار مثبتة فى الكتاب الجامع لجمع اعمال الفجرة وثانيا بان الكتاب الاول مصدر مستعمل فى اصل معناه وهو فى النظم مصدر مضاف والتقدير ان كتابة اعمال الفجار ثابتة فى السجين الذى هو كتاب جامع لاعمال الفجرة (قوله اى مسطور بين الكتابة) وفى الصحاح الرقم الكتابة والختم فان فسر المرقوم بالمكتوب يكون بوصف الكتاب للدلالة على انه بين الكتابة بحيث كل من نظر اليه يطلع على ما فيه بلا دقة نظر وامعان توجه وان فسر بالمختوم يكون المقصود الدلالة على ان ذلك الكتاب مشتمل على علامة دالة على شقاوة صاحبه وكونه من اصحاب النار لان الختم علامة وكونه علامة الشر مستفاد من المقام لانه مقام الذم والتهويل (قوله فعيل من السجن) اختلف فى ان السجين علم لشئ معين او اسم مشتق فمن ذهب الى الثانى قال انه فعيل من السجن وهو الحبس كالفسيق مشتق من الفسق فهو فى الاصل من اسماء الصفة وموضوع لما فعله ثم نقل من الوصفية وجعل لقبا للكتاب لكونه سببا لحبس صاحبه ومعنى صيغة المبالغة الدلالة على المبالغة فى كونه سبب الحبس والتضييق فانه يؤول الى حبس لا يجد صاحبه فيه شيأ من الروح والسعة (قوله اولانه مطروح) اى ويجوز ان يكون السجين مبالغة المسجون ثم نقل من الوصفية وجعل لقبا للكتاب لكونه مطروحا فى اسفل المواضع واوحشها وهو اسفل سبع ارضين وفيه ابليس وذريته لعنه الله فيطرح فيه الكتاب الجامع لاعمال الفجرة الملقب بالسجين ليكون ذلك علامة لخسارهم وخفة مقدارهم ولا يصعد به الى السماء كما يصعد بكتاب المؤمنين كما قال ان كتاب الابرار لفى عليين (قوله وقيل هو اسم مكان) اى وقيل انه ليس بمشتق بل هو اسم علم لشئ معين هو الارض السابعة السفلى او حية فى جهنم او صخرة تحت الارض السابعة تقلب فيجعل كتاب الفاجر تحتها فعلى تقدير ان يكون السجين اسم مكان لا يصح ان يحمل عليه كتاب مرقوم الا ان يقدر المضاف فى قوله ما سجين او فى قوله كتاب مرقوم ليصح الحمل واليه اشار المصنف بقوله والتقدير مكان السجين او محل كتاب مرقوم (قوله للمكذبين بالحق) اى بما يجب تصديقه من الحق اى حق كان وقوله او بذلك اى بذلك اليوم الذى يقوم فيه الناس لرب العالمين ولم يذكر صلة المكذبين اما للتعميم لكل ما يجب ان يصدق به واما للدلالة القرينة عليه وهو يوم يقوم الناس فيه فعلى الاول

يكون قوله تعالى الذين يكذبون بيوم الدين صفة مخصصة لكون مفهومه اخص من مفهوم موصوفه وعلى الثانى صفة موضحة ان كان ذات الموصوف معلوما للمخاطب بوجه ما ومجهولا من حيث انه يصدق عليه مفهوم الصفة وان كان معلوما له من هذه الحيثية ايضا تكون الصفة للذم فان الصفة الموضحة لابد ان يكون مفهومها عين مفهوم موصوفها ولا يكون بينهما فرق الا بالاجمال والتفصيل باشتمال مفهومها على زيادة تفصيل وبيان ليس فى مفهوم الموصوف بحيث تصلح ان يكون معرفا له كما فى قولك الجسم الطويل العريض العميق يحتاج الى فراغ يشغله (قوله الحدجة) اى المنحة تجعة باطلة لايعتدبها من احدجت الناقة اذا جاءت بولدها ناقص الخلق والاعتداء هو التجاوز للحد عن النهج الحق وجعله المصنف على اهمال القوة النظرية التى كان ان يعرف الانسان بها الحق لذاته كوجود الصانع ووحدته واستكماله لجميع صفات الجلال والجمال ومن يكذب بالبعث والقيامة انما يكذب لاستقصاره قدرة الله تعالى وعدم اعتقاده بكونه تعالى قادرا على جميع الممكنات اولاستقصاره علمه تعالى وعدم اعتقاده بكونه تعالى عالما بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات ليعلم انه تعالى عالم بتفاصيل اجزاء كل شخص متميزة عن اجزاء غيره وانه تعالى قادر على جمعها واعادة الحياة فيها ولاشك ان من وصف الله تعالى بما لايجوز ان يوصف به فقد اهمل قوته النظرية ولم يستعملها ليكتسب بها العقائد الحقة ويعتقدها والاثيم يدل على المبالغة فى ارتكاب الاثم والمعصية بسبب الاتباع للشهوة والغضب فانه يستلزم اهمال القوة العملية التى كمالها ان يعرف الحق لاجل العمل به ثم انه تعالى وصف المكذب بيوم الدين بوصف ثالث فقال اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين وهذا من الاعتداء عن النظر فى شواهد النقل بانكار النبوة والقدح فى كون القرآن من عند الله تعالى والاعتداء بهذا الوجه وان كان مندرجا فى الاعتداء المذكور اولا الا انه خص بالذكر للمبالغة فى ذم من اتصف به فان امر الارسال والانزال اشرف آثار رحمة الله تعالى وفضله على عباده ومن انكرهما فهو فى غاية الطغيان فلا يستبعد منه تكذيبه بيوم الدين وفى الصحاح السطر بسكون الطاء الصف من الشئ ويجمع على اسطر وسطور مثل افلس وفلوس فى جمع فلس والسطر بفتح الطاء مثله ويجمع على اسطار مثل سبب واسباب ثم يجمع على اساطير والاساطير الاباطيل جمع اسطوره بالضم اواسطارة بالكسر فأساطير الاولين احاديثهم واخبارهم الباطلة (قوله ردلما قالوه) من ان ماتتلى عليهم اساطير يعنى ان كلمة بل ههنا للاضراب عن قولهم ذلك بعد ردعهم عنه وان

(اثيم) منهمك فى الشهوات المخدجة بحيث اشغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها (اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين) من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا يسمعه شواهد النقل كما لم ينفعه دلائل العقل (كلا) ردع عن هذا القول (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) رد لما قالوه وبيان لما ادى بهم الى هذا القول بان غلب عليهم حب المعاصى بالانهماك فيها حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمى عليهم معرفة الحق والباطل

فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات كما قال عليه الصلاة والسلام ان العبد كلما اذنب ذنبا تحصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه والرين الصدأ وقرأ حفص بل ران باظهار اللام وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بل رين بالامالة (كلا) ردع عن الكسب الرائن (انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن انكر الرؤية جعله تمثيلا لاهانتهم باهانة من يمنع عن الدخول على الملوك اوقدر مضافا مثل رحمة ربهم اوقرب ربهم (ثم انهم لصالوا الجحيم) ليدخلون النار ويصلون بها (ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون) يقوله لهم الزبانية (كلا) تكرير للاول ليعقب بوعد الابرار كما عقب بوعد الفجار اشعارا بان التطفيف فجور والايفاء بر اوردع عن التكذيب

وجه الاضراب عنه ابطاله وقد يكون الاضراب لمجرد الاعراض عما سبق وجعله في حكم المسكوت عنه مع الشروع فيما هواهم وههنا اضرب عنه لبطلانه في نفسه وشرع في بيان ماادى بهم اليه كانه قيل ليس الامر كما يقولون من انه اساطير بل كان ما كسبوه من الافعال القبيحة سببا لحصول الرين وهو الدنس والصدأ في قلوبهم فلذلك اضرب عن ذلك القول الباطل (قوله فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات) تعليل لكون الانهماك في المعاصي سببا لغلبة حب المعاصي عليهم فان الانسان كلما تكررت منه مباشرة المعصية حصلت في قلبه ملكة نفسانية يزول بسببها انفاؤه عن ارتكابها بل يزداد ميله ورغبته فيها فذلك رين ودنس وظلمة على القلب مانعة من ادراك الحق والباطل كما ان الطاعات لها انوار وضياء معينة لمعرفة الحق والباطل فكلما كثرت الذنوب ازداد القلب ظلمة واسودادا وبحسب اسوداده يزداد المرء وقاحة حتى اذا اسود القلب كله والعياذ بالله تعالى لم يبق في قلبه شئ من المعرفة والحياء ويرجع بالكلية ما معه عن ارتفاع الشهوة والغضب ويغلب عليه حب المعاصي بحيث لايقدر على الامتناع عنها وكلمة ما في قوله تعالى ما كانوا يكسبون يجوز ان تكون مصدرية وان تكون موصولة وراجعها محذوف ومحلها على التقديرين الرفع على الفاعلية اى غلب على قلوبهم كسبهم الذى كانوا يكسبونه (قوله فلا يرونه بخلاف المؤمنين) وهذه الآية من جملة ادلة الرؤية فان المؤمنين لو لم يروه فى الآخرة كالكفار لما كان لتخصيص الكفار بانهم محجوبون عن الله تعالى فائدة وايضا انه ذكر الحجاب هنا في معرض الوعيد والتهديد للكفار وما يكون وعيدا وتهديدا لهم لايجوز حصوله في حق المؤمن فوجب ان لايحصل هذا الحجاب في حق المؤمن

يراه المؤمنون بغير كيف ❊ وادراك وضرب من مثال

وينسون النعيم اذا رأوه ❊ فياخسران اهل الاعتزال

واجاب المعتزلة عن هذا الاستدلال بان الحجاب المختص بالكفار ليس بمعنى عدم الرؤية حتى يقال انه تعالى لما خص الحجاب بالكفار دل ذلك على انه مرفوع عن الابرار بل هو مجاز عن كونهم اذلاء مهانين عند الله تعالى شبهت حالهم بحال من كان محجوبا عن بعض السلاطين لحقارته وعدم استحقاقه للدخول عليه فاطلق عليهم اسم المشبه به ومنهم من اجاب بان تقدير الكلام انهم عن رحمة ربهم اوعن قرب ربهم لمحجوبون فليس لهم نصيب من ذلك (قوله تكرير للاول) وهو قوله كلا ان كتاب الفجار لفي سجين فيكون ردعا عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب مثله لما ذكر حال الفجار المطففين اتبعه

(ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم) الكلام فيه مامر في نظيره (يشهده المقربون) يحضرونه ويحفظونه او يشهدون على مافيه يوم القيامة (ان الابرار لفي نعيم على الارائك) على الاسرة في الحجال (ينظرون) الى ما يسرهم ﴿ ٢٢١ ﴾ من النعيم والمفرحات (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) بهجة التنعم و بريقه وقرأ يعقوب تُعرف على بناء المفعول ونضرة بالرفع (يسقون من رحيق) شراب خالص) مختوم ختامه مسك) اى مختوم اوانيه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته او الذى له ختام اى مقطعه هو رائحة المسك وقرأ الكسائى خاتمه بفتح التاء اى مايختم به ويقطع (وفى ذلك) يعنى الرحيق او النعيم (فليتنافس المتنافسون) فليرتغب المرتغبون (ومزاجه من تسنيم) علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها اورفعة شرابها (عينا يشرب بها المقربون) فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله ويمزج لسائر اهل الجنة وانتصاب عينا على المدح او الحال من تسنيم والكلام فى الباء كما فى يشرب بها عباد الله (ان الذين اجرموا) يعنى رؤساء قريش (كانوا من الذين آمنوا يضحكون) كانوا يستهزؤن بفقراء المؤمنين (واذا مروا بهم يتغامزون) يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين) ملتذين بالسخرية منهم وقرأ حفص فكهين (واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون) واذا رأوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال (وما ارسلوا عليهم) على المؤمنين

بذكر حال الابرار الذين لايطففون (قوله الكلام فيه مامر) فالمعنى الاعمال المكتوبة للابرار او كتابة اعمالهم لفى عليين اى لفى كتب جامعة لجميع اعمال الابرار على ان عليين فى الاصل جمع علي وهو فعيل من العلو للمبالغة فيه ثم نقل عن الوصفية وجعل علما للكتاب الجامع لكونه سببا لعلو صاحبه غاية العلو وقيل عليون اسم مكان اعرابه كاعراب الجمع لكونه على لفظ الجمع ثم اختلفوا فى ذلك المكان وقيل هو السماء الرابعة وقيل هو السماء السابعة وقيل هو قائمة العرش اليمنى فوق السماء السابعة وقيل هو سدرة المنتهى فعلى تقدير كونه اسم مكان لايحمل عليه كتاب مرقوم الا ان يحمل الكلام على تقدير المضاف فى الاول او فى الثانى ويكون التقدير وما ادراك ما كتاب عليين اوهو محل كتاب مرقوم (قوله على الاسرة فى الحجال) وهى جمع حجلة بالتحريك وهى بيت العروس يزين بالاسرة والثياب والستور فان الاسرة لاتسمى اريكة الا اذا كانت فى الحجال عن الحسن قال كنا لاندرى ما الاريكة حتى لقينا رجل من اهل اليمن اخبرنا ان الاريكة عندهم ذلك ولما عظم الله تعالى كتاب الابرار فى الآية المتقدمة عظم بهذه الآية مرتبتهم فقال ان الابرار لفى نعيم والرحيق من الشراب مالاغش فيه ولاشئ يفسده (قوله اى مختوم اوانيه) من الاكواب والاباريق اى هو ممنوع من ان يمسه يد الى ان يفك ختمه الابرار وذلك يشعر بعزة الشراب ومرسله والمرسل اليه (قوله او الذى له ختام) عطف على قوله اى مختوم اوانيه بالمسك اى يجوز ان يكون قوله ختامه مسك بمعنى مقطعه اذا شرب رائحة مسك بان يوجد رائحة المسك عند خاتمة شربه فان ختام الشئ وخاتمه آخره (قوله والكلام فى الباء كما الخ) اى كما مر فى سورة الانسان من انها اما صلة الالتذاذ اى يشرب المقربون متلذذين بها او بمعنى من لان الشرب مبدأ منها اومن بدء اى يشرب بها بتقدير يشرب ماءها لان العين لاتشرب وانما يشرب ماؤها ويحتمل ان تكون بمعنى فى اى يشربون وهم فيها والجملة فى موضع الصفة لقوله عينا (قوله يعنى رؤساء قريش) اشارة الى ان سبب النزول ان اكابر المشركين كابى جهل والوليد بن المغيرة وامثالهما كانوا يضحكون من فقراء المسلمين ويستهزؤن بهم كعمار وصهيب وبلال فنزلت ووجه ارتباطها بما قبلها انه تعالى لما وصف كرامة الابرار فى الآخرة ذكر بعد ذلك

قبح معاملة الكفار معهم فى الدنيا من استهزائهم وضحكهم منهم ثم بين ان ذلك سينقلب على الكفار فى الآخرة والمقصود منه تسلية المؤمنين وتقوية قلوبهم وذكر من معاملاتهم القبيحة اربعة اشياء اولها قوله ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون اى يستهزؤن بهم و بدينهم وثانيها قوله واذا مروا بهم يتغامزون والتغامز تفاعل من الغمز وهو الاشارة بالجفن والحاجب ويكون الغمز ايضا بمعنى العيب والمعنى انهم يشيرون اليهم بالاعين استهزاء بهم و يعيبونهم و يقولون انظروا الى هؤلاء يتعبون انفسهم و يتركون اللذات ويتحملون المشقات لما يرجونه فى الآخرة من المثوبات مع ان امر البعث والجزاء ليس بمتيقن بل هو بعيد كل البعد وثالثها قوله واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين اى معجبين فرحين بما فعلوا بالمؤمنين وهو حال من فاعل انقلبوا كما ان حافظين حال من فاعل ارسلوا قيل فاكهين وفكهين لغتان بمعنى باعجبين متلذذين وقيل فاكهين اى منعمين مشغولين بما هم فيه من الكفر واتباع الشهوات وفكهين معجبين ورابعها قوله تعالى واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون اى هم على ضلال فى تركهم التنعم الحاضر بسبب طلب ثواب لاندرى هل له وجود اولا ثم قال وما ارسلوا عليهم حافظين يعنى ان الله تعالى لم يبعث هؤلاء الكفار رقباء على المؤمنين يحفظون عليهم احوالهم و يتفقدون ما يصنعونه من حق او باطل فيعيبون عليهم ما يعتقدونه ضلالا وانما امروا باصلاح انفسهم واى نفع لهم فى تتبع احوال غيرهم تمت سورة المطففين والحمد لله رب العالمين

(سورة الانشقاق مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله انشقت بالغمام) الانشقاق التصدع وذلك من علامات القيامة والغمام السحاب والباء فيه للآلة كما فى قولهم انشقت الارض بالنبات والمعنى ان السماء تتصدع لغمام يخرج منها ولم يكن فى ذلك الغمام ملائكة العذاب وكان ذلك اشد واوجل من حيث انه جاء العذاب من موضع الخير وعلى هذا يكون انشقاق السماء لنزول الملائكة وقيل تنشق للسقوط والانتقاص و يؤيد الاول ماروى من انها تنشق من المجرة وهى باب السماء يقال لها بالفارسية راه كهكشان وهى ترى فى الشتاء فى اول الليل فى ناحية السماء وفى الصيف فى اول الليل فى وسط السماء وتنتقل فى آخر الليل الى غير موضعها و يقال ان النجوم تتناثر فى المجرة فطمس بعضها فصارت كالسحاب (قوله واستمعت له) الجوهرى اذن له اذنا استمع وانشد

ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا ﴿ وكل ماسمعوا من صالح دفنوا

(حافظين) يحفظون عليهم اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) حين يرونهم اذلاء مغلولين فى النار وقيل يفتح لهم باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليه اغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم (على الارائك ينظرون) حال من يضحكون (هل ثوب الكفار) هل اثيبوا (ما كانوا يفعلون) وقرأ حمزة والكسائى بادغام اللام فى الثاء ﴿ قال النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة

(سورة الانشقاق مكية وآيها خمس وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا السماء انشقت) بالغمام كقوله تعالى يوم تشقق السماء بالغمام وعن على رضى الله تعالى عنه تنشق من المجرة (واذنت لربها) واستمعت له اى انقادت لتأثير قدرته حين اراد انشقاقها انقياد المطواع الذى يأذن للآمر ويذعن له

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به ❊ وان ذكرت بشر عندهم اذنوا

وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما اذن الله لشئ كأذنه لنبى يتغنى بالقرآن اى ما استمع الى شئ كاستماعه الى صوت نبى يقرأ القرآن المنزل عليه وهو مجاز عن الاعتداد بذلك والاستحماد له اى لايعتد بشئ كاعتداده بذلك فان حقيقة الاصغاء والاستماع لمالم يتصور فى حقه تعالى حملت على غايتها التى هى الاعتداد والرضى واذا اسند الى نحو السماء ممن ليس من اهل الاعتداد والاستحسان يكون مجازا عن المطاوعة لتأثير قدرة الله تعالى وعدم الامتناع عنه بان شبهت حال السماء فى انقيادها لتأثير قدرته تعالى حين اراد انشقاقها بانقياد المستمع المطواع للآمر فاستعير لانقيادها لفظ الاذن والاستماع المستعمل فى غايته التى هى انقياد المأمور المطيع فهو مجاز فى المرتبة الثانية قال الامام انه لم يوجد فى جرم السماء مايمنع من تأثير قدرة الله تعالى فى شقها وتفريق اجزائها فكانت فى قبول ذلك التأثير كالعبد الطائع الذى اذا ورد عليه الامر من جهة المالك انصت له واذعن ولم يمتنع كقوله تعالى ائتيا طائعين وكذا قوله واذنت لربها وحقت عبارة عن نفوذ القدرة فى الايجاد والاعدام وتفريق الاجزاء من غير ممانعة اصلا (قوله فهو محقوق وحقيق) اى جدير بان يستمع وينقاد لانها ممكنة لذاتها والممكن لذاته يحق له ان ينقاد لقدرة من يؤثر فى وجوده وصفاته وافعاله (قوله واكامها) جمع أكم بضمتين مثل حبل وحبال والاكم بضمتين مثل عنق واعناق والاكم جمع اكام مثل كتب وكتاب والاكام جمع أكم مثل جبل وجبال والاكم جمع اكمة مثل ثمر وثمرة والاكمة الجبل الصغير فان زلزلة الساعة تزيل جبال الارض واكامها وتنسفها نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا فتستوى ظهر الارض وتنبسط والمد بمعنى البسط مأخوذ من مددت الشئ فامتد ويؤيده ماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال مدت مد الاديم العكاظى فان الاديم اذا مد زال كل انثناء فيه واستوى وقيل انه مأخوذ من مده اذا أمده اى يزاد سعتها يوم القيامة لوقوف الخلائق عليها للحساب واعلم انه لابد من الزيادة فى وجه الارض سواء كان ذلك تمديدها او امدادها لان الخلائق باسرهم من الاولين والآخرين لما كانوا واقفين على ظهرها يوم القيامة لابد من الزيادة فى طولها وعرضها عن على بن الحسين انه قال قال رسول الله عليه الصلاة والسلام اذا كان يوم القيامة مدت الارض مد الاديم حتى لايكون لبشر من الناس الا موضع قدميه يعنى لكثرة الخلائق فيها (قوله وتخلت) اى خلت غاية الخلو حتى لم يبق فى باطنها شئ فصارت بذلك كانها تكلفت فى الخلو اقصى وسعها وطاقتها فان حقيقة التكلف غير

(وحقت) اى وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق (واذا الارض مدت) بسطت بان يزال جبالها واكامها (وألقت ما فيها) ماقى جوفها من الكنوز والاموات (وتخلت) وتكلفت فى الخلو أقصى جهدها حتى لم يبق شئ فى باطنها (وأذنت لربها) فى الالقاء والتخلية (وحقت) للاذن وتكرير اذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه محذوف للتهويل بالابهام

منصوره فى الارض والجهد نصب الجسم الطاقة وبالفتح المشقة وقوله واذنت لربها وحقت ليس بتكرار لان الاول فى حق السماء وهذا فى الارض ثم انه تعالى لما ذكر من مقدمات القيامة ومباديها امورا وجعلها شروطا ولم يذكر جزاءها ليكون ابهامه ادخل فى التهويل كانه قيل اذا وقعت هذه الامور كان مالا يدخل تحت الوصف والبيان حاطب جنس الانسان خطابا منزلا منزلة مخاطبة كل واحد منهم على التعيين فقال له انك كادح الى ربك كدحا والكدح فى اللغة السعى الشديد فى العمل وذلك العمل اما الذهاب اليه تعالى بان يفارق البدن بالموت ويصل الى عالم الارواح واما اعماله التى عملها فى الدنيا من الخير والشر فانه يسعى بها الى ربه فيحاسبه بها فالمعنى على الاول انك ساع مجهد تسير مع انفاسك كما قيل انفاسك خطاك تسير سريعا الى ربك اى الى اماتته بالموت فملاقيه عند مجئ اجلك فانظر بأى عمل تلقاه اى فالقه بعمل يخلصك لابعمل يردك وعلى الثانى انك كاد بعملك فى دنياك كدا وسعيا تسير الى ربك فيحاسبك ويجازيك به فانظر بأى عمل تسير اليه (قوله او الاكتفاء) عطف على التهويل يعنى ان المحذوف امامبهم يذهب ذهن السامع كل مذهب لابهامه ليكون ذلك ادخل فى التهويل اومتعين وهو قوله علمت نفس ماسعى فيه من خير وشر ولم يذكر اكتفاء بما مر (قوله او بدلالة قوله) عطف على قوله مامر وقوله عليه اى على الجواب المحذوف وهو متعلق بالدلالة (قوله لاقى الانسان كدحه) اى عمله الذى كدح فيه وتعب وفيه اشارة الى ان ضمير فملاقيه راجع الى الكدح الا ان الكدح لكونه عرضا لايبقى يمتنع ملاقته فلابد من تقدير المضاف اليه اى فملاق حسابه وحكمه لامنزلة منه (قوله اى جهدا يؤثر فيه) بفتح الجيم وهو المشقة والتعب وهو تفسير لقوله كدحا لانصبها ولذلك عطف عليه الكد فى الكشاف حيث قال الكدح جهد النفس فى العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلده وجهه اذا خدشها (قوله او فملاقيه) عطف على قوله محذوف واذا كان قوله فملاقيه جواب اذا يكون قوله ياايها الانسان انك كادح معترضا بين الشرط والجزاء والمعنى اذا كان يوم القيامة لقى الانسان عمله اى جزاء عمله واليه اشار بقوله والكدح اليه السعى الى لقاء جزائه (قوله لايناقش فيه) يعنى ان الحساب اليسير هو العرض بان تعرض عليه اعماله ويعرف ان الطاعة منها هذه وان المعصية هذه ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لانه لاشدة فيه على صاحبه ولامناقشة ولايقال له لم فعلت هذا ولايطالب بالعذر ولابالحجة عليه فانه متى طولب بذلك لم يجد عذرا ولاحجة فيفتضح كما قال عليه الصلاة والسلام من نوقش فى الحساب فقدهلك والحساب اليسير هو العرض

فتح اللام.
لهم احرجر
وصلوا اليه او الاكتفاء بما مر فى نفصيل السور فى التكوير والانفطار (على الاول او بدلالة قوله (يا ايها لخال من الانسان انك كادح الى ثواب الكفار ربك كدحا فملاقيه) (ما كانو اعمليه و تقديره لاقى الانسان جزره و الكدح اى جهدا يؤثر فيه من كدحه اذا خدشه او فملاقيه و ياايها الانسان انك كادح الى ربك اعتراض والكدح اليه السعى الى لقاء جزائه (فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) سهلا لايناقش فيه (وينقلب الى اهله مسرورا) الى عشيرته المؤمنين او فريق من المؤمنين او اهله فى الجنة من الحور

(واما من اوتى كتابه وراء ظهره) اى يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره قيل يغل يمناه الى عنقه و يجعل يسراه وراء ظهره (فسوف يدعون ثبورا) تمنى الثبور و يقول يا ثبوراه وهو الهلاك (و يصلى سعيرا) وقرأ الحجاز يان والشامى والكسائى و يصلى كقوله تعالى و تصلية جحيم وقرئ و يصلى كقوله وتصليه جهنم (انه كان فى اهله) فى الدنيا (مسرورا) بطرا بالمال والجاه فارغا عن الآخرة (انه ظن ان لن يحور) لن يرجع الى الله تعالى (بلى) ايجاب لما بعد لن (ان ربه كان به بصيرا) عالما باعماله ولا يهمله بل يرجعه و يجازيه (فلا اقسم بالشفق) الحمرة التى ترى فى افق المغرب بعد الغروب وعن ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه انه البياض الذى يليها سمى به لرقته من الشفقة

وسوف من الله تعالى واجب (قوله اى يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره) يعنى ان قوله تعالى فى هذه السورة واما من اوتى كتابه وراء ظهره لا ينافى قوله فى سورة الحاقة واما من اوتى كتابه بشماله لامكان الجمع بينهما بان تخلع يده اليسرى من موضعها فتجعل وراء ظهره ويعطى كتابه بشماله خلف ظهره قيل ويحتمل ان يكون بعضهم يعطى كتابه بشماله وبعضهم من وراء ظهره ولما اوتى كتابه من غير يمينه علم انه من اهل النار فيقول واثبوراه قيل الثبور مشتق من المثابرة على الشئ وهي المواظبة عليه وسمى هلاك الآخرة ثبورا لانه لازم لا يزول (قوله وقرأ الحجازيان) وهما نافع وابن كثير والشامى وهو ابن عامر يصلى بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام وقرأ ابو عمرو البصرى وعاصم وحمزة يصلى بفتح الياء واسكان الصاد مخففا وقرئ يصلى بضم الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام اى يدخله غيره لقوله تعالى ونصليه جهنم (قوله فارغا عن الآخرة) وعما فيها من الحساب والثواب والعقاب فتقاعد لذلك عن تعب المجاهدة فى الطاعات واجتناب المعاصى والمنكرات فابدله الله تعالى من ذلك السرور والامن غما واثما بخلاف المؤمن فانه لما كان متقيا عن المعاصى مجتهدا فى الطاعات غير آمن من العذاب ولم يكن فى الدنيا مسرورا بالمال والجاه ولم يكن له فيها الاهم الآخرة والخوف من اهوالها ابدله الله تعالى من غمه ذلك سرورا ابدا لا ينقطع (قوله ظن ان لن يحور) ان فيه مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان المضمر ولن يحور خبرها والجملة سدت مسد مفعولى الظن والمعنى ان هذا الكافر ظن ان الامر والشأن لن يحور الى الله تعالى بان يبعث بعد الموت والحور الرجوع والمحار المرجع وقيل الحور الرجوع الى خلاف ما كان عليه المرء كما فى قولهم نعوذ بالله من الحور بعد الكور والمعنى على هذا انه ظن ان لن يرجع الى خلاف ما هو عليه فى الدنيا من السرور والتنعم ثم قال تعالى بلى اى لتبعثن وعلى الثانى ليبدلن سروره بغم لا ينقطع و ببلاء لا يزول ان ربه كان به بصيرا عالما بما يعمله من الكفر والمعاصى فلم يكن ليحور فى حكمته ان يهمله ولا يعاقبه على سوء اعماله كى يعلمه تعالى عن نعمه ومجازاته عليها وكلمة لا فى قوله تعالى فلا اقسم يجوز ان تكون لرد الكلام السابق وابطاله فانه تعالى حكى عن المشرك انه ظن ان لن يحور اى يبعث فأبطل الله تعالى ذلك الظن بقوله بلى ثم قال بعد اقسم بالشفق والفاء للتعقيب فانه تعالى لما اوجب الحور والبعث بقوله بلى فرع عليه رد قوله وابطال ظنه و يجوز ان تكون كلمة لا صلة وقد مر مرارا واتفق العلماء غير عكرمة ومجاهد على ان الشفق اسم للاثر الباقى من الشمس فى الافق بعد غروبها ثم اختلفوا بعد ذلك فذهب عامتهم الى

(والليل وما وسق) وما جمعه وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال * مستوسقات لو يجدن سائقا * او طرده الى اماكنه من الوسيقة (والقمر اذا اتسق) اجتمع وتم بدرا (لتركبن طبقا عن طبق) حالا بعد حال مطابقة لاختها في الشدة

انه هو الحمرة التي ترى في المغرب بعد غروب الشمس واليه ذهب ابو يوسف ومحمد رحمهما الله وظاهر قول ابي حنيفة رحمه الله ان الشفق البياض الذي يعقب الحمرة الا ان اسد بن عمرو قال ان اباحنيفة رجع عن هذا القول واختار ان الشفق هو الحمرة قال به صاحباه والشفق في الاصل الرقة ومنه ثوب شفق اذا رق لطول اللبس و الشفقة على الانسان رقة القلب عليه واذا كان هذا اصله فهو بالبياض اولى منه بالحمرة لان اجزاء الضياء في البياض ارق وفي الحمرة اكثف قال اثر الشمس اعني ضوءها يأخذ في الرقة والضعف من غيبة الشمس الى ان يستولي سواد الليل على الآفاق كلها وقال عكرمة ومجاهد ان الشفق هو النهار بناء على ان الشفق اثر الشمس وهو كوكب نهاري واثرها هو النور ويؤيده انه تعالى عطف عليه الليل وهو يستدعي ان يكون المذكور قبله النهار فيكون القسم واقعا بالليل والنهار اللذين احدهما معاش والآخر سكن وبهما قوام امور العالم (قوله وما جمعه) اي وما كان منتشرا بالنهار فان الليل اذا اقبل آوى كل شيء الى مأواه والوسق ضم الشيء بعضه الى بعض يقال وسقه فاتسق واستوسق كوسعه فاتسع واستوسع وما في قوله تعالى وما وسق موصولة او موصوفة بمعنى الذي جمعه او شيء جمعه اشار اليه المصنف بقوله وما جمعه بتقدير العائد فانه لابد من العائد على التقديرين بخلاف ما اذا كانت مصدرية واشار ايضا الى ان جمع الليل للمخلوقات عبارة عن ستره اياها بظلمته واحاطة الظلمة بها فان ظلمة الليل كانها تجلل الجبال والبحار والاشجار والحيوانات فكانه تعالى اقسم بجميع المخلوقات كما قال تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون وهذا المعنى لا يحصل على تقدير أن تكون ما مصدرية لان المقسم به حينئذ يكون توسق الليل وجمعه لا ما يجمعه الليل من المخلوقات وقيل يحتمل ان يكون المراد بما جمعه العباد المجتهدين بالليل لانه تعالى مدح المستغفرين بالاسحار فيجوز ان يحلف بهم (قوله مستوسقات لو يجدن سائقا) اوله * ان لنا قلائصا حقائقا * والقلوص الناقة الشابة والحقائق جمع حقاق جمع حقة وهي الناقة التي استكملت ثلاث سنين ودخلت في الرابعة وصف الشاعر قلائصه الحقاق بكونها مستوسقات اي مجتمعات وتمنى ان يكون لها سائق (قوله او طرده الى اماكنه) عطف على قوله جمعه وستره يعني ان الوسق في اللغة كما يكون بمعنى الجمع يكون بمعنى الطرد والابعاد ايضا كما يقال للابل المسروقة وسيقة لان السارق طردها من اماكنها وفي الصحاح الوسيقة من الابل كالرفقة من الناس فاذا سرقت طردت معا (قوله اجتمع وتم بدرا) مبني على ما قال من ان اتسق واستوسق مطاوعان لوسقه بمعنى جمعه يقال امور فلان متسقة اي مجتمعة على الصلاح كما يقال منتظمة ثم انه تعالى

لما ذكر ما اقسم به ذكر بعده ما اقسم عليه فقال لتركبن طبقا عن طبق واختار المصنف قراءة من قرأ بضم الباء على خطاب الجنس الذي هو في معنى الجمع لان النداء في قوله يا ايها الانسان انك كادح للجنس ومن قرأ لتركبن بالياء وفتح الباء جعل الكلام اخبارا عن الغائب وهو الانسان المذكور بالاسم الظاهر المنزل منزلة الغائب اي ليركبن الانسان ومعنى الآية ان الناس يلقون يوم القيامة اهوالا وشدائد حالا بعد حال وشدة بعد شدة كانهم لما انكروا البعث اقسم الله تعالى ان البعث كائن لا محالة وان الناس يلقون فيه الشدائد والاهوال الى ان يفرغ من حسابهم فيصير كل احد الى ما اعد له من جنة او نار فهي نظير قوله تعالى بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم (قوله وهو لما يطابق غيره) يعني ان الاصل اسم لما طابق غيره يقال ما هذا بطبق هذا اي لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق (قوله اومراتب من الشدة بعد المراتب) عطف على قوله حالا بعد حال لان طبقا على الاول اسم مفرد اطلق على الحال المطابقة لغيرها وعلى هذا جمع طبقة بمعنى مرتبة يقال طبقات الناس اي مراتبهم فالمراد بها في الآية طبقات الشدة ومراتبها التي بعضها اشد من بعض وهي الموت وما بعده من اهوال القيامة (قوله اوهي وما قبلها) اي اوهي هذه المذكورات وما كان قبلها من الدواهي العارضة للانسان من ابتداء وجوده الى ان يموت (قوله باعتبار اللفظ) فان لفظ الانسان مفرد فخوطب خطاب المفرد المذكر ولو اعتبر معناه لضم الباء على طريق خطاب جماعة الذكور وعلى تقدير ان يكون الخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكون قوله طبقا اسما مفردا لما طابق غيره وهي اما احواله التي يترقى عليه السلام فيها من الظفر والغلبة على المشركين المكذبين بالبعث واظهار دينه على الاديان كلها واما مراتبه عليه الصلاة والسلام في القرب من الله تعالى والاستحقاق لانواع فضله ورحمته بحيث لا يعلم كنه ذلك غيره تعالى واما ما ركبه من طبقات السماء كانه تعالى يقول اقسم يا محمد على انك لتركبن حالا بعد حال حتى يختم لك بعاقبة جميلة فلا يحزنك كفرهم وتماديهم في الكفر والتكذيب او لتركبن درجة بعد درجة في القرب من الله تعالى والكرامة عنده اولتركبن السموات طبقا بعد طبق فانها سبع سموات طباقا فهي بشارة له عليه الصلاة والسلام بصعوده الى السموات لمشاهدة ملكوتها واحلال الملائكة اياه فيها وقد فعل الله تعالى به ذلك ليلة الاسراء وقوله بعد حال وبعد المراتب اشارة الى ان عن بمعنى بعد ووجه ذلك ان الانسان اذا صار الى الشيء مجاوزا عن شيء آخر فقد صار الى الثاني بعد الاول فصح ان يستعمل فيه بعد وعن معا وايضا

وهو لما يطابق غيره فقيل للحال المطابقة اومراتب من الشدة بعد المراتب هي الموت ومواطن القيامة واهوالها اوهي وما قبلها من الدواهي على انه جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي لتركبن بالفتح على خطاب الانسان باعتبار اللفظ او الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على معنى لتركبن حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال شريفة ومرتبة عالية اوطبقا من اطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج وقرئ بالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة

يوم القيامة (واذا قرئ عليهم القرءان لايسجدون) لايخضعون اولايسجدون لتلاوته لماروى انه عليه الصلاه والسلام قرأ واسجد و اقترب فسجد ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم فنزلت واحتج به ابوحنيفة رضى الله تعالى عنه على وجوب السجود فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه انه سجد فيها وقال والله ماسجدت فيها الابعد أن رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يسجد فيها (بل الذين كفروا يكذبون) اى بالقرآن (والله اعلم بما يوعون) بما يضمرون فى صدورهم من الكفر والعداوة (فبشرهم بعذاب اليم) استهزاء بهم (الاالذين آمنوا وعملوا الصالحات) استثناء منقطع اومتصل والمراد من تاب وآمن منهم (لهم اجر غير ممنون) مقطوع او ممنون به عليهم * عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة انشقت اعاذه الله ان يعطى كتابه من وراء ظهره

لمطلة عن تقييد البعد والمجاورة فكانت مشابهة للفظة بعد فصح استعمال احداهما بمعنى الاخرى (قوله وعن طبق صفة لطبقا) اى لتركبن طبقا كائنا بعد طبق او حال من الضمير فى لتركبن وقوله مجاوز لطبق على قراءة تركبن بفتح الباء وقوله اومجاوزين له على القرآءة بضم الباء (قوله يوم القيامة) خص يوم القيامة بالسؤال ايماء اليه مع انهم لايؤمنون باكثر ماتجب الايمان به بل بكله من حيث ان الكلام مسوق لتوبيخ منكرى البعث والقيامة واشنع حالهم لانه تعالى حكى عن الكافر انه ظن ان لن يحور ثم حكم بانه يحور البتة ثم اقسم بالحوادث المتغيرة الطارية على الافلاك والعناصر على ان الناس يلقون بعد البعث طبقا بعد طبق الى ان يستقر كل احد فيما اعدله فان الشفق حالة مخالفة لما قبلها وهو ضوء النهار ولما بعدها وهو ظلمة الليل وكذا الليل حالة حادثة بعد انبساط ضوء النهار تتغير احوال الحيوانات من التفرق الى الاجتماع ومن اليقظة الى النوم وكذا اتساق القمر وكونه بدرا حالة حادثة بعد كونه ناقصا فهو تعالى اقسم بهذه المذكورات على انهم يمشون ويركبون طبقا عن طبق فتخصيص هذه المذكورات بجعلها مقسما بها من حيث ان لها دلالة على ثبوت الدعوى فان من قدر على تغيير الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال على حسب المصالح ومقتضى الحكمة لابد ان يكون قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات فيكون قادرا على البعث والقيامة فلذلك فرع عليه استبعاد عدم ايمانهم بالفاء الدالة على السببية فقال فما لهم لايؤمنون بالبعث والجزاء فان عدم ايمانهم بذلك بعد ظهور الحجة وزوال الشبهة منكر مستبعد جدا وعطف عليه استبعاد عدم خضوعهم وانقيادهم للقرآن عند سماعهم اياه من حيث انهم بالغوا فى امر الفصاحة والبلاغة الى اقصى المراتب الممكنة لنوع البشر فعند سماعه لابد ان يجزموا بكونه معجزا خارجا عن طوق البشر وكونه كلاما الهيا ويعلموا بذلك صدق مبلغه عليه السلام فى دعوى الرسالة فيؤمنوا به ويقبلوا جميع ماكلفهم به * فسر السجود اولا بالخضوع والانقياد ثم جوز ان يراد به نفس السجود عند تلاوة آية السجود على ان يكون المراد بالقرآن آية السجدة مخصوصها لامطلق القرآن وايد هذا الاحتمال بما روى فى سبب النزول (قوله واحتج به) اى بهذه الآية وتذكير الضمير لكونها فى معنى المنزل ووجه الاحتجاج ان الذم انما يتوجه على من ترك الواجب (قوله استهزاء بهم) لان البشارة هى الاخبار بالخبر السار وقد استعملت فى الخبر المؤلم (قوله استثناء منقطع) اى من الضمير المنصوب فى قوله فبشرهم الراجع الى الذين كفروا ولاشك ان الذين آمنوا ليسوا من جنسهم فيكون الاستثناء منقطعا بمعنى لكن الذين آمنوا ويجوز ان يكون متصلا والمعنى

يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد ومشهود) ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما احضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف اي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او المبالغة في الكثرة كأنه قيل ما افرطت كثرته من شاهد ومشهود او النبي وامته او امته وسائر الامم او كل نبي وامته او الخالق والخلق او عكسه فان الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده او الملك الحفظة والمكلف او يوم النحر او عرفة والحجيج او يوم الجمعة والمجمع فانه يشهد له او كل يوم واهله

الا من تاب منهم وآمن بعد ما نزلت هذه الآية فانهم وان كانوا في الحال كفارا الا انهم متى تابوا واستحقوا لان تابوا وآمنوا وعملوا الصالحات تخلصوا من استحقاق العذاب الاليم واستحقوا لان تابوا بأجر غير منقوص ولا مقطوع لان نعيم الآخرة لا ينقطع ❊ تمت سورة الانشقاق والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة البروج مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله البروج الاثني عشر شبهت بالقصور) اي اطلق اسم القصور التي ينزل فيها الاكابر والاشراف على بروج السماء الاثني عشر استعارة تصريحية تشبيها لها بالقصور لكونها منازل السيارات اومقر الثوابت وقيل المراد بالبروج ههنا النجوم التي هي منازل القمر وهي ثمانية وعشرون ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها واذا صار القمر الى آخر منازله دق واستقوس واستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين يوما وان كان تسعة وعشرين فليلة واحدة واطلاق البروج على هذه النجوم ايضا مبني على تشبيهها بالقصور من حيث ان القمر ينزلها ولظهورها ايضا بالنسبة اليها لان البروج مبني عن الظهور وقيل المراد بالبروج عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها وقيل المراد بها ابواب السماء وسميت بروجا لظهورها بالنسبة الى من ينزل من السماء ولان النوازل تخرج منها كما تخرج من القصور (قوله واصل التركيب للظهور) اي للظهور والاعتبار بحسب الرفعة والاشتمال على المحاسن فان القصور لرفعتها وما فيها من المحاسن ظاهرة للاعين فلذلك سميت بروجا ثم يقال برجت المرأة اي شبهت بالبرج في اظهار المحاسن وهو معنى قولهم التبرج اظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال قال تعالى غير متبرجات بزينة (قوله ومن يشهد) اي ومن يحضر في ذلك اليوم من الخلائق الاولين والآخرين من الجن والانس والملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام فانه سبحانه وتعالى لما اقسم باليوم الموعود الذي هو يوم القيامة تنبيها على عظم قدره وشرفه من حيث كونه يوم الفصل والجزاء ويوم تفرده تعالى بالملك والحكم عطف عليه الشاهد وهو من يحضر في ذلك اليوم من الخلائق والمشهود فيه الذي هو ما في ذلك اليوم من العجائب (قوله او النبي وامته) عطف على قوله ومن يشهد في ذلك اليوم اي ويجوز ان يكون الشاهد من الشهادة لا من الشهود وهو الحضور وعلى هذا يكون المشهود بمعنى

المشهود عليه لان الشهادة لاتتعدى بنفسها بل بحرف الجر يقال شهد به وشهد عليه الا انه حذف الصلة كما حذف من المشترك واصله مشترك فيه وعلى تقدير ان يكون الشاهد والمشهود من الشهادة ذكر وجوها في تعيين المراد بهما الاول ما ذكره بقوله اوالنبي وامته ويدل عليه قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله ولاشك ان تبشيره وانذاره ودعوته عليه الصلاة والسلام انما هو بالنسبة الى امته فكذا شهادته يكون بالنسبة اليهم كما قال تعالى في حق امته عليه الصلاة والسلام ويكون الرسول عليكم شهيدا والثاني ما ذكره بقوله اوامته وسائر الامم لقوله تعالى في حق امته عليه الصلاة والسلام وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس والثالث ماذكره بقوله اوكل نبي وامته لقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فانه يدل على ان كل نبي شاهد على امته والرابع ما ذكره بقوله اوالخالق والخلق لقوله تعالى وكفى بالله شهيدا اي شاهدا مطلعا على احوال خلقه والخامس ماذكره بقوله او عكسه فان كل جزئي من جزئيات العالم شاهد على ان له صانعا وعلى التقدير بن يكون القسم واقعا بجميع الكائنات وخالقها قال الشاعر

فياعجبا كيف يعصى الاله * ام كيف يجحده الجاحد

وفي كل شئ له آية * تدل على انه واحد

والسادس ماذكره بقوله اوالملك الحفيظ والمكلف لقوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد فيكون كل نفس مشهودا عليها من حيث ان حفظة اعمالها تشهد عليها بها والسابع ماذكره بقوله او يوم النحر فقد روى عن ابن عمر وابن الزبير والنخعي والثوري رضي الله عنهم ان الشاهد يوم الاضحى فانه يوم عظيم يشهد لمن حج بالاعمال واستحقاق الرحمة والثامن ماذكره بقوله اوعرفة فانه ايضا يوم عظيم يشهد للحجيج وهو جمع حاج كما يقال للعراة عرى وللعادين على اقدامهم عدى والتاسع ماذكره بقوله او يوم الجمعة والمجتمع فانه يشهد على كل عامل بما عمل فيه من خير وشر والعاشر ماذكره بقوله اوكل يوم واهله روى عن الحسن انه قال مامن يوم الا وينادي انا يوم جديد واني على ماتعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيامة (قوله قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل) احتيج الى التقدير لان جواب القسم اذا كان جملة فعلية وكان الفعل ماضيا مثبتا تصدر الجملة بلام الابتداء الداخلة على كلمة قد نحو والله لقد خرج ولا يجوز الاقتصار على احدهما الا عند طول الكلام كما في قوله تعالى والشمس وضحاها الى قوله قد افلح من زكاها فانه لم يؤت

قتل اصحاب الاخدود) قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل

والاظهر انه دال على جواب محذوف كأنه قيل انهم ملعونون يعنى كفار مكة كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة
وردت لتثبيت المؤمنين على اذاهم * ٢٣١ * وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود الخد وهو الشق
فى الارض ونحوهما بناء ومعنى الحق والاحقوق
روى مرفوعا ان ملكا
كان له ساحر فلما كبر ضم
اليه غلاما ليعلمه السحر
وكان فى طريقه راهب
فمال قلبه اليه فرأى
فى طريقه ذات يوم حية
قد حبست الناس فاخذ
حجرا وقال اللهم ان كان
هذا الراهب احب اليك
من الساحر فاقتلها
فقتلها وكان الغلام بعد
يبرئ الاكمه والابرص
ويشفى من الادواء وعمى
جليس للملك فابرأه فسأله
الملك عمن ابرأه فقال
ربى فغضب فعذبه فدل
على الغلام فعذبه فدل
على الراهب فقده بالمنشار
وارسل الغلام الى جبل
ليطرح من ذروته فدعا
فرجف فهلكوا ونجا
واجلسه فى سفينة ليغرق
فدعا فانكفأت السفينة بمن
معه فغرقوا ونجا فقال
للملك لست بقاتلى حتى
تجمع الناس وتصلبنى
وتأخذ سهما من كنانتى
وتقول بسم الله رب
الغلام ثم ترمينى به فرماه فوقع فى صدغه فمات فآمن الناس فامر باخاديد واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع
منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبى فتقاعست فقال الصبى يا اماه اصبرى فانك على الحق فاقتحمت

فيه باللام لطول الكلام او فى ضرورة الشعر كما فى قوله

حلفت لها بالله حلفة فاجر * لناموا وما ان من حديث ولا صالى

وبحث فى مثل تقدير قد بعد اللام لان لام الابتداء لاتدخل على الماضى المجرد فمن
قال ان قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود جواب القسم قال ان اصله لقد قتل اى
لقد لعن فحذف كما فى قوله تعالى قد افلح من زكاها ثم حذف كلمة قد وقيل
فى توجيه جعل الجملة عنهما ان الكلام محمول على التقديم والتأخير كأنه قيل قتل
اصحاب الاخدود والسماء ذات البروج (قوله والاظهر انه دليل جواب
محذوف) جعله اظهر بالنسبة الى كونه جواب القسم بناء على ما اشار اليه من
ان السورة وردت لبيان شدة عداوة كفار قريش للمؤمنين واستحقاقهم بذلك
لعنة الله تعالى وعظيم سخطه وان ذكر قصة اصحاب الاخدود والتعرض
لحديث الجنود وفرعون وثمود المقصود منه تسلية النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم واصحابه على ايذاء الكفار ببيان ان احوال المؤمنين مع الكفار فى جميع
الازمنة مستمرة على هذا المنهج وانه تعالى ينتقم من الكفار المعاندين لاوليائه
المؤمنين فان ذلك يتضمن وعد المؤمنين ووعيد المشركين فاذا كان كذلك ظهر
ان حمل كفار مكة على طرف وتوجيه القسم على تحقيق لعن اصحاب الاخدود
لاوجه له ولاسيما ان ذلك يؤدى الى تقدير قد واللام وعدم ربط الكلام والسماء ذات
البروج ان كفار قريش لملعونون لعاملين لعن اصحاب الاخدود والقتل لكونه
اغلظ العقوبات لايقع الاعن سخط عظيم يوجب الابعاد عن الخير والرحمة
الذى هو اللعن فكان اللعن من لوازم القتل فلذلك عبر به عن اللعن لكونه
ابلغ فى التصريح باللعن من حيث انه بمنزلة اثبات اللعن بالبينة والاخبار بان
اصحاب الاخدود ملعونون لقوة عنادهم وفرط لعنتهم فى ايذاء المؤمنين يدل
على ان كفار مكة ايضا ملعونون للاشتراك فى العلة وهى الاصرار على الكفر
والعناد والمبالغة فى ايذاء المؤمنين وسلوك طريق الكناية ابلغ من التصريح
وادخل فى افادة التسلية (قوله فمال قلبه اليه) فكان الغلام يطيل عنده
القعود بسبب ميله اليه فاذا ابطأ عن الساحر ضربه واذا ابطأ عن اهله
ضربوه فشكا ذلك الى الراهب فقال يابنى اذا استبطأك الساحر فقل حبسنى
اهلى واذا استبطأك اهلك فقل حبسنى الساحر فبينما هو بالطريق ذات يوم
ظهرت حية قد حبست الناس الخ (قوله فاقتلها) اى بان تخلق فى قوة
ارمى بها هذا الحجر اليها واصيبها به فرماها فقتلها فصار ذلك سببا لاعراض

العلام عن السحر والتدين بدين الراهب والاشتغال بعبادة الله تعالى فصار الى حيث يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وهو جمع داء الى آخر القصة والزحفة الزلزلة وقال كفأت الاناء اى كببته وقلبته وتقاعست اى تأخرت وكأنها ارتدت وكان لهذه المرأة ثلاثة اولاد احدهم رضيع فقال لها الملك ارجعي عن دينك والا ألقيك واولادك في النار فأبت فأخذ ابنها الاول فالقاه في النار ثم قال لها ارجعي عن دينك فأبت فالقى الثاني ثم قال لها ارجعي فابت فاخذ الصبي ليلقيه في النار فهمت بالرجوع فقال الصبي يا أماه لا ترجعي عن الاسلام فانك على الحق ولا بأس عليك فألقي الصبي في النار والقيت امه على اثره عن عكرمة قال تكلم في المهد اربعة عيسى ويحيى وصاحب جريج وصاحب الاخدود وقال عطاء خمسة هؤلاء وابن ماشطة بنت فرعون وقال الضحاك ستة هؤلاء وشاهد يوسف عليه الصلاة والسلام (قوله وعن علي رضي الله تعالى عنه) عن سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه انه قال اختلف في احكام المجوس فقال عمر رضي الله تعالى عنه ماهم يهود ولا نصارى ولا لهم كتاب وقال علي رضي الله تعالى عنه قد كان لهم كتاب وحرم عليهم في كتابهم الاخوات والبنات وكانت الخمر قد احلت لهم فتدا ولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فوقع على ابنته وعلى اخته فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لهما ويحكما ماهذا الذي اتيت وما المخرج قالتا المخرج منه ان تخطب الناس وتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات والبنات فقام خطيبا فقال ان الله قد احل نكاح الاخوات والبنات فقال له الجماعة معاذ الله ان نؤمن بهذا او نقر به ماجاءنا به رسول ولا انزل علينا كتاب فبسط فيهم السوط فابوا ان يقروا به فجرد عليهم السيف فابوا ان يقروا فخد لهم اخدودا واوقد فيه النيران وعرضهم عليها فمن ابى قذفه في النار ومن اجاب خلى سبيله (قوله وقيل لما تنصر نجران) اى اهل نجران اليمن روى انه وصل الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه الصلاة والسلام فدعاهم الى التنصر فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنوده من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا فاحرق منهم اثنى عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين الفا وفي تعارض هذه الروايات يدل على كذبها اجيب بانه لا تعارض لما روى عن مقاتل انه قال كانت الاخاديد ثلاثة واحد بنجران اليمن وآخر بالشام والثالث بالعراق (قوله صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها) حطبا كان او غيره فان الوقود بالفتح وان شاع في الحطب الا انه يطلق على مطلق ما تتقد به النار اى شئ كان قال تعالى وقودها الناس والحجارة فالمقصود من وصف النار بكونها

وعن علي رضي الله تعالى عنه ان بعض ملوك المجوس خطب بالناس وقال ان الله احل نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر باخاديد النار وطرح فيها من ابى وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فاحرق في الاخاديد من لم يرتد (النار) بدل من الاخدود بدل الاشتمال (ذات الوقود) صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها واللام في الوقود للجنس (اذ هم عليها) على حافة النار (قعود) قاعدون (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه لم يقصر فيما امر به او يشهدون على ما يفعلون يوم القيامة حين تشهد عليهم السنتهم وايديهم

قتل
قبل
تقد

(ذات)

ذات الوقود تعظيم شأنها بالدلالة على كثرة مايكون سببا لاتقادها واشتعالها ولو لم يقصد به هذا المعنى لما بقى للتوصيف فائدة لانه من الظاهر المكشوف ان النار لاتخلو عن الوقود وكلمة اذ فى قوله تعالى اذ هم عليها قعود ظرف لقتل والمعنى لعنوا وقت كونهم قاعدين على حافة النار لالقاء المؤمنين فيها وحافة الشئ جانبه والظاهر ان المراد باصحاب الاخدود الجبابرة الذين يقعدون على شفير النار ويخيرون المؤمنين بين الارتداد وبين الوقوع فى النار فمن ترك الاسلام تركوه ومن كان يصبر عليه القوه فى النار وان ضميرهم فى قوله اذهم لهؤلاء الجبابرة وقعود جمع قاعد وعبر عن القعود على حافة النار وشفيرها بالقعود على نفس النار للدلالة على انهم حال قعودهم على شفيرها مستولون عليها يقذفون فيها من شاؤا ويخلون سبيل من شاؤا (قوله وما نقموا) يقال نقم الامر اذا عابه وكرهه اى وما عابوا منهم وما انكروا الا ايمانهم وانما قال الا ان يؤمنوا بلفظ المستقبل مع ان الايمان وجد منهم فى الماضى لدوامهم عليه فى الآن حتى لو كفروا فى المستقبل لما عذبوهم على ما مضى فكأنه قيل الا ان يستمروا على ايمانهم (قوله استثناء على طريقة قوله ولا عيب فيهم) فان كل واحد منهما من قبيل تأكيد المدح بما يشبه الذم فان كون سيوف الشجعان مشتملة على كسور فى حدها من مصادمة الجيوش من اعز المحامد واجل المفاخر وكذا الايمان بالله تعالى اشرف جميع فضائل المكلفين ولغاية غوايتهم عدوه قبيحا وعابوهم به والمقصود من الآية بيان ان اصحاب الاخدود يستحقون لعنة الله تعالى وسخطه وذلك ان من اتصف بكونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه وحميدا اى محمودا لجميع المخلوقات بلسان المقال او بلسان الحال فان كل ذرة من ذرات الكائنات تثنى على صانعها بكمال العلم والقدرة والحكمة ويحمده على ما انعم به عليه من نعمة الايجاد وما تفرع عليها من سائر النعم وبكونه بحيث ثبت له ملك السموات والارض بحيث لايشاركه احد فى التصرف شئ منهما يستحق ان يؤمن ويصدق بانه رب العالمين ويخص بالعبادة فالجاهل الذى نقم الايمان به وتخصيصه بالعبادة يكون فى نهاية الغواية ويستحق اللعن والسخط العظيم واخر ذكر اختصاصه تعالى بالملك التام عن كونه تعالى عزيزا حميدا لان الصفة الاولى دالة على كمال القدرة والثانية دالة على كمال العلم ولاشك ان اختصاصه بالملك التام بحيث يكون موجدا لجميع الكائنات ويكون ابقاؤها موجودة وافناؤها مفوضا الى محض مشيئته انما يكون عند حصول الكمال فى القدرة والعلم وقوله تعالى على كل شئ شهيد وعيد لهم لان من لايخفى عليه شئ يجازى كل احد على وفق عمله فهو وعد عظيم للمطيعين

(وما نقموا) وما انكروا (منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد) استثناء على طريقة قوله ※ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ※ بهن فلول من قراع الكتائب ※ ووصفه بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وقرر ذلك بقوله (الذى له ملك السموات والارض والله على كل شئ شهيد) للاشعار بما يستحق ان يؤمن به ويعبد

(ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) بلوهم بالاذى (ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) العذاب الزائد فى الاحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود خاصة وبعذاب الحريق ماروى ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) اذ الدنيا وما فيها تصغر دونه (ان بطش ربك لشديد) مضاعف عنفه فان البطش اخذ بعنف (انه هو يبدئ ويعيد) يبدئ الخلق ويعيده او يبدئ البطش بالكفرة فى الدنيا ويعيده فى الآخرة (وهو الغفور) لمن تاب

ووعيد شديد للمجرمين ثم انه تعالى لما ذكر قصة اصحاب الاخدود وما فعلوا بالمؤمنين اذهم عليها قعود اتبعها بذكر عقاب من آذى المؤمنين وبذكر ثواب اهل الايمان والطاعة (قوله بلوهم بالاذى) اشارة الى ان اصل الفتنة الابتلاء والامتحان وذلك قد يكون بالسراء وقد يكون بالاذى والمراد بها فى الآية الابتلاء بالاذى بقرينة المقام فان اولئك الكفار امتحنوا المؤمنين بعرضهم على النار واحراقهم بها والى ان المراد بالذين فتنوا المؤمنين كل من فعل ذلك من اصحاب الاخدود وغيرهم لان كل واحد من اللفظ والحكم عام فالتخصيص ترك للظاهر من غير دليل وقال بعض المفسرين الفتنة هى الاحراق لقوله ثم بالنار يفتنون (قوله العذاب الزائد فى الاحراق) يعنى ان الفاتنين يعذبون فى الآخرة نوعين من عذاب الاحراق الاول جزاء كفرهم والثانى جزاء فتنتهم وايذائهم المؤمنين والحريق اسم كالحرقة بمعنى الاحتراق وفى الصحاح يحرق الشئ بالنار واحترق والاسم الحرقة والحريق والنوع الثانى وان كان من قبيل عذاب الاحراق بالنار الا انه خص باسم الحريق للدلالة على انه عذاب زائد على النوع الاول من العذاب من حيث ان كل واحد منهما وان كان عذابا عظيما فى نفسه الا ان الثانى لما اجتمع مع الاول قوى واشتد وصار كأنه هو عذاب الحريق وان الاول ليس بالنسبة اليه بعذاب الحريق (قوله وقيل المراد الخ) عطف من حيث المعنى على قوله بلوهم بالاذى فانه قد فهم منه ان قوله الذين فتنوا يتناول اصحاب الاخدود وغيرهم وان المراد بالمؤمنين المؤمنون المفتونون مطلقا وان المراد بفتنة المؤمنين ايذاؤهم مطلقا وان المراد بعذاب الحريق عذاب الآخرة وعطف عليه ماقيل من ان المراد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود والمعنى فلهم عذاب جهنم فى الآخرة ولهم عذاب الحريق بنار الاخدود فى الدنيا فانه روى انهم لما القوا المؤمنين فى النار ارتفعت من الاخدود الى الملك واتباعه نار فاحرقتهم فاهلكوا بنفس مافعلوه بالمؤمنين لاجل هلاك غيرهم ونجى الله تعالى المؤمنين الذين القوا فى النار بقبض ارواحهم قبل ان تمسهم النار فيكون قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود دالا على انهم كانوا ملعونين فى تلك الحالة وانهم خسروا الدنيا والآخرة ثم انه تعالى ذكر ماأعده للمؤمنين فقال ان الذين آمنوا الآية قال الامام انما قال ذلك الفوز ولم يقل تلك لدقيقة لطيفة وهى ان قوله ذلك اشارة الى اخبار الله تعالى بحصول هذه الجنات لهم وقوله تلك اشارة الى الجنات واخبار الله تعالى بذلك يدل على كونه راضيا عنهم والفوز الكبير هو رضى الله تعالى لاحصول الجنة ثم انه تعالى لما ذكر وعيد المجرمين ووعد المؤمنين اكد كل واحد منهما فقال لتأكيد الوعيد ان بطش ربك لشديد والبطش هو الاخذ

تعسف فاذا وصف بالشده فقد تضاعف عنفه ثم استدل على شدة بطشه بذكر اقتداره على الابداء والاعادة بحث لا يقدر عليهما غيره فقال انه هو يبدئ ويعيد ويجوز ان يكون المقصود المبالغة في الوعيد لبيان ان بطشه لا يختص بالدنيا ولا بالآخرة بل ان شاء بطش فيها وان شاء يمهل العاصي ويؤخر امر المجازاة الى يوم القيامة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال ان اهل جهنم تأكلهم النار حتى يصيروا فحما ثم يعيدهم خلقا جديدا فذلك هو المراد بقوله تعالى انه هو يبدئ ويعيد ثم قال لتأكيد الوعد وهو الغفور الودود وذكر من صفات جلاله وكبريائه خمس صفات اولها الغفور قال الامام حكاية عن المعتزلة انهم قالوا هو الغفور لمن تاب وقال اصحابنا انه غفور مطلقا لمن تاب ولمن لم يتب لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولان الآية مذكورة في معرض التمدح والتمدح بكونه غفورا مطلقا اتم واكمل فالحمل عليه اولى انتهى كلامه ولان الغفور صيغة مبالغة فالمناسب ان يحمل على الاطلاق قال الامام الغزالي الفعال ينبئ عن كثرة الفعل والفعول ينبئ عن جودته وكماله وشموله فهو تعالى غفور بمعنى انه تام الغفران كامله حتى يبلغ اقصى درجات المغفرة انتهى كلامه ولاشك ان الغافر بذنب مطلقا اجود واكمل واشمل فحمل صيغة المبالغة عليها اولى لاسيما في مقام التمدح فقول المصنف الغفور لمن تاب يعني ان يكون المراد به لمن تاب عن الكفر (قوله المحب لمن اطاع) على ان الودود فعول بمعنى فاعل والمحبة في حقه تعالى يراد بها ارادة الكرامة والاحسان والانعام لمن اطاعه وهي صفة مدح له تعالى لانه لا يجب عليه شئ وانما هو مجرد فضل منه واحسان وقيل يجوز ان يكون الودود فعولا بمعنى مفعول نحو ركوب وحلوب ومعناه ان عباده الصالحين يودونه لما عرفوه من فضله وجلالة ذاته ولما اسبغ عليهم من وفور بره واحسانه والودود بهذا المعنى ايضا صفة مدح له تعالى لانهم انما يحبونه لفضله واوصافه (قوله وقيل المراد بالعرش الملك) فانهم يكنون بالعرش عن الملك لكونه من لوازم الملك يقال استولى فلان على العرش وان لم يجلس عليه وثل عرش فلان اذا ذهب سلطانه (قوله لا يمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره) فهذه الآية من جملة ما استدل به الاشاعرة في مسألة خلق الافعال قالوا للمعتزلة انكم تقولون انه تعالى يريد الايمان والطاعة من كل مكلف فيجب ان يكون فاعلا لهما بمقتضى هذه الآية واذا كان فاعلا لهما وجب ان يكون فاعلا للكفر والمعصية ايضا اذ لا قائل بالفصل روي انه دخل على ابي بكر قوم يعودونه فقالوا يا خليفة رسول الله الا ندعولك طبيبا ينظر اليك قال قد نظر الي قالوا

(الودود) المحب لمن اطاع (ذو العرش) خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذي العرش صفة لربك (المجيد) العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة والحكمة وجره حمزة والكسائي صفة لربك او للعرش ومجده علوه وعظمته (فعال لما يريد) لا يمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره

(هل اتاك حديث الجنود فرعون وثمود) ابدلهما من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل ما اصابهم (بل الذين كفروا في تكذيب) لا يرعوون عنه ومعنى الاضراب ان حالهم اعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم ورأوا آثار هلاكهم وكذبوا اشد من تكذيبهم (والله من ورائهم محيط) لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط (بل هو قرءآن مجيد) بل هذا الذي كذبوا به كتاب شريف وحيد في النظم والمعنى وقرئ قرءآن مجيد بالاضافة اى قرءآن رب مجيد (في لوح محفوظ) من التحريف وقرأ نافع محفوظ بالرفع على انه صفة للقرءآن وقرئ في لوح وهو الهواء يعني ما فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح * عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات

فاي شئ قال لك فال قال اني فقال إنما اريد ثم انه تعالى لما ذكر قصة اصحاب الاخدود واوعد بذكرها كفار قريش تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولمن يأذى من المؤمنين من قبل المشركين ردف التسلية والايعاد بقوله هل اتاك حديث الجنود اى قد اتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة المكذبة لانبيائهم ثم بينهم بقوله فرعون وثمود (قوله ابدلهما من الجنود) جواب عما يقال كيف ابدل فرعون من الجنود والبدل يجب ان يطابق المبدل منه في الجمعية واجاب عنه بان المراد فرعون وقومه واستغنى بذكره عن ذكر قومه لكونهم اتباعه فيكون ذكره في حكم ذكر الجميع (قوله لا يرعوون) اى لا ينتهون عن التكذيب يقال ارعوى يرعوى اى كف ومنع وارعوى عن القبيح اى امتنع (قوله وكذبوا اشد من تكذيبهم) على ان تنكير قوله في تكذيب للتهويل والتعظيم ثم انه تعالى سلاهم بوجه آخر حيث بين اقتداره على المكذبين وانهم في قبضته وحوزته كالشئ الذي احيط به من ورائه وسد عليه مسلكه ولا يجد مهربا فقوله والله من ورائهم محيط من باب التشبيه البليغ اى كانه محيط بهم في انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط ثم زاد في التعجب من حالهم فقال بل هو قرءآن مجيد ومعنى الاضراب عنه ان ما كذبوا به ليس مثل ما كذب به الجنود بل هذا الذي كذبوا به قرءآن مجيد بنظمه مجيد شريف عالي الطبقة من بين الكتب وحيد في نظمه واعجازه (قوله وقرأ نافع محفوظ بالرفع على انه صفة للقرءآن) فالتقدير بل هو قرءآن مجيد محفوظ في لوح واللوح بالفتح الذي يكتب فيه وبالضم الهواء بين السماء والارض كذا في الصحاح ومن قرأ بالضم فسره بما فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح قال تعالى هو في لوح محفوظ وقال في آية اخرى انه لقرءآن كريم في كتاب مكنون فيحتمل ان يكون الكتاب المكنون واللوح المحفوظ واحدا وهو محفوظ عند الله تعالى وهو ام الكتاب منه نسخ القرءآن وسائر الكتب ثم كونه محفوظا يحتمل ان يكون المراد به كونه محفوظا من التغيير والتبديل ويحتمل ان يكون المراد به كونه محفوظا من اطلاع الخلق عليه سوى الملائكة المقربين روى انه تعالى خلق اللوح المحفوظ من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وفي صدر اللوح لا اله الا الله دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله ادخله الله الجنة وقيل اللوح المحفوظ هو صدر العبد المؤمن وقيل اللوح شئ يلوح للملائكة فيقرأونه ولما كانت الاخبار والآثار واردة بذلك وجب التصديق به وعلم كيفيته عند الله تعالى تمت سورة البروج والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة الطارق مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله والسماء والطارق) اعلم انه تعالى اكثر فى كتابه الكريم ذكر السماء والشمس والقمر لان احوالها فى اشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها وكثرة منافعها عجيبة ثم ان الله تعالى لما عطف الطارق على السماء ولا يعرف المراد منه بدون التفسير والبيان قال وما ادراك ما الطارق توطئة لبيان المراد منه وتعظيما لشأنه واعلاء لقدره ثم بينه بالنجم المضئ الذى يطرق اى يبدو بالليل ويخفى بالنهار فان ذكر الشئ مجملا ثم تفصيله وتفسيره يئ عن فخامة شانه واختلفوا فى ان تعريف النجم للاستغراق اوللعهد الخارجى فقال بعضهم انه للاستغراق كما فى قوله تعالى ان الانسان لفى خسر وقال آخرون انه نجم بعينه ثم قال ابو زيد انه ثريا وقال الفراء انه زحل لانه ثقب بنوره سمك السموات السبع وقال آخرون انها الشهب التى ترجم بها الشياطين لقوله تعالى فاتبعه شهاب ثاقب اى نافذ او مضئ يقال ثقبه يثقبه ثقبا اى جعل فيه منفذا ومسلكا ونفذ فيه وثقبت النار تثقب ثقوبا اى اتقدت واشتعلت ويقال لصاحب النار اثقب نارك اى اشعلها حتى تضئ وثقب النجم اى اضاء وشهاب ثاقب اى مضئ فلعل المعنى الاصلى للثاقب الذى يحدث المنفذ واطلاقه على المضئ لوجود معنى احداث المنفذ فيه من حيث انه يثقب الظلام او الافلاك واطلاقه على من يوقد النار لكونه سببا لحدوث الضوء الثاقب (قوله وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما) اى بالتشديد بمعنى الا والباقون بتخفيفها واختار المصنف قراءة التخفيف وكلمة ان على هذه القراءة مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن واللام فى لما هى الفارقة بين المخففة والنافية وماصلة كما فى قوله تعالى فبما رحمة من الله وان المخففة مع مافى حيزها جواب القسم اى اقسم ان الشأن كل نفس لعليها حافظ ومن قرأ لما بالتشديد جعل ان نافية وجعل لما فى معنى الا والجملة ايضا جواب القسم اى اقسم ماكل نفس الاعليها حافظ يحفظ عملها ورزقها واجلها واذا استوفت جميع ذلك قبضها الى ربها وعلى هذا الحافظ هو الملك الموكل بالانسان كما قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين والظاهر ان المراد بالحافظ هو الله تعالى كما قال الله تعالى وكان الله على كل شئ رقيبا فان الممكنات كما تحتاج الى الواجب لذاته فى ترجيح وجودها على عدمها تحتاج اليه فى بقائها ايضا فهو تعالى هو القيوم الذى حفظه وابقائه

(سورة الطارق مكية وآيها سبع عشرة) (بسم الله الرحمن الرحيم) (والسماء والطارق) والكوكب البادى بالليل وهو فى الاصل لسالك الطريق واختص عرفا بالآتى ليلا ثم استعمل للبادى فيه وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب) المضئ كأنه ثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه او الافلاك والمراد الجنس اومعهود بالثقب وهو زحل عبر عنه اولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشأنه (ان كل نفس لما عليها) اى ان الشأن كل نفس لعليها (حافظ) رقيب فان هى المخففة واللام الفاصلة ومامزيدة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما على انها بمعنى الا وان نافية والجملة على الوجهين جواب القسم

﴿فلينظر الانسان مم خلق﴾ لما ذكر ان كل نفس عليها حافظ اتبعه توصية الانسان بالنظر الى مبدئه ليعلم صحة اعادته فلا يملي على حافظه الا مايسره في عاقبته (خلق من ماء دافق) جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذي دفق وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من المائين في الرحم لقوله (يخرج من بين الصلب والترائب) بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها ولو صح ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان تتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة في توليدها ولذلك تشبهه ويسرع الافراط في الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهي النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المني فلذلك خصا بالذكر

سقى الكائنات كما قال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا فكانه تعالى اقسم على ان كل ماسواه ممكن محدث محتاج في اصل وجوده وبقائه الى حافظ يوجده ويبقيه ويوصله الى الكمال اللائق به ويربيه بان يخلق له ماينفعه ويدفع عنه مايضره وعدى الحفظ بعلى في قوله تعالى عليها حافظ لتضمنه معنى القيام فانه تعالى قائم على خلقه بعلمه واطلاعه على احوالهم واستيلائه وقدرته عليها وتصرفه فيها حسبما يشاء (قوله لما ذكر ان كل نفس عليها حافظ) اشارة الى وجه ترتب هذه الآية على ماقبلها وذلك لان اجمال ماقبلها متضمن لمعنى قولنا ان الانسان مابرك سدى بل له حافظ مطلع على اعماله وارزاقه وآجاله واذا استوفى جميع ماقدر له من ذلك نقصه اليه في البرزخ مدة ثم بعثه وحاسبه وجازاه على حسب اعماله لكمال قدرته وحكمته واحاطة علمه بالكليات والجزئيات فان حفظ الاعمال شيء من ذلك ولما كان ماقبلها متضمنا لهذه المعاني وكانت هذه المعاني سببا لتوصية الانسان بالنظر في مبدئه ليعرف كمال قدرة المهيمن عليه وسائر صفات كماله ويستدل به على صحة البعث والجزاء ويجتهد في ان لايكتب عليه حافظ اعماله سوى مايفرح به يوم العرض والجزاء ظهر بهذا التقرير ان ماذهب اليه شرف الدين الطيبي من ان الفاء في قوله تعالى فلينظر الانسان فاء فصيحة تفصح عن انتهاء الكلام على الحذف والتقدير عن موجبه ادلاحاجة في ارتباط الكلام واستقامته الى ارتكاب الحذف لكفاية المذكور قبله في كونه سببا للتوصية من غير ارتكاب الحذف (قوله بمعنى ذي دفق) فان الدافق عند البصريين بمعنى ذي دفق كلابن وتامر وعند الكوفيين بمعنى مدفوق كسر كاتم وعيشة راضية بمعنى مكتوم ومرضية (قوله والمراد الممتزج من المائين) يعني قيل خلق من ماء بتنوين الوحدة مع ان الولد انما يخلق من ماءين ماء الرجل الذي يخرج من صلبه وماء المرأة الذي يخرج من ترائبها وهي عظام صدرها حيث تكون القلادة وكل عظم منها تريبة بناء على ان الولد انما يكون بعد اجتماع ذينك الماءين في الرحم وامتزاجهما وصيرورتهما شيئا واحدا فلذلك قيل من ماء واحد ولم يقل من مائين وذلك المجموع الممتزج يصدق عليه انه خارج من بينهما (قوله ولو صح ان النطفة تتولد الخ) جواب عما طعن به بعض الملاحدة في هذه الآية وقال ان كان المراد من قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب ان المني انما ينفصل عن ذينك الموضعين فليس الامر كذلك لانه انما يتولد من فضلة الهضم الرابع وينفصل عن جميع اجزاء البدن حتى يأخذ من كل عضو طبيعة وخاصية فيصير مستعدا لان يتولد منه تلك الاعضاء ولذلك يرى المفرط في الجماع

وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهي صالب

يستولى الضعف على جميع اعضائه وان كان المراد ان معظم اجزاء المنى تتولد هناك فهو ضعيف بل معظم اجزائه انما يتربى و يتولد فى الدماغ والدليل عليه ان المنى يشبه الدماغ فى صورته ولان المكثر من الجماع يظهر الضعف اولا فى عينيه وان كان المراد ان مستقر المنى هناك فضعيف ايضا لان مستقره هو اوعية المنى وهى عروق يلتف بعضها ببعض عند البيضتين وان كان المراد ان مخرج المنى هو الصلب والترائب فليس كذلك بل مخرجه هو الاحليل كذا نقل الامام شبهتهم ثم اجاب عنها بقوله لا شك ان معظم الاعضاء معونة فى تولد المنى هو الدماغ وللدماغ خليفة وهى النخاع وهو فى الصلب وله شعب كثيرة نازلة الى مقدم البدن وهى التريبة فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر على ان كلامهم فى كيفية تولد الاعضاء من المنى كلام محض الوهم والظن الضعيف وكلام الله تعالى اولى بالقبول انتهى كلامه والحاصل ان الملاحدة حق عليهم وجه قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب بناء على زعمهم ان المنى ينفصل عن جميع اجزاء البدن فيأخذ من كل عضو طبيعة وخاصية فيستعد لان يتولد منه مثل تلك الاعضاء وأشار المصنف اولا الى منع زعمهم بانه محض وهم وظن ضعيف والله تعالى اصدق القائلين واعلم باحوال ما خلقه على اى وجه تولد ومن اى موضع يخرج فكلامه المجيد هو المعول عليه واجاب ثانيا بانا لو سلمنا صحة ما زعموه نقول وجه تخصيص الصلب والترائب الذين يتصل بهما معظم ما يتولد منه المنى المستقر فى الاوعية كونهما اقرب الى تلك الاوعية ولذا خصا بالذكر وجعلا مخرجا له وان كان معظم المخرج هو الدماغ والنخاع ولا ضرورة الى تخصيص الترايب بالنساء فانه قد ذهب قوم الى ان الولد مخلوق من الماء الذى يخرج من بين الصلب والترائب للرجل واحتج على ما ذهب اليه بان الله تعالى بين ان الانسان مخلوق من ماء دافق وان الموصوف بذلك الوصف هو ماء الرجل ثم انه تعالى وصف ذلك الماء الدافق بانه يخرج من بين الصلب والترائب فدل ذلك على ان الترائب ترائب الرجل وعدم التعرض لماء المرأة لا ينافى ان يكون لمائها مدخل فى تكون الولد واجاب القائلون بالترائب ترائب المرأة عن هذا الاحتجاج بان توصيف هذا الماء الممتزج بالدافق من قبيل توصيف المجموع بوصف بعض اجزائه (قوله والضمير) اى ضمير انه للخالق اى ان من خلقه من مثل ذلك الشئ الحقير لقادر على رجعه واعادته حيا بعد موته وقوله على رجعه متعلق بقادر فان قيل ما وجه الحصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور الذى هو قوله على رجعه على عامله الذى هو لقادر مع انه تعالى قادر على كل شئ قلنا التقدم قد لا يكون

(انه على رجعه لقادر) الضمير للخالق و يدل عليه خلق (يوم تبلى السرائر) تتعرف وتميز بين ما طاب من الضمائر و ما خفى من الاعمال وما خبث منها

للحصر بل قد يكون لمجرد الاهتمام والتبرك والاستلذاذ ونحو ذلك وقدم ههنا للاهتمام بالعلم فان الكلام فيه بخصوصه بناء على الامر الناظر في مبدأ جملة انما هو لكونه وسيلة ومؤديا الى العلم بصحة الرجع والاعادة والسرائر جمع سريرة بمعنى السر وهو ما يكتم ويخفى والمراد بها في الآية ما اسر في القلوب من العقائد والنيات وما اخفى من الاعمال * والابلاء والابتلاء الاختبار الجوهري بلوته بلوا اخبرته واختبرته وبلاه الله بلاء وابلاه ابلاء اي اختبره واطلاق الابتلاء على الكشف والتمييز من قبيل اطلاق اسم السبب على المسبب لان الاختبار يكون للتعريف والتمييز وابتلاء الله تعالى عباده بالامر والنهي يكون لكشف ما علم منهم في الازل (قوله وهو ظرف لرجعه) قيل عليه لا يجوز ان ينتصب به للفصل بين المصدر ومعموله بأجنبي وهو خبر ان اعني لقادر ولا ينتصب ايضا بقوله لقادر لانه تعالى قادر في كل الاوقات لا يختص قدرته بوقت دون وقت الا ان يراد انه منتصب بمضمر دل عليه رجعه اي يبعثه يوم تبلى السرائر واجيب بان الفصل غير مانع من كونه ظرفا لرجعه لانه مؤخر تقديرا وانما قدم مراعاة للفاصلة على ان الظرف يتسع فيه ما لا يتسع في غيره (قوله في نفسه) مستفاد من عطف قوله ولا ناصر على قوة فانه يدل على ان المراد بالقوة المنفية القوة الثابتة له في نفسه لا القوة مطلقا والا لما بقي للعطف فائدة لان القوة المستفادة من الغير قوة ايضا وقد نفيت اولا والمعنى اذا رجع الانسان في ذلك اليوم فحينئذ لا يكون له شيء من القوة يدفع بها عن نفسه ما حل به من العذاب ولا ناصر ينصره في دفعه ولا شك انه يرجع معناه الى التحذير عما يؤدي اليه (قوله سمي به كما سمي او بالان الله يرجعه) اي يرجع نوعه بازال مثل الاول سمي المطر بمصدر رجع وآب بمعنى ذي رجوع وأوب اولانه لكثرة رجوعه وأوبه جعل نفس الرجوع والاوب مبالغة اولان الرجع بمعنى الراجع فان المطر النازل من السماء هو الذي صعد من البحار بان حمله السحاب منها ثم رجع الى جانب الارض ورجع يستعمل لازما ومتعديا يقال رجع هو بنفسه ورجعه غيره قال تعالى فرجعناك الى امك وهذيل تقول ارجعه غيره (قوله من النبات) بيان ما في قوله ما تتصدع عنه الارض فعلى هذا يكون المراد بالصدع نبات الارض سمي به لكونه صادعا للارض والارض منصدع به ولما لم يتأت خروجه من الارض الا بصدعه اياها جعل كانه نفس الصدع فسمي به (قوله او الشق) عطف على قوله ما تصدع فان الصدع في اللغة الشق والارض ذات الشق بالنبات والعيون فعلى هذا يكون الصدع على اصل معناه الا ان الصدع بهذا المعنى لما لم يكن نعمة في نفسه بل وسيلة الى خروج ما هو نعمة في نفسه وهو النبات

وهو ظرف لرجعه (فاله) لنا للانسان (من قوة) من منعة في نفسه يمتنع بها (ولا ناصر) يمنعه (والسماء ذات الرجع) ترجع في كل دورة الى الموضع الذي تتحرك منه وقيل الرجع المطر سمي به كما سمي اوبا لان الله تعالى يرجعه وقتا فوقتا اولما قيل من ان السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان يراد بالسماء السحاب (والارض ذات الصدع) ما تتصدع عنه الارض من النبات او الشق بالنبات والعيون (انه) ان القرآن (لقول فصل) فاصل بين الحق والباطل (وما هو بالهزل) فانه جد كله

والعيون اخره فى الذكر لفوات الملاءمة بين هذه القرينة و بين قوله والسماء ذات الرجع حينئذ لان الرجع باى معنى كان نعمة فى نفسه ثم انه تعالى لما اقسم فى اول هذه السورة الكريمة على ان من آذى المؤمنين ملعون وسلى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين وثبتهم على اذى المشركين وصبرهم عليه و بين عقاب الكافرين وثواب المؤمنين اقسم قسما آخر بقوله والسماء ذات الرجع على ان القرآن الذى بين هذه الامور لقول فصل يفصل بين الحق و الباطل واشار الى كيفية خلقه النبات فى هذا القسم كما اشار فيما قبل الى كيفية خلقه الحيوان فان السماء ذات الرجع كالاب والارض ذات الصدع كالام يتولد من اجتماعهما انواع النبات ثم انه تعالى بعد ما اخبر بحقية القرآن واقسم عليه بين انهم يكيدون كيدا فى ابطاله بالقاء الشبهات لابطال بعض ما اخبر به القرآن كقولهم ان هى الا حياتنا الدنيا وقولهم من يحيى العظام وهى رميم وقولهم أجعل الآلهة الها واحدا وقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين وقولهم فهى تملى عليه بكرة واصيلا و بالطعن فى مبلغه بقولهم ساحر وشاعر ومجنون و بقصد قتله عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك وتسمية ما كان من قبله تعالى فى حق المشركين من استدراجهم والانتقام منهم من حيث لا يحتسبون كيدا من باب المشاكلة لوقوعه فى مقابلة كيدهم وجزاء له كما اشار اليه المصنف بقوله واقابلهم بكيدى وذلك لان الكيد وهو المكر والاحتيال لا يجوز اسناده اليه تعالى الا ان يراد به معناه الحقيقى وتسمية جزاء ذلك الشئ باسم ذلك الشئ على سبيل المشاكلة كثير فى القرآن كقوله نسوا الله فنسيهم و يخادعون الله وهو خادعهم والله يستهزئ بهم بعد ما حكى عنهم قولهم انما نحن مستهزؤن (قوله امهالا يسيرا) اشارة الى ان رويدا ههنا صفة مصدر محذوف لا اسم فعل لانه لو كان كذلك لكان المعنى فمهل الكافرين امهلهم ارودهم فيكون الامر بالامهال مكررا ثلاث مرات فان مهل وامهل وارود بمعنى واحد وفائدة التأكيد قد حصلت بالثانى فبقى الثالث بلا فائدة واما اذا كان صفة مصدر محذوف فانه حينئذ يكون مصغر رود بضم الراء وهو المهل و يكون التصغير للتقليل (قوله والتكرير) اى تكرير الامر بالامهال حيث قيل امهلهم بعد قوله مهل لزيادة التسكين والتصبير وكذا تغيير البنية حيث بنى احد لفظى الامر من باب التفعيل والآخر من باب الافعال فانه ايضا لزيادة التسكين لان الواحد اذا عبر عنه بعبارتين مختلفتين يرى كأنهما معنيان مختلفان يتعلق بكل واحد منهما قصد على حدة واعلم ان رويدا فى كلام العرب يستعمل على ثلاثة اوجه احدها

(انهم) يعنى اهل مكة (يكيدون كيدا) فى ابطاله واطفاء نوره (واكيد كيدا) واقابلهم بكيدى فى استدراجى لهم وانتقامى منهم بحيث لا يحتسبون (فمهل الكافرين) فلا تشتغل بالانتقام منهم او لا تستعجل باهلاكهم (امهلهم رويدا) امهالا يسيرا والتكرير و تغيير البنية لزيادة التسكين ✽ عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم فى السماء عشر حسنات)

ان يكون اسما لفعل الامر ويعمل عمل الافعال يقال رويدا زيدا اى ارود زيدا وامهله ولا ينصرف فيه على هذا الوجه لانه حينئذ يكون من الاسماء الغير المتمكنة والثانى ان يكون بمنزلة سائر المصادر ويضاف الى ما بعده كما تضاف المصادر تقول رويد زيد كما تقول ضرب زيد قال تعالى فضرب الرقاب والثالث ان يكون نعتا منصوبا كقولك ساروا سيرا رويدا ويقولون ايضا ساروا رويدا يحذفون المنعوت ويقيمون رويدا مقامه وما فى الآية من هذا القبيل والله اعلم

* تمت سورة الطارق

(سورة الاعلى مكية)

* بسم الله الرحمن الرحيم *

(سورة الاعلى مكية وآيها تسع عشرة) (بسم الله الرحمن الرحيم) (سبح اسم ربك الاعلى) نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة واطلاقه على غيره زاعما انهما فيه سواء وذكره لا على وجه التعظيم

(قوله نزه اسمه) يعنى ان الامر الالهى وارد بتسبيح اسمه تعالى الذى هو اللفظ الدال على ذاته المقدس عن الالحاد فيه اى عن الميل عن الحق والصواب فى تفسيره بان يفسر الاعلى مثلا بالعلو فى المكان و يفسر الاستواء على العرش بالاستقرار عليه فان الاعلى من العلو بمعنى الاقتدار والقهر والاستواء بمعنى الاستيلاء والتسلط وقيل الامر الالهى وارد بتنزيه ذاته تعالى لان الاسم لكونه من قبيل الالفاظ المؤلفة من الحروف المقطعة لا يحتاج الى تنزيهه لكن المسمى اذا كان فى غاية العظمة والجلالة يعبر عنه بشئ مما يلابسه كما يقال سلام على المجلس السامى والمعروض الى الحضرة السامية فيكون لفظ الاسم صلة مقحمة لتعظيم المسمى وقد وقع اقحامه مع قطع النظر عن قصد التعظيم فى قول لبيد * الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ولكن اقحامه لقصد التعظيم يكون اولى ومن الناس من تمسك بهذه الآية مستدلا على ان الاسم والمسمى واحد وقال لان احدا لا يقول سبحان اسم الله سبحان اسم ربنا فمعنى سبح اسم ربك سبح ربك والرب ايضا اسم فلو كان غير المسمى لكان المأمور به تسبيح غيره تعالى وهو استدلال ضعيف لانه اذا وجب تسبيح اسمه تعالى فوجوب تسبيح ذاته يكون اولى ويجوز ان يكون لفظ الاسم صلة على ما قيل وعلى كل واحد من التقديرين لا دلالة فى الآية على اتحاد الاسم والمسمى قال الامام ههنا دقيقة وهى ان قولنا اسم لفظ وضع لكل ما دل على معنى غير مقترن بزمان والاسم كذلك فلزم ان يكون الاسم اسما لنفسه فههنا الاسم نفس المسمى فلعل العلماء الاولين ذكروا ذلك فاشتبه الامر على المتأخرين وظنوا الاسم فى جميع المواضع نفس المسمى انتهى كلامه فقوله فههنا الاسم نفس المسمى محل بحث وتحقيق المقام ان للاشياء وجودا فى الاعيان ووجودا فى الاذهان ووجودا فى اللسان اما وجودها فى الاعيان فهو الوجود الاصلى الحقيقى والوجود فى الاذهان هو الوجود العلمى الصورى والوجود فى اللسان هو الوجود اللفظى الدال على ما فى الذهن من الصورة

العلمية وتلك الصورة هي المنطبعة في النفس من الوجود العيني الخارجي
فلو لم يكن وجود في الاعيان لم تنطبع الصورة في الاذهان ولو لم تنطبع الصوره
في الاذهان لما عبر عنها اللسان فاذن اللفظ والعلم والمعلوم ثلاثة امور متباينة
لكنها متطابقة متوازية وهذا مما يشهد به الذوق السليم بعد المراجعة الى
ماذكره علماء الكلام في مباحث الكيف وبحث الوجود الذهني وظهر بهذا
ان الاسم غير المسمى الذي هو الموجود في الاعيان بالوجود الاصلي كما انه غير
الصورة الذهنية التي عبر عنها بالعلم وكذا لفظ الاسم الذي عبر به عن المفهوم
الكلي الذي هو نوع من انواع الكلمة مغير عن الافراد الخارجية لذلك
المفهوم وكذا كل لفظ وضع بازاء معنى اسما كان او فعلا او حرفا فله اسم علم مغير به
نفس ذلك اللفظ من حيث دلالته على ذلك الاسم او الفعل او الحرف كما نقول
في قولنا خرج زيد من البصرة خرج فعل ماض وزيد اسم ومن حرف فيجعل
كل واحد من الثلاثة محكوما عليه مع استحالة كون الفعل والحرف مخبرا عنه
ومحكوما عليه فلفظ زيد في المثال المذكور وان كان اسما لنفسه بحسب الظاهر
الا انهما تغايرا اعتبارا فان الشخص الخارجي مسمى زيد باعتبار وضعه
بازائه وهذا الاسم الموضوع بازاء الشخص مسمى بلفظ زيد باعتبار دلالته
على ذلك الاسم الموضوع فالاسم هنا ايضا غير المسمى (قوله وقرئ سبحان
ربي الاعلى) قيل ان علي بن ابي طالب وابن عمر رضي الله تعالى عنهما قرآها
كذلك والظاهر انهما قرآها امتثالا للامر لا على انها من القرآن لما روي انه
عليه الصلاه والسلام كان اذا قرأها قال سبحان ربي الاعلى وروي ايضا ان
علي بن ابي طالب رضي الله عنه قرأ في الصلاه سبح اسم ربك الاعلى ثم قال
سبحان ربي الاعلى فلما انقضت الصلاه قيل يا امير المؤمنين انزيد هذا في القرآن
قال ماهو قيل سبحان ربي الاعلى قال لا انما امرنا بشيء ففعلته امتثالا للامر وعن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال من قرأ سبح اسم ربك الاعلى فليقل سبحان
ربي الاعلى وهذه الآثار والاخبار تؤيد قول من يقول المأمور به تنزيه ذاته
تعالى وان لفظ الاسم صلة ذكر كناية عن الذات لكون الاسم من لوازمها
كما يقال سلام على المجلس العالي قيل اول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل
وروي انه عليه الصلاه والسلام قال لجبريل عليه السلام ياجبريل اخبرني عن
ثواب من قالها في صلاته او في غير صلاته فقال يا محمد مامن مؤمن ولا مؤمنة
يقولها في سجوده او في غير سجوده الا كانت له في ميزانه اثقل من العرش
والكرسي وجبال الدنيا ويقول الله تعالى صدق عبدي انا الاعلى وفوق كل
شيء وليس فوقي شيء واشهدوا يا ملائكتي اني قد غفرت لعبدي وادخلته جنتي

وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزل فسبح باسم ربك العظيم قال عليه الصلاة والسلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت

(الذي خلق فسوى) خلق كل شئ فسوى خلقه بان جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه (والذي قدر) اى قدر اجناس الاشياء وانواعها واشخاصها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها (فهدى) فوجهه الى افعاله طبعا او اختيارا بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات (والذي اخرج المرعى) انبت ما ترعاه الدواب (فجعله) بعد خضرته (غثاء احوى) يابسا اسود وقيل احوى حال من المرعى اى اخرجه احوى من شدة خضرته (سنقرئك)

فاذا مات اتاه ميكائيل كل يوم فاذا كان يوم القيامة حمله على جناحه فيوقفه بين يدي الله عز وجل فيقول يارب شفعني فيه فيقول قد شفعتك فيه اذهب به الى الجنة (قوله خلق كل شئ فسوى خلقه) اشارة الى ان حذف مفعول كل واحد من خلق فسوى لقصد التعميم وان تسوية خلق المخلوقات عبارة عن خلقها موضوعة على وجه الاحكام والاتقان سالمة عن الخلل والنقصان جامعة لجميع ما يتوقف عليه كمالها فى ذاتها ويتعلق به اسباب معاشها (قوله اى قدر اجناس الاشياء) اى جعل اجناسها بمقدار معلوم وكذا جعل انواع كل جنس واشخاص كل نوع بمقدار معلوم وجعل ايضا مقدار كل شخص فى جثته واشكاله واوصافه من الحسن والقبح والسعادة والشقاوة والهداية والضلالة والارزاق والآجال وغير ذلك بمقدار معلوم كما قال تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم قال صاحب الكشاف قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه به اليه وعرفه وجه الانتفاع به ثم قال يحكى ان الافعى اذا اتت عليها الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت فى برية بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوى تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تلتطم فى بعض تلك البساتين على شجرة الرازيانج فتحك بها عينيها فترجع باصرة باذن الله تعالى وهدايات الله تعالى للانسان الى ما لا يحد من مصالحه وحوائجه فى اغذيته وادويته وفى ابواب دنياه ودينه والهامات البهائم والطيور وهوام الارض باب واسع لا يحيط به وصف واصف فسبحان ربى الاعلى (قوله انبت ما ترعاه الدواب) روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال المرعى الكلأ الاخضر وفى الصحاح الرعى بالكسر الكلأ وبالفتح المصدر والمرعى يكون الرعى والموضع والمصدر والظاهر ان المرعى اسم مشتق اطلق على الكلأ تشبيها له بمكان الرعى (قوله يابسا اسود) الاول تفسير قوله تعالى غثاء والثانى تفسير احوى فان الغثاء ما يبس من النبات وصار هشيما تقذفه السيل على جوانب الوادى واحوى افعل من الحوة وهى السواد والاحوى الاسود وهو صفة لغثاء وسبب كونه اسود اما احتراقه لشدة الحر او ان السيل يحمله فتتعلق به اجزاء كدرة فيسود لذلك او ان الريح تحمله فيلصق به الغبار فيسود بذلك (قوله وقيل احوى حال من المرعى) وصف المرعى بكونه احوى اى اسود لشدة خضرته كما قيل فى وصف الجنتين مدهامتان اى سوداوان من شدة خضرتهما فعلى هذا يكون فى الآية تقديم وتأخير والتقدير الذي اخرج المرعى احوى فجعله غثاء (قوله سنقرئك

على لسان جبريل) اى سنعلمك بان نقرأ عليك جبريل القرآن مرات الى ان تحفظ حفظا لا تنساه بعد ذلك او سنجعلك قارئا بالهام القراءة بان نشرح صدرك ونقوى خاطرك حتى تحفظه بالمرة الواحدة حفظا لاتنساه فيكون حفظه عليه الصلاة والسلام لهذا الكتاب المطول من غير دراسة ولاتكرار ولا كتبة امرا خارقا للعادة ولاسيما هو امى فيكون معجزا وايضا ان هذه السورة من اوائل ما نزل بمكة وقد اخبر الله انه سيظهر على يده امرا عجيبا غريبا مخالفا للعادة وهو انه تعالى سيقرئه وهو أمى لايكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه الا ماشاء الله ان ينساه ويذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته كما قال تعالى ماننسخ من آية اوننسها فان الانساء نوع من النسخ وهذا اخبار عن الغيب وقد وقع كما اخبر فيكون معجزا وقيل كان عليه الصلاة والسلام اذا نزل عليه القرآن اكثر تحريك لسانه مخافة ان ينسى وكان جبريل عليه الصلاة والسلام لايفرغ من آخر الوحى حتى يتكلم عليه الصلاة والسلام باوله مخافة النسيان فأنزل الله سبحانه وتعالى سنقرئك فلا تنسى فلم ينس بعد ذلك شيئا لانه لايخلف وعده ولا فى قوله تعالى فلا تنسى نافية وعليه الجمهور لاللنهى لان الانسان لاينهى عن النسيان لانه لامدخل فيه للاختيار فلا ينهى عنه ولذلك ثبت الالف فى فلاتنسى فى الخط والتلفظ ومن جعله نهيا عن النسيان احتاج الى التكلف فى توجيه ورود النهى عما ليس باختيارى فقال ان النهى وان كان عن النسيان صورة لكنه فى الحقيقة نهى عن سببه وهو الغفلة عن دراسته وذكره فكأنه قيل لاتغفل عن قراءته وتكراره فتنساه واحتاج فى توجيه ثبوت الالف الى ان يقول انها مزيدة رعاية لفواصل الآى كما فى الظنونا والسبيلا وحمله على الخبر اولى لعدم احتياجه الى التكلف وقوله فلا تنسى اصلا اى لابطريق النسخ ولابغيره ذكره ليظهر كون الاستثناء متصلا (قوله وقيل المراد به القلة) اى قلة المنسى الذى يعقبه التذكر عطف من حيث المعنى على قوله بان ينسخ تلاوته فان المراد بنسيان ماشاء الله نسيانه حينئذ النسيان المستمر بحيث لايعقبه التذكر بعده فان النسيان الذى هو احد طريقى النسخ لابد ان يكون مستمرا واما ان حمل الاستثناء على القلة حينئذ يكون المراد بالنسيان النسيان المتعارف الذى يعقبه التذكر بعده ويكون المقصود من الاستثناء تقليل المنسى بهذا المعنى فانه عليه الصلاة والسلام قد عرض له النسيان بهذا الوجه كما ذكره المصنف ووجه افهام معنى القلة من هذا الاستثناء ان المستثنى هو المنسى الذى تعلقت المشيئة بنسيانه ولاشك ان تعلق المشيئة بنسيان شئ منه غير معلوم اذ يجوز ان لايتعلق بشئ منه اصلا وعلى تقدير تعلقها بنسيان

على لسان جبريل عليه السلام اوسنجعلك قارئا بالهام القرآءة (فلا تنسى) اصلا من قوة الحفظ مع انك امى ليكون ذلك آية اخرى لك مع ان الاخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك ايضا من الآيات وقيل نهى والالف للفاصلة كقوله السبيلا (الا ماشاء الله) نسيانه بان تنسخ تلاوته وقيل المراد به القلة والندرة لماروى انه عليه الصلاة والسلام اسقط آية فى قرآءته فى الصلاة فحسب ابى انها نسخت فسأله فقال نسيتها

شئ منه ولاشك ان ماتعلقت المشيئة بنسيانه اقل من الباقى بعد الاستثناء فدار امر المستثنى بين ان ينبئ رأسا وبين القلة والندرة وما كان كذلك يكون فى غاية القلة فهذا وجه من حمل الاستثناء على القلة (قوله اونفى النسيان) مرفوع معطوف على قوله القلة والندرة والنسيان المنفى على القولين الاخيرين هو النسيان الذى يعقبه الذكر الا انه على القول الاول تقصد استثناء القليل منه كأنه قيل فلا تنسى شيئا مما علمناك وقرأناه عليك نسيانا مستمرا وهو الذى يعقبه التذكر بعد الاقليلا منه وعلى القول الثانى لاتقصد استثناء شئ منه ويكون قوله الاماشاء الله لنفى النسيان المتعارف رأسا وكل واحد من القسمين قسيم لقوله فلا تنسى شيئا مما اقرأناك اصلا الاماشاء الله نسيانه بان تنسخ تلاوته ولما كان قوله الاماشاء الله مما يدل على القلة جاز ان يراد منه نفى النسيان رأسافان استعمال القلة بمعنى النفى رأسا وارد فى كلامهم كما فى قوله تعالى وقليل من عبادى الشكور فان قضاء حق الشكر بكماله غير مقدور للبشر (قوله فيعلم مافيه صلاحكم من انقاء اوانساء) تفريع على التفسيرين واشار الى ان قوله تعالى انه يعلم الجهر ومايخفى تعليل للحكم السابق المشتمل على الاستثناء بان يجعل علمه تعالى عما ظهر من احوال عباده وعما يخفى منها اوعلمه بجهره عليه الصلاة والسلام بالقرآن مع جبريل وعما يخفى فى نفسه مما تدعوه اليه من مخافة النسيان مجازا عن علمه بمافيه صلاح العباد فلاتنسى ماانساه من الوحى ولايبقى ماانقاه الالمصلحة تعود اليهم (قوله ونعدك للطريقة اليسرى) ضمن قوله نيسرك معنى الاعداد والتوفيق بيانا لوجه تعدية قوله نيسرك بدون اللام فان العادة الشائعة ان يقال جعل الفعل الفلانى ميسرا لفلان ولايقال جعل فلان ميسر الفعل الفلانى فالظاهر ان يقال نيسر اليسرى لك الا انه جعل الفاعل ميسر الفعل فى هذا الموضع وكذا فى سورة الليل ايضا وفى قوله عليه الصلاة والسلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له باعتبار التضمين اى معد وموفق له والمراد بالطريقة اليسرى اعمال الخير سميت يسرى لكونها مؤدية الى اليسرى والراحة وقوله تعالى ونيسرك معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر ومايخفى اعتراض والتقدير سنقرئك فلا تنسى ونوفقك للطريقة التى هى اسهل وايسر فى حفظ القرآن اوفى باب التدين والطاعة وبون العظمة فى قوله تعالى نيسرك ليستدل بعظمة المعطى على عظمة المعطا وكيف لاوقد كان عليه الصلاة والسلام صبيا لااب له ولاام نشأ فى قوم جهال ثم انه تعالى جعله فى افعاله واقواله قدوة للعالمين وهاديا للخلائق اجمعين الى شريعة لم يهتد الى مثلها احد من الاولين وكان بذلك سيد

اونفى النسيان رأسا فان القلة تستعمل فى النفى (انه يعلم الجهر ومايخفى) ماظهر من احوالكم ومابطن اوجهرك بالقرآءة مع جبريل وما دعاك اليه من مخافة النسيان فيعلم مافيه صلاحكم من انقاء او انساء (ونيسرك لليسرى) ونعدك للطريقة اليسرى فى حفظ الوحى اوالتدين ونوفقك لهما ولهذه النكتة قال تعالى نيسرك لانيسر لك عطفا على سنقرئك وانه يعلم الجهر إعتراض

المرسلين وخاتم النبيين واى عطاء اجل واعظم من هذا (قوله بعدما استتب له الامر) بيان لمعنى فاء التعقيب فى قوله فذكر بعد ان استتب له الامر اذا تهيأ واستقام فانه تعالى لما تكفل له بتعليم القرآن وتيسير حفظه له بحيث لا ينسى شيئا منه الا ما شاء الله تعالى نسيانه او بتيسير سبل الرشد والدين امره بتذكير الخلق ودعوتهم الى الحق ليكون جامعا بين منصبى الهدى والهداية ودولتى الكمال والتكميل (قوله لعل هذه الشرطية انما جاءت الخ) جواب عما يقال انه عليه الصلاة والسلام مبعوث الى الناس كافة لينذرهم سوء عاقبة الكفر والعصيان ويذكرهم ثواب الطاعة والايمان فعليه ان ينذر الكل ويذكرهم سواء قبلوا منه التذكير وانتفعوا به ام لا فان نفعتهم الذكرى فبها والا فلا اولى من ان يدعو انه عليه الصلاة والسلام بتكرار الانذار والتذكير وانقطاع حجة المعاندين حيث لا يمكنهم ان يقولوا بعد الانذار والتذكير انا كنا عن هذا غافلين لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين فلم وجب عليه ان يذكر الخلائق اجمعين ان نفعتهم الذكرى والمصنف اجاب عنه بثلاثة اجوبة تقرير الاول ان ما ذكره من كون التذكير واجبا عليه مطلقا انما هو قبل الزام الحجة عليهم واتمام دعوتهم بتكرير التذكير باوضح البيان وابلغ التقرير الى ان يتضح الحق ويتبين الرشد من الغى بحيث يظهر ان من أصر على الكفر والضلال بعده انما يصر عليه لمحض العناد وايثار الهوى على الهدى واما بعد ذلك فلا يجب اذ لا فائدة له بعد ذلك سوى اتعاب النفس والتلهف على من آثر الشقاوة الابدية على السعادة الدائمة وتقرير الجواب الثانى ان قوله تعالى ان نفعت الذكرى وان كان تقييدا للامر بحسب الظاهر الا انه لم يؤت به فى هذا الموضع لتقييد ذلك الحكم به وانما أتى به ذما للمذكورين وتنبيها له عليه الصلاة والسلام يعنى ان هؤلاء لا تنفعهم الذكرى كما يقال فى حق رجل ادع فلانا ان اجابك والمعنى ما اراه يجيبك فكأنه قيل فذكرهم وما يغنى اتعاظهم وقد لهم منك واذا لم يكن التعليق والتقييد مرادا بقى الامر بالتذكير على اطلاقه غير مقيد بشرط رجاء نفعه وتقرير الثالث ان التقييد والتعليق بالنسبة الى طائفة معينة علم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الذكرى لا تنفعهم لشدة اعراضهم عن الهدى ونظيره قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ويلزم من هذا الجواب انه عليه الصلاة والسلام اذا علم بنور النبوة او الوحى الالهى ان الضال لا يؤمن ولا تنفعه الذكرى لا تجب عليه التذكرة (قوله وهو يتناول العارف والمتردد) فان الناس فى امر المعاد على ثلاثة اقسام منهم من قطع بصحته ومنهم من جوز وجوده ولكن

(فذكر) بعدما استتب لك الامر (ان نفعت الذكرى) لعل هذه الشرطية انما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول اليأس من البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار الاية او لذم المذكرين واستبعاد تأثير الذكرى فيهم او للاشعار بان التذكير انما يجب اذا ظن نفعه ولذلك أمر بالاعراض عمن تولى (سيذكر من يخشى) سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله تعالى فانه يتفكر فيها فيعلم حقيتها وهو يتناول العارف والمتردد (ويتجنبها) ويتجنب الذكرى

(الاشـقى) الكافر فانه اشقى من الفاسق او الاشقى من الكفرة لتوغله في الكفر (الذى يصلى النـار الكبرى) نار جهنم فانه عليه السلام قال ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم اوما في الدرك الاسفل منها (ثم لايموت فيها) فيستريح (ولايحيى) حياة تنفعه (قد أفلح من تزكى) تطهر من الكفر و المعصية او تكثر من التقوى من الزكاء اوتطهر للصلاة اوادى الزكاة (وذكر اسم ربه) بقلبه ولسانه (فصلى) لقوله تعالى أقم الصلاة لذكرى و يجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكى تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبره يوم العيد فصلى صلاته

لم ينقطع عنه لا بالنفى ولا بالاثبات ومنهم من قطع بانكاره والقسمان الاولان نبّا اولهما مفهوم من يخشى الله دون الثالث فان من كان عارفا الله تعالى و بكمال قدرته وعلمه وحكمته يقطع لذلك بصحة المعاد و يخشى الله تعـالى و ينتفع بالذكرى وكذا من يردد و يتوقف الى ان يتبين الحق له ولايكون من اهل العناد والاصرار فانه اذا سمع آية التخويف مثل ان يقال من كفر وتولى فانه يصلى النار الكبرى ثم لايموت فيهـا ولايحيى ينكسر قلبه فيحمله ذلك على استماع الحق وقوله بخلاف من غلبه هواه وجهله ذلك العناد والاصرار فان قلبه يقفل عليه فلايصل اليه خوف الله تعالى وخشيته فلا ينتفع بالذكرى لان الانتفاع بهـا مبنى على خشية القلب ولم يحصل فلا جرم يتجنب الذكرى ولايقبلها ولاينتفع بهـا وهو المراد بالاشقى الذى هو القسم الثالث من اقسام الناس (قوله الاشـقى الكافر) يعنى ان المراد بالاشـقى اما جنس الاشقى وهو الكافر اوفرد معين منه كالوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة والمفضل عليه على الاول جنس الفاسق وعلى الثانى سائر الكفرة وثم فى قوله تعالى ثم لايموت للتراخى الرتبى لان هذه الحـالة افظع واعظم من نفس الصلى فهى متراخية عنه فى مراتب الشـدة والكبرى اسم تفضيل لانه تأنيث الاكبر وتقتضى مفضلا عليه وهو نار الدنيا ان كان المراد بالنار الكبرى نار جهنم وان كان المراد بهـا ما فى اسفل دركات جهنم من النار يكون المفضل عليه ما فى الدركات التى فوقهـا فان فى جهنم نيرانا ودركات متفاوتة كما ان فى الدنيا ذنوبا ومعاصى متفاوتة فالكافر اشقى العصاة فلذلك يصلى اعظم النيران ثم انه تعالى لما ذكر وعيد من اعرض عن الذكرى ولم يتأمل فى دلائل الله تعالى اتبعه بالوعد لمن تزكى وتطهر من دنس الشرك بان قال لااله الا الله محمد رسول الله على ان يكون التزكى من الزكاء بمعنى الطهارة وقيل من الزكاء بمعنى النماء اى من صار زاكيا نامياً من جهة الاعمال الصالحة يقـال زكا الزرع يزكو زكاء اى نما وكثر والزاكى النامى الكثير ويقال ايضا تزكى بمعنى تصدق وادى الزكاة (قوله و يجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم) عطف على قوله مافهم من قوله ذكر اسم ربه بقلبه ولسـانه فدعاه ذلك الى ان يصلى تعظيما له تعـالى واجلالا ومن استدلاله على ذلك بقوله أقم الصلاة لذكرى فان من ذكر الله تعالى بكمال عظمته وكبريائه و بانواع فضله واحسانه دعاه ذلك الى الاشـتغال بخدمته وطاعته وذهب الامام ابو حنيفة رحمه الله الى ان المراد بذكر اسم ربه تكبيرة الاحرام فيكون المعنى وذكر اسم ربه لافتتـاح الصلاة و صلى عقيبه واحتج بالآية على وجوب تكبيرة الاحرام حيث عطف فى جملة ما علق به الفلاح وعلى انهـا ليست من اركان الصـلاة

(من حيث)

من حيث ان الصلاه عطف عليها بفاء التعقيب والملابسة بالكل انما تكون بملابسة ركن من اركانها لاعقبها وعلى ان افتتاح الصلاه والشروع فيها غير مخصوص بلفظ التكبير بل هو جائز بكل اسم من اسمائه تعالى فالمناسب على هذا ان يحمل التزكى على التطهر للصلاه لكون الآية مسوقة لمدح من حصل هذين الشرطين الطهارة وتكبيره احرام وصلى عقيبهما والائمة الشافعية قالوا هذه الآية وان دلت على مدح كل من ذكر اسم الله تعالى وصلى عقيبه لكن ليس فيها ما يدل على ان ذلك الذكر هو تكبيره الافتتاح لجواز ان يكون بمعنى ان من ذكر الله تعالى بقلبه ولسانه وذكر ثوابه وعقابه وعاد بعد ذلك الى فعل الصلاه فحينئذ يأتى بالصلاه التى احد اركانها واجزائها تكبيرة الافتتاح كما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال فى تفسير هذه الآية ذكر معاده وموقفه بين يدى ربه فصلى له قال الامام واول هذا التفسير متعين وذلك لان مراتب اعمال المكلف ثلاث اولاها ازالة العقائد الفاسدة عن القلب وثانيتها استحضار معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وافعاله وثالثتها الاشتغال بخدمته وطاعته فالمرتبة الاولى هى المراده بقوله قد افلح من تزكى وثانيتها هى المراده بقوله وذكر اسم ربه فان الذكر بالقلب هو المعرفه وثالثتها وهى الخدمة هى المراده بقوله فصلى فان الصلاه عبارة عن التواضع والخشوع فمن استنار قلبه بمعرفة جلال الله تعالى لابد وان يظهر فى جوارحه واعضائه اثر الخضوع والخشوع انتهى كلامه واذا حمل التزكى على اداء الزكاة المفروضة تكون الآية نظير قوله تعالى واقام الصلاه وايتاء الزكاة قيل هذا التفسير بعيد من حيث ان عادة الله تعالى جارية على تقديم الصلاه على الزكاة اينما ذكرا معا وهذا التفسير يستلزم مخالفة العادة وتركها (قوله فلا تفعلون مايسعدكم) اشاره الى ان المضروب عنه قوله تعالى قد افلح من تزكى اى لا تفعلونه بل تؤثرون فان بل موضوعة لنفى ما تقدم وتحقيق غيره (قوله والخطاب للاشقين) اشاره الى ان المراد بالاشقى جنس الكافر فهو فى معنى الجمع ونكتة الالتفات المبالغة فى الذم فان الذم مواجهة ابلغ فى الذم مما يكون فى الغيبة وفى اضمار بل تحقير لشأنهم بالاشاره الى انهم لايستحقون خطابه تعالى (قوله وقرأ ابو عمرو بالياء) على الاخبار عن الاشقين وهم غيب (قوله فان نعيمها ملذ بالذات) اى لاثبالى ولا لاجل الالتذاذ والتفكه ولا يقصد به التغذى ودفع ألم الجوع والعطش يقال لذذت الشئ اى وجدته لذيذا وانت ملذه وفى بعض النسخ ملذذ اى كأنه محض التلذذ بخلاف نعيم الدنيا فانه يقصد لالذاته بل لما يترتب عليه من التقوى ونحوه والعوائل جمع الغائله وهى الشر والمضره (قوله

(بل تؤثرون الحياه الدنيا) فلا تفعلون ما يسعدكم فى الآخرة والخطاب للاشقين على الالتفات او على اضمار قل او للكل فان السعى للدنيا اكثر فى الجملة وقرأ ابو عمرو بالياء (والآخره خير وابقى) فان نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع له

(ان هذا لفى الصحف الاولى) الاشارة الى ما سبق من قد افلح فانه جامع امر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة (صحف ابراهيم وموسى) بدل من الصحف الاولى ❊ قال عليه السلام من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام

(سورة الغاشية مكية وآياتها ست وعشرون)
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(هل اتاك حديث الغاشية) الداهية التى تغشى الناس بشدائدها يعنى يوم القيامة او النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار (وجوه يومئذ خاشعة) ذليلة (عاملة ناصبة) تعمل ما تتعب فيه كجر السلاسل وخوضها فى النار خوض الابل فى الوحل والصعود والهبوط فى تلالها ووهادها

والاشارة الى ما سبق من قد افلح) والمعنى ما ذكر من قوله قد افلح الى آخر الآيات الاربع مذكور فى صحف الانبياء المتقدمين معناه وان لم يكن مذكورا باللفظ المذكور هنا (قوله فانه جامع امر الديانة) فان قوله قد افلح من تزكى اشارة الى تطهير النفس عن كل ما لا ينبغى من العقائد الفاسدة والاخلاق الذميمة وقوله وذكر اسم ربه اشارة الى تكميل الروح بمعرفة الله تعالى وقوله فصلى اشارة الى تكميل الله تعالى الجوارح وتزيينها بطاعة الله تعالى وقوله بل تؤثرون الحياة الدنيا اشارة الى الزجر عن ايثار الحظوظ العاجلة على السعادة الابدية وقوله والآخرة خير وابقى اشارة الى الترغيب فى طلب الآخرة ومافيها من الروح والثواب الجزيل وهذه امور لا تختلف باختلاف الشرائع فلهذا قال تعالى ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى تمت سورة الاعلى بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة الغاشية مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله تعالى الغاشية) الغطاء هو الغشاء والغشاء هو الغطاء يقال غشيه يغشاه اى غطاه وكل ما احاط بالشئ من جميع جهاته فهو غاش له وسميت القيامة غاشية لانها تغشى الناس جميعا من الاولين والآخرين اولانها تغشى الناس بالاهوال والشدائد ويجوز ان تكون الغاشية صفة النار بقرينة قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وهل بمعنى قد اى قد اتاك خبر القيامة فتنبه لهو لها وما فيها من معنى الاستفهام للتقرير وتعظيم المستفهم عنه لانه تعالى عرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من احوال الغاشية وحال الناس فيها مالم يكن هو ولا قومه عالمين به على التفصيل (قوله تعالى وجوه) مبتدأ وخاشعة خبره ويومئذ ظرف للخبر اى ذليلة يوم اذ غشيت تلك الداهية الناس ولعل وجه الابتداء بالنكرة كون تقدير الكلام اصحاب وجوه بالاضافة الا ان اثر الخشوع والمذلة لما كان يظهر فى الوجه اولا حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه قال الامام المراد بالوجوه اصحاب الوجوه وهم الكفار بدليل انه تعالى وصف الوجوه بانها عاملة ناصبة وذلك من صفات المكلف لكون الخشوع انما يظهر فى الوجه فاسند الى ضميره لذلك (قوله تعمل ما تتعب فيه) اشارة الى ان ارتفاع كل واحد من الاسمين على انه خبر بعد خبر لوجوه وان ناصبة وان كان خبر وجوه من حيث الاعراب الا انه من حيث المعنى تقييد للعمل بانه من قبيل

ماتعبت فيه الوجوه فان ناصبة بمعنى تعبة يقال نصب الرجل ينصب نصبا من باب علم اذا تعب فى العمل واذا كان كل واحد منهما خبر الوجوه يكون قوله يومئذ ظرفا لكل واحد من الاخبار الثلاثة وتكون الاخبار باسرها حاصلة فى الآخرة فان الكفار لما تكبروا فى الدنيا عن عبادة الله تعالى وطاعته كانوا يوم القيامة خاشعين اى ذليلين وعاملين فى النار اعمالا تعبون فيها ❊ والتلال جمع تل وهو الجبل الصغير والوهاد جمع وهدة وهو المكان المطمئن والوحل بفتح الحاء الطين الرقيق والتسكين لغة رديئة (قوله او عملت ونصبت) اشار بلفظ الماضى الى ان المراد بالعمل والنصب ماصدر عنها فى الدنيا والمعنى انها خاشعة فى الآخرة وقدكانت فى الدنيا عاملة ناصبة ولم تنتفع بشئ من عملها ونصبها الصادر عنها فى الدنيا لكونهما فى غير طاعة الله تعالى فالظاهر على هذا الاحتمال ان يكون قوله عاملة ناصبة خبر مبتدأ محذوف وتكون الجملة فى موضع الحال من ضمير خاشعة والتقدير وهى عاملة تعبة فى الدنيا فيما لم ينفعه يوم اذ غشيت الداهية الكبرى (قوله وقرأ ابو عمرو وتصلى) بضم التاء وسكون الصاد على بناء مالم يسم فاعله والباقون بفتح التاء على بناء الفاعل والمنوى فيه على تلك القراءتين للوجوه وقرئ بضم التاء وفتح الصاد وتشديد اللام (قوله بلغت اناها) اى بالغة غايتها فى الحر يقال آن الحميم يأنى انا اى انتهى حره والانا نهاية الحر (قوله ولعله طعام هؤلاء) جواب عما يقال قوله تعالى فى هذه السورة ليس لهم طعام الا من ضريع لاينافى قوله تعالى فى سورة الحاقة فليس له اليوم ههنا حميم ولاطعام الا من غسلين فان احد الحصرين ينافى الآخر لان الضريع غير الغسلين وايضا كل واحد منهما ينافى قوله تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم وتقرير الجواب ان الدركات متفاوتة على حسب اختلاف المعاصى واهلها من اهل النار فمنهم من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه الغسلين ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من شرابه الحميم ومنهم شرابه من الصديد لكل باب منهم جزء مقسوم ثم اشار الى جواب آخر بقوله اوالمراد بهذه الآية حصر طعامهم المعد بكونه مما يتحاماه الابل وتكرهه ولا تتناوله لمرارته فى الضريع وذلك لاينافى ان تكون لهم نوع آخر من الطعام كالزقوم والغسلين (قوله ذات بهجة) اى حسن على ان ناعمة من نعم الشئ بالضم نعومة اى صار ناعما لينا وتكون نعومة الوجوه اى غضاضتها ونضارتها كناية عن التنعم وطيب الحال اوعلى ان بناء ناعمة للنسبة بمعنى ذات نعمة والنعمة فى حق الوجه هو الحسن والبهجة (قوله رضيت بعملها) اشارة الى ان السعى بمعنى العمل يقال سعى يسعى سعيا اذاعدا

او عملت ونصبت فى اعمال لاتنفعها يومئذ (تصلى نارا) تدخلها وقرأ ابو عمرو ويعقوب وابو بكر تصلى من اصلاه الله وقرئ تصلى بالتشديد للمبالغة (حامية) متناهية فى الحر (تسقى من عين آنية) بلغت اناها فى الحر (ليس لهم طعام الامن ضريع) يبس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل مادام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم اوالمراد طعامهم مما يتحاماه الابل وتتعافاه لضره وعدم نفعه كما قال (لايسمن ولايغنى من جوع) والمقصود من الطعام احد الامرين (وجوه يومئذ ناعمة) ذات بهجة اومتنعمة (لسعيها راضية) رضيت بعملها لما رأت ثوابه (فى جنة عالية) علية المحل اوالقدر (لا تسمع) يا مخاطب اوالوجوه وقرأ على بناء المفعول بالياء ابن كثير وابو عمرو ورويس والتاء نافع (فيها لاغية) لغوا

تلغو فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم (فيها عين جارية) يجري ماؤها ولا ينقطع والتنكير للتعظيم (فيها سرر مرفوعة) رفيعة السمك او القدر (واكواب) جمع كوب وهو اناء لاعروة له (موضوعة) بين ايديهم (ونمارق) وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم (مصفوفة) بعضها الى بعض (وزرابى) وبسط فاخرة جمع زربى (مبثوثة) مبسوطة (افلا ينظرون) نظر اعتبار (الى الابل كيف خلقت) خلقا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الاثقال الى البلاد النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وترعى كل نابت وتحتمل العطش الى عشر فصاعدا لتتأتى لها قطع البرارى والمفاوز مع مالها من منافع اخر

وكذا اذا عمل وكسب والى ان اللام فى قوله لسعيها راضية متعلقة براضية والتقدير راضية لسعيها فلما تقدم المعمول ضعف العامل فجيئ باللام فى قوله لسعيها ويجوز ان تكون لام التعليل اى لاجل سعيها فى طاعة الله تعالى راضية جزاءه وثوابه (قوله والتاء نافع) لتأنيث لفظ لاغية وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء لان التأنيث غير حقيقى ولان اللاغية بمعنى اللغو على انها مصدر كالعاقبة (قوله اوكلة ذات لغو) على ان يكون لاغية بمعنى النسبة مثل تامر صفة لمؤنث هى الكلمة او النفس واللاغية حينئذ للحدث لا للنسبة (قوله والتنكير للتعظيم) اى رفعة شأنها من حيث انها تجرى على وجه الارض من غير اخدود جريا لا ينقطع وتجرى لهم حيث ارادوا اجراءها وماؤها اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل (قوله رفيعة السمك) اى عالية الى جهة الفوق فان السمك هو الامتداد الآخذ من اسفل الشئ الى اعلاه اذا جلس المؤمن عليها يرى جميع ما اعطى له فى الجنة من الملك والنعم اورفعة قدرها من حيث اشتمالها على جميع جهات الحسن والكمال فى ذواتها او صافها لما قرر الله تعالى امر الغاشية وحكم بان بعض اهلها اشقياء معذبون اشد العذاب وبعضهم سعداء منعمون ومعلوم ان ذلك يتوقف على ثبوت الصانع القادر على ما يشاء اتبع ذلك ذكر ما يدل على ثبوته وكمال قدرته فقال أفلا ينظرون الى الابل انكارا على تركهم النظر الى عجائب المخلوقات وحثا لهم على النظر والاعتبار ليتحقق عندهم كمال قدرة الخالق وعلمه وحكمته فلا ينكروا اقتداره تعالى على البعث والفاء فى قوله تعالى أفلا ينظرون للعطف على مقدر بعد همزة الاستفهام اى أيعرضون عن النظر الى ما يدل على صحة البعث وقدرته تعالى عليه او الى ما اتاك من حديث الغاشية افلا ينظرون الى الابل الخ (قوله باركة للحمل) اى باركة لان يحمل عليها ناهضة بالحمل وهو بالكسر ما كان على الظهر والباء فيه للتعدية اى رافعة اياه وتهض بمعنى قام وناء ينوء نوءا اى نهض بجهد ومشقة وناء بالحمل اذا نهض به والوقر بالكسر الحمل ويجمع على اوقار كحمل واحمال يعنى ان الحكمة فى طول اعناقها امر ان احدهما اقتدارها على القيام باحمال الثقيلة فانها اذا امالت عنقها الى جانب حملها سهل عليها رفع مقدمها (قوله الى عشر) وهو بكسر العين وسكون الشين ما بين الوردين وهو ثمانية ايام يرد اليوم العاشر كذا فى الصحاح (قوله وقيل المراد بها السحاب) تشبيها بالابل فى كثرة ما نيط بها من حاجة الناس كالابل واطلق الاسم المشبه به عليه مجازا او قرينة المجاز ذكره فى جنب ذكر السماء والجبال وقوله كيف منصوب بخلقت على حد نصبها

وَلِذَلِكَ خُصّت بالذكر لبيان الآيات المبثوثة في الحيوانات التي هي أشرف المركبات وأكثرها صنعاً ولأنها أعجب ما عند العرب من هذا النوع وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة (وإلى السماء كيف رفعت) بلا عمد (وإلى الجبال كيف نصبت) فهي راسخة لا تميل (وإلى الأرض كيف سطحت) بسطت حتى صارت مهاداً وقرئ الأفعال الأربعة على بناء الفاعل المتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى أفلا ينظرون إلى أنواع المخلوقات من البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقب به أمر المعاد ورتب عليه الأمر بالتذكير فقال (فذكر إنما أنت مذكر) فلا عليك إن لم ينظروا ولم يذكروا إذ ما عليك إلا البلاغ (لست عليهم بمصيطر) بمسلط وعن الكسائي بالسين على الأصل وحمزة بالإشمام (إلا من تولى وكفر) لكن من تولى وكفر

في قوله تعالى كيف يكفرون والجملة بدل من الإبل بدل اشتمال لتكون في محل الجر وقد دخل إلى على كيف في قولهم انظر إلى كيف تصنع فيجوز إبدالها مما دخلت عليه كلمة إلى قرأ العامة خلقت ورفعت ونصبت وسطحت بضم فاء الفعل وكسر عين الفعل وتاء التأنيث الساكنة مبنياً للمفعول والقائم مقام الفاعل في كل واحد منها مستتر فيه عائد إلى ما قبله وقرئ كل واحد منها بفتح الفاء والعين على بناء الفاعل وهو ضمير المتكلم وحده وحذف ضمير المفعول الراجع إلى ما قبلها للعلم به والتقدير خلقتها ورفعتها ونصبتها وسطحتها (قوله ولذلك) أي ولكون المقصود من حثهم على النظر إلى أنواع المخلوقات أن يتحقق عندهم اقتداره تعالى على البعث أورده عقيب ذكر أمر المعاد ورتب عليه الأمر بالتذكير فإنه عليه الصلاة والسلام إنما يذكرهم بحثهم على النظر فيما يدل على كمال قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ثم إنه تعالى حصر أمره عليه الصلاة والسلام في التذكير لأنه عليه الصلاة والسلام لم يؤمر حينئذ إلا بالتذكير ويؤيده قوله لست عليهم بمصيطر فتقتلهم وتكرههم على الإيمان ثم نسختها آية القتال ويحتمل أن يكون المراد بالتسلط المنفي التسلط على قلوبهم بأن تدخل الإيمان في قلوبهم كرهاً فلا نسخ (قوله وعن الكسائي بالسين) هكذا في بعض النسخ وهو خطأ لأن الكسائي ممن قرأ بالصاد الخالصة والصواب وعن هشام وهو ممن روى عن ابن عامر الشامي فإنه قرأ بمسيطر بالسين على الأصل لأنه من السطر قال الجوهري سطر يسطر سطراً أي كتب والمسيطر والمصيطر المسلط على الشيء يشرف عليه ويتعهد أحواله ويكتب عمله وأصله من السطر لأن الكتاب مسطر والذي يفعله مسطر ومسيطر انتهى وقرأ حمزة بخلاف عن خلاد بالصاد والزاي أي يخلط صوت الصاد بصوت الزاي بحيث يمتزجان فيتولد منهما حرف ليس بصاد ولا زاي والخلط المذكور أي خلط حرف بحرف أحد معاني الإشمام في عرف القراء والباقون بالصاد خالصة (قوله لكن) إشارة إلى أن الاستثناء منقطع لأن المقصود منه إثبات ولاية الله عز وجل واقتداره على تعذيب من تولى وأعرض عن إجابة دعوته عليه الصلاة والسلام بعد ما نفى تسلطه عليه الصلاة والسلام وليس فيه إخراج بعض من دخل في المستثنى منه عن حكمه وعلى هذا تكون كلمة من شرطية جزاؤها قوله فيعذبه أي فهو يعذبه الله إذ لو كان الجزاء هو نفس الفعل الواقع بعد الفاء لكان مجزوماً (قوله وقيل متصل) على أنه استثناء من الضمير في عليهم أي لست عليهم بمسيطر إلا على من تولى عن الإيمان وكفر فإنك مسلط عليه بما يؤذن لك

(ويعذبه الله العذاب الاكبر) يعني عذاب الآخرة وقيل متصل فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكأنه اوعدهم بالجهاد في الدنيا وعذاب النار في الآخرة وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر الا من تولى واصر فاستحق العذاب الاكبر ومابينهما اعتراض ويؤيد الاول انه قرئ الا على التنبيه (ان الينا ايابهم) رجوعهم وقرئ بالتشديد على انه فيعال مصدر ايب فيعل من الاياب او فعال من الاوب قلبت واوه الاولى قلبها في ديوان ثم الثانية للادغام (ثم ان علينا حسابهم) في المحشر وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة في الوعيد ❊ عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

(سورة الفجر مكية وآيها تسع وعشرون اوثلثون)

من قبله ولما استشعر ان يقال ان الايمان من اعمال القلب فتسلطه عليه الصلاه والسلام عليهم باكراههم على الايمان تسلط على القلب بان يقبل الايمان وذلك ليس في وسع البشر اذلا يستولى على القلب احد غير الله اجاب عنه بان الاستيلاء على جهاد الكفار وقتلهم بمنزلة الاستيلاء عليهم لقبول الايمان لكونه من الاسباب المؤدية الى الايمان (قوله وكأنه اوعدهم بالجهاد في الدنيا) جواب عما قال من ان السورة مكية وانه عليه الصلاه والسلام ما كان مأذونا بالقتال الا بعد الهجرة فكيف يصح حمل الكلام على الاستثناء المتصل المستلزم لان يكون المعنى انت مسلط على من تولى عن الايمان منهم ومحصل الجواب ان الكلام وارد على طريق الوعد له عليه الصلاه والسلام باذنه للقتال والوعيد للكفار وانما يدل لا على طريق الاخبار بانه عليه الصلاة والسلام مسلط عليهم في الحال (قوله اي فذكر الا من تولى واصر فاستحق العذاب الاكبر) الظاهر ان من هذه موصولة وتولى صلتها وكفر عطف عليه والفاء في فيعذبه سببية دالة على ان التعذيب مرتب على التولي والكفر فسر قوله تعالى فيعذبه بقوله فاستحق العذاب الاكبر وهذا المتولي عن الاجابة لما لم ينفعه التذكير صار بمنزلة من لم يذكره عليه الصلاه والسلام فلذلك استثنى من جملة من امر عليه الصلاة والسلام بتذكيره (قوله ويؤيد الاول) وهو ان يكون الاستثناء منقطعا على معنى لكن الله هو المسيطر عليهم فيعذبهم ووجه التأييد ظاهر وهو توافق المعنيين حينئذ بخلاف ما اذا كان الاستثناء متصلا (قوله وقرئ بالتشديد) والجمهور على تخفيف ياء ايابهم على انه مصدر آب يؤوب اذا رجع وقرئ بتشديد الياء وذكر لها وجهين الاول كونه مصدرا على وزن فيعال من ايب على وزن فيعل نحو حوقل حيقالا وبيطر بيطارا اصله ايواب فلما اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وادغمت الياء فصار ايابا والثاني كونه مصدرا على وزن فعال نحو كلم كلاما اصله اوواب قلبت الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها كما في ديوان اصله دووان فصار ايوابا ثم فعل ما مر فصار ايابا وقوله تارة من الاياب وتارة من الاوب لمجرد التفنن لان كل واحد من الاوب والاياب مصدر آب بمعنى رجع يقال آب يؤوب اوبا واوبة وايابا ❊ تمت سورة الغاشيه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة الفجر مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله اقسم بالصبح او فلقه) الاول على ان يكون الفجر اسما بمعنى الصبح وهو اول وقت ظهور ضوء الشمس فى جانب المشرق ويطلق الفجر ايضا على نفس ذلك الضوء وهو قول الجوهري الفجر فى آخر الليل كالشفق فى اوله والثانى على ان يكون الفجر مصدرا بمعنى انفجار الظلمة عن النهار وانشقاقها عنه بان يشقها الضوء المذكور يقال فلقت الشئ فلقا اى شققته اقسم الله تعالى بما يحصل من انقضاء الليل وظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات فى طلب الارزاق وذلك مشاكل لنشور الموتى وفيه عبرة عظيمة لمن تأمل فيه فان الشئ انما يقسم به اذا كان فيه فائدة دينية مثل كونه دليلا باهرا على التوحيد او على صحة البعث والجزاء ونحوهما او فائدة دنيوية تحمل المكلف على شكر نعمة الله تعالى او مجموعهما كالفجر فانه مشتمل على مجموع الفائدتين المذكورتين شبه قوله تعالى والفجر بقوله والصبح اذا تنفس من حيث ان للصبح جعل مقسما به فى كل واحد منهما واشار به الى ان المختار عنده كون الفجر بمعنى الصبح لا بمعنى الفلق والشق (قوله او بصلاته) اما بتقدير المضاف او بان يراد بالفجر ما وقع فيه على طريق اطلاق اسم المحل وارادة الحال اقسم بصلاة الفجر لكونها مما وقع فى اول اليوم من اعمال المكلفين وبادروا اليها والى مقدماتها اول يومهم ولان ملائكة الليل والنهار يجتمعون لاستماع ما فيها من القراءة كما قال تعالى ان قرآن الفجر كان مشهودا اى تشهده ملائكة الليل والنهار لاستماع القراءة فيه واقسم بعشر ذى الحجة لانها ايام الاشتغال بمناسك الحج واعماله والحج المبرور من افضل الاعمال وانه كفارة لذنوب العمر وفى الخبر ما يوم من ايام العمل الصالح افضل من ايام التشريق (قوله ولذلك) اى ولاجل ان فسر الليالى العشر بعشر ذى الحجة لم يفسر الفجر بفجر كل يوم بل فسر بفجر يوم معين وهو فجر عرفة او فجر يوم النحر لان الحجاج يقفون بعرفات يوم عرفة متوجهين الى الرب الكريم راجين عفوه وغفرانه وان يتفضل عليهم بانواع فضله ورحمته وهو موقف عظيم لا يخيب فيه الآملون وفى الحديث الحج عرفة وكذا يوم النحر يوم عظيم يريق الحجاج فيه الدماء فداء لانفسهم ويطوفون فيه طواف الزيارة الذى هو باقى اركان الحج بعد الحلق ورمى الجمار وروى ان يوم النحر يوم الحج الاكبر فاستحق كل واحد من اليومين لان يقسم به وكان ذكر الفجر بجنب الليالى العشر قرينة لتخصيصه باحد اليومين (قوله او عشر رمضان) عطف على ذى الحجة فانها ايضا ليالى شريفة لما

(بسم الله الرحمن الرحيم) (والفجر) اقسم بالصبح او فلقه كقوله والصبح اذا تنفس او بصلاته (وليال عشر) عشر ذى الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او عشر رمضان الاخير

وفيها من ليلة القدر التي هي خير من الف شهر فانه قد ورد في الخبر اطلبوها في العشر الاخير من رمضان وكان عليه الصلاة والسلام اذا دخل العشر الاخير من رمضان شد المئزر وايقظ اهله وكف عن قربانهن وامرهن بالتهجد (قوله وتنكيرها للتعظيم) جواب عما يقال ما بال الليال العشر جاءت منكرة من بين ما اقسم به ومحصول الجواب انها لو وقعت بلام العهد لكونها معلومة معهودة في نفسها لما افهمت الفضيلة التي تستفاد من التنكير (قوله على ان المراد بالعشر الايام) الا ان الظاهر على هذا ان يقال عشرة ايام لان الايام مذكر قال تعالى سبع ليال وثمانية ايام (قوله والاشياء كلها) عبر عنها بالشفع والوتر لان اجناس الاشياء وانواعها واشخاصها اما شفع او وتر ولا يتصور خلوها عنهما معا فصح ان يعبر بمجموع الشفع والوتر عن الاشياء كلها وكذا صح ان يعبر به عن المخلوقات بأسرها وعمن خلقها لانه تعالى خلقها زوجين ذكرا او انثى ناطقا وصامتا كافرا ومؤمنا قادرا وعاجزا باردا وحارا رطبا ويابسا فلكيا وعنصريا الى غير ذلك وخالقها فرد واحد لا تعدد فيه بوجه ما (قوله ومن فسرهما الى قوله او اكثره نفعة موجبة للشكر) لما فسر مجموع الاشياء بالشفع والوتر اولا ثم فسر الشفع بالمخلوقات كلها والوتر بذات الخالق وكان ما ذكره المفسرون في تفسير الشفع والوتر مخصصا بلا مخصص اشار الى انهم لا يدعون ما ذكروه انحصار مدلولهما في ذلك وانما خصوا بالذكر من انواع مدلولهما ما رؤه اظهر دلالة على التوحيد كالعناصر والافلاك والبروج والسيارات اذ لا مدخل فيها لغيرها او مدخلا في الدين كالصلوات شفعها ووترها او مناسبة لما قبلها كيومي النحر وعرفة او اكثره نفعه موجبة للشكر كالاعضاء والقلب والسمعين واللسان وكالعناصر والافلاك والبروج والسيارات فان منافعها اكثر من ان يحصى الا ترى ان انتظام احوال الحيوانات بأسرها منوط بالفصول الاربعة وان ثبت من الشارع تفسير الشفع والوتر ببعض ما ذكره المفسرون فالظاهر انه ليس مبنيا على تخصيص مدلول اللفظ به بل انه وارد على طريق التمثيل بما رأى في تخصيصه بالذكر فائدة معتدا بها فلنذكر بعض ما ذكره المفسرون في تفسيرهما فان منهم من فسر الشفع بالعناصر الاربعة والوتر بالافلاك التسع ومنهم من فسر الشفع بالبروج الاثني عشر والوتر بالسيارات السبع ومنهم من فسر الشفع بما كان شفعا من الصلوات وهو ما عدا صلاة المغرب والوتر بما كان وترا منها وهو صلاة المغرب والوتر على قول ومنهم من فسر الشفع بيوم النحر لانه عاشر ايام الليالي العشر والوتر بيوم عرفة لانه تاسع تلك الايام وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام انه فسرهما بذلك حيث قال

وتنكيرها للتعظيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام (والشفع والوتر) والاشياء كلها شفعها ووترها او الخلق لقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين والخالق لانه فرد ومن فسرهما بالعناصر والافلاك والبروج والسيارات او شفع الصلوات ووترها او بيومي النحر وعرفة وقد روي مرفوعا او بغيرها فلعله افرد بالذكر من انواع المدلول ما رآه اظهر دلالة على التوحيد او مدخلا في الدين او مناسبة لما قبلها او اكثره نفعه موجبة للشكر وقرأ حمزة والكسائي والوتر بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر (والليل اذا يسر) اذا مضى كقوله والليل اذا ادبر

العشر عشر الاضحى والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر وقال عليه الصلاة والسلام بعضها شفع و بعضها وتر ويوهم من فسرهما بغير ماذكر ثم اختلفوا في ذلك الغير فقال بعضهم الشفع اليومان اللذان بعد يوم النحر والوتر هو اليوم الثالث بعدهما ثم قال حمل الشفع والوتر على ماقلنا اولى من حملهما على يومي النحر وعرفة لان يومي النحر وعرفة قداقسم بهما في قوله وليال عشر اذا فسرت بعشر ذي الحجة فحمل الشفع والوتر عليهما يستلزم التكرار في القسم بهما ولان بعض اعمال الحج انما تحصل في هذه الايام التي بعد يوم النحر وقال البعض الآخر الشفع آدم وحواء والوتر مريم وقال آخرون الشفع العيون الاثنا عشرة التي فجرها الله تعالى من حجر موسى عليه الصلاة والسلام للاسباط والوتر الآيات التسع المذكورة بقوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات وقيل الشفع ايام عاد والوتر لياليهم كما قال تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام وقيل الشفع الاعضاء والوتر القلب قال الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وقيل الشفع الشفتان والوتر اللسان قال ولسانا وشفتين وقيل الشفع السجدتان والوتر الركوع وقيل في تفسيرهما غير ذلك ولا وجه لطول ذيل الكلام بذكره قرأ حمزة والكسائي والوتر بكسر الواو والباقون بفتحها قيل فتحها لغة اهل الحجاز والكسر لغة تميم (قوله والتقييد بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة) فان اصل الدلالة عليهما تحصل بمجرد ذكر الليل بدون التعرض لانقضائه بظهور ضوء النهار وذلك لان سلخ ضوء النهار من الليل وادخال الخلق تحت لباس الظلام بغروب الشمس آية دالة على كمال القدرة وفيه ايضا نعمة جليلة للناس حيث يستترون بظلمة الليل و يستريحون بالنوم و بالتعرض لانقضاء الليل وتعاقب النهار عليه تقوى تلك الدلالة فان آية الليل اذا محيت مع كونها محيطة بجميع اقطار العالم بانبساط آية النهار وشيوعها تجدد البرهان القاطع الدال على كمال القدرة والاحسان الشامل لجميع الحيوانات لانهم يبصرون بذلك كانهم اعيد لهم الحياة بعد الموت و ينشرون بذلك لطلب الارزاق الممدة للحياة الفانية التي يتوسل بها الى سعادة الدارين فان قيل القسم بالليل اذا يسر يغني عن القسم بليال عشر قلنا المقسم به في قوله والليل اذا يسر هو الليل باعتبار مسيره ومضيه وفي قوله وليال عشر هو الليالي لا باعتبار مضيها بل باعتبار خصوصية اخرى فلا يغني احدهما عن الآخر (قوله او يسرى فيه) فيكون الكلام من قبيل ما اسند فيه الفعل الى زمانه مثل صام نهاره اي صام هو فيه وقام ليله اي قام فيه وتقييد الليل بالسرى بهذا المعنى لان السرى فيه حافظ للسائر من حر الشمس فان السفر

والتقييد بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه من قولهم صلى المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا

وقد حذفه نافع وابو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب اصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق (هل في ذلك) القسم او المقسم به (قسم) حلف او محلوف به (لذي حجر) يعتبره ويؤكده ما يريد تحقيقه والحجر العقل سمي به لانه يحجر عما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية وحصاة من الاحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله (الم تر كيف فعل ربك بعاد) يعني اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح قوم هود سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم باسمه (ارم) عطف بيان لعاد على تقدير مضاف اي سبط ارم او اهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل سمي اوائلهم وهم عاد الاولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتأنيث

مع مقاساة حر الشمس اشد على النفس ومن شر قطاع الطريق غالبا لانهم مشغولون بالنوم في الليل غالبا وقيل المراد بالليل اذا يسرى فيه ليلة النحر فان الحجاج تسري وفيها الى المزدلفة بعد افاضتهم من عرفات حين غربت الشمس وهم فيها والعامل في اذا معنى القسم اي اقسم بالليل اذا مضى او يسرى فيه (قوله وقد حذفه نافع الخ) فيها ثلاث قراآت الاولى حذف الياء وصلا ووقفا وهي قراءة الكوفيين وابن عامر الشامي والثانية حذفها وقفا لا وصلا وهي قراءة نافع وابي عمرو والثالثة عدم حذفها في الحالين وهي قراءة ابن كثير و يعقوب وجه الحذف مطلق التخفيف ومراعاة الفواصل مع الاكتفاء بدلالة كسرة الراء عليها ووجه الاثبات مطلقا ان الياء لام الفعل لا تحذف في الفعل حال الوقف فضلا عن حال الوصل فمثال هو يقضي و يغزو وانا ارضى ووجه الحذف في الوقف مراعاة الفواصل مع التخفيف والاكتفاء بالكسرة دون الوصل لانها لام الفعل والاصل فيها ان لا تحذف (قوله وقرئ يسر بالتنوين المبدل الخ) فان تنوين الترنم يلحق القوافي في الاسم والحرف والفعل بدلا من حرف الاطلاق اي من حرف المد واللين لترك الترنم فان الالف والواو والياء الواقعة في القوافي يترنم بها لما فيها من المد فيبدل منها التنوين اذا قطع الترنم لخلو التنوين من المد فاضافة هذا التنوين الى الترنم لادنى الملابسة لانها ليست لاجل الترنم بل لقطعه فان قيل ما فائدة قوله تعالى هل في ذلك قسم لذي حجر بعد ان اقسم بالاشياء المذكورة فلا هي زيادة التأكيد والتحقيق للمقسم عليه كمن ذكر حجة باهرة ثم قال هل فيما ذكرته حجة (قوله يدل عليه قوله الم تر كيف فعل) فانه لما اقسم الله تعالى بامور عظام ولم يذكر المقسم عليه ذهب الوهم الى كل مذهب ثم ذكر على طريق الاستفهام التقريري ما يدل على تعذيب المعاندين المعروفين بما اوتوا من الحظوظ العاجلة دل ذلك على ان المقسم عليه المحذوف هو مثل قوله ليعذبن الكافرين وقيل جواب القسم هو قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد (قوله تعالى الم تر) ليس من رؤية البصر لانه عليه الصلاة والسلام لم ير بصره ما فعل بهم بل هو بمعنى الم تعلم وعبر عن العلم بالرؤية لان اخبارهم لما كانت منقولة بالتواتر الذي يفيد العلم الضروري بالمخبر عنه نزل ذلك العلم منزلة العلم الحاصل بالمشاهدة (قوله على تقدير مضاف) لان القبيلة المسماة بعاد انما يصح تسميتها بارم كان ارم اسم جدها فلابد من كون التقدير سبط ارم فان السبط اولاد الاولاد فعلى هذا يكون عاد وارم عبارتين عن طائفة واحدة هي قوم هود عليه الصلاة والسلام غاية ما في الباب انهم سموه تارة باسم ابيهم وتارة باسم جدهم وعطف عليه قوله وقيل

سمي اوائلهم يعني قيل للاولين من اولاد عاد بن عوص عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم وقيل لمن بعدهم عاد الاخيرة وارم في قوله تعالى بعاد ارم عطف بيان لعاد ايذانا بانهم عاد الاولى القديمة كقوله وانه اهلك عادا الاولى (قوله ذات البناء الرفيع) وهو ما بناه شداد بن عاد زاعما انه على مثال الجنة بناه في ثلاثمائة سنة وكان عمره سبعمائة سنة وهي مدينة عظيمة رفيعة لم يخلق مثلها في البلاد قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار وجاز وصف ارم بذات القدود الطوال ايضا لما روي ان قد احدهم اثنا عشر ذراعا واكثر من ذلك وفي تفسير الكواشي قالوا كان طول الطويل منهم اربعمائة ذراع وكان احدهم يأخذ الصخرة العظيمة فيقلبها على الحي فيهلكهم وجاز وصفها ايضا بذات الرفعة والثبات لسيادتهم وكونهم عمادا لقومهم يقال فلان عماد القوم وعمودهم اي سيدهم ولثبات اعمارهم وسعة ارزاقهم (قوله بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا) ولم يدخل ارم احد منهم ولا من غيرهم حتى الساعة عن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوصل الى جنة شداد فدخلها فحمل ما قدر على حمله مما هنالك من الجواهر وغيرها وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه ما رآه فبعث معاوية الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل (قوله والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة او البلدة) فالمعنى على الاول لم يخلق مثل تلك القبيلة في القوة وطول العمر وهم الذين قالوا من اشد منا قوة وعلى الثاني لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا (قوله ومضاربهم) جمع مضرب وهي خيمة مضروبة كما مر في جمع مقصورة ومن كثرت جنوده كثرت اوتاده (قوله اولتعذيبه بالاوتاد) روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان خازن فرعون كان رجلا مؤمنا يكتم ايمانه وكذا امرأته فبينما هي ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله تعالى فقالت بنت فرعون وهل لك اله غير ابي فقالت الهي واله ابيك واله السموات والارض واحد لا شريك له فقامت البنت فدخلت على ابيها وهي تبكي فقال ما يبكيك قالت الماشطة امرأة خازنك تزعم ان الهك والهها واحد لا شريك له فارسل اليها فسألها عن ذلك فقالت صدقت فقال ويحك اكفري بالهك واقري بأني الهك قالت لا افعل فمدها بين اربعة اوتاد ثم ارسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفري بالهك والا عذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت

(ذات العماد) ذات البناء الرفيع او القدود الطوال او الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الامر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها في بعض صحارى عدن جنة وسماها ارم فلما تمت سار اليها باهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها (التي لم يخلق مثلها في البلاد) صفة اخرى لارم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة او البلدة (وثمود الذين جابوا الصخر) قطعوه واتخذوه منازل كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا (بالواد) وادي القرى (وفرعون ذي الاوتاد) لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا اولتعذيبه بالاوتاد

لو عدلتي سبعين شهرا ما كفرت برب العالمين وكان لها ابنان فجاء بابنها الكبرى
فذبحها على صدرها وقال لها اكفري بالهك والا ذبحت الصغرى على فيك
وكانت رضيعة فقالت لو ذبحت جميع من على الارض على فيّ ما كفرت بالله تعالى
فاتي بابنها فلما اضجعت على صدرها وارادوا ذبحها جزعت المرأة فاطلق الله
تعالى لسان ابنها فتكلمت وقالت يا اماه لا تجزعي فان الله تعالى قد بنى لك بيتا
في الجنة اصبري فانك تمضي الى رحمة الله تعالى وكرامته فذبحت فلم تلبث
ان ماتت فاسكنها الله تعالى الجنة وكان فرعون قد تزوج امرأة من اجمل نساء
بني اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ما صنع فرعون بالماشطة فقالت
في نفسها كيف يسعني ان اصبر على ما يفعل فرعون وانا مسلمة وهو كافر فبينما هي
تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يا فرعون انت
شر الخلق واخبثهم عمدت الى الماشطة فقتلتها قال فلعل بك الجنون الذي
كان بها قالت ما بي من جنون وانما المجنون من يكفر بالله الذي له ملك السموات
والارض وما بينهما وحده لا شريك له وهو على كل شيء قدير فجدها بين اربعة
اوتاد يعذب بها ففتح الله تعالى لها بابا الى الجنة ليهون لها ما يصنع بها فرعون
فعند ذلك قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة (قوله صفة للمذكورين) ويكون
مجرور المحل لكون بعض المذكورين قبله مجرورا بالباء وبعضه معطوفا عليه
وتقديم هذا الوجه يدل على انه المختار عنده من حيث ان الوجه الثاني يحتاج الى
حذف العامل وهو اعني والوجه الثالث يحتاج الى حذف المبتدأ فما اختاره
المصنف احسن بحسب اللفظ واختار صاحب الكشاف كونه منصوبا على الذم
بتقدير اعني لكونه صريحا في الذم والمقام مقام الذم فهو احسن من حيث
المعنى (قوله ما خلط لهم من انواع العذاب) فسر سوط العذاب بانواع
العذاب الملتف بعضها ببعض التفاف طاقات السوط الذي يضرب به فسوط
عذاب من باب التشبيه البليغ والعذاب بمعنى ما يعذب به والاضافة بمعنى من اي
وصب عليهم ما هو كالسوط من العذاب (قوله وقيل شبهه بالسوط ما حل بهم)
فاضافة السوط الى العذاب من قبيل اضافة المشبه به الى المشبه كما في لجين الماء
والصب مستعار للانزال والمعنى انزل عليهم عذابا في الدنيا بالنسبة الى عذاب
الآخرة كالسوط بالنسبة الى السيف (قوله يترقب فيه الرصد) وهو بفتحتين
جمع راصد كالحرس جمع حارس والراصد الراقب والمرتصد المرتقب وصيغة
مفعال قد تكون اسم مكان كالمضمار فانه اسم للمكان الذي تضمر فيه الخيل
والمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه وقد تكون للمبالغة كالمعطار والمطعان
لمن يكثر من هذه الافعال والمرصاد ههنا يتعين ان يكون اسما للمكان الذي

الذين طغوا في البلاد) صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون اوذم منصوب او مرفوع (فاكثروا فيها الفساد) بالكفر والظلم (فصب عليهم ربك سوط عذاب) ما خلط لهم من انواع العذاب واصله الخلط وانما سمي به الجلد المضفور الذي يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبه بالسوط ما حل بهم في الدنيا اشعارا بانه بالقياس الى ما اعد لهم في الآخرة من العذاب كالسوط اذا قيس الى السيف (ان ربك لبالمرصاد) المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته

يترقب فيه الرصد للباء الدالة على الظرفية قال لبعض العرب اين ربك فقال بالمرصاد (قوله وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب) اى لاعداده للعصاة العقاب على ان الارصاد بمعنى الاعداد وهو يتعدى الى مفعولين الى احدهما بنفسه والى الآخر باللام يقال اعد العقاب للعصاة وههنا لما عدى الارصاد الى العصاة بنفسه حيث قال لارصاده العصاة بنصب العصاة عدى الى العقاب بالباء الجوهرى رصد به ارصده اى رقبه ارقبه وارصدت له اى اعددت له والحاصل ان قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد استعارة تمثيلية شبه حاله تعالى فى كونه حفيظا لاعمال العباد ومجازيا عليها على النقير والقطمير ولامحيد للعباد عن موقف حسابه الاإليه بحال من قعد على طريق السابلة يترصدهم ليظفر بالجانى اولاحد المكس اونحو ذلك ولامخلص لهم عن المرور عليه فاطلق على الحالة المشبهة ما يعبر به عن الحالة المشبه بها (قوله كأنه قيل انه بالمرصاد من الآخرة) اى من اجل الآخرة وجزائها فيجب ان يهم الانسان بامر الآخرة ويسعى لها لكنه لايهمه الا امر الدنيا ولايخطر بباله امر الآخرة بالكلية مع انه تعالى تكفل برزقه واعد للعصاة عذابا اليما وكل واحد من الغنى والفقر ابتلاء منه تعالى اما الاول فبانه ايشكر ام يكفر واما الثانى فبانه ايصبر ام يجزع ويقول الانسان اذا اعطاه ربه اكرمنى ربى بما اعطانى يظن ان ما اعطاه ربه من الدنيا لكرامته عليه ويقول اذا افقره اهاننى ربى وهذا من صفة الكافر فانه يظن ان الكرامة والهوان بكثرة الحظ من الدنيا وقلته بخلاف المؤمن فان الاكرام عنده هو توفيق الله تعالى لطاعته والهوان حرمانه منها والعياذ بالله تعالى والانسان مبتدأ وقوله فيقول خبره واذا لمجرد الظرفية معمول للخبر لكونه مؤخرا عنه تقديرا (قوله والانهماك فى حب الدنيا) فان كثرة الممارسة بالشئ تورث تأكد المحبة به فان من احب شيئا اشتغل به واعرض عما يقطعه عنه فالتوسعة تؤدى الى الاعراض عن اكتساب ما يؤدى الى سعادة الآخرة فكان كل واحد من قوليه وهما قوله التقتير اهانة وقوله التوسعة اكرام مذموما مع ان قوله التوسعة اكرام صادق فى نفسه لانه تعالى صدقه حيث قال فاكرمه (قوله ولم يقل فاهانه) عطف على قوله ذمه على قوليه يعنى انه تعالى لما قال فى الجملة الاولى فاكرمه ونعمه كان الظاهر ان يقول فى قسيمه فاهانه وقدر عليه ولم يقل كذلك لما ذكره من ان الفقر والتضييق ليس باهانة بل قد يؤدى الى كرامة الدارين بخلاف التوسعة والتفضل بالمال والجاه فانه اكرام فى نفسه وهو صادق فى قوله ربى اكرمنى ولكنه ذمه على قول ذلك لا لكونه كاذبا فيه بل لسوء فكره حيث ظن انه تعالى انما فضله بذلك لكرامته عليه ولم يعلم انه

قيل انه لبالمرصاد من الآخرة فلاير يد الا السعى لها فاما الانسان فلا يهمه الا الدنيا ولذاتها (اذا ما ابتلاه ربه) اختبره بالغنى واليسر (فاكرمه ونعمه) بالجاه والمال (فيقول ربى اكرمنى) فضلنى بما اعطانى وهو خبر المبتدأ الذى هو الانسان والفاء لما فى اما من معنى الشرط والظرف المتوسط فى تقدير التأخير كأنه قيل فاما الانسان فقائل ربى اكرمنى وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله (واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه) اذ التقدير واما الانسان اذا ما ابتلاه اى بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه (فيقول ربى اهانن) لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قد يؤدى الى كرامة الدارين اذا التوسعة قد تفضى الى قصد الاعداء والانهماك فى حب الدنيا ولذلك ذمه على قوليه وردعه بقوله (كلا) مع ان قوله الاول مطابق لاكرمه ولم يقل فاهانه وقدر عليه كما قال فاكرمه ونعمه

ولان التوسعة تفضل والاخلال به لايكون اهانة وقرأ ابن عامر والكوفيون اكرمن واهانن بغيرياء في الوصل والوقف وعن ابي عمرو مثله ووافقهم نافع في الوقف وقرأ ابن عامر ❊ ٢٦٢ ❊ فقدر بالتشديد (بل لايكرمون اليتيم ولا يحضون على طعام المسكين) اي بل فعلهم اسوء من قولهم وادل على تهالكهم بالمال وهو انهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة ولا يحثون اهلهم على طعام المسكين فضلا عن غيرهم وقرأ الكوفيون ولا تحاضون (و يأكلون التراث) الميراث واصله وراث (اكلا لما) ذا لم اي جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لايورثون النساء والصبيان و يأكلون انصباءهم او يأكلون ماجمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك (و يحبون المال حبا جما) كثيرا مع حرص و شره قرأ ابو عمرو و سهل و يعقوب لايكرمون الى و يحبون بالياء والباقون بالتاء (كلا) ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم وما بعده وعيد عليه اذا (دكت الارض دكا دكا) دكا بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال والتلال اوهباء منبثا (وجاء ربك) اي ظهر آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان (لما تعدد) من آثار هيبته وسياسته (والملك صفا صفا) بحسب منازلهم ومراتبهم (وجيء يومئذ بجهنم) كقوله و برزت الجحيم

تعالى كثيرا ما يوسع على العصاة والكفرة لانه يفعل مايشاء ويكون ذلك استدراجا ومكرا الهيا في حقهم (قوله ولان التوسعة تفضل) عطف على قوله ولذلك ذمه على قوليه وحاصله ان الانكار والذم لايتوجه الى قوله ربي اكرمني وانما يتوجه الى قوله ربي اهانني كأنه قيل الانسان اذا اكرمه ربه وتفضل عليه اعترف بالاكرام واذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل هوانا وليس بهوان (قوله وقرأ ابن عامر فقدر بالتشديد) تقدير الرزق ترك التوسع فيه بجعله على مقدار البلغة (قوله اي بل فعلهم اسوأ من قولهم) يعني ان بل هنا للاضراب عن ذمهم على قولهم الى ماهو ادخل في الذم كأنه قال دع ذكر قولهم فان عندهم ماهو شر منه وهو انه تعالى يكرمهم بكثير المال وهم لايتفقدون احوال الايتام وعبر عن التروك والافعال بقوله بل فعلهم اسوأ تغليبا للافعال على التروك (قوله وقرأ الكوفيون ولا تحاضون) اصله تتحاضون فحذفت احدى التاءين اي لاتحض ولايحث بعضكم بعضا على اطعام جنس المسكين ومن لايحض غيره على اطعام المسكين فان لايطعمه بنفسه اولى (قوله اي جمع بين الحلال والحرام) فان من جمع في الاكل بين نصيبه ونصيب النسوان والصبيان فقد جمع بين الحلال والحرام في الاكل (قوله قرأ ابوعمرو وسهل و يعقوب الخ) اي قرأوا الافعال الاربعة بياء الغيبة على اسنادها الى ضمير الانسان المتقدم ذكره وجمع الضمير الراجع اليه مع انه افرد في قوله اذا ما ابتلاه ربه من حيث انه مفرد لفظا وهو ظاهر وجمع معنى لان المراد به الجنس فبالنظر الى الثاني جمع وقرأ الباقون بتاء الخطاب للانسان على طريق الالتفات للمبالغة في الذم فان الذم مواجهة ابلغ من الذم في الغيبة و يحتمل ان يكون مبنى القراءة بتاء الخطاب على تقدير قل اي قل لهم يا محمد كذا وكذا تحقيرا لهم وتنزيلا عن مقام الخطاب ثم انه تعالى ردعهم عن هذه الافعال الذميمة بقوله كلا ثم اوعدهم عليها بقوله اذا دكت الارض الى قوله يا ايتها النفس فانه اذا جاء يوم موصوف بصفات ثلاث فانه يحصل له حينئذ الندامة على ماصدر منه و يتمنى ان لو كان افنى عمره في التقرب الى الله تعالى بالاعمال الصالحة والمواساة بالمال الجوهري الدك الدق و يقال دككت الشئ ادكه دكا اذا ضربته وكسرته حتى سويته بالارض واندك سنام البعير اذا انفرش في ظهره فمعنى الآية اذا كسر ما على الارض من جبل و بناء وشجر حين زلزلت فاستوت جبالها وماكان مرفوعا عليها دكا بعد دك (قوله مثل ذلك)

لما تعذرت الحقيقة حمل الكلام على التمثيل بان مثل حاله تعالى فى ظهور آيات قدرته وآثار قهره وسلطانه بحال السلطان اذا حضر بنفسه فانه حينئذ يظهر من آثار هيبته وسياسته ما لم يظهر بحضور وزرائه وسائر خواصه فاستعمل فى الحال الاولى ما استعمل فى الثانية (قوله يجرونها) الظاهر انها لا تنفك عن مكانها فالمراد بقوله وبرزت واظهرت حتى رآها الخلق وعلم الكافر ان مصيره اليها فالحديث محمول على التمثيل وبيان لكثرة الملائكة الموكلين عليها (قوله وليس فى هذا التمنى دلالة على استقلال العبد بفعله) كما زعمه المعتزلة من ان افعاله لو لم تكن بقصده واختياره بل كانت واقعة بخلق الله تعالى وقدرته وارادته لما كان لهذا التمنى وجه (قوله الهاء لله) لما ورد ان يقال كيف يصح ان يرجع ضمير عذابه ووثاقه اليه تعالى مع انما يوهم ان يكون يوم القيامة معذب سوى الله تعالى لكنه لا يعذب ذلك المعذب مثل عذابه تعالى وهذا المعنى غير صحيح اشار المصنف الى دفعه بان المعنى حينئذ انه لا تتولى عذاب الله تعالى ووثاقه يوم القيامة سواه اذ الامر كله يومئذ لله ولا امر فى يد غيره اصلا والعذاب والوثاق اسمان وضعا موضع التعذيب والايثاق كما يوضع العطاء موضع الاعطاء والمعنى لا يملك احد التعذيب والايثاق فى ذلك اليوم الا الله تعالى وحده (قوله اوللانسان) اى الكافر المتوغل فى عناده المنهمك فى شهواته فيكون اضافة عذابه ووثاقه من قبيل اضافة المصدر الى مفعوله ويكون المعنى لا يعذب احد من الزبانية احدا من العصاة مثل ما يعذب ذلك الانسان ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه ثم انه تعالى لما وصف حال من اطمأن الى الدنيا وصف بعده حال من اطمأن الى الحق بحيث سكن الى اليقين ولا يخالطه الشك والاضطراب فاستقر على الطاعة ومقتضى العبودية فقال يا أيتها النفس على اضمار القول اى يقال لها عند الموت او عند البعث او عند دخول الجنة فاما ان يكلمه الله بنفسه اكراما للمؤمن المطمئن كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام فى الدنيا او على لسان ملك والاطمئنان عبارة عن الثبات والاستقرار وذكر المصنف فى بيان كيفيته ثلاثة اوجه الاول استقرار النفس عند معرفة والاستغناء بمعرفته عن طلب غيره كما قال تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب وذلك ان القوة العاقلة اذا اخذت تترقى فى سلسلة الاسباب والمسببات فكلما وصلت الى سبب يكون هو ممكنا لذاته محتاجا الى علة توجده وبعثه طلب العقل له سببا آخر ثم اذا ترقى الى ممكن آخر أعلى منه لا تقف عنده ايضا بل لا زال ينتقل من علة الى ما هو اعلى الى ان ينتهى الى واجب الوجود لذاته المستغنى عن جميع ما سواه فحينئذ يقف العقل ويطمئن اليه ولا ينتقل عنه الى غيره لعلمه بان الامر

و فى الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها (يومئذ) بدل من اذا دكت والعامل فيهما (يتذكر الانسان) اى يتذكر معاصيه او يتعظ لانه يعلم قبحها فيندم عليها (وانى له الذكرى) اى منفعة الذكرى لئلا يناقض ما قبله واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة فان هذا التذكر توبة غير مقبولة (يقول ياليتنى قدمت لحياتى) اى لحياتى هذه او وقت حياتى فى الدنيا اعمالا صالحة وليس فى هذا التمنى دلالة على استقلال العبد بفعله فان المحجور عن الشئ قد يتمنى ان كان متمكنا منه (فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد) الهاء لله تعالى اى لا تتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيامة سواه اذ الامر كله له اوللانسان اى لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرأهما الكسائى ويعقوب على بناء المفعول

كله يرجع الى ارادته وقدرته وانه رب العالمين (قوله فتستقر دون معرفته)
اى عندها وتستغنى به عن غيره اى لاتطلب له سببا آخر والوجه الثانى ما اشار
اليه بقوله او الى الحق وهو عطف على قوله بذكر الله اى او هى التى اطمأنت ٣
الى الحق وتيقنت به بحيث لم يخالطها شك والوجه الثالث ماذكره بقوله او
الآمنة اى هى النفس الآمنة التى لايستفزها اى لايحركها خوف وهذا الوجه
يؤيده قراءة ابى بن كعب رضى الله تعالى عنه يا أيتها النفس الآمنة فعلى هذا
يكون الاطمئنان عبارة عن سكون الامن فى مقابلة قلق الخوف والحزن وعلى
الثانى يكون عبارة عن سكون اليقين فى مقابلة قلق الشك والريبة (قوله
الى امره او موعده) لما تمسكت المجسمة بقوله تعالى الى ربك على ما زعموا فى جهته
تعالى بناء على ان كلمة الى لانتهاء الغاية ومنتهى الحركة الآتية هو المكان
ومن تمكن فيه رد المصنف تمسكهم بان معنى الآية ارجعى الى حكم ربك
او ثوابه بالموت او بالبعث وهذا الخطاب يخاطب به النفس عند الموت او عند
البعث فان خوطب به عند الموت يكون المعنى ارجعى الى امر ربك وحكمه
بالموت وان خوطبت به عند البعث يكون المعنى ارجعى الى ثوابه بالبعث
(قوله ويشعر ذلك) اى قوله تعالى ارجعى الى ربك يشعر بكون النفوس
موجودة قبل الابدان لان هذا القول انما يقال لما كان موجودا قبل هذا البدن
ووجودها قبل الابدان لايستلزم كونها ازلية كما ذهب اليه بعض القدماء
وقوله راضية مرضية حالان من فاعل ارجعى اى راضية من الله تعالى بما
اعطيت مرضية عنده بما عملت (قوله فى جملة عبادى الصالحين) يعنى
يجوز ان يكون المراد بالمشرفين باضافة التشريف الى ياء المتكلم عباده الصلحاء
المتحلين بحلية الايمان والطاعة او الذين هم اخص واشرف منهم وهم المقربون
والفريقان هما اللذان ذكرا فى قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان
وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين والخطاب على
التقدير للمؤمن المختصر لا لمجرد روحه ولما عبر عنه بالنفس قيل ارجعى وادخلى
وقوله فتستضئ بنورهم متفرع على كل واحد من التفسيرين جواب للامر
فان الميت سواء انضم الى اصحاب اليمين او الى المقربين يكون فى حالة شريفة
وهى انعكاس انوار علومهم وكمالاتهم اليه فان الارواح الشريفة كالمرايا
المصقولة المجلوة فاذا انضم بعضها الى بعض ينعكس الى كل واحدة ما فى
مقابلتها من الفضائل والكمالات ويكون ذلك الانضمام سببا لتكامل السعادات
الروحانية ثم قوله وادخلى جنتى اشارة الى السعادة الجسمانية ولما كانت السعادة
الروحانية غير متراخية عن الموت فى حق السعداء قال فادخلى فى عبادى بالفاء

(يا أيتها النفس المطمئنة)
على ارادة القول وهى
التى اطمأنت بذكر الله
فان النفس تترقى فى سلسلة
الاسباب والمسببات الى
الواجب لذاته فتستقر دون
معرفته وتستغنى به عن
غيره او الى الحق بحيث
لايريبها شك او الآمنة
التى لايستفزها خوف
ولاحزن وقد قرئ بها
(ارجعى الى ربك) الى
امره او موعده بالموت
ويشعر ذلك بقول من قال
كانت النفوس قبل الابدان
موجودة فى عالم القدس
او بالبعث (راضية) بما
اوتيت (مرضية) عند الله
(فادخلى فى عبادى)
فى جملة عبادى الصالحين

الدالة على التعقيب ولما كان الجنة الجسمانية لا تحصل الفوز بها الا بعد القيامة الكبرى قال وادخلي جنتي بالواو لا بالفاء كذا في التفسير الكبير وفيه بحث لانه معطوف على مدخول الفاء فيحتاج الى ان معنى الفاء (قوله او ادخلي في اجساد عبادي) على ان يكون الخطاب للروح تمت سورة الفجر والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة البلد مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله اقسم سبحانه بالبلد الحرام) فقد اجمع المفسرون على ان المراد بالبلد الحرام مكة وان السورة نزلت بها اقسم بها لشرفها بانه تعالى جعلها حرما آمنا وفيها البيت العظيم الذي هو قبلة اهل المشرق والمغرب ونزل في حقه واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وجعل البيت المعمور بازائه ودحيت الارض من تحته ومقام ابراهيم الذي نزل في حقه واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقال عليه الصلاة والسلام في حق مكة ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار الحديث وفضائلها لا تحصى فلذلك اقسم الله تعالى بها على ان الانسان لا يخلو عن كمد ومقاساة مشقة والظاهر ان كلمة لا في لا اقسم صلة كما في قوله ما منعك الا تسجد اي ما منعك ان تسجد وقول الشاعر

تذكرت ليلى فاعترتني صبابة ❊ وكاد ضمير القلب لا يتقطع

اي يتقطع ولا صلة وقيل انها نافية والمعنى لا اقسم به وانت حل اي حال مقيم به نازل فيه بل اقسم بك (قوله وفيه بحلوله عليه الصلاة والسلام فيه) على ان تكون الواو حالية لا اعتراضية ويكون الجملة الاسمية حالا من المقسم به فالحال قيد لعاملها اقسم الله تعالى بالبلد مقيدا بانه عليه الصلاة والسلام حال فيه اظهارا لمزيد فضله فعلى هذا قوله تعالى حل نعت بمعنى الحال كالساقط بمعنى الساقط والحرم بمعنى الحرام وقد قرئ وحرم على قرية اهلكناها اي وحرام يقال حل بالمكان يحل من باب نصر حلا وحلولا اي نزل (قوله وقيل حل مستحل تعرضك فيه) فعلى هذا يكون الحل بمعنى الحلال من قولهم حل الشئ يحل حلا وحلا لا وهو حل بل اي حلال مطلق والجملة على هذا معترضة بين القسم والمقسم عليه اقسم الله تعالى على ان الانسان خلق مغمورا في مكابدة المشاق والشدائد واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله وانت حل بهذا البلد اي حلال يستحلون ايذاءك ولو تمكنوا من اخراجك منه لاخرجوك

(وادخلي جنتي) معهم او في زمرة المقربين فتستضئ بنورهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة او ادخلي في اجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي التي اعددت لك ❊ عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

(سورة البلد مكية وآيها عشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد) اقسم سبحانه بالبلد الحرام وقيده بحلوله عليه الصلاة والسلام فيه اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله وقيل حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد في غيره

بل قتلوك مع انهم لا يهتكون فيه الحرمات ولا يقتلون فيه صيدا ولا يعضدون به شجرا او اى مكابدة لمثلك مع عظم حرمته من ان تستحل بهذا البلد الحرام كما تستحل الصيد فى غيره وفيه تثبيت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتصبير على ماكان يكابده من اهل مكة وتعجب من جرآئهم وشدة عداوتهم له عليه الصلاة والسلام (قوله او حلال لك) على ان الحل بمعنى المحلل له اى ذو حل وحلال لك ان تقتل بمكة من شئت وتقاتل من قاتلك والجملة على هذا ايضا اعتراض اقسم بلده عليه الصلاة والسلام على ان الانسان لا يخلوا من مقاساة شدة واعترض بينهما بأن وعده فتح مكة باى طريق امكنه فتحها تتميما للتسلية وتنفيسا له عما لحقه من أذاهم فانه تعالى فتح على يده مكة واحلها له وجعله فى حل مما يصنع فيها من القتل والاسر وقتل بن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرمت دار ابى سفيان فقوله تعالى وانت حل بهذا البلد معناه وانت حل به فيما يستقبل ونظيره فى كونه بمعنى الاستقبال قوله انك ميت وانهم ميتون وذلك لان السورة مكية بالاتفاق وفتح مكة وقع فى سنة ثمان بعد الهجرة فأين فتحها من الهجرة فضلا عن وقت نزول الآية (قوله وما ولد ذريته) اى ذرية آدم عليه الصلاة والسلام ان كان هو المراد بالوالد وذرية ابراهيم عليه الصلاة والسلام ان كان هو المراد بالوالد فعلى الاول يكون القسم بجميع افراد نوع البشر صالحهم وطالحهم لكونهم اشرف ما خلق الله على وجه الارض لما فيهم من النطق والبيان وحسن الصورة والتدابير الغريبة واستخراج العلوم البديعة ومنهم الانبياء والصلحاء الداعون الى الله تعالى والناصرون لدينه وكل ما فى الارض خلق لاجلهم وقد قال تعالى فى حقهم ولقد كرمنا بنى آدم وقيل المراد بقوله وما ولد الصالحون من اولاد آدم بناء على ان الطالحين كانهم ليسوا من اولاده بل هم بهائم فى صورة البشر وعلى الثانى يكون القسم بابراهيم وجميع اولاده من العرب والعجم ويحتمل ان يكون المراد بابراهيم واولاده المؤمنين ويؤيد الثانى انه شرع ان يقال فى التشهد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ومعلوم ان المراد بآله المؤمنون لا مطلق اولاده (قوله او محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) عطف على قوله ذريته اى سوآء اريد بالوالد آدم او ابراهيم عليهما الصلاة والسلام يجوز ان يراد بما ولد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلام آخر اولاد كل واحد منهما من الانبياء اقسم ببلده وبأول آبائه وبنفسه او اقسم بمكة وابراهيم بانى البيت الذى فيها وبولده الذى هو خاتم النبيين والمرسلين ومطهر ذلك البيت من الاصنام والمشركين (قوله وايثار ما على من) جواب عما يقال

او حلال لك ان تفعل ما تريد ساعة من النهار وهو وعد بما احل له عام الفتح (ووالد) عطف على هذا البلد والوالد آدم او ابراهيم (وما ولد) ذريته او محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والتنكير للتعظيم وايثار ما على من لمعنى التعجب كما فى قوله والله اعلم بما وضعت

لو كان المراد عما ولد العقلاء لكان الظاهر ان يقال ومن ولد فكما او ثرما على من
وتقرير الجواب يتوقف على بيان الفرق بينهما وهو ان من لا تستعمل الا في ذات من
يعقل بخلاف ما فانها قد تستعمل في صفة من يعقل للاشارة الى ابهام لا يكتنه كنهها
والبلوغ الى اقصى مراتب الفضل والشرف بحيث يكون الموصوف بها عجيب الشان
بحسب اتصافه به كما في قوله تعالى والله اعلم بما وضعت اي باي شئ وضعت
اي يعلم انها وضعت موضوعا عجيب الشأن بديع الاوصاف فكذا قوله تعالى
وما ولد اي ومولود اي مولود عجيب الشأن وفي شرح الرضي وتستعمل
ما في الغالب في صفات العالم نحو زيد ما هو وما هذا الرجل فهو سؤال عن صفته
والجواب عالم او زاهد ونحوهما وقول فرعون وما رب العالمين يجوز ان يكون
سؤالا عن الوصف ولهذا قال موسى عليه الصلاة والسلام رب السموات
الآية ويجوز ان يكون سؤالا عن الماهية واجاب عليه الصلاة والسلام بشأن
الاوصاف تنبيها لفرعون على انه تعالى لا يعرف الا بالاوصاف وان ماهيته
غير معلومة للبشر انتهى وقال المفسرون قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم
من النساء تقديره فانكحوا الطيب من النساء فجعلوا كلمة ما مستعملة في صفة
من يعقل ومن لا تستعمل هكذا ثم ان كلمة ما لتنكيرها ابهاما يدل على ان الوصف
الذي دل بها عليه بالغ الى اقصى غاية الكمال وعدد في مقام المدح بتعظيم شأن
الموصوف بانه مما لا يكتنه كنهه في اتصافه بذلك (قوله تعالى في كبد)
منصوب المحل على انه حال من الانسان اي مكابدا مهيئا لان تعتريه انواع
الشدائد والمصائب وهو جواب القسم قال الامام حرفا في واللام متقاربان بان ٦
تقول انما انت في العناء وانما انت للعناء والنصب وفيه وجه آخر وهو ان قوله
في كبد يدل على ان الكبد قد احاط به احاطة الظرف بالمظروف والكبد
في الاصل مصدر بمعنى توجع الكبد ومآله يقال كبد الرجل يكبد كبدا فهو
كبد اذا وجعته كبده وانتفخ ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة
ومنه المكابدة والآية تسلية له عليه الصلاة والسلام مما كان يكابده من قريش
فالمراد من الكبد اما شدائد الدنيا فقط او شدائد التكاليف فقط او شدائد
الآخرة فقط او الكل والظاهر من كلام المصنف انه حمله على القبر ثم البعث
والعرض على رب العالمين مالك يوم الدين الى ان يصل الى موضع الاستقرار
اما في الجنة واما في النار ولا شك انه يعمهما كما يتناول شدائد الدنيا يتناول
شدائد التكاليف ايضا وهو الشكر على السراء بقضاء حقها والصبر على
الضراء بالانقياد لمن ساقها ثم انه تعالى لما سلى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم
وحمله على الصبر على اذى قريش بان اقسم على انه خلق الانسان في كبد

(لقد خلقنا الانسان
في كبد) تعب ومشقة
من كبد الرجل كبدا
اذا وجعت كبده ومنه
المكابدة والانسان
لا يزال في شدائد مبدأها
ظلمة الرحم ومضيقه
ومنتهاها الموت وما بعده
وهو تسلية للرسول
عليه الصلاة والسلام
مما كان يكابده من قريش
والضمير في (أيحسب)
لبعضهم الذي كان يكابد
منه اكثر او يغتر بقوته
كابي الاشدين كلدة فانه
كان يبسط تحت قدمه
اديم عكاظي ويجذبه
عشرة فينقطع ولا يزل
قدماه او لكل احد
منهم او للانسان (ان لن
يقدر عليه احد) فينتقم
منه (يقول) اي في ذلك
الوقت (اهلكت مالا
لبدا) كثيرا من تلبد الشئ
اذا اجتمع والمراد ما انفقه
سمعة ومفاخرة او معاداة
للرسول (أيحسب ان لم
يره احد) حين كان ينفق

او بعد ذلك فيسأله عنه
يعنى ان الله يراه فيجازيه
او يجده فيحاسبه عليه
ثم قرر ذلك بقوله (ألم نجعل
له عينين) يبصر بهما
(ولسانا) يترجم به
عن ضمائره (وشفتين)
يستر بهما فاه ويستعين
بهما على النطق والاكل
والشرب وغيرها
(وهديناه النجدين)
طريقى الخير والشر
او الثديين واصله المكان
المرتفع (فلا اقتحم العقبة)
اى فلم يشكر تلك الايادى
باقتحام العقبة وهو
الدخول فى امر شديد
والعقبة الطريق فى الجبل
استعارها لما فسرها به
من الفك والاطعام (وما
ادراك ما العقبة فك رقبة
او اطعام فى يوم ذى مسغبة
يتيما ذا مقربة او مسكينا
ذا متربة) لما فيهما من
مجاهدة النفس

احد فى وعيد من كان عليه الصلاة والسلام يكابد منه اكثر المكابدة او يعتز هو بقوته اشد الاعتزاز وفى وعيد كل واحد من الفريقين فان قوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى كبد لما كان تسلية له عليه الصلاة والسلام مما كان يكابده من اشقياء قريش باعتبار كونه عليه الصلاة والسلام من جملة افراد الجنس المذكور كان هؤلاء الاشقياء فى حكم المذكور فصح ان يرجع اليهم ضمير قوله أيحسب ويحتمل ان يرجع الى جنس الانسان المذكور سابقا اى أيظن ان لن يقهره قاهر ولن يغلبه غالب بان يبعثه ويجازيه على سوء اعماله مع علمه بانه خلق فى كبد ولا يمكنه دفع ضيق الحال وتعب العيش وما اصابه من انواع المحن والآفات عن نفسه وذلك ظن فاسد وخيال باطل والمقصود من وعيد الجنس تهديد الاشقياء المعتزين بكثرة اعوانهم وشدة قوتهم وأن فى قوله تعالى ان لن يقدر وان لم يره مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان المضمر اى ان الشأن لن يقدر ولم يره وهى بجملتها تسد مسد مفعولى الحسبان والوقف على قوله احد لازم لئلا يتوهم كونه موصوفا بقوله يقول اهلكت مالا لبدا فان الظاهر انه مستأنف لبيان ما يقوله فى موقف الحساب والانتقام فانه يقول فيه انفقت مالا كثيرا فى وجوه المكارم والمبرات او فى عداوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينفق شيء من ذلك سمى الانفاق اهلاكا من حيث انه لما لم ينتفع به كان ما انفقه هالكا ضائعا ثم قال أيحسب ان لم يره احد حين كان ينفق ما ينفق رياء وسمعة ومفاخرة اومعاداة له صلى الله تعالى عليه وسلم يعنى انه تعالى قد رآه وعلمه وكان رقيبا عليه يعلم قصده ونيته فى الانفاق (قوله او بعد ذلك فيسأل عنه) من ان كسبه وان انفقه اشارة الى جواز ان يكون لم يره بمعنى لن يراه بعد ما يعد من عليه (قوله يعنى ان الله تعالى يراه) بيان لمعنى انكار حسبانه انه لم يره بمعنى لم يره احد حين كان ينفق ولم يقل ان الله رائيه فيجازيه على انه هو الظاهر للدلالة على الدوام والاستمرار وقوله او يجده فيحاسبه بيان لمعنى انكار حسبانه انه لن يرى ذلك منه احد بعد ذلك ولم يوجد ذلك فى كتابه الذى كتبته حفظة اعماله اى بل يرى ذلك منه ويجده فى كتابه يوم العرض والحساب فيجازيه ويحاسبه عليه (قوله ثم قرر ذلك) اى بين انه يبعثهم ويجازيهم بما عملوا بان انه تعالى انعم عليهم نعما جليلة وهم لم يشكروا تلك النعم (قوله واصله المكان المرتفع) وسمى طريقى الخير والشر نجدين لانه لما اتضحت الدلالة على كونهما طريقى الخير والشر صارا كالمكانين المرتفعين الظاهرين للابصار من مكان بعيد بسبب كونهما واضحين للعقول بتلك الدلائل (قوله لما فيهما من مجاهدة النفس) بيان لوجه تسميتهما بالعقبة

فان مخالفة النفس وترك مقتضاها يشبه العقبة في صعوبة اقتحامها والدخول فيها وفك الرقبة عبارة عن تخليصها من اسر الرق (قوله ولتعدد المراد بها) لما تقرر في النحو ان كلمة لا اذا دخلت على الماضي لابد من التكرير كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى وفي الآية لم يتكرر حيث قيل فلا اقتحم العقبة اجاب عنه بانها وان لم تتكرر لفظا فهي متكررة معنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا لانه فسر اقتحام العقبة بهما (قوله مفعلات) اي كل واحدة منها مصدر مبني على وزن مفعلة سغب يسغب سغبا فهو ساغب وسغبان من باب علم بمعنى جاع يجوع جوعا ومجاعة فقوله تعالى ذي مسغبة بمعنى ذي مجاعة وقرب في النسب قرابة ومقربة وترب الرجل اي افتقر بحيث كانه لصق بالتراب ومتربة اي مسكنة وفاقة قيد الاطعام بكونه في يوم جاع فيه الناس للقحط لان اخراج المال في ذلك الوقت اثقل على النفس واوجب للاجر وقيد اليتيم بان يكون بينه وبين المطعم قرابة نسبية لانه يجتمع في الاطعام حينئذ جهتا الصلة والصدقة وقرئ فك رقبة او اطعم على لفظ الفعل الماضي فيهما ونصب رقبة على انها مفعول فك والفعل في هذه القراءة بدل من قوله اقتحم على سبيل البيان والتفسير كانه قيل فلا فك رقبة ولا اطعم وقوله وما ادراك ما العقبة اعتراض بين البدل والمبدل منه والمعنى انك لم تدر كنه صعوبتها وثوابها وفي قراءة فك رقبة برفع الاسم المضاف الى رقبة يكون الاسم خبر مبتدأ محذوف اي هو فك اي اقتحام العقبة فك رقبة لان قوله وما ادراك ما العقبة تقديره وما ادراك ما اقتحام العقبة فيكون المبتدأ راجعا الى المضاف المقدر وانما احتيج الى تقدير مضاف لانه لو لم تقدر وجعل فك رقبة تفسيرا لنفس العقبة للزم تفسير احد المتباينين بالآخر لان الفك مصدر والعقبة ليست كذلك وتقدير المضاف يدفع المحذور قال الامام نقلا عن الفراء اذا قرئ فك واطعم على لفظ الفعل الماضي كان من عطف الفعل على الفعل واذا قرئ على لفظ المصدر على تقدير هي فك رقبة او اطعام كان من عطف الفعل على الاسم وهو غير حسن في قانون العربية وفيه بحث لان القراءة على لفظ المصدر لا تستلزم عطف الفعل على الاسم لجواز ان يكون قوله ثم كان في تلك القراءة معطوفا على اقتحم لا على الفك كما اشار اليه المصنف بقوله عطفه على اقتحم او على فك ثم لتباعد الايمان عن العتق والاطعام في الرتبة اي لا في الزمان لان الايمان شرط للانتفاع بما اقتحم به من الطاعات فيجب ان يكون مقدما عليها ومستقلا في الانتفاع به لكونه معتبرا في نفسه غير متوقف على شئ من الطاعات وقيل هي للتراخي في الزمان بناء على ان المعنى ثم كان في عاقبة امره من الذين آمنوا بان يموت على الايمان فان موافاة الموت على الايمان شرط

ولتعدد المراد بها احسن وقوع لا موقع لم فانها لا تكاد تقع في الماضي الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب وترب اذا افتقر وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم وقوله وما ادراك ما العقبة اعتراض معناه انك لم تدر كنه صعوبتها وثوابها (ثم كان من الذين آمنوا) عطفه على اقتحم او فك ثم لتباعد الايمان عن العتق والاطعام في الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات به (وتواصوا بالصبر) واوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله (وتواصوا بالمرحمة) بالرحمة على عباده

للانتفاع بالطاعات وفي عد عدم التواصي بالصبر وبالمرحمة من وجوه كفرانه وسيئات خصاله دليل على انه يجب على المرء ان يدل غيره على طريق الحق كالصبر على الانتهاء عن المعاصي والمنكرات وعلى الامتثال بالاوامر وملازمة الطاعات فقوله تعالى وتواصوا بالصبر اشارة الى تعظيم امر الله تعالى وقوله وتواصوا بالمرحمة اشارة الى الشفقة على خلق الله تعالى ومدار امر الطاعة ليس الا على هذين الاصلين وهو الذي قاله بعض المحققين ان الاصل في التصوف امران صدق مع الحق وصداقة مع الخلق (قوله او بموجبات رحمة الله تعالى) يعني ان المرحمة مصدر بمعنى الرحمة والشفقة الا انه يجوز ان يكون المراد بالمرحمة نفس الرحمة على عباد الله تعالى باي طريق امكن وان يراد بها ما يوجب رحمته تعالى بمقتضى وعده على طريق اطلاق اسم المسبب على السبب تنبيها على كماله في السببية والمرحمة بهذا المعنى اعم من المرحمة بالمعنى الاول وهي الشفقة لمن يستحقها من العباد وهو ظاهر واعم ايضا من الطاعة التي اوجب التواصي بالصبر عليها بقوله وتواصوا بالصبر على طاعة الله تعالى لان الطاعة اكثر تبادرها منه من الانقياد لتكاليف الشارع المتناول فعل الواجبات وترك المحرمات وما يوجب رحمة الله كما تتناولهما تتناول السنن والمستحبات والآداب ايضا ولذلك لم يكتف بذكر التواصي بالصبر على طاعة الله بل ذكر بعده التواصي بما يوجب رحمة الله تعالى ايضا تكميلا للترغيب في جميع ما هو من معالم الدين ثم انه تعالى بين ان اصحاب هذه الاوصاف المذكورة هم اصحاب الميمنة في القيامة وقد بين الله تعالى ثوابهم في سورة الواقعة بقوله في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة والميمنة اما بمعنى اليمين واصحاب اليمين هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم ويسلك بهم على طريق اليمين الى الجنة واما بمعنى اليمن والخير والسعادة فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم وكذا اصحاب المشأمة اما بمعنى اصحاب الشمال الذين يعطون كتبهم بشمائلهم ويسلك بهم على جانب الشمال الى النار او بمعنى اصحاب الشؤم والشر الذين هم مشائيم على انفسهم بمعصيتهم (قوله وتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة) اي الموضوع للاشارة الى الحاضر المشاهد والكفار بالضمير اي ضمير الغائب شأن لا يخفى وذلك لان ذكرهم باسم الاشارة تكريم لهم بانهم حاضرون عنده تعالى في مقام كرامته وذكرهم بما يشار به الى البعيد تعظيم لهم بالاشارة الى علو درجاتهم وارتفاعها على درجة اضدادهم فان درجة من حضر عنده تعالى كيف لا تعلو على درجة من غاب عنه وذكر الكافرين بضمير الغائب

او بموجبات رحمة الله (اولئك اصحاب الميمنة) اليمين او اليمن (والذين كفروا باياتنا) بما نصبناه دليلا على حق من كتاب وحجة او بالقرآن (هم اصحاب المشأمة) الشمال او الشؤم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة والكفار بالضمير شأن لا يخفى

اشارة الى انهم عب عن مقام كرامته تعالى وشرف الحضور عنده (قوله من اوصدت الباب اذا اطبقته) اوصد افعل من المعتل الفاء الواوى مثل اوعد يوعد وآصد ايضا افعل الا انه من المهموز الفاء مثل آمن يؤمن وهما لغتان بمعنى اطبق واغلق يقال آصدت الباب واوصدته اذا اغلقته فمن قرأ مؤصدة بالهمزة جعلها اسم مفعول من آصدت ويجوز ان يكون من اوصدت ولكنه همز الواو الساكنة لضم ماقبلها على لغة من يقول مؤسى ويقرأ بالسؤق والاعناق وكان ابو بكر يكره الهمز فى هذا الحرف ويقول لنا امام يهمز مؤصدة فأشتهى ان اسد اذنى اذا سمعته فكانه لم يحفظ من شيخه وهو عاصم الا ترك الهمزة وقد حفظه حفص عنه بالهمزة وهو اضبط لحروفه من ابى بكر على مانقله القراء وان كان ابو بكر اكبر واتقن واوثق عند اهل الحديث ومن لم يهمز احدها من اوصدت قيل فى قوله تعالى نار مؤصدة ان نار مبتدأ ومؤصدة خبره وعليهم متعلق بالخبر والوجه ان يكون مؤصدة صفة لها والخبر عليهم والجملة اما مستأنفة لامحل لها او خبر ثان والمعنى عليهم نار ابوابها مؤصدة مغلقة فلا يفتح لهم باب ولايخرج منها غم ولايدخل فيها روح ابد الآباد نعوذ بالله تعالى منها ومن موجباتها برحمة منه وفضل ❊ تمت سورة البلد والحمدلله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة والشمس مكية)

❊ بسم الله الرحمن الرحيم ❊

(قوله تعالى والشمس الخ) اقسم الله تعالى بما ذكره من انواع المخلوقات المتضمنة للمنافع العظيمة على فلاح من زكى نفسه اى اصلحها وانماها بالعلم والعمل وخسرانها من نقصها بالجهل والمعصية ترغيبا فى الطاعات وتحذيرا عن المعاصى (قوله وضوئها اذا اشرقت) اى ارتفعت وانبسط نورها لان الاشراق يكون بعد الشروق الذى هو الطلوع يقال شرقت الشمس تشرق شروقا اى طلعت واشرقت اشراقا اى اضاءت بان ارتفعت وانبسط نورها والضحوة بعد الاشراق قال مجاهد والكلبى ضحى الشمس ضوءها اى نورها المنبسط على وجه الارض وهو نقيض الظل والمشهور عند العرب ان الضحوة وقت ارتفاع الشمس بعد الطلوع والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد فوق ذلك وهو وقت امتداد النهار وقرب ان ينتصف واختار المبرد الاول حيث قال الضحاء والضحوة مشتقان من الضحى وهو نور الشمس المنبسط على وجه الارض المضاد للظل وفى الحديث لايقعدن احدكم بين الضحى والظل فانه مقعد الشيطان فعلى هذا الضحى هو الضوء المشرق

(عليهم نار مؤصدة) مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته واغلقته وقرأ ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من آصدته ❊ عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله تعالى الامان من غضبه يوم القيامة (سورة الشمس مكية وآيها خمس عشرة) (بسم الله الرحمن الرحيم) (والشمس وضحاها) وضوئها اذا اشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف

﴿ والقمر اذا تلاهـا ﴾ تلاطلوعه طلوع الشمس اول الشهر او غروبها ليلة البدر او في الاستداره وكمال النور ﴿ والنهار اذا جلاها ﴾ جلى الشمس فانهـا تنجلى اذا انبسط النهـار والظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر ذكرها للعلم بهـا ﴿ والليل اذا يغشاها ﴾ يغشى الشمس فيغطى ضوءها او الآفاق او الارض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو الاولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظروف بالمجرور والظرف المتقدمين ربط الواو ما بعدها في قوله ضرب زيد عمرا وبكر خالدا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين

لاالوقت ويدل عليه اضافة الوقت اليه حيث يقال وقت الضحى اى وقت اشراق الضوء (قوله تلا طلوعه طلوع الشمس اول الشهر) الظاهر ان يقال بدل هذه العبارة تلاغروبه غروب الشمس وذلك في ليلة الهلال فان تبعة القمر للشمس في الطلوع لاتظهر للحس لكونه مغلوبا مضمحلا بنور الشمس بخلاف تبعيته لها في الغروب فانها ظاهره محسوسة (قوله اوغروبها) منصوب معطوف على قوله طلوع الشمس فان القمر يبقى طالعا عند غروب الشمس ليلة البدر (قوله اوفي الاستداره) عطف على ماقبله في المعنى وكانه قيل اذا تلاها في الطلوع اوفي الغروب اوفي الاستدارة (قوله فانها تنجلى اذا انبسط النهار) اشارة الى ان اسناد جلى الى ضمير النهار من قبيل اسناد الفعل الى زمانه كما في نحو صام نهاره لان انجلاء الشمس يقع حين انبساط النهار ولبس انبساطه محللا لها (قوله اوالظلمة) منصوب بالعطف على الشمس في قوله جلى الشمس اى ويجوز ان يكون ضمير جلاها راجعا الى الظلمة واجوزتها للعلم كما جاز رجوعه الى الشمس لذكرها آنفا واسناد يغشى الى ضمير الليل من قبيل الاسناد في صام نهاره لان الذى يغطى ضوء الشمس في الليل هو حيلولة الارض بين الشمس وبين ماوقع عليه ضوءها لانفس الليل الذى هو زمان تلك الحيلولة (قوله ولما كانت واوات العطف) جواب عما يقال من ان الواوات الواقعة بعدقوله تعالى والشمس وضحاها الظاهر انها عاطفة لان كونها قسمية يستلزم تعدد القسم مع كون المقسم عليه واحدا وقد اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه وقال الاسعد أبى استقريا ما استقريا وتتبعنا كلام العرب فلم نر موضعا تعدد فيه القسم الا وقدكان كل واحد من القسم واقعا فيه على مقسم عليه على حده فتعين كونها عاطفة وذلك يستلزم ان يعطف معمولان على معمولى عاملين مختلفين وهو لايجوز لان الحرف الواحد لاينوب عن عاملين مختلفين وبيان الملازمة ان النهار المجرور في قوله تعالى والنهار اذا جلاها معطوف على معمول واوالقسم الجاره وهو الشمس وقوله اذا جلاها معطوف على قوله اذا تلاها وهو معمول فعل القسم وبما اجاب به ظهر انه من قبيل العطف على معمولى عامل واحد كما في قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فان الواو فيه لعطف بكر وخالدا على معمولى ضرب وهما الفاعل والمفعول فكذا هنا وذلك لان الواو الاولى القسمية كانعمل الجر لنيابتها عن الباء القسمية فكذلك تعمل النصب في الظرف الذى بعدها لنيابتها عن فعل القسم واصل الكلام اقسم بالشمس فحذف الفعل وحرف الجر واثبت الواو بدلهما فسد مسدهما معا فهى عامل واحد عمل عملين مختلفين الجر والنصب فكان المجرور

و الظرف اللذان بعدها معمولى عامل واحد واذا عطف على هذين المعمولين بالواو لم يلزم العطف على معمولى عاملين وهذا الجواب لايجرى فيما اذا كان فعل القسم مصرحا به كما فى قوله تعالى والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس بعد قوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس فان الواو ها عاطفة عطف بها المجرور على معمول الباء والظرف على معمول فعل القسم المصرح به وهو الظرف الاول فيحتاج فيه الى جواب آخر نحو ان يقال لانسلم ان الظرف المنصوب معمول لفعل القسم اوللواو النائبة منابه لان تقييد القسم بالزمان غير مناسب سواء كان الزمان حالا اومستقبلا بل هو معمول لمضاف مقدر مدلول عليه بالقسم نحو العظمة فان الاقسام بالشئ تعظيم له كانه قيل اقسم بعظمة الشمس وضحيها وبعظمة القمر اذا تلاها فالقمر المجرور وكذا الظرف بعده معمولان لذلك المقدر فيكون المجرور والظرف فى قوله تعالى والصبح اذا تنفس معطوفين على معمول عامل واحد فان قيل ماذكره فى تقرير جواب المصنف من ان الواو العاطفة لنيابتها عن فعل القسم تنصب الظرف بعدها محل بحث لان فعل القسم المضمر بمعنى الحال لانه لانشاء القسم فى الحال فلا يعمل فى اذا لانه ظرف لما يستقبل والفعل الحالى لايعمل فى الظرف المستقبل لان الفعل الحالى لايصير استقباليا واذا لم يصلح فعل القسم المضمر ناصبا لظرف الزمان المستقبل فكيف تصلح الواو النائبة منابه باصالته فلا فارق بين اقسم بالشمس غدا واقسم بها اذا اشرقت غدا فالذى لايجوز هو الاول لاالثانى فانه يجوز ان تقسم الآن باشراق الشمس وسائر ما يترقب وجوده بعد زمان القسم (قوله واعما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية) لم يرد ان كلمة مايوصف بها نعتا نحو ياكما يوصف بالذى فان ماومن الموصولين لايوصف بهما بخلاف الذى بل المراد ان ماقد تستعمل فى الصفات فيقال اذا اريد ان يسأل عن صفة زيد ما زيد فيجاب عنه بانه فقيه اوطبيب واذا اريد ان يسأل عن ذاته يقال من هذا والجواب عنه ان يقال هذا زيد (قوله ولذلك افرد ذكره) اى ولكون المقصود من ايثار ما على من الدالة على معنى الوصفية والقدرة الكاملة افرد ذكر البناء الدال على القادر بقوجعل صلة مايدل عليها لان شان الصلة ان تميز الموصول وتعينه (قوله تعالى وما طحاها) الطحو الدحو وهو البسط وابدال الطاء من الدال جائز قال عطاء والكلبى بسطها على الماء وقيل طحاها من تحت الكعبة والنفس ارجلت على الجسد فتسويتها عبارة عن تعديل اعضائها بعضها ببعض كما يشهد به علم التشريح وان حملناها على القوة المدبرة فتسويتها تكميل امرها باعطائها من القوى مايتم به جميع احوالها وبعض تلك القوى محركة وهى اثنان شهوية

(والسماء وما بناها) ومن بناها وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والشئ القادر الذى بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك افرد ذكره وكذا الكلام فى قوله

(و الارض وماطحاها ونفس وما سواها) وجعل الماآت مصدرية بمجرد الفعل عن الفاعل وبجعل نظم قوله (فألهمها فجورها وتقواها) قوله وماسواها الاان نضمر فيها اسم الله للعلم به ونكر نفس للتكثير كما في قوله علمت نفس اوللتعظيم والمراد نفس آدم والهام الفجور والتقوى افهامهما وتعريف حالهما والتمكين من الاتيان بهما (قد افلح من زكاها) انماها بالعلم والعمل جواب القسم وحذف اللام للطول وكأنه لما اراده الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه اقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذى هو اقصى درجات القوة النظريه

وعصبية وبعضها مدركة وهى عشر الحواس الخمس الظاهره والخمس الباطنة وبعضها لامحركة ولامدركة وهى سبع الغاذية والنامية والمولدة والجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة (قوله وجعل الماآت مصدرية بمجرد الفعل من الفاعل) اى بمجرد المعنى فى الهمها عما يرجع هو اليه فان الماآت التى فى قوله وما بناها وماطحاها وما سواها ان كانت مصدرية لايكون مذكورا الا السماء والارض والنفس وما يتعلق بها من المعانى المصدرية وهى البناء والطحو والتسوية وشئ منها لايصلح لان يرجع اليه المنوى فى الهمها وقوله الاان نضمر فيها اسم الله للعلم به استثناء من قوله بمجرد الفعل عن الفاعل واشارة الى ان سبق الذكر ليس شرطا فى ارجاع الضمير اذا كان المرجوع اليه لنباهة شأنه مما لايغيب عن العقل كقوله انا انزلناه وقوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك على ظهرها (قوله وبجعل نظم قوله فألهمها بقوله وما سواها) وذلك انه على تقدير ان تكون مامصدرية يلزم عطف الفعل على الاسم لانه يكون تقدير الكلام حينئذ ونفس وتسويتها فألهمها ولا خفاء فى ركاكة هذا النظم ويمكن ان يقال لا بعد فى ان تجعل مامصدرية ويكون فألهمها عطفا على سواها بان يكون هو ايضا فى تأويل المصدر على معنى وتسويتها فالهامها فجورها غاية مافى الباب ان يكون فألهمها كالافعال السابقة وهى بناها وطحاها وسواها فى تجردها عن الفاعل ويلتزم ان نضمر فيها اسم الله تعالى للعلم به فان قيل الفاء تدل على الترتيب من غير مهلة والتسوية تكون قبل نفخ الروح والالهام يكون بعد البلوغ فيحمل انتظام الالهام المصدر بالفاء عما قبله على تقدير ان تكون مامصدرية قلنا التسوية عبارة عن تعديل الاعضاء والقوى الادراكية وذلك انما يكون بعد البلوغ ويدل عليه كون الصبى محجورا عليه غير مقبول الشهاده وغير مكلف بالاحكام الشرعية والهام الفجور والتقوى عبارة عن افهامهما واعلامهما وتعريف حالهما من حيث ان احدهما حسن والآخر قبيح فهو مرتب على التسوية بالمعنى المذكور من غير مهلة (قوله وحذف اللام للطول) اى لطول الكلام بين القسم وجوابه قيل لما طال الكلام صار طوله عوضا عن اللام وقيل لما كانت اللام للتأكيد وقد ايضا تفيد التأكيد استغنى بها عن اللام (قوله وكأنه لما اراده) اى بقوله قد افلح من زكاها وهو بيان لوجه الاقسام عليه فانه تعالى لما اقسم بالشمس التى هى اعظم المحسوسات شرفا ونفعا ووصفها بأوصافها الاربعة التى هى ضوءها وكونها متبوعة للقمر ومتجلاة عند ارتفاع النهار ومختفية متغطية بالليل ثم اقسم بالسماء التى هى مسير الشمس واعظم

منها ومن المعلوم انهما لحركاتهما الوصعية والآنية وتغيراحوالهما من الاجسام الممكنة المحتاجة الى صانع واجب الوجود لذاته دفعا للدور او التسلسل موصوف بصفات الجلال والجمال (قوله وبذكرهم) عطف على قوله بدلهم ولا شك ان هذه الامور المقسم بها من عظائم الآلاء (قوله وقيل استطراد) عطف على قوله جواب القسم والدمدمة اهلاك باستئصال وقيل هو التعذيب على اتم الوجوه ولم يجعل قوله تعالى كذبت ثمود جوابا لان اقسام الله تعالى انما يؤكد به الوعد والوعيد وهو ليس منهما بل ذكر استشهاد القوله قدخاب من دساها بخلاف قوله تعالى قدافلح من زكاها وقدخاب من دساها فان الاول وعد لاهل التزكية بالظفر بكل خير والثاني وعيد لاضدادهم بالخيبة والخسران (قوله بسبب طغيانها) يعني ان الطغوى مصدر كالدعوى بمعنى الطغيان الا ان الطغوى لما كانت اشبه رؤس سائر الآيات اختيرت على لفظ الطغيان وان كان هو المشهور والباء فيه سببية ومفعول كذبت محذوف للعلم به والمعنى كذبت ثمود نبيها صالحا عليه السلام بسبب طغيانها وقوله او بما اوعدت به اى ويجوز ان يكون الطغوى اسما لعذابهم الذى اهلكوا به فيكون الباء للتعدية ومتعلقة بكذبت كما فى قوله تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة اى بالعذاب الذى حصل بها ثم قال فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية فسمى ما اهلكوا به من العذاب طاغية لكونه مجاوزا عن القدر المعتاد فجاز أن يراد بالطغوى فى هذه ما اوعدوا به من العذاب لكونه مجاوزا عن القدر المعتاد فان الطغيان فى اللغة عبارة عن مجاوزة الحد (قوله تفرقة بين الاسم والصفة) وذلك ان فعلى اذا كانت من ذوات الياء وكانت اسما قلبت ياؤها واوا وان كانت صفة ابقيت الياء على حالها تفرقة بينهما تقول فى الصفة خزيا وريا وصديا فان خزيا صفة بمعنى مستحية من خزى الرجل اذا استحيى وريا من روى وصديا من صدى اى عطش فهو صديان وهى صديا مثل عطشان وعطشى وريا ومعنى وتقول فى الاسم تقوى وبقوى فى اسمى الاتقاء والابقاء من بقى الله تقيا اى خافه وبقيه اى انتظره وابقاء الياء على حالها فى الصفة اولى من ابقائها فى الاسم لان الصفة اثقل من الاسم والياء اخف من الواو وان قرئ بطغواها بضم الطاء يكون ايضا مصدرا كالرجعى والحسنى الا ان قلب يائه واوا حينئذ يكون مخالفا للقياس اذ القياس بقاؤها على حالها كالسقيا (قوله حين قام ظرف لكذبت) اى كذبوا نبيهم حين نهض اشقاهم لعقر الناقة امتثالا لامر من بعثه اليه فان انبعث مطاوع لبعث يقال بعثت فلانا على الامر فانبعث له وامتثل وان كان اذ ظرفا لطغوى يكون بمعنى كذبوا نبيهم

وبذكرهم عظائم آلائه لحملهم على الاستغراق فى شكر نعمائه الذى هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل استطراد بذكر بعض احوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا (وقدخاب من دساها) نقصها واخفاها بالجهالة والفسوق واصل دسى دسس كتقضى وتقضض (كذبت ثمود بطغواها) بسبب طغيانها او بما اوعدت به من عذابها ذى الطغوى كقوله فاهلكوا بالطاغية واصله طغياها وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى (اذ انبعث) حين قام ظرف لكذبت اوطغوى (اشقاها) اشقى ثمود وهوقدار بن سالف اوهو

و من مالأه على قتل
الناقة فان افعل التفضيل
اذا اضيف صلح للواحد
والجمع وفضل شقاوتهم
لتوليهم العقر (فقال لهم
رسول الله ناقة الله)
اى ذروا ناقة الله
و احذروا عقرها
(وسقياها) فلا تذودوها
عنها (فكذبوه) فيما
يحذرهم به من حلول
العذاب ان فعلوا
(فعقروها فدمدم عليهم
ربهم) فأطبق عليهم
العذاب وهو من تكرير
قولهم ناقة مدمومة اذا
ألبسها الشحم (بذنبهم)
برسله (فسواها) فسوى
الدمدمة بهم اوعليهم
فلم يفلت منها صغير
ولا كبير اوثمود بالاهلاك
(ولا يخاف عقباها) اى
عاقبة الدمدمة اوعاقبة
هلاك ثمود وتبعتها

بسبب طغيانهم حين انبعث او كذبوا بعذابهم ذى الطغوى حين انبعث واختلفوا فى الاشقى الذى هو عاقر الناقة هل هو شخص معين او جماعة فمن ذهب الى الاول قال اسمه قدار بن سالف وهو اشقى الاولين ويؤيده قوله تعالى فى سورة القمر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر ومن ذهب الى الثانى قال انما جاء الاشقى بلفظ الواحد بناء على ان افعل التفضيل اذا اضيف يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويؤيده قوله تعالى فكذبوه فعقروها (قوله ومن مالأه) اى صاحبه وعاش معه ملاوه من الدهر اى حينا وسهله وفى بعض النسخ ومن والاه اى صادقه وهو من الولى بمعنى الصديق (قوله فقال لهم) عطف على قوله انبعث فان ثمود لما اقترحوا الناقة واخرجها لهم صالح من الصخرة على الوجه الذى وصفوها عليه الصلاة والسلام جعل لهم شرب يوم من بئرهم ولها شرب يوم معلوم فقال لهم ذروها وشربها اى نصيبها من الماء فاستمروا على ما امرهم به صالح عليه الصلاة والسلام الى ان استضروا بذلك فى امر مواشيهم فهموا بعقرها فلما علم صالح ما عزموا عليه اعاد لهم الوصية فقال هذه ناقة الله لكم آية دالة على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وعلى نبوتى فاحذروا ان تمسوها بسوء واحذروا ايضا ان تمنعوها من سقياها اى شربها ونصيبها من الماء فانكم ان فعلوا ذلك تعذبوا فكذبوه فى انهم يعذبون ان فعلوا ذلك فعقروا الناقة فاطبق عليهم العذاب بحيث لم يبق منهم احد الا اهلكه (قوله اى ذروا ناقة الله) اشارة الى ان ناقة الله منصوب بعامل مضمر على التحذير واضمار الناصب هنا واجب لوجود العطف فان اضمار الناصب يجب فى ثلاثة مواضع احدها ان يكون المحذر نفس اياك وبابه الثانى ان يوجد فيه عطف الثالث ان يوجد فيه تكرير نحو الاسد الاسد والطريق الطريق (قوله وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة) يقال دمت الناقة بالشحم اى طليت به بحيث لم يبق منها شئ لم يمسه الشحم ثم كرر الدال بين عين الفعل ولام الفعل للمبالغة فى الاحاطة وهذه قاعدة مطردة فى كل مضاعف من الثلاثى كرر فاؤه بين العين واللام نحو زلزل فى زل (قوله اوثمود بالاهلاك) على ان يكون ضمير سواها راجعا الى ثمود باعتبار تأويله بالقبيلة كما عاد اليه ضمير بطغواها بذلك الاعتبار وعلى الاول يكون راجعا الى الدمدمة والعقوبة المذكورة معنى كما فى قوله تعالى اعدلوا هو اقرب فانهم قد هلكوا بصيحة واحدة من جبريل عليه الصلاة والسلام وتلك الصيحة اهلكتهم جميعا بحيث لم يبق منهم احد لا صغير ولا كبير (قوله اى عاقبة الدمدمة اوعاقبة هلاك ثمود) يعنى ان ضمير سواها ان رجع الى الدمدمة يرجع

اليها ضمير عقباها الا انه حينئذ لابد من تقدير مايضاف اليه العقبى (قوله فيبقى بعض الانقاء) اى فيترحم بعض الترحم وفى الصحاح ابقيت على فلان اذا ارعيت عليه ورحمته يقال لاابقى الله عليك ان ابقيت على والاسم منه البقوى بفتح الباء وكذلك التقوى بفتح التاء (قوله والواو للحال) فقوله ولا يخاف عقباها فى محل النصب على انه حال من المنوى فى سواها الراجع الى الله جل ذكره اى فسواها غير خائف عقبى ماصنع بهم من الاهلاك اى عاقبتها وتبعتها كما يخاف الملوك والولاة لانه تعالى فعل بهم ما فعل بحق وحكمة وكل من كان فعله على وفق الحكمة ومقتضاها فانه لايخاف عاقبة فعله وان قرئ فلا يخاف بالفاء يكون معطوفا على قوله فسواها ومتفرعا عليهما تمت سورة الشمس بحمد الله وعونه وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة الليل مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله اى يغشى الشمس او النهار) يدل على الاول قوله تعالى فى السورة السابقة والليل اذا يغشاها وعلى الثانى قوله تعالى يغشى الليل النهار فالمفعول المقدر على التقدير بن ليس بعام الا انه حذف اعتمادا على مايدل عليه وان كان تقدير الكلام اذا يغشى كل ما يواريه و يستره بظلامه كان عدم ذكره للتعميم (قوله ظهر بزوال ظلمة الليل) هذا المعنى مناسب لكون المفعول المقدر ليغشى النهار وقوله او تبين بطلوع الشمس هو المناسب لكون المفعول المقدر الشمس اقسم الله تعالى بالليل ثم بالنهار لما فى تعاقبهما من مصالح لاتحصى فانه لوكان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش ولوكان كله نهارا لاختل امر الاستراحة والمصالح المتعلقة بالليل فمقتضى الحكمة ليس الا تعاقبهما فلذلك امتن سبحانه وتعالى بذلك وقال هو الذى جعل الليل والنهار خلفة (قوله صنفى الذكر والانثى) على ان تعريف الذكر والانثى للجنس وعلى الثانى للعهد (قوله ان مساعيكم الخ) اشارة الى وجه الاخبار عن السعى وهو مفرد بشتى وهو جمع شتيت كمريض ومرضى وجريح وجرحى وبيانه ان السعى مصدر قولك سعى الرجل يسعى اذا عمل وكسب والمصدر جنس يشمل جميع افراده لاسيما وقد اضيف الى الجمع فهو جمع فى المعنى الا ان المقصود بالاخبار عنه ليس هو السعى والعمل بالمعنى المصدرى بل المقصود الاخبار عن الاعمال الصادرة بالسعى فالمصدر ههنا بمعنى المفعول فلذلك فسره بالمساعى والاعمال المكتسبة والشتيت المتباعد المفرق يقال تشتت الامر تشتتا وشتا اى تفرق وامر شت

فيبقى بعض الابقاء والواو للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا على العطف ❋ عن النبى عليه السلام من قرأ سورة والشمس فكأنما تصدق بكل شئ طلعت عليه الشمس والقمر

(سورة الليل مكية وآيها احدى وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والليل اذا يغشى) اى يغشى الشمس او النهار اوكل مايواريه بظلامه (والنهار اذا تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين بطلوع الشمس (وماخلق الذكر والانثى) والقادر الذى خلق صنفى الذكر والانثى من كل نوع له توالد او آدم وحواء وقيل مامصدرية (ان سعيكم لشتى) ان مساعيكم لاشتات مختلفة لشتى جمع شتيت

فأما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى) تفصيل مبين لتشتت المساعى والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى وهى مادلت على حق كلمة التوحيد) فسنيسره لليسرى) فسنهيئه للخلة التى تؤدى الى يسر وراحة كدخول الجنة من يسر الفرس اذاهيأه للركوب بالسرج واللجام (واما من بخل) بما امر به (واستغنى) بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى (وكذب بالحسنى) بانكار مدلولها (فسنيسره للعسرى)للخلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار (ومايغنى عنه ماله)نفى او استفهام انكار (اذا تردى) هلك تفعل من الردى اوتردى فى حفرة القبر اوقعر جهنم (ان علينا للهدى)للارشاد الى الحق بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا او ان علينا طريقة الهدى كقوله وعلى الله قصد السبيل

وشتيت اى متفرق وحكم على الاعمال المكتسبة المختلفة بكون بعضها هدى وبعضها ضلالا بانها شتى لتباعد ما بين بعضها وبعض فان بعضها يؤدى الى الجنان وبعضها الى عذاب النيران وقدروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال فى تفسير الآية ان اعمالكم مختلفة عمل للجنة وعمل للنار (قوله تفصيل مبين لتشتت المساعى) اى مبين لاختلاف الاعمال من حيث اختلاف اجزائها فان اختلاف انفس المساعى والاعمال فى انفسها معلوم لافائدة فى الاخبار عنه (قوله والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية) اشارة الى ان عدم ذكر متعلقات هذه الافعال للتعميم لتذهب ذهن السامع كل مذهب مما يصح تعلق الفعل به فتعلق الاعطاء جميع مايتقرب بفعله واتيانه من العبادات القلبية والبدنية والمالية واعطاؤها صرف القوى والآلات فى تحصيلها وكذا متعلق الاتقاء جميع ماكان ملابسته معصية وكل واحد منهما لم ينفع صاحبه بدون التصديق والايمان عقبه بقوله وصدق بالحسنى اى بالكلمة الحسنى ونظيره قوله تعالى اواطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما الى قوله ثم كان من الذين آمنوا والخلة بالفتح الخصلة واليسرى اعمال الخير بناء على ان الاعمال بالعواقب فكل ما ادى الى يسروراحة فهو خصلة يسرى ومعنى تيسير المكلف لها ان يوفقه لاتيانها ويسهلها من غيران يعتريه من التثاقل والكسل مايعترى المرائين والمنافقين وكذا المراد بالعسرى اعمال الشر المؤدية الى العسر والعذاب وتيسير المكلف لها ان يخذله ويخليه وشأنه لعلمه باختيار المكلف ذلك (قوله نفى اواستفهام انكار) اذا كانت كلمة ما نافية يكون مفعول يغنى محذوفا اى ليس يغنى عنه ماله شيئا وان كانت استفهامية تكون فى محل النصب على انها مفعول يغنى اى اى شئ يغنى عنه ماله اى لايغنى شيئا (قوله تعالى تردى) يحتمل ان يكون من التردى بمعنى الهلاك والموت يقال ردى يردى من باب علم اى هلك وارداه غيره وهو ردى اى هالك وتردى تفعل منه للمبالغة ويجوز ان يكون من ردى فى البئر وتردى فيه اى سقط فيه او تهور من جبل ومنه المتردية والمعنى اذا يسرناه للعسرى المؤدية الى دخوله النار وتردى فيها لا يغنى عنه ماله الذى بخل به وتركه لوارثه ولم يصحبه شئ منه الى آخرته التى هى موضع فقره وحاجته يعنى ان الذى ينفع به الانسان هو ما قدمه من اعمال البر واعطاء الاموال فى حقوقها دون المال الذى يخلفه على ورثته ثم انه تعالى لما عرفهم ان سعيهم لشتى بحسب الجزاء وبين ان من آثر الهدى يهون عليه طريق الهدى ومن آثر الضلال واستغنى بشهوات الدنيا يهون عليه ما يؤدى الى العسر والعناء اخبر انه قد قضى ماعليه من الهدى والبيان والترغيب فيما ينفعهم والترهيب عما يضرهم فقال ان علينا

للهدى اى للارشاد الى الحق بنصب الدلائل وبيان الشرائع بمقتضى حكمتنا او عن حب قضائنا ويجوز ان تكون الآية من قبيل قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر اى علينا طريقة الهدى التى تؤدى سالكها الينا والهدى على الاول بمعنى الهداية والارشاد وعلى الثانى بمعنى الطريقة المبينة لهداية الله تعالى وارشاده سميت باسم ما هو سبب لتبيينها مجازا (قوله فنعطى فى الدارين ما نشاء لمن نشاء) فيكون قوله ان لنا للآخرة والاولى فى معرض التأكيد والتحقيق لقوله ان علينا للهدى وبما يلزمه من الضمان لثواب الاهتداء فى الآخرة فان من تفرد بمالكية الدارين ملك ارشاد الانام الى الحق فى الدنيا وملك اثابتهم على الاهتداء فى العقبى (قوله او ثواب الهداية للمهتدين) فيكون ذلك تتميما لقوله ان علينا للهدى على معنى ان علينا ان نهديه فى الاولى الى الحق وان نثيبه على اهتدائه فى الآخرة (قوله اوفلا يضرنا تركهم الاهتداء) فيكون استئنافا فالبيان انه تعالى انما يهديهم ويرشدهم الى الحق رحمة لهم لالمنفعة تعود اليه كأنه قيل علينا ان نهديكم الى صراط مستقيم ومن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن اساء فعليها لاتعود منفعة اهتدائه ولامضرة عدم اهتدائه الينا وان اهتدائكم لايزيد فى ملكنا شيئا لان لنا الآخرة والاولى فالوجوه الثلاثة لبيان وجه ارتباط الآية بما قبلها لا لبيان معناه لانه معلوم (قوله لايلزمها مقاسيا شدتها) لما دل ظاهر قوله تعالى لايصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى على انه لايدخل النار الا الكافر وهذا الحصر ترده النصوص الدالة على و[illegible] العصاة والفساق جعل صلى النار على لزومها والخلود فيها مقاسيا شدتها وحرها لكون الصلى بهذا الوجه كامل الصلى فيحمل عليه عند الاطلاق ولاشك ان الصلى بهذا المعنى مخصص فى الكافر وامر الفاسق مفوض الى مشيئة الله تعالى فاما ان لايدخلها رأسا او يدخلها ولكن لايلزمها وجعل جمله صلى النار على لزومها وسيلة الى دفع ما توهم من ان منطوق قوله لايصلاها الا الاشقى الذى يخالف مفهوم قوله وسيجنبها الاتقى فانه بمفهومه يدل على ان غير الاتقى لايجنبها بل يصلاها ويدخلها ودخول عصاة المؤمنين النار يخالف الحصر السابق فلما جعل صلى النار بمعنى لزومها كان منطوق الاول خلود الكافر فيها ومفهوم الثانى دخول العصاة وهو لايخالف انحصار الخلود فى الكافر لان دخول العصاة لايستلزم خلودهم (قوله لقوله يتزكى) استدل به على ان الايتاء ليس المراد به صرف المال مطلقا بل المراد به صرف المال فى مصارف الخير وان كان يتزكى بدلا من يؤتى لايكون له محل من الاعراب لانه لما كان بدلا من صلة

(وان لنا للآخرة والاولى) فنعطى فى الدارين ما نشاء لمن نشاء او ثواب الهداية للمهتدين او فلا يضرنا تركهم الاهتداء (فأنذرتكم نارا تلظى) تتلهب (لايصلاها) لايلزمها مقاسيا شدتها (الا الاشقى) الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لم يلزمها ولذلك سماه اشقى ووصفه بقوله (الذى كذب وتولى) اى كذب الحق واعرض عن الطاعة (وسيجنبها الاتقى) الذى اتقى الشرك والمعاصى فانه لايدخلها فضلا ان يدخلها ويصلاها ومفهوم ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية لايجنبها ولايلزم ذلك صليها فلا يخالف الحصر السابق (الذى يؤتى ماله) يصرفه فى مصارف الخير لقوله (يتزكى) فانه بدل من يؤتى او حال من فاعله (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) فيقصد باتيانه مجازاتها

الذي كان داخلا في حكم الصلة والصلات لامحل لها من الاعراب لان الصلة بعض الاسم وبعض الاسم لامحل له وان كان حالا من المنوي في يؤتي كان المعنى يؤتيه متزكيا اي متطهرا من الذنوب اومتزايدا في الخير زاكيا رفيع القدر عند الله تعالى لاللرياء والسمعة (قوله استثناء منقطع) لان ابتغاء المرضاة ليس من جنس النعمة التي يجازى عليها فيكون منصوبا على الاستثناء المنقطع وتكون الا بمعنى لكن اي لكن فعل ذلك ابتغاء وجه ربه اي لابتغاء التوجه الى ربه (قوله اومتصل من محذوف) يدل عليه قوله ومالاحد عنده من نعمة تجزى فانه يدل على ان المراد لايؤتي ماله لامر من الامور الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فعلى هذا يكون المستثنى داخلا في المستثنى منه ويكون الاستثناء متصلا (قوله والآيات نزلت في ابو بكر رضي الله تعالى عنه) هذا ماذهب اليه جمهور المفسرين والشيعة ينكرون ذلك ويقولون انها نزلت في حق علي بن ابي طالب ويستدلون عليه بان قوله تعالى ويؤتون الزكاة وهم راكعون نزلت في حقه فقوله الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى اشارة الى ما في تلك الآية ونحن نقول لايمكن حمل الاتقى المذكور في هذه الآية على علي رضي الله تعالى عنه لانه تعالى قال في صفة هذا الاتقى ومالاحد عنده من نعمة تجزى وهذا الوصف لايصدق على علي رضي الله تعالى لانه كان في تربية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اخذه من ابيه وكان يطعمه ويسقيه ويكسوه ويربيه فكان عليه الصلاة والسلام منعما عليه نعمة تجزى عليها بخلاف ابي بكر فانه لم يكن لاحد عنده من نعمة دنيوية نعم كان للرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنده نعمة الهداية والارشاد الا الدين الا ان هذه النعمة لاتجزى عليها لقوله تعالى حكاية عنه عليه الصلاة والسلام ماأسألكم عليه من اجر والمذكور ههنا ليس مطلق النعمة بل نعمة تجزى فظهر ان هذه الآية لاتصلح ان تكون نازلة في حق علي رضي الله تعالى عنه وتعين انها نزلت في ابي بكر لان الامة اجمعوا على ان افضل الخلق واكرمهم واتقاهم ابو بكر رضي الله تعالى عنه روي ان بلالا كان مولى عبدالله بن جدعان فسلح اي تغوط على الاصنام وكان صادق الاسلام طاهر القلب فاطلع المشركون عليه فشكوه الى عبدالله فوهبه لهم ومائة من الابل نحر وبها لآلهتهم فأخذوا وايعذبونه في الرمضاء اشد العذاب وهو يقول احد احد فمر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ينجيك احد احد ثم اخبر عليه الصلاة والسلام بان بلالا يعذب لاجل دينه فحمل ابو بكر رطلا من ذهب فابتاعه به فأعتقه فقال المشركون مافعل ذلك ابو بكر الاليد كانت لبلال عنده فنزل قوله تعالى ومالاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى وقال ابن الزبير وهو على المنبر كان ابو بكر يشتري الضعفة

ما الثواب الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) استثناء منقطع او متصل من محذوف مثل ولايؤتي الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة (ولسوف يرضى) وعد بالثواب الذي يرضيه والآيات نزلت في ابي بكر حين اشترى بلالا في جماعة تولاهم المشركون فاعتقهم ولذلك قيل المراد بالاشقى ابو جهل وأمية بن خلف قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

من العبيد و عتقهم فقال ابو بابي لو كنت تتاع من يمنع ظهرك فقال منع ظهري ربه فنزلت هذه الآية ثم وعده الله بان يرضيه في الآخرة ثوابه فقال ولسوف يرضى تمت سورة الليل والحمد لله رب العالمين حمدا دائما ابدا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة الضحى مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

فسر الضحى اولا بصدر النهار حين يرتفع الشمس بقرينة العطف عليه بقوله والليل وفسر قوله تعالى والشمس وضحاها بضوء الشمس ونورها الكائن وقت ارتفاع الشمس واشراقها بقرينة اضافة الضحى الى الشمس لان اضافة صدر النهار اليها لامعنى له بخلاف اضافة النور اليها وفسره ثانيا بالنهار كله وقد اريد بالضحى النهار كله في قوله تعالى افأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون اوأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون اى نهارا بقرينة وقوعه في مقابلة قوله بياتا اى نأتين داخلين المساء (قوله سكن اهله) يعني ان الاسناد مجازي من قبيل اسناد الفعل الى زمانه مثل صام نهاره وكذا الحال اذا فسر بقوله ركد ظلامه اى ثبت وكان بحيث لا يزداد بعد ذلك وكل ماثبت في مكان فهو راكد فيه (قوله وتقديم الليل في السورة المتقدمة) يعني ان كل واحد منهما له تأثير عظيم في صلاح العالم ولذلك اقسم به الا ان الليل له فضيلة السبق والاصالة بالنسبة الى النهار فانه يحدث بطلوع الفجر وبالغروب يعود الهواء الى الحالة الاصلية ولذلك قدم الظلمة في قوله وجعل الظلمات والنور وللنهار فضيلة الشرف والاستنارة بالنسبة الى الليل فلذلك قدم هذا تارة وذاك اخرى فان قيل ما السبب في انه تعالى ذكر الضحى وهو ساعة من النهار وذكر الليل بكليته اجيب بانه وان كان ساعة منه الا انه لكونه اشرف ساعاته نازل منزلة الكل (قوله لتركه الاستثناء) روى ان مشركي قريش ارسلوا الى يهود المدينة وسألوهم عن امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لهم اليهود اسألوه عن قصة اصحاب الكهف وعن قصة ذي القرنين وعن الروح فان اخبركم بقصة اهل الكهف وعن قصة ذي القرنين ولم يخبركم عن امر الروح فاعلموا انه صادق فجاء المشركون وسألوه عنها فقال عليه الصلاة والسلام لهم ارجعوا سأخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحي عنه اثنى عشر يوما وقيل عشرين يوما وقيل خمسة وعشرين يوما وقيل اربعين يوما حتى نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فاخبره بما سئل عنه ونزل ايضا

(سورة والضحى مكية وايها احدى عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والضحى) ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار يقوى فيه او لان فيه كلم موسى ربه والقي السحرة سجدا او النهار ويؤيده قوله ان يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بياتا (والليل اذا سجى) سكن اهله وركد ظلامه من سجا البحر سجوا اذا سكنت امواجه وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم النهار ههنا باعتبار الشرف (ما ودعك ربك) ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف بمعنى ما تركك وهو جواب القسم (وما قلى) وما ابغضك وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل روى ان الوحي تأخر عنه اياما لتركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف

اولزجرة سائلا ملحا او
لان جروا ميتا كان تحت
سريره اولغيره فقال
المشركون ان محمدا
ودعه ربه وقلاه فنزلت
ردا عليهم (وللآخرة
خير لك من الاولى) فانها
باقية خالصة عن الشوائب
و هذه فانية مشوبة
بالمضار كأنه لما بين انه
تعالى لايزال يواصله
بالوحي والكرامة في
الدنيا وعده ماهو اعلى
واجل من ذلك في
الآخرة اولنهاية امرك
خير من بدايته فانه لايزال
يتصاعد في الرفعة
والكمال (ولسوف
يعطيك ربك فترضى)
وعد شامل لما اعطاه من
كمال النفس وظهور الامر
واعلاء الدين ولما ادخره
له مما لايعرف كنهه سواه
واللام للابتداء دخل
الخبر بعد حذف المبتدأ
والتقدير ولأنت سوف
يعطيك لا للقسم فانها
لاتدخل على المضارع الا
مع النون المؤكدة

بقوله ماودعك ربك وماقلى فان قيل ماذكر من كون سبب احتباس الوحي ترك الاستثناء لايدل على انه كان عن قلى فاوجه قوله تعالى وماقلى اجيب بان اقصى ما في الباب انه عليه الصلاة والسلام وقع منه ما هو ترك الافضل والاولى فظن انه صار ممقوتا روى انه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل ماجئتني حتى اشتقت اليك فقال جبريل بل كنت اليك اشوق ولكني عبد مأمور وتلا وما نتنزل الا بامر ربك والتوديع اصله الودع وهو الترك و بناء التفعيل للمبالغة فيه لان من ودعك عند الرحيل مفارقا فقد بالغ في تركك وقرئ ماودعك بتخفيف الدال وهو قليل الاستعمال فانهم اماتوا ماضي يدع و يذر فلايكادون يقولون ودع ولا وذر لثقل الواو في اول الكلمة واستغنوا عنهما بترك واستعملوا مضارعهما لعدم الثقل (قوله اولزجره سائلا ملحا) روى ان عثمان بن عفان رضي الله عنه اهدى الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنقود عنب فجاء سائل فاعطاه اياه ثم اشتراه عثمان بدرهم فقدمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا ثم عاد السائل فاعطاه ذلك فاشتراه عثمان ايضا وقدمه له فعاد السائل ثالثا فقال عليه الصلاة والسلام ملاطفا له لاغضبان عليه اسائل انت يافلان ام تاجر فأخر عنه الوحي اياما لذلك فنزلت واما السائل فلا تنهر وروى ايضا ان خولة كانت تخدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فجاء جرو الميت فدخل تحت السرير فمات هناك فمكث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اياما لاينزل عليه الوحي فقال ياخولة ماحدث في بيتي حتى ان جبريل لايأتيني قالت خولة فهيأت البيت فكنسته فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت فاخذته فالقيته خلف الجدار فجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ترعد لحياه وكان اذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال ياخولة دثريني فانزل الله تعالى هذه السورة فلما نزل جبريل عليه السلام سأله عن تأخره فقال اما علمت انا لاندخل بيتا فيه كلب ولاصورة (قوله اولنهاية امرك خير من بدايته) على ان المراد بالآخرة ما يقابل الدنيا بل يرادبها الخاتمة الآتية فالمعنى لاتظن ان ربك ودعك وقلاك فلذلك قطع عنك وحيه اياما بل كل حال يأتي عليك فيما بعد من الازمنة والايام فانها خير لك من احوالك الماضية ومن جملة احوالك انه احتبس عنك الوحي احيانا فبعد سابقه وتعاقبه عليك فقال الاعداء فيك ما قالوا وقلنا في ردهم مؤكدا بالقسم ماودعك ربك وماقلى ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه الكرامة والموعدة خير لك مما كان قبل من تواتر الوحي وتتابعه (قوله واللام للابتداء الخ) لانها لا تدخل الاعلى الجملة الاسمية فلابد من تقدير مبتدأ اي ولأنت سوف يعطيك ربك لا لام جواب

القسم لان لام القسم لاتدخل على المضارع الامع نون التوكيد نحو والله لاضربن (قوله وجمعها مع سوف) فان لام الابتداء لما تجردت للتأكيد وكانت السين تدل على التأخير والتنفيس حصل من اجتماعهما ان العطاء المتأخر لحكمة كائن لامحالة (قوله من الوجود بمعنى العلم) اى الم يعلمك يتيما فآوى اى فجعل لك مأوى تأوى اليه يقال اوى فلان الى منزله يأوى اويا على فعول وآويته ايواء وكان تيمه عليه الصلاة والسلام ان اباه عبدالله بن عبد المطلب توفى وامه حامل به ثم ولد عليه السلام فكان مع جده عبدالمطلب ومع امه آمنة فماتت امه آمنة وهو ابن ست سنين ثم مات جده بعد امه بسنتين وهو عليه السلام ابن ثمان سنين ولما اشرف عبد المطلب على الموت اوصى عليه عليه السلام اباطالب لان عبدالله واباطالب كانا من ام واحده فكان ابوطالب هو الذى يكفل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد جده الى ان بعثه الله تعالى فقام بنصره مده مديده ثم توفى ابوطالب بعد ذلك فلم ير عليه السلام من اثر اليتم شيئاً فذكره الله تعالى هذه النعمة بقوله الم يجدك يتيما فآوى (قوله من علم الحكم والاحكام) اى وجدك غافلا عن علوم النبوة والاحكام الشرعية فهداك اليها كقوله ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان وقيل وجدك ضالا فى الطريق روى انه عليه الصلاة والسلام خرج مع عمه ابى طالب فى قافلة ميسره غلام خديجة فبينما هو راكب ناقة ذات ليلة ظلماء وهو نائم فجاء ابليس فأخذ بزمام الناقة فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى ارض الحبشة وقيل الى ارض الهند ثم رده الى القافلة وقيل انه عليه السلام ضل عن مرضعته حليمة حين فطمته وارادت ان ترده الى جده حتى دخلت الى هبل وشكت ذلك اليه فتساقطت الاصنام وسمعت صوتا انما هلاكنا بيد هذا الصبى وفيه حكاية طويلة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه انه قال عليه الصلاة والسلام ضل فى شعاب مكة وهو صغير ومازال ضالا حتى كاد الجوع يقتله فرآه ابوجهل وهو منصرف عن اغنامه فرده الى جده عبدالمطلب وهو متعلق بأستار الكعبة متضرع الى الله تعالى فى ان يرد اليه محمدا ويقول يارب رد لى محمدا اردده ربى واصطنع بذا يدا فمازال يردد هذا الكلام حتى اتاه ابوجهل على ناقة ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم بين يديه فقال له لا تدرى ماذا نرى من ابنك فقال عبد المطلب مارأيت قال انى انخت الناقة واركبته من خلفى فأبت الناقة ان تقوم فلما اركبته امامى قامت الناقة كان الناقة تقول يا احمق هو الامام فكيف يقوم خلف من وجب عليه ان يقتدى به (قوله داعيا) صفة كاشفة لقوله فقيرا يقال عال يعيل عيلا

لما انعم عليه تنبيها على انه كما احسن اليه فيما مضى يحسن اليه فيما يستقبل و يجدك من الوجود بمعنى العلم و يتيما مفعوله الثانى او المصادفة ويتيما حال (ووجدك ضالا) عن علم الحكم والاحكام (فهدى) فعلمك بالوحى والالهام والتوفيق للنظر وقيل وجدك ضالا فى الطريق حين خرج بك ابو طالب الى الشام او حين فطمتك حليمة وجاءت بك لتردك على جدك فازال ضلالك عن عمك او جدك (ووجدك عائلا) فقيرا ذا عيال (فاغنى) بما حصل لك من ربح التجارة (فاما اليتيم فلا تقهر) فلا تغلبه على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر اى فلا تعبس فى وجهه (واما السائل فلا تنهر) فلا تزجر (واما بنعمة ربك فحدث) فان التحدث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها * قال عليه السلام من قرأ سوره والضحى

جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وكتب له عشر حسنات بعدد كل يتيم وسائل

وعيلة وعيولا اى افتقر واعال الرجل اذا كثر عياله اى من ينفق عليه قيل العائل ذو العيال ثم اطلق على الفقير وان لم يكن له عيال والمشهور ان المراد بالعائل فى الآية الفقير تمت سورة الضحى بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة الم نشرح مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

الشرح التوسعة والفسحة السعة ومكان فسيح اى واسع وفسح له فى المجلس اى وسع له وقد شرح الله تعالى صدره عليه الصلاة والسلام بحيث وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق بعد ما ضاق عنهما جمعا فان مقام حضور الحق ومناجاته مقام شهود الحق والغيبة عن الخلق ومن كان غائبا عن الخلق كيف يأتى له دعوة الخلق ومعاملتهم فان دعوتهم تستلزم الحضور معهم والحضور مع المخلوق ينافى الحضور مع الخالق ظاهرا فضيق الصدر عن الجمع بينهما وكان حاضرا مع الحق مستغرقا فى مقام مناجاته دائما وهو غائب عنه مشتغل بدعوة الخلق ظاهرا وكان غائبا حاضرا (قوله اولم نفسحه عما اودعنا فيه الخ) فانه تعالى ما فسح صدر احد من بنى آدم كفسحه لصدره المنير عليه الصلاة والسلام حتى وسع علم الاولين والآخرين وقال اوتيت جوامع الكلم (قوله وقيل انه) اى ان قوله تعالى الم نشرح لك صدرك اشارة الى ما روى ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى صباه اى حين كان عند حليمة فى السنة التى اعادته فيها الى عبد المطلب وشق صدره واخرج قلبه وغسله وانقاه مما كان فيه من الدم الاسود ثم جاء بطست من ذهب قد ملئ علما وايمانا فوضعه فى صدره (قوله او يوم الميثاق) الظاهر ان المراد بيوم الميثاق ليلة المعراج ويؤيده ما ذكره الامام النسفى نقلا عن الكلبى ان جبريل عليه السلام اتاه فشق صدره والذى عن قلبه ثم جاء بدلو من ماء زمزم فغسله وانقاه مما فيه ثم جاء بطست من ذهب قد ملئ علما وايمانا فوضعه فيه ثم قال كان هذا حين جاءه بالبراق ليلة المعراج او حين كان عند حليمة فى السنة التى اعادته فيها الى عبد المطلب والقاضى عبد الجبار طعن فى هذه الرواية من وجوه احدها انه قد روى ان هذه الواقعة وقعت فى حال صغره عليه الصلاة والسلام وهى من المعجزات ولا يجوز ان يتقدم نبوته وثانيها ان تأثير الغسل فى ازالة الاجسام ولا شك ان الاخلاق والمعاصى ليسا من قبيل الاجسام فلا يؤثر فيهما الغسل وثالثها ان القلب لا يصح ان يملأ علما وايمانا بل الله تعالى يخلقهما فى القلب واجيب عن الاول بان تقدم المعجزة على البعثة يجوز عندنا وذلك هو

(سورة الم نشرح مكية (وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

(الم نشرح لك صدرك) الم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائبا حاضرا او الم نفسحه بما اودعناه من الحكم وازلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرنا لك تلقى الوحى بعد ما كان يشق عليك وقيل انه اشارة الى ما روى ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ما سبق ومعنى الاستفهام انكار نفى الانشراح

المسمى بالارهاص ومثله كثير في حقه عليه الصلاة والسلام وعن الثاني في قوله ان الغسل له تأثير في ازالة الاجسام بان ما في القلب من الدم الاسود لا يبعد ان يكون حصوله فيه علامة مؤدية للقلب الى ميله الى المعاصي وابعاده عن الطاعات وتكون ازالته عنه سببا لمواظبة صاحبه على الطاعات واحترازه عن الشهوات المنبعثة عن توجه القوة الطبيعية اليها فيكون ازالته عنه مستلزمة لامتلائه بالعلم والايمان فصح ان يعبر عن تطهير قلبه عليه الصلاة والسلام من ذلك الدم بامتلائه بالعلم والايمان اشار المصنف الى الجواب عن طعن القاضي في هذه الرواية بما حاصله ان المراد بما روى ليس ظاهره بل هو رمز الى توسع الصدر فقال ولعله اي ولعل ماروى اشارة الى نحو ماسبق من تفسيح الصدر (قوله مبالغة في اثباته) وجه المبالغة ان الانكار في معنى النفي ونفي النفي اثبات فكان المعنى قد شرحنا لك صدرك واثبات الشرح بنفي النفي اثبات له فكان ابلغ من اثباته ابتداء (قوله ولذلك) اي ولاجل ان معنى ألم نشرح قد شرحنا عطف عليه وضعنا لانه بهذا الاعتبار يكون العطف من قبيل عطف الجملة الخبرية على مثلها والنقض بالكسر الحمل والنقيض صوت الانتقاض والانفكاك ونقيض الرحل صوته عند تداعي اجزائه الى الانفكاك وشبه خطأه من تركه الافضل والاولى بالعبء الثقيل فاطلق عليه اسم المشبه به وهو الوزر ثم قرن بما يلائم المستعار منه وهو الوضع والحط فالوزر استعارة والوضع ترشيح (قوله او جهله بالحكم والاحكام) لعله اراد بالحكمة العلم المتعلق بتهذيب الاخلاق وتحلية النفس بالفضائل السنية وتخليتها عن الرذائل الدنية وفي تلويح الحكمة هي العلم النافع المعبر عنه بمعرفة النفس مالها وما عليها المشار اليه بقوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وبالاحكام العلم المتعلق باصلاح الاعمال والمعاملات التي يتوقف عليها حسن المعاشرة بين الانام ويدور عليها انتظام احوالهم (قوله او حيرته) اي او المراد من الحمل الثقيل الحيرة التي كانت له عليه الصلاة والسلام قبل البعثة وذلك انه عليه الصلاة والسلام كان ينظر بكمال عقله الى عظيم نعم الله تعالى عليه حيث اخرجه من العدم الى الوجود واعطاه الحياة والعقل وسائر ما ينفعهما من النعم فتثقل عليه تلك النعم ولا يدري كيف يشكرها فيغلب عليه الحياء والحيرة فلما جاءته النبوة والتكاليف وعرف انه كيف يعبد ربه ويشكر نعمه زالت حيرته فان اللئيم لا يبالي بما اسبغ عليه من النعم الظاهرة ولا يستحي من مقابلتها بالخدمة والطاعة بخلاف انسان الكريم النفس فانه اذا تواترت النعم عليه وهو عاجز عن مقابلتها بنوع من انواع الخدمة فان ذلك يثقل عليه جدا بحيث

مبالغة في اثباته ولذلك عطف عليه (ووضعنا عنك وزرك) عبأك الثقيل (الذي انقض ظهرك) الذي حمله على النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة او جهله بالحكم والاحكام او حيرته

في إيذائه حين دعاهم إلى الإيمان (ورفعنا لك ذكرك) بالنبوة وغيرها وأي رفع مثل أن قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه في ملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وخاطبه بالألقاب وإنما زاد لك ليكون إبهاما قبل إيضاح فيفيد المبالغة (فإن مع العسر) كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وإيذائهم (يسرا) كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيأس من روح الله إذا عراك ما يغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما في إن مع من المصاحبة المبالغة في معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقاربين (إن مع العسر يسرا) تكرير للتأكيد أو استئناف وعده بأن العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك إن للصائم فرحتين أي فرحة عند الإفطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه الصلاة والسلام لن يغلب عسر يسرين فإن العسر معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد

يكاد يموت من الحياء فإذا كلمه المنعم بنوع من الخدمة سهل ذلك عليه فطاب قلبه (قوله أو تلقي الوحي) أي أو المراد من الوزر ما أصابه من الهيبة والفزع في أول ملاقاة جبريل عليه الصلاة والسلام حتى كان تأخذه الرعدة ويستولي عليه العرق عند نزول الوحي ويقول زملوني ودثروني ثم إنه تعالى وضع عنه هذه الهيبة وقوى قلبه حتى ألفه وصار يأتي بنفسه على شاهق الجبل لشدة اشتياقه إليه (قوله وإنما زاد لك) جواب عما يقال ما الفائدة في زيادة قوله لك في قوله ألم نشرح لك ورفعنا لك وفي زيادة عنك في قوله ووضعنا عنك مع أن المعنى يتم بدونهما وبعد زيادتهما فأي فائدة في تقديمهما على مفعول عاملهما وتقرير الجواب أن زيادتهما مقدمين على المفعول تفيد إبهام المشروح والموضوع والمرفوع ثم تبيينه وتوضيحه ومن المعلوم أن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال أوقع في الذهن وأبلغ في البيان وذلك يدل على تعظيم المشروح والموضوع والمرفوع (قوله فلا تيأس من روح الله إذا عراك ما يغمك) يعني أن قوله تعالى فإن مع العسر يسرا من قبيل تفريع الحكم على الدليل في صورة الاستدلال بالجزئي على الكلي كأنه قيل إذا وجدت وعلمت يسر الشرح والوضع والرفع مع عسر الضيق والثقل والخمول فحقق أن لمطلق العسر يسرا أي يسرا ويقن أن العسر الذي أنت فيه لا ينفك عن يسر عظيم وقس ما سيأتي عليك فيما بعد من وجوه العسر على ما مضى من أحوالك فأي زهير لا يعقبه ربيع (قوله والمعنى بما في أن مع من المصاحبة المبالغة في معاقبة اليسر للعسر) يعني أنهما متضادان لا تتصور معيتهما فلا بد من توجيه ذكر كلمة مع في هذا المقام (قوله تكرير للتأكيد) أي لتقرير معنى الجملة المتقدمة وتمكينها في القلوب فكما يكرر المفرد في مثل جاءني زيد زيد كذلك كررت الجملة ههنا أيضا ويحتمل أن تكون الجملة الثانية مستأنفة بأن العسر المذكور أولا متبوع بيسر آخر فإن الاسم إذا ذكر معرفا ثم أعيد معرفا كان الثاني عين الأول فيكون العسر واحدا مع كونه مذكورا مرتين وذلك العسر إما العسر المعهود الذي كانوا فيه أو جنس العسر الذي يعلمه كل واحد والنكرة إذا أعيدت مع الألف واللام كان الثاني عين الأول أيضا كما في قوله تعالى كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول وإذا أعيدت نكرة لا يلزم أن يكون الثاني عين الأول ويسرا الثاني ههنا منكر فيحتمل أن يكون عين الأول والحال أن العسر الثاني أيضا هو العسر الأول فيكون قوله تعالى إن مع العسر يسرا تكريرا للأول وتأكيدا له وأن يكون غيره فيكون الثاني كلاما مستأنفا بما يفيد أن يكون مع عسر واحد يسران وهذا الاحتمال أرجح

(لما علم)

او الحسن و يسر امنكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد يغاير ما اريد بالاول (فاذا فرغت) من التبليغ (فانصب) فانصب في العبادة شكر الما عددنا عليك من النعم السابقة ووعدنا بالنعمة الآتية وقيل فاذا فرغت من الغزو فانصب في العبادة او فاذا فرغت ﴿ ٢٨٧ ﴾ من الصلاة فانصب بالدعاء (والى ربك فارغب) بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر وحده على اسعافه وقرئ فرغب اى فرغب الناس الى طلب ثوابه * عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الم نشرح فكأنما جاءني وانا مغتم ففرج عني

(سورة والتين مختلف فيها وآيها ثمان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والتين والزيتون) خصصهما من بين الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لا فضل لها وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سدة الكبد والطحال ويسمن البدن وفي الحديث انه يقطع البواسير وينفع من النقرس والزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع مع انه قد ينبت حيث لا دهنية فيه كالجبال

لما علم من فضل التأسيس على التأكيد وكلام الله تعالى ينبغي ان يحمل على ابلغ الاحتمالين واوفاهما والمقام مقام التسلية والتنفيس والحمل عليه اولى روى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال يقول الله تعالى خلقت عسرا واحدا وخلقت يسرين فلن يغلب عسر يسرين وكل هذا يؤيد كون الجملة الثانية كلاما مستأنفا (قوله تعالى فاذا فرغت فانصب) جواب شرط محذوف اى اذا تقرر عندك ما عددناه عليك وما عددناه لك من النعم فانصب في العبادة اذا فرغت من التبليغ شكرا لذلك فان الشكر يربط العتيد ويجلب المزيد والنصب التعب يقال نصب في الشيء ينصب من باب علم اى تعب فيه وروى ان شريحا مر برجلين يتصارعان فقال ما امر الله بهذا انما قال فاذا فرغت فانصب يعني انه تعالى امر ان يواصل بين بعض العبادات وبعضها وان لا يخلي وقتا من اوقاتها منها فاذا فرغ من عبادة اتبعها باخرى (قوله ولا تسأل غيره) الحصر مستفاد من تقديم الظرف تمت سورة الم نشرح لك والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

(سورة التين مكية وقال ابن عباس وقتادة مدنية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله وقيل المراد بهما جبلان) روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون (قوله او مسجدا دمشق وبيت المقدس) قال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس عبر عنهما بما كثر فيهما من التين والزيتون (قوله او البلدان) الكوفة والشام وسينين وسيناء اسمان للبقعة وهو الجبل الذي كلم الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام عليه اضيف ذلك الجبل الى البقعة التي حصل هو فيها والمعنى وجبل الموضع المسمى سينين وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الطور الجبل وسينين الحسن بلغة الحبشة وعن مجاهد سينين المبارك وقال الكلبي هو الجبل ذو الشجر وقال مجاهد ومقاتل كل جبل ذي شجر مثمر سينين وسيناء بلغة النبط (قوله من امن الرجل) بأمن بضم الميم فيهما فهو امين اى آمن بمعنى ذي أمن وهو الامانة يقال أمنت فأنا آمن فالامين فعيل بمعنى فاعل وامانته ان يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه (قوله او المأمون فيه) عطف على قوله

وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة او مسجدا دمشق وبيت المقدس او البلدان (وطور سينين) يعني الجبل الذي ناجى موسى عليه السلام وسينين وسيناء اسمان للموضع الذي هو فيه (وهذا البلد الامين) اى الآمن من امن الرجل امانة فهو امين او المأمون فيه يأمن فيه من دخله والمراد به مكة (لقد خلقنا الانسان)

اى الآمن فالامين فعيل بمعنى المفعول فيه كالشترك بمعنى المشترك فيه اقسم الله تعالى بهذه الاشياء لانه شرفها و بركها ولا بها مساكن الانبياء والصالحين ومهاجر ابراهيم ومولد اسماعيل عليه الصلاة والسلام ومنشأه بمكة موضع البيت العتيق ومولد خير الانبياء ومبعثه وجواب القسم قوله لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم اى تعديل لشكله وصورته وتسوية لاعضائه فان التقويم تيسير الشئ على ماينبغى ان يكون عليه فى تأليف الاجزاء وتعديل الاعضاء والهيئات والاشكال وتكميله بالقوى الناطقة التى يتوسل بها الى الفضائل العلمية والآداب والاخلاق المرضية يقال قومه تقويما فاستقام وتقوم روى ان ملكا من الملوك خلا بزوجته فى ليلة قمراء فقال لها ان لم تكونى احسن من القمر فانت كذا فافتى الكل بالحنث الايحيى قال لاحنث فقال الملك خالفت شيوخك فقال الفتوى بالعلم لابكثر السن ولقد افتى من هو اعلم منا وهو الله تعالى فقال لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم وكان بعض الصالحين يقول الهنا اعطيتنا فى الاولى احسن الاشكال فأعطنا فى الآخرة احسن الفعال و هو العفو عن الذنوب والتجاوز عن العيوب وقيل كان عيسى بن موسى الهادى يحب زوجته حبا شديدا فقال لها يوما انت طالق ثلاثا ان لم تكونى احسن من القمر فنهضت واحتجبت وقالت طلقتنى فباتا بليلة عظيمة فلما اصبح غدا الى دار المنصور فأخبره الخبر واظهر له جزعا عظيما فاستحضر المنصور فقهاء زمانه واستفتاهم فقال جميع من حضر قد طلقت الا رجلا من اصحاب ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه فانه كان ساكتا فقال المنصور مالك لا تتكلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون الى قوله لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ثم قال يا اميرالمؤمنين فالانسان احسن المخلوقات ولاشئ احسن منه فلم تطلق امرأة الرجل فقال المنصور لعيسى بن موسى الامر كما قال الرجل فأقبل على زوجتك وارسل الى زوجته ان اطيعى زوجك و لا تعصيه فما طلقك (قوله ونظائره سائر الممكنات) اى وبان خص باشتماله على مثال كل ممكن قال العلامة انه العالم الاصغر اذكل مافى المخلوقات حاصل فيه (قوله بان جعلناه من اهل النار) على ان يكون اسفل حالا من مفعول رددناه ويكون المراد بكونه اسفل كونه فى غاية الانحطاط والقباحة من حيث الصورة والتقويم كناية عن كونه من اهل النار والمعنى ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر تلك النعمة وهى نعمة الخلقة الحسنة ان رددناه اى صرفناه عن طريقه فى احسن الصور حال كونه اسفل من سفل خلقا وتركيبا واقبح من قبح صورة وخلقة

بزيادة الحسن (فى احسن تقويم) تعديل بان خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات (ثم رددناه اسفل سافلين) بان جعلناه من اهل النار

وهم اصحاب النار (قوله او الى اسفل سافلين وهو النار) على ان يكون اسفل صفة مكان محذوف اى الى مكان اسفل امكنة السافلين عن مجاهد ثم رددناه الى النار التى هى اسفل السافلين وعلى الوجهين يكون الاستثناء فى قوله الا الذين امنوا متصلا والمستثنى منه الضمير المنصوب فى قوله ثم رددناه لانه فى معنى الجمع لرجوعه الى الانسان المراد منه الجنس وتكون الفاء فى قوله فلهم اجر لتعليل كون المستثنى خارجا عن حكم المستثنى منه كانه قيل لايحولون عن كونهم فى احسن تقويم الى ان يكونوا من اسفل السافلين من حيث الصورة لانهم مثابون فى الجنة تعرف فى وجوههم نضرة النعيم واما اذا اريد باسفل السافلين ارذل العمر بناء على ان من رد الى ارذل العمر يحول من احسن التقويم الى اسفل السافلين من حيث الصورة والشكل حيث ينكس ظهره و يضعف سمعه و بصره و يتداعى جميع قواه واعضائه الى الانحلال والاضمحلال فحينئذ يكون الاستثناء منقطعا لان اهل الايمان والطاعة المخرجين عن كونهم مردودين الى ارذل العمر قد اثبت لهم حكم توهم عدم ثبوته لهم بسبب بلوغهم الى ارذل العمر وعجزهم عما فعلوه زمان الاقتدار عليه فيكون المعنى لكن وقوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات اسمه وقوله فلهم اجر غير ممنون خبره ودخول الفاء لتضمن اسمه معنى الشرط والمعنى ولكن الصالحين من الهرمى فلهم اجر وثواب دائم غير منقطع او اى غير منقطع بسبب طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى اياهم بالشيخوخة والهرم فان المؤمن اذا عمل فى حال شبابه وقوته وحياته فاذا مرض اوهرم اومات فانه يكتب له حسناته تمامها كما كان يعمل فى حياته وقوته الى يوم القيامة روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال ان المؤمن اذا مات صعد ملكاه الى السماء فيقولان يارب ان عبدك فلانا قدمات فاذن لنا حتى نعبدك على السماء فيقول الله تعالى سمواتى مملوءة بملائكتى ولكن اذهبا الى قبره واكتبا له حسناته الى يوم القيامة كذا فى تفسير الامام ابى الليث وعن انس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المولود حين لم يبلغ الحلم ماعمل من حسنة كتبت لوالديه فان عمل سيئة لم يكتب عليه ولا على والديه واذا بلغ الحنث وجرى عليه القلم امر الله تعالى ملكين ان يحفظاه ويسدداه فاذا بلغ سنه فى الاسلام اربعين امنه الله تعالى من البلايا الثلاث من الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة ضعف الله تعالى حسناته فاذا بلغ ستين رزقه الله تعالى الانابة اليه فيما يحب واذا بلغ سبعين احبه اهل السماء فاذا بلغ ثمانين سنة كتب الله تعالى حسناته وتجاوز عن سيئاته فاذا بلغ تسعين غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفعه فى اهل بيته وكان اسمه اسير الله فى ارضه

او الى اسفل سافلين وهو النار وقيل هو ارذل العمر فيكون (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) منقطعا (فلهم اجر غير ممنون) لاينقطع اولا يمن به عليهم وهو على الاول حكم مرتب على الاستثناء مقرر له

فاذا بلغ ارذل العمر كيلا يعلم من بعد علم شيئا كتب الله له مثل ما كان يعمل فى يوم صحته من الخير وان عمل سيئة لم تكتب عليه كذا وجدته فى بعض التفاسير ووجدته ايضا معلما على طاهر التفسير الكبير نقلا عن تفسير الثعلبى من غير تفاوت بين عبارتهما انتهى (قوله فأى شئ يكذبك يا محمد) صلى الله عليك وسلم يعنى ان ما استفهامية مرفوعة المحل على الابتداء و يكذبك خبرها والخطاب له عليه الصلاة والسلام والمعنى اى شئ ينسبك الى الكذب فيما اخبرت به من البعث والجزاء بعد هذا البيان والباء فى قوله تعالى بالدين ليست صلة للتكذيب بل هى مثلها فى قوله تعالى والذين هم به مشركون فان تقديره والذين هم بسبب الشيطان مشركون بالله فحذف بالله فكذا تقدير هذه الآية فما يكذبك بعد بسبب تكذيب الجزاء والحساب فان من كذب بالجزاء وانكره فهو مكذب لمن اخبر به لامحالة ووجه كون ما ذكر فى هذه السورة بيانا لحقية الدين حتى صح ان يفرع عليه قوله فما يكذبك بعد بالدين انه تعالى اقسم بالامور المذكوره على انه خلق الانسان المسوى من الماء المهين وحسن ظاهره و باطنه باحسن تقويم ودرجه فى مراتب الازدياد والنماء الى ان استكمل واستوى ثم نكسه ورده الى ارذل العمر و بين به كمال قدرته ليستدل به على ان من قدر على الابتداء على الوجه المذكور فهو قادر على الاعاده والجزاء ثم حقق انه عليه الصلاة والسلام غير مكذب بسبب الدين فقال على سبيل الاستفهام الانكارى اليس الله باحكم الحاكمين وانكار عدم كونه تعالى احكم الحاكمين اثبات له فيما ذكره من الخلق والرد كونه احكم الحاكمين صنعا وتدبيرا واذا ثبت القدرة والحكمة بما ذكره من البيان صح القول بامكان البعث والجزاء و بوقوع ذلك اما الامكان فبالنظر الى القدره واما الوقوع فبالنظر الى الحكمه فان عدم ذلك يقدح فى الحكمه كما قال تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وذلك انه تعالى ان كان خلقها لا لحكمة كان ذلك عبثا وهو لايجوز على الحكيم وان كان خلقها لحكمة عائدة اليه تعالى يلزم كونه مستكملا تعزه تعالى عن ذلك علوا كبيرا فتعين انه تعالى خلق ما خلق لحكمة عائدة الى الانسان وهى اثابة المطيع وعقاب العاصى وتلك الحكمة لاتظهر فى الدنيا لانها دار ابتلاء وامتحان فثبت انه لابد من دار اخرى غير هذه الدار ليثاب فيها الانسان ويجزى فالقول بوجود الاله القادر الحكيم يستلزم القطع بالقيامة والجزاء كما عرفته وان الحكيم هو المتقن للامور و يلزم بذلك كونه تام القدره كامل العلم ومن هذا شأنه كيف يستبعد عليه البعث والجزاء والمعنى اليس من فعل ذلك بالغ اتقان الامور وقيل معناه اليس الله تعالى بأقضى القاصين يحكم بينك و بين من يكذبك

(فما يكذبك) اى فاى شئ يكذبك يا محمد دلالة او نطقا (بعد بالدين) الجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل ما يعنى من وقيل الخطاب للانسان على الالتفات والمعنى فما الذى يحملك على هذا الكذب (اليس الله باحكم الحاكمين) تحقيق لما سبق والمعنى أليس الذى فعل ذلك من الخلق والرد بأحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة والجزاء على مامر مرارا * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين اعطاه الله العافية واليقين مادام حيا فاذا مات اعطاه من الاجر بعدد من قرأ هذه السوره

بالحق والعدل من قولهم حكم بينهم اذا قضى فالآية حينئذ وعيد للمكذبين
تمت سورة التين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سوره العلق مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال اكثر المفسرين هذه السورة اول ما نزل من القرءآن نزل بها جبريل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو قائم على حرا فعلمه خمس آيات من اول هذه السوره الى قوله مالم يعلم عن الزهري انه قال اخبرني عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت اول مابدئ به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الرؤيا الصادقة فكان لايرى رؤيا الاجاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء يعني العزلة فكان يأتي حرا و يمكث هناك ثم يرجع الى خديجة فجاءه ملك وهو على حرا فقال له اقرأ فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم ما انا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فرجع بها ترجف بوادره واخذته الرعدة حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فلذلك قوله تعالى اقرأ باسم ربك يعني اقرأ بعون ربك وحفظه اليك كذا في تفسير الامام ابي الليث وفيه ايضا انه عليه الصلاة والسلام لما بلغ اربعين سنة كان يسمع صوتا فيناديه يامحمد ولايرى شخصه وكان يختفي على نفسه الجنون حتى رأى جبريل عليه السلام يوما في صورته فغشي عليه فحمل الى بيت خديجة فقالوا انها زوجت مجنونا فلما افاق اخبر بذلك خديجة فجاءت الى ورقة ابن نوفل وكان يقرأ الانجيل ويفسره ثم جاءت الى عداس كان راهبا فقال ياخديجة ان له لشأنا وشأنا يظهر امره فخرج عليه الصلاة والسلام يوما الى الوادي فجاءه جبريل عليه السلام بهذه السورة وامره بان يتوضأ و يصلي به ركعتين فلما رجع دخل على خديجة وعليها الصلاة وقال جابر بن عبد الله اول ما نزل يا أيها المدثر وقيل اول ما نزل فاتحة الكتاب وقال علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه اول ما نزل من القرءآن قل تعالوا اتل ماحرم ربكم عليكم (قوله اي اقرأ القرءآن مفتتحا باسمه) يعني ان مفعول اقرأ محذوف وهو القرءآن حذف للعلم به اذ القراءة في عرف الشرع لاتستعمل الافي قراءة القرءآن وان محل باسم ربك النصب على انه حال من فاعل اقرأ والتقدير اقرأ القرءآن مفتتحا باسم ربك اومبتدئا به اي قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرأ

(سورة العلق مكية وآيها تسع عشرة)
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(اقرأ باسم ربك) اي اقرأ القرءآن مفتتحا باسمه

او مستعينا به (الذى خلق) اى الذى له الخلق او الذى خلق كل شئ ثم افرد ما هو اشرف واظهر صنعا وتدبيرا وادل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال (خلق الانسان) او الذى خلق الانسان فأبهم اولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته (من علق) جمعه لان الانسان فى معنى الجمع ولما كان اول الواجبات معرفة الله تعالى نزل اولا ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته

فالآية على هذا التوجيه تدل على انه يجب قراءة التسمية فى ابتداء كل سورة وهى حجة الامام الشافعى رحمه الله تعالى فى جهره بالتسمية فى اول كل سورة مع ما جاء من الاحاديث المروية فى هذا الباب (قوله او مستعينا به) على ان الباء للاستعانة كما فى قولك كتبت بالقلم فانه عليه الصلاة والسلام لما امر بالقراءة وتعسرت هى عليه فقال لست بقارئ قيل له اقرأ باسم ربك اى استعن باسم ربك واجعله بمنزلة الآلة فى تحصيل الذى عسر عليك فان ربك يعينك عليها بأن يوحى اليك ويعلمك مالم تكن تعلم والباء على الاول للالصاق والملابسة (قوله اى الذى له الخلق) على ان ينزل خلق منزلة اللازم فلا يقدر له مفعول بناء على ان المقصود بيان تفرده بالخلق وانه لا خالق سواه فاقتصر على المقصود ولم يتعرض لبيان متعلق الخلق يعنى الذى خلق الذى حصل منه الخلق وتفرده لا خالق سواه ووصفه تعالى بكونه متفردا بالخالقية تعليل لامره عليه الصلاة والسلام بالقراءة التى هى اصل جميع العبادات لان من تفرد بالخالقية يجب على المخلوق ان يعبده و يتذلل له (قوله او الذى خلق كل شئ) وجه ثان لعدم ذكر مفعول خلق الاول اى و يجوز ان يقدر له مفعول و يكون تعلقه به مرادا الا انه حذف قصدا للتعميم ولما ورد ان يقال لما حكم بانه تعالى خلق كل شئ فقد علم ان خلق الانسان فى جملة ما خلق فلم افرد بالذكر بعد ذلك التعميم اجاب عنه بقوله ثم افرد ما هو اشرف يعنى ان كثيرا ما يفرد ذكر الخاص بعد العام اظهارا لشرفه كما خص جبريل بالذكر بعد ذكر الملائكة للدلالة على انه لغاية شرفه صار كأنه حقيقة مفردة خارجة من عداد ما سبق ولان المقصود من توصيفه تعالى بالخالقية تعليل الامر بالقراءة التى فى معنى الامر بالعبادة فقوله الذى خلق كل شئ وان كان كافيا فى بيان كونه تعالى مستحقا للعبادة لان خالق الاشياء كلها يجب ان يعبد و يعظم الا ان الغرض لكونه تعالى خالقا للانسان بخصوصه ادل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة (قوله او الذى خلق الانسان) وجه ثالث لعدم ذكر مفعول خلق الاول اى و يجوز ان يقدر له مفعول خاص ابتداء الا انه ابهم اولا ثم فسر بقوله خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان فان هذا الاسلوب انما يكون فيما يقصد تفخيم شأنه (قوله جمعه) فان علق جمع علقة كتمر وتمرة والعلقة الدم الجامد وما لا يكون جامدا فهو المسفوح ومقابلة الجمع بالجمع تقتضى انقسام الآحاد الى الآحاد وافادة انه تعالى خلق كل فرد من افراد الانسان من علقة على حدة (قوله نزل اولا ما يدل على وجوده) فانه تعالى لما اراد ان يبعثه رسولا الى المشركين كان الظاهر ان يقال اقرأ باسم ربك الذى لا شريك له الا انه لو قيل ذلك لأبوا ان يقبلوا ذلك

(لاستحكام)

لاستحكام اعتقاد الشرك عندهم وتد برسبحانه وتعالى لاحل ان اسمعوا كلامه بان قدم لهم مادل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته حث وصف نفسه عالاسيل لهم الى انكاره فانه لايمكنهم ان ينكروا اكونهم مخلوقين من علق ولاينكروا ان ذلك الخلق لابدله من خالق ولا ان يدعوا ان ذلك الخالق هو الصنم لعلمهم بان الصنم لايخلق شيئا ومن المعلوم بداهة ان مالايخلق شيئا لايصلح الها فهذا الاسلوب يستلزم اعترافهم بوجود اله قادر حكيم فهو اسلوب لطيف في الزام المشركين ودعوتهم الى التوحيد ونظيره ما يحكى ان زفر لما بعثه ابوحنيفة الى البصرة لتقرير مذهبه فيهم فوصل اليهم وذكر أباحنيفة منعوه من ذكره اكتفاء بائمتهم واستعدائهم بهم عنه ولما لم يلتفتوا اليه ولم اسمعوا اليه رجع الى ابي حنيفة واخبره بذلك فقال له ابوحنيفة انك لم تعرف طريق التدليع لكن ارجع اليهم واذكر في المسئلة اقاويل أئمتهم ثم بين ضعفها ثم قل بعد ذلك ههنا قول آخر فاذكر قولي وحججي فاذا تمكن ذلك في قلوبهم فقل هذا قول أبي حنيفة فانهم حينئذ يستحيون فلا يردونها (قوله تكرير للمبالغة) يعني ان اقرأ الثاني تكرير للامر بالقراءة تأكيدا ومبالغة في الامر بها فيتم الكلام عند اقرأ الثاني ويكون مابعده كلاما مستأنفا بناء بان يكون وربك مبتدأ والاكرم صفته والذي مع صلته خبره وقوله علم الانسان مالم يعلم بدلا من قوله علم بالقلم لكونه بيانا له (قوله او الاول مطلق) اي امر بمطلق القراءة سواء كانت على طريق التعلم من جبريل عليه الصلاة والسلام او على طريق تكرارها لنفسه طلبا للثواب او على طريق التعليم والتدليع للامة واقرأ الثاني امر بان يقرأ للتبليغ وتعليم الامة او بان يقرأ في الصلاة (قوله ولعله لما قيل له) اشارة الى جواز ان يكون اقرأ الثاني جوابا لقوله عليه الصلاة والسلام ماانا بقارئ اي اقرأ فان ربك الاكرم يعلمك القراءة وان لم تكن قارئا الا انه على هذا ينبغي ان تكون العبارة قيل له اقرأ وربك الاكرم بدون الفاء لان قوله فقيل له على هذا التوجيه جواب لما ولاتدخل الفاء على جواب لما وليس في الكلام مايصلح ان يكون جوابا لها غيره (قوله بل هو الكريم وحده على الحقيقة) فان الكرم افادة ما ينبغي لا لعوض فان من اعطى مالاينبغي لايكون كريما ومن اعطى ما ينبغي توقعا لعوض لا يكون كريما ايضا فظهر ان الكرم مخصوص به تعالى وانه لايمكن عما يعرفه الا المحض الكرم بخلاف غيره تعالى فانه يعطي طلبا للعوض والعوض لايجب ان يكون من قبيل الاعيان بل المدح والثواب والتخلص من المذمة ونحوها كلها عوض (قوله اي الخط بالقلم) يعني مفعول علم محذوف يتعلق به قوله بالقلم وتقدير الكلام علم الخط بالقلم

(اقرأ) تكرير للمبالغة او الاول مطلق والثاني للتبليغ او في الصلاة ولعله لما قيل له اقرأ باسم ربك فقال ماانا بقارئ فقيل له اقرأ (وربك الاكرم) الزائد في الكرم على كل كريم فانه ينعم بلاعوض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة (الذي علم بالقلم) اي الخط بالقلم وقد قرئ به

ليقيده العلوم و يعلم به البعيد (علم الانسان مالم يعلم) بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الآيات فيعلمك القرآن وان لم تكن قارئاً وقد عدد سبحانه مبدأ امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله من اخس المراتب الى اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لاكرميته واشار اولا الى ما يدل على معرفته عقلا ثم نبه على ما يدل سمعا (كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه (ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى) اي رأى نفسه واستغنى مفعوله الثاني لانه بمعنى علم

وقرأ ابن الزبير كذلك (قوله لتقييده العلوم و يعلم به البعيد) بيان توجه كرمه الزائد في تعليم الكتابة بالقلم فان الغرض المسوق له الكلام بيان اكرميته تعالى والاشعار بان اشرف النعم واجلها هو العلم لان الاكرمية انما تكون بافاضة اجل الاشياء وهو العلم بحقائق الاشياء فانه اشرف المواهب وعلم الخط والكتابة والقلم وسيلة تتوسل بها الى حفظ العلوم المهمة وتقييدها فلذلك قيل العلم صيد والكتابة قيد روى ان سليمان عليه الصلاة والسلام سأل عفريتا عن الكلام فقال ريح لا يبقى قال فما قيده قال الكتابة والقلم وان كان لا ينطق الا انه يسمع اهل المشرق والمغرب فانه مادونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولاهي لما استقامت امور الدين والدنيا وصف الله تعالى نفسه اولا بوصف الربوبية ورتب عليه كونه خالقا للانسان من علق منبها على ان الخالقية لا سيما خالقية اشرف المخلوقات من دلائل الربوبية ولوازمها ثم وصفها بانه الرب الاكرم ورتب عليه تعليم الانسان الخط بالقلم وتعليمه غير ذلك مما لا يعلمه الانسان تنبيها على ان اجل المواهب واعز المطالب هو افادة الفوائد العلمية وما يؤدي الى تقييدها وضبطها لان الاكرمية انما تكون باعطاء اعز العطايا وفيه تشريف بليغ لشأن العلم فانه لو كان في جملة المطالب ما هو اشرف منه لكان ذكره اولى في مقام بيان اكرميته (قوله وقد عدد سبحانه الخ) يعني انه لا مناسبة بحسب الظاهر بين ان يصف الله تعالى نفسه بانه الذي خلق الانسان من علق و بانه الذي علم بالقلم لكنه في التحقيق في غاية الحسن وذلك لانه تعالى بين اول احوال الانسان وهو كونه علقة وهي اخس الاشياء و بين ايضا آخر امره وهو صيرورته عالما بحقائق الاشياء وقادرا متمكنا على ضبط تلك العلوم وتقييدها وعلى تعليمها و تبليغها الى اهل البلدان البعيدة وهو امتنان عظيم بنقله من اخس الاحوال الى اعز المراتب واشرفها ودليل باهر على وجود الاله الكريم وفرط قدرته وكمال حكمته وهو قوله ولما كان اول الواجبات معرفة الله تعالى نزل اولا ما يدل على وجوده الخ واشار اولا الى ما يدل على معرفته عقلا فان قوله تعالى باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق يدل دلالة عقلية على معرفته تعالى بصفات كماله من وجوب وجوده وكمال قدرته وعلمه وحكمته وقوله الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم نبه على ما يدل على معرفته تعالى سمعا فان ما حصل بنظر العقل من المعرفة عقلي وما حصل بالتعلم سمعي فان الاحكام التي لا سبيل الى معرفتها الا بالسمع هي الحاصلة بالتعلم (قوله ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه) فان الآية لما كانت مشتملة على اصول النعم

ومباديها وهو خلق الانسان من علق وعلى كمالها وغايتها وهو قوله علم الانسان مالم يعلم تضمنت جميع النعم واستلزمت معرفة المنعم وشكر نعمته ولما كان الرسول الذي بلغ هذه الآية لابد له من المرسل اليهم وهم جهال لايعرفون النعمة ولا المنعم فضلا عن القيام بشكرها ردعهم وزجرهم عماهم عليه من الكفر والجهل فقال كلا وبين ان سبب ذلك انما هو الطغيان قال مقاتل معنى طغيانه انه اذا اصاب مالا زاد فى ثيابه ومركبه وطعامه وشرابه ونحو ذلك وقال الكلبي يرتفع من منزلة الى منزلة فى اللباس والطعام (قوله وذلك) اى ولكونه بمعنى علم جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لشئ واحد فان ذلك من خصائص افعال القلوب يقال رأيتني وعلمتني ولو كانت الرؤية ههنا بمعنى الابصار لامتنع فى فعلها الجمع بين الضميرين وقوله تعالى ان رآه اصله لان رآه اى لرؤيته نفسه استغنى اى مستغنيا فكان فاعله ومفعوله ضميرين لشئ واحد فحذفت اللام كما قال انكم لتطغون ان رأيتم غناكم فمحله النصب على انه مفعول له واول السورة يدل على مدح العلم وشرفه وآخرها يدل على مذمة المال وكفى بذلك مرغبا فى الدين والعلم ومنفرا عن الدنيا والمال والظاهر ان كون الغنى سببا للطغيان انما هو فى حق المحجوبين الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون بخلاف اولى البصائر واصحاب العرفان فان عرض الدنيا لايلهيهم عن ذكر المولى وطاعته كسليمان عليه السلام فانه قد نال من الملك مالم ينله احد من العالمين مع انه لم يزدد بذلك الا تواضعا واستكانة وكان يجالس المساكين ويقول مسكين جالس مسكينا وكعبد الرحمن بن عوف فانه رضى الله تعالى عنه ماطغى مع كثرة امواله بل العاقل يعلم انه عند الغنى يكون اكثر حاجة اليه تعالى منه حال فقره لانه فى حال فقره لايتمنى الاسلامة نفسه وفى حال الغنى يتمنى سلامة نفسه وماله ومماليكه (قوله نزلت فى ابى جهل) مبنى على ماروى عن ابن عباس ومجاهد رضى الله تعالى عنهما انهما قالا هذه السورة اول مانزل الى قوله تعالى ان الى ربك الرجعى ومابعده نزل فى ابى جهل الى آخر السورة فيكون المراد من الانسان فى قوله تعالى ان الانسان ليطغى جنس الانسان وجملته ووجه ارتباط بعضها ببعض انه تعالى بين انه خلق الانسان من علق ثم بين انه رفعه من اخس المراتب الى اعز مفاخر الموجودات وهو التحلى بفضيلة العلم والعرفان ثم اشار بقوله كلا الى انه لم يشكر تلك النعمة الجليلة بل كفر وطغى اذا غناه ربه وزاده جاها ومالا ورفعه وقبح حاله ثم بين سبب كفرانه وطغيانه فقال ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ثم اكد الردع والزجر فقال ان الى ربك الرجعى على الالتفات للمبالغة فى التحذير والتهديد من عاقبة الطغيان وذهب اكثر المفسرين الى ان اول

ولذلك جاز ان يكون فاعله ومفعوله الضميرين لواحد (ان الى ربك الرجعى) الخطاب للانسان على الالتفات تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى (ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى) نزلت فى ابى جهل قال لو رأيت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له مالك فقال ان بينى وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت

ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي والدلالة على كمال عبودية المنهي (ارأيت ان كان على الهدى اوامر بالتقوى) ارايت تكرير للاول وكذا الذي في قوله (ارأيت ان كذب وتولى ألم يعلم بان الله يرى) والشرطية مفعوله الثاني وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط الثاني الواقع موقع القسيم له ولمعنى اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهي على هدى فيما ينهى عنه او آمرا بتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده او ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الصواب كما نقول ألم يعلم بأن الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله

مانزل قد انتهى عند قوله تعالى علم الانسان مالم يعلم ثم نزل باقي السورة بعد زمان مديد في حق ابي جهل لعنه الله ثم انه عليه الصلاة والسلام امر بان توضع في هذا الموضع وتضم الى آخر الآيات الخمس التي هي اول ما نزل من القرآن لان تأليف الآيات انما كان بامر الله تعالى الا ترى ان قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله آخر ما نزل عند المفسرين ثم هو مضموم الى مانزل قبله بزمان طويل وماذكره صاحب الكشاف يؤيد هذا القول وهو قوله روى ان اباجهل قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة ذهبا وفضة لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل عليه السلام فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم مافعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم ورجاء وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال ابو جهل هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال فالذي يحلف به لان رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته قال فقيل له هاهو ذاك يصلي فانطلق ليطأ على رقبته فما فجأهم الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فأتوه فقالوا له مالك يااباالحكم قال ان بيني وبينه لخندقا من نار فنزل قوله ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى قال عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده لودنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا * والهول الخوف والاجنحة اجنحة الملائكة انصرالعين اجنحتهم ولم تبصر اصحابها (قوله ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي) فانه لو قيل ينهاك بضمير الخطاب يدل لفظ العبد لدل الكلام على تقبيح النهي الا ان ايراد لفظ العبد ابلغ في تقبيح النهي لان نهي العبد عن تعظيم مولاه اقبح من نهي فرد من افراد الانسان عنه وتنكير لفظ العبد يدل على تعظيمه وكماله في العبودية فيكون نهيه عن تعظيم مولاه ابلغ من نهي عبد ماأي عبد كان فكأنه قيل ينهى اكمل الخلق في العبودية عن عبادة ربه (قوله والشرطية مفعوله الثاني) ان جعل رأيت من رؤية القلب المتعدية للمفعولين وجعل قوله الذي ينهى مفعوله الاول وجعلت الشرطية الاولى مفعوله الثاني وهي قوله ان كان على الهدى او امر بالتقوى مع جوابها المحذوف وهو قوله ألم يعلم بأن الله يرى ويطلع على احواله من كونه على هدى في نهيه عن طاعة الله تعالى وعبادته اوكونه آمرا بالتقوى فيما أمر به من عبادة الاوثان على زعمه الباطل وحذف جواب الشرط الاول اكتفاء عنه بجواب الشرط الثاني فان الشرط الثاني وهو قوله ان كذب وتولى مقابل للشرط الاول فان ذلك الناهي عن التكذيب للحق والتولي عن الصواب مقابل لكونه

على هدى فى امره وآمر بالتقوى فيما يأمر به فلما اجيب الشرط الثانى بقوله ألم يعلم بان الله يرى احواله علم ان جواب الشرط الاول من هذا القبيل ايضا وجاز ان تكون الجملة الاستفهامية وهى قوله ألم يعلم الخ جوابا للشرط كما جاز فى قولك ان اكرمتك أتكرمنى وان احسن اليك فلان هل تحسن اليه وجعل كل واحد من رأيت الثانى والثالث تكريرا للاول لاجل التأكيد وعلى هذا يجب ان يكون الخطاب فى قوله تعالى ارأيت لكل من يصلح ان يكون مخاطبا ممن له فطنة وعقل سليم اوللانسان على الالتفات كما فى قوله ان الى ربك الرجعى وهذا هو الاظهر لا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا لابى جهل لان كل واحد منهما متوسط بين المتكلم والمخاطب عبر عنه المصنف بلفظ الغيبة حيث قال عمن ينهى بعض عباد الله فان من عبارة عن الكافر الناهى والبعض عبارة عنه عليه الصلاة والسلام فكأنه تعالى جعل الثالث حاكما بين الناهي وبينه عليه الصلاة والسلام فقال اخبرنى الحكم عمن ينهى بعض عباد الله عن طاعته وزعم انه على الحق فى ذلك النهى وفى امره بعبادة الاوثان واخبرنى ايضا عمن تقول فى حقه انه على التكذيب للحق والتولى عن الدين الصحيح فما حكمك فى حقه الم تعلم بان الله يراه ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك فهو وعيد بليغ (قوله وقيل المعنى) يعنى ان الضمائر كلها للكافر الناهى الا انه قيل ضمير ينهى وكذب وتولى عبارة عن الكافر الناهى وضمير كان وامر للعبد المنهى وان قوله تعالى ارأيت كلمة تعجيب عجب الله تعالى عباده من ابى جهل فى نهيه العبد اذا صلى على ثلاثة اوجه الاول انه ينهى عبدا عن طاعة ربه والثانى ان المنهى عن الصلاة مهتد بصلاته وتعظيم ربه آمر غيره بتقوى الله تعالى بفعله والثالث ان الناهى عن الصلاة مكذب للحق متولى عنه غير قابل به والفرق بين القول الثانى والثالث مع ان ضمير ينهى وكذب وتولى فيهما للكافر وضمير كان على الهدى او امر للعبد المنهى هو ان الخطاب فى المواضع الثلاثة على القول الثانى للانسان على الالتفات وأرأيت للتعجب وعلى القول الثالث يكون الخطاب الاول له عليه الصلاة والسلام والخطاب الثانى للكافر الناهى خاطبه توبيخا له على قبح فعله ولما ورد على القولين الاخيرين ان يقال لم ذكر الامر بالتقوى بعد ارأيت الثانى على تقدير ان لا يكون تكريرا للاول بل يكون للتعجب كما فى القول الثانى او للتوبيخ كما فى القول الثالث ولم يتعرض له فى النهى اجاب عنه اولا بان الذى يشق على ابى جهل من افعاله عليه الصلاة والسلام وان كان فى حق نفسه عبادة الا انه فى حق غيره امر بالتقوى والطاعة لانه

وقيل المعنى ارأيت الذى ينهى عبدا يصلى والمنهى على الهدى آمر بالتقوى والناهى مكذب متولى فاعجب من ذا وقيل الخطاب فى الثانية مع الكافر فانه تعالى كالحاكم الذى حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى وكأنه قال يا كافر اخبرنى ان كان صلاته هدى ودعاؤه الى الله امرا بالتقوى أتنهاه ولعله ذكر الامر بالتقوى فى التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له فى النهى لان النهى كان عن الصلاة والامر فاقتصر على ذكر الصلاة لانه دعوة بالفعل اولان نهى العبد اذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة احوالها محصورة فى تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة (كلا) ردع للناهى (لئن لم ينته) عما هو فيه

(اسمعا بالناصية) لنأخذن بناصيته ولنسحبه بها الى النار والسفع القبض على الشئ وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولأسفعن وكتبته فى المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الاضافة للعلم بان المراد ناصية المذكورة (ناصية كاذبة خاطئة) بدل من الناصية وانما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هى ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطأ وهما لصاحبها على الاسناد المجازى للمبالغة

عليه الصلاة والسلام كان كل من رآه وهو فى الصلاة يرق قلبه فيميل الى الايمان والطاعة فكانت صلاته عليه الصلاة والسلام امرا بالتقوى بلسان الحال والفعل فكان النهى عن الصلاة نهيا عنها وعن الامر بالتقوى فلذلك اقتصر على ذكر الصلاة فى مقام حكاية نهيه عن الامرين جميعا لحصول المقصود به ولم يقتصر على ذكر الصلاة فى مقام التعجب من حال الناهى وفى مقام توبيخه لان التعجب من جميع قبائحه والتوبيخ على كل واحد منها ابلغ وادخل فى الذم ثم اجاب عنه ثانيا بان ما ذكر من انه كما نهى عن الصلاة نهى عن الامر بالتقوى ايضا فلم اقتصر على ذكر الصلاة انما يتوجه ان لو قيل نهى عبدا عن الصلاة فقط ولم يقل كذلك بل قيل نهى عبدا اذا صلى وليس فيه تصريح بان المنهى عنه أهو الصلاة ام غيرها فهو يتناول نهيه عن الامرين جميعا فليس فى الكلام اقتصار على ذكر النهى عن الصلاة فقط بل عدم ذكر المفعول به غير الصريح لينهى يدل على ارادة العموم اى ينهى عن عامة افعاله المحصورة فى تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة وهذه الآية وان نزلت فى حق ابى جهل لكن كل من نهى عن طاعة الله تعالى يشاركه فيما يتعلق به من الذم والوعيد حتى روى عن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه انه رأى فى المصلى اقواما يصلون قبل صلاة العيد فقال ما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل ذلك فقيل له ألا تنهاهم فقال اخشى ان ادخل فى وعيد قوله تعالى أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى فلم يصرح بالنهى عن الصلاة احتياطا واخذ ابو حنيفة هذا الادب الجميل حين قال له ابو يوسف رحمهما الله أيقول المصلى حين يرفع رأسه من الركوع اللهم اغفر لى حيث قال له يقول ربنا لك الحمد ويسجد ولم يصرح بالنهى احتياطا عن ان يقول ذلك (قوله ولنسحبنه بها الى النار) وذلك فى الآخرة ويحتمل ان يكون المراد من هذا السفع سحبه على وجهه فى الدنيا يوم بدر وتكون الآية بشارة بانه تعالى يمكن المسلمين من ناصيته حتى يجروه على وجهه اذا عاد الى النهى فلما عاد اليه مكنهم الله تعالى من ناصيته يوم بدر روى انه لما نزلت سورة الرحمن علم القرآن قال عليه الصلاة والسلام من يقرأها على رؤس قريش فتثاقلوا فقام ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وقال انا فأجلسه عليه الصلاة والسلام ثم قال ذلك ثانيا فلم يقم الا ابن مسعود ثم ثالثا الى ان اذن له وكان عليه السلام يبقى عليه لما كان يعلم من ضعفه وصغر جثته ثم انه وصل اليهم فرآهم مجتمعين حول الكعبة فافتتح قراءة السورة فقام ابو جهل فلطمه فانشقت اذنه وأدماها فانصرف وعينه تدمع فلما رآه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رق قلبه واطرق رأسه مغموما فاذا

جبريل عليه السلام جاء ضاحكا مستبشرا فقال ياجبريل أتضحك وبكى ابن
مسعود فقال سيعلم فلما ظفر المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود أن يكون له حظ
في الجهاد فقال له عليه السلام خذ رمحك والتمس في الجرحى من كان به رمق
فاقتله فانك تنال به ثواب المجاهدين فاخذ يطالع القتلى فاذا ابو جهل مصروع
يخور فخاف ان يكون به قوة فيؤذيه فوضع الرمح على منخره من بعيد فطعنه
ولعل هذا معنى قوله سنسمه على الخرطوم ثم لما عرف عجزه لم يقدر ان يصعد
على صدره لضعفه فارتقى عليه بحيلة فلما رآه ابو جهل قال يارويعي الغنم
لقد ارتقيت مرتقى صعبا فقال ابن مسعود الاسلام يعلو ولا يعلى عليه فقال له
ابو جهل بلغ صاحبك انه لم يكن احد أبغض الي منه في حال مماتي فروي انه
عليه الصلاة والسلام لما سمع ذلك قال فرعوني اشد من فرعون موسى
عليه الصلاة والسلام فانه قال آمنت وهذا قد زاد عتوا ثم قال اللعين لابن مسعود
اقطع بسيفي هذا لانه احد وأقطع فلما قطع رأسه لم يقدر على حمله فشق اذنه
وجعل الخيط فيهما وجعل يجره الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وجبريل بين يديه يضحك ويقول يامحمد اذن باذن لكن الرأس ههنا مع الاذن
واللام في قوله تعالى لئن لم ينته لام توطئة القسم والقسم بعدها مضمر اي لئن لم ينته
والله لنسفعن والجمهور على تخفيف هذه النون والوقف عليها بالالف لانفتاح
ماقبلها تشبيها لها بالتنوين المنصوب وقد كتبت في مصحف عثمان رضي الله تعالى
عنه بالالف على حكم الوقف واللام في قوله بالناصية بدل من الاضافة اي
لنسفعن بناصيته اكتفاء بلام العهد عنها للعلم بان المراد ناصية المذكور ثم
وصفها بانها ناصية كاذبة قولا خاطئة فعلا ووصفها بالكذب والخطأ على الاسناد
المجازي لانهما في الحقيقة لصاحبها وقوله ناصية بدل من الناصية وجاز
ابدالها من المعرفة وهي نكرة لانها وصفت بقوله كاذبة والنكرة الغير
الموصوفة لا تبدل من المعرفة لئلا يلزم كون المقصود بالنسبة انقص دلالة
على الذات المراد بالنسبة من غير المقصود وكل واحدة من قرآتي رفع ناصية
ونصبها مبنية على الشتم والذم قال ابن الحاجب سئلت لم جمع بين الناصية
وبين ناصية كاذبة خاطئة وهلا اقتصر على احداهما فاجبت بان الاولى
ذكرت للتنصيص على ناصية الناهي بناء على ان اللام فيها للعهد والثانية
ذكرت للنسبة على علة السفع لتشمل بظاهرها كل ناصية هذه صفتها (قوله
اي اهل ناديه) قدر المضاف لان نفس المجلس والمكان لايدعى (قوله ينتدي
فيه القوم) اي يجتمع ومنه دار الندوة بمكة كانوا يجتمعون فيها للتشاور ولا يسمى
المكان ناديا حتى يكون فيه اهله والشرط جمع شرطة بالسكون والحركة

(فليدع ناديه) اي اهل
ناديه ليعينوه وهو المجلس
الذي ينتدي فيه القوم
روي ان ابا جهل مر
برسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وهو يصلي
فقال الم انهك فاغلظ له
رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فقال أتهددني
وانا اكثر اهل الوادي
ناديا فنزلت (سندع
الزبانية) ليجروه الى النار
وهي في الاصل الشرط
واحدها زبنية كعفرية
من الزبن وهو الدفع

وهم كبار الجند واول كتيبة تحضر الحرب من الشرط وهو العلامة وسموا شرطا لانهم جعلوا لانفسهم علامة يعرفون بها (قوله اوزنى على النسبة) اى على انه بياء النسبة الى الزبن وهو الدفع وجمع على زبانى ثم غير هذا اللفظ الى زبانية بان عوضت تاء التأنيث عن احدى اليائين بعد حذفها كالاشاعثة فى جمع اشعثى وبالجملة فالمراد بالزبانية ملائكة العذاب وهم خزنة جهنم أرجلهم فى الارض ورؤسهم فى السماء سموا زبانية لانهم يزبنون الكفار اى يدفعونهم فى جهنم وحذف الواو من سندع فى الامام اتباعا للخط باللفظ فان الواو لما سقطت فى اللفظ لاجتماع الساكنين سقطت فى الخط ايضا اتباعا والمعنى ليفعل ما خطر ببالِه من دعوة اهل ناديه واستعانته بهم فى مناصبته عليه الصلاة والسلام فانه ان فعل ذلك فنحن ندعو الزبانية الذين لا طاقة لاهل ناديه وقومه بهم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لو دعا اهل ناديه لاخذته الزبانية من ساعته عيانا وقيل بل هذا اخبار بان الزبانية يجرونه فى الاخرة الى النار وكلمة ما فى قوله عليه الصلاة والسلام اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد مصدرية واقرب مبتدأ حذف خبره ويكون من كان التامة اى اقرب وجود العبد الى ربه حاصل وقت سجوده فانه قد تقرر فى علم النحو انه يجب حذف خبر المبتدأ اذا كان المبتدأ افعل التفضيل مضافا الى مصدر مذكور بعده الحال او الظرف مثل اكثر شربى السويق ملتوتا واخطب ما يكون الامير قائما والظرف فى معنى الحال

(سورة القدر قيل انها اول سورة نزلت بالمدينة وقيل انها مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله بالساهة) الساهة الشهيرة فى رفعة القدر وكمال الشرف وكونها كذلك قائم مقام سبق ذكرها صرح بما فصح ارجاع الضمير اليها يقال شئ نبه ونبيه اى مشهور ونبه الرجل بالضم نباهة اى شرف واشتهر (قوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر) اى ما غاية فضلها ومنتهى علو قدرها ثم بين له ذلك بقوله ليلة القدر خير من الف شهر قال مجاهد قيامها والعمل فيها من قيام ألف شهر ليس فيه ليلة القدر وذلك لان الاوقات انما يفضل بعضها على بعض بما يكون فيه من الخير والنفع فلما جعل الله تعالى الخير الكثير فى ليلة القدر كانت خيرا من الف شهر لايكون فيها من الخير والبركة ما يكون فى هذه الليلة (قوله وانزاله فيها) جواب عما يقال القرآن انلم ينزل جملة واحدة فى وقت واحد بل انزل نجما مفرقا فى ثلاث وعشرين سنة فما

واثبت انت على طاعتك (واسجد) ودم على سجودك (واقترب) وتقرب الى ربك وفى الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد ﷺ عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة العلق اعطى من الاجر كانما قرأ المفصل كله

(سورة القدر مختلف فيها وآيها خمس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا انزلناه فى ليلة القدر) الضمير للقرآن فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بان اسند انزاله اليه وعظم الوقت الذى انزل فيه بقوله (وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر) وانزاله فيها بان ابتدأ انزاله فيها او انزله جملة من اللوح الى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبريل ينزله على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين سنة وقيل المعنى انزلناه فى فضلها وهى فى أوتار العشر الاواخر من شهر رمضان ولعلها السابعة منها والداعى الى اخفائها ان يحيى من يريدها ليالى كثيرة (وخصه)

وجه قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر واجاب عنه بثلاثة اوجه الاول ان المراد ابتدأنا بانزاله على طريق التعظيم و التعريق فى ليلة القدر بناء على ان البعثة كانت فى رمضان والثانى ان السؤال انما يرد ان لو كان المراد انزاله الى الارض والى الرسول عليه الصلاة والسلام فانه الذى كان منجما فى ثلاث وعشرين سنة وليس المراد ذلك بل المراد والله اعلم ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان جبرائيل عليه الصلاة والسلام نزل به جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ على السفرة عليهم الصلاة والسلام وهم الملائكة فى سماء الدنيا ثم كان ينزله على النبى عليه الصلاة والسلام منجما مفرقا على حسب المصالح فى ثلاث وعشرين سنة والثالث ان السؤال انما يرد ان لو كان ليلة القدر ظرفا لنفس الانزال على معنى ان الانزال وقع فى ذلك الزمان المعين وليس كذلك بل المعنى انا انزلناه فى حق فضل ليلة القدر و بيان شرفها وقدرها وهذا المعنى لا ينافى كون الانزال مفرقا فى ثلاث و عشرين سنة واختلف فى تعيين ليلة القدر بعد اختلافهم فى انها هل هى باقية تتكرر فى كل سنة او انها كانت على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم رفعت وانقطعت فمن قال ان فضلها كان لنزول القرآن فيها يقول انها كانت مرة ثم انقطعت قال الامام النسفى رحمه الله تعالى قول من قال انها رفعت بعد وفاة النبى عليه الصلاة والسلام قول مردود والجمهور على انها باقية ثم اختلفوا هل هى مختصة برمضان اولا فعن ابى حنيفة رحمه الله تعالى انها غير مختصة برمضان بل هى تدور فى كل السنة و به قال بعضهم حتى روى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه قال من يقم الحول يصبها وقال عكرمة المراد بليلة القدر ليلة البركة المذكورة فى قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة مباركة وهى ليلة النصف من شعبان والجمهور على انها مختصة برمضان لقوله تعالى شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن مع قوله انا انزلناه فى ليلة القدر فوجب ان تكون ليلة القدر فى رمضان لئلا يلزم التناقض ثم قيل انها تدور فى ليالى شهر رمضان مرة تكون فى العشر الاول وتارة فى العشر الاوسط واخرى فى العشر الآخر وهى اشهر الروايتين عن ابى حنيفة رحمه الله تعالى وذهب صاحباه الى انها تدور فى العشر الآخر من شهر رمضان استدلالا بما روى ابو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال سئل اى ليلة هى فقال التمسوها فى العشر الاواخر من رمضان فاطلبوها فى كل وتر فى احدى وعشرين اوثلاث وعشرين اوخمس وعشرين اوسبع وعشرين اوتسع وعشرين وذهب اكثر العلماء الى انها ليلة السابع

والعشرين وذكروا فيه كرامات منها ان هذه السورة ثلاثون كلمة وشهر رمضان ثلاثون يوما والكلمة السابعة والعشرون منها هي لفظ هي وتلك اشارة اليها ومنها ان ليلة القدر تسعة احرف وذكرها الله تعالى في هذه السورة ثلاث مرات فيبلغ عدد حروفها سبعة وعشرين ففيه اشارة الى انها هي الليلة السابعة والعشرون ومنها انه كان لعثمان بن ابي العاص غلام فقال يا مولاي ان البحر يعذب ماؤه ليلة واحدة من الشهر قال اذا كانت تلك الليلة فأعلمني فاذا هي السابعة والعشرون من رمضان وقال عبيد بن عمير كنت في السابع والعشرين من رمضان في البحر فاخذت من مائه فوجدته عذبا سلسبيلا وقيل انها هي الليلة الاخيرة من رمضان واسند لا لا بقوله عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى في كل ليلة من رمضان عند الافطار الف الف عتيق من النار كلهم استوجبوا العذاب فاذا كان آخر ليلة من شهر رمضان اعتق الله تعالى في ذلك اليوم بعدد من اعتق من اول الشهر الى آخره وقيل انها الليلة الاولى من رمضان لما روي ان صحف ابراهيم عليه الصلاة والسلام انزلت في الليلة الاولى من رمضان والتوراة انزلت لست ليال مضين من رمضان بعد صحف ابراهيم بسبعمائة سنة وانزل الزبور على داود لثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان بعد التوراة بخمسمائة عام وانزل الانجيل على عيسى لثماني عشرة ليلة خلت من رمضان بعد الزبور بستمائة عام وعشرين عاما وقيل كان جبريل عليه الصلاة والسلام ينزل من القرآن ليلة القدر من بيت العزة الى السماء السابعة قدر ما ينزل به على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في السنة كلها الى مثلها من القابل حتى نزل القرآن كلها في ليلة القدر (قوله وتسميتها بذلك لشرفها) اي على سائر الليالي على ان القدر بمعنى العظمة والشرف من قولهم لفلان قدر عندفلان اي منزلة وشرف ثم ان شرفها يحتمل ان يكون راجعا الى العامل فيها على معنى ان من اتى فيها بالطاعة صار ذا قدر وشرف ويحتمل ان يرجع الى نفس العمل على معنى ان الطاعة الواقعة فيها لها قدر وشرف زائد على شرف ما وقع في سائر الليالي (قوله اولتقدير الامور فيها) عن الواحدي ان القدر في اللغة بمعنى التقدير وهو جعل الشئ على مقدار معين من غير زيادة ولا نقصان وقال سميت بها لانها الليلة تقدير الامور والاحكام لما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال ان الله تعالى قدر فيها كل ما يكون في تلك السنة من مطر ورزق واحياء واماتة الى مثل هذه الليلة من السنة الآتية وسلمه الى مدبرات الامور من الملائكة وهم اسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبرائيل عليهم الصلاة والسلام ونظيره قوله تعالى فيها يفرق

وتسميتها بذلك لشرفها اولتقدير الامور فيها كقوله فيها يفرق كل امر حكيم

كل امر حكيم واعلم ان تقدير الله تعالى لا يحدث فى تلك الليلة فانه تعالى قدر المقادير قبل خلق السموات والارض فى الازل بل المراد اظهار تلك المقادير للملائكة فى تلك الليلة بان يكتبها فى اللوح المحفوظ وهذا القول اختيار عامة العلماء قيل للحسين ابن الفضل اليس قد قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارض قال نعم قيل فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر (قوله وذكر الالف اما للتكثير) فان العرب تذكر الالف ولا تريد حقيقتها وانما تريد المبالغة فى الكثرة كما فى قوله تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة واما لما روى انه ذكر لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجل من بنى اسرائيل حمل السلاح على عاتقه فى سبيل الله الف شهر وهى ثلاث وثمانون سنة واربعة اشهر فتعجب لذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عجبا شديدا وتمنى ان يكون ذلك فى امته فقال يارب جعلت امتى اقصر الامم اعمارا واقلها اعمالا فاعطاه الله ليلة القدر فقال ليلة القدر خير من الف شهر الذى حمل الاسرائيلى فيها السلاح فى سبيل الله لك ولامتك من بعد ذلك الى يوم القيامة فى كل رمضان وقيل كان الرجل فيما مضى لا يقال له عابد حتى يعبد الله الف شهر فأعطوا ليلة القدر ان احيوها كانوا احق بان يسموا عبادا من اولئك العباد (قوله تعالى والروح فيها) يجوز ان يكون جملة اسمية فى محل النصب على انه حال من فاعل تنزل وضمير فيها للملائكة ويجوز ان يكون الروح مرفوعا بالعطف على الملائكة ويكون فيها متعلقا بقوله تنزل وضمير فيها لليلة (قوله بيان لما له فضلت على الف شهر) يعنى ان قوله تنزل الملائكة جملة مستأنفة لبيان كونها خيرا من الف شهر كانه قيل لم ارتقى فضلها الى هذه الغاية فاجيب بان ذلك لما يوجد فيها من تنزل الملائكة فيها ومعهم جبريل عليه الصلاة والسلام بالرحمة من الله والسلام على اوليائه فيسلمون على كل عبد قائم او قاعد يذكر الله تعالى وهذا غير ما ذكره مجاهد فى بيان كونها خيرا من الف شهر الا ان يقال انهم انما ينزلون الى الارض رأفة ورحمة للمؤمنين والمؤمنات لا تبقى بقعة من الارض الا وعليها ملك ساجدا وقائما يدعو ويستغفر للمؤمنين والمؤمنات وظاهر ان من يشفع له الملائكة بالدعاء والاستغفار ينال من الخير ما لا ينال بعبادته فى الف شهر فيؤول الى ما ذكره مجاهد روى عنه عليه الصلاة والسلام انهم ينزلون يسلمون عليها ويستغفرون لها فمن اصابته التسليمة غفر له ذنبه وعن كعب ان سدرة المنتهى فيها ملائكة لا يعلم عددهم الا الله يعبدون الله ومقام جبريل فى وسطها ليس فيها ملك الا وقد اعطى الرأفة والرحمة للمؤمنين ينزلون مع جبريل

وذكر الالف اما للتكثير او لما روى انه عليه الصلاة والسلام ذكر اسرائيليا لبس السلاح فى سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم اعمالهم فأعطوا ليلة هى خير من مدة ذلك الغازى (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم) بيان لما له فضلت على الف شهر

ليلة القدر ولا تبقى بقعة من الارض الا وعليها ملك ساجدا وقائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات وجبريل لايدع احدا من الناس ممن يقوم فيها الا ويصافحه وعلامة ذلك ان يقشعر جلده ويرق قلبه وتدمع عيناه فان ذلك من علامة مصافحة جبريل عليه السلام فان نظر الملائكة الى الارواح ونظر البشر الى الاشباح فكما ان البشر اذا رأوا صورة حسنة قبلوها ومالوا اليها فكذا الملائكة اذا رأوا في ارواح المؤمنين صورة حسنة وهي معرفة الله تعالى وطاعته احبوهم ورغبوا في زيارتهم ولقاءهم لكنهم كانوا ينتظرون الاذن كما قال الله تعالى عنهم وما نتنزل الا بامر ربك وقال تعالى في هذه الآية باذن ربهم فانه يدل على انهم استأذنوا اولا فاذنوا وذكر في الروح اقوال احدها انه ملك عظيم لو التقم السموات والارض كانت كلها لقمة واحدة له وفي التيسير ينزل الروح في تلك الليلة وهو ملك من تحت العرش رجلاه في تخوم الارض السابعة ورأسه تحت عرش الملك الجبار وله الف رأس كل رأس اعظم من الدنيا وفي كل رأس الف وجه وفي كل وجه الف فم وفي كل فم الف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان الف نوع من التسبيح والتحميد لكل لسان لغة لاتشبه الاخرى فاذا فتح افواهه بالتسبيح خرت ملائكة اهل السموات السبع سجدا مخافة ان يحرقهم نورا فواهه وانما يسبح الله غدوة وعشية فينزل تلك الليلة فيستغفر للصائمين والصائمات من امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بتلك الافواه كلها الى طلوع الفجر وقيل انه طائفة من الملائكة لايراهم الملائكة الا ليلة القدر كالزهاد الذين لانراهم الا يوم العيد وقيل انه خلق من خلق الله تعالى يأكلون ويلبسون ليسوا من الملائكة ولا من الانس ولعلهم خدم اهل الجنة وقيل يحتمل انه هو عيسى عليه الصلاة والسلام لانه ينزل في موافقة الملائكة ليطالع امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انه القرءآن لقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل انه الرحمة لماقرئ ولاتيأسوا من روح الله بالضم كانه تعالى يقول الملائكة ينزلون ورحمتي تنزل في اثرهم فيجدون سعادة الدنيا وسعادة الآخرة والاصح ان الروح ههنا جبريل وتخصيصه بالذكر لزيادة شرفه (قوله وتنزلهم الى الارض) هو الاظهر لان الاحاديث دلت على ان الملائكة ينزلون في سائر الايام الى مجالس الذكر والدين فلأن يحصل ذلك في هذه الليلة مع علو شأنها اولى ولان مطلق النزول لايفهم منه الا النزول من السماء الى الارض وقيل ان الملائكة بأسرهم ينزلون الى السماء الدنيا في ليلة القدر فان قيل كل واحدة من السموات مملوءة باسرها من الملائكة بحيث لايوجد في واحدة منها موضع قدم يخلو من ملك فكيف يسع جميع ملائكة السموات والارض او السماء الدنيا قلنا انما يرد ماذكرت لو كان نزولهم على

وتنزلهم الى الارض او السماء الدنيا او تقربهم الى المؤمنين (من كل امر) من اجل كل امر قدر في تلك السنة وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان

سبيل الاجتماع وليس بلازم لما روى انهم ينزلون فوجا فوجا ينزل بعضهم ويصعد آخرون كأهل الحج فانهم على كثرتهم يدخلون الكعبة ومواضع النسك باسرهم لكن الناس بين داخل وخارج ولهذا السبب مدت الى غاية طلوع الفجر ولذلك ايضا ذكر لفظ تنزل ليفيد التدريج مدة بعد مدة (قوله ماهي الاسلامة) اشارة الى ان قوله هي مبتدأ وسلام خبره ومعناه السلامة وقدم الخبر ليفيد الحصر كما في تميمي انا اى لايحدث فيها داء ولاشئ من الشرور والآفات كالرياح والصواعق ونحو ذلك مما يخاف منه بل كل ما نزل فيها اما هو سلامة وخير وفي الحديث ان الشيطان لايخرج في هذه الليلة حتى يضئ فجرها والليلة ليست نفس السلامة بل ظرف لها ومع ذلك وصفت بالسلامة على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة ثم اشار الى جواز ان يكون سلام اسما بمعنى التسليم والمعنى ان ليلة القدر من غروب الشمس الى طلوع الفجر سلام اى تسلم فيها الملائكة على اهل الطاعة (قوله من اجل كل امر قدر في تلك السنة) اى من خير وشر اوبما فيه صلاح المكلف في دينه ودنياه والظاهر ان هذا الاحتمال مبني على ان يكون المراد بالليلة المباركة في قوله تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة ليلة القدر وسميت مباركة لما فيها من البركة والمغفرة للمؤمنين لانه ان كان المراد بها ليلة النصف من شعبان كما ذهب اليه الاكثرون فلا يظهر ان يكون وجه تسميتها بليلة القدر تقدير الامور لانه يستلزم ان يكون تقدير الاعمال والارزاق والآجال والمصائب وغيرها واقعا في ليلة القدر وفي ليلة النصف من شعبان اما الاول فلقوله وتسميتها بذلك لتقدير الامور فيها واما الثاني فلقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم فان ضمير فيها يرجع الى الليلة المباركة وقد فسرت بليلة النصف وكون كل واحدة من الليلتين ليلة القدر لايخلو عن بعد الا ان قال ههنا ثلاثة امور الاول نفس تقدير الامور والاحكام اى تعيين مقاديرها واوقاتها وذلك في الازل قبل ان يخلق الله السموات والارض والثاني اظهار تلك المقادير للملائكة بان تكتب في اللوح المحفوظ وذلك يكون في ليلة النصف والثالث اثبات تلك المقادير في النسخ وتسليمها الى اربابها من المدبرات فتدفع نسخة الارزاق والنباتات والامطار الى ميكائيل ونسخة الريح والجنود والزلازل والصواعق والخسف الى جبرائيل ونسخة الاعمال الى اسرافيل صاحب سماء الدنيا ونسخة المصائب الى ملك الموت وقيل تقدر في ليلة البراءة الآجال والارزاق وفي ليلة القدر تقدر الامور التي فيها الخير والبركة والسلامة وقيل تقدر في ليلة القدر ما يتعلق به اعزاز الدين ومافيه النفع العظيم للمسلمين واما ليلة البراءة فيكتب فيها اسماء من يموت وتسلم الى ملك الموت (قوله على

(سلام هي) اى ماهي الاسلامة اى لايقدر الله فيها الا السلامة ويقضي في غيرها السلامة والبلاء او ماهي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين (حتى مطلع الفجر) اى وقت مطلعه اى طلوعه وقرأ الكسائي بالكسر على

انه كالمرجع) اى على انه مصدر ميمى على خلاف القياس فان قياس المصدر الميمى من الثلاثى ان يجئ على مفعل بفتح العين وكذا اذا كان اسم زمان فان كسر عينه مخالف للقياس لان قياس اسم الزمان من يفعل و يفعل بفتح العين وضمها ان يكون على مفعل بفتح العين ومايكون سواء حمل على المصدر او اسم الزمان ولا معنى لكون مطلع الفجر اسم مكان وهو ظاهر و يفهم من تقرير المصنف ان قوله تعالى من كل امر متعلق بقوله تنزل اى تنزل من اجل كل امر قضاه الله تعالى لتلك السنة الى قابل من عمل ورزق وحيات وموت اومن اجل كل امر من الخير والبركة وقيل تم الكلام عند قوله باذن ربهم ثم ابتدئ فقيل من كل امر سلام هى اى من كل امر مخوف سلامة هى حتى مطلع الفجر اى هى الى وقت طلوع الفجر * تمت سورة القدر بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق * عن النبى عليه الصلاه والسلام من قرأ سوره القدر اعطى من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليله القدر

(سورة البينة)

(سوره البينة مختلف فيها وآيها ثمان)

* بسم الله الرحمن الرحيم *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب) اى اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد فى صفات الله فى

(قوله فانهم كفروا بالالحاد فى صفات الله تعالى) بيان لوجه توصيفه تعالى اهل الكتاب بالكفر قبل بعثة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك ان طريق الكفر غير منحصر فى انكار الدين الناسخ وتكذيبه بل قد يكون به مثل كفر اليهود وتكذيب عيسى عليه الصلاة والسلام وانكار دينه وقد يكون بانكار حكم من احكام اصل الدين والعدول فيه عن الحق مثل كفر النصارى قبل بعثة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالالحاد فى صفات الله تعالى والعدول فيها عن الحق والصواب كما قالوا فى صفة العلم انها اقوم من الاقانيم الثلاثه انتقلت الى بدن عيسى عليه الصلاه والسلام ونحو ذلك فان عامة النصارى مثلثة وعامة اليهود مشبهة يقولون عزير ابن الله كما تقول النصارى المسيح ابن الله واشتراك الجمع فى تحريف كتاب الله تعالى ودينه وسائر مايوجب الكفر قبل بعثة سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل المراد من الكفر ههنا هو الكفر بنبينا والمعنى لم يكن الذين كفروا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم منفكين من اليهود والنصارى الذين هم اهل الكتاب ولم يكن المشركون من العرب وغيرهم وهم الذين ليس لهم كتاب منفكين اى منفصلين زائلين وفيه انه يبعد ان يقال لم يكن الذين كفروا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم منفكين عما هم عليه حتى يأتيهم محمد ولا وجه للكفر عن

ومن للتبيين (والمشركين) وعبدة الاصنام (منفكين) عما كانوا عليه من دينهم او الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول) حتى تأتيهم البينة) الرسول او القرآن فانه مبين للحق او معجزة الرسول باخلاقه والقرآن باعجازه من تحدى به (رسول من الله) بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف او مبتدأ (يتلوا صحفا مطهرة) صفته او خبره والرسول وان كان اميا لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي لها وقيل المراد جبرائيل وكون الصحف مطهرة ان الباطل لا يأتي ما فيها وانها لا يمسها الا المطهرون

لم يبعث بعد ولم يعلم خبر بعثته (قوله ومن للتبيين) لان كونها للتبعيض يستلزم ان يكون البعض من المشركين كافرا والبعض الآخر غير كافر لان تقدير الآية يكون حينئذ لم يكن الذين كفروا بعض اهل الكتاب و بعض المشركين فينبغي ان تكون للتبيين بان يذكر جنس الكفار بقوله تعالى الذين كفروا على الاجمال ثم يفصل ذلك المجمل بقوله من اهل الكتاب والمشركين اخبر الله تعالى انهم قد اتفقوا على ما كانوا عليه من دينهم او خبر الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول الى ان تأتيهم البينة وكلمة حتى تقتضي ان ينتهي الاتفاق المذكور عند اتيان البينة بان يحدث منهم الاختلاف والفرق عند اتيانها لان حكم ما بعد كلمة الغاية يكون مخالفا لحكم ما قبلها لوجوب انتهاء الحكم المذكور قبلها عند تحقق الغاية فذلك قوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة جعل كل واحد من الرسول والقرآن بينة اما لكونه حجة مبينة لنبوته عليه الصلاة والسلام باعتبار كونه معجزة فانه عليه الصلاة والسلام معجز بأخلاقه الزاكية حيث بلغ بها الى اقصى درجات الكمال واعجز الحكماء المهذبين عن ان يتشبهوا به في شيء من مكارم اخلاقه وكذا القرآن اعجز فصحاء العرب عن ان يأتوا بسورة من سوره فقوله او معجزة الرسول من اضافة الصفة الى موصوفها اي الرسول المعجز باخلاقه العظام والقرآن المعجز باعجازه من تحدى به اي باسكاته من طلب منه ان يأتي بمثله يقال فحم الصبي بفتح الحاء فيهما فحوما وفحاما اذا بكى حتى ينقطع صوته وكلمه حتى افحمته اي اسكته في خصومة او غيرها ويقال تحديته اذا باريته اي اعارضته في فعله ونازعته الغلبة (قوله بدل من البينة بنفسه) على ان يكون المراد بالبينة الرسول باعتبار كونه مبينا للحق او كونه معجزا باخلاقه (قوله او بتقدير مضاف) على تقدير ان يكون المراد بالبينة القرآن المبين للحق او المبين لنبوته عليه الصلاة والسلام باعتبار اعجازه والتقدير وحي رسول او كتاب رسول (قوله صفته او خبره) نشر على ترتيب قوله بدل من البينة او مبتدأ (قوله والرسول وان كان اميا) جواب عما يقال كيف نسب تلاوة الصحف المطهرة اليه عليه الصلاة والسلام وهو امي لا يكتب ولا يقرأ عن كتاب وانما يقرأها يوحى اليه عن ظهر القلب وتقرير الجواب انه عليه الصلاة والسلام وان كان اميا يتلو ما اوحي اليه عن ظهر القلب الا ان متلوه الذي هو القرآن لما كان مصدقا مطابقا لصحف الاولين في اصول الشرائع والاحكام صار متلوه كأنه هو صحف الاولين فعبر عن متلوه بها بطريق الاستعارة والصحف جمع صحيفة وهي ظرف المكتوب ومحله فلذلك فسره

الزمخشري بقوله قراطيس والمراد مارسم فيها وقيل المراد بقوله رسول يتلو صحفا جبريل عليه الصلاة والسلام فلا اشكال في نسبة التلاوة اليه ولم يرض به لان من اتى الكفار والمشركين هو الرسول لا جبريل عليهما الصلاة والسلام (قوله تعالى فيها كتب قيمة) جملة اسمية منصوبة المحل على انها صفة لقوله تعالى صحفا وتلك المكتوبات التي تضمنتها الصحف هو المتلو دون نفس الصحف (قوله عما كانوا عليه اوعن وعدهم) نشر على ترتيب قوله عما كانوا عليه من دينهم او الوعد وقوله بالاصرار على الكفر متعلق بالتفرق عن الوعد والمعنى وما تفرقوا عن الوعد بان الرسول الموعود اذا بعث يجتمع على تصديقه واتباع دينه بان اخلفوا الوعد وصمموا على الكفر القديم وقوله فيكون كقوله وكانوا من قبل الآية تفريع على وجه الثاني ووجه المشابهة بين الآيتين حينئذ اشتراكهما في كونهما مسوقتين لتوبيخ من كفر عن صدقه وعظم قدره قبل فان من استفتح به علمه عليه الصلاة والسلام اي طلب الفتح والظفر على اعدائه بحرمة النبي الموعود ومكانته عند ربه بان قال اللهم انصرنا عليهم بحرمة النبي الموعود ثم كفر بعد بعثته حاله مثل حال من وعد بانه عليه الصلاة والسلام اذا بعث يصدقه ويتبعه ثم كفر بعد بعثته عليه الصلاة والسلام فانه كفر عن صدقه قبل (قوله للدلالة على شناعة حالهم) فان افراد احدى الطائفتين المتفقتين على الضلالة بالذكر في مقام الذم يدل على كونها اشنع حالا من الاخرى مع ان بيان تفرق اهل الكتاب يدل على تفرق المشركين بطريق الاولى لان اهل الكتاب عالمون بحقيقة امره عليه السلام من حيث ان نعوته وبعثته عليه الصلاة والسلام مذكورة في كتبهم فاذا تفرقوا مع علمهم بحقية امره كان غير العالم بامره اولى بالتفرق (قوله اي في كتبهم بما فيها) كل واحد من حرف الجر متعلق بامر وقدر المفعول الاول للدلالة على ان المراد بالامر الامر الوارد عليهم بألسنة انبيائهم وان المعنى وما امر اهل الكتاب على لسان سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام الا بهذه الاشياء وقدر المفعول الثاني لان تعدية فعل الامر الى مفعوله الثاني بالباء دون اللام والمعنى ما امر اهل الكتاب بما امروا به في الكتابين لشيء من الامور الا لاجل ان يعبدوا الله واهل السنة وان احالوا ان يكون شيء من افعاله تعالى معللا بالغرض بناء على ان الفاعل لغرض يكون ناقصا في ذاته مستكملا بذلك الغرض تعالى الله عن ذلك الا انهم قالوا ان افعاله تعالى لابد ان تكون مغياة بالحكم والمصالح وكثيرا ما تستعمل لام الغرض في الحكمة المرتبة على الفعل تشبيها لها به في ترتبها على الفعل في الوجود وبخ الله تعالى اهل الكتاب على تعكيس الامر بان ان الحكمة الاصلية في جميع ما امروا به

(فيها كتب قيمة) مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق (وما تفرق الذين اوتوا الكتاب) عما كانوا عليه بان آمن بعضهم اوتردد في دينه اوعن وعدهم بالاصرار على الكفر (الا من بعد ماجاءتهم البينة) فيكون كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى (وما امروا) اي في كتبهم بما فيها

(في كتابهم)

في كتابهم هي العبادة المقرونة بالاخلاص ثم انهم تركوا ذلك وخالفوا حكمه وأوامره بان قال بعضهم عزير ابن الله وقال بعضهم عيسى ابن الله وقال بعضهم عيسى هو الله وقال آخرون ثالث ثلاثة وعامة اليهود مشبهة وكل ذلك شرك مخالف للتوحيد واخلاص العبادة له تعالى فجاز ان يكون الشرك من اوصاف اهل الكتاب ايضا و يكون عطف قوله تعالى والمشركين في اول السورة من قبيل عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الذات وقيل ليست اللام هنا لام الغرض بل هي صلة وان الناصبة مضمرة بعدها والتقدير وما امروا الا ان يعبدوا اى بان يعبدوا روى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه قرأ كذلك بناء على مانقل عن الفراء فانه قال العرب تجعل اللام في موضع ان بعد فعل الامر والارادة كثيرا كما في قوله تعالى يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم اى ان يطفؤا ويريد الله ليبين لكم اى ان يبين وامرنا لنسلم اى ان نسلم بمعنى بان نسلم ولم يلتفت اليه المصنف لان جعل اللام صلة واضمار ان بعدها واضمار الباء الجارة قبلها خلاف الظاهر (قوله تعالى مخلصين) حال من الفاعل في ليعبدوا وحنفاء حال ثانية منه اومن المنوى في مخلصين وفي انتصاب مخلصين على الحالية من فاعل ليعبدوا اشارة الى انه يجب تحصيل الاخلاص من ابتداء العبادة الى انتهائها والاخلاص ان يأتى بما يفعله خالصا لداعية واحدة وهى قضاء حق الربوبية ومقتضى العبودية ولايكون لغيرها من الدواعى تأثير في الحمل على ذلك الفعل وجعل جميع مايأتى به من الافعال خالصا له ان لايستثنى شأ منها لنفسه كان يطلب به الجنة او النجاة من النار فضلا عن ان يستثنى شيأ منها لغيره مثل ان يفعله رياء وسمعة واستدل بهذه الآية على انه لايجوز دفع الزكاة الى الوالدين والمولودين والعبيد والاماء لانتفاء الاخلاص في دفعها اليهم واذا كان انضمام صلة الوالدين والاولاد الى نية اصل القربة منافيا للاخلاص فكيف يبقى الاخلاص اذا انضم اليها طلب حظ نفسك وقضاء شهواتك ولهذا ذهب اهل السنة الى ان العبادة ماوجبت لكونها مفضية الى ثواب الجنة او الى النجاة من عذاب النار وانما وجبت لكون العابد عبدا والمعبود ربا ولو لم يحصل في الدين لاثواب ولاعقاب البتة بان امرنا ربنا بالعبادة لمحض العبودية ومقتضى الربوبية والعبادة عبارة عن الاتيان بالفعل المأمور به على سبيل التعظيم والتذلل له ولذلك قيل صلاة الصبى ليست بعبادة لانه لايعرف عظمة الله فلايكون فعله تعظيما له تعالى وقيل ايضا فعل اليهودى مثلا ليس بعبادة وان فعله بقصد التعظيم لربه لكون مافعله غير مأمور به (قوله مائلين عن العقائد الزائغة) قال الجوهرى اصل الحنف الميل والانقلاب والاحنف هو الذى قلبت احدى ابهامى رجليه على الاخرى

(الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) لايشركون به (حنفاء) مائلين عن العقائد الزائغة (ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) ولكنهم تحرفوا وعصوا

ومن ابي زيد الحنف انقلاب ظهر القدم حتى يصير بطنا فالاحنف هو الذي يمشي على ظهر قدميه من شقها الذي يلي خنصرها وقيل الحنف الاستقامة فقوله تعالى حنفاء اي مستقيمين وانما سمي مائل القدم احنف على سبيل التفاؤل كقولك للمريض مطبوب وللمهلكة مفازة والمصنف راعى القولين حيث اعتبر في مفهوم الحنف كل واحد من معنى الميل والاستقامة لان الميل عن العقائد الزائغة انما يكون بالاستقامة (قوله دين الملة القيمة) جعل القيمة نعتا لموصوف محذوف لئلا يلزم اضافة الموصوف الى صفته التي هي بمنزلة اضافة الشئ الى نفسه فان دين القيمة مثل صلاة الاولى ومسجد الجامع فكما انهما في تأويل صلاة الساعة الاولى ومسجد الوقت الجامع فكذا الآية في تأويل الملة القيمة او دين الشريعة القيمة او الكتب القيمة والملة والدين متحدان بالذات ومتغايران بالاعتبار فان الشريعة التي يبلغها الرسول الى الامة تسمى ملة باعتبار انها تكتب وتملى ودينا باعتبار انها تطاع فان الدين الطاعة يقال دان له اي اطاعه والدين ايضا العادة والشأن كما في قوله ❊ وهذا دينه ابدا وديني ❊ وكل واحد منهما اعم من الاسلام لانه يستعمل في الحق والباطل والاسلام لا يستعمل الا في الحق ولما كان بينهما مغايرة اعتبارية جازت اضافة احدهما الى الآخر وايضا هو من قبيل اضافة العام الى الخاص لان الملة المسمية اخص من الدين لما مر من ان الدين يستعمل في الباطل ايضا والقيمة بمعنى المستقيمة فان قام الامر بمعنى استقام يقال قام الدليل على كذا اذا ظهر واستقام وقوله تعالى وذلك اشارة الى ما امروا به وهي الاعمال الصالحة التي معظمها اقام الصلاة وايتاء الزكاة المقرونة بالاخلاص المستلزم للعلم والاعتقاد الطابق فان بعض اهل الاديان كاليهود والنصارى يتعبون انفسهم في الطاعات من غير ان يحصلوا الاعتقاد المطابق وبعضهم يحصلون الاعتقاد الحق ويهملون الاعمال وهم المرجئة الذين يقولون لا تضر المعصية مع الايمان فهو تعالى خطأ كل واحد من الفريقين في هذه الآية وبين انه لابد من كل واحد من العلم والعمل فقال وما امروا الخ ثم قال وذلك دين القيمة ثم ذكر مآل كل واحد من اهل الكتاب والمشركين ثم بين مآل اهل الحق والتوحيد الى آخر السورة (قوله اوفي الحال لاستيهم ما يوجب ذلك) فيكون من باب الاسناد المجازي حيث اسند اليهم كونهم في النار ولبسوا فيها في الحال باعتبار كونهم فيما يوجبها (قوله واشتراك الفريقين في جنس العذاب الخ) جواب عما يقال لاشك ان كفر المشركين اشد واغلظ بالنسبة الى كفر اهل الكتاب لان المشركين ينكرون التوحيد والرسالة والكتاب والبعث وما تفرع عليه واهل الكتاب يؤمنون باكثرها

(وذلك دين القيمة) دين الملة القيمة (ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها) اي يوم القيامة اوفي الحال لاستيهم ما يوجب ذلك واشتراك الفريقين في جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما في نوعه فلعله يختلف لتفاوت كفرهما

واذا كان كذلك فكيف يجوز تسويتهما فى العذاب والجواب ان الفريقين لما اشتركا فى اعظم الجنايات وهو الكفر استحقوا اعظم العقوبات وهو الخلود فى نار جهنم واشتراكهما فى جنس عذابها لا يستلزم اشتراكهما فى جميع انواعه (قوله وقرأ نافع البريئة بالهمز) على الاصل لانها فعيلة من برأ الله الخلق اى ابتدأه واخترعه وقرأ الباقون بياء مشددة بدون همزة كالنبى والذرية فان اصلهما الهمز والقراءة بالهمزة وان كانت موافقة للقياس والاصل الا ان القراءة بدون الهمزة اجود من حيث ان جمهور العرب قد استمروا على ترك الهمزة فيه وفى النبى والذرية فكانت القراءة بالهمزة كالشئ المرفوض المخالف للاستعمال وتوسيط ضمير الفصل فى قوله اولئك هم شر البرية لافادة الحصر اى شر البرية هم دون غيرهم وكيف لا وهم شر من السراق لانهم سرقوا من كتاب الله تعالى نعوت سيد المرسلين عليهم الصلاة والسلام وشر من قطاع الطريق لانهم قطعوا طريق الدين الحق على الخلق وشر من الجهال الاجلاف لان الكفر مع العلم يكون كفر عناد وهو اقبح من كفر الجهال فظهر منه ان وعيد العلماء السوء اعظم من وعيد الجهال (قوله تعالى جزاؤهم) مبتدأ خبره جنات وفى الكلام حذف مضاف اى دخول جنات وعدن ظرف للجزاء وخالدين حال وذو الحال وعامله كلاهما محذوفان لدلالة قوله جزاؤهم عليهما والتقدير يجزون بها خالدين ولا يجوز ان يكون حالا من الضمير المجرور فى قوله جزاؤهم لئلا يلزم الفصل بين المصدر ومعموله باجنبى وهو الخبر (قوله فيه مبالغات) اى فى الكلام المسوق لبيان مآل المؤمنين الموصوفين مبالغات فى اعلاء قدرهم واجلال شأنهم منها تقديم مدحهم على بيان مآلهم فان الكلام لما كان مسوقا لبيان مآل الفريقين كان الظاهر ان تقدم بيان مصيرهم على قوله اولئك هم خير البرية كما قدم بيان مصير الكفار على قوله اولئك هم شر البرية فلما عكس هذا الترتيب احتجنا الى طلب النكتة فى ذلك وكانت المبالغة المذكورة صالحة لان تكون نكتة فحكمنا بانها هى النكتة فيه ومنها جعل المثوبة الموصوفة جزاء فانه يتضمن الاعتداد بشأن ما وصفوا به من الايمان والاعمال الصالحة ومنها الحكم على ذلك الجزاء بانه من عند ربهم فانه يدل على علو قدر الجزاء وذلك يدل على علو قدر صاحبه عنده ومنها جمع جنات فانه يدل على ان لكل واحد منهم جنات كما يدل عليه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان فذكر للواحد اربع جنات وقيل انه تعالى قابل الجمع بالجمع فى قوله جزاؤهم عند ربهم جنات وهو يقتضى انقسام الآحاد

(اولئك هم شر البرية) اى الخليقة وقرأ نافع وابن ذكوان البريئة بالهمز على الاصل فى الموضعين (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن بان ما منحوا فى مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها اضافة ووصفا بما يزداد لها نعيما وتأكيد الخلود بالتأبيد (رضى الله عنهم) استئناف عما يكون لهم زيادة على جزائهم (ورضوا عنه) لانه بلغهم اقصى امانيهم (ذلك) اى المذكور من الجزاء والرضوان (لمن خشى ربه) فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير ❊ عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا

الى الآحاد فيكون لكل واحد منهم جنة واحدة لكن ادنى تلك الجنان مثل الدنيا وما فيها عشر مرات كذا روى مرفوعا ومنها تقييدها باضافة فانه يدل على انهم لا يخرجون من تلك الجنات فان العدن بمعنى الاقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به ومنها تقييدها وصفا بما يزداد لها نعيما من جرى الانهار المذكورة فى القرآن من تحتها وهى نهر الماء ونهر اللبن ونهر العسل ونهر الخمر ولعل المصنف اراد بالوصف فى قوله ووصفا بما يزداد لها نعيما الوصف المعنوى الذى هو اعم من الوصف النحوى لئلا يخرج كون تلك الجنات بالنسبة اليهم دار الخلود عن الوجوه الدالة على المبالغة فان الخلود فى الجنة خير من دخولها كان رضى الله تعالى فيها خير من الخلود فيها والله سبحانه وتعالى اعلم

(سورة الزلزلة مكية وقيل مدنية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله اضطرابها المقدر لها) لما دلت اضافة الزلزال الى الارض على اختصاصه بها وتعرفه بسببها بين معنى تعريف الاضافة بثلاثة اوجه وهى على الوجه الاول والثانى للعهد وعلى الثالث للعموم والاستغراق فان المصدر المضاف اذا لم يقصد به المعهود يحمل على العموم والمعنى اذا زلزلت جميع ما يمكن فى حقها من الزلزال وجميع ما يحتمله المحل من خصوصيات الاضطراب والمعهود على الاول الاضطراب الذى قدره الله تعالى للارض عند احدى النفختين فانه قد سبق فى علم الله تعالى وقضائه ان يحرك الارض تحريكا شديدا عند النفخة الاولى لفناء الدنيا وعند النفخة الثانية لبعث الموتى احياء من بطن الارض كما يخرج الولد من بطن امه والمعهود على الوجه الثالث هو القدر اللائق بها فى الحكمة وما تقتضيه مشيئة الله تعالى وهو الزلزال الشديد الذى ليس بعده زلزال وتكون الارض بسببه قاعا صفصفا بانكسار ما عليها من الابنية والاشجار والجبال والتلال ويصير جميع ذلك بطير الهباء المنبث حتى تمهد الارض وتتسع لاهل الموقف من الجن والانس وصفوف الملائكة فان الارض لا تصير كذلك الا بزلزال شديد ونظيره قولك اكرم التقى كرامة واهن الفاسق اهانة تريد ما يستحقانه ويليق بهما من الاكرام والاهانة والزلزال بالكسر مصدر وبالفتح اسم بمعنى المصدر وفعلال بالفتح لا يوجد فى غير المضاعف كالصلصال والقلقال الا نادرا نحو قسطال وهو الغبار (قوله من الدفائن والاموات) فان اريد بزلزال الارض اضطرابها عند النفخة الاولى يكون المراد بالاثقال الدفائن والكنوز فان الارض حينئذ تخرج جميع

(ما فيها)

(سورة الزلزلة مختلف فيها وآيها تسع)

بسم الله الرحمن الرحيم

(اذا زلزلت الارض زلزالها) اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى او الثانية او الممكن لها او اللائق بها فى الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس فى الابنية فعلال بالفتح الا فى المضاعف (واخرجت الارض اثقالها) ما فى جوفها من الدفائن والاموات جمع ثقل وهو متاع البيت

(وقال الانسان مالها) لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر فان المؤمن يعلم مالها (يومئذ تحدث اخبارها) تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها ما لاجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبها تحدث او اصل واذا منتصب بمضمر (بان ربك اوحى لها) اى تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان احدث فيها ما دلت على الاخبار او انطقها بها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها

مافيها من الكنوز فيمتلئ ظهر الارض ذهبا ولايلتفت اليه احد وان اريد به الزلزلة الواقعة عند النفخة الثانية يفسر الاثقال بالاموات وعلى التقدير ين تكون الاثقال استعارة بان شبه ما في جوف الارض من الدفائن والاموات بامتعة البيت وعبر عنه بالاثقال مجازا (قوله لما يبهرهم من امر الفظيع) اى لما يدهشهم من الامر الهائل اشار به الى ان الاستفهام في قوله ما لها للتفظيع والتهويل فان كل من رأى تلك الزلزلة بغتة سواء كان ممن آمن بالبعث او كفر به يجوز ان يقول هذا القول لما يدهمه من الهول وفرط التحير الا ان المؤمن يقول بعد ما يتدارك الامر ورجع اليه عقله وفكره هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون واما الكافر فانه يحشر اعمى كما عاش اعمى فيستمر على السكرة والحيرة وقوله مالها جملة اسمية معناها التعجب اى اى شئ حدث فيها وعرض لها حتى زلزلت هذه الزلزلة الشديدة فان التعجب لما كان عبارة عن كيفية انفعالية تعرض للانسان عند ادراك ما خفى سببه صح ان يكون السؤال عن السبب طريقا لانشاء التعجب واظهاره وكلمة اذا في قوله تعالى اذا زلزلت الارض شرطية وجوابها تحدث وهو الناصب لها عند الجمهور ويومئذ اى يومئذ زلزلت بدل من اذا (قوله تحدث الخلق) اشارة الى ان المفعول الاول لتحدث محذوف وهو الخلق واخبارها مفعوله الثاني حذف اولهما لان المقصود ذكر تحديثها الاخبار لاذكر الخلق بناء على ان السورة نازلة لبيان هول يوم القيامة فنزل قوله تعالى تحدث في حق تعلقه بمفعوله الاول منزلة اللازم ولم يقصد الا بيان تعلقه بمفعوله الثاني فانه لامدخل لذكر الخلق في بيان هوله وانما يستحق التهويل ذكر ما تحدث به الا ان الارض لكونها جمادا لا يمكن لها ان تحدث بلسان المقال وانما تحدث بلسان الحال فان الارض لما بطلت حالتها الاولى واضمحل جميع ما عليها بسبب الزلزلة دل ذلك على ان الدنيا قد انقضت مدتها وان الآخرة قد اقبلت بما فيها من البعث والحساب والجزاء فلذلك وقعت هذه الزلزلة والاخراج وهذه الدلالة قد اقيمت مقام التحديث ومنه به عنها (قوله وقيل ينطقها الله تعالى) فتشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال حافظوا على الوضوء وخير اعمالكم الصلاة لوقتها وتحفظوا من الارض فانها امكم وليس فيها احد يعمل خيرا ولا شرا الاوهي تخبر به (قوله او اصل) عطف على قوله بدل ذكر لانتصاب اذا وجهين الاول انها منصوبة بجوابها وهو تحدث ويومئذ بدل منها والعامل فيه هو العامل فيها والثاني انها منصوبة بمضمر نحو اذكر اذا زلزلت واذا زلزلت يظهر جميع احوال الخلق فيجازى كل واحد بما يستحقه فحينئذ يكون

يومئذ اصلا معمولا لتحدث طرفا له (قوله اذ يقال حدثه كذا وكذا) جواب عما يقال كيف يكون بدلا من اخبارها وهو مفعول ثان لتحدث عدى اليه الفعل بلا واسطة حرف الجر وقوله بان ربك ان جعل بدلا منه كان هو المقصود بالمعمولية وقد عدى اليه الفعل بواسطة الباء واجاب عنه بان كل واحد من الاستعمالين صحيح فعدى الفعل الى المبدل منه بنفسه والى المبدل بواسطة الحرف كانه قيل تحدث بان ربك اوحى لها بان احدث عليها احوالا دالة على انه لاي شئ زلزلها واخرجها واللام قد تستعمل بمعنى الى كما في قوله وشدها بالراسيات الثبت* اوحى لها القرار فاستقرت* ويجوز ان يكون اللام على اصل معناها اى فعلنا ذلك لاجلها فانها يوسل بذلك الى التشفي من العصاة (قوله ولعل حسنة الكافر) جواب عما يقال ان حسنات الكافر محبطة بكفره وسيئات المؤمن معفوة اما ابتداء واما بسبب اجتنابه الكبائر فمعنى الجزاء بمثاقل الذر من الخير والشر وحاصل الجواب الاول ان حسنات الكافر وان كانت محبطة بمعنى انه لا يستحق بها ثوابا الا ان ذلك لا ينافي ان يرى جزاء تلك الحسنات بان ينقص من عقاب كفره بمقدار تلك الحسنات وكذا سيئات المؤمن وان كانت معفوة بان لا يعذب بسببها الا ان ذلك لا ينافي ان يرى جزاءها بان ينقص من ثواب ايمانه وصالح اعماله بمقدار تلك السيئات وحاصل الجوابين الاخيرين ظاهر (قوله اومن الاولى) وهى التى في قوله فمن يعمل مختصة بالسعداء وهم الذين لم يعملوا سيئة قط والاشقياء هم الذين لم يعملوا حسنة اصلا وقرأ هشام باسكان هاء يره في الموضعين وصلا ووقفا والباقون في السبعة قرأوهما باشباع ضمة الهاء اى موصوله بالواو وصلا وسكونها وقفا كسائر هاء الكناية وهذه الآية ترغب رغبا في الخير ولو كان قليلا وتحذيرا من الشر والذنب وان قل فلا ينبغي للمرأ ان يتهاون في الذنب الصغير وزعم ان المرء لا يؤخذ بمثله كما لا ينبغي له ان يحتجب عن اعطاء شئ قليل بجوده وكسره انه قليل لا به ولهذا قال عليه الصلاة والسلام اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة (قوله والذرة النملة الصغيرة او الهباء) قال الكلبي الذرة اصغر النمل وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اذا وضعت راحتك على الارض اى كفك ثم رفعتها فكل واحد مما لزق بها من التراب ذرة وعلى الوجهين مثقال ذرة بمعنى زنة ذرة فان مثقال الشئ ميزانه ومثله والله سبحانه وتعالى اعلم* تمت سورة الزلزال والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

(سورة العاديات مدنية وقيل مكية)

اذ يقال حدثته كذا وكذا واللام بمعنى الى او على* اصلها اذ لها في ذلك تشفي من العصاة (يومئذ يصدر الناس) من مخارجهم من القبور الى الموقف (اشتاتا) متفرقين بحسب مراتبهم (ليروا اعمالهم) جزاء اعمالهم وقرئ بفتح الياء (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران في نقص الثواب والعقاب وقيل الآية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة اومن الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا والذرة النملة الصغيرة او الهباء* عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

(سورة والعاديات مختلف فيها وآيها احدى عشرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

(والعاديات ضبحا) اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف او بالعاديات فانها تدل بالالتزام على الضابحات او ضبحا حال بمعنى ضابحة (فالموريات قدحا) فالتي تورى النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فأورى (فالمغيرات) يغير اهلها على العدو (صبحا) اى فى وقته (فأثرن به) فهيجن بذلك الوقت (نقعا) غبارا او صياحا (فوسطن به) فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع اى ملتبسات به (جمعا) من جموع الاعداء روى انه عليه الصلاة والسلام بعث خيلا فمضى شهر لم يأته منهم خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله تعالى والعاديات) جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو المشي بسرعة والياء التي فيها منقلبة عن الواو لكسر ماقبلها لانها من العدو كالغازيات من الغزو والضبح صوت يسمع من افواه الخيل وصدورها اذا عدت وهو غير الصهيل والحمحمة وذكر لانتصاب ضبحا ثلاثة اوجه الاول انه مصدر مؤكد لفعله المحذوف اى تضبح ضبحا على تأويل العاديات بالجماعة اوتضبحن ضبحا على وفق لفظ العاديات وهذا الفعل المقدر فى موضع النصب على انه حال من العاديات والثانى انه مصدر مؤكد للعاديات لان الشرط فى عامل المفعول المطلق ان يوافقه معنى لا لفظا والتوافق المعنوى متحقق ههنا لان الضبح لكونه من لوازم العدو صار مدلولا التزاميا له فكان ذكر العاديات بمنزلة ذكر الضابحات فصح انتصاب ضبحا بها على انه مفعول مطلق لها والثالث انه مصدر فى موضع الحال من المنوى فى قوله تعالى والعاديات اى ضابحات اوذوات ضبح او على ادعاء انها فى انفسها ضبح للمبالغة كما فى رجل عدل وكذا الكلام فى انتصاب قدحا فانه يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف اى فالتى تورى النار حال كونها تقدح قدحا والقدح ضرب الحجر بالمقدحة فان الخيل تضرب بحوافرهن وسنابكهن الحجارة فيخرجن منها نارا ويجوز ان يكون مصدرا للموريات لان الايراء لكونه من لوازم القدح وتوابعه دلت الموريات على القادحات التزاما ويجوز ان يكون حالا من المنوى فى الموريات على معنى فالتى تورى النار قادحة اوذوات قدح (قوله يغير اهلها) يعنى ان اسناد المغيرات الى ضمير العاديات التى هى خيل الغزاة اسناد مجازى فان الاغارة فى اللغة هى الاسراع على العدو للظفر عليهم وهو فعل اصحاب الخيل (قوله اى فى وقته يريد ان صبحا) منصوب على انه ظرف للمغيرات وكانوا يغيرون على العدو صباحا لانهم فى الليل يكونون فى الظلمة فلا يبصرون شيأ وفى النهار يكون الاعداء متهيئين للوقعة والمحاربة واما وقت الصباح فالناس يكونون فيه على الغفلة وعدم الاستعداد فلذلك اختاروه للاغارة (قوله تعالى فأثرن) معطوف على اسم الفاعل قبله حملا على المعنى فان المعنى والخيل اللاتى عدون فأورين وأغرن فأثرن اصله فأثورن نقلت حركة الواو الى الثاء قبلها وقلبت الواو ألفا لتحركها فى الاصل وانفتاح ماقبلها الآن فصار فأثارن فحذفت الالف لالتقاء الساكنين فمعنى اثرن هيجن اولى يقال ثار الغبار اذا هاج وارتفع واثره

العادية اثر كالهن الموريات بافكارهن انوار المعارف المغيرات على الهوى والعادات اذا ظهر لهن مبدأ انوار القدس فأثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين (ان الانسان لربه لكنود) لكفور من كند النعمة كنودا او لعاص بلغة كندة او لبخيل بلغة بني مالك وهو جواب القسم (وانه على ذلك) وان الانسان على كنوده (لشهيد) يشهد على نفسه لظهور اثره عليه او ان الله على كنوده لشهيد فيكون وعيدا (وانه لحب الخير) المال من قوله تعالى ان ترك خيرا (لشديد) لبخيل اولقوى مبالغ فيه (أفلا يعلم اذا بعثر) بعث (مافي القبور) من الموتى وقرئ بحثر وبحث

اما هيجته والنقع يطلق على الغبار وعلى الصياح وهو رفع الصوت يقال نقع الصوت واستنقع اى ارتفع وضمير به يرجع الى الزمان الذى وقعت الاغارة فيه وهو الصبح والباء بمعنى فى اى فصحن فيه صياح النوائح وارتفاع اصواتهن ويجوز ان يكون ضمير به للمكان المدلول عليه بلفظ المغيرات لان الاغارة لابدلها من مكان والباء للظرفية ايضا وان يكون للعدو المدلول عليه بلفظ العاديات اى فأثرن بسبب عدوهن نقعا فالباء سببية وما اختاره المصنف اظهر الا انه جوز ان يكون ضمير وسطن به للعدو فتكون الباء سببية وان يكون للنقع لقربه ذكرا فتكون الباء متعلقة بمحذوف منصوب على الحالية من المنوى فى قوله فوسطن روى عن مقاتل انه عليه الصلاة والسلام بعث سرية الى حى من كنانة وامر عليهم المنذر بن عمرو احد النقباء فمكث ما شاء الله ان تمكث ولم يأته خبرها فقال المنافقون قتلوا جميعا فأخبر الله تعالى عنها بقوله والعاديات ضبحا الى آخرها وبين بذلك سلامتهم وانهم توسطوا فى وقت الصبح جماعة الاعداء فأغاروهم وظفروا عليهم سالمين غانمين وان المنافقين كاذبون فى قولهم انهم قتلوا جميعا فعلى هذا تكون السورة مدنية لانه عليه الصلاة والسلام لم يؤذن له فى القتال وهو بمكة وايضا الظاهر حينئذ ان يكون تعريف العاديات للعهد ويكون المقسم به خيل تلك السرية ويجوز ان يكون التعريف للجنس ويكون المقسم به كل خيل عدت فى سبيل الله بالصفات المذكورة فانها تستحق لان تقسم بها لاتصافها بتلك الصفات الشريفة (قوله العادية اثر كمالهن) اى الساعية المسارعة فى طريق الارتفاع الى درجات الكمالات الروحانية وصحبهن ماطرأ عليهن اثر بعثهن بالسعى فى مباشرة اسباب ذلك الارتقاء (قوله اذا ظهر لهن) ظرف لقوله المغيرات على الهوى اى الماحيات للرسوم البشرية والعادات الطبعية وقت ان طلع عليهم صبح العرفان وتجلى لهم انوار القدس (قوله تعالى لربه) متعلق بكنود وقدم عليه رعاية للفواصل اى انه لكنود لنعمة ربه قيل اصل الكنود منع الحق والخير والكنود الذى يمنع ما عليه والارض الكنود هى التى لاتنبت شيأ وروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال الكنود الكفور الذى يمنع رفده ويأكل وحده ويضرب عبده والمراد بالانسان الجنس والمعنى ان طبع الانسان يحمله على ذلك الا اذا عصمه الله تعالى من ذلك بلطفه ورحمته وقيل المراد به الكافر (قوله لظهور اثره عليه) يعنى ليس المراد بشهادة الانسان على نفسه بالكنود الشهادة بلسان المقال بل المراد الشهادة بلسان الحال فان آثار الكنود تظهر عليه بحيث لايمكنه ان يسلب ذلك عن نفسه فصار بذلك كأنه يشهد بذلك على نفسه ويجوز ان يكون ضمير وانه للبارى تعالى

(لكونه)

لكونه اقرب المذكورين فتكون الآية وعيدا وزجرا له عن المعصية من حيث
انه تعالى محصى عليه اعماله وعلى الاول يكون تأكيد الكنود وكفرانه ويؤيد
الاول رجوع ضمير قوله وانه لحب الخير لشديد الى الانسان اى وان الانسان
من اجل حبه المال لبخيل ممسك او انه لقوى مطيق لحب المال مبالغ فى ايثار الدنيا
وطلبها وهو فى حب الله وشكر نعمته ضعيف على ان اللام معدية لقوله لشديد
يقال هو شديد لهذا الامر اى مطيق له قوى عليه (قوله جمع محصلا فى الصحف)
يعنى ان تحصيل الشئ جعله حاصلا مجموعا فى غيره او جعله متميزا عن غيره
فتحصيل ما فى الصدور اما جمعه واثباته فى الصحف او تمييز بعضها لم ثبت فى الصدور
(قوله وتخصيصه لانه هو الاصل) جواب عما يقال لم خص اعمال القلوب بالذكر
فى قوله وحصل ما فى الصدور واهمل ذكر اعمال الجوارح واجاب عنه بان اعمال
الجوارح تابعة لاعمال القلوب فانه لولا تحقق البواعث والارادات فى القلوب لما
حصلت افعال الجوارح وذكره بدأ الشئ عبر لة ذكر نفسه (قوله اذا بعثر)
لايجوز ان يكون ظرفا لعلم لان الانسان لايراد منه العلم فى ذلك الوقت وانما يراد منه
ذلك وهو فى الدنيا فلابد ان يؤول النظم بوجه يفيد معنى اى أفلا يعلم الانسان
الآن انه تعالى عالم بجميع ما عمله سرا وجهرا من خير وشر فيجازيه على حسب
ذلك ولايجوز ايضا ان يكون ظرفا لبعثر لان المضاف اليه لايعمل فى المضاف لانه
غير له ان يعمل بعض الكلمة فى بعضها ولا لقوله لخبير لان ما بعد ان لايعمل
فيما قبلها فتعين ان يكون العامل فيه مادل عليه قوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير
اى أفلا يعلم الانسان فى الدنيا انه تعالى يجازيه اذا بعثر ومعنى علم الله تعالى بهم يوم
القيامة مجازاته لهم على مقادير اعمالهم وكسر ان فى قوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير
مع انه فى حيز مفعول يعلم لوجود اللام فى خبرها كقوله والله يعلم انك لرسوله
ومن فتح همزة ان قرأ خبير بلا لام (قوله وانما قال ما ثم قال بهم الخ)
اشارة الى جواب ما يقال عبر عن اهل القبور اولا بكلمة ما وهى فى الاغلب
لاتطلق الا على غير اولى العلم ولاتطلق على اولى العلم الا نادرا كما حكى ابو زيد
سبحان ما سخركن لنا سبحان ما يسبح الرعد بحمده وفى التنزيل وما ملكت
ايمانكم ثم انه تعالى عبر عن ضمير اهل القبور بضمير العقلاء حيث قال ان ربهم بهم
ولم يقل ان ربها بها فما الحكمة فى ذلك واجاب عنه بان ذلك لاختلاف شأنهم
فى الحالين فانهم ما داموا فى القبور اموات وجمادات فعبر عنهم فى تلك الحال
بما يعبر به عن غير العقلاء ثم انهم يوم القيامة احياء عقلاء فلذلك عبر عنهم عند
حكاية حالهم بضمير العقلاء توفية للحالين حقهما ونظير الآية قوله عليه الصلاة
والسلام ليس للنساء من الولاء الا ما اعتقن او اعتق من اعتقن الحديث فانه
عليه الصلاة والسلام عبر عن المعتق بفتح التاء بلفظ ما وعن المعتق بكسر

(وحصل) جمع محصلا
فى الصحف او ميز
(ما فى الصدور) من خير
اوشر وتخصيصه لانه
الاصل (ان ربهم بهم
يومئذ) يوم القيامة
(لخبير) عالم بما اعلنوا
وما اسروا فيجازيهم
وانما قال ما ثم قال بهم
لاختلاف شأنهم فى الحالين
وقرئ ان وخبير بلا لام
* عن النبى عليه الصلاة
والسلام من قرأ سورة
والعاديات اعطى
من الاجر عشر حسنات
بعدد من بات بالمزدلفة
وشهد جمعا

التاء ملفظ من الحاقا للرقيق الذى يتعلق به العتق بالبهائم لانه يستخدم ويحصر عن التصرف و يباع فى الاسواق كالبهائم بخلاف المعتق بكسر التاء فانه بحريته عاد الى الحالة الاصلية التى هى الانسانية فصرعه عن ﷺ تمت سورة العاديات والحمدلله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة القارعة مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القرع الضرب بشدة واعتماد ثم سميت الحادثة العظيمة قارعة قال تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة واتفقوا على ان القارعة من اسماء يوم القيامة سمى بها لان الاجرام العلوية والسفلية يصطكان اصطكاكا شديدا عند تخريب العالم فبسبب ذلك الاصطكاك سمى يوم القيامة بالقارعة اى الساعة القارعة واسند القرع اليها وهو لاهلها اسنادا مجازيا قال المصنف فى سورة الحاقة فى تفسير قوله تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة اى بالحالة التى تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتثار يعنى انه سمى زمان الحالة القارعة باسم القارعة (قوله تعالى القارعة) مبتدأ وما مبتدأ ثان والقارعة خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ووضعت القارعة موضع الضمير العائد الى المبتدأ الاول تفخيما لشأنها وافادة لزيادة التهويل وتقدير الكلام القارعة اى شئ هى ثم زادها تفخيما فقال وما ادراك ما القارعة يعنى انك لاعلم لك بكنهها لانها من العظم والشدة بحيث لاتبلغه دراية احد ولا وهمه وما فى قوله وما ادراك مبتدأ وما الثانية مبتدأ ثان والقارعة خبر الثانى والجملة فى محل النصب على انها مفعول ثان لأدرى ومفعوله الاول الكاف وادراك لايعمل فى مفعوله الثانى وهو قوله ما القارعة لتضمنه معنى الاستفهام وادرى مع مافى حيزه فى محل الرفع على انه خبر المبتدأ الاول والفراش جمع فراشة وهو ماتهافت فى النار لا والمبثوث المفرق يقال بثه اذا فرقه (قوله فى كثرتهم) لانه تعالى شبه الخلق وقت البعث بالكثير من الفراشة لان الفراش جمع فراشة ويوم منصوب بما دل عليه القارعة اى تقرع يوم يكون الناس كالفراش ولا يجوز ان يكون ظرفا للفظ القارعة المذكور اولا لاستلزامه بحلول الفاصل بين العامل الذى هو من صلة لام التعريف وبين معموله باجنبى وهو الخبر هذا على تقدير ان يكون القارعة اسم فاعل وان جعل علما للقيامة فلا تعمل ايضا ولا المذكور ثانيا وثالثا اذ لاوجه لكونه ظرفا لشئ منهما ويحتمل ان يكون معمولا لاذكر مضمرا وقيل القارعة مرفوع على انه فاعل فعل مضمر ويوم منصوب به تقديره ستقوم القارعة يوم يكون (قوله

(سورة القارعة مكية وآيها عشر)
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة) سبق بيانه فى الحاقة (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) فى كثرتهم و ذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب يوم بمضمر دلت عليه القارعة

كالصوف ذى الالوان) فان الجبال مع كونها مختلفة الالوان كما قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها اذا تفرقت اجزاؤها وانحل تركيبها تصير مشابهة للعهن وهو الصوف الملون بألوان مختلفة اذا حلج منفوشا متبدد الاجزاء (قوله فان رجحت مقادير انواع حسناته) على ان الموازين جمع موزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله وان ثقله عبارة عن رجحان مقداره على مقدار مايقابله من العمل القبيح واختار موازينه على موزونه مع ان اضافة جنس الموزون ايضا تفيد العموم للدلالة على ان المراد احاطة انواع ذلك الجنس لا احاطة نوع واحد من انواعه فان انواع الاعمال الموزونة اما ان تكون ثقيلة اى راجحة على الاعمال التى لاوزن لها ولاقدر او تكون خفيفة مرجوحة بان لا يوجد لها عمل صالح او يوجد ولكن تكون سيئاته راجحة عليه فمسكن المكلف على الاول هو الجنة وعلى الثانى هو الهاوية وقيل الموازين جمع ميزان وهو ميزان واحد له لسان وكفتان توزن به اعمال المكلفين وذكره بلفظ الجمع مع انه ميزان واحد تعظيما له الا انه لا وجه لان يراد ثقل الميزان وخفته ثقل احد كفتيه بالنسبة الى الاخرى وخفتها بالنسبة اليها مطلقا لان ثقل احد الكفتين على الاطلاق مستلزم لخفة الاخرى بالنسبة اليها وعبر قسيم لها الا ان يكون المراد بثقل الميزان وخفته ثقل كفة الحسنة بما فيها من الحسنات وخفتها عنها بان لا يكون فيها عمل صالح ولا يخفى ان جعل ثقل الميزان وخفته عبارة عن ثقل كفة الحسنة وخفتها فى قوة ان يجعل الموازين جمع موزون وان يكون ثقل الموازين عبارة عن رجحان الحسنات على السيئات فلذلك لم يلتفت المصنف الى ان يكون الموازين جمع ميزان ذكر الامام فى الكبير ان المتكلمين قالوا ان نفس الحسنات والسيئات لا يصح وزنها بل المراد ان الصحف المكتوب فيها الحسنات والسيئات توزن او يجعل النور علامة الحسنات والظلمة علامة السيئات فيوزن بالظلمة النور فمن ازداد نوره فهو فى عيشة راضية ومن ازدادت ظلمته فهو من اهل النار او تصور صحيفة الحسنات بالصورة الحسنة وصحيفة السيئات بالصورة القبيحة فيظهر بذلك الثقل والخفة وتكون الفائدة فى ذلك ظهور حال صاحب الحسنات فى الجمع العظيم فيزداد سرورا وظهور حال صاحب السيئات فيكون ذلك كالفضيحة له عند الخلائق الى هنا كلامهم وقال بعض العلماء لا توزن اعمال الكافر وانما توزن الاعمال التى بازائها الحسنات وليس للكافر حسنات لان حسناته محبطة بكفره وقيل قد ذكر الله تعالى الوزن فنؤمن به ولا نعرف كيفيته قيل قد ذكر الله تعالى من رجحت حسناته على سيئاته ومن

(وتكون الجبال كالعهن) كالصوف ذى الالوان (المنفوش) المندوف لتفرق اجزائها وتطايرها فى الجو (فاما من ثقلت موازينه) بان ترجحت مقادير انواع حسناته (فهو فى عيشة) فى عيش

(راضية) ذات رضى او مرضية (واما من خفت موازينه) بان لم يكن له حسنة يعبأ بها او ترجحت سيئاته على حسناته (فامه هاوية) فأواه النار والهاوية من اسمائها ولذلك قال (وما ادراك ماهيه نار حامية) ذات حمى * عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة

(سورة التكاثر مختلف فيها وآيها ثمان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الهاكم) شغلكم واصله الصرف الى اللهو منقول من لهى اذا غفل (التكاثر) التباهي بالكثرة (حتى زرتم المقابر) اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة المقابر روى ان عبد مناف وبني سهم تفاخروا بالكثرة

ترجحت سيئاته على حسناته ولم يذكر من تساوت حسناته مع سيئاته فلعله من اصحاب الاعراف (قوله ذات رضى) بان يرضاها صاحبها او مرضية الاول على ان البناء للنسب والثاني على ان يكون الاسناد مجازيا فان حق الرضى ان يسند الى صاحب العيشة وقد اسند الى نفس العيشة المرضية (قوله فأواه النار) على ان الهاوية من اسماء النار وان قوله تعالى فامه هاوية من قبيل التشبيه شبهت النار بالام للعصاة لكونها تهوى بهم وتضمهم الى نفسها كما تضم الام الاولاد اليها وانهم يلتجؤن اليها (قوله تعالى ماهيه) جملة اسمية سادة مسد مفعول ادراك علقت هي عنها لتضمنها معنى الاستفهام وهذه ضمير الهاوية والاصل هي دخلت الهاء عليها للسكت وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ما هي بغيرهاء على الاصل ووقفوا بالهاء فقوله نار خبر مبتدأ محذوف اي هي نار شديدة الحرارة فان بناء حامية للنسبة كبناء تامر ولابن والحمى اشتداد الحرارة يقال حمى التنور بكسر الميم اي اشتد حره وتوصيف النار بها في مقام المبالغة في بيان هولها يدل على ان سائر النيران بالنسبة اليها ليس فيها شيء من الحرارة * تم سورة القارعة والحمد لله وحده وصلى الله تعالى عليه وسلم على من لا نبي بعده

(سورة التكاثر مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله واصله الصرف الى اللهو) اراد الذي يدعو اليه اللهو والصرف الى اللهو واللعب لما كان مستلزما للشغل والاغفال عن المهم اطلق الالهاء الذي هو الصرف الى اللهو على الاغفال عن المهم كقول امرئ القيس فالهيتها عن ذي تمائم محول * فان حملها معرضة عنه من لوازم كونها مصروفة الى اللهو (قوله التباهي بالكثرة) اي بكثرة الاعداد والعشائر كما يدل عليه سبب النزول وعرف التكاثر للعهد والمعهود التكاثر في الامور الدنيوية الفانية فالآية تقريع لهم على سوء فعلهم حيث اشتغلوا بما لا ينفعهم من امر الدين والآخرة والعمل لها (قوله اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم) اي انتقلتم الى ذكر الاموات والتكاثر بهم يعني ان قوله تعالى حتى زرتم غاية لقوله الهاكم وانه عطف عليه اي شغلكم التباهي والتفاخر بكثرة الاعوان حتى انتقلتم الى ذكر الاموات بعد ان استقصيتم في ذكر الاحياء شبه الانتقال الى ذكر الموتى بزيارة القبور فعبر بها عنه تهكما بهم فان التفاخر بالمواضع التي تدفن فيها الاموات غاية الجهالة لان من فني وصار بحيث يعبر عنه بالمقبرة كيف يصلح لان يفتخر به وفي هذا التعبير ايضا تعريض لهم بانهم

عكسوا الامر من حيث ان المقصود من زيارة المقابر تذكر الموت والاعراض عن الدنيا والمباهاة بها فهو توسل بزيارتها الى المباهاة بالدنيا فقد عكس الامر وتردى في وادي الجهالة والضلالة (قوله فكثرهم سواعد مناف) اي غلبوهم بالكثرة من قولهم كاثرناهم فكثرناهم اي غلبناهم بالكثرة على ما ذكر في باب المغالبة انهم اذا ارادوا الاخبار بالغلبة في فعل نقلوا الافعال اللازمة من باب فعل بضم العين الى باب نصر وبذكرونه بعد فاعل مسندا الى الغالب فيه نحو كارمني زيد فكرمته اي غالبني في الكرم فغلبته فيه ومثله كاثرناهم فكثرناهم فلما غلب سواعد مناف على بني سهم بالكثرة قال سواسهم ان البغي اهلكنا اي ان بغي الاعداء والقتال معهم اهلكنا فعدوا مجموع احيائنا وامواتنا مع مجموع احيائكم وامواتكم ففعلوا ذلك فزاد سواسهم فنزلت الآية والمقابر جمع مقبرة ومقبرة بضم الباء وفتحها والقبور جمع قبر وهو مصدر قبرت الميت اقبره واقبره قبرا اي دفنته في المقبرة واقبرته اي امرت بان يقبر (قوله واعا حذف الملهى عنه) ضمير عنه راجع الى الالف واللام في الملهى والمعنى واعا حذف الذي الهى عنه وعلل الحذف بعلتين الاولى تعظيم الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين فان حذف الشيء قد يجعل ذريعة الى تعظيمه فان الحذف بمنزلة التنكير من حيث ان كل واحد منهما يفيد الابهام وكما ان التنكير يفيد التعظيم فكذا ماهو بمنزلته فكأنه قيل الهاكم التكاثر عن امر عظيم وهو ما يعنيكم من امر الدين والعلة الثانية المبالغة في الغرض لكل ما حقه ان يشتغل به فانه اذا لم يذكر الملهى عنه يذهب الوهم فيه كل مذهب فيدخل فيه جميع ما يناسب المقام مثل الهيكم التكاثر عن الايمان بالله تعالى وبرسوله وبجميع ما جاء به من عند ربه وعن الطاعة التي يقتضيها الايمان (قوله وقيل معناه) اي قيل ليس المراد بالتكاثر التكاثر بالقبائل والاعوان ولا بزيارة القبور الانتقال من ذكر الاحياء الى ذكر الاموات بل المعنى ألهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم فانه كثيرا ما يعبر عن الموت بزيارة القبر فيقال لمن مات زار قبره فكأنه قيل شغلكم التفاخر بكثرة الاموال والاولاد حتى ادرككم الموت وانتم على ذلك ولقائل ان يقول انها نزلت في اليهود حين قالوا نحن اكثر من بني فلان وبنو فلان اكثر من بني فلان شغلهم ذلك عن الايمان حتى ماتوا على الضلال وقرأ ابن عباس أألهاكم التكاثر ونحو ان يكون الاستفهام للتقرير وان يكون للتقريع (قوله كلا ردع) اي عما انتم عليه من التكاثر اي ليس الامر كما توهمون من ان السعادة الحقيقية منوطة بكثرة العدد والاموال والاولاد فان من مات وحده وبعث

فكثرهم بنو اعبد مناف فقال سواسهم اما البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم سواسهم واعا حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه ألهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا عما هو اهم لكم وهو السعي لاخراكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت (كلا) ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغي له ان لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة (سوف تعلمون) خطأ رأيكم اذا عاينتم ما وراءكم وهو انذار ليخافوا وينتبهوا من غفلتهم

(ثم كلا سوف تعلمون) تكرير للتأكيد وفى ثم دلالة على ان الثانى ابلغ من الاول او الاول عند الموت او فى القبر والثانى عند النشور (كلا لو تعلمون علم اليقين) اى لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اى كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره او لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتعميم ولا يجوز ان يكون قوله (لترون الجحيم) جوابا له لانه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف اكد به الوعيد واوضح به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما

وحده وحوسب وحده لا يكون سعيه للدنيا والا وحسرة عليه (قوله تكرير للتأكيد) اى لتكرير الردع والانذار المذكورين فهو ردع بعد ردع ووعيد بعد وعيد الا ان الثانى لما كان اشد من الاول وابلغ جئ بينهما بكلمة ثم (قوله اوالاول عند الموت) فى وقت ما يبشر به المحتضر من جنة اونار اوفى القبر حين سؤال منكر ونكير تقولهما من ربك ومادينك ومن نبيك والثانى عند النشور حين ينادى المنادى شقى فلان شقاوة لايسعد بعدها ابدا او حين يقال وامتازوا اليوم ايها المجرمون والظروف المذكورة فى هذا الاحتمال متعلقة بقوله سوف تعلمون كما ان قوله اذا عاينتم فى الاحتمال الاول متعلق به فيكون كل واحد منهما تأسيسا على حدة لا تكريرا للتأكيد لان كل واحد من العلمين مغاير للآخر باختلاف الزمان ثم انه تعالى كرر الردع فقال كلا لو تعلمون وتعلمون فى المواضع الثلاثة بمعنى تعرفون اشار اليه المصنف بان قدرله مفعولا واحدا وهو قوله خطأ رأيكم وقوله ما بين ايديكم (قوله علم الامر اليقين الخ) يعنى ان علم منصوب بنزع الخافض وان اليقين بمعنى الامر المتيقن به وصف الامر المذكور بانه اليقين للمبالغة فى كونه متيقنا به وقيل علم منصوب على المصدرية والاصل لو تعلمون علما يقينا فاضيف الموصوف الى صفته كما فى قوله تعالى ولدار الآخرة خير ومسجد الجامع وعلم اليقين ادراك الامر على ماهو عليه وعين اليقين مشاهدته كما هو وحق اليقين الفناء فى الحق والبقاء به علما وشهودا وحالا لاعلما فقط واتفقوا على ان جواب لو محذوف اى لو تعلمون ما بين ايديكم من الامر كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره لا التفاخر بكثرة العدد والاموال والاولاد لكنكم لا تعلمون ذلك فلذلك غفلتم عن الاستعداد والتهيئ له بالطاعة فحذف الجواب للتعميم فان الوهم حينئذ يذهب كل مذهب فيكون التهويل اعظم كأنه قيل لو علمتم علم اليقين لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال وجهلة (قوله لانه محقق الوقوع) فان قوله لترون الجحيم لو كان جوابا لو وجب ان لا يحصل لهم رؤية الجحيم وذلك باطل وذلك لان جواب لو اذا كان مثبتا يكون معنى الكلام انتفاءه لانتفاء الاول بناء على ما اشتهر من ان لو يفيد امتناع الثانى لامتناع الاول وقوله تعالى لترون الجحيم مثبت فلو جعل جواب لو لكان المعنى انكم لاترونها لكونكم جهلا لا وهو غير صحيح ومما يدل على ان قوله تعالى لترون الجحيم لا يصح ان يكون جواب لو ان قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم عطف على قوله لترون وهو اخبار عن امر كائن لا محالة ولا يحسن ان يعطف ماهو كائن لا محالة على ما لا يقع ولا يوجد قبح فى النظم ولما لم يجز كونه جواب

لو تعين كونه جواب قسم محذوف اوعدهم بذلك بعد توصيفهم بالجهل بما بين ايديهم من الامر فاللام فى لترون لام جواب القسم والقسم لتأكيد الوعيد المدلول عليه بقوله سوف تعلمون أبهم الوعيد اولا ثم فصله بقوله والله لترون الجحيم لما فى ايضاح الشئ بعد ابهامه من التفخيم والتعظيم (قوله تكرير للتأكيد) اى لتأكيد الوعيد بعد توكيده بالقسم ونون التوكيد للدلالة على ان تلك الرؤية واقعة لامحالة شاؤا اوأبوا ويجوز ان لايكون تكريرا للاول بل تكون كل واحدة منهما لتأسيس رؤية غير الاخرى بان يراد بالاولى رؤيتها من مكان بعيد فان الغاوين يرونها وهم فى الموقف كما قال تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى قيل انهم يرونها من مسيرة خمسمائة عام والرؤية الثانية اذا اوردوها وشاهدوا ما فيها من الاهوال التى كانت من بعيد كرؤيتهما بعض خواصها واحوالها مثل لهبها ودخانها ولما كانت الثانية اجلى واكشف من الاولى قيل ثم لترونها عين اليقين وهو الادراك بمشاهدة الشئ كما هو وجاز ان تكون مغايرة الرؤيتين بان يكون المراد بالاولى رؤية القلب وهى المعرفة وبالثانية الابصار وهذه المعرفة لاتحصل لمن ألهاه التكاثر عن النظر فى امر دينه واحوال معاده الا بعد الموت وفى القبر وعند البعث فبل ان يبصروها ويشاهدوها (قوله اى الرؤية التى هى نفس اليقين) اشارة الى ان انتصاب عين اليقين على انه صفة مصدر لترونها اى لترونها رؤية هى عين اليقين ووصف الرؤية التى هى سبب اليقين بكونها نفس اليقين مبالغة (قوله الذى ألهاكم) اشارة الى ان تعريف النعيم للعهد لا للاستغراق وخص الخطاب بكل من ألهاه دنياه عن دينه من الكفار والفساق وخص النعيم بما يشغل صاحبه عن اداء شكره وطاعته بشهادة القرينة فان ماسبق من الخطاب كله لمن ألهاه دنياه عن دينه وذلك يدل على كون هذا الخطاب ايضا مخصوصا به وذلك يقتضى ان يكون النعيم الذى يسأل عنه انه هل ادى شكره بان تقوى به على طاعة المنعم اوكفر به بان قصر همه على ان يأكل الطيب ويلبس اللين وقطع اوقاته باللهو والطرب ولايلتفت الى تحلية النفس بالفضائل العلمية والعملية فيكون مخصوصا بالنعيم الذى ضيع شكره واستمتع به كما تمتع الانعام بشهادة النصوص الدالة على ارادة الخصوص منها ماروى ان ابا بكر رضى الله تعالى عنه قال لما نزلت هذه الآية يارسول الله ارأيت اكلة اكلتها معك فى بيت ابى الهيثم الانصارى من خبز شعير ولحم ضأن وبسر قداذنب وماء عذب أنكون من النعيم الذى يسأل عنه فقال عليه الصلاة والسلام انما ذلك للكفار ثم قرأ وهل نجازى الا الكفور وقال الحسن لايسأل عن النعيم

(ثم لترونها) تكريرا للتأكيدا والاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها اوالمراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار (عين اليقين) اى الرؤية التى هى نفس اليقين فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) الذى ألهاكم والخطاب مخصوص بكل من ألهاه دنياه عن دينه والنعيم مخصوص بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله قل من حرم زينة الله كلوا من الطيبات

الا اهل النار فان الحكمة الالهية تقتضي ان يسأل كل من ألهاه دنياه عن دينه عن
شكر ماكان فيه من الخير والنعمة ثم يعذب على ترك الشكر ليظهر له ان الذي ظنه
سبب السعادة هو الذي كان من اعظم اسباب الشقاوة له في الآخرة ووجه
الاستدلال على التخصيص نحو قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده
والطيبات من الرزق انه لايليق بكرم الله تعالى ان ينعم على عبده الشاكر ثم
يسأله اذ لا وجه لسؤال التوبيخ من حيث ان العبد اطاع ربه فيما انعم عليه ولا
لسؤال الامتنان لان من ادخل احدا بيته واطعمه وسقاه لايمن عليه بذلك فكيف
يليق بكرمه تعالى ان يطعم عبده الشاكر ويسقيه ثم يمن عليه ويسأله عن
شكر نعمته (قوله وقيل نعمان) اي يعم كل واحد من الخطاب والنعيم فيسأل
كل واحد عن كل ما انعم الله تعالى به عليه انه هل شكر او كفر لقوله عليه الصلاة
والسلام اول مايسأل العبد يوم القيامة عن النعيم ان يقال له ألم نصحح لك جسمك
ونروك من الماء البارد وقوله عليه الصلاة والسلام لاتزال قدما عبد يوم
القيامة حتى يسأل عن اربع عن عمره فيم افناه وعن شبابه فيم ابلاه وعن ماله
من اين اكتسبه وفيم انفقه وعن علمه ماذا عمل به وكل ما وصل منه تعالى
الى العبد من النعم داخل فيما ذكره عليه الصلاة والسلام وروى انه عليه الصلاة
والسلام خرج ذات ليلة الى المسجد في ساعة لايخرج فيها ولا يلقاه فيها
احد فلم يلبث ان جاء ابو بكر رضي الله تعالى عنه فقال عليه الصلاة والسلام
ما اخرجك ياابابكر قال الجوع قال والله ما اخرجني الا الذي اخرجك ثم دخل
عمر رضي الله تعالى عنه فانطلقوا الى منزل ابي الهيثم الانصاري رضي الله تعالى عنه
فدق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الباب وسلم ثلاث مرات فلم يجب احد
فانصرف عليه الصلاة والسلام فخرجت امرأته تصيح كنا نسمع يارسول الله
لكن اردنا ان تزيد من سلامك فقال لها خيرا ثم قالت بابي انت وامي ان ابا الهيثم
خرج يستقي لنا الماء ثم عمدت الى صاع من شعير فطحنته وخبزته ورجع ابو الهيثم
بقربة من ماء فوضعها ثم جاء يلتزم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويفديه
بأبيه وامه ثم انطلق بهم الى حديقة فبسط لهم بساطا ثم انطلق الى نخلة فجاء
بقنو فقال عليه الصلاة والسلام أفلا تنقيت لنا من رطبه فقال يا رسول الله
اني اردت ان تخيروا من رطبه وبسره فأكلوا وشربوا من ذلك الماء فقال
عليه الصلاة والسلام هذا والذي نفسي بيده انه من النعيم الذي تسألون عنه
يوم القيامة اكل شهي ورطب طيب وماء بارد وقال الامام واعلم ان الاولى
ان السؤال يعم المؤمن والكافر ولكن سؤال الكافر سؤال توبيخ
لانه ترك الشكر وسؤال المؤمن سؤال تشريف لانه شكر واطاع واختلفوا

وقيل نعمان اذ كل يسأل عن شكره وقيل الآية مخصوصة بالكفار عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ ألهاكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كأنما قرأ الف آية

في ان السؤال عن النعيم ان يكون والمختار انه يكون في موقف الحساب فان قيل كيف يستقيم ان يكون في موقف الحساب وقد أخبر الله تعالى ان هذا السؤال متأخر عن مشاهدة جهنم حيث قال ثم لتسألن وظاهر ان موقف الحساب متقدم على مشاهدة جهنم حيث قلنا كلمة ثم فيه ليست لتراخي زمان السؤال عن زمان مشاهده الجحيم بل هي للترتيب في الاخبار كانه قيل ثم اخبركم انكم لتسألن يوم القيامة ونظيرها قوله تعالى فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة الى قوله ثم كان من الذين آمنوا وقيل ان السؤال عن النعيم يكون اذا دخلوا النار فانهم حينئذ يسألون عن النعيم توبيخا لهم لمصطر والى الاعتراف بالتقصير في شكره فيقال لهم انما حل بكم هذا العذاب لانكم اشغلتم في الدنيا بالنعم عن العمل الذي يجيكم من النار ولو صرفتم عمركم الى طاعة ربكم لكنتم اليوم من اهل النجاة والفائزين بالدرجات فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم فقتم في عذاب الهون والله اعلم

(سورة العصر مكية) (سورة العصر مكية وآيها ثلاث)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم)

(والعصر) اقسم بصلاة العصر لفضلها

(قوله اقسم بصلاة العصر لفضلها) اطلق العصر واراد مايقع فيه من الصلاة وهو كثير فانه يقال اذن للعصر اى لصلاة العصر وصليت العصر اى صلاته ودليل فضلها على غيرها قوله عليه الصلاة والسلام الوسطى صلاة العصر فثبت انها افضل الصلاة لان تخصيص الصلاة الوسطى بعد قوله تعالى حافظوا على الصلوات يدل على فضلها لانه المقصود من التخصيص بعد التعميم وقوله عليه الصلاة والسلام من فاته صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله اى فهو كمن صار موتورا بان قتل اهله واصيب ماله فلم يدرك دم قتيله وضمان ماله قال الجوهري الموتور الذي قتل له قتيل فلم يدرك دمه قال الخطابي وترأى نقص وسلب فبقي وترا فردا بلا اهل ومال والمراد فليكن حذره من فوتها كحذره من ذهاب اهله وماله وروى نصب الاهل ورفعه فمن نصبه جعله مفعولا ثانيا لوتر واضمر فيه مفعول مالم يسم فاعله عائدا الى الذي فاتته الصلاة ومن رفعه لم يضمر واقام الاهل مقام مالم يسم فاعله لانهم المصابون المأخوذون فمن رد النقص الى الرجل نصبهما ومن رده الى الاهل والمال رفعهما وروى ان امرأة كانت تصيح في سكك المدينة وتقول دلوني على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرآها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسألها ماذا حدث فقالت يارسول الله ان زوجي غاب عني فزنيت فولدت ولدا من الزنى فألقيت الولد في دن من خل حتى مات ثم بعنا ذلك الخل فهل لي من توبة

فقال عليه الصلاة والسلام اما الزنى فعليك الرجم بسببه واما القتل فجزآؤه جهنم واما بيع الحل فمقدار نكت كثيرة لكن طوبى لمن تركت صلاة العصر وفيه تفخيم بليغ لشأن هذه الصلاة ومما يدل على فضلها ان اسواق العرب انما تقوم وقت العصر لكونه وقت ارتفاع الحرارة بسبب انبساط ظل الحيطان على الارض فلما كان ذلك وقت تجاراتهم والاشتغال بتحصيل اسباب معاشهم كان أداء صلاة العصر اشق عليهم وقد ثبت ان افضل الاعمال اشقها وفي الحديث من حلف بعد العصر كاذبا لايكلمه الله ولا ينظر اليه ولا يزكيه (قوله او بعصر النبوة) وهو من زمان بعثته عليه الصلاة والسلام الى انقراض امته في آخر الزمان ومن ذهب الى هذا القول احتج عليه بقوله عليه الصلاة والسلام انما مثلكم ومثل من كان قبلكم من الامم مثل رجل استأجر اجيرا فقال من يعمل من الفجر الى الظهر بقيراط فعملت اليهود ثم قال من يعمل من الظهر الى العصر بقيراط فعملت النصارى ثم قال من يعمل من العصر الى المغرب بقيراطين فعملتم انتم فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل اجرا فقال وهل نقصت من اجركم شيأ قالوا لا فقال هذا فضلي اوتيه من اشاء فكنتم اقل عملا واكثر اجرا فهذا الخبر كله دل على ان العصر هو الزمان المختص به عليه الصلاة والسلام وبامته فلاجرم اقسم الله تعالى به اذانا بشرفه فاذا كان الزمان الذي هو كالظرف له ولجريان شرعه ودينه بهذه المثابة من الشرف فقس عليه شرف نفس المظروف (قوله او بالدهر) اطلاق لفظ العصر على مطلق الزمان وهو الدهر كثير شائع ويجوز ان يقسم به لشرفه من حيث اشتماله على انواع العجائب بحسب اختلاف فصوله وتعاقب ليله ونهاره واختصاص كل واحد منها بحكم يختص به مما يتعلق به انتظام احوال المخلوقات ومن جملة ما فيه من العجائب ان بقية عمر المرء لاقيمة له فانه لو ضيع الف سنة ثم تاب واناب اليه ثم توفي في اللحظة الاخيرة من العمر بقي في الجنة ابد الآباد فالدهر بحسب اشتماله على تلك اللحظة بالنسبة الى كل احد من اشرف الاشياء واجل النعم فجاز ان نقسم به لشرفه نقلست كه پيش شقيق بلخى پيرى آمد وگفت بسيار معصيتها كردم اكنون آمدم كه توبه كنم شقيق گفت كه دير آمدى دير آمدي و پير گفت زود آمدم زود آمدم شقيق گفت چگونه پير گفت هركه پيش ازمرگ آيد زود آمده باشد شقيق گفت زود آمدى ونيك گفتى فقد ثبت بهذه الرواية ايضا ان اللحظة الباقية من عمر المرء اجل النعم لمن تاب فيها (قوله والتعريض بنفي مايضاف اليه من الخسران) اى والتعريض بنفي ماينسبون اليه من الآفات مثل قولهم ومايهلكنا الا الدهر ووجه التعريض

او بعصر النبوة او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفي مايضاف اليه من الخسران (ان الانسان لفى خسر) ان الانسان لفي خسران في مساعيهم وصرف اعمارهم في مطالبهم

والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم اشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا بالحياة الابدية والسعادة السرمدية (وتواصوا بالحق) بالثابت الذي لا يصح انكاره من اعتقاد او عمل (وتواصوا بالصبر) عن المعاصي او على الحق او ما يبلو الله به عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة الا ان يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله ولعله سبحانه ما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا بان ما عدا ما عد يؤدي الى خسر ونقص حظ او تكرما فان الابهام في جانب الخسر كرم * عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

(سورة الهمزة مكية وآيها تسع)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل لكل همزة لمزة) الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز وشاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة

بالنفي المذكور ان الاقسام بالشيء اعظام له وما يضاف اليه الخسران ويكون من شأنه ذلك لا يعظم عادة ولانه لو نسب اليه شيء الحوادث كما زعم الدهرية لكان شريكا له تعالى ومعوضا عنده فلا يقسم به والخسر والخسران بمعنى واحد كالكفر والكفران ومعناهما النقصان وذهاب رأس مال الانسان وهو نفسه وعمره فهو في جميع سعيه وصرفه عمره في اشتغاله مهلك نفسه ومضيع عمره الا المؤمن العامل بطاعة ربه فانه غير مضيع نفسه التي هي رأس ماله بل اكتسب به سعادة الابد وربح في تجارته حيث ظفر بالشرف الباقي بمقابلة الخسيس الفاني (قوله والتعريف للجنس) لشهادة الاستثناء فانه قد تقرر ان صحة الاستثناء من جملة دلائل العموم والاستغراق (قوله والتنكير للتعظيم) اي لفي خسر عظيم لا يعلم كنهه الا الله عز وجل وعظم الذنب اما لعظم من في حقه الذنب او لانه في مقابلة النعم العظيمة وكل واحد من الوجهين حاصل في ذنب العبد ومعصية ربه فلاجرم كان ذلك الذنب في غاية العظم (قوله وهذا من عطف الخاص على العام) اي عطف التواصي بالامرين على العمل الصالح مع ان العمل الصالح كما يتناول ما يتعلق بتكميل نفسه يتناول ايضا ما يتعلق بتكميل غيره من قبيل عطف الخاص على العام للمبالغة في بيان فضله وشرفه من حيث ان عطفه عليه يؤذن بكونه امرا مغايرا له غير مندرج تحته كما عطف جبريل على الملائكة عليهم السلام لذلك (قوله ولعله سبحانه الخ) جواب عما يقال ما الحكمة في انه تعالى ذكر الحكم في جانب الخسر ولم يذكر السبب وذكر في جانب الربح السبب وهو الامور الاربعة الايمان والعمل الصالح والتواصي بالامرين ولم يذكر الحكم وهو الربح واجاب عنه بان المقصود من انزال القرآن بيان اسباب سعادة الانسان وما يؤديه الى مرضاة الرحمن فاقتصر على بيان المقصود وساق بيانه على وجه علم منه اسباب الخسران حيث سجل على ان من لم يباشر هذه الامور الاربعة فهو في خسران وايضا تعداد مثالب القاصرين ليس من دأب الكريم فلذلك لم يفصل اسباب الخسران تمت سورة العصر والحمد لله رب العالمين

(سورة الهمزة مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله تعالى ويل) هي كلمة تهديد ووعيد وقيل هو اسم وادي في جهنم

لا المكثار المعود وقرئ همزة ولمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الذي يأتي بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم ونزولها في الاخنس ابن شريق فانه كان مغتابا او في الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

واللمز العيب واصله الاشارة بالعين وغيرها يقال لمز يلمز بضم العين وكسرها من المضارع وقرئ بهما قوله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات ورجل لماز ولمزة اى عياب والهمزة مثل اللمزة والهامز والهماز العياب والهمز مثل اللمز الطعن يقال همزه بالرمح طعنه في صدره ولهز الفصيل امه اذا ضرب بها رأسه عند الرضاع والهمز كالهزم الكسر يقال تهزم السقاء اذا يبس وتكسر وهزمت الجيش هزما وهزيمة فانهزموا كذا في الصحاح وللمفسرين الفاظ في تفسير اللفظين قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الهمزة المغتاب واللمزة العياب وقيل الهمز الطعن باليد واللمز باللسان وقيل الهمز بالمواجهة واللمز بظهر الغيب وقيل الهمز مايكون جهرا واللمز مايكون سرا بالحاجب والعين وقيل لابن عباس رضي الله تعالى عنهما من الهمزة واللمزة الذين يهددهم الله تعالى بالويل فقال هم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة الناعتون للناس بالعيب وجميع هذه الوجوه متقاربة راجعة الى اصل واحد وهو الطعن واظهار العيب فما ذكره المصنف خلاصة هذه الوجوه فقوله تعالى لمزة بدل من همزة والتاء فيهما للمبالغة في الوصف كالتي في علامة وراوية ولذلك يقال رجل همزة لمزة كما يقال امرأة همزة لمزة وقد اطرد ان بناء فعلة بضم الفاء وفتح العين للمبالغة الفاعل اى للمكثر المعود لما خذ الاشتقاق وان اسكنت العين يكون لمبالغة المفعول يقال رجل لعنة بفتح العين لمن كان يكثر لعن غيره ولعنة بسكون العين اذا كان ملعونا للناس يكثرون لعنه ويقال ضحكة بالسكون اذا كان الناس يضحكون منه بان يكون مسخرة لهم فمفتوح العين هو الذي يفعل بغيره وساكن العين هو الذي يفعل به غيره (قوله بدل من كل) اى ويل للذي جمع او منصوب باضمار اعني اومرفوع بتقدير هو الذي جمع وعلى التقادير هو وصف معنوى لكل من وصفه الله تعالى بهذا الوصف لانه يجرى مجرى السبب للهمز واللمز من حيث انه اعجب بنفسه لما جمع من المال وظن ان كثرة المال سبب لعز المرء وفضله فلذلك استنقص غيره ولم يجعله وصفا نحويا لكل لانه نكرة والنكرة وان تخصصت بالاضافة الى النكرة لا تصح توصيفها بالموصولات (قوله وجعله عدة) وهو الذخيرة المعدة لحوادث الدهر كالمال والسلاح يقال اعددت الشئ لكذا وعددته له اذا جعلته عدة وذخيرة (قوله اوعده مرة بعد اخرى) على ان يكون عدد من العدد بمعنى الاحصاء الا انه نقل الى بناء فعل لتكثير الفعل كما في جمع على قراءة التشديد فانه يدل على كثرة الجمع وتكرره بأن جمع من ههنا وههنا في ازمنة متعددة متطاولة ويؤيد كون عدده بالتشديد مأخوذا من العد بمعنى الاحصاء قراءة من قرأ وعدده بالتخفيف باضافة

(الذي جمع مالا) بدل من كل او ذم منصوب اومرفوع وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد للتكثير (وعدده) وجعله عدة للنوازل اوعده مرة بعد اخرى ويؤيده انه قرئ وعدده على فك الادغام

(يحسب ان ماله اخلده) تركه خالدا في الدنيا فأحبه كما يحب الخلود اوحب المال أعماه عن الموت اوطول امله حتى حسب انه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بان المخلد هو السعي للآخرة (كلا) ردع له على حسبانه (لينبذن) اي ليطرحن (في الحطمة) في النار التي من شأنها ان تحطم كل ما يطرح فيها (وما ادراك ما الحطمة) ما النار التي لها هذه الخاصية (نار الله) تفسير لها (الموقدة) التي اوقدها الله وما اوقده لا يقدر غيره ان يطفئه (التي تطلع على الافئدة) تعلو اوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد الطف ما في البطن واشده تألما اولانه محل العقائد الزائغة ومنشأ الاعمال القبيحة

لفظ العدد الى ضمير المال ونصبه بالعطف على قوله مالا فالمعنى الذي جمع مالا وضبط عدده واحصاه على ان يكون جمع عدد المال عبارة عن ضبط عدده وكناية عن كثرته وقيل قوله وعدده بفك الادغام فعل اتصل به الضمير المنصوب بمعنى وعدده فيكون معطوفا على جمع وعلى التقدير ين تؤيد هذه القراءة كون عدده بالتشديد مأخوذا من العد لا من العدة (قوله تركه خالدا في الدنيا) يعني ان قوله تعالى اخلده ليس بمعنى يخلده كما قيل انه من قبيل قولهم دخل فلان النار اذا اتى بمعصية والمعنى سيدخلها وهلك فلان اذا حدث به سبب الهلاك من غير ان يقع هلاكه بل لفظ اخلده هنا على اصل معناه و يحسب يحتمل ان يكون حالا من المنوي في جمع وان يكون مستأنفا لبيان سبب اهتمامه بجمع المال وعده كأنه قيل ماله يجمع المال ويهتم به و يترك سبب الاستعداد لما بعد الموت فقيل انه لزعمه ان بقاء الحياة والسلامة من الامراض والآفات يدور على مراعاة الاسباب الظاهرة والتشبث بها يحسب حقيقة ان المال سبب خلوده في الدنيا وانه الذي تركه خالدا فيها زاعما انه كلما تأتيه حادثة من حوادث الدنيا قابلها بما يدفعها فاحبه كما يحب مسببه الذي هو الخلود في الدنيا فالحسبان على هذا حقيقية ثم اشار الى جواز ان يكون قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده من قبيل الاستعارة التمثيلية بان لا يكون الكلام فيمن يحسب حقيقة ان المال مخلد بل يكون فيمن يكون حاله شبيهة بحال من يحسب كونه مخلدا فقال اوحب المال اعماه الخ وتلك الحالة الشبيهة اما اغفاله عن الموت وعما بعده من قوارع الآخرة او طول الامل المسبب عن حب المال والاشتغال بجمعه وضبط عدده فان كل واحدة من تلك الحالتين شبيهة بحال من يحسب ان المال يخلده فيعمل عمل من لا يظن الموت (قوله وفيه تعريض) اي وفي قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده وترتيب الوعيد بالويل والهلاك عليه تعريض بان المخلد في النعيم المقيم هو السعي للآخرة لانه قد تقرر انه ليس للانسان الا ما سعى واذا كان حب الدنيا والاهتمام بها مؤديا الى الويل والهلاك تعين ان المخلد في الحياة الابدية والنعيم المقيم هو السعي للآخرة (قوله التي من شأنها ان تحطم كل ما يطرح فيها) اي تكسره وتأكله ويقال للرجل الاكول انه لحطمة وفي الحديث شر الرعاء الحطمة وهو الذي من عادته ان يضرب ويكسر وقد مر ان صيغة فعلة بضم الفاء وفتح العين لمبالغة الفاعل نحو رجل الهمزة اللمزة بان تأتي في الحطمة جزاء وفاقا فكما ان من شأن المطروح وعادته الطعن في الاعراض وكذا من شأن المطروح فيه ان يحطم ويكسر كل ما يطرح فيه (قوله وما اوقده لا يمكن غيره ان يطفئه) يعني ان اضافة النار اليه تعالى لتعظيمها والدلالة على انها تتقد ابدا وليست كسائر النار متقدة تارة وتخمد

(انها عليهم مؤصدة) مطبقة من اوصدت الباب اذا أطبقته قال نحن الى اجبال مكة ناقتي ✽ ومن دونها ابواب صنعاء موصده ✽ وقرأ حفص وابو عمرو وحمزة بالهمزة (في عمد ممددة) اي موثقين في أعمدة ممدودة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائي بضمتين وقرئ عمد بسكون الميم مع ضم العين ✽ عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد واصحابه

(سورة الفيل مكية وهي خمس آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل) الخطاب للرسول وهو وان لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر اخبارها فكأنه رآها ولذا قال كيف ولم يقل ما

اخرى (قوله من اوصدت الباب) قد مر في سورة البلدان آصدتها واوصدتها لغتان بمعنى اطبقتها واغلقتها وان الاول افعل من مهموز الفاء مثل آمن والثاني افعل من معتل الفاء مثل اوعد توعد وكونها مطبقة عليهم كونها بحيث لا فرجة فيها حتى يخلص اليهم منها روح ويخفف عنهم كرب (قوله نحن) اي اشتاق والاجبال جمع جبل وموصدة اي مطبقة مغلقة (قوله اي موثقين في اعمدة) يعني ان قوله تعالى في عمد في محل النصب على انه حال من الضمير المجرور في عليهم اي ان الحطمة مطبقة عليهم حال كونهم موثقين في اعمدة والعمد بفتحتين جمع كثرة لعمود البيت وكذا عمد بضمتين فانه ايضا جمع عمود كرسول ورسل وصبور وصبر ان يكون جمع عماد مثل كتاب وكتب وجمع القلة اعمدة والمقاطر جمع مقطرة وهي خشبة فيها خروق يدخل فيها ارجل المحبوسين يقال لها بالفارسية كنده وبالتركي طمرق (قوله يقطر فيها اللصوص) اي يجعلون فيها قطارا قطارا كقطار الابل تمت سورة الهمزة والحمد لله رب العالمين

(سورة الفيل مكية)

✽ بسم الله الرحمن الرحيم ✽

اختلفوا في تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة وقيل ولد عليه الصلاة والسلام بعد يوم الفيل بخمسين يوما والاكثرون على ان عام الفيل هو العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (قوله وهو عليه الصلاة والسلام وان لم يشهد تلك الواقعة) جواب عما يقال ما وجه قوله تعالى الم تر مع ان الاصل في الرؤية ان تكون بصرية وان يكون الاستفهام للتقرير فيكون المعنى قد رأيت وشاهدت مع انه عليه الصلاة والسلام لم يشاهده وتقرير جوابه ان المراد بالرؤية ههنا رؤية القلب وهي العلم عبر عنه بالرؤية لكونه علما ضروريا مساويا في القوة والجلاء للمشاهدة والعيان وانما قلنا علم ضروري لان طريق العلم بها الخبر المتواتر وهو يفيد علما ضروريا لاسيما وقد تأيدت تلك الاخبار الضرورية المتواترة بمشاهدة آثار تلك الواقعة روي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه رأى من الحجارة التي اهلك الله بها اصحاب الفيل عند ام هانئ نحو قفيز منها وهي مخططة بحمرة كالجزع الظفاري وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان وكان عبد المطلب جد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وابو مسعود الثقفي يشاهدان من فوق الجبل عسكر ابرهة الاشرم حين رماهم الطير

بالحجارة فهلكوا فقال عبد المطلب لصاحبه صار القوم بحيث لا يسمع لهم ركز فانحطا من الجبل فدخلا العسكر واذا هم موتى فجمعا من الذهب والجواهر وحفر كل واحد منهما لنفسه حفرة وملأها من المال وكان ذلك سبب غناهما وهذا كله من آثار تلك الواقعة التي شاهدها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحصل له بذلك علم ضروري بما يؤدي الى العيان فكأنه تعالى قال الم تعلم يا محمد بالاخبار المتواترة المؤيدة بمشاهدة الآثار علما يوازي العيان في الايقان (قوله لان المراد تذكير مافيها من وجوه الدلالة الخ) يعني ان الاشياء لها ذوات ولها هيئات ولها كيفيات باعتبارها تدل على مدلولاتها وكلمة ما تدل على الاولى وكيف على الثانية والمقصود في هذا المقام ليس نفس تذكير ما فعل بهم من الاهلاك لانه باعتبار نفسه لايدل على كمال علمه تعالى وقدرته وعزة نبيه وشرف رسوله وانما يدل عليه باعتبار ما فيه من وجوه الدلالة وكيفيات الاهلاك فلذلك اختير ما يدل على الكيفيات على ما يدل على نفس الذوات (قوله فانها من الارهاصات) بيان لوجه دلالتها على شرف نبيه عليه الصلاة والسلام والارهاصات هي الخارقة للعادة الجارية على يد نبي قبل بعثته وقبل التحدي مأخوذ من الرهص بكسر الراء وهو الصف الاسفل من احجار الحائط فانه يجوز عندنا تقدم خوارق العادة على زمان البعثة تأسيسا للنبوة وتقدمه عليها كاظلال الغمام وتكلم الحجر والمدر لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة ودعوى النبوة ومن هذا القبيل اهلاك من قصد تخريب الكعبة المعظمة حال كونها موضع الشرك وعبادة الاوثان اذ فيه دلالة على بعثة من يعظم البيت ويطهره من الرجس والاوثان ويدعو الناس الى عبادة الرحمن لان تعظيم البيت ليس لكونه موضع الشرك والعصيان بل لكونه بناء خليل الرحمن بناه لتأتي اليه الناس افواجا من كل فج عميق طائفين وعاكفين وراكعين وساجدين ومكبرين ومهللين مخلصين له الدين وقد جعله الله تعالى في علمه الازلي مولد سيد المرسلين ومسكنه الى ان هاجر منه بامر رب العالمين ومهبط ما يوحى اليه وقبلة امته الى يوم القيامة فكان لذلك عتيقا عن استعلاء الظلمة عليه وتخريبهم اياه وكان اهلاك اصحاب الفيل من جملة الارهاصات الدالة على شرفه ونبوته عليه الصلاة والسلام فان ابرهة لو سلط على مكة وسبى اهلها وقتلهم وخرب مافيها من البيت لاختل ما قدره الله تعالى من الامور المتعلقة بها ❊ والشرم الشق يقال شرمه اي شقه وسمي ابرهة بن الصباح اشرم لانه كان مشقوق الانف والشفة وسببه ان اباه ضربه بحربة فهشم انفه وجبهته او سببه ان ارياطا ضربه بالسيف فشرم انفه وشفته فجاء غلام ابرهة من خلفه فقتله ❊ واصحمة

لانّ المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة نبيه وشرف رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فانها من الارهاصات، اذ روي انها وقعت في السنة التي ولد فيها الرسول عليه الصلاة والسلام وقصتها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى بيعة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة وقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة اخرى فلما تهيأ للدخول وعبأ جيشه قدم الفيل وكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى جهة اخرى هرول فارسل الله طيرا كل طير في منقاره حجر وفي رجليه حجران اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر على رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا

اسم النجاشي ملك الحبشة وكان اصحمة قد لبث فيها زمان ثم نازعه رجل من الحبشة الى ارض اليمن فغلب عليها واستقر امره فيها زمانا ثم نازعه رجل من الحبشة يقال له ابرهة ابن الصباح فتفرقت الحبشة فرقتين فكانت فرقة مع ارياط وفرقة مع ابرهة فكان الامر على ذلك الى ان قتل ابرهة ارياطا واجتمعت الحبشة من اعوان ارياط لابرهة وغلب على اليمن كلها واقره النجاشي على عمله ثم ان ابرهة رأى الناس يجهزون أو ان الموسم الى مكة لحج البيت الحرام فبنى كنيسة بصنعاء لم ير الملك مثلها وسماها القليس واراد أن يصرف اليها حج العرب ووجوههم فسمع بها رجل من كنانة فخرج اليها فدخلها ليلا فقعد فيها الى ان قضى حاجته ولطخ بالنجاسة قبلتها فبلغ ذلك ابرهة فقال من اجترأ على هذا فقيل لعل ذلك فعل رجل من اهل مكة سمع بالذى قلت فى حق البيت الذى تعظمونه فحلف ابرهة عند ذلك ليهدمن الكعبة وقيل اججت اى اشعلت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما وثمانية اخر وقيل اثنا عشر وقيل الف فلما بلغ المغمس وهو موضع بقرب مكة بينه وبين مكة ميل خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فأبى وعبأ اى هيأ جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن والى سائر الجهات هرول اى اسرع فى المشى ثم ان ابرهة كان قد اخذ لعبد المطلب مائتى بعير فخرج اليه فى حق تلك المائتين من البعير فعظم فى عين ابرهة وكان رجلا جسيما وسيما وقيل له هذا سيد قريش وصاحب عير مكة فلما ذكر حاجته قال له ابرهة سقطت من عينى جئت لأهدم البيت الذى هو دينك ودين آبائك فألهاك عنه ذود اخذ لك فقال انا رب الابل وللبيت رب يمنعه وامر قريشا ان يتفرقوا فى الجبال والشعاب تخوفا عليهم من معرة الجيش ففعلوا ثم خرج من عنده واتى البيت واخذ بحلقته وجعل يقول

يارب لا ارجو لهم سواكا ❋ يارب فامنع عنهمو حماكا
ان عدو البيت قد عاداك ❋ فامنعهمو ان يخربوا قراكا

فالتفت وهو يدعو واذا بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ماهى نجدية ولا تهامية وكان مع كل طير حجر فى منقاره وحجران فى رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة وكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه فهلكوا فى كل طريق ومنهل ودوى ابرهة اى اصابه داء ومرض شديد فقطعت اناملة وماتت حتى انصدع

صدره عن قلبه اى اشق صدره و حرج قلبه منه وانفلت و وره ابو مكتوم وطار بحلق حلفه فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه ارى الله تعالى النجاشى كيف كان هلاك قومه عيانا كما سمع اخبارا (قوله وقرئ الم تر) اى بسكون الراء جدا فى اظهار اثر الجازم فان سقوط الالف يكفى فى ظهور اثره واسكان الراء بعد سقوط الالف جدا فى اظهار اثر الجازم وهذا الجد انما يليق بالشعر وكلام من احوجته الضرورة الى العدول عن العبارة الفصيحة ولايليق بفصاحة القرآن وكيف منصوب بقوله فعل لا بقوله ترلان كيف فيه معنى الاستفهام وله صدر الكلام ولا يعمل فيه ماقبله والكيد ارادة المضرة بالغير على سبيل الخفية فانهم كانوا اولا بناء القليس وارادة صرف وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكانوه ثانيا بارادة هدمه فضلله بارسال الطير عليهم فان قيل انما سماه كيدا وهو كان لايخفى ما اراده من المضرة بالبيت بل كان يصرح بانه انما يريد هدم البيت وتخريبه فالجواب انه وان كان يظهر ان مقصوده هدم البيت واضراره انتقاما ممن قعد فى كنيسته الا ان الذى كان يضمره فى قلبه هو الحسد للعرب فان اصل مقصوده من هدم البيت ان يصرف عنهم الشرف الحاصل لهم بسبب الكعبة الى نفسه والى كنيسته وبلده فكان هدمه كيدا فى حق العرب (قوله تعالى وارسل) عطف على قوله الم يجعل لان الاستفهام فيه للتقرير فكان المعنى قد جعل ذلك وارسل وابابيل صفة لطيرا اى جماعات متفرقة لانها كانت افواجا فوجا بعد فوج يتبع بعضها بعضا قيل ابابيل جمع لاواحد له يقال جاء ابلك ابابيل اى فرقا وزمرا صفة اخرى لطيرا او حال منها لانها قد تخصصت بالصفة والطير اسم جنس اطلق هنا على آحاد الجنس وجماعته فمن قرأ ترميهم بالتاء نظر الى كونه بمعنى الجماعة ومن قرأ بالياء نظر الى انه اسم جمع مذكر وانما يؤنث لكونه فى تأويل الجماعة او اعتبر كون الفعل مسندا الى ضميره تعالى اى يرميهم الله (قوله معرب سنك كل) ذكر فى بيان اصل السجيل اربعة اوجه الاول انه كلمتان بالفارسية جعلهما العرب كلمة واحدة وهما سنج وجل فالسنج الحجر والجل الطين اى يرميهم بحجارة متخذة من هذين الجنسين والثانى انه من السجل وهو الدلو الكبير الذى فيه ماء يقال سجلت الماء سجلا فانسجل اى صببته بالدلو فانصب وقوله تعالى حجارة من سجيل اى حجارة كائنة مماصبه الله تعالى من خزائن قهره والثالث انه من الاسجال اى الارسال يقال اسجلت البهيمة مع امها اذا ارسلتها معها وهذا جعل سجيل اى مطلق مرسل والمعنى ان تلك الحجارة مما ارسله الله تعالى عليهم والعذاب يوصف بالارسال كما فى قوله تعالى وارسل عليهم طيرا

و قرئ الم تر جدا فى اظهار اثر الجازم وكيف نصب بفعل الم تر لما فيه من معنى الاستفهام (ألم يجعل كيدهم) فى تعطيل الكعبة وتخريبها (فى تضليل) فى تضييع وابطال بان دمرهم وعظم شانها (وارسل عليهم طيرا ابابيل) جماعات جمع ابالة وهى الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير فى تضامها وقيل لاواحد لها كعباديد وشماطيط (ترميهم بحجارة) وقرئ بالياء على تذكير الطير لانه اسم جمع او اسناده الى ضمير ربك (من سجيل) من طين متحجر معرب سنك كل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير او الاسجال وهو الارسال او من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون

ابابيل وقوله تعالى وارسلنا عليهم الطوفان والرابع انه مأخوذ من السجل الذى هو الكتاب اخذ منه لفظ سجيل وجعل علما للديوان الذى كتب فيه اعمالهم فكأنه قيل بحجارة كانت من جملة العذاب المكتوب فى الكتاب المسمى سجيل (قوله كورق زرع) كما نقل عن الفراء انه قال العصف بقل الزرع وكونه مأكولا عبارة عن ان نقع فيه اكال فيعيبه و يخرجه عن ان ينتفع به شبه به اصحاب الفيل من حيث انهم فنوا وضاعوا او من حيث ان الحجارة التى ارسلت عليهم حرقتهم واحدثت فيهم ثقوبا وشقوقا كالزرع الذى اكله الدود وعبارة عن ان يؤكل حبه و يبقى تبنه فالمعنى جعلهم كعصف مأكول الحب كما يقول زيد حسن بمعنى حسن وجهه اجرى الحسن على زيد مع انه حال وجهه اعتمادا على ظهور المراد شبهوا بزرع اكل حبه فى ذهاب ارواحهم و بقاء اجسادهم (قوله او كتبن) عطف على قوله كورق زرع اى و يجوز ان يراد بالعصف التبن من حيث انه تعصف به الريح عند الذرية وتفرقه عن الحب من قولهم الحرب تعصف بالقوم اى تذهب بالقوم وتهلكهم وناقة عصوف اى سريعة السير تعصف براكبها فتمضى به و يكون المراد بالتبن المأكول حينئذ التبن الذى اكله الدواب ثم القته روثا ويبس وتفرقت اجزاؤه شبه به القوم فى تقطع اوصالهم وتفرق اجزائهم وفيه مبالغة حسنة وهو انه لم يكتف بجعلهم اهون شئ فى الزرع وهو التبن الذى لا يجدى حتى جعلهم رجيعا الا انه عبر عن الرجيع بالمأكول على طريق اطلاق الملزوم وارادة اللازم رعاية للادب واستهجانا لذكر الروث كما عبر بقوله تعالى كانا يأكلان الطعام عما يلزم اكل الطعام من التبول والتغوط لذلك روى انه تعالى لما رد الحبشة عن مكة بهذه الكيفية عظمت قريش فى اعين الناس وقالوا هم اهل الله تعالى قاتل عنهم وكفاهم مؤونة دفع عدوهم فكان ذلك نعمة عظيمة من الله عليهم ❊ تمت سورة الفيل والحمد لله على كل حال

(فجعلهم كعصف مأكول) كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان يأكله الدود او اكل حبه فبقى صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته ❊ قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الفيل عافاه الله ايام حياته من الخسف والمسخ

(سورة قريش مكية وايها اربع)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لايلاف قريش) متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت والفاء لما فى الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه سائر نعمه فليعبدوه لاجله

(سورة القريش مكية)

❊ بسم الله الرحمن الرحيم ❊

قريش قبيلة وابوهم النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وكل من كان من ولد النضر فهو قرشى دون ولد كنانة ومن فوقه وربما قالوا قريشى والقرش دابة تكون فى البحر من اعظم دوابه لا تمر بشئ من الغث والسمين الا اكلته و يطلق القرش ايضا على الكسب وعلى الجمع يقال فلان قرش لعياله اى يكسب فهو قارش وقرشهم اى جمعهم وتقرش القوم اى

اجتمعوا واختلفوا في سبب تسمية القبيلة المذكورة قريشاً فقيل سموا بتصغير القرش الذي هو دابة عظيمة تكون في البحر روى ان معاوية سأل ابن عباس رضي الله تعالى عنه لم سميت قريش قريشا فقال سموا باسم دابة في البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا يعلى عليها اي تشبيهم بها من حيث اتصافهم بهذه الصفات قال الشاعر

وقريش هي التي تسكن البحر * بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا تترك * فيه لذي الجناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش * يأكلون البلاد اكلا كميشا
ولهم آخر الزمان نبي * يكثر القتل فيهم والخموشا

فتصغير قريش للتعظيم كما في قول الحباب بن المنذر * انا جذيلها المحكك * وعذيقها المرجب * يصف نفسه بالحذاقة في الامور بحيث يرجع اليه في معضلات الامور والجذيل تصغير جذل وهو اصل حطب عظيم ينصب في المعاطن لتحتك به الابل الجرباء والعذيق تصغير العذق بالفتح وهو النخلة ذات الحمل والترجيب ان تدعم الشجرة اذا كثر حملها لئلا تنكسر اغصانها او يبنى لها جدار تعتمد عليه لضعفها وقيل سميت قريشا لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد ولم يكونوا اهل زرع ولا ضرع فهو مأخوذ من القرش بمعنى الكسب تصغير قارش والقياس ان يقال قويرش غير انه رخم وصغر كقولهم حريث في تصغير حارث وقيل انه مأخوذ من القرش بمعنى الجمع فانهم كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب في الحرم حتى اتخذوه مسكنا لهم فسموا قريشا لذلك اي لتجمعهم في الحرم وسمي قصي مجمعا شعر

ابوكم قصي كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

وقرأ ابن عامر لئلاف قريش بغير ياء قبل اللام الثانية والباقون لايلاف بياء قبلها واجمع الكل على اثبات الياء في الثاني وهو ايلافهم واختلاف القراء في سقوط الياء وثبوتها في الاول مع اتفاق المصاحف على سقوطها فيه خطا دليل على انهم اعانة عون الاثر والرواية لامجرد الخط والرسم اما قرآءة ابن عامر ففيها وجهان الاول انه مصدر الف الثلاثي يقال ألفته الافا نحو كتبته كتابا ويقال الفت الشئ الافا والفا وقد جمع الشاعر بينهما في قوله

زعمتم ان اخوتكم قريش * لهم الف وليس لكم الاف

والثاني انه مصدر آلف رباعيا نحو قاتل قتالا بمعنى الاف قريش الفه قريش رحلة الشتاء واما على قرآءة الباقين فهو مصدر آلف الرباعي ثم قيل الايلاف هو الالف بناء على ان اهل اللغة قالوا الفت الشئ وآلفته الفا وايلافا بمعنى واحد

اى لزمته ودمت عليه فمعنى الآية لايلاف قريش هاتين الرحلتين ولزومهم
اياهما وثباتهم عليهما بحيث اذا فرغوا من احداهما اخذوا فى الاخرى
وبالعكس والظاهر على هذا المعنى ان تكون اللام فى قوله تعالى لايلاف متعلقة
بما قبلها والتقدير فعل ربك باصحاب الفيل مافعل من تضليل كيدهم وتصييره
وارسال الطير الابابيل عليهم وجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش
بالرحلتين وثباتهم عليهما فانه لوتم للحبشة ماعزموا عليه من هدم الكعبة
وتخريبها لما امكن لهم ان يثبتوا على ماالفوه من الرحلتين اللتين يتوقف عليهما
انتظام امر معاشهم فان اهل مكة ليس لهم زرع ولاضرع فليس لهم طريق
معاش سوى التجارة وانها انما تتأتى لهم بسبب ان ملوك تلك النواحى كانوا
يعظمونهم ويقولون هؤلاء جيران بيت الله وسكان حرمه فكانوا بذلك
آمنين فى اسفارهم لا يتخطفون ولايتعرض لهم فى نفوسهم ولافى اموالهم
فلولم يفعل الله تعالى باصحاب الفيل مافعل بهم ومكنهم من هدم الكعبة لزال عن
اهل مكة هذا العز والشرف وانقطع عنهم تعظيم الملوك واحترامهم اياهم
ولصار سكان مكة كسكان سائر البلاد يتخطفون من كل جانب بسلب اموالهم
وقتل نفوسهم فلما اهلك الله تعالى اصحاب الفيل ازداد رفع قدر اهل مكة
وهيبتهم فى القلوب فاستمروا وداموا على ماالفوا به من رحلتهم فى الشتاء الى
اليمن وفى الصيف الى الشام والظاهر ان الايلاف ليس بمعنى الالف بل همزة
الافعال زيدت لتعدية الفعل فيه الى المفعولين والاصل الفت الشئ وآلفته
غيرى بمعنى لزمته والزمته غيرى كأنه تعالى قال فعلنا ذلك باصحاب الفيل لنؤلف
قريشا رحلتيها ولنبقيهم على ماالفوه روى عن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما انه قال كان السبب فى الفهم بالرحلتين ان قريشا كانوا اذا اصاب
واحدا منهم مخمصة خرج هو وعياله الى موضع وضربوا على انفسهم خباء حتى
يموتوا وكانوا على ذلك الى ان جاء هاشم بن عبد مناف وكان سيد قومه فقام
خطيبا فى قريش فقال انكم احدثتم حدثا تقلون فيه وتذلون وانتم اهل
حرم الله تعالى واشرف ولد آدم والناس لكم تبع قالوا نحن تبع لك فليس
عليك منا خلاف فجمع كل بنى اب على الرحلتين فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف
الى الشام لان بلاد اليمن حامية حارة وبلاد الشام رطبة بارده ليتجروا فيما بدالهم
من التجارات فما ربح الغنى منهم قسمه بينه وبين فقرائهم حتى كان فقيرهم
كغنيهم فجاء الاسلام وهم على ذلك فلم يكن فى العرب بنوا اب اكثر مالا
ولا اعز من قريش حتى قيل فيهم

الخالطون فقيرهم بغنيهم ❋ حتى يكون فقيرهم كالكافى

(ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) اى الرحلة فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشام فيتارون ويتجرون او بمحذوف مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين فى الشعر اى جعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش ويؤيده انهما فى مصحف ابى سورة واحدة وقرئ لالاف قريش ايلافهم

(قوله تعالى ايلافهم) بدل من الاول وانتصاب رحلة على انه مفعول به للمصدر كما نصب يتيما بقوله او اطعام فيكون الايلاف مصدرا من المبنى للمفعول مضافا الى مفعوله الاول واطلق عن مفعوله الثانى حيث لم يقيد بتعلقه به ثم جعل المقيد به بدلا من ذلك المطلق تفخيما لامر الايلاف وتذكير العظيم المنة فيه لكونه نعمة عظيمة كما تقول عجبت من احسانك احسانك الى زيد (قوله والفاء لما فى الكلام من معنى الشرط) جواب عما يقال كون اللام متعلقة بقوله فليعبدوا يستلزم ان تتوسط فاء التعقيب بين العامل ومعموله ولا وجه له وتقرير الجواب ان قوله فليعبد واقع ما فى حيزه جواب شرط محذوف غاية ما فى الباب انه قدم عليه معموله لافادة الحصر ولزم منه توسط الفاء بينهما صورة ولفظا والرحلة بكسر الراء الارتحال وبالضم الجهة التى يرتحل اليها واصل الرحلة السير على الراحلة وهى الناقة القوية ثم استعمل فى كل سير وارتحال (قوله فيتارون) اى يحملون الميرة وهى الطعام (قوله او بمحذوف) اى ويجوز ان لا يكون اللام متعلقة بقوله فليعبدوا بأن تكون متعلقة بمحذوف مثل اعجبوا قال الامام محيى السنة فى تفسيره حاكيا عن الكسائى والاخفش اللام فى قوله تعالى لايلاف هى لام التعجب كأنه قيل اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم امرهم بعبادته فقال فليعبدوا وهذا كما تقول لزيد واكرامنا اياه على وجه التعجب اى اعجبوا لزيد والعرب اذا جاءت بهذه اللام اكتفت بها دليلا على التعجب من غير اظهار فعل التعجب الى هنا كلامه ووجه التعجب انه تعالى سهل لهم طريق معاشهم وحفظهم فى اسفارهم الى مواضع تجاراتهم من ان تتعرض لهم قطاع الطريق كما يتعرضون لسائر المسافرين مع اصرارهم على الشرك وعبادة الاوثان والظاهر على هذا الوجه ان يكون قوله تعالى فليعبدوا معطوفا على مقدر اى لينتهوا عن هذا الكفر فليعبدوا (قوله كالتضمين فى الشعر) وهو ان يتعلق معنى البيت بالبيت الذى قبله تعلقا لا يصح المعنى الا به وكون هذه اللام متعلقة بما قبلها كذلك لان المعمول يتوقف فى تمام معناه على عامله وعلى تعلقه به فان قيل تغاير البيتين ليس كتغاير السورتين فان حق كل سورة ان تكون مستقلة بنفسها ولا يتعلق ما فى احد السورتين بما فى الاخرى فكيف جاز ان يتعلق هذه اللام بما فى السورة المتقدمة قلنا السؤال ساقط على مذهب من يقول انهما سورة واحدة احتجاجا بما روى ان ابى بن كعب جعلهما سورة واحدة فى مصحفه وبما روى ان عمر رضى الله تعالى عنه قرأ فى الركعة الاولى من صلاة المغرب بسورة والتين وفى الثانية الم تر ولايلاف قريش من غير ان يفصل بينهما بقوله بسم الله الرحمن

الرحيم واما على ماذهب اليه الاكثرون وهو ان تكون كل واحدة منهما سورة منفصلة عن الاخرى فوجه سقوطه على مذهبهم ان تعلق اول هذه السورة بما قبلها لا ينافي استقلالها عن الاولى لان القرآن كله كالسورة الواحدة او كالآية الواحدة يصدق بعضها بعضا ويبين بعضها بعضا وقولهم ان ابيا رضي الله تعالى عنه لم يفصل بينهما معارض باطباق الكل على الفصل بينهما (قوله وقرئ ليألف قريش الفهر) على لفظ امر الغائب باللام (قوله بالرحلتين) اشارة الى ان المراد بالجوع هو المجاعة الشديدة التي حلتهم هاشم على الرحلتين بسببها لا المجاعة التي اصابتهم بدعوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين كذبوه وهي قوله اللهم اشدد وطأتك عليهم واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاشتد عليهم القحط حتى اكلوا الجيف والعظام المحترقة فقالوا يا محمد ادع لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لهم فاخصبت البلاد واخصب اهل مكة بعد القحط وهذا الاطعام لم يحصل بالرحلتين بل بدعوة رسول الله صلى الله تعالى عليه ومن على بابها اي اطعمهم من اجل جوع شديد كانوا فيه قبل الرحلتين وقيل بمعنى بعد اي اطعمهم بعد الجوع الذي اصابهم عن سنوته فالفرق بين عن ومن ان عن يقتضي حصول جوع قد زال بالاطعام ومن يقتضي المنع من مخافة الجوع والمعنى على هذا اطعمهم فلم يلحقهم جوع وآمنهم فلم يلحقهم خوف فتكون من لابتداء الغاية والمعنى اطعمهم من بعد جوعهم قبل لحاقه اياهم وآمنهم من بعد خوفهم قبل اللحاق

(سورة الماعون مكية وقيل مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قوله استفهام معناه التعجب) يعني انه وان كان في صورة الاستفهام الا انه يقصد به المبالغة في التعجب تقول ارأيت فلانا ماذا فعل ولماذا عرض نفسه ثم قيل انه خطاب للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هو خطاب لكل عاقل ورأيت هاهنا يجوز ان يكون من رؤية البصر وان يكون بمعنى عرفت كأنه قيل أبصرت المكذب او أعرفته وان يكون بمعنى العلم فتكون بمعنى اخبرني فتتعدى الى اثنين الاول الموصوف والثاني محذوف قدره الزمخشري من هو وقدره القرطبي أمصيب هو ام مخطئ والمعنى ارأيت يا عاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلائله ووضوح براهينه أيفعل ذلك لا لغرض فكيف يجترئ العاقل على ان يلقي نفسه في العقوبة الابدية من غير غرض او لاجل الدنيا وكيف يجترئ العاقل على قبول العذاب المؤبد طمعا في اللذة اليسيرة الفانية (قوله سهل امرها)

قرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار وشبهوا بها لانها تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف ثم ابدال المقيد منه للتفخيم (فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع) بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة اكلوا فيها الجيف والعظام (وآمنهم من خوف) خوف اصحاب الفيل او التخطف في بلدهم ومسايرهم او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم ※ قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة لايلاف اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

(سورة الماعون مختلف فيها وآيها سبع)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ارأيت) استفهام معناه التعجب وقرئ أريت بلا همزة الحاقا بالمضارع ولعل تصديره بحرف الاستفهام سهل امرها

اى امر هذه القرآءة يعنى ان وقوع حرف الاستفهام فى اول الكلمة جعل امر حذف همزة سهلا يسيرا مع كونه مخالفا للقياس والاستعمال فان ريت فى رأيت لم تسمع من العرب ووجه التسهيل ان الماضى بسبب دخول حرف الاستفهام عليه شابه المضارع لان فى الطلب معنى الاستقبال فأخذ حكم المضارع لذلك معان وقوع الهمزة اول الكلام اوجب ثقل وقوع همزة اخرى بعدها فسهل امر حذفها لذلك ايضا وحذفها فى الآية اسهل من حذفها فى البيت الذى ذكره الزمخشرى وهو قوله

صاح هل ريت اوسمعت براع ❊ رد فى الضرع ما قرى فى العلاب

لان البيت وان كان فيه حرف الاستفهام لكن ذلك الحرف ليس بهمزة فلو لم يحذف همزة رأيت لم يلزم الثقل الحاصل من اجتماع الهمزتين بخلاف الآية وقوله صاح اصله يا صاحب فحذف حرف النداء ورخم المنادى فصار صاح قوله ماقرى اى ماجمع يقال قريت الماء فى الحوض اى جمعته والعلبة ماتحلب فيه من جلد اوخشب وجمعه علب وعلاب (قوله بزيادة الكاف) الضمير المرفوع فى اراتيك هو التاء والكاف انما زيدت لتدل على احوال المخاطب تقول ارأيتك زيدا وارأيتكما زيدا وارأيتكم زيدا بمعنى اخبر زيدا واخبرا واخبروا (قوله بالجزاء او الاسلام) فان الدين يستعمل بمعنى الجزاء كما فى قوله تعالى مالك يوم الدين وبمعنى الاسلام كما فى قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وتكذيب الاسلام كما يكون بتكذيب الصانع والنبوة والمعاد يكون ايضا بانكار شئ من الشرائع (قوله والذى يحتمل الجنس) اى جنس من كان مكذبا بالدين اى شخص كان ويحتمل العهد ايضا حتى قيل انها نزلت فى ابى سفيان كان ينحر جزورين فى كل اسبوع فاتاه يتيم فسأله شيئا فقرعه بعصاه وقيل نزلت فى العاص بن وائل وكان يجمع بين التكذيب بيوم القيامة والاتيان بالافعال القبيحة جعل علم تكذيبه بالجزاء منعه الواجب والمعروف وتركه التحريض على اطعام المحتاجين وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وقيل نزلت فى ابى جهل روى انه كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه ولم يعبأ به فأيس الصبى فقال له اكابر قريش قل لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع لك وكان غرضهم الاستهزاءبه ولم يعرف اليتيم ذلك فجاء الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والتمس منه ذلك وهو عليه الصلاة والسلام ما كان يرد محتاجا فذهب معه الى ابى جهل فقام ابو جهل ورحب به وبذل المال لليتيم فعيره قريش وقالوا اصبوت قال لا والله ماصبوت ولكن رأيت عن يمينه وعن شماله حربة خفت ان لم اجبه يطعنها

وارأيتك بزيادة الكاف (الذى يكذب بالدين) بالجزاء او الاسلام والذى يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثانى قوله (فذلك الذى يدع اليتيم) يدفع دفعا عنيفا وهو ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه او ابو سفيان نحر جزورا وسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة او منافق بخيل وقرئ يدع اى يترك

(ولا يحض) اهله وغيرهم (على طعام المسكين) لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) غافلون غير مبالين بها (الذين هم يراؤون) يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها (ويمنعون الماعون) الزكاة او ما يتعاور في العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين والموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلاة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التي هي قنطرة الاسلام احق بذلك ولذلك رتب عليها الويل او للسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق عن النبي عليه السلام من قرأ سورة أرأيت غفر الله له ان كان للزكاة مؤديا

في ودع الدفع بعنف وجفوة واذى قال تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا (قوله ولا يحض اهله وغيرهم) يعني ان مفعول يحض محذوف والمعنى انه لا يحض نفسه ولا يأمر به غيره ولا بد ايضا من تقدير المضاف الى طعام اي لا يحث غيره على اطعام طعام المسكين لتكذيبه بالدين فانه لو اعتقد بالبعث والجزاء لسارع الى ما يؤدي الى سعادة الآخرة بمباشرته بنفسه وبدلالة غيره عليه واضيف الطعام الى المسكين للاشعار بان ذلك حق المسكين وبانه لم يمنع عن المسكين الا ما هو حقه وذلك بنهاية البخل وخساسة الطبع فان عدم مواساة الايتام والمساكين وترك قضاء حوائجهم الضرورية وكذا عدم حث غيره على مواساتهم واعانتهم وان لم يكن في نفسه اثما وجرما لكنه يصلح علامة لعدم اعتقاده بالجزاء وتكذيبه من حيث ان السبب في ذلك كله هو التكذيب بالجزاء ولذلك رتب قوله فذلك الذي يدع اليتيم على قوله يكذب بالدين بالفاء السببية للايذان بان دع اليتيم وعدم حث غيره على قضاء حاجة المضطر من نتيجة التكذيب بالجزاء وجعل الزمخشري قوله تعالى فذلك جواب شرط محذوف والتقدير ان لم تعلم ذلك الذي يكذب بالدين واردت ان تعرفه فاعلم انه ذلك الذي يكذب بالجزاء وهو الذي يدع اليتيم (قوله يرون الناس اعمالهم) بيان معنى المفاعلة في قوله يراؤون فانه مفاعلة من الاراءة فالمرائي يري الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب فان قيل ما الفرق بين ان يقال عن صلاتهم وبين ان يقال في صلاتهم وما الحكمة في اختيار العبارة الاولى على الثانية فالجواب ان العبارة الثانية انما تقال اذا كان الانسان شارعا في الصلاة خاشعا لوجه الله تعالى ومتذللا بين يديه بالتضرع والابتهال ولكنه يعتريه السهو والغفلة في اثنائها بوسوسة الشيطان او بحديث النفس وذلك لا يخلو عنه البشر ومعنى السهو عن الصلاة الغفلة عن اداء الصلاة على ما هي فيؤدي ذلك الى عدم المبالاة بها والاعتناء بشأنها برعاية شروطها واركانها واوقاتها وسننها وآدابها فيقوم ويحط ولا يدري ما يفعل وذلك فعل المنافقين وهو شر من ترك الصلاة لانه استهزاء بالدين فثبت ان السهو في الصلاة من افعال المؤمن لانه شرع فيها بنية صحيحة واعتقاد صادق والسهو عن الصلاة من افعال الكافر فانه وان باشرها صورة لكنه ساه غافل عن حقيقتها لانعدام قصده ونيته عن انس رضي الله تعالى عنه قال الحمد لله على انه لم يقل في صلاتهم لان السهو فيها قد يعتري بوسوسة الشيطان وحديث النفس وذلك لا يكاد يخلو عنه مسلم وكان عليه الصلاة والسلام يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره (قوله او للسببية) اي للدلالة على ان ما وصف به المكذب بالدين من دع اليتيم وترك حث غيره على الخير سبب للدعاء عليه بالويل والظاهر على هذا ان يقال

فويل لهم الا انه وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق وذهب كثير من الصحابة والتابعين الى ان المراد من الماعون في الآية الزكاة ويؤيده انه تعالى ذكره عقيب ذكر الصلاة وماروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من قرأ سورة الماعون غفر له ان كان للزكاة مؤديا فان كل واحد منهما يدل على ان المراد بالماعون الزكاة وذهب اكثر المفسرين الى ان المراد بالماعون اسم لما لايمنع في العادة ويسأله الغنى والفقير وينسب مانعه الى سوء الخلق ولؤم الطبيعة كالفاس والقدر والدلو والمقدحة والغربال والقدوم ويدخل فيه الملح فعلى هذا القول الماعون فاعول من المعن وهو الشئ القليل وسميت الزكاة ماعونا لانها ربع العشر وهو قليل من كثير والمقصود من الآية على هذا القول الزجر عن البخل بهذه الاشياء القليلة فان البخل بها في غاية الدناءة ونهاية الخساسة والخيانة ومن اوصاف المنافقين قال الله تعالى في حقهم الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل وقال مناع للخير معتد اثيم قال العلماء ومن الفضائل ان يستكثر الرجل في منزلة ما يحتاج اليه الجيران فيعيرهم ذلك ولا يقتصر على الاخذ ما يهمه فقط

(سوره الكوثر مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله تعالى انا) اصله اننا فحذفت احدى النونات كراهة اجتماع الامثال ❋ والانطاء الاعطاء بلغة اهل اليمن قال اهل اللغة الكوثر فوعل من الكثرة كنوفل من النفل والعرب تسمى كل شئ كثير العدد اوكثير القدر والخطر كوثرا فهو بناء مفيد المبالغة في الكثرة والافراط فيها قيل لاعرابية رجعت ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر اى بالعدد الكثير من الخير وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال هو الخير الكثير (قوله وقيل) يعنى ان المفسرين ذكروا في تفسير الكوثر اقوالا كثيرة منها ان المراد بالكوثر اولاده عليه الصلاة والسلام ويدل عليه ان هذه السورة نزلت ردا على من قال في حقه عليه الصلاة والسلام انه ابتر ليس له من يقوم مقامه قال ذلك لما مات ابناه القاسم وعبد الله بمكة وهما ابناه عليه الصلاة والسلام من خديجة رضى الله تعالى عنها ومات ابراهيم بالمدينة فوعد الله تعالى في اول السورة ان يعطيه نسلا يبقون على ممر الزمان فانظر كم قتل من اهل البيت ثم ان العالم ممتلئ منهم والحمد لله ثم قال في آخر السورة ان شانئك هو الابتر وقيل الكوثر اتباعه واشياعه الى يوم القيامة ولا شك ان له من الاتباع مالا يحصيهم الا الله عز وجل وقيل

(سورة الكوثر مكية وآيها ثلاث)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إنا أعطيناك) وقرئ انطيناك (الكوثر) الخير المفرط الكثير من العلم والعمل وشرف الدارين وروى عنه عليه الصلاة والسلام انه نهر في الجنة وعدنيه ربى فيه خير كثير أحلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة لايظمأ من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل اولاده او اتباعه او علماء امته او القرآن

(فصل لربك) فدم على الصلاة خالصا لوجه الله خلاف الساهى عنها المرائى فيها شكر الانعامه فان الصلاة جامعة لاقسام الشكر (وانحر) البدن التى هى خيار اموال العرب و تصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم و يمنع منهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلاة بصلاة العيد و النحر بالتضحية (ان شانئك) ان من ابغضك لبغضه لك (هو الابتر) الذى لاعقب له اذلايبقى منه نسل ولا حسن ذكر و اما انت فيبقى ذريتك و حسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة ولك فى الآخرة مالايدخل تحت الوصف ※ عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهرله فى الجنة وكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد فى يوم النحر

الكوثر علماء امته وهو لعمرى الخير الكثير لانهم كانبياء بنى اسرائيل وانهم يدعون عباد الله الى اتباع ماشرع لهم من اتيان مايسعدهم والاجتناب عما يرديهم وذلك وظيفة الانبياء عليهم السلام روى ان اتباع علماء هذه الامة تكثر على اتباع كثير من الانبياء وقيل انه يجاء يوم القيامة بالرسل والانبياء و يتبعهم اممهم ثم يجئ الرسول ومعه الرجل والرجلان و يجاء بكل عالم من علماء امته ومعه الالوف الكثيرة فيجتمعون عند الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فى عبارة عدد متبعى بعض العلماء على عدد متبعى ألف من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذكر فى الطبقات الحنفية انه روى عن ابى حنيفة رحمه الله ان نقلة مذهبه من الشيوخ واكابر العلماء نحو من اربعة آلاف نفر فضلا عمن اقتدى به واهتدى باتباعه وقس عليه سائر الائمة المجتهدين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فكل ذلك خير كثير له صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل الكوثر القرآن وفضائله لاتحصى ولعل المصنف انما لم يرض بهذه الاقوال لان الكوثر الذى هو الخير الكثير يتناول جميع ماانعم الله تعالى به عليه عليه الصلاة والسلام وليس حمله على البعض اولى من حمله على الباقى فيجب ابقاؤه على مايعم خيرى الدنيا والآخرة لان حمله على البعض تخصيص من غير مخصص ثم انه تعالى لما ذكر رسوله ومانعم به عليه من الخير الكثير امره بشكر تلك النعمة العظيمة فقال فصل لربك وانحر بفاء التعقيب المؤذنة بالسببية اى اذا تقرر عندك مافضلت به من الكوثر فدم على الصلاة الجامعة لانواع العبادة (قوله خلاف الساهى عنها المرائى فيها) اشارة الى ان قوله تعالى فصل مقابل لقوله فى السورة المتقدمة الذين هم عن صلاتهم ساهون وقوله لربك مقابل لقوله وهما الذين هم يراؤن (قوله شكر الانعامه) اى لانعامه عليه بقوله دم على الصلاة فان كثرة الانعام توجب مداومة المنعم عليه على شكر المنعم فكأنه قيل انا اعطيناك الكوثر فدم على الشكر فان الصلاة جامعة لاقسام الشكر وهى ثلاثة الاول الشكر بالقلب وهو ان يعتقد ان تلك النعم منه تعالى انعم بها عليه تفضلا وكرما والثانى الشكر باللسان وهو ان يمدح المنعم و يثنى عليه بما هو اهله والثالث الشكر بالجوارح وهو ان يخدمه و يتواضع له بالطرق التى بينها الشارع والصلاة جامعة لهذه الاقسام كلها (قوله خلافا لمن يدعهم) يعنى ان قوله تعالى وانحر مقابل لما ذكر من اوصاف المنافقين بقوله الذى يدع اليتيم و يمنعون الماعون فان ذبح البدن التى هى خيار الاموال والتصدق بلحومها على المحتاجين مقابل لدعهم ومنع الماعون عنهم (قوله ان من ابغضك) يعنى ان الشانئ بمعنى المبغض الذى هو ضد المحب يقال شنأه شنأ وشنآنا بفتح النون وسكونها

اى ابغضته فالمعنى ان من ابغضك اى من لا يحبك بل يعاديك لمخالفتك له هو الابتر لبغضه لك فقوله لبغضه لك علة لكون الشانئ هو الابتر فانه يفيد كون بغضه علة لكونه ابتر اى مقطوع العقب روى ان عامر بن وائل كان يعير بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم و يقول انى لاشنؤك وانك الابتر من الرجال فنزلت تمت سورة الكوثر وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(سورة الكافرين مكية و يقال لها ولسورة الاخلاص المقشقشتان اى المبرئتان من النفاق)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله يعنى كفرة مخصوصين) روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال سبب نزول هذه السورة ان الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب وامية بن خلف لقوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا يا محمد هلم فاعبد ما نعبد ونعبد ما تعبد ونشترك نحن واياك فى امرنا كله فان كان الذى جئت به خيرا مما بايدينا كنا قد شركناك وا خذنا بحظنا منه وان كان الذى بايدينا خيرا من الذى بيدك كنت قد شركتنا فى امرنا و اخذت بحظك منه فانزل الله تعالى قل يا ايها الكافرون ونزل قوله تعالى قل أفغير الله تأمرونى اعبد ايها الجاهلون فغدا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا منه عند ذلك فالالف واللام فى قوله تعالى الكافرون وان كانت للجنس بسبب الظاهر حيث وقع الكافرون صفة لاى الا ان مافيه من التعريف للاشارة الى المعهود بقرينة سبب النزول ولان قوله تعالى لا اعبد ما تعبدون لا يجوز ان يكون خطابا مع كل الكفرة لان فيهم من يعبد الله تعالى كاليهود والنصارى ولا يجوز ان يقال لهم لا اعبد ما تعبدون ولا يجوز ايضا ان يكون قوله ولا انتم عابدون ما اعبد خطابا مع الكل لان فى الكفار من آمن وصار بحيث يعبد الله تعالى فعلمنا بهذه القرينة ان الخطاب للكفرة المخصوصين الذين سبق فى علمه تعالى انهم سيموتون اويقتلون على كفرهم (قوله فان لا لا تدخل الاعلى مضارع بمعنى الاستقبال) لانها لا تدخل ابدا الا على المضارع الموصوف فان لا قد تدخل على الماضى بشرط التكرير نحو قوله تعالى فلا صدق ولا صلى و قد تدخل على الاسم كقوله تعالى ولا انتم عابدون وكذا قوله كما ان ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال فان معناه انها اذا دخلت على المضارع يكون المضارع بمعنى الحال بقرينة الاولى لا افعل فى المستعمل ما تطلبونه

(سورة الكافرين مكية وآيها ست)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل يا ايها الكافرون) يعنى كفرة مخصوصين قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون روى ان رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد آلهتنا سنة و نعبد الهك سنة فنزلت (لا اعبد ما تعبدون) اى فيما يستقبل فان لا لا تدخل الاعلى مضارع بمعنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الاعلى مضارع بمعنى الحال (ولا انتم عابدون ما اعبد) اى فيما يستقبل لانه فى قران لا اعبد (ولا انا عابد ما عبدتم) اى فى الحال او فيما سلف (ولا انتم عابدون ما اعبد) اى وما عبدتم فى وقت ما انا عابده

نفي من عبادة آلهتكم لما ذكره من ان المضارع المصدر بكلمة لا يكون للاستقبال ومعنى القرينة الثانية ولا انتم عابدون في المستقبل ما طلب منكم من عبادة إلهي لان اسم الفاعل وان كان صالحا للحال والاستقبال الا انه ههنا للاستقبال لوقوعه في مقابلة لا اعبد ثم انهم اختلفوا في ان القرينة الثالثة هل هي تأكيد للاولى اولا وكذا الرابعة هل هي تأكيد للثانية اولا واختار المصنف ان كل قرينة من القرينتين الاخيرتين لافادة معنى على حده بان حمل كل قرينة مقيدة بزمان غير زمان القرينة الاخرى فحمل القرينة الاولى على الاستقبال بشهادة كلمة لا وحمل القرينة الثالثة على الحال او الماضي وكان المعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه من عبادة الاصنام ولست في الحال او في الماضي بعابد لما عبدتم من الاصنام وحمل القرينة الثانية وهي قوله ولا انتم عابدون ما اعبد على الاستقبال لوقوعها في مقابلة الاولى وحمل القرينة الرابعة على استغراق النفي وشموله لجميع الازمنة بناء على ان الجملة الاسمية تفيد الدوام واذا دخل عليها حرف النفي تفيد دوام النفي ثم قال ويجوز ان يكونا تأكيدين على طريقة ابلغ اى ويجوز ان يكون القرينة الثالثة تأكيدا للاولى على طريقة ابلغ لان القرينة الاولى لنفي الاستقبال والثالثة تفيد دوام النفي في جميع الازمنة كما عرفته فتفيد ما افادته الاولى مع زيادة فكانت تأكيدا لها على طريقة ابلغ وكذا القرينة الرابعة يجوز ان تكون تأكيدا للثانية على ابلغ وجه لان الثانية حملت بقرينة المقابلة على نفي الاستقبال والرابعة محمولة على عموم النفي فيكون ابلغ منها والفائدة على تقدير ان يحمل القرينتان على التأكيد قطع اطماع الكفار وتحقيق الاخبار بانهم يموتون على الكفر ولا يسلمون ابدا ويرد على تجويزه ان يكون قوله تعالى ولا انا عابد محمولا على الماضي كما اشار اليه بقوله او في ما سلف ان عابدا اسم فاعل وهو لا يعمل الا اذا كان بمعنى الحال او الاستقبال وكيف يصح ان يعمل في قوله ما عبدتم وهو بمعنى الماضي الا ان يقال اعماله مبني على كونه بمعنى حكاية الحال الماضية كما في قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه وقوله تعالى والله مخرج ما كنتم تكتمون ونحوهما وهو لا ينافي كون مدلوله واقعا في الماضي في نفس الامر (قوله وهو عليه الصلاة والسلام لم يكن موسوما بعبادة الله تعالى) اى قبل البعثة لان العبادة عبارة عن اعمال الجوارح الواقعة امتثالا لامر الله تعالى وقصد التطبيق وما وقع منه عليه الصلاة والسلام قبل البعثة من توحيد الله تعالى وتنزيهه عن كل ما لا يليق بجناب ذاته ومن مناسك الحج واعماله على حسب ما تواتر من مشاعر ابراهيم عليه الصلاة والسلام وان كان عبادة بمعنى المعرفة

ويجوز ان تكونا تأكيدين على طريقة ابلغ وانما لم يقل ما عبدت لتطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل المبعث بعبادة الاصنام وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى

والانقان بالحق الا انه ليس بعبادة بالمعنى المذكور لانه يجب كونها مسبوقة بامر الشارع ومأمورا بها من قبله ولا امر قبل البعثة ولان الشرائع السابقة على شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام صارت منسوخة بشريعة عيسى واما شريعة عيسى فقد صارت منقطعة بسبب ان الباقين منهم النصارى وهم كفار قبل بعثة رسولنا صلى الله تعالى عليه وسلم بسبب قولهم بالتثليث والذين بقوا على التوحيد قلوا غاية القلة وتفرقوا في البلدان فلم يكن قولهم حجة شرعية فثبت انقطاع شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام فما وقع بعد انقطاعها لايكون على طريق الامتثال للشرع فلم يكن عليه الصلاة والسلام قبل البعثة موسوما بعبادة الله تعالى فلذلك لم يكن نظم الآية ولا انتم عابدون ماعبدت وان كان هو المطابق لقوله ماعبدتم (قوله وانما قال ماذون من) جواب عما يقال المراد بقوله ماأعبد في القرينة الثانية والرابعة هو الله تعالى فكيف عبر عنه بكلمة ما والاصل فيها ان لاتطلق على اولى العلم اذا اريد بهم نفس ذواتهم واما اذا اريد ان يعبر عنهم عما يدل على غاية التعظيم والتحقير فحينئذ يعبر عنهم بكلمة ما فان ما الموصولة لا تستعمل في ذي العلم الا باعتبار الوصفية فيه وتعظيم شأنه كقوله سبحان ما سخركن لنا اي سبحان العظيم الشان الذي سخر امثالكن لنا فكذا معنى الآية ولا انتم عابدون الاله العظيم الشأن الذي لايستحق العبادة غيره وللحمل مافي ماأعبد على المعبود بالحق حمل قوله تعالى ماعبدتم وما تعبدون على الباطل تحقيقا للتقابل والثاني انه لما عبر عن المعبودات الباطلة بما على الاصل عبر عن المعبود الحق ايضا بها للمقابلة والمشاكلة فان رعاية المقابلة تحسن ما لايحسن حال الانفراد ثم اشار الى جواب ثالث بقوله وقيل مامصدرية ومحصوله انا انما يحتاج الى الاعتذار باحد الوجهين ان لوكانت ماموصولة وليست كذلك بل هي مصدرية والمعنى لااعبد عبادة بكم اي مثل عبادتكم ولابد من هذا التقدير لان الشخص لا يفعل نفس فعل غيره ولكن يفعل مثل فعله فكذا الكلام في اخواتها (قوله وقيل الاوليان بمعنى الذي) فالمعنى لااعبد الاصنام التي تعبدونها ولا انتم تعبدون الله الذي اعبده والاخريان مصدريتان والمعنى ولا انا عابد مثل عبادتكم المبنية على الشك والتقليد ولا انتم عابدون مثل عبادتي المبنية على اليقين والبرهان والظاهر ان مقصود القائل بحمل هذه القرائن الاربع على التأسيس بيان التغاير بينها بهذا الوجه ولادخل له في الجواب اولا تعرض فيه لوجه التعبير عنه تعالى بكلمة ما في القرينة الثانية وانما اخره الى هنا من حيث ان له تعلقا بهذا المقام ايضا (قوله وليس فيه اذن في الكفر

وانما قال ماذون من لان المراد الصفة كانه قال لااعبد الباطل ولاتعبدون الحق او للمطابقة وقيل ما مصدرية وقيل الاوليان بمعنى الذي والآخريان مصدريتان (لكم دينكم) الذي انتم عليه لا تتركونه (ولي دين) الذي انا عليه لا ارفضه وليس فيه اذن في الكفر ولامنع عن الجهاد ليكون منسوخا بآية القتال اللهم الا اذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من الفريقين الآخر على دينه وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء

ولا مع عن الجهاد) جواب عما يقال كيف امر عليه الصلاه والسلام ان يقول لهم لكم دينكم وهو اذن لهم في الكفر وقد بعث عليه الصلاه والسلام للمنع عن الكفر وايضا انه عليه الصلاه والسلام لما امر بان يأذن لهم في الكفر والثبات عليه لزم ان يكون ممنوعا عن الجهاد وهو عليه الصلاه والسلام مأمور به وتقرير الجواب ان قوله تعالى لكم دينكم لما كان معناه انكم لا تتركونه ابدا ولا تفارقون ذلك دينكم كان ذلك منزلة لقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد وبيانا لمحصل معناه فليس فيه اذن في الكفر بل هو تقريع وذم لهم بالاصرار على الكفر والضلال ولا منع عن الجهاد ايضا وقيل هذه السورة نزلت قبل الامر بالجهاد فهي منسوخة بآية القتال وان فسر الدين بالحساب كان المعنى لكم حسابكم ولي حسابي ولا يرجع الى كل واحد منا من عمل صاحبه اثر البتة فالامر ظاهر وكذا ان فسر بالجزاء وقد يستعمل الدين بمعنى الدعاء كما في قوله تعالى ادعوا الله مخلصين له الدين وان فسر الدين بالدعاء يكون معنى قوله لكم دينكم ان دعاكم لا يسمع ولا يقبل وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي عن طريق قبول الله تعالى اياه ولا يقبله الاصنام ايضا لقوله تعالى وان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم واما تقبل ويستجاب دعاء من آمن بالله تعالى واستعد له كما قال تعالى واستجيب الدين آمنوا ادعوني استجب لكم (قوله والعباده) لعله تصحيف من الناسخين والعبارة الصحيحة العادة فان الدين قد يستعمل بمعنى العادة والشان والمعنى لكم عادتكم المأخوذة من اسلافكم من الشياطين ولي عادتي المأخوذة من الملائكة ومن الوحي ثم يجري كل واحد منا ومنكم على حسب عادته فاتي الملائكة والجنة وتلقون الشياطين والنار ولا وجه لاطلاق لفظ العبادة على اعمال المشركين الا ان يقال اطلق عليها الدين والطاعة لوقوعها في صحبة قوله ولي دين والمشاكلة من صنائع اهل البلاغة والله اعلم ❊ تمت سوره الكافرين والحمد لله رب العالمين

(سوره النصر مكية وقيل مدنية فانه روى انه عليه الصلاه والسلام عاش بعد نزولها سنتين)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله اظهاره اياك) يعني ان نصر الله مصدر مضاف الى فاعله ومفعوله محذوف للعلم به اي نصر الله اياك وان المراد بنصره تعالى اياه عليه الصلاه والسلام اظهاره وجعله غالبا على اعدائه من قريش وسائر العرب يقال ظهرت على فلان اذا علوت عليه وكذا الفتح فانه مصدر ايضا ومفعوله

وعن النبي عليه الصلاه والسلام من قرأ سوره الكافرين فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك

(سورة النصر مدنية وآيها ثلاث)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا جاء نصر الله) اظهاره اياك على اعدائك والفتح فتح مكة وقيل المراد جنس نصر الله للمؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم

من حرف التعريف عوض عن الاضافه ومفعوله محذوف وهو مكة فان فتحها هو الذي قال له فتح الفتوح والتقدير وفتح مكة وجواب اذا وعامله هو قوله تعالى فسبح وقد اشتهر ان الجواب هو العامل فيه اي اذا جاءك النصر والفتح وكثرة الاتباع والامم فاشتغل انت بالتسبيح والحمد والاستغفار وقيل اذا منصوب بجاء وقيل جوابه محذوف والتقدير اذا جاءت هذه الاشياء فقد عظمت نعمة الله تعالى عليك وقيل حضر اجلك وعطف الفتح على النصر من قبيل عطف المسبب على السبب لان النصر الالهي سبب للفتح وتقييد النصر بالاضافة اليه تعالى مع ان النصر لايكون الامن الله تعالى كما قال تعالى وما النصر الامن عند الله لتعظيم المضاف اي اذا جاءك نصر لايليق الابالله ولايفعله الاهو سبحانه وقيل المفعول المقدر لكل واحد من النصر والفتح ليس امرا مخصوصا هو اياك ومكة بل الآية من قبيل ما حذف فيه المفعول للتعميم والمعنى اذا جاء نصر الله لمن آمن به وفتحه ديار الكفر عليه (قوله واعا عبر عن الحصول بالمجيء) جواب عما يقال من ان المجيء من خواص ما يصح عليه الانتقال من الجواهر والنصر والفتح ليسا من قبيل الجواهر فكيف اسند المجيء اليهما والظاهر ان يقال اذا وقع او حصل نصر الله عز وجل وتقرير الجواب انه عبر عن حصولهما بالمجيء تشبيها لهما بما يصح الانتقال في حقه من حيث ان الحوادث قدر وجودها في الازل فالله سبحانه قدر لحدوث كل واحد منها اسبابا بعينه واوقاتا مقدره لا يحدث شيء منها الا اذا تحققت اسبابه وحضرت اوقاته فشبه كونها مربوطة معلقة بتلك الاسباب والاوقات بكونها متوجهة اليها بحيث تقرب منها شيئا فشيأ وشبه وقوعها عند حضور اوقاتها بمجيئها اليها فأطلق اسم المجيء على ذلك الوقوع ثم اشتق منه لفظ جاء فكان استعارة تبعية وكلمة اذا ظرف لما يستقبل فالآية بظاهرها تدل على ان هذه السورة نزلت قبل ان نصره الله تعالى نصرا تسبب عنه فتح مكة ودخول الناس في دين الله افواجا ولهذا قيل انها مكية وعده الله تعالى وهو فيها انه سيهاجر منها ثم انه تعالى يفتحها له ويدخل الناس في دين الله افواجا بنصره له واظهاره على اعدائه وقيل كلمة اذا هنا لمجرد الوقت وان فتح مكة كان سنة ثمان ونزلت هذه السورة سنة عشر وروي انه عليه الصلاة والسلام عاش بعد نزول هذه السورة سبعين يوما ولذلك سميت سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا والتوجه الى دار البقاء وروي انه عليه الصلاة والسلام عاش بعد نزولها ستين يوما مستديما للتسبيح والاستغفار وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انه عليه الصلاة والسلام كان بعد

واعا عبر عن الحصول بالمجيء بجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيئا فشيأ وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لورودة مستعدا لشكره ؛

نزول هذه السورة يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفرلي وقال مقاتل انه عليه الصلاة والسلام عاش بعد نزولها حولا واعلم ان صفات الحق تعالى منحصرة في قسمين سلبية وثبوتية والسلوب متقدمة على الايجابات والتسبيح اشارة الى التعرض للصفات السلبية لواجب الوجود وهي صفات الجلال والتحميد اشاره الى الصفات الثبوتية له تعالى وهي صفات الاكرام ولما امره الله تعالى بالاشتغال بذكره بصفاته السلبية والثبوتية امره بعده بالاستغفار لان الاستغفار فيه رؤية قصور النفس وكمال وجود الحق وفيه ايضا طلب لما هو الاصلح والاكمل للنفس من حضرة وهاب العطايا وهذا الطريق اعني النزول من المؤثر الى الاثر اشرف طرق السائرين فان لهم طريقين في مسيرهم منهم من يقول مارأيت شيئا الا ورأيت الله بعده ومنهم من يقول مارأيت شيئا الا ورأيت الله قبله ولاشك ان النزول من المؤثر الى الاثر احل من الصعود من الاثر الى المؤثر لان الاستدلال بالاصل على التبع اقوى من الاستدلال بالتبع على الاصل ولكون هذه الطريقة اشرف الطريقتين قدم الاشتغال بالخالق على الاشتغال بالخلق وهو النفس فذكر في حق الاشتغال بالخالق امرين التسبيح والتحميد وفي حق الاشتغال بالنفس الاستغفار وهو حالة ممزوجة من الالتفات الى الخالق والى الخلق (قوله تعالى يدخلون) في موضع النصب على انه حال من الناس ان جعلت الرؤية بصرية او بمعنى المعرفة وان جعلت بمعنى العلم كان مفعولا ثانيا لها وافواجا حال من الضمير في يدخلون والفوج الجماعة الكثيرة روي انه عليه الصلاة والسلام لما فتح مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اما اذا ظفر باهل الحرم فليس لاحد به طاقة وقد كان الله تعالى اجارهم من اصحاب الفيل ومن كل من ارادهم بسوء ثم اخذوا يدخلون في دين الاسلام افواجا من غير قتال وقصة فتح مكة انه لما وقع صلح الحديبية وانصرف عليه الصلاة والسلام اغار بعض من كان في عهد قريش على خزاعة وكانوا في عهده عليه الصلاة والسلام فجاء سفير ذلك القوم واخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعظم ذلك عليه عليه الصلاة والسلام ثم قال اما ان هذا العارض ليخبرني ان النصر يجيء من عند الله تعالى ثم قال لاصحابه انظروا فان اباسفيان يجيء و يلتمس ان يجدد العهد فلم يمض ساعة الا جاء الرجل ملتمسا لذلك فلم يجبه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ولا احد من اكابر الصحابة رضي الله تعالى عنهم ورجع الى مكة آيسا فتجهز عليه الصلاة والسلام للمسير الى مكة فخرج اليها وفتحها ووقف على باب المسجد وقال ❊ لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ❊ ثم قال يا اهل مكة ماترون اني فاعل

(ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا)

بكم فقالوا خيرا اخ كريم فقال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم ثم انهم بايعوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الاسلام والسمع والطاعة ثم صار الناس يدخلون في دين الاسلام فوجا بعد فوج (قوله جماعات كثيفة) اى كثيرة (قوله فتعجب) اى قال سبحان الله والحمد لله تعجبا مما اراك من عجب انعامه عليك وهو العلبة على اهل الحرم فان هذه الكلمة قد يقال عند التعجب عادة فصح ان يفسر الامر بالتسبيح بالامر بالتعجب لذلك ولاسيما ان المقام مقام التعجب ولعل الوجه في ذكر هذه الكلمة عند التعجب هو ان الانسان عند المشاهدة الامر العجيب يستبعد وقوعه كانه يستقصر قدرة الله تعالى عنه و يخطر بباله ان يقول من يقدر عليه و يوجده ثم يتدارك انه في هذا الزعم مخطئ فيقول سبحان الله تعالى تنزيها لله تعالى عن العجز عن خلق مثله من العجائب واعتقادا بانه تعالى على كل شئ قدير (قوله اوفصل له) يعنى يجوز ان يكون المراد بالتسبيح الصلاة تسمية للمحل باسم ماحل فيه لان الصلاة لاتخلو عنه فكانه جزء منها وقد عبر بلفظ التسبيح عن الصلاة في مواضع من القرآن قال الله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقال فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وحمل اللفظ على المجاز لما وجب ان يستند الى قرينة تعين المعنى المجازى ايد هذا الاحتمال بما روى انه عليه الصلاة والسلام صلى ثمانى ركعات يوم فتح مكة داخل البيت ثم قيل انه عليه الصلاة والسلام صلاها شكر الله تعالى وقال آخرون هى صلاة الضحى وقيل اربع للشكر واربع للضحى (قوله اوفنزهه) لماروى انه عليه الصلاة والسلام سئل ما المراد بالتسبيح في قوله تعالى فسبح بحمد ربك فقال تنزيه الله تعالى عن كل سوء فانه تعالى منزه في ذاته وصفاته وافعاله عن كل مالايليق بشأنه الاعلى (قوله اوفأثن على الله تعالى) اى و يجوز ان يكون التسبيح لا بمعنى التنزيه بل يكون بمعنى الثناء عليه تعالى بصفات الجلال و يكون التحميد بمعنى الثناء عليه بصفات الاكرام وصفات الجلال صفات دالة على عظمة الذات وكماله من غير كونها متعلقة بالمخلوق بالافضال والانعام عليه كالعظمة والكبرياء والملك والتقدس والعز والجبروت والعلم والسمع والبصر ونحوها وصفات الاكرام صفات لها آثار في الخلق كالرحمن والرحيم والغفار والرزاق والوهاب والباسط والغنى ونحوها وقوله بحمد ربك حال من المنوى في فسبح اى سبحه حامدا له اى مقدرا ان تحمده بعد التسبيح (قوله هضما لنفسك) اشارة الى ان الحكمة الداعية الى امر النبى المعصوم من الذنب بالاستغفار هضم النفس وكسرها بان تعدها قاصرة عن البلوغ الى درجة الكمال في المعرفة والعبادة و تقول ماعرفناك حق معرفتك وماعبدناك

جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن والهوازن وسائر قبائل العرب و يدخلون حال على ان رأيت بمعنى ابصرت او مفعول ثان على انه بمعنى علمت (فسبح بحمد ربك) فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال احد حامدا له عليه اوفصل له حامدا على نعمه روى انه لما دخل مكة بدأ بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمانى ركعات اوفنزهه عما كانت الظلمة يقولون حامدا له على ان صدق وعده او فأثن على الله بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام (واستغفره) هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك بالالتفات الى غيره وعنه عليه الصلاة والسلام انى استغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة وقيل استغفره لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رأيت شيئا الا و رأيت الله قبله

حق عبادتك ولما كانت مراتب السير الى الله تعالى غير متناهية كانت كل مرتبة من مراتب العرفان فوقها مراتب آخر وعلى حسب تفاوت مراتب العرفان تتفاوت مراتب السعادة المتفرعة على معرفة عظمة المعبود فاذا وصل العبد الى مرتبة في العبودية ثم تجاوز عنها وبعد تجاوزه عنها يرى ذلك المقام قاصرا فيستغفر الله تعالى منه وهذا القدر انما يحتاج اليه على تقدير ان يكون معنى قوله تعالى واستغفره واستغفر الله لذنبك اما اذا كان معناه واستغفره لذنب امتك فالامر ظاهر (قوله كان توابا لمن استغفره منذ خلق المكلفين) يعني ان لفظ كان ههنا للدلالة على استمرار ثبوت خبرها لفاعلها منذ خلق المكلفين ومن كان هذا شانه فاولى بقبول استغفارك وتوبتك فلا يرد ان يقال ان الافعال الناقصة انما تدل على زمان ثبوت خبرها لفاعلها فلفظ كان في الآية تدل على ان ذلك الثبوت في الماضي وكونه تعالى توابا في الماضي كيف يكون علة للاستغفار في الحال او في المستقبل ووجه سقوط هذا الوهم على توجيه المصنف ظاهر ومعنى كونه تعالى توابا انه يكثر منه قبول التوبة الكثيرة من التوابين اولكثرة ما تابوا منه من الذنوب (قوله ولعل ذلك) اي ولعل الوجه في كون نزول هذه السورة نعيا له عليه الصلاة والسلام ان كونه عليه السلام منصورا غالبا على اعدائه وحصول الفتح ودخول الناس في الدين افواجا يدل على تمام الدعوة والتبليغ وتمامه يدل على ارتحاله عليه الصلاة والسلام من هذه الدنيا اولان الامر بالاستغفار تنبيه على قرب الاجل كانه قيل قرب الوقت ودنا الرحيل فتأهب للامر وفيه تنبيه على ان العاقل يجب عليه ان يستكثر من التوبة والاستغفار اذا قرب اجله ولهذا سميت السورة سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا

(سورة المسد مكية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قوله هلكت اوخسرت) فان التباب يكون بمعنى الهلاك كما في قوله شابة ام تابة اي ام هالكة ومنه قوله تعالى وما كيد فرعون الا في تباب اي في هلاك ويكون بمعنى الخسران ايضا كما في قوله تعالى وما زادوهم غير تتبيب اي غير تخسير بدليل انه يقال تب لفلان كذا اي استمر وتب يدا ابي لهب اي استمرتا في الخسران والمراد بقوله تعالى يدا ابي لهب نفسه كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وماقدمت يداه اي نفسه فعلى هذا يكون قوله تعالى تبت يدا ابي لهب دعاء عليه بهلاك نفسه (قوله وقيل انما خصتا الخ) يعني قيل المراد باليدين نفس الجارحتين المخصوصتين والمقصود من الكلام الدعاء عليه بهلاك يديه وخصتا بالدعاء بهلاكهما لقصده بهما رمي رسول الله صلى الله

(انه كان توابا) لمن استغفره منذ خلق المكلفين والاكثر على ان السورة نزلت قبل فتح مكة وانه نعي لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لما قرأها بكى العباس فقال عليه السلام ما يبكيك قال نعيت اليك نفسك فقال انها لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال امر الدين فهي كقوله اكملت لكم دينكم اولان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولهذا سميت سورة التوديع * وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة اذا جاء اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

(سورة ابي لهب مكية وآيها خمس)

بسم الله الرحمن الرحيم

(تبت) هلكت اوخسرت والتباب خسران يؤدي الى الهلاك (يدا ابي لهب) نفسه كقوله ولا تلقوا بايديكم وقيل انما خصتا لانه عليه الصلاة والسلام لما نزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين جمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه به فنزلت

تعالى عليه وسلم حين انذره بعذاب الآخرة كانه قيل شلت يداه كيف قصد ان يرمى بهما سيد الكائنات وهو يدعوه ليحييه من شقاوة الابد الى سعادة الدارين وابولهب هو ابن عبد المطلب عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان شديد المعاداة له روي انه عليه الصلاة والسلام خرج الى سوق ذي المجاز يدعو الناس الى التوحيد ويقول يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا وابولهب خلفه يرميه وكان قد ادمى ساقه وعرقوبيه ويقول ايها الناس انه كذاب فلا تصدقوه وروي انه اخذ حجرا ليرمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله تعالى من ذلك حيث لم يستطع ان يرميه وهو قوله تعالى وتب (قوله وقيل المراد بهما دنياه وآخرته) تشبيها باليدين من حيث انه ينسب اليهما لما اصابه من الحوادث كما ينسب الانسان بيده لما يكسبه (قوله لاشتهاره بكنيته) دون اسمه فان الرجل قد يكون مشهورا باحدهما دون الآخر ولهذا يجعل اللقب عطف بيان للاسم اذا اشتهر الرجل بلقبه وقد يعكس الامر اذا اشتهر باسمه ويؤيد هذا الوجه انه قرأ عليه الصلاة والسلام تبت يدا ابولهب بالواو مع ان القياس ان تقرأ ابي لهب بالياء لكونه مضافا اليه ووجه التأييد ان الشخص لما كان مشهورا بهذه الكنية وهي ابولهب بالواو صارت عنده اسم العلم فلم تتغير في شيء من الاحوال لان الاعلام لا تتغير بخلاف المضاف في التركيب الاضافي فان اعرابه تتغير على حسب اختلاف العوامل فيقال هذا ابولهب ورأيت ابا لهب كما يقال علي بن ابوطالب ومعاوية بن ابو سفيان بالواو فيهما لان كل واحدة من الكنيتين لما كانت علما للعلم لم تغير لئلا يشكل فيهما المراد على السامع (قوله اولانه لما كان من اصحاب النار كانت الكنية اوفق بحاله) فان مرجعه لما كان نارا ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا بان يذكر بابي لهب كما يقال ابو الشر وابو الخير للشرير والخير (قوله وتب اخبار بعد دعاء) يعني ان الجملة الاولى دعاء عليه بالهلاك كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره والمقصود بيان استحقاقه لان يدعى عليه بالهلاك فان حقيقة الدعا شأن العاجز وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا والجملة الثانية اخبار عن تحقق المدعو ووقوع المطلوب على نهج قول الشاعر وقد فعل على سبيل التفاؤل والعاويات في البيت يروى بالواو من عوى الكلب يعوي اذا صاح وبالدال من عدا في المشي اي اسرع ولعل المراد بها الكلاب الكلبة وهي التي يأخذها داء الجنون يسري مرضها الى من تعضه ووجه قراءة وقدتب على كون الجملة الثانية اخبارا بعد دعاء ان قد لا تدخل على الدعاء وانما تدخل على جملة خبرية مضمونها متوقع الحصول

وقيل المراد بهما دنياه وآخرته وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته اولان اسمه عبد العزى فاستكره ذكره او لانه لما كان من اصحاب النار كانت الكنية اوفق بحاله اولتجانس قوله ذات لهب وقرأ ابن كثير ابي لهب بسكون الهاء وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب (وتب) اخبار بعد دعاء والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه ※ جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ※ ويدل عليه انه قرئ وقدتب

مثل قد حرح الامير لم يمطر حروحه وبهذه القراءة دلت على ان ما بعدها ليس بدعاء كما قبلها (قوله او الاول اخبار عما كسبت يداه) اى اخبار بهلاك عمله وانه محروم مما يترتب عليه من المنافع والثانى اخبار بهلاك نفسه فانه هالك ضائع فى الدنيا والآخرة وانما عبر عن عمله باليدين لان اكثر الاعمال انما يحصل بمباشرة اليدين (قوله نفى لاغناء المال عنه) اى و يجوز اى تكون كلمة ما حرف نفى لا محل لها من الاعراب فعلى هذا يكون مفعول اغنى محذوفا اى لم يغن عنه ماله شيئا وهو استئناف جوابا عما كان يقول اللعين ان كان ما تقول ان اخى حقا فأنا افتدى منه نفسى بمالى وولدى و يجوز ان تكون استفهامية بمعنى الانكار فتكون فى موضع النصب بأغنى اى اى شئ اغنى عنه ماله حين نزل به التباب والعذاب فانه لا احد اكثر مالا من قارون ومادفع عنه الموت والعذاب ولا اعظم ملكا من سليمان عليه الصلاة والسلام فهل دفع ذلك منه الموت ولم يصرح فى الآية ان المراد من الاغناء الاغناء فيما ذا قال بعضهم فى عداوة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فانه كان يعتقد ان يده هى العليا وانه يخرجه من مكة و يذله و يغلب عليه اعتمادا على كثرة امواله واولاده وقال بعضهم بل المعنى انهما لم يغنيا عنه فى دفع النار ولذلك قال سيصلى نارا فانه تصوير الهلاك بحيث يظهر معه عدم اغناء المال وما كسب و يؤيد هذا المعنى ماروى عنه من قوله ان كان ما يقوله ابن اخى حقا فانا افتدى منه نفسى بمالى واولادى (قوله وكسبه) على ان كلمة ما فى قوله وما كسب مصدرية وقوله اومكسوبه على ان تكون ما موصولة اوموصوفة اى والذى كسبه اوشئ كسبه والموصول وكذا الموصوف عبارة عن المكسوب فلذلك فسرها به فالكسب بمعنى المكسوب ثم انه يحتمل ان يكون المراد بماله رأس المال من اى نوع كان ومكسوبه ما اكتسبه بأصل ماله من النتائج والارباح و يحتمل ان يكون المراد بماله المال الذى ورثه من ابيه و بما كسب المال الذى كسبه بنفسه و يحتمل ان يكون المراد بماله ما فى يده من المال مطلقا وبكسبه ما اكتسبه من الاعمال والاولاد والوجاهة والاتباع روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه انه قال ما كسب ولده وقد ورد فى الحديث تسمية الولد كسبا حيث قال عليه الصلاة والسلام ان اطيب ما يأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه (قوله وقد افترسه اسد) اى اهلكه وكان ذلك بدعاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعا عليه لشدة عداوته له عليه الصلاة والسلام روى عن عروة بن الزبير ان عتبة بن ابى لهب كان تحته بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما اراد ان يسافر الى الشام قال لآتين محمدا فلاؤذينه فأتاه فقال يا محمد انى كافر بالنجم اذا هوى

او الاول اخبار عما كسبت يداه والثانى عن نفسه (ما اغنى عنه ماله) نفى لاغناء المال عنه حين نزل به التباب او استفهام انكاره ومحله النصب (وما كسب) وكسبه او مكسوبه بماله من النتائج والارباح والوجاهة والاتباع اوعمله الذى ظن انه ينفعه اوولده عتبة وقد افترسه اسد فى طريق الشام وقد احدق به العير

و بالذى دنا فتدلى ثم تفل فى وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال عليه الصلاة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا عنده فوجم لها اى اشتد حزنه لاجل تلك الدعوة حتى امسك عن الكلام لاجل حزنه وقال ما اغناك يا ابن اخى عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه فاخبره بما وقع له ثم خرج الى الشام فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من دير فقال ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اعينونا يا معاشر قريش هذه الليلة فانى اخاف على ابنى من دعوة محمد فجمعوا جمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتبة فسلط الله تعالى الاسد وألقى السكينة على الابل فجعل الاسد يتخللهم و يشم وجوههم حتى وجد عتبة وافترسه فقال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه

من يرجع العام الى اهله ❊ فما اكيل السبع بالراجع

كان لكم فى هذه عبرة ❊ للسيد المتبوع والتابع

فعلى هذه الرواية احتمل ان يكون قوله تعالى تبت يدا ابى لهب اخبارا عن هلاك نفسه وقوله وتب اخبارا عن هلاك ولده عتبة وكون نزول هذه السورة متقدما على هلاكهما لاينافيه كون الاخبار بلفظ الماضى لان وروده بلفظ الماضى مبنى على انه محقق الوقوع فى علمه تعالى (قوله ومات ابو لهب بالعدسة) وهى بثرة تخرج بالانسان وربما قتلت روى عن ابى رافع مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الاسلام دخل بيتنا فاسلم العباس واسلمت ام الفضل وكان العباس يهاب القوم و يكتم اسلامه وكان ابو لهب تخلف عن بدر فبعث مكانه العاص بن هشام ومن لم يتخلف رجل منهم الا بعث مكانه رجلا آخر فلما جاء الخبر عن واقعة اهل بدر وجدنا فى انفسنا قوة وكنت رجلا ضعيفا اعمل القداح فى حجرة زمزم فكنت جالسا وعندى ام الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر اذ أقبل ابو لهب يجر رجليه فجلس على طنب الحجرة فكان ظهرى الى ظهره فبينما هو جالس اذ قال الناس هذا ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب فقال ابو لهب كيف الخبر يا ابن اخى فقال لقينا القوم ومنحناهم اكتافنا يقتلونا كيف ارادوا وايم الله ومع ذلك قال الناس لقينا رجال بيض على خيل برق بين السماء والارض فقال ابو رافع فرفعت طنب الحجرة ثم قلت اولئك والله الملائكة فأخذنى وصرعنى على الارض ثم برك على يضربنى وكنت رجلا ضعيفا فقامت ام الفضل الى عمود فضربته على رأسه فشجته وقالت تستضعفه اذ غاب سيده والله نحن مؤمنون منذ كذا وقد صدق فيما قال فانصرف ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله تعالى

ومات ابو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بأيام معدودة وترك ميتا ثلاثا حتى انتن ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه (سيصلى نارا ذات لهب) اشتعال يريد نار جهنم

ولیس فیه ما یدل علی انه لا یؤمن لجواز ان یکون صلیها للفسق وقرئ سیصلی بالضم مخففا ومشددا (وامرأته) عطف علی المستکن فی سیصلی او مبتدأ وهی ام جمیل اخت ابی سفیان (حمالة الحطب) یعنی حطب جهنم فانها کانت تحمل الاوزار بمعاداة الرسول علیه الصلاة والسلام وتحمل زوجها علی اذاه او النمیمة فانها توقد نار الخصومة او حزمة الشوك والحسك کانت تحملها فتنثرها باللیل فی طریق رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم وقرأ عاصم بالنصب علی الشتم (فی جیدها حبل من مسد) ای مما مسد ای فتل ومنه رجل ممسود الخلق ای مجدوله وهو ترشیح للمجاز او تصویر لها بصورة الحطابة التی تحمل الحزمة وتربطها فی جیدها تحقیرا لشأنها

بالعدسة فقتلته ولقد ترکه ابناه لیلتین او ثلاثا فلم یدفناه حتی انتن فی بیته وکانت قریش تتقی العدسة وعدواها کما تتقی الناس الطاعون و یقولون نخشی هذه القرحة ثم دفنوه فهذا معنی قوله تعالی ما اغنی عنه ماله وما کسب والله اعلم فهو من جملة معجزاته علیه الصلاة والسلام حیث اخبر عن الغیب وطابقه وقوعه لان السورة مکیة وکان هلاکه بعد الهجرة بزمان (قوله ولیس فیه ما یدل علی انه لا یؤمن) ای حتی یستدل به علی وقوع التکلیف بما لا یطاق بناء علی انه لا شك ان ابا لهب مکلف بان یؤمن بجمیع ما جاء به علیه الصلاة والسلام من عند الله تعالی ومن جملة ما جاء به انه لا یؤمن وهذا تکلیف بالجمع بین النقیضین وذلك مما لا یطاق فالآیة تدل علی وقوع التکلیف به مع ان العلماء اتفقوا علی عدم وقوعه استدلالا بقوله تعالی لا یکلف الله نفسا الا وسعها فانه یدل علی عدم وقوع ذلك وان لم یدل علی عدم جوازه والامر فی قوله تعالی انبئونی باسماء هؤلاء للتعجیز لا للتکلیف وقوله تعالی حکایة عن المؤمنین ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به لیس المراد بالتحمیل التکلیف بما لا طاقة لهم به بل ایصال ما لا یطاق من العوارض الیهم واذ قد تبین ان التکلیف بما لا یطاق غیر واقع باتفاق العلماء فاعلم انهم اختلفوا فی الجواز فمنعه الحنفیة والغزالی من الشافعیة والمعتزلة وجوزه الاشعری ومن تابعه والمراد بما لا یطاق اعم مما یکون ممتنعا فی نفسه کالجمع بین الضدین او ممکنا فی نفسه خارجا عن قدرة العبد کخلق الاجسام واما ما یمتنع بناء علی انه تعالی علم خلافه واراد خلافه کایمان الکافر وطاعة الفاسق فلا نزاع فی جواز التکلیف به ووقوعه لکونه مقدورا للمکلف فی نفسه (قوله عطف علی المستکن فی سیصلی) وهی ام جمیل بنت الحارث اخت ابی سفیان عمة معاویة کانت شدیدة العداوة لرسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم وقرأ عاصم حمالة بالنصب علی الشتم والذم

وقد ابی تحمیل ٭ من سب ام جمیل

وقرأ الباقون بالرفع اما علی ان قوله وامرأته حمالة الحطب جملة اسمیة سیقت للاخبار عنها بذلك واما علی ان وامرأته عطف علی مستکن فی سیصلی وحمالة صفة لامرأته وجاز ذلك لکون اضافتها معرفة لکونها بمعنی الماضی او بدل او عطف بیان لها او خبر مبتدأ محذوف ای هی حمالة او مبتدأ خبره فی جیدها (قوله یعنی حطب جهنم) جواب عما یقال انها کانت من بنات العزة اخت ابی سفیان فکیف یصح لها ان تکون حمالة الحطب واجاب عنه بثلاثة اوجه الاول انه لیس المراد بالحطب الحطب المتعارف بل المراد به ما حملته من الآثام والاوزار بسبب معاداتها رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم وحملها زوجها

على ايذائه عليه الصلاة والسلام استعير الحطب لتلك الآثام تشبيها لها بالحطب في ان كل واحد منهما سبب لاتقاد النار واشتعالها اذ توقد بها نار جهنم كما ان الحطب توقد به نار الدنيا والثاني ان الحطب مستعار للنميمة فانها توقد بها نار الفتنة والخصومة كما ان الحطب توقد به النار قال النمام يعمل في ساعة مالا يعمل الساحر في شهر وعلى التقديرين يكون قوله في جيدها حبل من مسد ترشيحا للاستعارة والاستعارة المرشحة ما اقترن بها ما يلائم المستعار منه وهو ههنا الحطب الحقيقي ويلائمه ان يلقي حامله الحبل على جيده بان يحمله حزمة ويحمله على ظهره بالحبل المرسل على الجيد والثالث ان الحطب على حقيقته الا انها لا تحمله لمصلحة بيتها حتى يقال انها من بيت الشرف والسعة فكيف تحتطب بنفسها بل المراد انها لشدة عداوتها لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحمل بنفسها حزمة من الشوك والحسك والحطب والسعدان وتنثرها بالليل في طريقه صلى الله تعالى عليه وسلم ليتأذى به عند خروجه للصلاة فكان عليه الصلاة والسلام يطأه كما يطأ الحرير وقيل كانت ام جميل تأتي كل يوم باتالة من الحسك فتطرحها في طريق المسلمين فبينما هي حاملة حزمة ذات ليلة اعيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاهلكها بان خنقها بذلك الحبل وقوله تعالى في جيدها حبل من مسد تصوير لها بصورة الحطابة التي تحتطب لنفسها تحقيرا لشأنها لان الحطب لو حمل على الحقيقة لم يكن في الكلام استعارة حتى يكون قوله في جيدها ترشيحا لها (قوله او بيانا لحالها) عطف على قوله تحقيرا لشأنها اي ويجوز ان يكون المقصود من تصويرها بصورة الحطابة بيان ان حالها في نار جهنم تكون على نحو ما كانت عليه في الدنيا جزاء وفاقا تحملها فلا يزال على ظهرها حزمة من حطب جهنم من شجر الزقوم ونحوه وفي جيدها سلسلة من النار كما انها في الدنيا على هذه الصورة (قوله والظرف) وهو قوله في جيدها في موضع الحال من قوله وامرأته وقد مر انه مستكن في سيصلى فيكون في معنى الفاعل وحبل فاعل الظرف لاعتماده على ذي الحال وقوله او الخبر اي او هو في موضع الخبر لقوله وامرأته على ان يكون مرفوعا بالابتداء وحبل فاعل بالظرف ايضا لاعتماده على المبتدأ روي عن اسماء رضي الله تعالى عنها انها قالت لما نزلت سورة تبت يدا ابي لهب جاءت ام جميل ولها ولولة وبيدها حجر فدخلت المسجد ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالس ومعه ابو بكر رضي الله تعالى عنه وهي تقول

مذمما قلينا ❊ ودينه أبينا ❊ وحكمه عصينا

فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه يارسول الله قد اقبلت اليك وانا اخاف ان تراك

او بيانا لحالها في نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وفي جيدها سلسلة من النار والظرف في موضع الحال او الخبر وحبل مرتفع به ❊ عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحده

فقال عليه الصلاة والسلام انها لن تراني وقرأ فاذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجابا مستورا فلما انتهت الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه قالت له قد ذكر لي ان صاحبك هجاني فقال ابو بكر لاورب الكعبة ما هجاك فولت وهي تقول قد علمت قريش اني بنت سيدها وانما حلف ابو بكر بانه عليه الصلاة والسلام ماهجاها بناء على انه من باب المعاريض لان القرآن لايسمى هجوا ولانه كلام الله تعالى لا كلام الرسول وفيه دليل على جواز المعاريض والله سبحانه وتعالى اعلم

(سورة الاخلاص مكية وقيل مدنية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله الضمير للشان اولما سئل عنه) يعني ان ضمير هو فيه وجهان الاول انه ضمير الشأن لانه في موضع التعظيم وتفسير الشيء بعد ذكره مبهما يفيد ذلك ويكون مبتدأ والجملة الاسمية بعده خبره والخبر الجملة لما كان عبارة عن المبتدأ متحدا معه بالذات استغنى عن العائد والثاني انه عائد الى المسئول عنه المدلول عليه بالسؤال الصادر منهم قبل نزول هذه السورة قال الضحاك ان المشركين ارسلوا عامر بن الطفيل الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا قل له شققت عصانا وسببت آلهتنا وخالفت دين آبائك فان كنت فقيرا أغنيناك وان كنت مجنونا داويناك وان هويت امرأة زوجناكها فقال عليه الصلاة والسلام لست بفقير ولامجنون ولاهويت امرأة انارسول الله أدعوكم من عبادة الاصنام الى عبادته رب الانام فارسلوه ثانيا وقالوا قل له بين جنس معبودك أمن ذهب ام فضة فانزل الله تعالى هذه السورة فقالوا لنا ثلاثمائة وستون صنما لاتقوم بحوائجنا فكيف تقوم الواحد بحوائج الخلق فنزلت والصافات صفا الى قوله ان الهكم لواحد (قوله وأحد بدل اوخبرثان) يعني ان هو اذالم يكن ضمير الشان بل كان ضمير ماسئل عنه وكان لفظ الجلالة خبره يحتمل ان يكون لفظة احد بدلا من الخبر وان تكون خبرا ثانيا والمشهور عند النحاة ان النكرة الغير الموصوفة لاتكون بدلا من المعرفة لئلا يكون ماهو انقص في الدلالة على الذات المراد مقصودا بالنسبة وماهو أتم فيها توطئة لذكره واحد نكرة غيره موصوفة فجعله بدلا من لفظ الجلالة مخالف لهذه القاعدة الا ان هذه القاعدة لما لم تكن متفقا عليها فان أبا علي جوز ابدال النكرة الغير الموصوفة من المعرفة جوز المصنف ابدال احد من لفظ الجلالة بناء على مذهب من جوز مثل ذلك (قوله يدل على مجامع صفات الجلال) مجامع بفتح الميم الاولى جمع مجموعة انث لتأنيث ماهي عبارة عنه وهو صفات الجلال أي الصفات السلبية وسميت صفات الجلال لكونها من الصفات

(سورة الاخلاص مختلف فيها وآيها اربع) (بسم الله الرحمن الرحيم) (قل هو الله احد) الضمير للشان كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها هي هو اولما سئل عنه اي الذي سألتم عنه هو الله اذروي ان قريشا قالوا يامحمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت وأحد بدل اوخبرثان يدل على مجامع صفات الجلال كمادل الله على جمع صفات الكمال

اللازمة (قوله اذا لواحد) اشارة الى ان الاحد بمعنى الواحد وان اصله وحد قلبت همزة واو للتخفيف واكثر مايفعلون هذا فى الواو المضمومة والمكسورة الواقعتين اول الكلمة نحو أحوه واشاح فى وجوه ووشاح وقيل بينهما فرق بان الاحدية عبارة عن تفرد الذات وعدم تركبها من شئ من الجاز التركيب اى لاتركيبا خارجيا ولاعقليا والواحدية عبارة عن انتفاء المشاركة فى الصفات وكون لفظة الله دالة على جمع صفات الكمال ظاهر لانه اسم للذات الواجب الجامع لجميع الصفات الذاتية والفعلية ولجميع الفضائل الذاتية الفواصل المتعدية وأما كون احدا لاعلى جميع صفات الجلال فلان احدية الشئ عبارة عن كونه واحدا حقيقيا لاتعدد فيه لافى ذاته ولافى صفاته وافعاله ومعنى كونه واحدا فى ذاته ان لايكون منقسما الى أبعاض واجزاء خارجية ولاعقلية والله تعالى يجب ان يكون كذلك لانه لو كان مركبا فى الخارج لكان مفتقرا الى كل واحد من اجزائه وكل واحد من اجزائه غيره فيكون مفتقرا الى غيره والمفتقر الى الغير ممكن فى نفسه ومبدأ الممكنات يمتنع كونه ممكنا فى نفسه ولو كان مركبا فى العقل لكان مشاركا لغيره فى ماهية ذلك الغير فيحتاج الى فصل يميزه عنه وذلك يستلزم امكان الواجب ايضا لان كل ماهية لما سواه تقتضى الامكان فلو كانت تلك الماهية ماهية للواجب لزم امكانه ومعنى كونه واحدا فى صفاته ان لا يكون له نظير ولاشبه يضاهيه فى شئ من صفاته وليس له تعالى نظير يضاهيه فى شئ من صفاته اذ لو كان له نظير كذلك لاشتركا فى ذلك الوصف ولتميز الواجب عنه بحسب التعين العارض له ولو كان كذلك لكان مركبا مما به المشاركة والمميزة وقد مر ان التركيب يستلزم الامكان وهو ينافى الوجوب الذاتى فوجب كونه تعالى واحدا فى صفاته ومعنى كونه واحدا فى افعاله ان لايكون له شريك فى افعاله فانه اذا كان له شريك فى افعاله لايخلوا ما ان يحتاج اليه فى فاعليته او كان كل واحد منهما مستقلا فى الفاعلية والتأثير والاول يستلزم الامكان والثانى بطله برهان التمانع فقد ثبت ان الواحد الحقيقى ما يكون منزه الذات عن التركيب الخارجى والعقلى وعن أنحاء التعدد ايضا بان يكون له من يشاركه فى صفاته وافعاله وذلك يستلزم ان لايكون جسما لان الجسمية تستلزم التركيب الخارجى لان كل جسم مركب فى ذاته من الاجزاء وان لايكون متحيزا لان التحيز ايضا يستلزم التركيب الخارجى فان كل متحيز يميزه يمينه مغاير لشماله فيكون منقسما وان لايشاركه احد فى نفس حقيقته ولافى خواص تلك الحقيقة لان المشاركة فيهما اى فى الحقيقة الواحدة وخواصها المقتضية للالوهية تستلزم كونه تعالى متميزا عما يشاركه بحسب التعين العارض للماهية وذلك يستلزم كونه تعالى مركبا مما به المشاركة ومابه

اذ الواحد الحقيق مايكون منزه الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة فى الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لابد منه فى قل يا أيها الكافرون ولايجوز فى تبت

الامتياز وقد مر ان التركيب مناف للوجوب الذاتي فثبت أن الاحدية دالة على جميع صفات الجلال كما ان لفظ الله دال على جميع صفات الكمال فاذا تقرر هذا ثبت ان الاخبار عن مسئولهم بانه الله احد مع وجازة لفظه اتم بيان واكمل تعريف له بالنسبة الى البشر اذ لا سبيل لهم الى معرفة كنه ذاته وانما الذي في وسعهم معرفته بصفاته الذاتية والفعلية وبصفاته السلبية وهذا الاخبار كافل لمعرفته تعالى بهذا الوجه لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد (قوله ولعل ذلك) اى ولعل وجه الفرق بين السور الثلاث بان وقع الاتفاق على تصدير واحدة منها بكلمة قل وعلى عدم التصدير بها في الاخرى وبجواز القراءة بها وبدونها في الثالثة ان سورة الكافرين مشاقة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومخالفته لقومه في امر العبادة بان يفرد كل واحد منهما بعبادة معبود غير معبود الآخر ومن المعلوم ان المشاقة لا تناسب ان تقع منه عليه الصلاة والسلام من عند نفسه من غير ان يكون مأمورا بها من قبله تعالى لانه عم ارسل لدعوة الخلائق الى اتباعه وطاعته في جميع ما جاء به من عند الله تعالى وكيف يليق به ان يقول لقومه من عند نفسه لا نجتمع في دين واحد ولا نتفق على عبادة معبود بل لكل واحد منى ومنكم معبود على حدة او ان يوادعهم اى يتركهم وما يعبدون ولانه كيف لا يليق بالمؤمن ان يحكم على احد ويقول له من عند نفسه انك ممن ختم الله على قلبه فلا يؤمن ابدا ولا يبعد الله خطه وانما يتأتى له ذلك اذا بين الله تعالى ان الامر كذلك وامره ان يخبره بذلك وان سورة تبت معاتبة عمه عليه الصلاة والسلام ومن المعلوم ايضا ان معاتبة العم ومشافهته بهذا التغليظ الشديد لا يناسب ان تقع منه عليه الصلاة والسلام لا من عند نفسه ولا بان يكون مأمورا بها من قبله تعالى لان للعم حرمة كحرمة الاب لان اب الرجل وعمه شقيقان من اصل واحد كما قال عليه الصلاة والسلام عم الرجل صنو أبيه وكل من كان في منصب الرسالة والدعوة الى الحق يجب ان تكون معاملته مع اعمامه باللطف واللين كما قال تعالى لموسى وهرون عليهما الصلاة والسلام فقولا له قولا لينا وقال لسيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاذا وجب مراعاة اللين مع عامة القوم فكيف بالعم الذي هو كالاب في استحقاق التعظيم والتكريم لا سيما ممن هو على خلق عظيم ومبعوث رحمة للعالمين فلذا لم تصدر سورة تبت بكلمة قل صونا له عليه الصلاة والسلام من ان يشافه عمه بالشتم والتغليظ وان شتمه عمه الخبيث بقوله تبا لك ألهذا دعوتنا فكأنه تعالى يقول اسكت انت وتحقق بما نزل عليك من قولي واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ما انا اجيب عنك واسمه فانزل قوله تبت يدا ابى

ولعل ذلك لان سورة الكافرين مشاقة الرسول عليه الصلاة والسلام ومواد عنه لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان يكون منه واما هذا فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بان يدعو اليه اخرى

لهب ففيه تنبيه على ان من لم يشافه السفيه كان الله تعالى ذاباعنه وناصرا له ومعينا فقد روى ان ابابكر رضي الله تعالى عنه كان اذا آذاه احد سكت ساكتا ولم يكافئه بسوء فجاء رجل فشتمه فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدفع ذلك الشاتم ويزجره فلما شرع ابو بكر في الجواب سكت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ابو بكر ما السبب في ذلك قال لانك ما دمت ساكتا فالملك يجيب عنك فلما شرعت في الجواب انصرف الملك وجاء الشيطان واما سورة الاخلاص فانها توصيف له تعالى بالوحدة والصمدية وتنزيه له تعالى عن الاولاد والاكفاء فصح ان يصدر عنه عليه الصلاة والسلام من تلقاء نفسه وان يؤمر بان يدعو اليه فجاز لذلك كونها مصدرة بقل وكونها غير مصدرة به وهذا ما فهمته من قول المصنف ولعل ذلك الى آخره الا انه محل تأمل لان قوله وتبت معاتبة عنه فلا يناسب ان يكون منه يدل على انه عليه الصلاة والسلام لا مدخل له في هذا الكلام على تقدير عدم تصديره السورة بقل سوى كونه تاليا لكلام الله المنزل اليه وقوله يقول به يدل على انه عليه الصلاة والسلام يتكلم به من قبل نفسه على تقدير عدم تصديرها بقل فبينهما تدافع ولان تعالى وجوب تصدير احدى السورتين بقل وعدم جواز التصدير به في الاخرى قوله فلا يناسب ان يكون منه تعليل للحكمين المتنافيين بعلة واحدة بحسب الظاهر وقوله ومواداتهم معطوف على المشاقة بالواو في اكثر النسخ والظاهر ان يعطف عليها بكلمة او ويكون المعنى لان السورة من اولها الى آخرها اما مشاقة معهم بان يكون قوله تعالى لكم دينكم ولي دين فذلكة لما سبق وتقريرا له وتكون اللام في قوله تعالى لكم ولي متعلقة بالثبات والدوام المقدر كما اختاره المصنف واما ان آخر السورة موادعتهم ومتاركتهم وما قبله تمهيد له كما اشار اليه بقوله اللهم الا اذا فسر بالمتاركة وكلا التقديرين لا يناسب ان يكون منه عليه الصلاة والسلام وعطفه بالواو يشعر ان كون السورة مشاقة وموادعة وجه آخر في تفسيرها والجمهور كسر واتنوين احد الله الصمد حال الوصل لالتقاء الساكنين التنوين ولام التعريف وعن ابن عمر انه قرأ احد الله الصمد بضم الدال من غير تنوين بناء على ان التنوين نون ساكنة والنون تشابه حروف اللين في انها من حروف الزيادة فلما شابهها حذفت عند التقائها بالساكن كما يحذف حرف اللين عنده في نحو يغزوا القوم ويرمي القوم ولهذا الوجه ايضا حذفت النون الساكنة في الفعل المجزوم فقيل فلم يك ينفعهم ايمانهم ولاتك في مرية وعن ابن عمر ايضا احد الله الصمد باسكان الدال وقطع همزة الوصل من غير تحريك بهما على اجراء الوصل مجرى الوقف لاستمرار الوقف عليه وكثرته في ألسنتهم وفرارا من ثقل الحركة

والتنوين وقال ادركت القراء تقرأها كذلك وصلا على السكون (قوله السيد المصمود اليه) على ان الصمد فعل بمعنى مفعول كقبض بمعنى مقبوض من صمده اذا قصده روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال لما نزل الله الصمد قالوا وما الصمد فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصمد الذي يصمد الناس اليه في الحوائج اي تقصده والصمد بالسكون المقصد ولاشك ان من يقصد اليه في جميع المهمات ويرجع اليه في جميع الحاجات يكون مستغنيا عن كل ماعداه وكاملا في جميع صفاته وافعاله فهو غاية السيادة ونهاية رفعة الشأن وعلو القدر (قوله وهو الموصوف به على الاطلاق) قال حجة الاسلام الغزالي نور الله مرقده ومن جعله الله تعالى مقصد العباد في مهمات دينهم ودنياهم واجرى على لسانه ويده حوائج خلقه فقد انعم عليه بحظ من هذا الوصف لكن الصمد المطلق هو الذي يقصد اليه في جميع الحوائج وهو الله تعالى جل جلاله (قوله وتعريفه لعلمهم بصمديته) فان العرب بل أكثر الخلق تعرف انه تعالى هو الذي يقصد اليه في الحوائج وان جميع ماسواه مفتقر اليه كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلذلك جاء لفظ الصمد معرفا بخلاف احديته فانه لايخطر ببال اكثر الخلق ان في الوجود ذاتا لا تركيب ولاانقسام فيه بوجه من الوجوه فضلا عن كونه واحدا في صفاته بان لايكون له نظير وشبه يضاهيه في شئ من صفاته وواحدا في افعاله بان لا يكون له شريك فيها وذلك لانهم لا يعرفون من الموجودات غير المحسوسات وكل محسوس منقسم فتبين انهم لا يعرفون موجودا هو واحد في ذاته لا تعدد فيه بوجه فنكر لفظ احد لذلك (قوله للاشعار) وجه الاشعار ان قوله تعالى الله الصمد جملة اسمية طرفاها معرفتان فدل على انحصار الصمدية فيمن اتصف بالالوهية وعدم تحققها فيمن سواه وكونها من توابع الالوهية يشعر بان من لايكون صمدا لايستحق ان يكون الها لان انتفاء التابع يشعر بانتفاء المتبوع وهذا الاشعار يكون بتكرير اسم الله وجعل الصمد خبراعنه اذ لوقيل هو الله احد الصمد من غيرتكرير اسم الله لكان بمعنى ان الشأن الله احد الصمد او ان المسؤل عنه هو الله وما بعده بدل من الجلالة او خبر ثان وعلى تقدير ان يكون الكلام خاليا عن الاشعار المذكور وكرر مع عدم الاحتياج اليه لابد ان يكون ذلك النكتة والاشعار المذكور تصلح ان يكون نكتة فحمل عليها (قوله لانها كالنتيجة للاولى او الدليل عليها) وجه كون الجملة الثانية كالنتيجة للاولى ان من كان واحدا حقيقيا منزها عن انحاء التركيب والتعدد في ذاته وصفاته وافعاله يكون مبدأ للكائنات باسرها

(الله الصمد) السيد المصمود اليه في الحوائج من صمد اذا قصد وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغني عن غيره مطلقا وكل ماعداه محتاج اليه في جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير لفظ الله للاشعار بان من لم يتصف به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى او الدليل عليها

حافظا لها ومدبرا فلا حرم لا يصمد في الحوائج الا اليه فظهر به ان كونه تعالى صمدا نتيجة متفرعة على احديته ووجه كونها كالدليل على الاولى ان من كان صمدا وملجأ لارباب الحاجات لابد وان يكون في اعلى درجات الكمال منزها عن جميع وجوه النقصان قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات وذلك يستلزم الاحدية (قوله لانه لم يجانس) حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتولد منهما من يجانسهما والحمار وان لم يكن من نوع الفرس لكنه من جنسه وان القوة المولدة تكون وسيلة الى توليد المماثل والمجانس ولا تكون وسيلة الى توليد المباين ونفي المجانسة يستلزم نفي المماثلة لان انتفاء العام يستلزم انتفاء الخاص علل المصنف نفي كونه تعالى والدا بعلتين الاولى ان الولد لابد ان يكون من جنس والده بصاحبة من مجانسه ولا مجانسة فلا ولادة والثانية ان الولادة مبنية على الاحتياج الى ما يعينه في حياته ويخلف عنه بعد وفاته ولا احتياج ولا فناء فلا ولادة تتفرع عليهما وكلمة او في قوله او يخلف عنه بعد وفاته لتقسيم احوال الوالد وقدم نفي كونه والدا على نفي كونه مولودا من حيث ان الكفرة ادعوا ان له ولدا ولم يدعوا ان له والدا فان مشركي العرب قالوا الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فبدأ بالاهم فقال لم يلد ثم اتبعه بقوله ولم يولد تعليلا لقوله لم يلد لانه لما وقع الاتفاق على انه تعالى لم يكن ولدا لغيره ثبت انه لم يلد غيره (قوله ولعل الاقتصار على لفظ الماضي) وعدم التعرض بانه لا يلد في المستقبل مبني على ان المقصود من الآية تكذيبهم في قولهم ولد الله وان الملائكة بنات الله وان المسيح ابن الله وكذا عزير ومرجع الجميع انه تعالى ولد في الزمان الماضي ولو كان المقصود بيان زعمهم انه لا يلد في شيء من الازمنة الثلاثة لما صح الاقتصار على لفظ الماضي (قوله وذلك) اي وبيان وجه كونه تعالى منزها عن كونه مولودا لغيره ان المولودية تقتضي النقصان من وجهين الاول كونه معلولا لوالده مفتقرا اليه والثاني كونه حادثا مسبوقا بالعدم تعالى شأنه عن كل واحد من الامرين (قوله اي ولم يكن احد يكافئه اي يماثله) اشارة الى ان احد اسم يكن وكفوا خبره وله متعلق بكفوا لما فيه من معنى الفعل وهو المماثلة والكفو المثل والشبيه والمعنى لم يكن احد كفوا له اي مثلا له ولما ورد على هذا الوجه ان يقال على تقدير ان يكون قوله له ظرفا لغوا متعلقا بكفوا كان حقه ان يؤخر عن اسم كان وخبره لان الظرف اللغو فضلة يتم الكلام بدونه والاصل في الكلام الفصيح ان يؤخر الظرف اللغو عن فاعل الفعل ومفعوله لانهما مقصودان بالنسبة وتقديم المقصود اولى وافصح ويكون

(لم يلد) لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضي لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله او المسيح ابن الله او ليطابق قوله (ولم يولد) وذلك لانه لا يفتقر الى شيء ولا يسبقه عدم (ولم يكن له كفوا احد) اي ولم يكن احد يكافئه اي يماثله من صاحبة وغيرها وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة كفوا لكن لما كان المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم

تقديم اللغو قبيحا مخلا بالفصاحة لكونه خلاف الاصل فكيف قدم له في الآية مع انه ظرف لغو تم الكلام بدونه باسم كان و خبره اشار الى جوابه فقال وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة اى لغو وفضلة لايفتقر اليه الكلام في تمامه و الظرف المستقر يفتقر تمام الكلام اليه لكونه خبرا فيه كما في قولك لم يكن فيها احد خير منك فان الظرف فيه مستقر لانه خبر كان و تقرير الجواب ان الظرف اللغو و ان كان الاصل فيه ان يؤخر الا ان هذا الاصل قد يترك اذا عرض للظرف اللغو ما يجعله مهما بالنسبة الى عامله فيقدم عليه لكونه اهم بالنسبة اليه كما يقدم المفعول على الفاعل اذا عرض له ما يجعله مهما بالنسبة الى الفاعل والمقصود في الآية ليس نفي ان يكون احد كفوا لشئ ما مطلقا بل المقصود نفي كونه كفوا لذاته تعالى (قوله و يجوز ان يكون حالا) عطف من حيث المعنى على قوله اي ولم يكن احد يكافئه فانه يفهم منه ان له ظرف لغو متعلق بكفوا اي و يجوز ان لايكون الظرف لغوا بان يكون حالا من المستكن في كفوا على انه صفة له في الاصل فلما قدم عليه انتصب حالا فاحد اسم يكن و كفوا خبره وله حال او بان يكون الظرف خبر او يكون كفوا منصوبا على انه حال من احد لانه كان صفة له في الاصل فلما تقدم عليه انتصب حالا قال ابو البقاء قوله احد اسم كان وفي خبرها وجهان احدهما ان الخبر كفوا فعلى هذا يجوز ان يكون له حالا من كفوا لان التقدير ولم يكن احد كفوا له وان يتعلق بيكن و الوجه الثاني ان يكون الخبر له وكفوا حال من احد أي ولم يكن له احد كفوا فلما قدم على النكرة انتصب حالا منها (قوله ولعل ربط الجمل) كانه جواب عما يتوهم من ان الجمل الثلاث في الآية من قبيل قولك زيد شاعر وعمرو طويل فان عطف الجملة الثانية على الجملة الاولى و نحوه لا يصح مطلقا اى سواء كان بين زيد وعمرو مناسبة كالاخوة والصداقة ونحوهما اولم يكن لعدم المناسبة بين المسندين اعنى الشعر وطول القامة فينبغى ان لايصح ربط الجمل الثلاث في الآية بالعطف لعدم المناسبة بين ما وقع مسندا فيها وهو الوالدية والمولودية والكفاءة فانها امور متباينة وتقرير الجواب منع انتفاء المناسبة بينها فانها امور متناسبة من حيث ان كل واحدة منها قسم من اقسام المثل فان المقصود من قوله لم يلد ان ينفى عنه تعالى القسم المخصوص من اقسام المثل وهو الولد ومن قوله ولم يولد ان ينفى عنه تعالى القسم الآخر منها وهو الوالد ومن قوله ولم يكن له كفوا احد ان ينفى عنه باقى اقسامه كالصاحبة والشريك ونحوهما فتحقق الجامع بين تلك الجمل الثلاث باعتبار اتحاد المسند اليه وتناسب المسند عطف

و يجوز ان يكون حالا من المستكن في كفوا او خبرا و يكون كفوا حالا من احد ولعل ربط الجمل الثلاث بالعطف لان المراد منها نفي اقسام الامثال فهي كجملة واحدة منبه عليها بالجمل

وقرأ حمزة ويعقوب ونافع في رواية كفؤا بالتخفيف مهموزا وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا والباقون بالحركة مهموزا لاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء في الحديث انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده محصورة في بيان العقائد والأحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه سمع رجلا يقرؤها فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

(سورة الفلق مختلف فيها وآيها خمس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل اعوذ برب الفلق) ما يفلق عنه اي يفرق عنه كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها سيما ما يخرج من اصل كالعيون والامطار والنبات والاولاد

بعضها على بعض (قوله قرأ حمزة ويعقوب ونافع في رواية كفؤا بالتخفيف) اي بسكون الفاء مهموزا وقرأ حفص كفوا بضم الكاف والفاء غير مهموز وقرأ الباقون بضمتين مهموزا وفي التيسير قرأ حفص بضم الكاف والفاء منونا من غير همزة وحمزة باسكان الفاء مع الهمزة في الوصل فاذا وقف ابدل الهمزة واوا مفتوحة اتباعا للخط والباقون بضم الفاء مع الهمزة منونا وقد تقرر ان كل اسم على ثلاثة احرف اوله مضموم فانه يجوز في عينه الضم والاسكان الا في قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزؤا (قوله فان مقاصده محصورة) اي في ثلاثة وهذه السورة الكريمة كافلة بواحد منها وهو بيان العقائد فلما كانت كافلة ثلث مقاصد القرآن كانت معادلة لثلثه روى عن سهل بن سعد انه جاء رجل الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشكا اليه الفقر فقال اذا دخلت بيتك فسلم ان كان فيه احد وان لم يكن فيه احد فسلم على نفسك واقرأ قل هو الله احد مرة واحدة ففعل ذلك فادر الله تعالى عليه رزقا حتى افاض على جيرانه وروى انه عليه الصلاة والسلام دخل المسجد فسمع رجلا يدعو ويقول اسألك يا الله يا احد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد غفرك غفرك غفرك ثلاث مرات فقال عليه الصلاة والسلام غفر لك غفر لك غفر لك ثلاث مرات

(سورة الفلق مكية وقيل مدنية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الفلق بسكون اللام الشق يقال فلقت الشئ فلقا فانفلق وتفلق اي شققته فانشق وتشقق والفرق بمعنى التمييز والتبيين قال الله تعالى وقرآنا فرقناه اي بيناه والفرق بين الشيئين فيه معنى الشق اذ به يصير كل واحد منهما فرقة متميزة عن الاخرى والمصنف حكم بان كل واحد من لفظي الفلق والفرق بفتح العين فيهما فعل بمعنى مفعول اي بمعنى المفروق عنه والمفلوق عنه وذلك انما يكون بان يكون الشئ مستورا محجوبا فيشق الحجاب الساتر عن وجه ذلك الشئ المستور فيظهر ذلك المستور وينكشف بانشقاق ما ستره من الحجاب ورواه وذلك الحجاب المنشق مفلوق والمحجوب المنكشف بانشقاقه مفلوق عنه والظاهر ان حق الفلق بمعنى المفلوق عنه على عمومه فيتناول كل ما فلقه الله تعالى من الممكنات وان شاع تفسيره بالصبح يقال انفلق وانفرق الصبح ويقال للشئ الجلي انه أبين من فلق الصبح ومن فرق الصبح لان الليل يفلق عنه ويفرق عنه فان الممكنات باسرها اعيان ثابتة في علم الله تعالى مستورة تحت ظلمة العدم فان ظلمات العدم غير متناهية لعدم تناهي المعدومات الممكنة وسائر لجميع الممكنات والله تعالى فالق تلك الظلمات بنور التكوين والايجاد

و مظهر ما فى علمه من المكونات فكانت باسرها مفلوقا عنها كالصبح صار مفلوقا عنه بفلق ظلمة الليل عنه فظهر ان مفهوم المفلوق عنه يعم جميع الممكنات الا انه مقول عليها بالتشكيك فانه اظهر واولى فيما يخرج من اصل كالعيون من الارض والامطار من السحاب والنبات من الحب والنوى والارض والاولاد من الارحام فان معنى المفلوق عنه اظهر فيها بالنسبة الى المخلوق على وجه الابداع (قوله وخص عرفا بالصبح) هذا العرف مبنى على ان يكون نور الصبح وضوء النهار اصلا سابقا يطرأ عليه ظلمة الليل فتستره تارة وينفلق عنه اخرى وهو عكس مايدل عليه قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون فانه يدل على ان ظلمة الليل اصل يغشاها ضوء النهار عند طلوع الشمس فتصير كرجى ليس ثوبا شفافا وينسلخ عنها عند غروبه ويؤيده تقدم الظلمات على النور فى قوله تعالى وجعل الظلمات والنور ويشهد عليه العقل ايضا ولاضير اذ لكل وجهة (قوله وتخصيصه لما فيه من تغير الحال) جواب عما عسى ان يقال مقام الاستعاذة والاعتصام يقتضى تعظيم المستعاذ به ولاشك ان تعظيمه على تقدير تعميم الفلق لجميع الممكنات اعظم واقوى منه على تقدير تخصيصه بالصبح فان المعنى على الاول قل يامحمد اعوذ واعتصم برب جميع الممكنات البارزة من تحت ظلمة العدم ولا يخفى ان الصبح من جملة الامور الداخلة فى هذا العام فيكون التعظيم فى حمل الفلق على جميع الممكنات اتم واعظم فما وجه تخصيصه بالصبح وتقرير الجواب ان التعميم وان كان فيه مناسبة لهذا المقام الا ان التخصيص يناسب مقام الاستعاذة من وجه آخر من حيث ان مقصود العائذ من الاستعاذة ان يغير حاله بان يخرج من حال ضيق الخوف والخشية الى فضاء الامن والسعة ويتخلص من وحشة الهم والحزن بنيل الفرح والسرور وتخصيص الصبح ادل على هذا المقصود لما فيه من تغير الظلمة وزوالها باشراق انوار الصبح وضيائها وتبدل وحشة الليل وثقله بسرور الصبح وخفته فان الليل له ثقل يكون الانسان فيه كلحم على وضم وهو الخشب الذى يقطع القصاب عليه اللحم فاذا طلع الصبح تبدل ذلك بالخفة والسرور ولهذا يجد لكل مريض ومهموم خفة فى وقت السحر روى ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما القى فى الجب وجعته ركبته وجعا شديدا فبات ليلته ساهرا فلما قرب طلوع الصبح نزل جبريل عليه الصلاة والسلام باذن الله تعالى يسأله ويأمره بان يدعو ربه فقال ياجبريل ادع انت وانا أؤمن فدعا جبريل وامن يوسف عليه الصلاة والسلام فكشف الله تعالى ماكان به من الضر فلما طاب وقت يوسف قال ياجبريل وانا

وخص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النهار ومحاكاة فاتحة يوم القيامة والاشعار بان من قدر ان يزيل به ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ مايخافه

ادعو ايضا وانت تؤمن فسأل الله ان يكشف الضر عن جميع اهل البلاء في ذلك الوقت فلا حرم مامن مريض الا ويجد نوع خفة في آخر الليل روى ان دعاءه في الجب كان هذا * ياعدتي في شدتي * ويامونسي في وحشتي * ويا راحم غربتي * ويا كاشف كربتي * ويا مجيب دعوتي * ويا الهي واله آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب ارحم صغر سني * وضعف ركني * وقلة حيلتي ياحي ياقيوم ياذا الجلال والاكرام وفي وقت الصبح ايضا محاكاة لاختلاف احوال الناس في فاتحة يوم القيامة حيث ان الخلق في الليل كالاموات ودورهم كالقبور ثم منهم من يخرج من داره مفلسا عريانا لايلتفت اليه ومنهم من كان مديونا فيجر الى الحبس ومنهم من كان ملكا مطاعا فيقدم اليه المركب ويقوم الناس بين يديه فكذا الحال في يوم القيامة بعضهم مفلس من الثواب عار عن لباس التقوى ومنهم من عليه من حقوق الله تعالى وحقوق عباده مالايطاق حمله فيجر الى الملك الجبار ومنهم من كان عبدا مطيعا لربه في الدنيا فصار ملكا مطاعا في العقبى يقدم اليه البراق ولما اشتمل وقت الصبح على هذا التغير والتبدل وكان حاكيا لاختلاف احوال الناس في فاتحة يوم القيامة كان تخصيص الفلق به مناسبا لمقام الاستعاذة لاشعاره بان من قدر على التغيرات المدلول عليها بالصبح يقدر ايضا على ان يدفع عن العائذ كل مايخافه ويحترز منه (قوله ولفظ الرب ههنا اوقع) اي اليق وانسب وقوعا جواب عما يقال ماالسبب في انه تعالى حين امر بالاستعاذة عند افتتاح قراءة القرآن قال فاستعذ بالله وقال ههنا قل اعوذ برب الفلق فعبر عن المستعاذ به باسم الرب ولم يقل قل اعوذ باسم الله مع ان اسم الله اشرف الاسماء واجاب عنه بان الشر المستعاذ منه في هذه السورة الكريمة هو الشر المضاف الى عالم الخلق وهو عالم المحسوسات والاجسام والجسمانيات وانما سمي عالم الاجسام والجسمانيات بعالم الخلق لان الخلق هو التقدير والمقدار من لواحق الجسم وشرور عالم الخلق مضار بدنية والاعاذة من المضار البدنية تربية واسب ذلك ان يعبر عمن يعاذ من تلك المضار باسم الرب فكانه امر بان يقول يارب كما ربيتني من اول زمان تكويني الى هذا الوقت بانواع التربية فأدم تلك التربية بان تحفظني فيما بقي من عمري ولا تقطعها عني بالتقصير في شكر نعمك وكلمة ما في قوله تعالى من شر ماخلق يجوز ان تكون موصولة وعائدها محذوف اي من شر الذي خلقه مما يكون له شر وضرر وان تكون مصدرية اي من شر خلقه بمعنى مخلوقه على ان يكون المصدر بمعنى المفعول (قوله وشره اختياري الخ) قسم الشرور المضافة الى عالم الخلق الى الاختياري والطبعي وقسم الاختياري الى

ولفظ الرب ههنا اوقع من سائر اسمائه لان الاعاذة من المضار تربية (من شر ماخلق) خص عالم الخلق بالاستعاذة منه لانحصار الشر فيه فان عالم الامر خير كله وشره اختياري لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبعي كاحراق النار واهلاك السموم

اللازم والمتعدي اى الى مالا يتعدى اثره الى غير فاعله بل يلزمه كالكفر وسائر الآثار اللازمة والى ما يتعدى اثره الى فاعله كالظلم سواء تعلق بالمال او بالبدن او بالعرض ويدخل فيه افتراس السباع وعضها واكلها ولدغ الحيات والعقارب (قوله ليل عظم ظلامه) يعنى ان الغاسق بمعنى عظيم الظلام صفة لمحذوف وهو الليل كانه لشدة ظلامه وتكاثفه طرف امتلأ ظلمة قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الغاسق الليل اذا اقبل ظلمه وجنحه وتكاثفت من قولهم غسقت العين اذا امتلأت دمعا وغسق الجرح اذا امتلأ قيحا واسند الشر الى الليل الغاسق وان لم يكن من فعله لملابسته واشتماله عليه من حيث وقوعه فيه (قوله وقيل السيلان) عطف على قوله الامتلاء يقال غسق الجرح غسقا اى سال منه الصديد وسمى الليل غاسقا لانصباب ظلامه على الارض (قوله وتخصيصه) جواب عما يقال قوله تعالى من شر ما خلق يتناول جميع الشرور المتعلقة بعالم الخلق سواء كانت طبيعية او اختيارية وشر الليل الغاسق مندرج فيه فما معنى تخصيصه بالذكر والاستعاذة منه بخصوصه وتقرير الجواب ان تخصيصه بالذكر مع اندراجه فيما ذكر قبله للاشارة الى تعظيم شره لكثرة وقوعه فيه وعسر دفعه اما كثرته فلان السباع تخرج فى الليل من آجامها والهوام من مساكنها وكذا السراق وسائر مترصدى الفرصة ينتشرون فيه لقصد الاضرار وعن عكرمة ان عفاريت الجن ترسل فى تلك الساعة واما عسر دفع ما وقع فيه من الشر فلان ظلمة الليل استر للقاصد بالسوء فيظفر بمن قصده على غرة وغفلة ولا يتمكن من دفعه بنفسه ولا بالاستعانة بغيره لان الغوث يقل فيه ولذلك قال الليل أخفى للويل بمعنى انه استر لما يؤدى الى الويل والهلاك فيكثر الاضرار فيه بما يؤدى اليه (قوله وقيل المراد به) اى بالغاسق اذا وقب هو القمر سمى به لانه يكسف ويغسق اى يذهب ضوؤه ويسود ووقوبه دخوله فى الكسوف واسوداده ودليله ماروى انه عليه الصلاة والسلام اخذ بيد عائشة رضى الله تعالى عنها وأشار الى القمر وقال استعيذى بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب قال الامام وعندى فيه اى فى تسمية القمر غاسقا وجه آخر وهو ان صح ان القمر فى جرمه غير مستنير بل هو مظلم فهو المراد من كونه غاسقا واما وقوبه فهو المحاق والمحاق نوره فى آخر الشهر والمنجمون يقولون انه فى آخر الشهر يكون منحوسا قليل القوة لانه لا يزال ينقص نوره ولا يزداد وبسبب ذلك نحوسته ولذلك لا يشتغل السحرة بالسحر الذى يورث التمريض الا فى ذلك الوقت وهذا مناسب لسبب نزول السورة فانها نزلت لاجل انهم سحروا النبى صلى الله تعالى

﴿ ومن شر غاسق ﴾ ليل عظم ظلامه من قوله الى غسق الليل واصله الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها (اذا وقب) دخل ظلامه فى كل شئ وتخصيصه لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله فى الكسوف

عليه وسلم لاحل التمريض واذا في قوله تعالى اذا وقب منصوب باعوذ اي اعوذ بالله من كذا في وقت كذا (قوله والنفث النفخ مع ريق) وقيل انه النفخ فقط اي بلا ريق ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل اجلها ورزقها الجوهري التفل شبيه بالبزق وهو اقل منه اوله البزق ثم التفل ثم النفث (قوله وتخصيصه) اي وتخصيص النفث بالذكر والاستعاذة من شره مخصوصة مع اندراجه تحت شر عالم الخلق وقد استعيذ منه مطلقا فلم تبق حاجة الى الاستعاذة من شره مخصوصة الا انه خص بالذكر لما ان السورة نزلت للاستعاذة من شر السواحر النفاثات فاقتضت الحكمة ان تذكر النفاثات مخصوصهن ويستعاذ من شرهن لتكمل آيات السورتين احدى عشر آية بعدد العقد التي عقدها لبيد بن اعصم اليهودي روي ان غلاما من اليهود كان يخدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأعونه اليهود حتى اخذ لهم مشاطة رأس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعدة اسنان من مشطه واعطاهم اياها فسحروه فيها وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له لبيد بن اعصم ثم دسها في بئر لبني زريق يقال لها ذروان فمرض النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانتثر شعر رأسه واشتد عليه ذلك ثلاث ليال فجعل يتألم ولا يدري ما عراه فبينما هو نائم اذ اتاه ملكان فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه ما بال الرجل قال طب قال وما طب قال سحر قال ومن سحره قال لبيد بن اعصم اليهودي قال وبم طبه قال بمشط ومشاطة قال واين هو قال في جف طلعة تحت راعوفة في بئر ذروان والجف وعاء الطلع وقشره والراعوفة حجر من اسفل البئر يترك هنالك اذا احفرت البئر ليجلس عليه من ينقي البئر عند الاحتياج الى تنقيتها فانتبه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مذعورا وقال يا عائشة اما شعرت ان الله تعالى اخبرني بدائي ثم بعث عليه الصلاة والسلام عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة فاخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة رأسه عليه الصلاة والسلام واسنان من مشطه واذا وتر معقد فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فانزل الله تعالى هاتين السورتين فقال جبريل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم اقرأ آية وحل عقدة فجعل عليه الصلاة والسلام كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه الصلاة والسلام بعض خفة حتى اذا انحلت العقدة الاخيرة قام صلى الله تعالى عليه وسلم كأنما نشط من عقال وجعل عليه الصلاة والسلام يقول بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من حاسد وعين والله يشفيك والمعتزلة انكروا صحة هذه الرواية وتأثير السحر

(ومن شر النفاثات في العقد) ومن شر النفوس او النساء السواحر اللواتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه لما روي ان يهوديا سحر النبي عليه الصلاة والسلام في احدى عشرة عقدة في وتر دسه في بئر فمرض عليه الصلاة والسلام فنزلت المعوذتان واخبره جبرائيل بموضع السحر فارسل عليا كرم الله وجهه فجاء به فقرأهما عليه فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر

فيه عليه الصلاة والسلام وقالوا كيف يمكن القول بصحتها وهو تعالى يقول والله يعصمك من الناس وقال ولا يفلح الساحر حيث اتى ولان تجويزه يفضى الى القدح فى النبوة ولان الكفار كانوا يعيرونه بانه مسحور ولو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين فى ذلك التعيير ومعلوم ان ذلك غير جائز وقال اهل السنة هذه القصة قد صحت عند جمهور اهل النقل وصحتها لا تستلزم صدق الكفرة فى قولهم انه عليه الصلاة والسلام مسحور وذلك لانهم كانوا يريدون بكونه عليه الصلاة والسلام مسحورا انه ازيل عقله بسبب السحر فلذلك ترك دين آبائه فاما ان يكون مسحورا بألم يجده فى بدنه فذلك مما لا ينكره احد وبالجملة فالله تعالى ما كان يسلط عليه شيطانا ولا انسانا ولا جنيا يؤذيه فيما يتعلق بدينه وعقله واما الاضرار به من حيث انه انسان وبشر فانه يعرض له من حيث بشريته وبدنه فلا بعد فيه وتأثير السحر فيه عليه الصلاة والسلام لم يكن من حيث انه نبى وانما اثر فى بدنه من حيث انه انسان وبشر فانه يعرض له من حيث بشريته ما يعرض لسائر البشر الا يرى ان ما عرض له من كسر ثناياه يوم احد لم يقدح فيما ضمن الله تعالى له من عصمته بقوله والله يعصمك من الناس لان المراد من العصمة هى العصمة مما يخل بامر نبوته (قوله وقيل المراد بالنفث فى العقد الخ) عطف على قوله من شر النفوس السواحر او النساء السواحر فيكون معنى الآية من شر جنس النساء اللاتى شأنهن ان ينفثن فى عزائم الرجال المعقودة على امور بكلمات لطيفة او بمحاولات خفية ويغلبن عليهم ويحولنهم عن آرائهم وعزائمهم التى صمموا على امضائها بانواع المكر والحيلة فان كيدهن عظيم ويؤيد هذا التفسير قوله عليه الصلاة والسلام يا معشر النساء تصدقن فانى رأيتكن اكثر اهل النار فقلن وبم يا رسول الله قال عليه الصلاة والسلام تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل الحازم من احداكن والحازم الضابط لامره المتبصر فى سيره شبهت عزائم الرجال وآراؤهم بعقد الحبال فاطلق عليها اسم العقد وشبه ابطال تلك العزائم بانواع المكر والحيلة بحل عقد الحبال بنفث الريق عليها ليسهل حلها فان النساء كل طباع الرجال اليهن يتصرفن فيهم ويحولنهم من رأى الى رأى ومن عزمة الى اخرى فأمر الله تعالى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بالتعوذ من شرهن ولذلك قال الامام الشافعى رحمه الله تعالى

ان النساء شياطين خلقن لنا ❊ نعوذ بالله من شر الشياطين

وقال بعض الظرفاء فى جوابه

ان النساء رياحين خلقن لكم ❊ وكلكم يشتهى شم الرياحين

(قوله)

وقيل المراد بالنفث فى العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها

(قوله واوفرادها بالتعريف) جواب عما يقال لم عرف النفاثات ونكر غاسق وحاسد مع اشتراك الجميع في كونه مستعاذا منه وجوابه ان كل نفاثة شريرة فعرف النفاثات بتعريف الاستغراق لقصد الاستعاذة من جميع آحادها وليس كل حاسد وغاسق شريرا فنكر بتكثير الوعيد (قوله لاغتمامه بسروره) تعليل لاختصاص ضرر الحسد بالحاسد قيل عمله بمقتضى حسده اي لاغتمام الحاسد وتحزنه بسرور المحسود بما فيه من النعمة روي عن علي رضي الله تعالى عنه انه قال لله در الحسد ما اعدله بقتل الحاسد قبل ان يقتل المحسود (قوله وخصيصه لانه العمدة في اضرار الانسان بل الحيوان غيره) ذكره المصنف لتخصيص كل واحد من الغاسق والنفاثات والحاسد بالذكر مع ان الشرور المضافة اليها مندرجة تحت شر ما خلق لانها اما من قبيل الاجسام او الجسمانيات وجهها مستقلا بما سواه وتقرير الوجه المذكور لتخصيص الحسد بالذكر ان الحسد لما كان معظم الاسباب الحاملة للحيوان على اضرار غيره فانه انما يضر غيره غالبا طمعا فيما عنده واستكراها لرؤيته عنده كان كانه كل الاسباب لشر الحيوان واضراره غيره فلذلك لم يكتف باندراجه تحت عالم الخلق بل خص بالذكر واستعيذ من شره بخصوصه (قوله ويجوز ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى) فسر الغاسق اولا بالليل المظلم الطائفة وفسر وقوبه بدخول ظلامه في كل شيء وفسر ثانيا بالقمر ووقوبه بدخوله في الكسوف ثم فسر النفاثات اولا بالسواحر وثانيا بجنس النساء اللاتي يفتلن عزائم الرجال ثم فسر الحاسد بالانسان المتصف بالحسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضى حسده واشار ههنا الى تفسير كل واحد من هذه الاوصاف الثلاثة بتفسير آخر ففسر الغاسق بما يخلو عن حقيقة النور وعما يضاهيها كالقوى النباتية والحيوانية فانها تشبه النور في كونها سببا لظهور الاشياء كالنور فان القوة النامية النباتية يزيد بها النبات في الطول والعرض والعمق وكذا القوى الحيوانية وهي الحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب فان كل واحدة منها سبب لظهور ما يختص بها من الآثار في الحيوان فشابهت النور بذلك والجمادات العنصرية خالية عن حقيقة النور وعما يضاهيه من القوى فهي المرادة بالغاسق وشرورها ما يترتب عليها بحسب طبائعها من المضرات وفسر الحاسد بالحيوان ان حمله كلامه عليه بناء على ان الحيوانية لازمة للحاسد وسمى هذه العناصر لان الانسان لا تتضرر عن الاجسام الفلكية وانما يتضرر عن الاجسام العنصرية وهي اما جمادات او نباتات او حيوانات فامر الله تعالى بالاستعاذة من كل واحدة منها بكلام على حدة (قوله فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما

(واوفرادها بالتعريف لان كل نفاثة شريرة بخلاف كل غاسق وحاسد (ومن شر حاسد اذا حسد) اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود ضرره منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره وخصيصه لانه العمدة في اضرار الانسان بل الحيوان غيره ويجوز ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها النامية من حيث انها تزيد في طولها وعرضها وعمقها كانها تنفث في العقد الثلاثة وبالحاسد الحيوان فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما

عنده) جواب عما يرد على تفسير الحاسد بالحيوان من ان التعبير بلفظ الحاسد من الحيوان فى مقام الامر بالاستعاذه من شر الحيوان يدل ان منشأ شر الحيوان منحصر فى وصف حسده وليس كذلك وتقرير الجواب ان باقى الاوصاف الذميمة والاخلاق الرديئة وان جاز ان يكون منشأ شر الحيوان وحاملاله على اضرار غيره الا ان غالب ما يحمله على الاضرار هو الحسد فصار الحسد بذلك كأنه يحمل الحامل عليه فالتنبيه على هذا المعنى يضيف الشر الى اللفظ المشتق المشعر بعلية المأخذ له (قوله ولعل افرادها) اى افراد الاجسام العنصريه التى هى الجماد والنبات والحيوان مع اندراجها فى عالم الخلق لانبيه على ان لها مزيد مدخل فى الاضرار من حيث كونها اسبابا قريبة للمضره والله اعلم بالصواب

(سوره الناس مكية وقيل مدنية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الناس بعد صاحب الكشاف اصله اناس تشهادة قوله تعالى انهم اناس يتطهرون فحذفت منه الهمزه التى هى فاؤه وبقى ناس فهو من قولهم آنست الشئ بمعنى ابصرته والناس بمعنى ان يجوز اطلاقه على كل من صح الاانه خص بالبشر عرفا وعند غيره لم يحذف منه شئ واصله نوس لقولهم فى تصغيره نويس فهو من النوس بمعنى الحركة وكان القياس ان يطلق على كل متحرك الاانه خص بالبشر عرفا وقال آخرون هو من الانس الذى هو ضد الوحشة لانه يؤنس به وقيل هو من النسيان واصله الناسى بياء فى آخر الكلمة على انه اسم فاعل من نسى ينسى فحذفت الياء من آخره اكتفاء بالكسره وقرئ قل اعوذ برب بحذف الهمزه ونقل حركتها الى اللام ونحوه فخذ اربعة من الطير وقد افلح واجمع القراء على ترك الامالة فى الناس وروى عن الكسائى الامالة فيه ان كان فى موضع الجر (قوله لما كانت الاستعاذه الى قوله عمم الاضافة ثمة وخصصها بالناس هنا) جواب عما قيل ما الفرق بين السورتين حيث اضيف لفظ الرب فى السوره المتقدمة لى الفلق بمعنى جميع الممكنات المخلوقة فيها واضيف هنا الى الناس وهو رب العالمين وملكهم والههم وليست ربوبيته بالنسبة الى الناس خاصة وتقرير الجواب انه اوقع مضافا اليه فى السورتين مظهر واقع موقع المضمر لانه عليه الصلاه والسلام وهو المأمور بالاستعاذه وحق المستعيذ ان يستعيذ بسيده ومالكه ومدبر امره فمقتضى الظاهر ان يقال فى السورتين اعوذ بربى الاانه لما كان الشر المستعاذ منه

عنده ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة المضره عن النبى عليه الصلاه والسلام لقد انزلت على سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرأ سورتين احب ولاارضى عند الله منهما يعنى المعوذتين
(سوره الناس مختلف فيها وآيها ست)
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(قل اعوذ) قرأ ورش فى السورتين بحذف الهمزه ونقل حركتها الى اللام (برب الناس) لما كانت الاستعاذه فى السوره المتقدمة من المضار البدنية وهى تعم الانسان وغيره والاستعاذه فى هذه السوره من المضار التى تعرض للنفوس البشرية وتخصها عمم الاضافة ثمة وخصصها بالناس هنا فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذى يملك امورهم ويستحق عبادتهم

في السوره المقدمه ليس شر عالم الخلق بل شر عالم العنصريات من الاجسام والجسمانيات فان الغاسق والنفاثات والحاسد كلها من عالم العنصريات وشر هؤلاء مضار بدنية متعلقة بالاجسام والشر المستعاذ منه في هذه السوره وهو الوسوسة مختص بالنفس الانسانية فناسب للمستعيذ في السوره الاولى ان يدرج نفسه في جملة من يتضرر بشر عالم الخلق ويعبر عمن يستعيذه برب يليق لمن يتضرر بالشر المستعاذ منه فلذلك قيل في تلك السوره رب الفلق بدل ان يقول ربي فان الفلق يعم جميع الممكنات فضلا عن العنصريات ولذا ناسب في هذه السوره ان يدرج المستعيذ نفسه في جملة من يتضرر بالوسوسة ويعبر عمن يستعيذ به برب يليق لمن يتضرر بهذا النوع الشر ويقول اعوذ برب الناس في موضع ان يقول ربي فلذلك اضيف لفظ الرب ثمة الى ما يعم الناس وغيرهم واضيف هنا الى الناس خاصة الا ان هذا التوجيه مبني على ان يفسر الفلق بما يعم جميع الممكنات كما اختاره المصنف ونبني ان يكون تقرير السؤال هكذا لم عدل عن ضمير المتكلم الى الاسم الظاهر ثم لم اوثر لفظ رب الفلق في احدى السورتين ولفظ رب الناس في الاخرى ويكون تقرير الجواب ان المستعيذ لما كان امام امته كان اللائق بنفسه وجلالته العظيم ان يدرج نفسه عند الاستعاذه من شر عالم الخلق في جملة من يتضرر من جهته انسانا كان اوغيره وعند الاستعاذه من شر الموسوس الى الناس في جملة من يتضرر منه وهو الناس خاصة اشعارا بان الاستعاذه في السوره الاولى ليست لاجل نفسه خاصة بل لكل ما يدخل تحت مفهوم الفلق من الممكنات المادية كانه قيل اعوذ برب من يتضرر بشر عالم الخلق من شره وبرب من يتضرر بشر الموسوس الى الناس من شره واما على قول من فسره بالصبح فوجه اضافة لفظ الرب اليه في تلك السورة ان الشر المستعاذ منه فيها شرور جزئية بناء على ان معظم المستعاذ منه فيها هو شر الغاسق والنفاثات والحاسد ولا يخفى ان شرورها خفية فكان المناسب ان يعبر عن المستعاذ به فيها برب النور والظهور لان شأن المستعيذ ان يلتجئ الى من يخرجه مما هو فيه الى ما يضاده ويدفعه وعبر عنه في هذه السوره برب الناس لكون المستعاذ منه شرا مختصا بالنفوس الانسانية (قوله فان الرب قد لايكون ملكا) يعني ان المقصود من عطف البيان ايضاح متبوعه اما بعينه او بتقليل اشتراكه ومفهوم رب الناس اعم من مفهوم ملك الناس لان التربية بمعنى السياسة والقوة وهي لاتستلزم الملك وقد يكون بالتعليم والارشاد قال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله الجوهري ربت القوم اي سستهم وكنت فوقهم ومنه قول

(ملك الناس اله الناس) عطف بيان له فان الرب قد لايكون ملكا والملك قد لايكون الها

صفوان بن امية لأن يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن فلما كان ملك الناس اخص من رب الناس صح ان يكون موضحا له وان تعالى اشتراكه الا انه لم يصح ان يكون مبينا له لان ملك الناس قد يطلق على من يدبر امرهم مع كونه بمعزل عن الالوهية فبينه بقوله اله الناس فهو نهاية البيان وغاية التوضيح والتبيين لان لفظ اله مفردا كان او مضافا لا يطلق على غيره تعالى لان الالوهية مختصة به تعالى (قوله وفي هذا النظم دلالة على انه تعالى حقيق بالاعاذة) وجه الدلالة ظاهر لان من كان رب الناس ان كان مولى نعمهم الظاهرة والباطنة ومالكهم الغالب عليهم القادر على التصرف فيهم فان الملك هو الذي يفتقر اليه غيره ويكون غنيا عن غيره والههم الذي استحق العبادة لذاته لكونه خالق العالمين ورازقهم ومدبر امورهم حتى شاء كيف لا يكون حقيقا بالاعاذة قادرا عليها (قوله واشعار على مراتب الناظر في المعارف) ضمن الاشعار معنى الاطلاع فعدى بعلى فان الاشعار لا يتعدى بعلى يقال شعرت بالشيء اشعر شعرا اي فطنت له ومنه قولهم ليت شعري اي ليتني علمت واشعره به فشعر اي ادريته فدرى ويقال اطلعه على سري فان الاستعاذة اولا بلفظ الرب ثم توصيفه بلفظ الملك ثم بلفظ الاله يطلع السامع على ان اول ما يعرفه الناظر بنظره ان له ربا ثم يترقى في باب المعرفة فيتحقق انه ملك ثم ينتهي الى معرفة انه اله فان الناظر في المعارف يعلم اولا بسبب ما يرى عليه من النعم ان له ربا يربيه بانواع النعم ثم يتغلغل اي يتعمق في النظر حتى يتحقق اي يتيقن انه غني عن الكل وان جميع ما سواه يفتقر اليه وهو المعني بالملك فانه اذا علم ان جميع ما عليه من النعم الظاهرة والباطنة انما يفاض عليه من ربه يترقى الى معرفة ان وجود كل موجود وما يتفرع على اصل وجود من انواع الفضل ووجوه الاحسان انما فاض عليه من خزائن رحمته التي وسعت كل شيء ويتحقق عنده انه غني عن الكل وانه مالكهم (قوله وتدرج في وجوه الاستعاذة المعتادة) اي مشى من قولهم درج الرجل والصبي يدرج درجا اي مشى فان عادة المستعيذ ان يلتجئ اولا الى ما يتيسر مما يظنه مأمنا ثم يترقى منه الى ما هو اكمل واقوى في كونه مأمنا ثم يترقى الى منتهى المطالب والملجأ الحقيقي ولما كانت صفة الالوهية منتهى معارف الناظر وصفة الملكية دونها وكانت صفة الربوبية مقدمة معارفه ذكر من اوصاف المستعاذ به اولا صفة الربوبية ثم صفة الملكية ثم صفة الالوهية تنزيلا لهذه الصفات منزلة الذوات المتفاوتة في الالتجاء فقوله وتدرج عطف على قوله ويستدل اي يستدل الناظر ويتدرج في طريق [illegible] عن غني

وفي هذا النظم دلالة على انه تعالى حقيق بالاعاذة قادر عليها غير ممنوع عنها واشعار على مراتب الناظر في المعارف فانه يعلم اولا بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة ان له ربا ثم يتغلغل في النظر حتى يتحقق انه غني عن الكل وذات كل شيء له ومصارف امره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به على انه المستحق للعبادة لا غير وتدرج في وجوه الاستعاذة المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا بعظم الآفة المستعاذ منها

فى وجوه الاستعاذة المعاده والطاهر ان العباره وتدرج بالعطف على قوله
والاشعار والمعنى وفى هذا النظم دلالة على كذا واطلاع على مراتب الناظر
فى المعارف وتدرج اى ترقى على سبيل التدريج الى منتهى معارف الناظر على
وجوه تدرج المستعيذ على ان تكون كلمة فى بمعنى على و يكون قوله تنزيلا علة
للمدرج اه على وجوه تدرج المستعيذ و يكون قوله اشعارا بعظم الآفة علة
للتدرج المذكور بعد تعليله بقوله تنزيلا ووجه الاشعار ان المستعيذ لما امر بان
يتدرج فى الاستعاذة عن لايدرك بكنه ذاته بل انما يدرك بحسب اوصافه بان
يصفه اولا باول ما يحصل للناظر من اوصافه و يذكره بذلك الوصف ثم يذكره بما
يحصل له ثانيا ثم بما يحصل له ثالثا وينزل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات دل
ذلك على عظم الشر المستعاذ منه لامحالة (قوله وتكرير الناس) جواب عما يقال
لم لم يكتف باظهار المضاف اليه الذى هو الناس مرة واحدة بان يقال رب
الناس ملكهم الههم اجاب عنه بوجهين الاول ان عطف البيان انما يؤتى به
لايضاح المتبوع وتبيينه واظهار الاسم ادخل فى ايجاب الايضاح بالنسبة الى
اضماره والثانى ان فى اظهار المضاف اليه فى كل واحد من هذه التراكيب
الاضافية اشعارا بشرفه وذلك لانه تعالى لم يكتف فى مقام بيان كونه حقيقا
لان يستعاذ به باضافة لفظى الملك والاله الى ضمير الانسان بل عرف ذاته بكونه
ربا للناس ملكا للناس ولولا ان الناس اشرف مخلوقاته واعز مظاهر
ملكيته والهيته لما ذكرهم بالاسم الظاهر فى كل مرة (قوله اى الوسوسة)
يعنى ان الوسواس بالفتح اسم بمعنى الوسوسة كما ان الزلزال اسم بمعنى الزلزلة
والوسواس بالكسر مصدر كالزلزال واطلاق الوسوسة على الشيطان
من قبيل توصيف العين بالمصدر للمبالغة فى الاتصاف كما يقال رجل عدل
للدلالة على بلوغه فى الاتصاف بالعدالة الى حيث صار كأنه نفس العدالة
ويجوز ان يحمل الكلام على حذف المضاف اى من شر ذى الوسواس
والخناس صيغة مبالغة من الخنوس وهو الرجوع والتأخر وهو مجرور
على انه صفة للوسواس بمعنى الموسوس وصف به لان شأنه وحرفته وفعله
الذى هو عاكف عليه ان يخنس اذا ذكر العبد ربه والوسوسة والخنس
صفتان للشيطان على حسب حال الانسان كما ورد فى الخبر ان الشيطان جاثم
على قلب ابن آدم فاذا غفل وسوس واذا ذكر الله تعالى خنس اى تأخر وولى
والوسوسة الدعوة الى الشر عن خفية واصل الوسوسة الصوت الخفى
ومنه وسواس الحلى فان صوته يسمى وسوسة لخفائه وسمى دعوة شياطين الجن

وتكرير الناس لما فى الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان (من شر الوسواس) اى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس وسمى بفعله مبالغة (الخناس) الذى عادته ان يخنس اى يتأخر اذا ذكر الانسان ربه (الذى يوسوس فى صدور الناس) اذا غفلوا عن ذكر ربهم

والانس الى الشر بالوسوسة لان شياطين الجن تدعو الى المعصية وتزينها باخفاء ضررها اما بان تغر المدسسة رحمة الله تعالى وعفوه او بان تحيل اليه ان في العمر سعة فتتوب بعد ما قضيت شهوتك منها اولانهم يدعون الى المعصية بكلام حتى تفهمه القلب من غير ان تسمع صوته وكذا شياطين الانس يدعون اليها باخفاء ضررها واراءة المنافع والمصالح في مباشرتها واظهار أنه ناصح له في ذلك وليس مراده الا المكر والخدارة او تجعله مغرورا بان يذكر له سعة رحمة الله تعالى وعفوه او امكان التوبة بعد مباشرتها (قوله وذلك كالقوة الوهمية) شبه الشيطان بها من حيث انه يساعد الانسان في اتباع المعاصي والمنكرات واذا آل امره الى طاعة الله تعالى خنس واعرض عنه واحد في المكر والحيلة لصرفه عنها كما ان القوة الوهمية تساعد العقل في المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه وتشككه (قوله ومحل الذي الجر) على انه صفة الوسواس او النصب او الرفع على الذم وعلى الوجهين الاخيرين يحسن للقاري ان يقف على الخناس ويبتدئ بقوله الذي يوسوس لطول الكلام (قوله من الجنة والناس بيان للوسواس او للذي) على معنى ان الشيطان الموسوس ضربان جني وانسي كما قال الله تعالى شياطين الانس والجن عن ابي ذر رضي الله تعالى عنه انه قال للرجل هل تعوذت بالله من شر شيطان الانس فقيل له هل للانس من شيطان قال نعم واستدل بالآية (قوله او متعلق بيوسوس) فتكون من لابتداء الغاية اي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس مثل ان يوقع في القلب من جهة المنجمين والكهان انهم يعلمون الغيب ومن جهة الجن انهم يضرون وينفعون (قوله وقيل بيان للناس) اي المذكور في قوله تعالى في صدور الناس بناء على جواز ان يطلق اسم الناس على الجن كما اطلق على الانس استدلالا لاستعمال الجن نفرا ورجالا كما في قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وقوله يعوذون برجال من الجن وكل واحد منهما من الالفاظ المستعملة في الانس والمصنف رحمه الله تعالى عد هذا القول تعسفا بناء على ان اطلاقه على الثقلين بعيد عن اللغة فان اهل اللغة اتفقوا على ان كل واحد من لفظي الجن والانس موضوع بازاء حقيقة مباينة للحقيقة التي وضع بازائها اللفظ الآخر وعلى ان احدى الحقيقتين سميت جنا لاجتنانها اي تسترها عن اعين الناس والاخرى ناسا لظهورها وافرادها للبصر على ان الناس من الايناس وهو الابصار قال تعالى آنس من جانب الطور نارا اي ابصر

(فكما)

وذلك كالقوة الوهمية فانها تساعد العقل في المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه وتشككه ومحل الذي الجر على الصفة او النصب او الرفع على الذم (من الجنة والناس) بيان للوسواس او للذي او متعلق بيوسوس اي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس على ان المراد به ما يعم الثقلين وفيه تعسف الا ان يراد به الناسي كقوله يوم يدع الداع فان نسيان حق الله يعم الثقلين ☆

فكما لا يطلق اسم الجن على بنى آدم لعدم اجتنانهم عن اعين الناس فكذلك ينبغى ان لا يطلق اسم الناس على الجن لعدم تعلق الايناس والابصار بهم الا ان يكون الناس من النسيان و يكون اصله الناسى و حذفت ياؤه اكتفاء بالكسرة فحينئذ يمكن ان يطلق اسم الناس على الفريقين لان نسيان حق الله تعالى متحقق فيهما ولا يجوز ان يقرأ فى هذه السورة مالك الناس كما يقرأ مالك يوم الدين فى سورة الفاتحة والفرق ان المالك بمعنى الرب فقوله رب الناس افاد كونه تعالى مالكا لهم فلو قرئ بعده مالك الناس لزم التكرار بخلاف سورة الفاتحة فانه لم يذكر فيها مايدل على كونه تعالى مالك يوم الدين بغير هذه العبارة حتى يلزم التكرار واعلم ان فى هذه السورة لطيفة نادرة وهى ان المستعاذ به قد ذكر فى السورة المتقدمة بصفة واحدة وهى انه رب الفلق وان المستعاذ منه فيها ثلاثة انواع من الآفات وهى الغاسق والنفاثات والحاسد بخلاف هذه السورة فان المستعاذ به ذكر فيها ثلاثة اوصاف وهى الرب والملك والاله والمستعاذ منه آفة واحدة وهى الوسوسة ومن المعلوم ان المطلوب كلما كان اهم والرغبة فيه اتم كان ثناء الطالب قبل طلبه اكثر واوفر وقد تقرر ان المطلوب فى السورة المتقدمة هو سلامة البدن من الآفات المذكورة وفى هذه السورة هو سلامة الدين من وسوسة الشيطان فظهر بما ذكرنا ان فى نظم السورتين الكريمتين تنبيها على ان سلامة الدين من وسوسة الشيطان وان كانت امرا واحدا الا انه اعظم مرادا واهم مطلوبا وان سلامة البدن من تلك الآفات وان كانت امورا متعددة ليست بتلك المثابة فى كونها مطلوبا مهما لمن استعاذ منها اللهم اجعل امر الدين اعز مطلوب لنا وثبتنا على نهج الاستقامة ❁ واعذنا فى الدنيا من موجبات الندامة يوم القيامة ❁ نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدين والدنيا والآخرة برحمتك يا ارحم الراحمين ❁ والحمد لله رب العالمين ❁ والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه اجمعين ❁ وعلى سائر الانبياء والمرسلين ❁ وعلى الملائكة المقربين ❁ من اهل السموات واهل الارضين ❁ سبحان ربك رب العزة عما يصفون ❁ وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين

عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التى انزلها الله تعالى والله سبحانه وتعالى اعلم

تمت الحواشى المعلقة بحل مغلقات انوار التنزيل ❁ واسرار التأويل ❁ الذى صنفه الامام العالم العلامة حبر الائمة سيد العلماء على بن عمر السمناوى
تغمده الله برحمته ورضوانه ❁ واسكنه اعلى جنانه ❁

حمدا وشكرا لك اللهم يا من من علينا بكتابه الكريم * منزها من غير من يشوبها
ببراعة المطلع وحسن الختم * وصلاة وسلاما على من بعثته لاسلام
بوحدتك الرسالة * ولتبليغ احكامك بوسائل آيات الرسالة * لاكمال مكارم
الاخلاق الانسانية * ولابراز احكام الكمالات الانسانية * وعلى آله واصحابه
الذين امروا في كل حال باتباع كتاب الله * بقوله تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله * وبعد فلما اكمل الله طبع هذه الحاشية ال-
كتاب جامعة الفوائد لعظمته بالحسن العظيم النير * واشتملت على نكات دقيقة
قد ذكرت متفرقة في اكثر كتب المفسرين [illegible] * [illegible] تطبع
الطبع الجديدة المصرية * صانها الله عن انواع الآفات والبلية * وهي
الشيخ المشهور بين العلماء والصالحين * شيخ زاده محمد محيي الدين المدفون
في هذه البلدة * وهو قد كان في زمانه من فضلاء دار السعادة * وقد جعله الله
من المحسنين الذين لهم الحسنى وزيادة * وهو في عصره في هذا الميدان من
المجيدين * وفي اصابته جزاه [illegible] آيات الله من الموقنين * حشره الله تعالى
في زمرة الصلحاء والصديقين * على التفسير الجليل الجميل المعروف في الالسنة
بين الناس المسمى بانوار التنزيل * واسرار التأويل * الذي الفه ال
العلامة فريد عصره * ووحيد دهره * علي ابن عمر البيضاوي * نور الله
مرقده بانوار قدسه القوي * وهي احل ما حرر * واجل ما قرر * على التفسير
المزبور الذي افاده من جوامع الكلم * بلا اشتباه * ولا ريب بين اهل العلم * فلما
اطبعها مطبعتنا الكائنة في القسطنطينية * وقاها الله عن كافة الآفات الارضية
والسماوية * في زمان ظل سلطان مولانا [illegible] * رافع الوية دين الاسلام المعز
والمكرم * اعني به السلطان ابن السلطان * السلطان الغازي [illegible]
[illegible] الله بكل ما تمناه وجعله [illegible] على كافة اعدائه [illegible]
المطبعة مطبعة (الحاج محرم افندي) * [illegible] بالسعي [illegible]
وقد كانت مرتبة على سبع قطع من القواطع * كل [illegible] والمطالع
[illegible]
[illegible]) فلما توفي رحمه الله [illegible] (صا
[illegible]) [illegible]
[illegible]
[illegible]
من هجرة [illegible] المختار
[illegible]